المُهَذَّبُ
في الآدابِ الإسلاميَّةِ

جمعه وأعده
الباحث في القرآن والسنَّةِ
علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى
١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
ماليزيا
((بهانج -دار المعمور))

((حقوق الطبع لكل مسلم))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن الإسلام دين يهتم بشؤون الإنسان الخاصة،كما يهتم بشؤونه العامة. ويتتبع الإرشاد والتقويم تفاصيل حياته الصغيرة،كما يوجهه في كبيرها. ويتدخل في دقائق أموره الشخصية تهذيبا وتجميلا،كما يهتم بأمور الإنسانية عموما وشمولا.. سواء بسواء.. ويقينه في ذلك أن المجتمع الفاضل أساسه الفرد الفاضل. والأمة الراقية أفرادها ـــ لا شك ـــ هم الذين أقاموها على الرقي والحضارة والازدهار.

وقد اشتمل هذا الدين على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والآداب .

وباب الآداب يشمل جميع جزئيات الدين،وهي إما أوامر أو نواهي،وقد وردت في القرآن الكريم في أمكنة كثيرة،وكذلك في السنة النبوية المطهرة،وقد أولاها العلماء قديما وحديثا بالبحث والتفصيل،ففي جل كتب الحديث المرتبة على الأبواب نجد باباً أو كتاباً للأدب،بل أفرده بعض العلماء بكتب مستقلة أشهرها كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله،وكذلك الآداب للإمام البيهقي رحمه الله.

ومن الكتب المعاصرة التي اهتمت بهذا الجانب كتاب ((**الآداب الإسلامية للناشئة**)) تأليف الشيخ محمد خير فاطمة،وهو مطبوع ومتداول وموجود على النت [1]

وهذا الكتاب شامل ونافع،فقد حوى خمسة وثلاثين أدباً من أهم آداب الإسلام،ولكن النسخة التي على النت كثيرة الأخطاء المطبعية،كما أن المؤلف – عفا الله عنه- لم يقم بتخريج حديث واحد من مصدره الأساسي،فكثرت فيها الأخطاء والأوهام،ولم يذكر الحكم على الأحاديث التي ليست بالصحيحين،ولذا فقد اشتمل كتابه على الصحيح والحسن والضعيف والواهي،بل والموضوع أحياناً،وذكر كثيراً من الحكايات والقصص ولم يذكر مصدرها،ولم يقم بشرح غريب الآيات ولا الأحاديث أيضاً،كما أنه لم يذكر جميع الآداب ففاتته آداب أخرى،ومع هذا فكتابه قيم في بابه،وقد أفدت منه كثيراً .

وذكر بعضها الشيخ أبو بكر الجزائري – حفظه الله- في كتابه القيم ((منهاج المسلم)) . والتي ذكرها منها شرحها بشكل جيد مع أدلتها .

---

[1] -انظره في مكتبة صيد الفوائد :http://saaid.net/book/open.php?cat=٨٢&book=٤٩٤٣

وكذلك ذكر بعضها الشيخ محمد إبراهيم التويجري عفا الله عنه في كتابيه القـيِّمين مختصـر الفقـه الإسلامي وموسوعة الفقه الإسلامي وفي الثاني أوسع بكثير .. لكنه لم يذكرها جميعا،وأحاديثه جلها مدققة وصحيحة ومعزوة لمصادرها .. ولكنه لم يقم بالشرح فاقتصر على العناوين والنصوص فقط.

وقد ذكرت معظمها في كتابي ((موسوعة الأسرة المسلمة)) في باب خاص بها،ولكنها غير محررة ونجدها منثورة في مواقع كثيرة على النت ..

وقد رأيت أن أجمع وأدقق جل ما ورد في هذه الآداب، التي بلغت خمسا وخمسين أدبا رئيساً وفيهـا فروع.

وفي كل أدب ذكرت الآيات القرآنية التي تدل عليـه مـع القيـام بشـرها في الأغلـب بشـكل مختصر،وذكرت الأحاديث النبوية المفصلة لها،من مصادرها الأساسية،وقمت بتخريجها والحكم عليها بما يناسبها،ومعظمها تدور بين الصحيح والحسن بشقيه،وذكرت غريبها،وشرحت بعضـها،ونقلت كثيرا من أقوال العلماء المتعلقة بذلك ومن مصادرها الرئيسة.وقد فصلت القول ببعض المسائل الـتي تحتاج لذلك حسب مقتضى الحال .

وجاء كتابي هذا على الشكل التالي:

مقدمة عن الأدب وأهميته في الإسلام

-١- آداب النية

-٢- الأدب مع الله سبحانه وتعالى

-٣- الأدب مع رسول الله – ﷺ-

-٤- الأدب مع النفس

-٥-آدابُ الاستيقاظ

-٦-آدابُ قضاء الحاجة

-٧-آداب الوضوء

-٨-آداب الصلاة

-٨-آداب الصلاة

-٩-آداب الطعام

-١٠-آداب الشرب

-١١-آداب اللباس

-١٢-آداب الكلام

-١٣-آداب بيتية

-١٤- آداب الابن مع الوالدين

-١٥- آداب الأخ مع إخوته

-١٦- الأدب مع الأولاد

- ١٧-آداب الطريق

-١٨-آداب الدراسة والمدرسة

-١٩-آداب شخصية

-٢٠-آداب النوم

-٢١-آداب الغسل ودخول الحمام

-٢٢-آداب المسجد

-٢٣-آداب صلاة الجماعة

-٢٤-آداب العالِم

-٢٥-آداب المتعلم

-٢٦-آداب تلاوة القرآن الكريم

-٢٧-آداب ذكر الله تعالى

-٢٨-آداب الدعاء

-٢٩-آداب الجمعة

-٣٠-آداب العيدين

-٣١-آداب الصيام

-٣٢-آداب الزكاة والصدقات

-٣٣-آداب الحج والزيارة

-٣٤-آداب العمل والمعاش والبيع والشعار

-٣٥-آداب الصلة

ا-آداب صلة الرحم

ب -آداب الجار

جـــ -آداب عيادة المريض

د-آداب الصلة بالميت "التعزية"

هـــ- الأدب مع الكافر

-٣٦-آداب الصحبة

-٣٧-آداب السلام

-٣٨-آداب الاستئذان

-٣٩-آداب المجلس

-٤٠-آداب النزهات

-٤١- آداب اللقاء

-٤٢- آداب الزيارة

-٤٣- آداب الضيافة

-٤٤- آداب المعاشرات

-٤٥- آداب الرؤيا

-٤٦- آداب عشرة النساء

-٤٧- آداب الكلام

-٤٨- آداب الدعاء

-٤٩- آداب الشورى

-٥٠- آداب النصيحة

-٥١- آداب الدعوة

-٥٢- آداب العمل

-٥٣- آداب الحزن في الإسلام

-٥٤- آداب معاملة الحيوان

-٥٥- أدب الحوار

ويمكن أن يضاف لها بعض الآداب الأخرى،فالباب مفتوح لمن شاء.

هذا وأسال الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم،وأن ينفع به جامعه وقارئه وناشره والدال عليه في الدارين .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١) سورة الحجرات.

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ١٧ شعبان ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٠٠٩/٨/٨ م

مقدمة عن الأدب وأهميته في الإسلام

إنّ من نعمة الله علينا أن أكمل لنا الدين وأتم لنا النعمة،وأرسل إلينا رسولاً رحيماً بأمّته،فما من خير إلا ودلنا عليه،وما من شرٍ إلا وحذرنا منه ﷺ،ولقد كان من جملة الخير الذي دلنا عليه آداب شملت كثيراً من أمور الدين والدنيا،فالعبادات لها آداب ومخالطة الناس لها آداب والتعامل مع النفس له آداب،والأدب هو الدِّينُ كله .

*والآداب منها ما هو مستحب أو مكروه،ومنها ما هو واجبٌ أو محرَّم،ومنها ما هو مُباح.ولذلك اعتنى الإسلام بهذا الجانب وصنّف أهل العلم كثيراً من الكتب والمصنفات،وفي كتب السنة والحديث كتب وأبواب للأدب بل وقد أفرد البخاري رحمه الله كتاباً في الأدب سماه (الأدب المفرد) جمع فيه الأحاديث والآثار المتعلقة بالأدب .

*ولا شك أن الأدب في الإسلام مهم جداً وينبغي للمسلم أن يعتني بالآداب الشرعية في جميع الأمور.ونظراً لجهل كثير من المسلمين منزلة الأدب ومراتبه وأنواعه وطرق اكتسابه وغير ذلك من الأمور،ولأن الآداب الشرعية تشمل العالم والمتعلم والرجل والمرأة والكبير والصغير والغني والفقير وغيرهم،وحثاً وترغيباً لنا في اتباع هدي وآداب النبي ﷺفي أقواله وأفعاله وصفاته وأخلاقه،نتكلم عن هذا الموضوع المهم.

*فما هو تعريف الأدب؟

وما هي منزلته وفضله ؟

وما هي حاجتنا إلى الأدب ؟

وما هي مراتبه وأنواعه ؟

وكيف نكتسب الأدب الشرعي؟وفي هذا البحث الموجز نُجيب على هذه الأسئلة وغيرها إن شاء الله تعالى

١- تعريف الأدب :

الأَدَبُ مُحَرَّكَةً:الذي يَتَأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس سُمِّيَ به لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إلى المَحَامدِ وَيَنْهَاهُم عن المَقَابِحِ[٢]. وقال ابن القيم في مدارج السالكين (الأدب:اجتماع خصال الخير في العبد ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس)[٣] وقال أيضاً: (وحقيقة الأدب استعمال الخُلق الجميل) ثم قال (قال بعض العلماء:الأدب هو استعمال ما يجمل من الأقوال والأعمال والأحوال) وقال بعضهم (الأدب هو أن تكون على تعاليم الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً) وقال ابن القيم رحمه الله (الأدب هو الدين

[٢] - تاج العروس - (١ / ٢٧٦) ولسان العرب - (١ / ٢٠٦)

[٣] - مدارج السالكين - (٢ / ٣٧٥)

كله فإنّ ستر العورة من الأدب،والوضوء وغسل الجنابة من الأدب،والتطهر من الخبث من الأدب ...)[٤].

*والخلاصة أن الأدب هو اجتماع خصال الخير في العبد وفق الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً .فإذا أراد المسلم أن يكون مؤدباً فعليه أن يلتزم بالكتاب والسنة في عقيدته ومنهجه وعبادته وأخلاقه وأفعاله وأقواله وصفاته ظاهراً وباطناً .

٢- منزلة الأدب وفضله :

قال ابن القيم رحمه الله: (الأدب هو الدين كله) فمنزلة الأدب هي منزلة الدين عند العبد،وقال رحمه الله: (أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه،وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره،فما استُجلب خيرُ الدنيا والآخرة بمثل الأدب،ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب،فتأمل أحوال كل شقيٍّ ومُدبرٍ كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان)[٥].

*فمنزلة الأدب عظيمة،فعن الْحَسَنَ بْنِ عَرَفَةَ،قال:سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ،يَقُولُ:" مَنْ تَهَاوَنَ بِالْأَدَبِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ السُّنَنِ،وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ،وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ "[٦] .

٣- حاجتنا إلى الأدب:

المجتمع المسلم بحاجة ماسة إلى سلوك الأدب وتحقيقه بين الأفراد للأسباب التالية :

أ – إذا اتصف الناس بمراعاة الأدب بينهم،حصل الاطمئنان والأمن بينهم .فحقوقهم مكفولة وسمعتهم محترمة ومكانتهم محفوظة،فيطمئنون على أنفسهم .

ب – الأدب ينزع الأحقاد من صدور الناس:فإذا التزم الناس بالآداب الشرعية صَفت النفوس فسادت الأخوّة والمحبة والألفة المجتمع .

ج- الأدب طريقُ العلم النافع:فطالب العلم لن ينال العلم وبركته بدون أدب .وقد حذّر السلف كثيراً من طلب العلم بدون أدب.قَالَ أَبُو النَّضْرِ الفَقِيْهُ: سَمِعْتُ البُوْشَنْجِيّ يَقُوْلُ: مَنْ أَرَادَ العِلْمَ وَالفِقْه بِغَيْر أَدبٍ،فَقَدْ اقتحمَ أَن يكذب عَلَى اللهِ وَرَسُوْله..[٧]

قال بكر أبو زيد رحمه الله :(لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلّي بمحاسن الأدب ومكارم الأخلاق سِمةُ أهل الإسلام وأن العلم لا يصل إليه إلا المُتحلي بآدابه المتخلي عن آفاته)[٨]

---

[٤] – مدارج السالكين – (٢ / ٣٨٤)

[٥] – مدارج السالكين – (٢ / ٣٩١)

[٦] – شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٣١٣٩)

[٧] – سير أعلام النبلاء – (١٣ / ٥٨٦)

[٨] – حلية طالب العلم صـ٦

* فالأدب مهم جداً للفرد وللمجتمع وخاصةً طالب العلم .

٤- مراتب الأدب :

تتفاوت مراتب الأدب بحسب المتأدَّب معه،فليس الأدب مع الله كالأدب مع أنبيائه،وليس الأدب مع رسول الله ﷺ كالأدب مع سائر الناس،وليس للتعامل مع الناس أدب واحد بل للوالدين أدب خاص وللعلماء والكبار أدبٌ خاص،وهكذا. وكذلك للتعامل مع النفس أداب،فمراتب الأدب أربعة هي :

أ) الأدب مع الله

ب) الأدب مع رسول الله ﷺ

ج) الأدب مع الناس

د) الأدب مع النفس

×أ) الأدب مع الله عز وجل :

فهو رأس الأمر وعموده وأهم ما يقدمه العبد في دنياه.قال ابن القيم رحمه الله (الأدب مع الله ثلاثة أنواع:أحدها صيانةُ معاملته أن يشوبها بنقيصةٍ،الثاني:صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره،الثالث:صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه) ثم قال (ومن الأدب مع الله عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة للنهي عن ذلك،ومن الأدب مع الله:أن لا يستقبل بيته ولا يستدبره عند قضاء الحاجة في الفضاء والبنيان،ومن الأدب مع الله:السكون في الصلاة وعدم الالتفات فيها والاستماع للقراءة في الصلاة،والمقصود أن الأدب مع الله تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً،ولا يستقيم لأحدٍ قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء:معرفته بأسمائه وصفاته،ومعرفته بدينه وشرعه وما يُحب وما يكره،ونفسٌ مستعدة قابلة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً)[٩].

قلت:ما الذي يُرجى في الآخرة من رجلٍ أساء أدبه مع الله تبارك وتعالى وهل يُرجى من مسيء الأدب مع الله أن يُحسن أدبه مع خلقه؟

×ب) الأدب مع رسول الله ﷺ:

قال ابن القيم رحمه الله :(وأما الأدب مع الرسول ﷺفالقرآن مملوء به،فرأس الأدب معه كمال التسليم له،والانقياد لأمره،وتلقي خبرَه بالقبول والتصديق دون معارضته بالعقل أو الشك أو يقدم عليه آراء الرجال،فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحَّد اللهَ تعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل،ومن الأدب مع الرسول ﷺأن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف،حتى يأمر هو،وينهى ويأذن كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١) سورة الحجرات (ومن الأدب معه أن لا تُرفع

[٩] - مدارج السالكين - (٢ / ٣٧٦)

الأصوات فوق صوته فما الظن برفع الآراء على سُنَّته !! ومن الأدب أن لا يُعارض نصه بقيـــاس،ولا يُحرف كلامه عن حقيقته،ولا يوقَفُ قَبول ما جاء به على موافقة أحد [١٠]،فكل هذا من قلـــة الأدب معه ﷺوهو عين الجرأة ...) [١١]

×ج) الأدب مع الخلق :

فلابد من أن يعامل كل واحد بما يليق به،ومن خلقِ الله الملائكةُ،وعلى المسلم أن يتأدب معهم،ومـــن الأدب مع الملائكة محبتهم وموالاتهم،ومن الأدب مع الملائكة:البعد عن الذنوب والمعاصي والـــروائح الكريهة لأنها تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم،ومن الأدب معهم الامتناع عن كل ما يمنع قرب الملائكـــة أو دخولهم بيوتنا أو حضورهم مجالسنا مثل الصورة والتمثال والكلب والجرس وكـــذلك لا تقـــرب الملائكة سكرانا أو جنبا إلا أن يتوضأ،ومتشبها بالنساء وغيرهم.

* كذلك لابد أن يعامَل الناس كل واحد بما يليق به،فهناك آداب التعامل مع الوالـــدين وآداب مـــع الأرحام وآداب مع الجار المسلم وآداب مع العلماء وآداب مع ولاة الأمر وآداب مع الضيف وآداب مع الأولاد وآداب بين الزوجين وآداب مع عامة المسلمين وآداب مع المخالفين مـــن أهـــل البـــدع والفاسقين وكذلك وآداب مع غير المسلمين.قال ابن القيِّم رحمه الله (أما الأدب مـــع الخلـــق فهـــو معاملتهم بما يليق بهم على اختلاف مراتبهم،فلكل مرتبة أدب،والمراتـــب فيهـــا آداب خاصـــة،فمع الوالدين أدب خاص،وللأب منهما أدب هو أخص به،ومع العالم أدب آخر ومع السلطان أدب يليق به ومع الضيف أدب غير أدبه مع أهله،ولكل حالٍ أدب:فللأكل آداب .. ..) ثم قال (وأدب المـــرء عنوان سعادته وفلاحه،وقلة أدبه عنوان شقاوته وبَواره ...) ثم قال (ومن حقوق الخلق أن لا يفرِّط في القيام بحقوقهم،ولا يستغرق فيها بحيث يشتغل بها عن حقوق الله أو عن تكميلها،أو عن مصـــلحة دينه وقلبه ...) [١٢] .

×د) الأدب مع النفس :

وأدب الإنسان مع نفسه متنوع متفاوت كذلك،فمن الأدب مع النفس السعي إلى تزكيتها وإصلاحها ومحاسبتها وتدريبها على الطاعات والأخلاق،ومن الأدب مع النفس حثها على التوبة والإنابة والخشية وغيرها،وكذلك من الأدب مع النفس تدريبها وإلزامها على الآداب الشرعية.قال ابن القيم رحمه الله:

---

[١٠] – **قلت : ما لم يكن منسوخاً ، فلا بد أن يكون قد أخذ بالحديث أحد الفقهاء المعتبرين حتى نأخذ به وإلا كان منسوخاً أو غير صحيح**

[١١] – مدارج السالكين – (٢ / ٣٨٧)

[١٢] – مدارج السالكين – (٢ / ٣٩٠)

(فللأكل آداب وللشرب آداب وللركوب آداب والدخول والسفر والإقامة والنوم آداب ولقضاء الحاجة آداب وللسكوت والاستماع آداب ...)[١٣]

والخلاصة أن الأدب مع النفس إلزامها والسير بها على هدي النبي ﷺ في جميع سيرته وأقواله وأفعاله وهديه ظاهرا وباطنا .

*إذا عُلم هذا فينبغي للمسلم أن يضع هذه المراتب والأنواع الأربعة للأدب نَصب عينه دوما:الأدب مع الله عز وجل،والأدب مع رسول الله ﷺ،والأدب مع الخلق والناس،والأدب مع النفس،ومن ثم يحرص على بلوغ الدرجة العليا في كل هذه المراتب ليسعد في الدنيا والآخرة .

٥- طريق اكتساب الأدب :

بعد أن علمنا حاجتنا إلى الأدب وأهميته وفضله وأنواعه،فكيف السبيل إلى اكتسابه والتخلق به في مجتمعات المسلمين وفي أفرادهم ؟

١- تربية الأولاد على الأدب منذ الصغر :

وهذا واجب الوالدين والأساتذة في البيت والمدرسة،وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده - وكان رجلاً من بني زهرة -:علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن،واحملهم على الأخلاق الجميلة،وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا،وجالس بهم أشراف الناس وأهل العلم منهم،فإنهم أحسن الناس رعةً وأحسنهم أدباً،وجنبهم السَّفلة والخدم،فإنهم أسوأ الناس رعة وأسوؤهم أدباً ومرهم فليستاكوا عرضاً،وليمصوا الماء مصًّا ولا يعبوه عبّا،ووقرهم في العلانية،وذللهم في السر،واضربهم على الكذب،إن الكذب يدعو الى الفجور،والفجور يدعو الى النار،وجنبهم شتم أعراض الرجال،فان الحر لا يجد من عرضه عوضاً،وإذا ولوا أمراً فامنعهم من ضرب الأبشار فإنه عار باقٍ ووتر مطلوب،واحملهم على صلة الأرحام،واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب.[١٤]

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في صغرٍ وليس ينفع عند الشيبةِ الأدبُ

إن الغصونَ إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب

قال مالك رحمه الله (كانت أمي تعّممني وتقول لي:اذهب إلى ربيعة فتعلم منه آدابه قبل علمه)[١٥].

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله:(الصبي أمانة عند والديه،فإن عُوِّد بالخير وعُلمه نشأ عليه وسَعِد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب،فعلى الأب أن يصون ولده بأن يؤدبه

---

[١٣] - مدارج السالكين - (٢ / ٣٩٠)

[١٤] - لباب الآداب لأسامة بن منقذ - (١ / ٦٨) وموسوعة خطب المنبر - (١ / ٣٦٨٠)

[١٥] - ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله

ويعلمه محاسن الأخلاق،ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوده على التنعم والزينة والرفاهية فيضيع عمره في طلبها،ثم ذكر طرقا في تأديب الصبيان ينبغي لكل والد ومرب الرجوع إليها)[١٦]

٢- ومن طرق اكتساب الأدب،النظر في قصص القرآن وكتب الحديث والسيرة لمعرفة هدي وآداب رسول الله صلى اله عليه وسلم،والالتزام بمجالس ودروس أهل الحديث لأنهم أعلم الناس بآداب رسول الله ﷺ،كذلك النظر في ميراث أسلافنا من الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين بالأدب والورع والدين ومن أهم الكتب في سيرهم كتاب (سير أعلام النبلاء) للإمام الذهبي رحمه الله (٢٥ مجلدا).

٣- تعليم الناس وتذكيرهم دوما بأهمية الأدب في حياتهم وخطورة تركه وإهماله :-ويتحقق ذلك بإقامة الدروس والمحاضرات والخطب في ذكر الآداب الشرعية بالأدلة الصحيحة .

٤- قراءة الكتب والمصفات التي أفردت لأبواب الأدب لمعرفة الآداب الإسلامية والعمل بها ونشرها بين الناس،ولاسيما كتابنا هذا .

٥- مصاحبة المربِّين والعلماء وطلبة العلم الملتزمين بالأدب .

٦- ومن طرق اكتساب الأدب:توقي الآداب المرذولة في الأفراد والمجتمعات .

٧- مجاهدة النفس وتربيتها على الآداب الشرعية:فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ،وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ،مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ،وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ "[١٧] قال أبو حامد الغزالي رحمه الله:(فمن أراد مثلا أن يُحصِّل لنفسه خُلُق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود وهو بذل المال،فلا يزال يطالب نفسه به،ويواظب عليه تكلفا مجاهدا نفسه حتى يصير ذلك طبعا ويتيسر عليه فيصير به جوادا .. وجميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق)[١٨]

فإذا سلك المؤمن طرق اكتساب الأدب مع الإخلاص وفقه الله تعالى .

٦- الكتب والمصنفات في الأدب الشرعي :

- أما الكتب التي ذكرت الآداب فهي على أنواع منها ما صُنف كاملا في الأدب مثل :

لباب الآداب لأسامة بن منقذ رحمه الله توفي سنة (٥٨٤)

الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي توفي سنة (٧٦٣ هـ) في ثلاثة مجلدات .

الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله.

الآداب للإمام البيهقي وهو من أوفاها .

---

[١٦] - إحياء علوم الدين - (٢ / ٢٧٢) والمدخل لابن الحاج - (٥ / ٣٠)

[١٧] - المعجم الكبير للطبراني - (٢٠ / ٢٥٨)(١٧٦٣) وحلية ١٧٤/٥ وفتح ١٦١/١ والإتحاف ٩١/١ و٢٧/٨ وخط ٢٠١/٥ و١٢٧/٩ والصحيحة (٣٤٢) وصحيح الجامع (٢٣٢٨) حسن لغيره

[١٨] - إحياء علوم الدين - (٢ / ٢٥٨) وميزان العمل - (١ / ٢٢)

غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب للسفاريني توفي (١١٨٨هـــ) في مجلدين .

أخلاق النبي ﷺوآدابه للحافظ بن حيان الأصبهاني(توفي ٣٦٩هـــ) محقق في أربعة مجلدات

زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (توفي ٧٥١هـــ) في خمسة مجلدات .

ومن الكتب ما أفرد أبوابا وكتبا ضمن الكتاب مثل كتب الأدب في كتب الحديث المشهورة.ومـــن المصنفات في آدابٍ معينة مثل آداب طلب العلم وهي كثيرة.[١٩]

[١٩] - انظر :=http://www.d-alsonah.com/vb/showthread.php?t١٧٠٤

-١- آداب النية

المسلم يؤمن بخطر شأن النية،وأهميتها لسائر أعماله الدينية والدنيوية،إذ جميع الأعمال تتكيف بها،وتكون بحسبها فتقوى وتضعف،وتصح وتفسد تبعاً لها،وإيمان المسلم هذا بضرورة النية لكل الأعمال ووجوب إصلاحها،مستمدّ أولاً من قول الله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) سورة البينة.

وَقَدْ تَفَرَّقَ هَؤُلاَءِ وَاخْتَلَفُوا بَغْياً وَعُدْوَاناً،وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِالتَّفَرُّقِ وَالاخْتِلاَفِ،وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِمَا يُصْلِحُ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ،وَبِمَا يُحَقِّقُ لَهُمُ السَّعَادَةَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ:مِنْ إِخْلاَصٍ للهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ،وَتَطْهِيرِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ بِهِ،وَاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ المُنْحَرِفَةِ عَنِ الشِّرْكِ،وَإِقَامَةِ الصَّلاَةِ وَأَدَائِهَا حَقَّ الأَدَاءِ،وَدَفْعِ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ...وَهَذَا هُوَ الدِّينُ الحَقُّ الذِي جَاءَ فِي الكُتُبِ القَيِّمَةِ المُسْتَقِيمَةِ التِي لا عِوَجَ فِيهَا .[٢٠]

وقوله سبحانه:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} (١١) سورة الزمر.

وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ:إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَنْ أَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَنْ أُخْلِصَ لَهُ العِبَادَةَ .[٢١]

وقال تعالى :{ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)} [الزمر:٢،٣]

إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الذي أَنْزَلَ إِلَيْكَ القُرْآنَ (الكِتَابَ) آمراً بِالحَقِّ وَالعَدْلِ الوَاجِبِ اتِّبَاعُهُمَا،والعَمَلُ بِهِمَا،فَاعْبُدْهُ يَا مُحَمَّدُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ والعِبَادَةَ،وَادْعُ الخَلْقَ إِلَى ذَلِكَ.أَلاَ للهِ وَحْدَهُ العِبَادَةُ والطَّاعَةُ،وَلاَ شَرِكَةَ لأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِمَا،لأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ هُوَ مُلْكٌ لَهُ،وَعَلَى المَمْلُوكِ طَاعَةُ مَالِكِهِ،وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يُخْلِصَ العِبَادَةَ للهِ،والذِينَ يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ مِنَ المُشْرِكِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهَا هُوَ أَنَّهُمْ مَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَصْنَامِ المَلاَئِكَةَ،فَعَبَدُوا تِلْكَ الصُّوَرَ تُنْزِيلاً لَهَا مَنْزِلَةَ المَلاَئِكَةِ،لِيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ فِي حَاجَاتِهِمْ .وَكَانَ المُشْرِكُونَ يُبَرِّرُونَ عِبَادَتَهُمْ لِمَنْ هُمْ دُونَ اللهِ بِأَنَّ الإِلَهَ الأَعْظَمَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَعْبُدَهُ البَشَرُ مُبَاشَرَةً،فَهُمْ يَعْبُدُونَ هَذِهِ الآلِهَةَ،وَهِيَ تَعْبُدُ الإِلَهَ الأَعْظَمَ.واللهُ تَعَالَى يَحْكُمُ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ خُصُومِهِمْ،مُتَّبِعِي الحَقِّ وَسُبُلِ الهُدَى،فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ،وَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ .وَاللهُ تَعَالَى لاَ يُرْشِدُ إِلَى الحَقِّ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مُفْتَرٍ عَلَيْهِ،فَيَزْعُمُ أَنَّ لَهُ وَلَداً أَوْ صَاحِبَةً.تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً .[٢٢]

---

[٢٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٦٠١٢)

[٢١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٤٨)

[٢٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٣٩)

وثانياً من قول المصطفى -ﷺ- " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ،وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا،أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "[٢٣] .

ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ.[٢٤] .

فالنظر إلى القلوب نظر إلى النيات،إذ النية هي الباعث على العمل والدافع إليه،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،عَنِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ،قَالَ:مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا،كَتَبْتُ لَهُ حَسَنَةً،فَإِنْ عَمِلَهَا،كَتَبْتُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا،لَمْ أَكْتُبْ عَلَيْهِ،فَإِنْ عَمِلَهَا،كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً[٢٥]..

وعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ الأَسَدِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: النَّاسُ أَرْبَعَةٌ،وَالأَعْمَالُ سِتَّةٌ:مُوجِبَتَانِ وَمِثْلٌ بِمِثْلٍ،وَحَسَنَةٌ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا،وَحَسَنَةٌ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ،وَالنَّاسُ مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَمُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا،مَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ،وَمَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مُوَسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الآخِرَةِ،وَمَقْتُورٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَشَقِيٌّ فِي الدُّنْيَا،وَشَقِيٌّ فِي الآخِرَةِ،وَالْمُوجِبَتَانِ مَنْ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،أَوْ قَالَ:مُؤْمِنًا بِاللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ دَخَلَ النَّارَ،وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشَرَةُ أَمْثَالِهَا،وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ،وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ،وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ مُضَعَّفَةٍ،وَمَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ فَبِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ.[٢٦]

فبمجرد الهم الصالح كان العمل صالحاً يثبت به الأجر وتحصل به المثوبة وذلك لفضيلة النية الصالحة،وعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ،قَالَ:ضَرَبَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَمَالا،فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالا،فَيَقُولُ: لَوْ آتَانِي اللَّهُ مِثْلَ مَا آتَى هَذَا لَعَمِلْتُ فِيهِ كَمَا يَعْمَلُ فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ،وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي غَيْرِ الْحَقِّ لا يَتَّقِي فِيهِ رَبًّا وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمًا،وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ آتَانِي اللَّهُ مِثْلَ مَا آتَى هَذَا لَعَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ "[٢٧] .

---

[٢٣] – صحيح البخارى- المكتز – (١)

[٢٤] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٧٠٨) وصحيح ابن حبان – (٢ / ١٢٠)(٣٩٤)

[٢٥] – صحيح مسلم- المكتز – (٣٥٤) وصحيح ابن حبان – (٢ / ١٠٨)(٣٨٤)

[٢٦] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٤٥) (٦١٧١) صحيح

[٢٧] – المعجم الكبير للطبراني – (١٦ / ٢٠١)(١٨٣٠٣) صحيح

فأثيب ذو النية الصالحة بثواب العمل الصالح،ووزر صاحب النية الفاسدة بوزر صاحب العمل الفاسد،وكان مردّ هذا إلى النية وحدها .

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ،وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ،قَالَ:إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ،وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ،إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ:نَعَمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ."[٢٨]

فحسن النية إذا هو الذي جعل غير الغازي في الأجر كالغازي،وجعل غير المجاهد يحصل على أجر كأجر المجاهد .

وعَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ،فَلَقِيَنِى أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ.قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ ».فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » [٢٩].

فسوَّت النية الفاسدة والإرادة السيئة بين قاتل مستحق للنار وبين مقتول لولا نيته الفاسدة لكان من أهل الجنة .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى صَدَاقٍ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ لا يُؤَدِّيَهُ إِلَيْهَا فَهُوَ زَانٍ،وَمَنِ ادَّانَ دَيْنًا وَهُوَ يَنْوِي أَنْ لا يُؤَدِّيَهُ إِلَى صَاحِبِهِ،أَحْسِبُهُ قَالَ:فَهُوَ سَارِقٌ " [٣٠].

فبالنية السيئة انقلب المباح حراماً،والجائز ممنوعاً،وما كان خالياً من الحرج أصبح ذا حرج .

كل هذا يؤكد ما يعتقده المسلم في خطر النية،وعظم شأنها،وكبير أهميتها فلذا هو يبني سائر أعماله على صالح النيات،كما يبذل جهده في أن لا يعمل عملاً بدون نية،أو نية غير صالحة،إذ النية روح العمل وقوامه،صحته من صحتها وفساده من فسادها،والعمل بدون نية صاحبه مراء متكلف ممقوت

وكما يعتقد المسلم أن النية ركن الأعمال وشرطها،فإنه يرى أن النية ليست مجرد لفظ باللسان (اللهم نويت كذا) ولا هي حديث نفس فحسب،بل هي انبعاث القلب نحو العمل الموافق لغرض صحيح من جلب نفع،أو دفع ضر حالا،أو مآلا،كما هي الإرادة المتوجهة تجاه الفعل لابتغاء رضا الله،أو امتثال أمره .

والمسلم إذ يعتقد أن العمل المباح ينقلب بحسن النية طاعة ذات أجر ومثوبة وأن الطاعة إذا خلت من نية صالحة تنقلب معصية ذات وزر وعقوبة،لا يرى أن المعاصي تؤثر فيها النية الحسنة فتنقلب طاعة،فالذي يغتاب شخصاً لتطييب خاطر شخص آخر هو عاص لله تعالى آثم لا تنفعه نيته الحسنة في

---

[٢٨] – صحيح البخارى- المكتز – (٤٤٢٣) وصحيح ابن حبان – (١١ / ٣٣) (٤٧٣١)

[٢٩] – صحيح البخارى- المكتز – (٣١) وصحيح مسلم- المكتز –(٧٤٣٥)

[٣٠] – كشف الأستار – (٢ / ١٦٣)(١٤٣٠) حسن لغيره

نظره،والذي يبني مسجداً بمال حرام لا يثاب عليه،والذي يحضر حفلات الرقص والمجون،أو يشـــتري أوراق اليانصيب بنية تشجيع المشاريع الخيرية،أو لفائدة جهاد ونحوه،هو عاص لله تعالى آثم مأزور غير مأجور،والذي يبني القباب على قبور الصالحين،بنية محبة الصالحين هو عـــاص لله تعـــالى آثم علـــى عمله،ولو كانت نيته صالحة كما يراها،إذ لا ينقلب بالنية الصالحة طاعة إلاّ ما كان مباحاً مأذونـــاً في فعله فقط،أما المحرم فلا ينقلب طاعة بحال من الأحوال .[٣١]

[٣١] – انظر منهاج المسلم ص ٦٠

-٢- الأدب مع الله سبحانه وتعالى

المسلم إذا نظر إلى ما لله تعالى عليه من منن لا تحصى ونعم لا تعد اكتنفته من ساعة علوقه نطفة في رحم أمه وتسايره إلى أن يلقى ربه سبحانه وتعالى فيشكر الله تعالى عليها بلسانه بالثناء عليه بما هو أهله وبجوارحه بتسخيرها في طاعته فيكون هذا أدبا منه مع الله سبحانه وتعالى،إذ ليس من الأدب في شيء كفران النعم وجحود فضل المعم والتنكر له ولإحسانه وإنعامه والله سبحانه يقول: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (٥٣) سورة النحل،ويقول سبحانه {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٨) سورة النحل،ويقول الحق سبحانه {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (١٥٢) سورة البقرة.

وينظر المسلم إلى علمه تعالى به واطلاعه على جميع إحواله فيمتلئ قلبه منه مهابة ونفسه له وقارا وتعظيما فيخجلُ من معصيته ويستحيي من مخالفته والخروج عن طاعته فيكون هذا أدبا مع الله سبحانه وتعالى،إذ ليس من الأدب فى شيء أن يجاهر العبد سيده بالمعاصي أو يقابله بالقبائح والرذائل وهو يشهده وينظر إليه قال تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)} [نوح:١٣،١٤]،وقال تعالى:{وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} (١٩) سورة النحل

وقال تعالى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٦١) سورة يونس.

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بَجمِيعِ أَحْوَالِ رَسُولِه وَأُمُورِه،سَوَاءٌ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌ بِه،أَوْ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِشُؤُونِ الدَّعْوَةِ،وَأَنَّهُ لاَ يَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ اللهُ تَعَبُّداً وَتَهَجُّداً بِه،أَوْ تَبْلِيغاً لَهُ لِلنَّاسِ،وَلاَ يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ،مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ،بِعَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ غَيْرِ صَالِحٍ،كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ،إِلاَّ كَانَ اللهُ تَعَالَى رَقِيباً عَلَيْهِمْ فَيَحْفَظُهُ لَهُمْ،وَيَجْزِيهِمْ بِه،وَأَنَّهُ تَعَالَىلاَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِه شَيءٌ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ،فَكُلُّ شَيءٍ مُحْصًى عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .[٣٢]

وينظر المسلم إليه تعالى وقد قدر عليه وأخذ بناصيته وأنه لا مفرَّ له ولا مهرب ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه فيفر إليه تعالى ويطرح بين يديه ويفوض أمره إليه ويتوكل عليه فيكون هذا أدباً منه مع ربه وخالقه إذ ليس من الأدب في شسء الفرار مما لا مفر منه ولا مهرب ولا الاعتماد على مَن لا قدره له ولا الاتكال على مَن لا حول ولا قوة له،قال تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (٥٦) سورة هود

---

[٣٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٤٢٦)

إِنِّي وَكَّلْتُ أُمُوري إلى اللهِ،وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمُ الحَقُّ،خَلَقَ المَخْلُوقَاتِ كُلَّها،وَجَعَلَهَا تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِه،وَهُوَ الحَاكِمُ العَادِلُ الذي لاَ يَجُوزُ فِي حُكْمِهِ.وَأَفْعَالُهُ تَعَالى،تَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالعَدْلِ فِي مُلْكِه .

أَمَّا الأَصْنَامُ وَالأَوْثَانُ فَهِيَ حِجَارَةٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً .[٣٣]

وقال: {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (٥٠) سورة الذاريات

فَالجَؤوا إلى اللهِ يَا أَيُّها النَّاسُ،وَأسْرِعُوا إلى طَاعَتِه،وَاعتَمِدُوا عَلَيه في جَمِيعِ أُمُورِكُمْ،فَإِني لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ،أنذِرُكُم عِقَابَه،وَأخَوِّفُكُمْ مِنْ عَذابِه الذي أنزَلَهُ بالأمَمِ الخَالِيةِ الَّتي كَذَّبَتْ رُسُلَها،وَكَفَرتْ بِرَبِّها،وَإِني مُبَيِّنٌ لَكُم مَا يَجِبُ عَلَيكُمْ أنْ تَحْذُروه .[٣٤]

وقال تعالى:{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (٢٣) سورة المائدة.

وينظر المسلم إلى الطاف الله تعالى به في جميع الأمور وإلى رحمته له ولسائر خلقه فيطمع في المزيد من ذلك فيتضرع له بخالص الضراعة والدعاء ويتوسل إليه بطيب القول وصالح العمل فيكون هذا أدبا مع الله مولاه،إذ ليس من الأدب في شيء اليأس من رحمة التي وسعت كل شيء ولا القنوط من إحسانه الذي قد عم البرايا .

قال تعالى: { وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} (١٥٦) سورة الأعراف .

وَأَثْبِتْ لَنَا،برَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ { واكتب لَنَا } حَيَاةً طَيِّبَةً فِي هذِهِ الدُّنيا،مِنْ عَافِيةٍ وَبَسْطَةٍ فِي الرِّزْقِ،وَتَوْفِيقٍ لِطَاعَةِ،وَمَثُوبَةٍ حَسَنَةٍ فِي الآخِرَةِ بِدُخُولِ الجَنَّةِ،وَنَيْلِ رِضْوَانِكَ،إِنَّا تُبْنَا إِلَيْكَ { هُدْنَآ إِلَيْكَ } مِمَّا فَرَطَ مِنْ سُفَهَائِنَا مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ،وَمِنْ تَقْصِيرِ العُقَلاءِ مِنّا فِي نَهْيِهِمْ وَالإِنْكَارِ عَلَيهِمْ.وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى دُعَاءِ مُوسَى قَائِلاً:لَقَدْ أَوْجَبْتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابِي خَاصّاً أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ مِنَ الكُفَّارِ وَالعُصَاةِ،الذِينَ لَمْ يَتُوبُوا،أَمَّا رَحْمَتِي فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ،وَسَأُثْبِتُ رَحْمَتِي بِمَشِيئَتِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ الكُفْرَ وَالمَعَاصِيَ،وَيُؤَدُّونَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ،وَيُؤْتُونَ الصَّدَقَاتِ التِي تَتَزَكَّى بِهَا نُفُوسُهُمْ،وَلِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ آيَاتِي الدَّالَّةِ عَلَى الوحْدَانِيَّةِ،وَيُصَدِّقُونَ رُسُلِي،وَمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ .[٣٥]

وقال تعالى:{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ } (١٩) سورة الشورى.

---

[٣٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٥٣٠)

[٣٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٦٠٤)

[٣٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١١١١)

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ لُطْفِه بعِبَادِه سَوَاءٌ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ البَرُّ والفَاجِرُ،فَهُوَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ،وَيَدْفَعُ عَمَّنْ يُرِيدُ البَلاَءَ،وَهُوَ القَوِيُّ الذي لاَ يُغَالَب،العَزِيزُ الذي لاَ يُقْهَرُ .[٣٦]

وقال تعالى على لسان النبي يعقوب عليه السلام:{يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } (٨٧) سورة يوسف.

وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٥٣) سورة الزمر

قل -أيها الرسول- لعبادي الذين تمادَوا في المعاصي،وأسرفوا على أنفسهم بإتيان ما تدعوهم إليه نفوسهم من الذنوب: لا تَيْئسوا من رحمة الله؛ لكثرة ذنوبكم،إن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها مهما كانت،إنه هو الغفور لذنوب التائبين من عباده،الرحيم بهم.[٣٧]

وينظر المسلم إلى شدة بطش ربه وإلى قوة انتقامه وإلى سرعة حسابه فيتقيه بطاعته ويتوقاه بعدم معصيته فيكون هذا أدبا منه مع الله تعالى.إذ ليس من الأدب عند ذوي الألباب أن يتعرض بالمعصية والظلم العبدُ الضعيفُ العاجز للرب العزيز القادر والقوي القاهر وهو يقول:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} (١١) سورة الرعد .

لله تعالى ملائكة يتعاقبون على الإنسان من بين يديه ومن خلفه،يحفظونه بأمر الله ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر. إن الله سبحانه وتعالى لا يغيِّر نعمة أنعمها على قوم إلا إذا غيَّروا ما أمرهم به فعصوه. وإذا أراد الله بجماعةٍ بلاءً فلا مفرَّ منه،وليس لهم مِن دون الله مِن وال يتولى أمورهم،فيجلب لهم المحبوب،ويدفع عنهم المكروه.[٣٨]

ويقول:{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (١٢) سورة البروج،ويقول: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ} (٤) سورة آل عمران.

وينظر المسلم إلى الله تعالى عند معصيته والخروج عن طاعته وكأن وعيده قد تناوله وعذابه قد نزل به وعقابه قد حلَّ بساحته كما ينظر إليه تعالى عند طاعته واتباع شرعه وكأن وعده قد صدقه له وكأن حلة رضاه قد خلعها عليه فيكون هذا من المسلم حسن الظن بالله،إذ ليس من الأدب أن يسيء المرء الظن بالله فيعصيه ويخرج عن طاعته ويظن أنه غير مطلع عليه ولامؤاخذه على ذنبه وهو يقول:{ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا

---

[٣٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤١٧٠)

[٣٧] – التفسير الميسر – (٨ / ٢٧١)

[٣٨] – التفسير الميسر – (٤ / ٢٢٣)

مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) } [فصلت:٢٢ - ٢٤]

كما أنه ليس من الأدب مع الله أن يتقيه المرء ويطيعه ويظن أنه غير مجازيه بحسن عمله ولا هو قابل منه عبادته وطاعته وهو الحق يقول: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (٥٢) سورة النور،ويقول تعالى: {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} (١٦٠) سورة الأنعام،ويقول سبحانه:{مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٨٤) سورة القصص،ويقول سبحانه: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل.

وخلاصة القول إنَّ شكر المسلم ربه على نعمه وحياءه منه تعالى عن الميل إلى معصيته وصدق الأنابة اليه والتوكل عليه ورجاء رحمته والخوف من نقمته وحسن الظن به في إنجاز وعده وإنفاذ وعيده فيمن شاء من عباده هو أدبه مع الله وبقدر تمسكه به ومحافظته عليه تعلو درجته ويرتفع مقامه وتسمو مكانته وتعظم كرامته فيصبح من أهل ولاية الله تعالى ورعايته ومحط رحمته ومنزل نعمته،وهذا أقصى ما يطلبه المسلم ويتمناه طوال حياته.

فالأدب مع الله هو سلوك الأنبياء والصالحين وإذا كان التأدب مع أصحاب الفضل واجباً فإن من أوجب الواجبات التأدب مع الله سبحانه وتعالى ومن صور التأدب مع الله ما يلي :

الإخلاص :

الإخلاص له سبحانه في العمل قال الله تعالى:{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف

عَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ إِذَا قَالَ لِلَّهِ وَإِذَا عَمِلَ لِلَّهِ.[٣٩]

وقال أَبُو الأَشْهَبِ:سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ:يَا ابْنَ آدَمَ،إِنَّ لَكَ سِرًّا،وَإِنَّ لَكَ عَلاَنِيَةً،فَسِرُّكَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ عَلاَنِيَتِكَ،وَإِنَّ لَكَ عَمَلاً وَإِنَّ لَكَ قَوْلاً فَعَمَلُكَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ قَوْلِكَ. "[٤٠]

الشرك :

الحذر من الوقوع في الشرك صغيرة وكبيره فهذا مما لا يحبه الله ولا يرضاه قال الله تعالى: (وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) الأنعام ٨٨

الشكر:

شكر نعمته عليك والاعتراف بها قال الله تعالى:(وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ) النحل ٨٨

---

[٣٩] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٢٣) (٣٦٤٣٦) صحيح

[٤٠] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٢٣) (٣٦٤٣٧) صحيح

وقوله تعالى :(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) إبراهيم ٧

التعظيم :

تعظيمه وتوقيره وتعظيم شعائره قال الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) الزمر ٦٧،وقال تعالى: (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) نوح ١٠٣،وقال أيضاً :(ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ) الحج ٣٢

التقوُّل على الله:

عدم القول على الله بغير علم لقوله تعالى: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ) النحل١١٦

المراقبة :

استشعار مراقبة الله لك في السر والعلانية وأنه مطلع عليك وأنت في ملكه وقبضته قال تعالى:(وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) التغابن ٤

الخشية والإنابة :

الخشية والخوف منه ورجاؤه قال الله تعالى :(فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) البقرة ١٠٥،وقال سبحانه وتعالى :(فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) آل عمران ١٧٥،وقال :(وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً) الإسراء ٧٥

التوبة :

التوبة والإنابة إليه وطلب المغفرة منه قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً) النساء ٦٤

الدعاء:

دعاؤه والتضرع إليه والانكسار بين يديه قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) البقرة ١٨٦.

وقوله عز وجل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) النمل ٦٢

-٣- الأدب مع رسول الله -ﷺ-

إنَّ المسلمَ يشعر في قرارةِ نفسه بوجوبِ الأدب الكامل مع رسول الله- ﷺ- الذي أكرمنا الله ببعثته وجعلنا من أتباعه لعدةِ أسباب منها:

١- أن الله تعالى قد أوجب له الأدب عليه الصلاة والسلام على كل مؤمن ومؤمنة؛ وذلك بصريح كلامه عز وجل إذ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ولا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (الحجرات: ٣).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ولَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا﴾ (الحجرات: ٤-٥).

وقال: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:٦٣)

وقال:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ورَسُولِهِ وإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢).

٢- أن الله تعالى قد فرض على المؤمنين طاعته وأوجب محبته فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (محمد: ٣٣).

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

وقال: ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران:٣١)

فمَن وجبت طاعته وحرمت مخالفته لزم التأدب معه في جميع الأحوال.

٣- أن الله عز وجل قد حكَّمه فجعله إمامًا وحاكمًا قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا منكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٨) سورة المائدة

وقال: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} (٦٥) سورة النساء

أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك،ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك،ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك،وينقادوا مع ذلك انقيادًا تاماً،فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺمن الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم.[٤١]

وقال: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب

٤ – أن الله تعالى قد فرض محبته على لسانه فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ- قَالَ « فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ »[٤٢].ومن وجبت محبته وجب الأدب إزاءه ولزم التأدب معه .

٥ – ما اختصه به ربه تعالى من جمال الخلق والخُلق وما حباه به من كمال النفس والذات فهو أجمل مخلوق وأكمله على الاطلاق ومَن كان هذا حاله كيف لا يجب التأدب معه .

٦- كذلك فإنه بعد الآية الكريمة الأولى التي تحدّثت عن الأصل العام الذي يضبط حياة المسلم (في التلقي عن الله عز وجل ورسوله ﷺ).. جاءت الآيات الكريمة التالية تتحدّث عن: الآداب الواجبة على الأمة تجاه نبيّها ﷺ،الذي يتلّقون منه منهجهم ودينهم:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ) (الحجرات ٢).. أي:- يا أيها الذين آمنوا:إذا كلّمتم رسول الله ﷺفالتزموا الأدب الكامل،واخفضوا أصواتكم ولا ترفعوها فوق صوته،وحين مخاطبته لا تجهروا بالقول كما يجهر بعضكم لبعض،ولا تخاطبوه باسمه وكنيته،بل خاطبوه بما هو أهل له،وبما يميّز مقامه عن مقامكم.. لأنكم إن فعلتم،أي إن خاطبتموه باسمه وكنيته ورفعتم أصواتكم فوق صوته.. فقد يسوقكم ذلك إلى الاستخفاف بمن يبلّغكم رسالة الله عز وجل،وبالتالي إلى الاستخفاف بالرسالة ذاتها،وهذا قد يؤدي إلى بطلان ثواب أعمالكم وضياعها دون أن تدروا أو تشعروا بهذا المتزلق الخطير،الذي قد يوصلكم إلى الكفر المحبِط للعمل.. إنه تحذيرٌ وتخويفٌ للمؤمنين من اتباع ذلك السلوك.

(إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) (الحجرات ٣).

---

[٤١] – التفسير الميسر – (٢ / ٦٥)

[٤٢] – صحيح البخارى- المكتز – (١٤) وصحيح مسلم- المكتز – (١٧٨)

– أما الذين يغضّون أصواتهم ويخفضونها في حضرة رسول الله ﷺ،فقد هيأ الله قلوبهم لتلقي الهبة العظيمة والجائزة الكبيرة منه عز وجل،وهي هبة التقوى،التي ستؤدي في النتيجة إلى الخوف منه سبحانه،وإلى الإنابة إليه،ثم إلى استحقاق مغفرته جل وعلا واستحقاق أجره العظيم الذي يؤدي إلى الجنة.. إنه ترغيبٌ عميقٌ بعد تحذيرٌ مخيف!..

(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الحجرات ٣).

– ثم أشارت الآيات الكريمة إلى حادثٍ وقع مع وفد بني تميم (في عام الوفود)،حين قدموا على رسول الله ﷺ،وكانوا أعراباً جُفاةً،فنادوا من وراء حجرات النبيّ عليه الصلاة والسلام،المطلّة على المسجد النبويّ الشريف: يا محمد!.. اخرج إلينا!.. فكره رسول الله ﷺهذه الجفوة وهذا الإزعاج: (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ).. لأنهم لم يبلغوا في صفاتهم العقلية ما يدلّهم على كيفية التعامل مع الذي يبلّغ رسالة الله عز وجل،ولم يتّبعوا أدب العاقلين الناضجين في التعامل مع الناس.

لقد كان الأجدر بهم أن ينتظروا ويصبروا حتى تخرجَ إليهم،فذلك أفضل لهم عند الله وعند الناس،لما فيه من مراعاةٍ للأدب في مقام النبوّة.. ولكن الله عز وجل يقول بعد ذلك: (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)،وهو ترغيب بالتوبة والإنابة (الرجوع) إليه،والعودة إلى الأصول في التعامل مع رسول الله ﷺ،ثم الترغيب في الرحمة والمغفرة،إذ اقتصر قول الله عز وجل على تحذيرهم وتقريعهم،ولم يترل العقاب عليهم.. مراعاةً لطبيعتهم القاسية التي تتمتع بالجفاء.

كيف امتثل المؤمنون من صحابة رسول الله ﷺبهذه الآيات؟!..

– منهم مَن أقسم ألا يكلّمه إلا سرّاً (أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه).. ومنهم من حرص على خفض صوته حتى يستفهمه رسول الله ﷺ.. ومنهم مَن بقي خائفاً وَجِلاً من أن يَحبَطَ عملُهُ لأن صوته جهورياً حاداً (ثابت بن قيس).. ومنهم.. ومنهم.

– في صلح الحديبية،يقول مفاوض قريش (عروة بن مسعود الثقفي): (والله ما تنخّم رسول الله نخامةً إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم (يقصد الصحابة).. ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه.. وإذا أمرهم ابتدروا أمره،وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه (أي الماء الناتج عن الوضوء).. وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده..).. (والله لقد وفدتُ على قيصر في مُلكه.. وعلى كسرى في مُلكه.. وعلى النجاشيّ في مُلكه.. والله ما رأيت مَلِكاً قطّ،يُعظّمه أصحابه مثل ما يعظِّم أصحابُ محمدٍ محمداً)!..

فلنتأمّل،ولنتدبّر،وليكن الصحابة رضوان الله عليهم قدوتنا!..

لنتدبّر في الدروس والعظات المستوحاة من الآيات الكريمة

١- وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ،في حياته وحضرته.. وبعد مماته،وذلك مع سـنّته وأحاديثـه وسيرته.

٢- الصغائر قد تجرّ إلى الكبائر،والإساءة إلى رسول الله ﷺمن الكبائر التي قد تؤدي إلى الكفر المحبِط للعمل.

٣- إنّ مما يُرتَكَب من الذنوب.. ما يذهب بثواب الأعمال،من غير أن يدري المخطئ أحياناً أبعـاد عمله المسيء الذي يرتكبه!..

لذلك علينا مراقبة أعمالنا وأقوالنا جيداً،كي لا نقع بالخطأ والذنب الذي يودي بصالحات أعمالنـا (وتحسبونَه هيّناً وهو عندَ اللهِ عظيم)!..

٤- إنّ الأدب يدلُّ على التمتع بالعقل،فمن كان مؤدّباً فهو عاقل،ومن جُرِحَ أدبه فهو ناقص العقل.

٥- الأدب والتأدّب مع رسول الله ﷺ.. يقتضي التأدّب مع العلماء المؤمنين المخلصين،الذين يعملون لإقامة شرع الله،وللدفاع عن حُرُماته.. فإنهم ورثة الأنبياء.. وكذلك التأدّب مع كل ذي شأنٍ مـن أصحاب العلم والفكر،الذين يرومون رفعة هذه الأمة الإسلامية،ويعملون على الدفاع عنـها وعـن دينهم،ويجتهدون في دفع الخبث والشبهات عنها،وفي تعرية أعدائها والدخلاء عليها وعلى منـهجها الإسلاميّ القويم.[٤٣]

هذه هى بعض موجبات الأدب معه – ﷺ– وغيرها كثير ولكن كيف يكون الأدب ؟ وبماذا يكون ؟ وهذا ما ينبغي أن يعلم !

يكون الأدب معه – ﷺ– :

١ – بطاعته واقتفاء أثره وترسم خطاه فى جميع مسالك الدنيا والدين .قال تعالى:{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} (٨٠) سورة النساء

٢ – ان لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق او توقيره او تعظيمه كائنا من كان.عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ:أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَـبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا،وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ،وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيُقْذَفَ فِيهَا.[٤٤]

٣ – موالاة من كان يوالى ومعاداة من كان يعادى والرضا بما كان يرضى به والغضـب لمـا كـان يغضب اليه.قال تعالى:{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} (٥٥) سورة المائدة

---

[٤٣] - http://www.odabasham.net/show.php?sid=١٥٠٠٦

[٤٤] - صحيح البخارى- المكتز - (١٦) وصحيح مسلم- المكتز - (١٧٤) وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٤)(٢٣٨)

٤- إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره والصلاة والسلام عليه واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله.قال تعالى :{ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩) }[الفتح:٨،٩]

٥ – تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدنيا والدِّين وشأن الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخره.قال تعالى:{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٧) سورة الحشر

٦ – إحياء سنته وإظهار شريعته وإبلاغ دعوته وإنفاذ وصاياه.عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً،وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ،وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.[٤٥]

٧ – خفض الصوت عند قبره وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته وشرفه بالوقوف على قبره ﷺ،قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (٣) سورة الحجرات

٨ – حب الصالحين وموالاتهم بحبه وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه .

هذه هى مظاهر الآداب معه – ﷺ– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ،فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ،وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ،وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،أَلَسْنَا إِخْوَانَكَ،قَالَ:بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي،وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ،وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ يَأْتِي بَعْدَكَ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ:أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لِرَجُلٍ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ فِي خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ ؟ قَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ،وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ،فَلَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ،أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ أَلاَ هَلُمَّ،فَيُقَالُ:إِنَّهُمْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ،فَأَقُولُ:فَسُحْقًا فَسُحْقًا فَسُحْقًا.[٤٦]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي،قَالَ:فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانَكَ ؟ قَالَ:أَنْتُمْ أَصْحَابِي،وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي."[٤٧]

---

[٤٥] – صحيح البخارى- المكتز – (٣٤٦١) وصحيح ابن حبان – (١٤ / ١٤٩) (٦٢٥٦)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً أَمْرٌ قَصَدَ بِهِ الصَّحَابَةَ ، وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْخَطَّابِ مَنْ كَانَ بِوَصْفِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي تَبْلِيغِ مَنْ بَعْدَهُمْ عَنْهُ ﷺ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا قَامَ الْبَعْضُ بِتَبْلِيغِهِ سَقَطَ عَنِ الآخَرِينَ فَرْضُهُ ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ فَرْضِيَّتُهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ ، وَأَنَّهُ مَتَى امْتَنَعَ عَنْ بَثِّهِ ، خَانَ الْمُسْلِمِينَ ، فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُهُ فَرْضُهُ.

[٤٦] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٠٧) وصحيح ابن حبان – (١٦ / ٢٢٤) (٧٢٤٠)

بهم : جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذى لايخالط لونه لون سواه –الدهم : جمع أدهم وهو الأسود

[٤٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٣٩٩) (١٢٥٧٩) ١٢٦٠٧– حسن لغيره

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:فَقَدَ النَّبِيَّ ﷺلَيْلَةً أَصْحَابُهُ،وَكَانُوا إِذَا نَزَلُوا أَنْزَلُوهُ وَسَطَهُمْ فَفَزِعُوا،وَظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا غَيْرَهُمْ،فَإِذَا هُمْ بِخَيَالِ النَّبِيِّ ﷺ،فَكَبَّرُوا حِينَ رَأَوْهُ وَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ أَشْفَقْنَا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ اخْتَارَ لَكَ أَصْحَابًا غَيْرَنَا.فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ بَلْ.أَنْتُمْ أَصْحَابِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ أَيْقَظَنِي فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ نَبِيًّا وَلاَ رَسُولاً إِلاَّ وَقَدْ سَأَلَنِي مَسْأَلَةً أَعْطَيْتُهَا إِيَّاهُ،فَسَلْ:يَا مُحَمَّدُ تُعْطَ.فَقُلْتُ:مَسْأَلَتِي شَفَاعَةٌ لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَمَا الشَّفَاعَةُ ؟ قَالَ:أَقُولُ يَا رَبِّ شَفَاعَتِي الَّتِي اخْتَبَأْتُ عِنْدَكَ،فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:نَعَمْ.فَيُخْرِجُ رَبِّي بَقِيَّةَ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ فَيَنْبِذُهُمْ فِي الْجَنَّةِ."[٤٨]

فالمسلمُ يجتهد دائما في أدائها كاملة والمحافظة عليها تامة،إذ كماله موقوف عليها وسعادته منوطة بها والمسؤول الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتأدب مع نبينا ﷺ وأن يجعلنا من أتباعه وأنصاره وشيعته وأن يرزقنا طاعته وأن لا يحرمنا شفاعته .. اللهم آمين ...![٤٩]

[٤٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٥٦٥)(٢٢٧٧١) ٢٣١٥٢– حسن

[٤٩] – انظر كتابي ((**الخلاصة في حقوق النبي ﷺ**))

-٤- الأدب مع النفس

الأدب مع النفس وهو عبارة عن التوبة والمراقبة والمجاهدة والمحاسبة

نعلم جيدا أن المسلم يؤمن بأن سعادته في كلتا حياتيه الأولى والثانية موقوفة على مدى تأديب نفسه وتطييبها وتزكيتها وتطهيرها كما أن شقاؤها منوط بفسادها وتدسيتها وخبثها وذلك للأدلة الآتية:قوله تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) } [الشمس:٩ - ١٠]

وقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)} [الأعراف:٤٠ - ٤٢]

وقوله جل وعلا :{ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)} العصر

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- قَالَ « كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ،إِلاَّ مَنْ أَبَى ».قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه وَمَنْ يَأْبَى قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى »[٥٠] .

وعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذي نَفْسي بِيَده،لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلاَّ مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،وَمَنْ يَأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ:مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ،وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى.[٥١]

وعَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن غَنْم،أَنَّ أَبَا مَالك الأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الإِيمَان،وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلَأُ الْميزَانَ،وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ مِلْءُ السَّمَاوَات وَالأَرْض،وَالصَّلاَةُ نُورٌ،وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ،وَالصَّدَقَةُ ضِيَاءٌ،وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ،كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو،فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا،أَوْ مُوبِقُهَا.[٥٢]

كما يؤمن المسلم بأن ما تطهر عليه النفس وتزكو هو حسنة الإيمان والعمل الصالح وأن ما تتدسى به وتخبث وتفسد هو سيئة الكفر والمعاصى .

---

[٥٠] - صحيح البخارى- المكتز - (٧٢٨٠)

[٥١] - صحيح ابن حبان - (١ / ١٩٧) (١٧) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : طَاعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺهِيَ الانْقِيَادُ لِسُنَّتِه بِتَرْكِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ فِيهَا ، مَعَ رَفْضِ قَوْلِ كُلِّ مَنْ قَالَ شَيْئًا فِي دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ بِخِلاَفِ سُنَّتِه دُونَ الاحْتِيَالِ فِي دَفْعِ السُّنَنِ بِالتَّأْوِيلاَتِ الْمُضْمَحِلَّةِ ، وَالْمُخْتَرَعَاتِ الدَّاحِضَةِ.

[٥٢] - صحيح مسلم- المكتز - (٥٥٦) وصحيح ابن حبان - (٣ / ١٢٤) (٨٤٤) -الموبق : الْمُهْلِك

قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } (١١٤) سورة هود

وقال تعالى:{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (١٤) سورة المطففين

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ،فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صَقُلَ مِنْهَا قَلْبُهُ،وَإِنَّ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يُغَلَّفَ بِهَا قَلْبُهُ،فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: ١٤] "[٥٣]

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ،قَالَ: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ،قَالَ مُعَاذٌ: فَإِذَا رَكْبُ ابْنِ صَفْوَانَ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ،فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،مَا أَرَى هَؤُلَاءِ إِلَّا سَائِلُوكَ عَنِّي،فَأَوْصِنِي وَاجْمَعْ،فَقَالَ: " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ،وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا،وَخَالِطِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ "[٥٤]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَوْصِنِي.قَالَ:اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ،وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا،وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ.[٥٥]

من أجل هذا يعيش المسلم عاملاً على تأديب نفسه وتزكيتها وتطهيرها إذ هي أولى مَن يؤدب فيأخذها بالآداب المزكية لها والمطهرة لأدرانها كما يجنبها كل ما يدسيها ويفسدها من سيء المعتقدات وفاسد الأقوال والأفعال يجاهدها ليل نهار،ويحاسبها في كل ساعة ويحملها على فعل الخيرات ويدفعها إلى الطاعة دفعا كما يصرفها عن الشر والفساد صرفا،ويردها عنهما ردا ويتبع في إصلاحها وتأديبها لتطهر وتزكو الخطوات التالية :

١ – التوبة :

والمراد منها التخلي عن سائر الذنوب والمعاصى والندم على كل ذنب سالف والعزم على عدم العود على الذنب في مقبل العمر وذلك لقول الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٨) سورة التحريم

وقوله تعالى:{.. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺجَمَعَ النَّاسَ،فَقَالَ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ،تُوبُوا إِلَى اللهِ،فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ.[٥٦]

---

[٥٣] – شعب الإيمان – (٩ / ٣٧٣)(٦٨٠٨) حسن

[٥٤] – شعب الإيمان – (١٠ / ٣٨١) (٧٦٦٢) صحيح لغيره

[٥٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ١٧٧)(٢١٤٠٣) ٢١٧٣٢– صحيح

[٥٦] – السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة – (٦ / ٢٦٨)(١٠١٩٢) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.[٥٧]
وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ،وَبِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ،حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ[٥٨]
وعَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِى أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ. فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ ».[٥٩]

٢ – المراقبة :

وهي أن يأخذ المسلم نفسه بمراقبة الله تبارك وتعالى ويلزمها إياها في كل لحظة من لحظات الحياة حتى يتم لها اليقين بأن الله مطلع عليها عالمٌ بأسرارها رقيب على أعمالها قائمٌ عليها وعلى كل نفس بما كسبت،وبذلك تصبح مستغرقة بجمال الله وكماله شاعرة بالأنس في ذكره واجدة الراحة في طاعته راغبة في جواره مقبلة عليه معرضة عما سواه .

وهذا معنى إسلام الوجه في قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} (١٢٥) سورة النساء

وَمَنْ أَحْسَنَ ديناً ممَّنْ جَعَلَ قَلْبَهُ خَالِصاً لله وَحْدَهُ،وَأَخْلَصَ العَمَلَ لِرَبِّه عَزَّ وَجَلَّ،فَعَمِلَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً،وَكَانَ فِي عَمَلِه مُحْسِناً،وَمُتَّبِعاً مَا شَرَعَهُ اللهُ لَهُ،وَمَا أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الهُدَى وَدِينِ الحَقِّ.وَهَذَانِ شَرْطَانِ لاَ يَصِحُّ بِدُونِهِمَا عَمَلٌ صَالِحٌ:

- أنْ يَكُونَ العَمَلُ خَالِصاً لله .
- أنْ يَكُونَ صَوَاباً مُوافِقاً لِلْشَرْعِ الذي شَرَعَهُ اللهُ .

وَعَلى العَامِلِ المُخْلِصِ فِي عَمَلِه لله أنْ يَكُونَ قَدِ اتَّبَعَ،مَعَ مُحَمَّدٍ وَالمُسْلِمِينَ،مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ مُخْلِصاً،مُنْحَرِفاً عَنِ الشِّرْكِ (حَنِيفاً)،وَتَارِكاً لِلْشِّرْكِ عَنْ بَصِيرَةٍ،وَمُقْبِلاً عَلَى الحَقِّ وَالهُدَى بِكُلِّيَّتِه.ثُمَّ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى تَرْغِيبَ المُؤْمِنِينَ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ،الذي بَلَغَ غَايَةَ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ العِبَادُ إلى اللهِ،فَقَالَ تَعَالَى:إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

---

[٥٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٣٦) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٣٩٦) (٦٢٩)

[٥٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٧١٦٥) وشعب الإيمان – (٩ / ٢٩٠) (٦٦٧٣)

[٥٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٧١٣١) –الدوية : الصحراء التى لا نبات بها

انْتَهَى إلى مَنْزِلَةِ الخَلِيلِ لَدَى خَالِقِه،وَهِيَ أَرْفَعُ مَقَامَاتِ المَحَبَّةِ،وَمَنْ كَانَتْ لَهُ هَذِهِ المَنْزِلَةُ كَانَ جَدِيراً بِأَنْ يُتَّبَعَ فِي مِلَّتِه .[٦٠]

وقوله سبحانه:{وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (٢٢) سورة لقمان

وَمَنْ يُخلِصِ العَمَلَ للهِ،وَيَخْضَعْ لأَمْرِه،وَيَتّبِعْ شَرْعَهُ،وَهُوَ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِه بِاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِه،وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ،فَقَدْ تَعَلَّقَ بِأَوْثَقِ الأَسْبَابِ التِي تُوصِلُ إِلى رِضْوَانِ اللهِ،وَحُسْنِ جَزَائِه،والنَّاسُ راجِعُونَ جَمِيعاً إِلى اللهِ،وأَعْمَالُهُم وأُمُورُهُمْ صَائِرَةٌ إليه فيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِه .[٦١]

وهو عين ما دعا إليه الله تعالى في قوله:{وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىَ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (٢٣٥) سورة البقرة

وَلا جُنَاحَ عَلَيكُمْ أَيُّها الرِّجَالُ وَلا حَرَجَ وَلا إِثْمَ فِي أَنْ تُعَرِّضُوا بِخِطْبَةِ النِّسَاءِ وَهُنَّ فِي العِدَّةِ،مِنْ غَيرِ تَصْرِيحٍ،كَأَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ أُرِيدُ الزَّوَاجَ...وَلا جُنَاحَ عَلَيكُمْ فِيما أَضْمَرْتُمُوهُ فِي أَنفُسِكُمْ مِنْ خِطْبَتِهِنَّ.وَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرونَهُنَّ فِي أَنْفُسِكُمْ سِرّاً،فَرَفَعَ عَنْكُمْ هذا الحَرَجَ،وَلَكِنْ لا تُعْطُوهُنَّ وَعْداً بالزَّوَاجِ،إلا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً لا نُكْرَ فيها وَلا فُحْشَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُنَّ إِنَّكُمْ عَاشِقون مَثَلاً،وَلا تَطْلُبُوا مِنْهُنَّ الوَعْدَ بِعَدَمِ الزَّوَاجِ مِنْ غَيْرِكُمْ.. إلخ فَذلِكَ مِمَّا نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ

وَلاَ تَعْقِدُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى تَنْقَضِيَ العِدَّةَ (يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ) وَإِذَا تَزَوَّجَ الرَّجُلُ مِن امْرَأَةٍ وَهِيَ فِي العِدَّةِ،فَقَدْ أَجْمَعَ الفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ هذا الزَّوَاجَ بَاطِلٌ.وَلكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا حَوْلَ حُرْمَةِ المَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ أَبَداً.فَقَالَ بَعْضُ الفُقَهَاءِ:إِنَّها تَحْرُمُ عَلَيهِ أَبَداً،وَقَالَ آخَرُونَ إِنَّها لاَ تَحْرُمُ عَلَيهِ أَبَدًا،وَلَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إلى خِطْبَتِها إذا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا،وَيَعْقِدَ عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ .

وَيُذَكِّرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي نُفُوسِهِمْ،وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرِيدُهُمْ ألاَّ يُضْمِرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ إِلاَّ الخَيْرَ.وَالذي تَخْطُرُ عَلَى بَالِه خَوَاطِرُ شِرِّيرَةٌ جَعَلَ اللهُ لَهُ بَاباً لِلتَّوبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ مِمَّا خَطَرَ لَهُ،فَاللهُ كَثِيرُ الحِلْمِ لاَ يُعَجِّلُ بِالعُقُوبَةِ لِمَنْ قَارَفَ المُحَرَّمَاتِ،لَعَلَّهُ يَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَيَرْجِعُ إِليه[٦٢] .

وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (١) سورة النساء .

---

[٦٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٦١٨)

[٦١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٣٧٢)

[٦٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٢)

وقوله سبحانه:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٦١) سورة يونس

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِ رَسُولِهِ وَأُمُورِهِ،سَوَاءٌ مِنْهَا مَا هُوَ خَاصٌ بِهِ،أَوْ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِشُؤُونِ الدَّعْوَةِ،وَأَنَّهُ لاَ يَتْلُو مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مِنْ قُرْآنٍ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ اللهُ تَعَبُّداً وَتَهَجُّداً بِهِ،أَوْ تَبْلِيغاً لَهُ لِلنَّاسِ،وَلاَ يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ،مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ،بِعَمَلٍ صَالِحٍ أَوْ غَيْرِ صَالِحٍ،كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ،إِلاَّ كَانَ اللهُ تَعَالَى رَقِيباً عَلَيْهِمْ فَيَحْفَظُهُ لَهُمْ،وَيَجْزِيهِمْ بِهِ،وَأَنَّهُ تَعَالَىلاَ يَغِيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيءٌ صَغُرَ أَوْ كَبُرَ حَتَّى وَلَوْ كَانَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ،أَوْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ،فَكُلُّ شَيءٍ مُحْصًى عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .[٦٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ،إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي،فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،مَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ:أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ،وَمَلاَئِكَتِهِ،وَرُسُلِهِ،وَلِقَائِهِ،وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،فَمَا الإِسْلاَمُ ؟ قَالَ:لاَ تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ،وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ،وَتَصُومُ رَمَضَانَ،قَالَ:يَا مُحَمَّدُ،مَا الإِحْسَانُ ؟ قَالَ:أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ،فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ .."[٦٤]

وهو نفس ما درج عليه السابقون الأولون من سلف هذه الأمة الصالح إذ أخذوا به أنفسهم حتى تم لهم اليقين وبلغوا درجة المقربين وها هي ذى آثارهم تشهد لهم :

١ – وقَالَ الْجُنَيْدُ:سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثَ بْنَ أَسَدٍ،يَقُولُ وَسُئِلَ عَنِ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ وَعَنِ الْمُرَاقِبِ،لِرَبِّهِ فَقَالَ:" إِنَّ الْمُرَاقَبَةَ تَكُونُ عَلَى ثَلَاثِ خِلَالٍ عَلَى قَدْرِ عَقْلِ الْعَاقِلِينَ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِرَبِّهِمْ يَفْتَرِقُونَ فِي ذَلِكَ فَإِحْدَى الثَّلَاثِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ،وَالْخَلَّةُ الثَّانِيَةُ الْحَيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَالْخَلَّةُ الثَّالِثَةُ الْحُبُّ لِلَّهِ فَأَمَّا الْخَائِفُ فَمُرَاقِبٌ بِشِدَّةِ حَذَرٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَغَلَبَةِ فَزَعٍ،وَأَمَّا الْمُسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ فَمُرَاقِبٌ بِشِدَّةِ انْكِسَارٍ وَغَلَبَةِ إِخْبَاتٍ،وَأَمَّا الْمُحِبُّ فَمُرَاقِبٌ بِشِدَّةِ سُرُورٍ وَغَلَبَةِ نَشَاطٍ وَسَخَاءِ نَفْسٍ مَعَ إِشْفَاقٍ لَا يُفَارِقُهُ وَلَنْ تَكَادَ أَنْ تَخْلُوَ قُلُوبُ الْمُرَاقِبِينَ مِنْ ذِكْرِ اطِّلَاعِ الرَّقِيبِ بِشِدَّةِ حَذَرٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ أَنْ يَرَاهُمْ غَافِلِينَ عَنْ مُرَاقَبَتِهِ،وَالْمُرَاقَبَةُ ثَلَاثُ خِلَالٍ فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ أَوَّلُهَا التَّثْبِيتُ بِالْحَذَرِ قَبْلَ الْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ،وَالتَّرْكُ لِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مَخَافَةَ الْخَطَأِ فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى الْعَمَلِ بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ وَالتَّرْكِ لِمَا نَهَى اللَّهُ مَخَافَةَ التَّفْرِيطِ فَإِذَا دَخَلَ فِي الْعَمَلِ فَالتَّكْمِيلُ لِلْعَمَلِ مَخَافَةَ التَّقْصِيرِ فَمَنْ لَمْ يَثْبُتْ قَبْلَ الْعَمَلِ مَخَافَةَ الْخَطَأِ فَغَيْرُ مُرَاقِبٍ لِمَنْ يَعْمَلُ لَهُ إِذْ كَانَ لَا يَأْمَنُ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى غَيْرِ مَا أَحَبَّ وَأَمَرَ بِهِ،وَمَنْ لَمْ يُبَادِرْ وَيُسَارِعْ إِلَى عَمَلِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الصَّوَابُ فَمَا رَاقَبَ إِذَا بَطَّأَ عَنِ الْعَمَلِ،لِمَحَبَّةِ مَنْ يُرَاقِبُهُ إِذْ يَرَاهُ مُتَثَبِّطًا عَنِ الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ بِهِ،وَمَنْ لَمْ يَجْتَهِدْ فِي تَكْمِيلِ عَمَلِهِ فَضَعِيفٌ مُقَصِّرٌ فِي مُرَاقَبَةِ مَنْ يُرَاقِبُهُ إِذَا قَصَّرَ عَنْ إِحْكَامِ الْعَمَلِ لِمَنْ يَعْمَلُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُحِبُّ

---

[٦٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٤٢٦)

[٦٤] – صحيح البخارى- المكتز – (٥٠) وصحيح مسلم- المكتز – (١٠٢) و صحيح ابن حبان – (١ / ٣٧٥) (١٥٩)

تَكْمِيلَهُ وَإِحْكَامَهُ،وَقَالَ:سَبْعُ خِلَالٍ يَكْمُلُ لَهَا عَمَلُ الْمُرِيدِ وَحِكْمَتُهُ:حُضُورُ الْعَقْلِ وَنَفَاذُ الْفِطْنَةِ وَسَعَةُ الْعَمَلِ بِغَيْرِ غَلَطٍ وَقَهْرُ الْعَقْلِ لِلْهَوَى وَعِظَمُ الْهَمِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ تَعَالَى وَالتَّثَبُّتُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ،وَشِدَّةُ الْحَذَرِ لِلْآفَاتِ الَّتِي تَشُوبُ الطَّاعَاتِ،وَأَقَلُّ الْمُرِيدِينَ غَفْلَةً أَدْوَمُهُمْ مُرَاقَبَةً مَعَ تَعْظِيمِ الرَّقِيبِ،وَالدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ الْمُرَاقَبَةِ بِإِجْلَالِ الرَّقِيبِ شِدَّةُ الْعِنَايَةِ بِالْفِطْنَةِ لِدَوَاعِي الْعَقْلِ مِنْ دَوَاعِي الْهَوَى وَالتَّثْبِيتُ بِالنَّظَرِ بِنُورِ الْعِلْمِ وَالتَّمْيِيزُ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَمَا شَابَهَهَا مِنَ الْآفَاتِ وَقُوَّةِ الْعَزْمِ عَلَى تَكْمِيلِ الْمُرَاقَبَةِ فِي الْحُظْوَةِ فِي عَيْنِ الْمَلِيكِ الْمُطَّلِعِ،وَشِدَّةُ الْفَزَعِ مِمَّا يَكْرَهُ خَوْفَ الْمَقْتِ،وَالدَّلِيلُ عَلَى قُوَّةِ الْخَوْفِ شِدَّةُ الْإِشْفَاقِ مِمَّا مَضَى مِنَ السَّيِّئَاتِ أَنْ لَا تُغْفَرَ وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْإِحْسَانِ أَنْ لَا يُقْبَلَ،وَدَوَامُ الْحَذَرِ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ أَنْ لَا يَسْلَمَ،وَعِظَمُ الْهَمِّ مِنْ عَظِيمِ الرَّغْبَةِ،وَعَظِيمُ الرَّغْبَةِ مِنْ كِبَرِ الْمَعْرِفَةِ بِعَظِيمِ قَدْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ وَإِلَيْهِ،وَسُمُوُّ الْهِمَّةِ يُخَفِّفُ التَّعَبَ وَالنَّصَبَ وَيُهَوِّنُ الشَّدَائِدَ فِي طَلَبِ الرِّضْوَانِ،وَيُسْتَقَلُّ مَعَهُ بَذْلُ الْمَجْهُودِ بِعَظِيمِ مَا ارْتَفَعَ إِلَيْهِ الْهَمُّ،وَالنَّشَاطُ بِالدُّءُوبِ دَائِمٌ،وَالسُّرُورُ بِالْمُنَاجَاةِ هَائِجٌ،وَالصَّبْرُ زِمَامُ النَّفْسِ عَنِ الْمَهَالِكِ وَإِمْسَاكٌ،لَهَا عَلَى النَّجَاةِ فَالْيَقِينُ رَاحَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَكَاسِبٌ لِمَنَافِعِ الدِّينِ كُلِّهَا وَحُسْنُ الْأَدَبِ زَيْنٌ لِلْعَالِمِ وَسَتْرٌ لِلْجَاهِلِ،مَنْ قَصُرَ أَمَلُهُ حَذَرَ الْمَوْتَ وَمَنْ حَذَرَ الْمَوْتَ خَافَ الْفَوْتَ وَمَنْ خَافَ الْفَوْتَ قَطَعَ الشَّوْقَ وَمَنْ قَطَعَ الشَّوْقَ بَادَرَ قَبْلَ زَوَالِ إِمْكَانِ الظَّفَرِ فَاجْعَلِ التَّيَقُّظَ وَاعِظَكَ وَالتَّثَبُّتَ وَكِيلَكَ وَالْحَذَرَ مُنَبِّهَكَ وَالْمَعْرِفَةَ دَلِيلَكَ وَالْعِلْمَ قَائِدَكَ وَالصَّبْرَ زِمَامَكَ وَالْفَزَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَوْنَكَ وَمَنْ لَمْ تُوسِعْهُ الدُّنْيَا غِنًى وَلَا رِفْعَةَ أَهْلُهَا شَرَفًا وَلَا الْفَقْرُ فِيهَا صِفَةً فَقَدِ ارْتَفَعَتْ هِمَّتُهُ وَعَزَفَتْ عَنِ الدُّنْيَا نَفْسُهُ،مَنْ كَانَتْ نِعْمَتُهُ السَّلَامَةَ مِنَ الْآثَامِ وَرَغِبَ إِلَى اللَّهِ فِي حَوَادِثِ فَوَائِدَ لَمُرِيدٌ نُقِلَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ،وَمَنِ اشْتَدَّ تَفَقُّدُهُ مَا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَيَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ وَذَكَرَ اطِّلَاعَ اللَّهِ إِلَيْهِ،وَمَثُلَ عَظِيمَ هَوْلِ الْمَطْلَعِ وَأَشْفَقَ مِمَّا يَأْتِي بِهِ الْخَيْرُ فَقَدْ صَدَقَ اللَّهَ فِي مُعَامَلَتِهِ وَحَقَّقَ اسْتِعْمَالَ مَا عَرَّفَهُ رَبُّهُ،وَمَنْ قَدَّمَ الْعَزْمَ لِلَّهِ عَلَى الْعَمَلِ بِمَحَبَّتِهِ وَوَفَّى لِلَّهِ بِعَزْمِهِ وَجَانَبَ مَا يَعْتَرِضُ بِقَلْبِهِ مِنْ خَطَرَاتِ السُّوءِ وَنَوَازِعِ الْفِتَنِ فَقَدْ حَقَّقَ مَا عَلِمَ وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي أَحْوَالِهِ،كَهْفُ الْمُرِيدِ وَحِرْزُهُ التَّقْوَى وَالِاسْتِعْدَادُ عَوْنُهُ وَجَنَّتُهُ الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا آفَاتِ الْعَوَارِضِ وَصُوَرِ النَّوَازِلِ،وَالْحَذَرُ يُورِّثُهُ النَّجَاةَ وَالسَّلَامَةَ،وَالصَّبْرُ يُورِّثُهُ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ،وَذِكْرُ كَثْرَةِ سَوَالِفِ الذُّنُوبِ يُورِّثُهُ شِدَّةَ الْغَمِّ وَطُولَ الْحُزْنِ،وَعِظَمُ مَعْرِفَتِهِ بِكَثْرَةِ آفَاتِ الْعَوَارِضِ فِي الطَّاعَاتِ تُورِّثُهُ شِدَّةَ الْإِشْفَاقِ مِنْ رَدِّ الْإِحْسَانِ "[٦٥]

٢ – وعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ،قَالَ:كَانَ رَجُلٌ كَثِيرَ الْبُكَاءِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ:أَبْكَانِي تَذَكُّرِي مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي حِينَ لَمْ أَسْتَحِي مِمَّنْ شَاهَدَنِي وَهُوَ يَمْلِكُ عُقُوبَتِي،فَأَخَّرَنِي إِلَى يَوْمٍ

[٦٥] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٥٠١٤)

الْعُقُوبَةِ الدَّائِمَةِ،وَأَجَّلَنِي إِلَى يَوْمِ الْحَسْرَةِ الْبَاقِيَةِ،وَاللَّهِ لَوْ خُيِّرْتُ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تُحَاسَبَ ثُمَّ يُؤْمَرُ بِكَ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ يُقَالُ لَكَ كُنْ تُرَابًا،لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ تُرَابًا "[٦٦] .

٣ – عن أَبِي عُثْمَانَ الْحناط قال:سَمِعْتُ ذَا النُّونِ يَقُولُ:" ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمُرَاقَبَةِ:إِيثَارُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ،وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ،وَتَصْغِيرُ مَا صَغَّرَ اللَّهُ ".قَالَ:" وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الاعْتِزَازِ بِاللَّهِ:التَّكَاثُرُ بِالْحِكْمَةِ وَلَيْسَ بِالْعَشِيرَةِ،وَالاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِينَ،وَالتَّذَلُّلِ لِأَهْلِ الدِّينِ فِي اللَّهِ وَلَيْسَ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا " [٦٧] .

٤ – وعَنْ نَافِعٍ،قَالَ: خَرَجَ ابْنُ عُمَرَ فِي بَعْضِ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُ لَهُ،وَوَضَعُوا سُفْرَةً لَهُ،فَمَرَّ بِهِمْ رَاعِي غَنَمٍ،قَالَ: فَسَلَّمَ،فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: " هَلُمَّ يَا رَاعِي،هَلُمَّ "،فَأَصِبْ مِنْ هَذِهِ السُّفْرَةِ،فَقَالَ لَهُ: إِنِّي صَائِمٌ،فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: " أَتَصُومُ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ الْحَارِّ شَدِيدٍ سُمُومُهُ وَأَنْتَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ تَرْعَى هَذَا الْغَنَمَ ؟ " فَقَالَ لَهُ: أَيْ وَاللهِ أُبَادِرُ أَيَّامِي الْخَالِيَةَ،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ وَهُوَ يُرِيدُ يَخْتَبِرُ وَرَعَهُ:" فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شَاةً مِنْ غَنَمِكَ هَذِهِ فَنُعْطِيكَ ثَمَنَهَا وَنُعْطِيكَ مِنْ لَحْمِهَا فَتُفْطِرَ عَلَيْهِ ؟ " فَقَالَ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِي بِغَنَمٍ،إِنَّهَا غَنَمُ سَيِّدِي،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: " فَمَا عَسَى سَيِّدُكَ فَاعِلًا إِذَا فَقَدَهَا،فَقُلْتَ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ " فَوَلَّى الرَّاعِي عَنْهُ وَهُوَ رَافِعٌ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ اللهُ،قَالَ: فَجَعَلَ ابْنُ عُمَرَ يُرَدِّدُ قَوْلَ الرَّاعِي وَهُوَ يَقُولُ: قَالَ الرَّاعِي: فَأَيْنَ اللهُ ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعَثَ إِلَى مَوْلَاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ الْغَنَمَ وَالرَّاعِي فَأَعْتَقَ الرَّاعِيَ،وَوَهَبَ لَهُ الْغَنَمَ "[٦٨]

وعن زَيْدَ بْنِ أَسْلَمَ،قَالَ: مَرَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بِرَاعٍ،فَقَالَ: " يَا رَاعِيَ الْغَنَمِ،هَلْ مِنْ جِزَرَّةٍ ؟ " قَالَ الرَّاعِي: لَيْسَ هَهُنَا رَبُّهَا،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: " تَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ أَكَلَهَا الذِّئْبُ "،قَالَ فَرَفَعَ الرَّاعِي رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ،ثُمَّ قَالَ: فَأَيْنَ اللهُ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " فَأَنَا وَاللهِ أَحَقُّ أَنْ أَقُولَ: أَيْنَ اللهُ،فَاشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ الرَّاعِي،وَاشْتَرَى الْغَنَمَ فَأَعْتَقَهُ وَأَعْطَاهُ الْغَنَمَ " [٦٩]

٥ – قال بعض السلف: مررت برجل منفرد فقلت له أنت وحدك فقال: معي ربي وملكاي فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء،ثم مضى وهو يقول: أكثر خلقك شاغل عنك[٧٠] .

٦ – قال الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ،رَحِمَهُ اللهُ يُنْشِدُ:"[٧١]

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا ... فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ..... وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

---

[٦٦] – كِتَابُ الْأَوْلِيَاءِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (١٠٩)

[٦٧] – شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٥٩٦)

[٦٨] – شعب الإيمان – (٧ / ٢٢٣) (٤٩٠٨) حسن

[٦٩] – شعب الإيمان – (١١ / ١٠٣) (٨٢٥٠) حسن

[٧٠] – التبصرة ــ لابن الجوزى – (٢ / ٢٣٦)

[٧١] – شعب الإيمان – (٩ / ٤١٧) (٦٩٠٩)

غَفَلْنَا الْعُمُرَ وَاللهِ حَتَّى تَدَارَكَتْ ..... عَلَيْنَا ذُنُوبٌ بَعْدَهُنَّ ذُنُوبُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى ..... وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَنَتُوبُ

٣ – المحاسبة :

وهي أنه لما كان المسلم عاملا في هذه الحياة ليل نهار على ما يسعده في الدار الآخرة،ويؤهله لكرامتها،ورضوان الله فيها وكانت الدنيا هي موسم عمله كان عليه أأن ينظر إلى الفرائض الواجبة عليه كنظر التاجر إلى رأس ماله،وينظر إلى النوافل نظر التاجر إلى الأرباح الزائدة على رأس المال وينظر إلى المعاصي والذنوب كالخسارة في التجارة،ثم يخلو بنفسه ساعة من آخر كل يوم يحاسب نفسه فيها على عمل يومه،فإن رأى نقصا في الفرائض لامها ووبخها وقام إلى جبره في الحال،فإن كان مما يقضى قضاه وإن كان مما لا يقضى جبره بالإكثار من النوافل،وإن رأى نقصا في النوافل عوض الناقص وجبره وإن رأى خسارة بارتكاب المنهي استغفر وندم وأناب وعمل من الخير ما يراه مصلحا لما أفسد .

هذا هو المراد بالمحاسبة للنفس وهي إحدى طرق إصلاحها وتأديبها وتزكيتها وتطهيرها وأدلتها ما يأتى :

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (١٨) سورة الحشر

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ،وَذَلِكَ بِأَنْ يَفْعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ،وَأَنْ يَتْرُكُوا مَا نَهَاهُم عَنْهُ،وَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُهُ فِي آخِرَتِهِ يَوْمَ الحِسَابِ،ثُمَّ يُؤَكِّدُ تَعَالى الأَمْرَ بِتَقْوَاهُ،مُبَيِّناً أَنَّهُ عَلِيمٌ بِأَحْوالِ العِبَادِ،جَمِيعِهَا،وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهَا .[٧٢]

فقوله تعالى ((ولتنظر نفس)) هو أمر بالمحاسبة للنفس على ما قدمت لغدها المنتظر .

وقال تعالى: {.. وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور

وعَنْ أَبِى بُرْدَةَ قَالَ سَمِعْتُ الأَغَرَّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِىِّ -ﷺ- يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّى أَتُوبُ فِى الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ ».[٧٣]

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ،عَنْ رَجُلٍ،مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ،فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ،وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ فَقُلْتُ لَهُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ:اثْنَتَانِ أَمْ وَاحِدَةٌ ؟ فَقَالَ:هُوَ ذَاكَ،أَوْ نَحْوَ هَذَا.[٧٤]

---

[٧٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠٢٢)

[٧٣] – صحيح مسلم- المكثر – (٧٠٣٤)

[٧٤] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٢٥٤)(١٨٢٩٣) ١٨٤٨٢- صحيح

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ:حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا،وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ،يَوْمَ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ."[٧٥]

وكان أبو بكر رجلاً أسيفاً،إذا صلى بالناس لا تُكاد تسمع قراءته من كثرة بكائه وخوفه من ربه جل وعلا.

وكان في وجه عمر خطان أسودان من كثرة البكاء،وكان يُسمع بكاؤه من آخر الصفوف،وسمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: إن عذاب ربك لواقع [الطور:٧]. فسقط مغشياً عليه،وبقي أياماً مريضاً يزوره الناس،وكان إذا أظلم عليه الليل يضرب قدميه بالدرة،ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم يا عمر؟ وكان ينعس وهو قاعد،فقيل له: ألا تنام يا أمير المؤمنين؟ قال: ((إذا نمت الليل ضيعت حظي من الله،وإذا نمت النهار ضيعت رعيتي)) وحين حضرته الوفاة يقول لابنه: ((ضع خدي على التراب عل الله أن يرى حالي فيرحمني)).

بكى عمر الفاروق خوفاً وخشية.....وقد كان في الأرض الإمام المثاليا

وقال بصوت الحزن يا ليت أنني.....نجوت كفافاً لا عليّ ولا ليا

وكان عثمان بن عفان – رضي الله عنه أرضاه – يصوم النهار ويقوم الليل، وكَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا الْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ "[٧٦] وقد روي عنه أنه ما اغتسل مرة واحدة واقفاً بل كان يغتسل جالساً حياء من الله جل وعلا،وقد روي عنه أنه كان يختم القرآن في ركعة ثم يوتر بها.

أما علي بن أبي طالب فقد كان صواماً قوماً فارساً بالنهار،راهباً بالليل. صلى صلاة الفجر في يوم من الأيام فجلس حزيناً مطرقا،فلما طلعت الشمس قبض على لحيته،وبدأ يبكي ويبكي ثم قال: لقد رأيت أصحاب النبي فما رأيت شيئاً يشبههم،كانوا يصبحون شعثاً غبراً سفراً بين أعينهم كأمثال ركب المعزى من كثرة السجود،قد باتوا لله سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وأقدامهم،فإذا طلع الفجر ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهطلت أعينهم بالدموع والله لكأنّ القوم باتوا غافلين.

وكان يستأنس بالليل وظلمته،فإذا أرخى الليل سدوله،وغارت نجومه،يميل في محرابه قابضاً على لحيته،ويتململ تململ الملدوغ،ويبكي بكاء الحزين،وينادي: يا ربنا.. يا ربنا.. يا ربنا.

---

[٧٥] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٢٧٠) (٣٥٦٠٠) والزهد لأحمد بن حنبل – (٦٣٩) والزهد والرقائق لابن المبارك – (٣٠٧) حسن لغيره

[٧٦] – سنن الترمذي – (٢٢٣٠) وهو حسن

وعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : " إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدِينَ وَكَمَنْ رَأَى أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُخَلَّدِينَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ حَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قِصَارًا تُعْقَبَ رَاحَةً طَوِيلَةً، أَمَّا اللَّيْلُ فَمُصَافَّةٌ أَقْدَامُهُمْ تَسِيلُ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجْأَرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ رَبَّنَا رَبَّنَا، وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ بَرَرَةٌ أَتْقِيَاءُ كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ خُولِطُوا وَلَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ مِنْ ذِكْرِ الْآخِرَةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ " [٧٧]

أما عبد الرحمن بن عوف فقد كان صائماً ثم أتي بطعام فقال: قتل مصعب بن عمير،وهو خير مني،فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطي بها رأسه بدت رجلاه،وإن غطي بها رجلاه بدا رأسه،ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط. قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وأُتي له بعشائه في يوم من الأيام،وكان صائماً،فقرأ قول الله تعالى: إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً [المزمل:١٣]. فلم يزل يبكي حتى رفع طعامه وما تعشى.

ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى،فقيل له: ما يبكيك،فقال: والله ما أبكي على دنياكم،ولكن أبكي لبعد المفازة،وقلة الزاد،وعقبة كؤود،وأنني أصبحت في صعود، المهبط منه إما إلى جنة وإما إلى نار.[٧٨]

وهكذا الصالحون من هذه الأمة يحاسبون أنفسهم عن تقريطها،ويلومونها على تقصيرها،ويلزمونها التقوى،وينهونها عن الهوى عملاً بقول الله تعالى:{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات:٤٠ - ٤١]

وَأَمَّا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَأَنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِه،فَحَاذَرَ ذَلِكَ اليَوْمَ،وَحَسَبَ حِسَابَهُ،وَجَنَّبَ نَفْسَهُ الوُقُوعَ فِي المَحَارِمِ،وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ الهَوَى وَالشَّهَوَاتِ،فَتَكُونُ الجَنَّةُ جَزَاءَهُ،وَفِيهَا مَأْوَاهُ وَمَصِيرُهُ .[٧٩]

٤- المجاهدة :

لا بد أن يعلم المسلم أن أعدى أعدائه إليه هو نفسه التي بين جنبيه،وأنها بطبعها ميالة إلى الشر،فَرَّارَة من الخير،أمَّارة بالسوء:قال تعالى:(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) سورة يوسف. تحب الدعة،والخلود إلى الراحة،وترغب في البطالة،وتنجرف مع الهوى،تستهويها الشهوات العاجلة وإن كان فيها حتفها وشقاءها .

---

[٧٧] - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٨٦٢)

[٧٨] - موسوعة خطب المنبر - (١ / ١١٨٠) -من أحوال الخاشعين - ونحن نذكر ذلك للاستئناس فقط

[٧٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٢٩)

فإذا عرف المسلم هذا عبأ نفسه لمجاهدة نفسه،فأعلن عليها الحرب،وشهر ضدها السلاح،وصمم على مكافحة رعوناتها،ومناجزة شهواتها،فإذا أحبت الراحة أتعبها،وإذا رغبت في الشهوة حرمها،وإذا قصرت في طاعة أو خير عاقبها ولامها،ثم ألزمها بفعل ما قصرت فيه،وبقضاء ما فوتته أو تركته .

يأخذها بهذا التأديب حتى تطمئن،وتطهر،وتطيب،وتلك غاية المجاهدة للنفس.قال تعالى:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٦٩) سورة العنكبوت

والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله،والنفس،والشيطان،وصبروا على الفتن والأذى في سبيل الله،سيهديهم الله سبل الخير،ويثبتهم على الصراط المستقيم،ومَن هذه صفته فهو محسن إلى نفسه وإلى غيره. وإن الله سبحانه وتعالى لمع مَن أحسن من خَلْقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.[٨٠]

والمسلم إذ يجاهد نفسه في ذات الله لتطيب،وتطهر،وتزكو،وتطمئن،وتصبح أهلاً لكرامة الله تعالى ورضاه يعلم أن هذا هو درب الصالحين،وسبيل المؤمنين الصادقين،فيسلكه مقتدياً بهم،ويسير معه مقتفياً آثارهم .

فعَنْ عَائشَةَ – رضى الله عنها – أَنَّ نَبِىَّ اللَّه – ﷺ– كَانَ يَقُومُ منَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ فَقَالَتْ عَائشَةُ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّه وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ « أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا ».فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ،فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ [٨١]. .

أي مجاهدة أكبر من هذه المجاهدة وايم الله ؟!! .

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ:" لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ،فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللَّهَ وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ:رَجُلٌ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَهُوَ يُدَارِكُ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِتَوْبَةٍ أَوْ رَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ،وَلَا يَقِلُّ عَمَلٌ فِي تَقْوًى وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ ؟ كَانُوا بِالصَّحَابَةِ مُقْتَدِينَ وَلِسَبِيلِهِمْ مُتَّبِعِينَ يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رَكْبِ الْمَعْزَى بَاتُوا يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يَمِيدُونَ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ كَانُوا مَصَابِيحَ الْهُدَى،لَمْ يَكُونُوا بِالْجُفَاةِ الْمُرَائِينَ خَلَقُ الثِّيَابِ جُدُدُ الْقُلُوبِ،فِي الدُّنْيَا زَاهِدِينَ وَفِي الْآخِرَةِ رَاغِبِينَ،وَعَنِ اللَّهِ،فَهِمِينَ وَفِي قِرَاءَةِ كَلَامِهِ مُتَدَبِّرِينَ وَبِمَوَاعِظِهِ مُتَّعِظِينَ وَبِصَنَائِعِهِ مُعْتَبِرِينَ،اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا وَرِمَالَهَا فِرَاشًا وَالْقُرْآنَ وَالدُّعَاءَ دِثَارًا وَشِعَارًا عَبَدُوهُ فِي بُيُوتٍ بِالْقُلُوبِ الطَّاهِرَةِ وَالْأَبْصَارِ الْخَاشِعَةِ،هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَقَامُوا لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ وَتِبْيَانِهِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ،صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا

---

[٨٠] – التفسير الميسر – (٧ / ١٨٩)

[٨١] – صحيح البخارى- المكتز – (٤٨٣٧) و صفة الصفوة – (١ / ٥٥)

مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى،فَهَذِهِ نُعُوتُ الْأَصْفِيَاءِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالنُّجَبَاءِ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ،مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ مُقْتَدِيًا بِأَفْعَالِهِمْ مُرَاعِيًا لِأَحْوَالِهِمُ الْمُنْتَفِعُ بِرؤْيَتِهِ وَالْمَغْبُوطُ بِمَحَبَّتِهِ وَصُحْبَتِهِ " [٨٢]

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ،قَالَ:قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكثر مَالُك وَوَلَدُك،وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُك،وَأَنْ يَكْثُرَ عَمَلُك،وَأَنْ تُبَارِيَ النَّاسَ فِي عِبَادَةِ اللهِ،فَإِنْ أَحْسَنْت حَمِدْت اللَّهَ،وَإِنْ أَسَأْت اسْتَغْفَرْت اللَّهَ. [٨٣]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ:" لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَعِيشَ يَوْمًا وَاحِدًا:الظَّمَأُ لِلَّهِ بِالْهَوَاجِرِ،وَالسُّجُودُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ،وَمُجَالَسَةُ قَوْمٍ يَنْتَقُونَ مِنْ خِيَارِ الْكَلَامِ،كَمَا يُنْتَقَى أَطَائِبُ التَّمْرِ " [٨٤]

وعَنْ مَعْضَدٍ قَالَ:" لَوْلَا ظَمَأُ الْهَوَاجِرِ،وَطُولُ لَيْلِ الشِّتَاءِ،وَلَذَاذَةُ التَّهَجُّدِ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،مَا بَالَيْتُ أَنْ أَكُونَ يَعْسُوبًا " [٨٥]

وعَنْ أَبِي رَافِعٍ،قَالَ:وَجَّهَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى الرُّومِ،وَفِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،فَأَسَرَهُ الرُّومُ فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى مَلِكِهِمْ،فَقَالُوا:إِنَّ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ،فَقَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ:هَلْ لَكَ أَنْ تَتَنَصَّرَ وَأُشرِكُكَ فِي مُلْكِي وَسُلْطَانِي ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ:" لَوْ أَعْطَيْتَنِي جَمِيعَ مَا تَمْلِكُ،وَجَمِيعَ مَا مَلَكَتْهُ الْعَرَبُ - وَفِي رِوَايَةِ الْقَطَّانِ:وَجَمِيعَ مَمْلَكَةِ الْعَرَبِ - عَلَى أَنْ أَرْجِعَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺطَرْفَةَ عَيْنٍ،مَا فَعَلْتُ "،قَالَ:إِذًا أَقْتُلُكَ،قَالَ:" أَنْتَ وَذَاكَ "،قَالَ:فَأَمَرَ بِهِ فَصُلِبَ،وَقَالَ لِلرُّمَاةِ:ارْمُوهُ قَرِيبًا مِنْ يَدَيْهِ قَرِيبًا مِنْ رِجْلَيْهِ وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ،وَهُوَ يَأْبَى،ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُنْزِلَ،ثُمَّ دَعَا بِقِدْرٍ وَصَبَّ فِيهَا مَاءً حَتَّى احْتَرَقَتْ،ثُمَّ دَعَا بِأَسِيرَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،فَأَمَرَ بِأَحَدِهِمَا فَأُلْقِيَ فِيهَا وَهُوَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ وَهُوَ يَأْبَى،ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُلْقَى فِيهَا،فَلَمَّا ذُهِبَ بِهِ بَكَى،فَقِيلَ لَهُ:إِنَّهُ بَكَى فَظَنَّ أَنَّهُ رَجَعَ،فَقَالَ:رُدُّوهُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النَّصْرَانِيَّةَ فَأَبَى،قَالَ:فَمَا أَبْكَاكَ ؟ قَالَ:" أَبْكَانِي أَنِّي قُلْتُ هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تُلْقَى هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا الْقِدْرِ فَتَذْهَبُ،فَكُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ بِعَدَدِ كُلِّ شَعَرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تُلْقَى هَذَا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "،قَالَ لَهُ الطَّاغِيَةُ:هَلْ لَكَ أَنْ تُقَبِّلَ رَأْسِي وَأُخَلِّيَ عَنْكَ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:" وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ ؟ " قَالَ:وَعَنْ جَمِيعِ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ،قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:" فَقُلْتُ فِي نَفْسِي عَدُوٌّ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ أُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيُخَلِّي عَنِّي وَعَنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ لَا أُبَالِي قال فَدَنَا

---

[٨٢] – حلية الأولياء – (١ / ٣٩) و(٤ / ٤٤٠) وصفة الصفوة – (١ / ٥٥)

[٨٣] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٣٠٧) (٣٥٧٢٧) فيه انقطاع

[٨٤] – الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (٢٧٨) حسن –الهواجر : مفردها الهاجرة وهي اشتدادُ الحَرِّ نصفَ النهار

[٨٥] – الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (٢٧٩) حسن

مِنْهُ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ "،فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأُسَارَى،فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ فَأُخْبِرَ عُمَرُ بِخَبَرِهِ،فَقَالَ:حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقَبِّلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ،وَأَنَا أَبْدَأُ فَقَامَ عُمَرُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ "[٨٦]

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " رَحِمَ اللَّهُ قَوْمًا يَحْسَبُهُمُ النَّاسُ مَرْضَى،وَمَا هُمْ بِمَرْضَى ".قَالَ الْحَسَنُ:" جَهَدَتْهُمُ الْعِبَادَةُ "[٨٧]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيَّانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺيَسْأَلَانِه،فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمْرُهُ،وَحَسُنَ عَمَلُهُ ".وَقَالَ الْآخَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ،فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: " لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "[٨٨]

وعَنْ أَصْبَغَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:" كَانَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ إِذَا أَمْسَى يَقُولُ:هَذِهِ لَيْلَةُ الرُّكُوعِ فَيَرْكَعُ حَتَّى يُصْبِحَ،وَكَانَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَى:هَذِهِ لَيْلَةُ السُّجُودِ فَيَسْجُدُ حَتَّى يُصْبِحَ،وَكَانَ إِذَا أَمْسَى تَصَدَّقَ بِمَا فِي بَيْتِهِ مِنَ الْفَضْلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالثِّيَابِ ثُمَّ يَقُولُ:اللَّهُمَّ مَنْ مَاتَ جُوعًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ وَمَنْ مَاتَ عُرْيَانًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ "[٨٩]

وعَنْ قَمِيرٍ،امْرَأَةِ مَسْرُوقٍ،قَالَتْ:" مَا كَانَ مَسْرُوقٌ يُوجَدُ إِلَّا وَسَاقَاهُ قَدِ انْتَفَخَتَا مِنْ طُولِ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ،قَالَتْ:وَاللَّهِ،إِنْ كُنْتُ لَأَجْلِسُ خَلْفَهُ،فَأَبْكِي رَحْمَةً لَهُ "[٩٠]

وعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ،قَالَ:انْتَهَى الزُّهْدُ إِلَى ثَمَانِيَةٍ مِنَ التَّابِعِينَ،مِنْهُمْ:عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،وَأُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ،وَهَرِمُ بْنُ حَيَّانَ،وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ،وَأَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ،وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ،وَمَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ،وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ،رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.فَأَمَّا عَامِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،إِنْ كَانَ لَيُصَلِّي،فَيَتَمَثَّلُ لَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ الْحَيَّةِ،فَيَدْخُلُ تَحْتَ قَمِيصِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ جَيْبِهِ فَمَا يَمَسُّهُ،فَقُلْتُ لَهُ:أَلَا تُنَحِّي الْحَيَّةَ عَنْكَ ؟ قَالَ:أَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَخَافَ سِوَاهُ،فَقِيلَ لَهُ:إِنَّ الْجَنَّةَ تُدْرَكُ بِدُونِ مَا تَصْنَعُ،وَتُتَّقَى النَّارُ بِدُونِ مَا تَصْنَعُ،فَقَالَ:وَاللَّهِ لَأَجْهَدَنَّ،فَإِنْ نَجَوْتُ فَبِرَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَإِنْ دَخَلْتُ النَّارَ فَلِبُعْدِ جُهْدِي،فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى،فَقِيلَ لَهُ:أَتَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ،وَتَبْكِي،قَالَ:مَالِي لَا أَبْكِي،وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي،وَاللَّهِ مَا أَبْكِي جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ وَلَا حِرْصًا عَلَى دُنْيَاكُمْ رَغْبَةً فِيهَا،وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى ظَمَأِ الْهَوَاجِرِ وَقِيَامِ لَيْلِ الشِّتَاءِ،وَكَانَ يَقُولُ:أَلْهَى فِي الدُّنْيَا الْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ،وَفِي الْآخِرَةِ الْحِسَابُ وَالْعَذَابُ،فَأَيْنَ الرَّوْحُ وَالْفَرَجُ.وَأَمَّا الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ،فَقِيلَ لَهُ حِينَ أَصَابَهُ الْفَالِجُ:لَوْ تَدَاوَيْتَ،قَالَ:قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الدَّوَاءَ حَقٌّ،وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ:وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ

---

[٨٦] – شعب الإيمان – (٣ / ١٧٩)(١٥٢٢) ومَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٦٠٨) حسن لغيره

[٨٧] – الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (٩٣) حسن مرسل

[٨٨] – شعب الإيمان – (٢ / ٥٦)(٥١٢) صحيح

[٨٩] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٦١٤)

[٩٠] – السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِي (١٠٥٥١) صحيح

كَثِيرًا،وَكَانَتْ فِيهِمُ الْأَوْجَاعُ وَكَانَتْ فِيهِمُ الْأَطِبَّاءُ،فَمَا بَقِيَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَى،وَقَالَ غَيْرُهُ:لَا النَّاعِتُ وَلَا الْمَنْعُوتُ لَهُ،وَقِيلَ لَهُ:أَلَا تُذَكِّرُ النَّاسَ،قَالَ:مَا أَنَا عَنْ نَفْسِي بِرَاضٍ،فَأَتَفَرَّغَ مِنْ ذَمِّهَا إِلَى ذَمِّ النَّاسِ،إِنَّ النَّاسَ خَافُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،فِي ذُنُوبِ النَّاسِ وَأَصَرُّوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ،قَالَ:فَقِيلَ لَهُ:كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟ قَالَ:أَصْبَحْنَا ضُعَفَاءَ مُذْنِبِينَ،نَأْكُلُ أَرْزَاقَنَا وَنَنْتَظِرُ آجَالَنَا قَالَ:وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذَا رَآهُ قَالَ:وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ.أَمَا لَوْ رَآكَ مُحَمَّدٌ ﷺلَأَحَبَّكَ،وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ يَقُولُ:أَمَّا بَعْدُ:فَأَعِدَّ زَادَكَ،وَخُذْ فِي جِهَازِكَ،وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ.وَأَمَّا أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ،فَلَمْ يُجَالِسْ أَحَدًا قَطُّ فَتَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا،إِلَّا تَحَوَّلَ عَنْهُ،فَدَخَلَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ،فَنَظَرَ إِلَى قَوْمٍ قَدِ اجْتَمَعُوا،فَرْجَى أَنْ يَكُونُوا عَلَى ذِكْرٍ وَخَيْرٍ،فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ،فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ:قَدِمَ غُلَامٌ لِي فَأَصَابَ كَذَا وَكَذَا،وَقَالَ الْآخَرُ:جَهَّزْتُ غُلَامِي،فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ:سُبْحَانَ اللَّهِ أَتَدْرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ،كَرَجُلٍ أَصَابَهُ مَطَرٌ غَزِيرٌ وَابِلٌ،فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِمِصْرَاعَيْنِ عَظِيمَيْنِ فَقَالَ:لَوْ دَخَلْتُ هَذَا حَتَّى يَذْهَبَ عَنِّي هَذَا الْمَطَرُ،فَدَخَلَ فَإِذَا الْبَيْتُ لَا سَقْفَ لَهُ،جَلَسْتُ إِلَيْكُمْ وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا عَلَى خَيْرٍ،فَإِذَا أَنْتُمْ أَصْحَابُ دُنْيَا.قَالَ لَهُ قَائِلٌ حِينَ كَبُرَ وَرَقَّ:لَوْ قَصَرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا تَصْنَعُ،فَقَالَ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَرْسَلْتُمُ الْخَيْلَ فِي الْحَلْبَةِ،أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ لِفَارِسِهَا:وَدِّعْهَا وَأَرْفَقْ بِهَا حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ الْ غَايَةَ،فَلَا تَسْتَبْقِ مِنْهُ شَيْئًا،قَالُوا:بَلَى،قَالَ:فَإِنِّي قَدْ أَبْصَرْتُ الْغَايَةَ،وَإِنَّ لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةً،وَغَايَةُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ،فَسَابِقٌ وَمَسْبُوقٌ.وَأَمَّا الْأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ،فَكَانَ مُجَاهِدًا فِي الْعِبَادَةِ،وَيَصُومُ حَتَّى يَصْفَرَّ جَسَدُهُ،وَيَخْضَرَّ،فَكَانَ عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ يَقُولُ لَهُ:لِمَ تُعَذِّبُ هَذَا الْجَسَدَ هَذَا الْعَذَابَ،فَيَقُولُ:إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ،كَرَامَةُ هَذَا الْجَسَدِ أُرِيدُ،فَلَمَّا احْتُضِرَ،بَكَى،فَقِيلَ لَهُ:مَا هَذَا الْجَزَعُ قَالَ:مَالِي لَا أَجْزَعُ،وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي،وَاللَّهِ لَوْ أَتَيْتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ،لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا صَنَعْتُ،إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ،فَيَعْفُو عَنْهُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَحِيًا مِنْهُ حَتَّى يَمُوتَ،وَلَقَدْ حَجَّ ثَمَانِينَ حَجَّةً.وَأَمَّا مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ،فَإِنَّ امْرَأَتَهُ قَالَتْ:مَا كَانَ يُوجَدُ إِلَّا وَسَاقَيْهِ قَدِ انْتَفَخَتَا مِنْ طُولِ الصَّلَاةِ،قَالَتْ:وَإِنْ كُنْتُ وَاللَّهِ لَأَجْلِسُ خَلْفَهُ فَأَبْكِي رَحْمَةً لَهُ،فَلَمَّا احْتُضِرَ بَكَى،فَقِيلَ لَهُ:مَا هَذَا الْجَزَعُ ؟ فَقَالَ:وَمَالِي لَا أَجْزَعُ وَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ،ثُمَّ لَا أَدْرِي أَيْنَ يُسْلَكُ بِي.وَأَمَّا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ،فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ كَانَ أَطْوَلَ حُزْنًا مِنْهُ،مَا كُنَّا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِمُصِيبَةٍ،ثُمَّ قَالَ:نَضْحَكُ وَلَا نَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى اطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ أَعْمَالِنَا فَقَالَ:لَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ شَيْئًا،وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ،هَلْ لَكَ بِمُحَارَبَةِ اللَّهِ مِنْ طَاقَةٍ،إِنَّهُ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى،فَقَدْ حَارَبَهُ،وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا أَكْثَرُ لِبَاسِهِمُ الصُّوفُ،وَلَوْ رَأَيْتُمُوهُمْ،لَقُلْتُمْ:مَجَانِينُ،وَلَوْ رَأَوْا خِيَارَكُمْ،لَقَالُوا:مَا لِهَؤُلَاءِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلَاقٍ،وَلَوْ رَأَوْا شِرَارَكُمْ لَقَالُوا:مَا يُؤْمِنُ هَؤُلَاءِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ،وَلَقَدْ رَأَيْتُ إِخْوَانًا كَانَتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى أَحَدِهِمْ مِنَ التُّرَابِ تَحْتَ قَدَمِهِ،وَلَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا عَسَى أَنْ لَا يَجِدَ أَحَدُهُمْ عِشَاءً وَلَا قُوتًا،فَيَقُولُ:وَاللَّهِ،لَا أَجْعَلُ هَذَا كُلَّهُ فِي بَطْنِي،لَأَجْعَلَنَّ بَعْضَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَيُتَصَدَّقُ بِبَعْضِهِ،وَإِنْ كَانَ هُوَ أَحْوَجَ مِمَّنْ تَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ.قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ مَرْثَدٍ:فَلَمَّا قَدِمَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ

الْعِرَاقَ،أَرْسَلَ إِلَى الْحَسَنِ وَإِلَى الشَّعْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،فَأَمَرَ لَهُمَا بِبَيْتٍ كَانَا فِيهِ شَهْرًا،أَوْ نَحْوَهُ،ثُمَّ إِنَّ الْخَصِيَّ غَدَا عَلَيْهِمَا فَقَالَ:إِنَّ الْأَمِيرَ دَاخِلٌ عَلَيْكُمَا،فَجَاءَ عُمَرُ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصًا لَهُ،فَسَلَّمَ،ثُمَّ جَلَسَ تَعْظِيمًا لَهُمَا فَقَالَ:إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،يَكْتُبُ إِلَى كُتُبًا،أَعْرِفُ أَنَّ فِيَ إِنْفَاذِهَا الْهَلَكَةَ،فَإِنْ أَطَعْتُهُ عَصَيْتُ اللَّهَ،وَإِنْ عَصَيْتُهُ أَطَعْتُ اللَّهَ تَعَالَى،فَهَلْ تَرَيَانِ لِي فِي مُتَابَعَتِي إِيَّاهُ فَرَجًا ؟ فَقَالَ الْحَسَنُ:يَا أَبَا عَمْرٍو،أَجِبِ الْأَمِيرَ،فَتَكَلَّمَ الشَّعْبِيُّ،فَانْحَطَّ فِي شَأْنِ ابْنِ هُبَيْرَةَ فَقَالَ:مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟ قَالَ:فَقَالَ:أَيُّهَا الْأَمِيرُ،قَدْ قَالَ الشَّعْبِيُّ مَا قَدْ سَمِعْتَ،قَالَ:مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ قَالَ:أَقُولُ:يَا عُمَرُ بْنَ هُبَيْرَةَ،يُوشِكُ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَظًّا غَلِيظًا لَا يَعْصِي اللَّهَ مَا أَمَرَهُ،فَيُخْرِجُكَ مِنْ سَعَةِ قَصْرِكَ،فَصِرْتَ فِي ضِيقِ قَبْرِكَ،يَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،إِنْ تَتَّقِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْصِمْكَ مِنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،وَلَنْ يَعْصِمَكَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنَ اللَّهِ،يَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،لَا تَأْمَنْ أَنْ يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَى قُبْحِ مَا تَعْمَلُ فِي طَاعَةِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،نَظْرَةَ مَقْتٍ،فَيُغْلِقَ بِهَا بَابَ الْمَغْفِرَةِ دُونَكَ،يَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،لَقَدْ أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا - وَاللَّهِ - عَلَى الدُّنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ أَشَدَّ إِدْبَارًا مِنْ إِقْبَالِكُمْ عَلَيْهَا وَهِيَ مُدْبِرَةٌ،يَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،إِنِّي أُخَوِّفُكَ مَقَامًا خَوَّفَكَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ:ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ،يَا عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،إِنَّ تَكُ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى طَاعَتِهِ،كَفَاكَ اللَّهُ - وَاللَّهِ - يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ،وَإِنَّ تَكُ مَعَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَكَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ،فَبَكَى عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ،وَقَامَ بِعَبْرَتِهِ،فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِإِذْنِهِمَا،وَجَوَائِزِهِمَا،فَكَثَّرَ فِيهَا لِلْحَسَنِ،وَكَانَ فِي جَائِزَةِ الشَّعْبِيِّ بَعْضُ الْإِقْتَارِ،فَخَرَجَ الشَّعْبِيُّ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ النَّاسِ مِنَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُؤْثِرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ فَلْيَفْعَلْ،فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،مَا عَلِمَ الْحَسَنُ مِنْهُ شَيْئًا فَجَهِلْتُهُ،وَلَكِنِّي أَرَدْتُ وَجْهَ ابْنِ هُبَيْرَةَ،فَأَقْصَانِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ،وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،مَعَ اللَّهِ فِي طَاعَتِهِ،فَحَيَّاهُ وَأَدْنَاهُ.قَالَ:فَقَامَ الْمُغِيرَةُ بْنُ مُخَادِشٍ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ:كَيْفَ نَصْنَعُ بِمُجَالَسَةِ قَوْمٍ يُخَوِّفُونَا حَتَّى تَكَادَ قُلُوبُنَا تَطِيرُ ؟،فَقَالَ الْحَسَنُ:وَاللَّهِ لَأَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ،حَتَّى تُدْرِكَ أَمَّنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُؤَمِّنُونَكَ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْمَخَاوِفَ،فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ:أَخْبِرْنَا بِصِفَةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،فَبَكَى،ثُمَّ قَالَ:ظَهَرَتْ مِنْهُمْ عَلَامَاتُ الْخَيْرِ فِي السِّرِّ وَالسَّمْتِ وَالصِّدْقِ،وَحَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُمْ بِالِاقْتِصَادِ،وَمَمْشَاهُمْ بِالتَّوَاضُعِ وَمَطْلَعُهُمْ بِالْفَضْلِ،وَطِيبُ مَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ بِالطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ،وَبَصَرُهُمْ بِالطَّاعَةِ،وَاسْتِعْدَادُهُمْ لِلْحَقِّ فِيمَا أَحَبُّوا وَكَرِهُوا،وَإِعْطَاؤُهُمُ الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِلْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ،وَبِحِفْظِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ مَخَافَةَ الْوِزْرِ،وَمُسَارَعَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ رَجَاءَ الْأَجْرِ،وَالِاجْتِهَادِ لِلَّهِ تَعَالَى،وَمُزَاحَاتِهِمْ،وَكَانُوا أَوْصِيَاءَ أَنْفُسِهِمْ،ظَمِئَتْ هَوَاجِرُهُمْ،وَكَلَّتْ أَجْسَامُهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَاسْتَحَبُّوا سَخَطَ الْمَخْلُوقِينَ بِرِضَا خَالِقِهِمْ،لَمْ يُفَرِّطُوا فِي غَضَبٍ وَلَمْ يَخُوضُوا فِي جَوْرٍ،وَلَمْ يُجَاوِزُوا حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ،فَشَغَلُوا الْأَلْسُنَ بِالذِّكْرِ،بَذَلُوا لِلَّهِ تَعَالَى دِمَاءَهُمْ حِينَ اشْتَرَاهُمْ،وَبَذَلُوا لِلَّهِ أَمْوَالَهُمْ حِينَ

اسْتَقْرَضَهُمْ،لَمْ يَكُنْ خَوْفُهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ،حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَهَانَتْ مَؤُنَتُهُمْ،كَفَاهُمُ الْيَسِيرُ مِنْ دُنْيَاهُمْ إِلَى آخِرَتِهِمْ.وَأَمَّا أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ،وَهَرِمُ بْنُ حَيَّانَ،فَإِنَّ أَهْلَهُ ظَنُّوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ،فَبَنَوْا لَهُ بَيْتًا عِنْدَ بَابَ دَارِهِمْ،فَكَانَتْ تَأْتِي عَلَيْهِ السَّنَةُ وَالْسَنَتَانِ لَا يَرَوْنَ لَهُ وَجْهًا،فَكَانَ طَعَامُهُ مَا يَلْتَقِطُ مِنَ النَّوَى،فَإِذَا أَمْسَى بَاعَهُ لِإِفْطَارِهِ،وَإِذَا أَصَابَ حَشَفَةً حَبَسَهَا لِإِفْطَارِهِ،فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:أَيُّهَا النَّاسُ،قُومُوا بِالْمَوْسِمِ،فَقَامُوا فَقَالَ:أَلَا اجْلِسُوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ،فَجَلَسُوا فَقَالَ:أَلَا اجْلِسُوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ،فَجَلَسُوا فَقَالَ:أَلَا اجْلِسُوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ مُرَادٍ،فَجَلَسُوا فَقَالَ:أَلَا اجْلِسُوا إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْ قَرَنٍ،فَجَلَسُوا إِلَّا رَجُلٌ،وَكَانَ ابْنُ عَمٍّ أُوَيْسِ بْنِ أَنَسٍ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:أَقَرَنِيٌّ أَنْتَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،فَقَالَ:تَعْرِفُ أُوَيْسًا ؟ فَقَالَ:وَمَا تَسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،فَوَاللَّهِ،مَا فِينَا أَحْمَقُ مِنْهُ،وَلَا أَجَنُّ مِنْهُ،وَلَا أَحْوَجُ مِنْهُ،فَبَكَى عُمَرُ،ثُمَّ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلُ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ".قَالَ هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ:فَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ،فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا طَلَبَهُ،حَتَّى سَقَطْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ نِصْفَ النَّهَارِ يَتَوَضَّأُ،فَعَرَفْتُهُ بِالنَّعْتِ الَّذِي نُعِتَ لِي،فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ لَحِيمٌ آدَمُ شَدِيدُ الْأَدَمَةِ أَشْعَرُ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ،مَهِيبُ الْمَنْظَرِ،وَزَادَ غَيْرُهُ قَالَ:كَانَ رَجُلًا أَشْهَلَ أَصْهَبَ عَرِيضَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ وَفِي عُنُقِهِ الْيُسْرَى وَضَحٌ،وَضَارِبٌ بِلِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ،نَاصِبٌ بَصَرَهُ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ عَلَيَّ،فَنَظَرَ إِلَيَّ وَمَدَدْتُ يَدِي لِأُصَافِحَهُ فَأَبَى أَنْ يُصَافِحَنِي،فَقُلْتُ:يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أُوَيْسُ وَغَفَرَ لَكَ،رَحِمَكَ اللَّهُ،كَيْفَ أَنْتَ،رَحِمَكَ اللَّهُ،ثُمَّ خَنَقَتْنِي الْعَبْرَةُ مِنْ حُبِّي إِيَّاهُ،وَرَقَّتِي عَلَيْهِ،لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حَالَتِهِ،حَتَّى بَكَيْتُ وَبَكَى قَالَ:وَأَنْتَ حَيَّاكَ اللَّهُ يَا هَرِمُ بْنُ حَيَّانَ،كَيْفَ أَنْتَ يَا أَخِي مَنْ دَلَّكَ عَلَيَّ ؟ فَقُلْتُ:اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ،فَقَالَ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا،فَقُلْتُ لَهُ:مِنْ أَيْنَ عَرَفْتَ اسْمِي وَاسْمَ أَبِي،وَمَا رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْيَوْمِ قَالَ:أَنْبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ،عَرَفَتْ رُوحِي رُوحَكَ حِينَ كَلَّمَتْ نَفْسِي نَفْسَكَ،إِنَّ الْأَرْوَاحَ لَهَا أَنْفَاسٌ كَأَنْفَاسِ الْأَجْسَادِ،وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،وَيَتَحَابُونَ بِرُوحِ اللَّهِ تَعَالَى،وَلَوْ لَمْ يَلْتَقُوا وَيَتَعَارَفُوا،وَإِنْ نَأَتْ بِهِمُ الدَّارُ،وَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ الْمَنَازِلُ،فَقُلْتُ:حَدَّثَنِي،يَرْحَمُكَ اللَّهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:إِنِّي لَمْ أَرَ رَسُولَ اللَّهِ،وَلَمْ يَكُنْ لِي مَعَهُ صُحْبَةٌ،بِأَبِي وَأُمِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،وَلَكِنْ قَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا قَدْ أَدْرَكُوهُ،وَلَسْتُ أُحِبُّ أَنْ أَفْتَحَ هَذَا الْبَابَ عَلَى نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُحَدِّثًا،أَوْ قَاصًّا،أَوْ مُفْتِيًا،فِي نَفْسِي شُغْلٌ عَنِ النَّاسِ،فَقُلْتُ:أَيْ أَخِي،اقْرَأْ عَلَيَّ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،أَسْمَعْهَا مِنْكَ،أَوْ أَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ أَحْفَظْهَا عَنْكَ،فَإِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،قَالَ:فَأَخَذَ بِيَدِي،ثُمَّ قَالَ:أَعُوذُ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ قَالَ رَبِّي وَأَحَقُّ الْقَوْلِ،قَوْلُ رَبِّي،وَأَصْدَقُ الْحَدِيثِ حَدِيثُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ،ثُمَّ قَرَأَ:وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ،مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ إِلَى قَوْلِهِ:الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ،فَشَهِقَ شَهْقَةً،فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَأَنَا أَحْسَبُهُ قَدْ غُشِيَ عَلَيْهِ قَالَ:يَا ابْنَ حَيَّانَ،مَاتَ أَبُوكَ،يَا ابْنَ حَيَّانَ،وَيُوشِكُ أَنْ تَمُوتَ فَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِمَّا إِلَى النَّارِ،وَمَاتَ أَبُوكَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،وَمَاتَتْ أُمُّكَ حَوَّاءُ،يَا ابْنَ

حَيَّانَ،وَمَاتَ نُوحُ نَبِيُّ اللَّه ﷺ،وَمَاتَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّه،مَاتَ مُوسَى نَجِيُّ الرَّحْمَنِ،وَمَاتَ دَاوُدُ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ،وَمَاتَ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ،وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّه ﷺ،وَمَاتَ أَخِي وَصَدِيقِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،فَقُلْتُ:يَرْحَمُكَ اللَّهُ،إِنَّ عُمَرَ لَمْ يَمُتْ،قَالَ:بَلَى،قَدْ نَعَاهُ رَبِّي إِلَى نَفْسِي،وَأَنَا وَأَنْتَ فِي الْمَوْتَى،ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،وَدَعَا بِدَعَوَاتٍ خِفَاف،ثُمَّ قَالَ:هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ،كِتَابُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ،وَنَعْيِ الْمُرْسَلِينَ،وَنَعْيِ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ،فَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ،فَلَا يُفَارِقُ قَلْبَكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَا بَقِيتَ،وَأَنْذِرْ قَوْمَكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ،وَانْصَحِ الْأُمَّةَ جَمِيعًا،وَإِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ الْجَمَاعَةَ،فَتُفَارِقَ دِينَكَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ،فَتَدْخُلَ النَّارَ،وَادْعُ لِي فِي نَفْسِكَ،ثُمَّ قَالَ:اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي فِيكَ،وَزَارَنِي فِيكَ،فَعَرِّفْنِي وَجْهَهُ فِي الْجَنَّة،وَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ فِي دَارِكَ،دَارِ السَّلَامِ،وَاحْفَظْهُ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا حَيًّا،وَأَرْضِهِ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ،وَاجْعَلْهُ لِمَا أَعْطَيْتَهُ مِنْ نِعَمِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ،وَاجْزِهِ عَنِّي خَيْرًا،ثُمَّ قَالَ:السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّه وَبَرَكَاتُهُ،لَا أَرَاكُ بَعْدَ الْيَوْمِ،رَحِمَكَ اللَّهُ،فَإِنِّي أَكْرَهُ الشُّهْرَةَ،وَالْوِحْدَةُ أَعْجَبُ إِلَيَّ لِأَنِّي كَثِيرُ الْغَمِّ مَا دُمْتُ مَعَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ حَيًّا،فَلَا تَطْلُبْنِي،وَلَا تَسْأَلْ عَنِّي،وَاعْلَمْ أَنَّكَ مِنِّي عَلَى بَالٍ،وَإِنْ لَمْ أَرَكَ وَتَرَانِي،فَاذْكُرْنِي وَادْعُ لِي،فَإِنِّي سَأَدْعُو لَكَ،وَأَذْكُرُكَ،إِنْ شَاءَ اللَّهُ،انْطَلِقْ أَنْتَ هَاهُنَا حَتَّى آخُذَ أَنَا هَاهُنَا،فَحَرَجْتُ عَلَيْهِ أَنْ أَمْشِيَ مَعَهُ سَاعَةً،فَأَبَى عَلَيَّ،فَفَارَقْتُهُ أَبْكِي وَيَبْكِي،فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي قَفَاهُ حَتَّى دَخَلَ فِي بَعْضِ السِّكَكِ،ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ،وَطَلَبْتُهُ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ،رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ،وَمَا أَتَتْ عَلَيَّ جُمُعَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَرَاهُ فِي مَنَامِي مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ رَحْمَةُ اللَّه عَلَيْهِ " [٩١]

[٩١] – حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ (٥٩٨) فيه لين

-٥-آدابُ الاستيقاظ

الاستيقاظ بعد النوم آية من آيات الله الباهرة الدالة على قدرة الله تعالى،وهي تشبه آيات البعث بعد الموت،وقد سمى الله تعالى النوم وفاة والاستيقاظ من بعده بعثا ونشورا قال تعالى:{ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)} الزمر.

وقال سبحانه:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً (٤٧)} الفرقان.

والاستيقاظ بعد النوم استئناف للحياة بعد تعطيلها. وفتح صفحة بيضاء جديدة يسطرها المرء خلال نهاره،يبدؤها باستيقاظه ويختمها بمنامه،ويودعها كتاب أعماله لتعرض عليه يوم الحساب قال تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)} الأنعام.

وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت،ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال،ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهارًا بما يشبه الأحياء بعد الموت؛ لتُقضى آجالكم المحددة في الدنيا،ثم إلى الله تعالى معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياءً،ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا،ثم يجازيكم بذلك.[٩٢]

وعَنْ قَتَادَةَ،قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: " ابْنَ آدَمَ طَأِ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ،فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ تَكُونُ قَبْرَكَ،ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ فَكُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ،ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَرَمٍ عُمُرِكَ مُنْذُ يَوْمَ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ "[٩٣]

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ:" ابْنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ وَكُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ "[٩٤]

وعن الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ الْحَسَنَ،يَقُولُ:" ابْنَ آدَمَ طَأِ الْأَرْضَ بِقَدَمِكَ فَإِنَّهَا عَنْ قَلِيلٍ،قَبْرُكَ،إِنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي هَدْمِ عُمُرِكَ مُنْذُ سَقَطْتَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ "[٩٥]

وإذا كان الاستيقاظ ابتداء للحياة اليومية الرتيبة فينبغي على المسلم أن يجعل افتتاح يومه،وابتداء عمله،صلة بخالقه،وذكرا لرازقه،وشكرا لولي نعمته الذي تولى حفظه ورعايته خلال نومه،قال تعالى:{قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ} (٤٢) سورة الأنبياء.

---

[٩٢] – التفسير الميسر – (٢ / ٣٥٥)

[٩٣] – شعب الإيمان – (١٣ / ١٩٨) (١٠١٨٠) فيه انقطاع

[٩٤] – الزُّهْدُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (١٦٠٤) حسن لغيره

[٩٥] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٨٨٤) حسن

وخلال هذه الساعات الأولى من نهاره،والتي يكون فيها ذهنه صافيا،وعقله متوقدا وجسمه نشيطا،يخطط لنهاره وما ينبغي أن يعمله من عمل صالح يرضي الله تعالى،ويعود بالخير والصلاح عليه،وعلى الناس أجمعين.

وهذه جملة من الآداب الإسلامية المتعلقة بهذا الموضوع:

الاجتهاد في أن يكون الاستيقاظ باكرا قبل طلوع الفجر،وذلك لتحصيل الفوائد الروحية،واكتساب العادات الصحية،واعتنام أوقات الصفاء والنقاء للعبادة أو الدراسة.

قال الله تعالى في وصف عباده المتقين:{ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)} الذاريات.

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَاكِرُوا طَلَبَ الرِّزْقِ،فَإِنَّ الْغُدُوَّ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ. ". رواه الطبراني[٩٦].

أن يكون أول ما يجري على القلب والفكر واللسان ذكر الله تعالى وتوحيده،والدعاء بما ورد عن النبي ﷺ.قال تعالى:{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥)} الإنسان.

وعَنْ عَائِشَةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ رَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ رُوحَهُ:لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ". رواه ابن السني[٩٧].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: " كَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ يَدَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ،وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ،وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ،وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "[٩٨] .

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ قَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِىَ لَهُ وَلاَ مُئْوِىَ ».[٩٩]

وعَنِ الْبَرَاءِ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ وَقَالَ:اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ،أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ.[١٠٠]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِهِ،وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ،وَقَالَ:اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ.[١٠١]

---

[٩٦] – المعجم الأوسط للطبراني – (٧٤٥٨) وكشف الأستار – (٢ / ٧٩)(١٢٤٧) ضعيف –الغدو : الذهاب أول النهار

[٩٧] – عَمَلُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِابْنِ السُّنِّيِّ (١٠) والْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ (٣٤٤٥) ضعيف

[٩٨] – صحيح البخارى- المكتز – (٥٠١٧)

[٩٩] – صحيح مسلم- المكتز – (٧٠٦٩)

[١٠٠] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٣٥٦)(١٨٦٧٢) ١٨٨٧٥– صحيح

[١٠١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ١٦٢)(٤٢٢٥) صحيح لغيره

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِه قَالَ:اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ،وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ،فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى،مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ،أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِه،أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ،وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ،اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ.[١٠٢]

وعَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِه اضْطَجَعَ عَلَى يَدِه الْيُمْنَى،ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،وَكَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لأَكْلِه،وَشُرْبِه،وَوُضُوئِه،وَثِيَابِه،وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِسِوَى ذَلِكَ،وَكَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ،وَالاثْنَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى "[١٠٣]

وعَنْ عَائِشَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِه،قَالَ: " اللهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصرِي وَعَقْلِي وَاجْعَلْهَا الْوَارِثَ مِنِّي،وَانْصرْنِي عَلَى عَدُوِّي،وَأَرِنِي مِنْهُ ثَأْرِي.اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ،وَمَنَ الْجُوعِ،فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ".قَالَت: ثُمَّ يَضْطَجِعُ."[١٠٤]

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِىُّ - ﷺ- إِذَا أَوَى إِلى فِرَاشِه قَالَ « بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا ».وَإِذَا قَامَ قَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ».رواه البخاري[١٠٥].

المبادرة بعد الاستيقاظ إلى الطهارة والوضوء والصلاة،وجعل هذه الأعمال فاتحة النهار بعد الذكر والدعاء،وتجنّب الانشغال عنها بأي عمل آخر.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاَثَ عُقَدٍ،يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ،فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ،فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ،فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ،وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ ».متفق عليه[١٠٦].

تجنّب المكوث في الفراش والتقلب فيه بعد الاستيقاظ،استجلابا للأفكار والأحلام،واستغراقا في الخيال والأوهام.

تجنب التكاسل عن القيام إلى الصلاة لبرد أو تعب أو نعاس،لأن ذلك كله شعور كاذب تسوّله النفس الأمارة بالسوء،ويزول بمخالفتها.

---

[١٠٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٨٠٧)(١٠٩٢٤) ١٠٩٣٧- صحيح

[١٠٣] – شعب الإيمان – (٤ / ٢٨٦)(٢٥٣٢) صحيح

[١٠٤] – شعب الإيمان – (٦ / ٣٨٢)(٤٣٧٧) حسن لغيره

[١٠٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣١٢)

[١٠٦] – صحيح البخارى- المكتر – (١١٤٢)وصحيح مسلم- المكتر – (١٨٥٥)

تجنب العودة إلى النوم بعد طلوع الفجر،أو التسويف في أداء الصلاة لوجود متسع من الوقت،لأن ذلك من وحي الشيطان ليضيع على المسلم صلاة الفجر.

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين:{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)} السجدة.

غسل الفم وتنظيف الأسنان بالطريقة الصحيحة المفيدة بعد الاستيقاظ من النوم،وتكون إما بالسواك وهو الأفضل،أو بالفرشاة والمعجون،وهي عادة تطيب الفم،وتحافظ على الأسنان.

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ- إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ.متفق عليه[١٠٧].

التزام الهدوء والسكينة أثناء الحركة بعد القيام،وتجنب إزعاج أحد من الأهل أو الجيران.

الحذر من الخروج المفاجئ من المكان الدافئ إلى المكان البارد،وخاصة بعد الاستيقاظ مباشرة،إلا بعد الاحتياط في اللباس.

التزام الرقة واللطف وخفض الصوت أثناء إيقاظ الآخرين،وذلك بالتذكير بتوحيد الله وأن الصلاة خير من النوم،فإن أبى أحد القيام تركه وأعاد عليه بعد قليل.

فتح الأبواب والنوافذ المغلقة في غرفة النوم بعد الاستيقاظ،لتجديد الهواء وجريانه فيه.

إعادة ترتيب السرير،وطيّ الفراش بعد تهويته وذكر اسم الله عليه،وتجنب ترك السرير ولوازم النوم مبعثرة بشكل غير لائق،إذ ليس من الأدب والمروءة اعتماد المسلم على غيره وخاصة في إنجاز أعماله اليومية،وأموره الشخصية.

[١٠٧] - صحيح البخارى- المكتز - (٢٤٥) وصحيح مسلم- المكتز - (٦١٦)

يشوص : يدلك أسنانه وينقيها

-٦-آدابُ قضاء الحاجة

التخلِّي هو طرد فضلات الجسم الضارة المؤذية عن طريق التبول أو التبرز وهو نعمة من الله تعالى ليبقى الجسم خاليا من الأمراض والأسقام،ولذلك كان حريّا بالمرء أن يشكر الله على هذه النعمة كما ورد عن النبي ﷺفعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها،حَدَّثَتْهَا،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: " إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَقُمْ عَنْ خَلَاءٍ قَطُّ إِلَّا،قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ،وَأَبْقَى مَنْفَعَتَهُ فِي جَسَدِي،وَأَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ "[١٠٨].

الاستغفار بعد الخروج اعتراف بالقصور عن بلوغ حق شكر نعمة الطعام والاستفادة من منافع الغذاء وتسهيل خروج الأذى لسلامة البدن من الآلام..

وفي كل شيء للمسلم عبرة وذكرى تورثه خشية من الله وحياء منه،ومحبه له وشكرا..

عن عمرو أن أبا بكر قال:« استحيوا من الله ؛ فإني لأدخل الكنف فأغطي رأسي حياء من الله »[١٠٩].

وبذلك يكون دخول المسلم لقضاء حاجته تفكرا وعبرة،وإماطة الأذى عنه فضلا ورحمة..

هذا ولدخول الخلاء آداب كثيرة فصلتها كتب الفقه،وهي تقسم إلى قسمين: قسم فيما لو كان في البنيان وقسم فيما لو كان في الصحراء.

ونكتفي أن نتناول بعض ما أتى من الآداب الخاصة بالتخلي في البنيان:

الاستئذان قبل الدخول إلى بيت الخلاء،وعدم الدخول إلا بعد التأكد من خلوه،وذلك بقرع الباب والانتظار لبعض الوقت،وخاصة في دورات المياه العامة.

تقديم الرجل اليسرى في الدخول،وتقديم اليمنى في الخروج،والدعاء بما ورد عن النبي ﷺ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضى الله عنه – قَالَ كَانَ النَّبِىُّ – ﷺ– إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ قَالَ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ »متفق عليه[١١٠].

وقال يُوسُفُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ:سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها،فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قَالَ:غُفْرَانَكَ[١١١].

وعَنْ أَبِي عَلِيٍّ ؛ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى،وَعَافَانِي[١١٢].

---

[١٠٨] – شعب الإيمان – (٦ / ٢٦٨) (٤١٥٤) حسن

[١٠٩] – الزهد لهناد بن السري – (١٣٤٩) فيه انقطاع – الكنف : جمع كنيف ، وهو المرحاض والحمام

[١١٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٢٢) وصحيح مسلم- المكتر – (٨٥٧)

[١١١] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٢)(٧) صحيح

[١١٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٢)(١٠) صحيح لغيره

وعَنْ طَاوُوسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ مِنَ الْخَلاَءِ فَلْيَقُلِ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي،وَأَمْسَكَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي.[113]

وعَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ قَالَ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَاطَ عَنِّي الأَذَى،وَعَافَنِي[114].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ قَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنِّى الأَذَى وَعَافَانِى ». رواه ابن ماجه[115].

التخفف من الثياب قبل الدخول إلى الخلاء،والانتباه إلى طهارة ما يلبسه أثناء التخلي والتحرز من إصابتها بالنجاسة.

تجنّب استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة تعظيما لها.

فعَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ،شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا » البخاري[116].

تجنّب استصحاب شيء عليه اسم الله تعالى أو القرآن الكريم أو آيات منه.

التأكد من إغلاق باب بيت الخلاء،وعدم تركه مفتوحا،والإشارة لمن أراد الدخول بقرع الباب من الداخل لينتظر.

تجنّب كشف الثياب قبل الانتهاء إلى موضع قضاء الحاجة وإغلاق الباب.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ:أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً لاَ يَرْفَعُ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الأَرْضِ. ". رواه أبو داود[117].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ :« مَنْ أَتَى الْغَائِطَ فَلْيَسْتَتِرْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ كَثِيبًا مِنْ رَمْلٍ يَجْمَعُهُ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُهُ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ يَلْعَبُونَ بِمَقَاعِدِ بَنِى آدَمَ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لاَ فَلاَ حَرَجَ »[118].

وعَنْ أَبِي سَعْدِ الْخَيْرِ،وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عُمَرَ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ اكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ،وَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ،وَمَنْ لاَ فَلاَ حَرَجَ،وَمَنِ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ،وَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ،وَمَنْ لاَ فَلاَ حَرَجَ،وَمَنْ أَكَلَ فَمَا تَخَلَّلَ فَلْيَلْفِظْ،وَمَنْ لاَكَ بِلِسَانِهِ فَلْيَبْتَلِعْ،مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ،وَمَنْ لاَ فَلاَ

---

[113] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٣)(١٢) حسن لغيره

[114] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٣)(١٣) فيه انقطاع

[115] – سنن ابن ماجه– المكتز – (٣٢٠) حسن لغيره

[116] – صحيح البخارى– المكتز – (١٤٤)

[117] – السنن الكبرى للبيهقي– المكتز – (١ / ٩٦) (٤٦٧) وسنن أبي داود – المكتز – (١٤) صحيح لغيره

[118] – السنن الكبرى للبيهقي– المكتز – (١ / ٩٤) (٤٥٨) حسن لغيره

حَرَجَ،وَمَنْ أَتَى الْغَائِطَ فَلْيَسْتَتِرْ،فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ أَنْ يَجْمَعَ كَثِيبًا فَلْيَسْتَدْبِرْهُ،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِي آدَمَ،مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ،وَمَنْ لاَ فَلاَ حَرَجَ.[١١٩]

غض البصر وتجنب النظر إلى العورة،فإن الله تعالى أحق أن يستحيا منه.

تجنب الكلام أثناء التخلي أو السلام أو رده أو الذكر الجهري.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ.[١٢٠].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلا مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَهُوَ يَبُولُ أَوْ يَتَوَضَّأُ،فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى فَرَغَ.[١٢١]

وعَنِ الْمُهَاجِرِ بْنِ قُنْفُذٍ،أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ يَبُولُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى فَرَغَ.[١٢٢]

وعَنْ هِلاَلِ بْنِ عِيَاضٍ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ يَخْرُجِ الرَّجُلاَنِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَانِ عَوْرَتَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ،فَإِنَّ اللَّهَ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ. رواه أحمد[١٢٣].

تجنب البول لئلا يصيبه رشاش البول.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بَالَ قَائِمًا فَلاَ تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يَبُولُ إِلاَّ جَالِسًا.[١٢٤].

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺبَالَ قَائِمًا بَعْدَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَلاَ تُصَدِّقْهُ،مَا بَالَ قَائِمًا مُنْذُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ.[١٢٥]

وهناك رخصة في البول قائما لضرورة أو عذر أو مرض.

فعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ،أَنَّ جَرِيرًا،بَالَ قَائِمًا،ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ،وَصَلَّى،فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ،فَذَكَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.[١٢٦]

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ - ﷺ- نَتَمَاشَى،فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ،فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ فَبَالَ،فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ،فَأَشَارَ إِلَى فَجِئْتُهُ،فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ .[١٢٧].

---

[١١٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٣٧٥)(٨٨٣٨) ٨٨٢٥– حسن لغيره

[١٢٠] – سنن النسائي– المكتر – (٣٧) صحيح

[١٢١] – مسند أبي عوانة (٤٣٨) صحيح

[١٢٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ٤٣٥)(٢٦٢٤٩) صحيح لغيره

[١٢٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٩٣)(١١٣١٠) ١١٣٣٠– صحيح لغيره

[١٢٤] -سنن النسائي– المكتر – (٢٩) صحيح، ولكنه لا يمنع أن غيرها رآه يبول واقفاً ، وإن كان بقلة

[١٢٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٤١٤)(٢٥٧٨٧) ٢٦٣٠٦– صحيح

[١٢٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٥١٨)(١٩٢٣٧) ١٩٤٥٠–و صحيح البخارى– المكتر – (٣٨٧) وصحيح مسلم– المكتر – (٦٤٥)

[١٢٧] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٢٥) –السباطة : موضع الكناسة –انتبذت : تنحيت

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ،قَالَ:كَانَ أَبُو مُوسَى يُشَدِّدُ فِي الْبَوْلِ،وَيَقُولُ:إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ إِذَا أَصَابَ جِلْدَ أَحَدِهِمْ بَوْلٌ قَرَضَهُ بِالْمَقْرَاضِ،فَقَالَ حُذَيْفَةُ:لَوَدِدْتُ أَنَّ صَاحِبَكُمْ لاَ يُشَدِّدُ هَذَا التَّشْدِيدَ،لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺنَتَمَاشَى،فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ،فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ،فَبَالَ،قَالَ:فَاسْتَتَرْتُ مِنْهُ،فَأَشَارَ إِلَيَّ،فَجِئْتُ،فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ.[١٢٨]

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺبَالَ وَهُوَ قَائِمٌ،عَلَى سُبَاطَةِ قَوْمٍ،ثُمَّ أُتِيَ بِوَضُوءٍ،فَتَوَضَّأَ،وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ "[١٢٩]

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ الْبَوْلِ قَائِمًا،وَهَذَا أَوْلَى مِمَّا ذَكَرْنَا قَبْلَهُ عَنْ عَائِشَةَ ؛ لِأَنَّ حَدِيثَ عَائِشَةَ إِنَّمَا فِيهِ مَنْ حَدَّثَكَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ،بَالَ قَائِمًا بَعْدَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ،فَلَا تُصَدِّقْهُ.أَيْ: أَنَّ الْقُرْآنَ،لَمَّا نُزِلَ عَلَيْهِ أُمِرَ فِيهِ بِالطَّهَارَةِ،وَاجْتِنَابِ النَّجَاسَةِ،وَالتَّحَرُّزِ مِنْهَا.فَلَمَّا رَأَتْ عَائِشَةُ ذَلِكَ،وَعَلِمَتْ تَعْظِيمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَمْرِ اللهِ،وَكَانَ الْأَغْلَبُ عِنْدَهَا،أَنَّ مَنْ بَالَ قَائِمًا،لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْ إِصَابَةِ الْبَوْلِ ثِيَابَهُ وَبَدَنَهُ،قَالَتْ ذَلِكَ،وَلَيْسَ فِيهِ حِكَايَةٌ مِنْهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺيُوَافِقُ ذَلِكَ.ثُمَّ جَاءَ حُذَيْفَةُ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺبِالْمَدِينَةِ،بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ،يَبُولُ قَائِمًا.فَثَبَتَ بِذَلِكَ إِبَاحَةُ الْبَوْلِ قَائِمًا،إِذَا كَانَ الْبَائِلُ فِي ذَلِكَ يَأْمَنُ مِنَ النَّجَاسَةِ عَلَى بَدَنِهِ وَثِيَابِهِ .[١٣٠]

غسل اليد قبل البدء بالاستنجاء بها لئلا يتشرب مسام الجلد الماء النجس.

القيام بالاستنجاء والطهارة باستعمال اليد اليسرى.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ وَلاَ يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلاَءِ بِيَمِينِهِ وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِى الإِنَاءِ ».[١٣١]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ،أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ أَخْبَرَهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ،وَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلاَءَ فَلاَ يَسْتَنْجِيَنَّ بِيَمِينِهِ وقَالَ أَبُو عَامِرٍ:وَلاَ يَمَسَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ.[١٣٢]

الاطمئنان إلى زوال النجاسة،واستكمال الطهارة الشرعية.قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)} البقرة.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « اسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ »[١٣٣].

تنظيف مكان الخلاء بعد قضاء الحاجة حتى لا يبقى أثر ولا رائحة.

غسل اليدين بالماء والصابون بعد الخروج مباشرة.

---

[١٢٨] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٢٧٧) (١٤٢٩) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٤٨)

[١٢٩] – شرح معاني الآثار – (٤ / ٢٦٧)(٦٨٠٧) صحيح

[١٣٠] – شرح معاني الآثار – (٤ / ٢٦٧)

[١٣١] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٣٦)

[١٣٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٥٣١)(٢٢٦٤٧) ٢٣٠٢٤- صحيح

[١٣٣] -سنن الدارقطني- المكتر – (٤٧٤) صحيح لغيره

-٧-آداب الوضوء

الوضوء شرط لصحة الصلاة قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٦) سورة المائدة.

وهو تطهير للأعضاء الظاهرة بالماء تمهيدا للدخول في الصلاة،واستعدادا لمناجاة الله تعالى،وعلامة على تطهير الجوارح من الخطايا والذنوب،وتنظيف القلب مما يشغل عن الله تعالى من الغفلات والمحرمات،ويحجب عن تلقفي أنواره وفيوضاته وعلومه اللدنية وحكمته الالهية..

قال أحد العلماء: اعلم أنك إذا توضأت فإنك ستزور ربك عز وجل فعليك أن تتوب إليه،لأنه جعل الغسل بالماء مقدمة للغسل من الذنوب. فإذا تمضمضت فطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة،فإنما خلق لسانك لذكر الله تعالى وتلاوة القرآن،ولترشد به خلقه وتظهر به ما في نفسك من حاجات دينك ودنياك،فإذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرتَ نعمة الله فيه،فإن جوارحك نعمة،والاستعانة بالنعم على المعاصي غاية الكفران،فإذا استنشقت فطهر أنفك من أن تشم محرما،فإذا ظهرت وجهك فطهر نظرك من ثلاث: أن تنظر إلى محرم،أو إلى مسلم بعين الاحتقار،أو إلى عيب أحد فإنما خُلقت العينان لتهتدي بهما في الظلمات،وتستعين بهما في الحاجات،وتنظر بهما إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات،فتعتبر بهما بما تراه من الآيات..

وإذا طهرت يديك بالماء فطهرهما من أن تؤذي بهما مسلما،أو تتناول مالا محرما،أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به،فإن القلم أحد اللسانين فاحفظه عما يجب حفظ اللسان عنه،وإذا مسحت رأسك فاعلم أن مسحه امتثال لأمر الله،والخضوع لجلاله،والتذلل بين يديه،وإظهار الافتقار إليه،وإذا طهرت بين رجليك فطهرهما من المشي إلى حرام،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْطُو خُطْوَةً إِلَّا سُئِلَ عَنْهَا مَا لَذَاذَتُهَا ". رواه أبو نعيم في الحلية[١٣٤].

هذا هو الوضوء الصالح[١٣٥]،فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ». رواه مسلم[١٣٦]

---

[١٣٤] - حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٢٢٠٢) فيه ضعف

[١٣٥] - http://www.kettaneh.net/islam/islam/adaab.htm

http://alboraq.info/archive/index.php/t-٤٢٧٦٨.html

http://www.asdaff.com/t٢١٨١٦.html

وهذه طائفة من الآداب الإسلامية في الوضوء.

ابتداء الوضوء بتسمية الله تعالى .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ وُضُوءَ لَهُ وَلاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تعالى عَلَيْهِ ». رواه أبو داود[١٣٧].

الهدوء وحضور القلب أثناء الوضوء،لأن السكينة والخشوع في الوضوء مقدمة للخشوع في الصلاة.

استعمال السواك عند كل وضوء،لأنه مطهرة للفم،مرضاة للرب.

عَنْ عَائشَةَ،أَنَّ النَّبيَّ ﷺ،قَالَ:لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ مَعَ الْوُضُوءِ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ.[١٣٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ،وَلَأَخَّرْتُ الْعِشَاءَ إِلى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ شَطْرِ اللَّيْلِ.[١٣٩]

تجنب الكلام والضحك واللعب بالماء أثناء الوضوء.

تجنب لطم الوجه والرأس بالماء لطما.

تجنب نفض اليدين بعد الوضوء ورش الماء.

الحرص على إسباغ الوضوء زيادة على الفرائض،إلى العضدين وأنصاف السوق،وخاصة في أوقات البرد،لأنه نور المؤمن وحليته يوم القيامة.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ ». رواه مسلم[١٤٠].

وعَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ رَقِيتُ مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ عَلَى ظَهْرِ الْمَسْجِدِ،فَتَوَضَّأَ فَقَالَ إِنِّى سَمِعْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ أُمَّتِى يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ،فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ »[١٤١] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَرِدُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ سِيمَا أُمَّتِي لَيْسَ لأَحَدٍ غَيْرِهَا.[١٤٢]

---

[١٣٦] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٠١)

[١٣٧] – سنن أبي داود – المكتز – (١٠١) حسن

[١٣٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣٥١) (١٠٦٩) صحيح

[١٣٩] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٣٩٨) (١٥٣١) صحيح

[١٤٠] – صحيح مسلم- المكتز – (٦١٠)

[١٤١] – صحيح البخارى- المكتز – (١٣٦) وصحيح مسلم- المكتز – (٦٠٣)

[١٤٢] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣٢٤) (١٠٤٨) صحيح

وعَنْ أَبِى حَازِمٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ أَبِى هُرَيْرَةَ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ فَكَانَ يَمُدُّ يَدَهُ حَتَّى تَبْلُغَ إِبْطَهُ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا هَذَا الْوُضُوءُ فَقَالَ يَا بَنِى فَرُّوخَ أَنْتُمْ هَا هُنَا لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ هَا هُنَا مَا تَوَضَّأْتُ هَذَا الْوُضُوءَ سَمِعْتُ خَلِيلِى -ﷺ- يَقُولُ « تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءُ ». رواه مسلم[١٤٣] .

الانتباه إلى تبليغ الوضوء،وإيصال الماء إلى ثنايا الجلد والأعقاب وبين الأصابع.

فعَنْ جَابِرٍ أَخْبَرَنِى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلاً تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُفُرٍ عَلَى قَدَمِهِ فَأَبْصَرَهُ النَّبِىُّ -ﷺ- فَقَالَ « ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ ». فَرَجَعَ ثُمَّ صَلَّى.[١٤٤]

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ قَتَادَةَ بْنَ دِعَامَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- وَقَدْ تَوَضَّأَ وَتَرَكَ عَلَى قَدَمَيْهِ مِثْلَ مَوْضِعِ الظُّفْرِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ ». رواه أبو داود [١٤٥]

قال الإمام النووي رحمه الله [١٤٦]: " وأما الدعاء على أعضاء الوضوء،فلم يجئ فيه شئ عن النبي ﷺوقد قال الفقهاء:يستحب فيه دعوات جاءت عن السلف،وزادوا ونقصوا فيها..

الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺخُدَّامَ أَنْفُسِنَا نَتَنَاوَبُ الرِّعْيَةَ رِعْيَةَ إِبِلِنَا فَكُنْتُ عَلَى رِعْيَةِ الإِبِلِ،فَرُحْتُهَا بِعَشِيٍّ،فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَخْطُبُ النَّاسَ،فَسَمِعْتُهُ،يَقُولُ:مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ،ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ،يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ،فَقَدْ أَوْجَبَ ،قَالَ:فَقُلْتُ:مَا أَجْوَدَ هَذِهِ،فَقَالَ رَجُلٌ:الَّذِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ،فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،قُلْتُ:مَا هُوَ يَا أَبَا حَفْصٍ ؟ قَالَ:إِنَّهُ،قَالَ آنِفًا،قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ:مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ وَضُوئِهِ:أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،إِلاَّ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ لَهُ،يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ " .[١٤٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ،فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.[١٤٨]

---

[١٤٣] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٠٩)

[١٤٤] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٩٩)

[١٤٥] – سنن أبي داود – المكتز – (١٧٣) صحيح لغيره

[١٤٦] – انظر الموسوعة الفقهية الكويتية – (٤ / ١٠) والأذكار للنووي – (١ / ٢٩)

[١٤٧] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣٢٦) (١٠٥٠) صحيح

[١٤٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٠ / ٤٥١) (٣٠٥١٥) صحيح لغيره

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِى مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِى مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ ». رواه الترمذي[١٤٩].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ،قَالَ:كَانَ عَلِيٌّ إِذَا فَرَغَ مِنْ وُضُوئِهِ،قَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،رَبِّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ،وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ.[١٥٠]

يستحب صلاة ركعتين بعد كل وضوء إن لم يكن وقت صلاة راتبة.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ». رواه أبو داود[١٥١].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ،ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ،مُقْبِلٌ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ.(قَالَ:فَقُلْتُ:مَا أَجْوَدُ هَذِهِ)،فَقَالَ عُمَرُ:مَا قَبْلَهَا أَكْثَرُ مِنْهَا،كَأَنَّك جِئْتَ آنِفًا ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ،يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.[١٥٢]

الاعتدال في استخدام الماء،وتجنب صب الماء من غير حاجة،أو الزيادة في الغسل على ثلاث مرات. فهو إشراف.عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺمَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ،فَقَالَ:مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ:أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ ؟ قَالَ:نَعَمْ،وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ.[١٥٣]

المحافظة على الوضوء بعد كل حدث،لأن الوضوء هو السلاح الروحي للمؤمن،فهو يستديم عليه ليدفع عن نفسه الشرور والغفلات،والآثام والمحرمات،وليكون مستعدا للصلاة وتلاوة القرآن.

عن كَثِيرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَبِي هَاشِمٍ النَاجِيِّ،قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا،يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا بُنَيَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ أَبَدًا عَلَى وُضُوءٍ فَافْعَلْ،فَإِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ إِذَا قَبَضَ رُوحَ الْعَبْدِ وَهُوَ عَلَى وَضُوءٍ كَتَبَ لَهُ شَهَادَةً " [١٥٤] ،وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الْبَجَلِيِّ قَالَ سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنِ الْوُضُوءِ فَقَالَ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ وَكُنَّا نُصَلِّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ.[١٥٥]

[١٤٩] – سنن الترمذى- المكتر – (٥٥) صحيح لغيره

[١٥٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٣) (٢٠) صحيح

[١٥١] – سنن أبي داود – المكتر – (٩٠٦) صحيح

[١٥٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (١ / ٣) (٢١) صحيح

[١٥٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٧١٨)(٧٠٦٥) حسن

[١٥٤] – شعب الإيمان – (٤ / ٢٨٥) (٢٥٢٩) ضعيف

[١٥٥] – سنن أبي داود – المكتر – (١٧١) صحيح

-٨-آداب الصلاة

الصلاة عماد الدين،من أقامها فقد أقام الدين،ومن تركها فقد هدم الدين،وهي العبادة اليومية لكل مسلم يدخل بها على ربه كل يوم خمس مرات في صلة وثيقة،وارتباط عميق،وولاء كامل،مناجيا خالقه مقبلا عليه إقبال العبد الفقير على سيده الغني الكبير،مستمدا منه المعون والرحمة والهداية والعطاء،قائما وراكعا وساجدا بين يديه في لحن سماوي خالد. تتجاوب مع أصدائه جنبات الكون كله ليصبح للمسلم معبدا ومصلى يرجّع معه ذكر الله عز وجل {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (٤٤) سورة الإسراء. {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (٤١) سورة النور ٤١.

هذه هي الصلاة التي أرادها الله عز وجل ووصفها رسول الله ﷺ،فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى:إِنَّمَا تُقْبَلُ الصَّلاةُ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي،وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي،وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي،وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِي ذِكْرِي،وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالأَرْمَلَةَ،وَرَحِمَ الْمُصَابَ،ذَاكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ،أَكْلؤُهُ بِعِزَّتِي،وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِي،أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا،وَفِي الْجَهَالَةِ حِلْمًا،وَمَثَلُهُ فِي خَلْقِي كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِي الْجَنَّةِ ". رواه البزار[١٥٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ-:" الصَّلَاةُ ثَلَاثَةُ أَثْلَاث:الطَّهُورُ ثُلُثٌ،وَالرُّكُوعُ ثُلُثٌ،وَالسُّجُودُ ثُلُثٌ،فَمَنْ أَدَّاهَا بِحَقِّهَا قُبِلَتْ مِنْهُ وَقُبِلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ وَمَنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ رُدَّ عَلَيْهَا سَائِرُ عَمَلِهِ ".رَوَاهُ الْبَزَّارُ[١٥٧]

وهي أول ما يحاسب عليه العبد فقد قال ﷺ:

فعَنْ حُرَيْثِ بْنِ قَبِيصَةَ قَالَ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَقُلْتُ اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِى جَلِيسًا صَالِحًا. قَالَ فَجَلَسْتُ إِلى أَبِى هُرَيْرَةَ فَقُلْتُ إِنِّى سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِى جَلِيسًا صَالِحًا فَحَدِّثْنِى بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِى بِهِ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاَتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَىْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِى مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ »[١٥٨].

---

[١٥٦] – كشف الأستار – (١ / ١٧٦) (٣٤٨) والإتحاف ٢١/٣ و٣٥٢/٨ ضعيف

[١٥٧] – كشف الأستار – (١ / ١٧٧) (٣٤٩) حسن

[١٥٨] – سنن الترمذى– المكتز – (٤١٥) حسن

وَعَنْ أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ– قَالَ:" أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ،فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ،وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[١٥٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحَاسَبُ بِصَلَاتِهِ،فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ،وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ.[١٦٠]

وهي آخر وصية وصّى بها رسول الله ﷺأمته وهو يفارق هذه الدنيا لاحقا بالرفيق الأعلى،فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺحِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ:الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ،وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[١٦١].

وهي أول صفات المتقين:{ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} البقرة ٢-٣.

وهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر،فعَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ –ﷺ– يَقُولُ « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ ».رواه مسلم[١٦٢].

وعن جَابِرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ "[١٦٣] .

لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ جُحُودًا وَاسْتِخْفَافًا كَافِرٌ مُرْتَدٌّ،يُحْبَسُ لِلاسْتِتَابَةِ وَإِلاَّ يُقْتَل.وَقَدْ ذَكَرُوا:أَنَّ تَرْكَ الصَّلاَةِ يَحْصُل بِتَرْكِ صَلاَةٍ وَاحِدَةٍ يَخْرُجُ وَقْتُهَا دُونَ أَدَائِهَا مَعَ الإِصْرَارِ عَلَى ذَلِكَ[١٦٤]

وَمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ كَسَلاً وَتَهَاوُنًا مَعَ اعْتِقَادِ وُجُوبِهَا يُدْعَى إِلَيْهَا،فَإِنْ أَصَرَّ عَلَى تَرْكِهَا فَفِي عُقُوبَتِهِ ثَلاَثَةُ أَقْوَالٍ :

الْقَوْل الأَوَّل:يُحْبَسُ تَارِكُ الصَّلاَةِ كَسَلاً ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لِلاسْتِتَابَةِ وَإِلاَّ قُتِل حَدًّا لاَ كُفْرًا،وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَوَكِيعٍ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ .

الْقَوْل الثَّانِي:يُحْبَسُ تَارِكُ الصَّلاَةِ كَسَلاً ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لِلاسْتِتَابَةِ وَإِلاَّ قُتِل كُفْرًا وَرِدَّةً،حُكْمُهُ فِي ذَلِكَ حُكْمُ مَنْ جَحَدَهَا وَأَنْكَرَهَا لِعُمُومِ حَدِيثِ:بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ وَهَذَا قَوْل عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَحْمَدَ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ .

الْقَوْل الثَّالِثُ:يُحْبَسُ تَارِكُ الصَّلاَةِ كَسَلاً وَلاَ يُقْتَل بَل يُضْرَبُ فِي حَبْسِهِ حَتَّى يُصَلِّيَ،وَهُوَ الْمَنْقُول عَنِ الزُّهْرِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْمُزَنِيِّ مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ .[١٦٥]

---

[١٥٩] – المعجم الأوسط للطبراني – (١٩٢٩) حسن لغيره

[١٦٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٤ / ١٤٦) (٣٧٢٠٠) حسن

[١٦١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٣٠٢) (١٢١٦٩) ١٢١٩٣– صحيح

[١٦٢] – صحيح مسلم– المكتز – (٢٥٦)

[١٦٣] – شرح مشكل الآثار – (٨ / ٢٠٣) (٣١٧٧) حسن

[١٦٤] – المغني ٢ / ٤٤٢ ، والمجموع للنووي ٣ / ١٦ – ١٧ .

[١٦٥] – انظر الموسوعة الفقهية الكويتية – (١٦ / ٣٠٢)

وهي دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام: {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء} (٤٠) سورة إبراهيم ٤٠.

ووصية الأنبياء والمرسلين: {.. وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} (٣١) سورة مريم.

وعَنْ وَهْبٍ ؛ قَالَ:أَوْحَى اللهُ تَبَارَكَ وَتعالى إلى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِه:هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ،وَمِنْ بَدَنِكَ الْخُضُوعَ،وَمِنْ عَيْنَيْكَ الدُّمُوعَ،وَادْعُنِي ؛ فَإِنِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ " [١٦٦]

هذا وللصلاة آداب نجمل بعضها فيما يلي:

الإقبال على الصلاة برغبة ومحبة،وهمة ونشاط،وبشوق لمناجاة الله عز وجل. قال تعالى:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (١٥٢) سورة البقرة

تحسين الهيئة قبل الدخول في الصلاة،باختيار الملابس النظيفة والتعطر والتسوك.

قال تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣١) سورة الأعراف.

قضاء الحوائج الهامة والأعمال الضرورية قبل الصلاة،لتفريغ القلب مما سوى الله عز وجل.

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ،وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ،حَدَّثَاهُ،أَنَّ عَائِشَةَ،حَدَّثَتْهُمَا قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَقُومُ أَحَدُكُمْ إِلى الصَّلاَةِ وَهُوَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ الْغَائِطُ وَالْبَوْلُ. [١٦٧]

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ،قَالَ:كَانَ بَيْنَ عَائِشَةَ وَبَيْنَ بَعْضِ بَنِي أَخِيهَا شَيْءٌ،فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَلَمَّا جَلَسَ جِيءَ بِالطَّعَامِ،فَقَامَ إِلى الْمَسْجِدِ فَقَالَتْ لَهُ:اجْلِسْ غُدَرُ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يُصَلِّي أَحَدُكُمْ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ،وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ. [١٦٨]

وعَنِ ابْنِ أَبِى عَتِيقٍ قَالَ تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ عِنْدَ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - حَدِيثًا وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلاً لَحَّانَةً وَكَانَ لأُمِّ وَلَدٍ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ مَا لَكَ لاَ تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِى هَذَا أَمَا إِنِّى قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ. هَذَا أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ - قَالَ - فَغَضِبَ الْقَاسِمُ وَأَضَبَّ عَلَيْهَا فَلَمَّا رَأَى مَائِدَةَ عَائِشَةَ قَدْ أُتِىَ بِهَا قَامَ. قَالَتْ أَيْنَ قَالَ أُصَلِّى. قَالَتِ اجْلِسْ. قَالَ إِنِّى أُصَلِّى. قَالَتِ اجْلِسْ غُدَرُ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ ». رواه مسلم [١٦٩].

---

[١٦٦] - المجالسة وجواهر العلم - (١٧١) والمدخل - (٣ / ٢٧٤) وسنده واه

[١٦٧] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٤٢٩) (٢٠٧٣) صحيح

[١٦٨] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٤٣٠) (٢٠٧٤) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْمَرْءُ مَزْجُورٌ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ وُجُودِ الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ ، وَالْعِلَّةُ الْمُضْمَرَةُ فِي هَذَا الزَّجْرِ هِيَ أَنْ يَسْتَعْجِلَهُ أَحَدُهُمَا حَتَّى لاَ يَتَهَيَّأَ لَهُ أَدَاءُ الصَّلَاةِ عَلَى حَسْبِ مَا يَجِبُ مِنْ أَجْلِهِ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا تَصْرِيحُ الْخِطَابِ وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ وَلَمْ يَقُلْ وَلاَ هُوَ يَجِدُ الأَخْبَثَيْنِ ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الأَخْبَثَيْنِ قُصِدَ بِهِ وُجُودُهُمَا مَعًا وَانْفِرَادُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لاَ اجْتِمَاعُهُمَا دُونَ الانْفِرَادِ.

[١٦٩] - صحيح مسلم- المكتز - (١٢٧٤)

لزوم السكينة والوقار،والهدوء والأناة عند الاقبال لأداء الصلاة.فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاَةَ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلى الصَّلاَةَ فَهُوَ فِى صَلاَةٍ ».[١٧٠].

وعن أبي هُرَيْرَةَ،قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ،فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَائْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ،فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا،فَإِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ يَعْمِدُ إِلى الصَّلاَةِ.[١٧١]

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ:{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ} [الجمعة] وَقَالَ ﷺ: فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ فَالسَّعْيُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ بِهِ هُوَ الْمَشْيُ إِلى الصَّلاَةِ عَلَى هَيْئَةِ الإِنْسَانِ،وَالسَّعْيُ الَّذِي نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺعَنْهُ هُوَ الاِسْتِعْجَالُ فِي الْمَشْيِ ؛ لأَنَّ الْمَرْءَ تُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلى الصَّلاَةِ حَسَنَةٌ فَذَلِكَ مَا وَصَفْتُ،يَعْنِي فِي تَرْجَمَةِ نَوْعِ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ تُوقِعَ فِي لُغَتِهَا الاِسْمَ الْوَاحِدَ عَلَى الشَّيْئَيْنِ الْمُخْتَلِفِي الْمَعْنَى فَيَكُونُ أَحَدُهُمَا مَأْمُورًا بِهِ وَالآخَرُ مَزْجُورًا عَنْهُ .[١٧٢]

الدخول في الصلاة بتوجه القلب إلى الله عز وجل،وسكون الأطراف والجوارح،ولزوم التواضع والخشوع بين يدي الله تعالى،والتذلل والهيبة والخضوع لعظمة الله عز وجل،قال تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} المؤمنون.

تجنّب الالتفات والشرود،والضحك والعبث بالثوب أو باليدين أثناء الصلاة.

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ:" إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلَا يَلْتَفِتْ،إِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ،إِنَّ رَبَّهُ أَمَامَهُ،وَإِنَّهُ يُنَاجِيهِ " قَالَ:" وَبَلَغَنَا أَنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتعالى يَقُولُ:يَا ابْنَ آدَمَ،إِلى مَنْ تَلْتَفِتُ ؟ أَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ "[١٧٣]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَنِ الاِلْتِفَاتِ فِي الصَّلاَةِ،فَقَالَ:إِنَّمَا هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ الْعَبْدِ. رواه البخاري[١٧٤].

النظر إلى موضع السجود مطرقا مفكرا،وتجنب رفع البصر إلى السماء.

عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ،فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ:لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ،أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ. رواه البخاري[١٧٥].

أتى : ابتلى -الأخبثان : البول والغائط -أضب : غضب وحقد -الغدر : الغادر ويستعمل فى الشتم -اللحانة : كثير اللحن والخطإ فى الكلام

[١٧٠] - صحيح مسلم- المكتر - (١٣٩٠)

[١٧١] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٢٢) (٢١٤٨) صحيح

[١٧٢] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥٢٣)

[١٧٣] - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيّ(٣١٦٢) صحيح

[١٧٤] - صحيح ابن حبان - (٦ / ٦٤) (٢٢٨٧) وصحيح البخارى- المكتر - (٧٥١)

التعقل والتفكر والتدبر لمعاني الآيات والأذكار،وتجنب الغفلة والسهو في الصلاة.

قال تعالى:{ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)} الماعون.

فَالوَيْلُ والعَذَابُ لِمَنْ يُؤَخِّرُونَ أَدَاءَ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا،وَالوَيْلُ لِلَّذِينَ يُؤَدُّونَ الصَّلاَةَ بِأَجْسَامِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ،وَقُلُوبُهُمْ غَائِبَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الخُشُوعِ،وَعَنْ تَدَبُّرِ مَعَانِي مَا يَقْرَؤُونَ.فَيُؤَخِّرُونَ أَدَاءَ الصَّلاَةِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ يُصَلُّونَ وَقُلُوبُهُم بَعِيدَةٌ عَنِ الخُشُوعِ فَلاَ يَكُونَ لِلصَّلاَةِ أَثَرٌ فِي نُفُوسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .[١٧٦]

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا ». رواه أبو داود[١٧٧].

الإطمئنان في أداء الصلاة،وتجنب العجلة في أركانها وحركاتها.

عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ فَدَعَا بِطَهُورٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ». رواه مسلم[١٧٨].

مدافعة السعال والتثاؤب والعطاس والجشاء،أثناء الصلاة ما استطاع وخفض الصوت بها إن صدرت.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:إِنَّ التَّثَاؤُبَ فِي الصَّلاَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ،فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَكْظِمْ.[١٧٩].

الإسراع في أداء الصلاة أول الوقت،وعدم تأخيرها إلى آخر الوقت تكاسلا بلا عذر.

قال تعالى في وصف المنافقين: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} (٥٤) سورة التوبة

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضى الله عنه – أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِىَّ – ﷺ- أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ « الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا،وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ،ثُمَّ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ » [١٨٠]..

الجلوس في المصلى عقب كل صلاة للاستغفار والذكر والدعاء.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ قَالَ « جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ ». رواه الترمذي[١٨١].

---

[١٧٥] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٦١) (٢٢٨٤) وصحيح البخارى- المكتر – (٧٥٠)

[١٧٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٦٠٧٨)

[١٧٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٧٩٦) حسن

[١٧٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٦٥)

[١٧٩] – صحيح ابن حبان – (٦ / ١٢٣) (٢٣٥٩) صحيح

[١٨٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٥٣٤)

[١٨١] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٨٣٨) صحيح لغيره

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّه -ﷺ- « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ». رواه مسلم[١٨٢].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺأَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا،ثُمَّ قَالَ:يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ.فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ:بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ.قَالَ:أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ:اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.[١٨٣].

يستحب انتظار الصلاة بعد الصلاة،كانتظار صلاة العشاء بعد أداء صلاة المغرب واعتنام هذا الوقت بالذكر أو قراءة القرآن وحفظه أو طلب العلم وحضور مجالسه.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- قَالَ « الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّى عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى مُصَلاَّهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ،اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ.لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِى صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ،لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ » متفق عليه[١٨٤].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « لاَ يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِى صَلاَةٍ مَا دَامَ يَنْتَظِرُهَا وَلاَ تَزَالُ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّى عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى الْمَسْجِدِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَمَا الْحَدَثُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ.[١٨٥]

المحافظة على أداء السنن التابعة للفرائض،وعدم التهاون بها والترخيص في تركها،لأنها زيادة في التقرب إلى الله تعالى،وجبران لما نقص من الفرائض.

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- يَقُولُ « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ أَوْ إِلاَّ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فِى الْجَنَّةِ ». قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ عَمْرٌو مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ. وَقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ. رواه مسلم[١٨٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ عَبْدُ اللهِ:قَالَ أَبِي وَلَمْ يَرْفَعْهُ:قَالَ:مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي فِي يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا،إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ.[١٨٧]

المحافظة على أداء الصلوات مع الجماعة وفي أقرب مسجد.

---

[١٨٢] – صحيح مسلم- المكتر – (١٣٨٠)

[١٨٣] -مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٣٨٠)(٢٢١١٩) ٢٢٤٧٠- صحيح

[١٨٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٥٩) وصحيح مسلم- المكتر – (١٥٤٢)

[١٨٥] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٣١) قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِى هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[١٨٦] – صحيح مسلم- المكتر – (١٧٢٩)

[١٨٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٧٠٩)(١٠٤٦٢) ١٠٤٦٧- صحيح

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا »[١٨٨] . .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »[١٨٩] .

تحصيل ثمرات الصلاة من ذكر الله على الدوام،ومراقبته وخشيته في جميع الأحوال،والانتهاء عن الفحش في القول،والمنكر في العمل،قال تعالى:{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} (١٤) سورة طه.

إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ لِلْمُكَلَّفِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تعالى وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ،لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَهُوَ رَبُّ المَخْلُوقَاتِ وَخَالِقُهَا،وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهَا،فَقُمْ يَا مُوسَى بِعِبَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكٍ،وَأَدِّ الصَّلاَةَ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ،بِكَامِلِ شُرُوطِهَا لِتَذْكُرَ بِهَا رَبَّكَ.وَتَدْعُوهُ دُعاءً خَالِصاً لاَ يَشُوبُهُ إِشْرَاكٌ[١٩٠] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ نَبِىُّ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ نَسِىَ صَلاَةً أَوْ نَامَ عَنْهَا فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا ».[١٩١]

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « مَنْ نَسِىَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا،لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ ».(وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى) قَالَ مُوسَى قَالَ هَمَّامٌ سَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعْدُ (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى) [١٩٢]

وقال عز وجل: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} (٤٥) سورة العنكبوت.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن يَزِيدَ،قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ:"مَنْ لَمْ تَأْمُرْهُ صَلاتُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللَّهِ إِلا بُعْدًا". رواه الطبراني[١٩٣] .

---

[١٨٨] – صحيح مسلم- المكتز – (١٥٠٤)

[١٨٩] – صحيح مسلم- المكتز – (١٥٠٩)

[١٩٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٣٦٢)

[١٩١] – صحيح مسلم- المكتز – (١٦٠٠)

[١٩٢] – صحيح البخارى- المكتز – (٥٩٧) وصحيح مسلم- المكتز – (١٥٩٨)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي قَوْلِهِ ﷺ: فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّلاَةَ لَوْ أَدَّاهَا عَنْهُ غَيْرُهُ لَمْ تُجْزِ عَنْهُ ، إِذِ الْمُصْطَفَى ﷺقَالَ : لاَ كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ ، يُرِيدُ إِلاَّ أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ وَعَلَيْهِ صَلَوَاتٌ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَدَائِهَا فِي عِلَّتِهِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُعْطَى الْفُقَرَاءَ عَنْ تِلْكَ الصَّلَوَاتِ الْحِنْطَةَ ، وَلاَ غَيْرَهَا مِنْ سَائِرِ الأَطْعِمَةِ وَالأَشْيَاءِ.صحيح ابن حبان – (٦ / ٣٧٤)

[١٩٣] – المعجم الكبير للطبراني – (٨ / ١) (٨٤٦٥) صحيح موقوف

-٩-آداب الطعام

الطعام نعمة إلهية كبرى. لفت الله سبحانه نظر الإنسان إليها في كثير من الآيات القرآنية لينظر فيها ويعتبر،ويعرف قدرها ويشكر الرازق الكريم:{ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (٢٧) وَعِنَباً وَقَضْباً (٢٨) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْباً (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبّاً (٣١) مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)} عبس.

فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ أنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا،ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى،فأنبتنا فيها حبًا،وعنبًا وعلفًا للدواب،وزيتونًا ونخلا وحدائق عظيمة الأشجار،وثمارًا وكلأ تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم.[١٩٤]

وقال تعالى :{وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)} يس.

وَمِنَ الدَّلاَئِل عَلَى وُجُود الله تعالى،وَقُدْرَته التَّامَّة عَلَى إِحْيَاء المَوْتَى،أَنَّ الأَرْضَ تَكُونَ مَيْتَةً هَامِدَةً لاَ نَبَاتَ فِيهَا وَلاَ حَيَاةَ،فَيُنْزِلُ اللهُ المَطَرَ عَلَيْهَا فَتَرْتَوي،وَتَهْتَزُّ تُرْبَتُهَا،وَتَعْلُو بِمَا يَتَحَرَّكُ فِي بَاطِنِها مِنْ بُذُورِ النَّبَاتَاتِ الآخِذَةِ فِي النَّبتِ والنُّمُوِّ،ثُمَّ يُخْرِجُ اللهُ مِنْ هَذَا النَّبَاتِ حَبّاً يَأْكُلُهُ النَّاسُ والأَنْعَامُ .

وَأَنْشَأَ اللهُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ التِي أَحْيَاهَا بِالمَطَرِ بَسَاتِينَ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ،وَفَجَّرَ العُيُونَ فِيهَا فَأَخَذَتِ المِيَاهُ تَنْسَابُ فِي جَنَبَاتِهَا .لِيَأْكُلُوا مِنْ ثِمَارِ هَذِهِ البَسَاتِينِ،وَلاَ فَضْلَ لَهُمْ فِي إِنْبَاتِهَا وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الأَرْضِ،أَفَلاَ يَشْكُرُونَ خَالِقَ هَذِهِ النِّعَمِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ؟[١٩٥]

هذا وإن الكافر يعيش ليأكل ويعب من اللذائذ والشهوات ويحصل على المتع الجسدية الفانية،أما المؤمن فإنه يأكل ليعيش،وليتقوى على طاعة الله،ويعيش ليعبد ربه ويعمل الصالحات،ولذلك فقد أمر الله رسله فقال: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} (٥١) سورة المؤمنون ٥١.

وأمر عباده المؤمنين بمثل ذلك فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١٧٢) سورة البقرة.

هذا وللطعام آداب كثيرة نذكر منها ما يلي:

غسل اليدين قبل الطعام وبعده:

---

[١٩٤] – التفسير الميسر – (١٠ / ٤٠٨)

[١٩٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٦١٨)

فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ: إِنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ،فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺفَقَالَ: " إِنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ لَيْسَ هَذَا بِالْقَوِيِّ،وَكَانَ سُفْيَانُ يَكْرَهُ الْوُضُوءَ قَبْلَ الطَّعَامِ .[١٩٦].

التسمية في أول الطعام ثم استحضار النية من الأكل،والدعاء بالمأثور،فعنِ ابْنِ أَعْبُدَ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " يَا ابْنَ أَعْبُدَ مَا حَقُّ الطَّعَامِ ؟ " قُلْتُ: مَا هُوَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ؟ قَالَ: " حَقُّ الطَّعَامِ إِذَا وُضِعَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ أَنْ تَقْنَعَ "،وَتَقُولَ: " بِسْمِ اللهِ اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا "[١٩٧]

وعَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّه –ﷺ– قَالَ « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّه تعالى فَإِنْ نَسِىَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّه تعالى فِى أَوَّلِه فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّه أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ».. رواه أبو داود[١٩٨].

وعَنْ هِشَامٍ،قَالَ:كَانَ أَبِي لاَ يُؤْتَى بِطَعَامٍ وَلاَ شَرَابٍ،حَتَّى الشَّرْبَةَ مِنَ الدَّوَاءِ،فَيَطْعَمُهُ،أَوْ يَشْرَبُهُ حَتَّى يَقُولَ:الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي هَدَانَا،وَأَطْعَمَنَا،وَسَقَانَا وَنَعَّمَنَا،اللَّهُ أَكْبَرُ،اللَّهُمَّ أَلْفَتْنَا نِعْمَتُكَ بِكُلِّ شَرٍّ،وَأَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا مِنْهَا بِكُلِّ خَيْرٍ،نَسْأَلُك تَمَامَهَا وَشُكْرَهَا،لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُك،وَلاَ إِلَهَ غَيْرُك،إِلَهَ الصَّالِحِينَ،وَرَبَّ الْعَالَمِينَ،الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،مَا شَاءَ اللَّهُ،لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه،اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا،وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.[١٩٩]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِه،قَالَ:اللَّهُمَّ أَشْبَعْتَ وَأَرْوَيْتَ فَهَنِّئْنَا،وَرَزَقْتَنَا فَأَكْثَرْتَ وَأَطْيَبْتَ فَزِدْنَا.[٢٠٠]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ أَنَّهُ قَالَ:إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ فَسَمَّيْتَ فَكُلِّ مَا جِيءَ بِه،فَإِنَّهُ يُجْزِئُك التَّسْمِيَةُ الأُولَى.[٢٠١]

الأكل من الطعام الحلال الطيب،والحذر من الطعام الحرام كالمسروق والمشبوه والمأخوذ حياء.

قال تعالى:{ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)} النحل.

فعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "[٢٠٢]

---

[١٩٦] – شعب الإيمان – (٨ / ٦) (٥٤٢١) وسنن أبي داود – المكتر – (٣٧٦٣) ضعيف

[١٩٧] – شعب الإيمان – (٨ / ١٦٥) (٥٦٤٠) فيه جهالة

[١٩٨] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٧٦٩) صحيح

[١٩٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ١٢٣) (٢٥٠٠٠) صحيح مقطوع

[٢٠٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ١٢٣) (٢٥٠٠١) صحيح مقطوع

[٢٠١] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ١٢٣) (٢٥٠٠٢) صحيح مقطوع

[٢٠٢] – شعب الإيمان – (٧ / ٥٠٤) (٥٣٧٥) صحيح

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ،فَأَتَاهُ غُلَامٌ لَهُ بِطَعَامٍ،فَأَهْوَى إِلى لُقْمَةٍ فَأَكَلَهَا،ثُمَّ سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ قَالَ: كُنْتُ قِسًّا لِلْقَوْمِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،فَأَوْعَدُونِي،فَأَطْعَمُونِي هَذَا،يَعْنِي الْيَوْمَ،فَقَالَ: لَا أَرَاكَ إِلَّا أَطْعَمْتَنِي مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ،ثُمَّ أَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فَتَقَيَّأَ،ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " أَيُّمَا لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ،فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "[٢٠٣]

وعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: " يَا كَعْبُ كَيْفَ بِكَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا أَنَا مِنْهُ،وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ حَوْضِي،يَا كَعْبُ،إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ،وَلَا دَمٌ نَبَتَا مِنْ سُحْتٍ كُلُّ لَحْمٍ وَدَمٍ نَبَتَا مِنْ سُحْتٍ،فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ،يَا كَعْبُ،النَّاسُ رَجُلَانِ غَادِيَانِ،وَرَائِحَانِ غَادٍ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِهِ فَمُعْتِقُهَا،وَغَادٍ فَمُوبِقُهَا،يَا كَعْبُ،الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ،وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ،وَالصَّدَقَةُ تُذْهِبُ الْخَطِيئَةَ،كَمَا تَذْهَبُ الْجَامِدَةُ عَلَى الصَّفَا "[٢٠٤]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: -:يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ،إِنَّ اللَّهَ أَبَى عَلَيَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ لَحْمًا نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ،فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ"[٢٠٥]

وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ كَانَ لأَبِى بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ،وَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ،فَجَاءَ يَوْمًا بِشَىْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلاَمُ تَدْرِى مَا هَذَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَمَا هُوَ قَالَ كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإِنْسَانٍ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ،إِلاَّ أَنِّى خَدَعْتُهُ،فَلَقِيَنِى فَأَعْطَانِى بِذَلِكَ،فَهَذَا الَّذِى أَكَلْتَ مِنْهُ.فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَىْءٍ فِى بَطْنِهِ .[٢٠٦]

وعَنِ الْقَاسِمِ قَالَ:كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يَأْتِيهِ بِكَسْرَتِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ فَيَسْأَلُهُ عَنْهَا:مِنْ أَيْنَ أَصَبْتَهُ ؟ قَالَ:أَصَبْتُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا،فَأَتَى لَيْلَةً بِكَسْبِهِ وَأَبُو بَكْرٍ قَدْ طَالَ صِيَامُهُ فَنَسِيَ أَنْ يَسْأَلَهُ،فَوَضَعَ يَدَهُ فَأَكَلَ،فَقَالَ الْغُلَامُ لِأَبِي بَكْرٍ:كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ عَنْ كَسْبِي إِذَا جِئْتُكَ،فَلَمْ أَرَ سَأَلْتَنِي عَنْ كَسْبِي اللَّيْلَةَ،قَالَ:فَأَخْبِرْنِي مِنْ أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ:كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،فَلَمْ يُعْطُونِي أَجْرَ كَهَانَتِي،حَتَّى كَانَ الْيَوْمُ فَلَقِيتُهُمُ الْيَوْمَ فَأَعْطَوْنِي،وَإِنَّمَا كَانَ كَذْبَةً،قَالَ:فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ أُصْبُعَهُ فِي حَلْقِهِ فَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ،قَالَ:فَذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَأَخْبَرَهُ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " هيه،أَكْذَبْتَ أَبَا بَكْرٍ "،قَالَ:فَضَحِكَ،أَحْسَبُهُ قَالَ:ضَحِكًا شَدِيدًا،وَقَالَ:" وَيْحَكَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَهُ إِلَّا طَيِّبٌ "[٢٠٧].

---

[٢٠٣] - شعب الإيمان - (٧ / ٥٠٦) (٥٣٧٦) صحيح بغيره

[٢٠٤] - شعب الإيمان - (٧ / ٥٠٧) (٥٣٧٨) صحيح

[٢٠٥] - المستدرك للحاكم (٧١٦٢) صحيح لغيره

[٢٠٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٨٤٢) تكهنت ، التكهن : فعل الكاهن ، وهو إخباره لمن يسأله عما يسأله عنه.

[٢٠٧] - فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٦٦٧) فيه انقطاع

الأكل من الطعام الجيد النظيف،والحذر من تناول الطعام الملوث أو المكشوف،أو تناول الخضار والفواكه إلا بعد غسلها بشكل جيد،فعَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَسَّانَ،قَالَ:سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ،يَقُولُ:إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ،نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ،كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ،جَوَّادٌ يُحِبُّ الْجُودَ،فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَسَاحَاتِكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ،يَجْمَعُونَ الأَكْبَاءَ فِي دُورِهِمْ "[٢٠٨]

الأكل باليد اليمنى،وبثلاث أصابع منها يلعقها قبل مسحها أو غسلها.

فعنْ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- كَانَ يَأْكُلُ بِثَلاَثِ أَصَابِعَ فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا."[٢٠٩]

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ.[٢١٠]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ،قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: اجْلِسْ يَا بُنَيَّ وَسَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ قَالَ:فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ أَكْلَتِي بَعْدُ.[٢١١]

الأكل مما يلي من الطعام،دون مد اليد إلى ما كان في جوار الآخرين،أو إلى وسط الإناء.

فعن وَهْبَ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِى سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلاَمًا فِى حَجْرِ رَسُولِ اللَّـهِ - ﷺ- وَكَانَتْ يَدِى تَطِيشُ فِى الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّه - ﷺ- « يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ،وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ».فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِى بَعْدُ "متفق عليه[٢١٢].

تصغير اللقمة،وإجادة المضغ،وعدم تناول لقمة أخرى قبل الفراغ من تناول اللقمة السابقة وابتلاعها.

تجنب النفخ في الطعام الحار،وعدم تناول الأطعمة شديدة الحرارة وشديدة البرودة،وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- يَنْفُخُ فِى طَعَامٍ وَلاَ شَرَابٍ وَلاَ يَتَنَفَّسُ فِى الإِنَاءِ ».[٢١٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺنَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.[٢١٤]

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ،أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا ثَرَدَتْ غَطَّتْهُ شَيْئًا،حَتَّى يَذْهَبَ فَوْرُهُ،ثُمَّ تَقُولُ: إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- يَقُولُ: إِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ.[٢١٥]

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِى بَكْرٍ:أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا أُتِيَتْ بِثَرِيدٍ أَمَرَتْ بِهِ فَغُطِّىَ حَتَّى يَذْهَبَ فَوْرَةُ دُخَانِهِ وَتَقُولُ إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- يَقُولُ :« هُوَ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ ».[٢١٦]

---

[٢٠٨] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٠٢٩) ومسند البزار كاملا – (١ / ١٩٩)(١١١٤) ضعيف

[٢٠٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٤١٨)

[٢١٠] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٥٦) (٥٢٥٢) صحيح

[٢١١] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٠) (٥٢١١) صحيح

[٢١٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٣٧٦) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٣٨٨)

[٢١٣] – سنن ابن ماجه- المكتر – (٣٤١٣) صحيح

[٢١٤] – كشف الأستار – (٣ / ٣٣١) (٢٨٧١) صحيح

[٢١٥] – غاية المقصد فى زوائد المسند ٢ – (٢ / ١١٩) (٤٠٢٧) حسن

[٢١٦] – سنن الدارمى- المكتر – (٢٠٩٩) حسن

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"أَبْرِدُوا بِالطَّعَامِ،فَإِنَّ الطَّعَامَ الْحَارَّ غَيْرُ ذِي بَرَكَةٍ"[٢١٧].

تجنب الاقتراب بالفم فوق الإناء،لئلا يسقط فيه من الفم شيء.

الجلوس إلى الطعام باعتدال،وتجنب الأكل متكئا أو مائلا أو واقفا أو مضطجعا أو ماشيا.

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ الأَقْمَرِ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ - ﷺ- « لاَ آكُـلُ مُتَّكِئًـا » رواه البخاري[٢١٨].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ قَالَ:أُهْدِىَ إلى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- شَاةٌ وَالطَّعَامُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ فَقَـالَ لأَهْلِـه :« أَصْلِحُوا هَذِهِ الشَّاةَ وَانْظُرُوا إلى هَذَا الْخُبْزِ فَاثْرُدُوا وَاغْرِفُوا عَلَيْهِ ». وَكَانَتْ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِىَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا فَلَمَّـا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ أَعْرَابِىٌّ:مَا هَذِهِ يَعْنِى الْجِلْسَةَ؟ قَالَ :« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِى عَبْدًا كَرِيمًـا وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا عَصِيًّا كُلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا ». ثُمَّ قَالَ :« خُـذُوا كُلُـوا فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيُفْتَحَنَّ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ حَتَّى يَكْثُرَ الطَّعَامُ فَلاَ يُذْكَرَ عَلَيْهِ اسْـمُ اللَّـهِ ».[٢١٩]

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِىُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:الْمُتَّكِئُ هَا هُنَا هُوَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى الْوِطَاءِ الَّذِى تَحْتَهُ وَهُوَ الَّـذِى أَوْكَأَ مِقْعَدَتَهُ وَشَدَّهَا بِالْقُعُودِ عَلَى الْوِطَاءِ الَّذِى تَحْتَهُ يَعْنِى أَنِّى إِذَا أَكَلْتُ لَمْ أَقْعُدْ مُتَّكِئًا عَلَى الأَوْطِئَةِ وَالْوَسَائِدِ فِعْلَ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَكْثِرَ وَلَكِنِّى آكُلُ عُلْقَةً فَيَكُونُ قُعُودِى مُسْتَوْفِزًا لَهُ.[٢٢٠]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ.[٢٢١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺعَابَ طَعَامًا قَطُّ،كَانَ إِذَا اشْتَهَى أَكَلَهُ،وَإِنْ لَـمْ يَشْـتَهِ سَكَتَ "[٢٢٢]

تجنب ذم شيء من الأطعمة،فهي من نعم الله تعالى .

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ مَا عَابَ النَّبِىُّ - ﷺ- طَعَامًا قَطُّ،إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ،وَإِنْ كَرِهَـهُ تَرَكَـهُ .. متفـق عليه[٢٢٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،إِذَا اشْتَهَى أَكَلَ،وَإِلاَّ تَرَكَ.[٢٢٤]

---

[٢١٧] – المعجم الكبير للطبراني – (١٩ / ٤٥٤) (١٠٨٥) حسن

[٢١٨] – صحيح البخارى- المكتز – (٥٣٩٨)

[٢١٩] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتز – (٧ / ٢٨٣)(١٥٠٤٩) حسن

[٢٢٠] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتز – (٧ / ٢٨٣)

[٢٢١] – كشف الأستار – (٣ / ١٥٧) (٢٤٦٩) حسن

[٢٢٢] – مسند أبي عوانة (٦٨١٩) صحيح

[٢٢٣] – صحيح البخارى- المكتز – (٥٤٠٩) وصحيح مسلم- المكتز – (٥٥٠١)

[٢٢٤] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٤٨) (٦٤٣٦) صحيح

تجنب الاستهتار بالنعمة مهما قلت،والمحافظة عليها مهما دقّت،والحذر من إلقاء ما بقي منها بعد الطعام في سلة المهملات.

فعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ « إِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِى أَيِّهِ الْبَرَكَةُ ». رواه مسلم[٢٢٥].

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ طَعَامِهِ،فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ،فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ يُبَارَكُ لَهُ.[٢٢٦]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ؛ أَنَّهُ كَانَ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ إِذَا أَكَلَ،وَقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ.[٢٢٧]

تجنّب الإكثارمن الطعام والإسراف في تناوله إلى حد التخمة،لأن البطنة تذهب الفطنة وتورث الأمراض،قال الله تعالى:{ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} الأعراف.

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ،حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكَلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ،فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ طَعَامُهُ،وَثُلُثٌ شَرَابُهُ،وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "[٢٢٨]

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ،حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكَلَاتٌ،يُقِمْنَ صُلْبَهُ،فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ،فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ،وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ،وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "[٢٢٩]

تجنب التفاخر في أنواع الأطعمة،والتباهي في أطايبها،لأن في ذلك كسر لقلب الفقير،وتشبه بالكفار الذين لا يعرفون من الدنيا إلا اللذائذ والشهوات،قال الله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} (١٢) سورة محمد.

وَفي يَوْمِ القِيَامةِ يُدخِلُ اللهُ تعالى الذينَ آمَنُوا به،وَبِكُتُبِه،وَرُسُلِه،وَعَمِلُوا الأعْمَالَ الصَّالِحَات،جَنَّاتٍ تَجري في أرْضِها الأنهَارُ جَزاءً لَهُم عَلَى إيمَانِهِمْ.أمَّا الكَافِرُونَ الذين كَفَرُوا باللهِ وبكُتُبِه،وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ،فَإِنَّهُم يَتَمَتَّعُونَ بما في هذه الدُّنيا مِنْ مَتَاعٍ زَائِلٍ،وَيَأكُلُونَ فِيها كَالأنعَامِ،غَيرَ مُفَكِّرِينَ في عَواقِبِ أمُورِهِمْ،وَلا مُعْتَبِرِينَ بِما أقَامَهُ اللهُ لِلْعِبَادِ منَ الأدِلَّةِ على وُجُودِهِ ووَحْدَانِيَّتِهِ تعالى،وَسَيَصِيرُونَ في الآخِرَةِ إلى جَهَنَّمَ فَتَكُونُ مَسْكَنَهُمْ وَمَأوَاهُمْ .[٢٣٠]

---

[٢٢٥] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٤٢٠)

[٢٢٦] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ١٠٨) (٢٤٩٤٣) صحيح

[٢٢٧] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ١٠٨) (٢٤٩٤٤) صحيح

[٢٢٨] – شعب الإيمان – (٧ / ٤٤٧) (٥٢٦١) صحيح

[٢٢٩] – شعب الإيمان – (٧ / ٤٤٨) (٥٢٦٣) صحيح

[٢٣٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٤٣٦)

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:كُلُوا،وَاشْرَبُوا،وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلا مَخِيلَةٍ،إِنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ "[٢٣١]

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺرَجُلًا رَثَّ الْهَيْئَةِ وَقَالَ مَرَّةً: رَأَى رَجُلًا عَلَيْهِ أَطْمَارٌ لَهُ يَعْنِي خَلَقَ الثِّيَابِ قَالَ: فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺفَقَالَ: " هَلْ لَكَ شَيْءٌ ؟ " قَالَ: قَالَ: نَعَمْ،قَالَ: " فَكُلْ وَاشْرَبْ وَالْبَسْ وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ،فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ "[٢٣٢]

التحدث على الطعام بما يفيد من حكايات الصالحين،والأمر بالمعروف والخير،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ فَقَالُوا مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ « نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ ».[٢٣٣]

وعَنْ جَابِرٍ:أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ تَمْرًا عَلَى تُرْسٍ،فَمَرَّ بِنَا النَّبِيُّ ﷺ،فَقُلْنَا:هَلُمَّ،فَتَقَدَّمَ فَأَكَلَ مَعَنَا مِنَ التَّمْرِ،وَلَمْ يَمَسَّ مَاءً.[٢٣٤]

تجنب الضحك والقهقهة أثناء الطعام،أو الاستهزاء بأحد أو استغابته،أو النظر في وجوه الحاضرين.

تجنب إدخال الطعام مهما كان كان قليلا،لضرره الصحي البالغ.

تجنب النوم بعد الأكل مباشرة،أو الاستحمام أو القيام بأعمال جسدية أو فكرية مجهدة إلا بعد نيل قسط من الراحة.

فعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ وَالصَّلَاةِ وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ لَهُ قُلُوبُكُمْ "[٢٣٥] .

تجنب استخدام أواني الذهب والفضة وصحونها وملاعقها لحرمة استخدامها. فعَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَائِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانُ بِقَدَحٍ مِنْ فِضَّةٍ،فَرَمَاهُ بِهِ وَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ بِهِ إِلَّا أَنِّي قَدْ نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺنَهَانَا عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ،وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،وَقَالَ: " هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ " [٢٣٦]

وعَنِ الْحَكَمِ،قَالَ:سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى يُحَدِّثُ،أَنَّ حُذَيْفَةَ اسْتَسْقَى،فَأَتَاهُ إِنْسَانٌ بِإِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ،وَقَالَ:إِنِّي كُنْتُ قَدْ نَهَيْتُهُ فَأَبَى أَنْ يَنْتَهِيَ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺنَهَانَا أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،وَعَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ،وَقَالَ:هُوَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ.[٢٣٧]

---

[٢٣١] – المستدرك للحاكم (٧١٨٨) صحيح

[٢٣٢] – شعب الإيمان – (٨ / ٢٥٩) (٥٧٨٥) صحيح مرسل

[٢٣٣] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٤٧٣)

[٢٣٤] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٤٣٥) (١١٦٠) صحيح

[٢٣٥] – شعب الإيمان – (٨ / ١٦٧) (٥٦٤٤) ضعيف

[٢٣٦] – شعب الإيمان – (٨ / ٣٧٨) (٥٩٦٢) صحيح

[٢٣٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٧٣٠)(٢٣٣٧٤) ٢٣٧٦٦- صحيح

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ:كُنْتُ مَعَ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ بِالْمَدَائِنِ،فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِإِنَاءٍ فَرَمَاهُ بِهِ مَا يَأْلُو أَنْ يُصِيبَ بِهِ وَجْهَهُ،ثُمَّ قَالَ:لَوْلاَ أَنِّي تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ مَرَّةً،أَوْ مَرَّتَيْنِ،لَمْ أَفْعَلْ بِهِ هَـذَا،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺنَهَانَا أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ،وَأَنْ نَلْبَسَ الْحَرِيرَ وَالدِّيبَاجَ،قَالَ:هُوَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا،وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ.[٢٣٨]

تجنب الابتداء بالطعام وفي المجلس من هو أكبر سنا أو أفضل علما وقدرا.فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِىِّ -ﷺ- طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فَيَضَعَ يَدَهُ وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِى الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِه فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّه عَلَيْه وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِه الْجَارِيَة لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِىِّ لِيَسْتَحِلَّ بِه فَأَخَذْتُ بِيَدِه وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إِنَّ يَدَهُ فِى يَدِى مَعَ يَدِهَا ». رواه مسلم[٢٣٩].

تجنب الانفراد بالطعام إذا كان هناك إمكان للاجتماع عليه،فهو أكثر بركة ومحبة وجمعا للقلوب. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- « طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِى الثَّلاَثَةِ،وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِى الأَرْبَعَة »[٢٤٠] .

وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ،قَالَ:سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ،يَقُولُ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ،وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ،وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ." [٢٤١]

وعَنْ عُمَرَ،قَالَ:غَلا السِّعْرُ بِالْمَدِينَةِ وَاشْتَدَّ الْجَهْدُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اصْبِرُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنِّي قَدْ بَارَكْتُ عَلَى صَاعِكُمْ وَمُدِّكُمْ،فَكُلُوا وَلا تَفَرَّقُوا،فَإِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاِثْنَيْنِ،وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ،وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الْخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ،وَإِنَّ الْبَرَكَةَ فِي الْجَمَاعَةِ،فَمَنْ صَبَرَ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا رَغْبَةً عَمَّا فِيهَا،أَبْدَلَ اللَّهُ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِيهَا،وَمَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ،أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ."[٢٤٢]

وعَنْ سَمُرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:طَعَامُ الْوَاحِدِ،يَكْفِي الاِثْنَيْنِ،وَطَعَامُ الاِثْنَيْنِ،يَكْفِي الأَرْبَعَةَ،وَيَدُ اللَّهِ تعالى عَلَى الْجَمَاعَةِ."[٢٤٣]

وعَنْ وَحْشِىٍّ بْنُ حَرْبٍ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّا نَأْكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ. قَالَ « فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ ». قَالُوا نَعَمْ. قَالَ « فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّه عَلَيْه يُبَارَكْ لَكُمْ فِيه

---

[٢٣٨] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٧٥٣)(٢٣٤٦٤) ٢٣٨٥٨- صحيح

[٢٣٩] - صحيح مسلم- المكتر - (٥٣٧٨)

[٢٤٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٣٩٢)

[٢٤١] - صحيح مسلم- المكتر - (٥٤٨٩)

[٢٤٢] - كشف الأستار - (٢ / ٥١) (١١٨٥) حسن

[٢٤٣] - كشف الأستار - (٣ / ٣٣٢) (٢٨٧٤) حسن لغيره

». قَالَ أَبُو دَاوُدَ إِذَا كُنْتَ فِى وَلِيمَةٍ فَوُضِعَ الْعَشَاءُ فَلاَ تَأْكُلْ حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ صَاحِبُ الدَّارِ. رواه أبو داود [٢٤٤]

الحمد لله تعالى وشكره والثناء عليه في نهاية الطعام.

فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ ». رواه أبو داود[٢٤٥] .

[٢٤٤] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٧٦٦) حسن

[٢٤٥] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٨٥٢) ضعيف

-١٠-آداب الشرب

الشراب مثل الطعام. بل هو أكثر منه ضرورة،وأشد خطرا،فقد يصبر المرء على الجوع ولكنه لا يصبر على الظمأ قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)} الأنبياء.

ولقد منّ الله على عباده في كثير من آياته بعملية إنزال الماء من السماء وما تتطلبه من ظواهره معجزة.

قال تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩)} الواقعة.

وقال:{ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)} الحجر٢٢.

والمؤمن يأكلُ ويشرب من رزق الله وفي كل ذلك يشعر أنه عل مائدة الله،محتاج إلى فضله،وعاجز عن أداء شكره،وذاكر لجوده وكرمه على الدوام:

قال تعالى على لسان النبي إبراهيم عليه السلام :{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)} الشعراء.

وهذه بعض آداب الشراب.

التسمية في أوله،والحمد في آخره،كأن يقول:

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ،قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا شَرِبَ الْمَاءَ،قَالَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِه،وَلَمْ يَجْعَلُهُ مَالِحًا لجَاجًا بِذُنُوبِنَا " [٢٤٦].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شُبْرُمَةَ،أَنَّ الْحَسَنَ،كَانَ،يَقُولُ: ذَلِكَ إِذَا شَرِبَ الْمَاءَ"[٢٤٧]

وقَالَ: قَالَ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَ أَبِي – رَحِمَهُ اللهُ – لَا يَدَعُ أَحَدًا يَسْتَقِي لَهُ الْمَاءَ لِلْوُضُوءِ إِلَّا هُوَ،وكَانَ إِذَا خَرَجَ الدَّلْو مَلَأَ،قَالَ: " الْحَمْدُ لِلَّه ".قُلْتُ: يَا أَبِه أَيُّ شَيْءٍ الْفَائِدَةُ ؟،قَالَ: يَا بُنَيَّ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ،يَقُولُ: { أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ } [الملك: ٣٠] [٢٤٨]"

يستحب الشرب في حالة القعود،فهو أفضل صحيا،وأكمل أدبا.

---

[٢٤٦] – شعب الإيمان – (٦ / ٢٧٢) (٤١٦٢) فيه ضعف وإرسال

[٢٤٧] – شعب الإيمان – (٦ / ٢٧٣) (٤١٦٣) صحيح مقطوع

[٢٤٨] – شعب الإيمان – (٦ / ٢٧٣) (٤١٦٤)

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قَتَادَةُ فَقُلْنَا فَالأَكْلُ فَقَالَ ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ. رواه مسلم[٢٤٩].

ويجوز الشرب قائما لحاجة،فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:كُنَّا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺنَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي،وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ.[٢٥٠]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ،عَنْ جَدَّةٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا كَبْشَةُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺدَخَلَ عَلَيْهَا،فَشَرِبَ مِنْ فَمِ قِرْبَةٍ وَهُوَ قَائِمٌ،فَقَامَتْ إِلَيْهِ فَقَطَعَتْهُ فَأَمْسَكَتْهُ.[٢٥١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺشَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ.[٢٥٢]

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ،قَالَ:حَدَّثَنِي النَّزَّالُ بْنُ سَبْرَةَ،قَالَ:صَلَّيْنَا مَعَ عَلِيٍّ الظُّهْرَ،ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الرَّحْبَةِ،قَالَ:فَدَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ،فَأَخَذَهُ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَرَأْسَهُ وَقَدَمَيْهِ،ثُمَّ شَرِبَ فَضْلَهُ وَهُوَ قَائِمٌ،ثُمَّ قَالَ:إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَ أَنْ يَشْرَبُوا وَهُمْ قِيَامٌ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺصَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ،وَقَالَ:هَذَا وُضُوءُ مَنْ لَمْ يُحْدِثْ.[٢٥٣]

تناول الكأس باليد اليمنى والشرب بها.

عن حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺكان يجعل يمينه لطعامه وشرابه،ويجعل يساره لما سوى ذلك. رواه أبو داود والترمذي.

مص الماء مصا،وعدم عبه أو صبه في الحلق صبا،لأن المصّ أثناء الشرب أهنأ وأمرأ.

فعَنِ ابْنِ أَبِى حُسَيْنٍ أَن النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ :« إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمُصَّ مَصًّا وَلاَ يَعُبَّ عَبًّا فَإِنَّ الْكُبَادَ مِنَ الْعَبِّ ».[٢٥٤].

وقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِمُؤَدِّبِ وَلَدِه:عَلِّمْهُمُ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ،وَجَنِّبْهُمُ السفلة ؛ فإنهم أسوأ النَّاسِ دِعَةً وَأَقَلُّهُمْ أَدَبًا،وَجَنِّبْهُمُ الْحَشَمَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَفْسَدَةٌ،وَأَخْفِ شُعُورَهُمْ تَغْلُظْ رِقَابُهُمْ،وَأَطْعِمْهُمُ اللَّحْمَ يَقْوَوْا،وَعَلِّمْهُمُ الشِّعْرَ يُمَجَّدُوا وَيَنْجِدُوا،وَمُرْهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عَرْضًا،وَيَمُصُّوا الْمَاءَ مَصًّا،وَلا يَعُبُّوا عَبًّا،وَإِذَا احْتَجْتَ أَنْ تَتَنَاوَلَهُمْ بِأَدَبٍ،فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِرٍّ لا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الْغَاشِيَةِ فَيَهُونُوا عَلَيْهِمْ ."[٢٥٥]

---

[٢٤٩] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٣٩٤)

[٢٥٠] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٤١) (٥٣٢٢-) صحيح

[٢٥١] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٣٨) (٥٣١٨) صحيح

[٢٥٢] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٣٩) (٥٣١٩) صحيح

[٢٥٣] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٤٤) (٥٣٢٦) صحيح

[٢٥٤] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتز – (٧ / ٢٨٤) (١٥٠٥٥) ومصنف عبد الرزاق (١٩٥٩٥) صحيح مرسل

جنب : باعد –الحشم : خاصة الرجل الذين يغضبون لغضبه ، ولما يصيبه من مكروه من عبيد أو أهل أو جيرة

[٢٥٥] – المجالسة وجواهر العلم – (٤ / ٥١٦) (١٧٦٦) فيه انقطاع

الشرب على ثلاث دفعات،يبدأ كلا منها بالتسمية،ويختم بالحمد.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهُمَا،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:لا تَشْرَبُوا كَشُرْبِ الْبَعِيرِ،وَاشْرَبُوا اثْنَيْنِ وَثَلاثًا،وَسَمُّوا اللَّهَ إِذَا شَرِبْتُمْ،وَاحْمَدُوا اللَّهَ إِذَا رَفَعْتُمْ.[٢٥٦]

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ الْبَعِيرِ وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاَثَ وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ »رواه الترمذي[٢٥٧] .

تجنّب النفخ في الإناء أو التنفس فيه.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُتَنَفَّسَ فِى الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ. رواه أبو داود[٢٥٨] .

قَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَهَذَا لأَنَّ الْبُخَارَ الَّذِي يَرْتَفِعُ مِنَ الْمَعِدَةِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ الرَّأْسِ وَكَذَلِكَ رَائِحَةُ الْجَوْفِ قَدْ يَكُونَانِ كَرِيهَيْنِ فَإِمَّا إِنْ يُعَلِّقَا بِالْمَاءِ فَيَضُرَّا وَإِمَّا أَنْ يُفْسِدَا السُّؤْرَ عَلَى غَيْرِ الشَّارِبِ لأَنَّهُ قَدْ يَتَقَذَّرُ إِذَا عَلِمَ بِهِ فَلَا يَشْرَبُ وَذَكَرَ كُلَيْبٌ الْجَرْمِيُّ أَنَّهُ شَهِدَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نَهَى الْقَصَّابِينَ عَنِ النَّفْخِ فِي اللَّحْمِ وَهُوَ نَظِيرُ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِي جَاءَ النَّهْيُ عَنْهُ،لأَنَّ النَّكْهَةَ رُبَّمَا كَانَتْ كَرِيهَةً فَكَرَّهَتِ اللَّحْمَ وَغَيَّرَتْ رِيحَهُ وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ بِالتَّجَارُبِ[٢٥٩]

تجنب الشرب من فم الإبريق أو السقاء،ولكن يصب منها في كأسه ويشرب.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - نَهَى النَّبِىُّ - ﷺ- أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِى السِّقَاءِ.رواه البخاري[٢٦٠] .

وعن عِكْرِمَةَ قَالَ:أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَشْيَاءَ قِصَارٍ سَمِعْنَاهَا مِنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِى السِّقَاءِ.[٢٦١]

تجنب الإسراف في شرب الماء،وخاصة أثناء الطعام لأنه يعيق عملية الهضم،ويكون الشرب قبل الطعام بنصف ساعة أو بعده بساعة على الأقل.

تجنب الشرب في أواني الذهب والفضة لحرمة استعمالها.

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ - ﷺ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « الَّذِى يَشْرَبُ فِى إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِى بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ »[٢٦٢]..

---

[٢٥٦] – المعجم الكبير للطبراني – (٩ / ٣٦٩) (١١٢١٥) ضعيف

[٢٥٧] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٠٠٦) ضعيف

[٢٥٨] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٧٣٠) صحيح

[٢٥٩] – شعب الإيمان – (٨ / ١٣٦)

[٢٦٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٦٢٨)

[٢٦١] – مسند الحميدي – المكتر – (١١٩٣) صحيح

[٢٦٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٦٣٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٥٠٦)

يجرجر : يحدر فيه

يمسك الساقي الإناء أثناء توزيع الشراب باليد اليسرى،ويعطي الكوب باليد اليمنى،ويبدأ أولا بسيّد القوم أو أفضلهم علما وقدرا،ثم يعطي الأيمن فالأيمن.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأُتِيَ بِلَبَنٍ،قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ مِنَ الْبِئْرِ،وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ،وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ،فَشَرِبَ،ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ،وَقَالَ:الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ.. متفق عليه[٢٦٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأُتِيَ بِلَبَنٍ وَقَدْ شِيبَ بِمَاءٍ،وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ،فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ،وَقَالَ:الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ.[٢٦٤]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَدِمَ النَّبِيُّ -ﷺ- الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ وَكُنَّ أُمَّهَاتِى يَحْثُثْنَنِى عَلَى خِدْمَتِه فَدَخَلَ عَلَيْنَا دَارَنَا فَحَلَبْنَا لَهُ مِنْ شَاةٍ دَاجِنٍ وَشِيبَ لَهُ مِنْ بِئْرٍ فِى الدَّارِ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فَقَالَ لَهُ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ شِمَالِه يَا رَسُولَ اللَّه أَعْطِ أَبَا بَكْرٍ. فَأَعْطَاهُ أَعْرَابِيًّا عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ ».[٢٦٥]

وقَالَ أَبُو طَوَالَةَ - اسْمُهُ عَبْدُ اللَّه بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ -: سَمِعْتُ أَنَسًا - رضى الله عنه - يَقُولُ أَتَانَا رَسُولُ اللَّه - ﷺ- فِى دَارِنَا هَذه،فَاسْتَسْقَى،فَحَلَبْنَا لَهُ شَاةً لَنَا،ثُمَّ شُبْتُهُ مِنْ مَاءِ بِئْرِنَا هَذه،فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ،وَعُمَرُ تُجَاهَهُ وَأَعْرَابِىٌّ عَنْ يَمِينِه فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ عُمَرُ هَذَا أَبُو بَكْرٍ.فَأَعْطَى الأَعْرَابِىَّ،ثُمَّ قَالَ « الأَيْمَنُونَ،الأَيْمَنُونَ،أَلاَ فَيَمِّنُوا ».قَالَ أَنَسٌ فَهْىَ سُنَّةٌ فَهْىَ سُنَّةٌ.ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[٢٦٦].

يكون ساقي القوم آخرهم شربا.

فعَنْ أَبِى قَتَادَةَ قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فَقَالَ « إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا ». فَانْطَلَقَ النَّاسُ لاَ يَلْوِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ - قَالَ أَبُو قَتَادَةَ - فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ وَأَنَا إِلى جَنْبِه - قَالَ - فَنَعَسَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِه فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِه - قَالَ - ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ مَالَ عَنْ رَاحِلَتِه - قَالَ - فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِه - قَالَ - ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ مَالَ مَيْلَةً هِىَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ « مَنْ هَذَا ». قُلْتُ أَبُو قَتَادَةَ. قَالَ « مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّى ».

قُلْتُ مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِى مُنْذُ اللَّيْلَةِ. قَالَ « حَفِظَكَ اللَّهُ بِمَا حَفِظْتَ بِه نَبِيَّهُ ». ثُمَّ قَالَ « هَلْ تَرَانَا نَخْفَى عَلَى النَّاسِ ». ثُمَّ قَالَ « هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ ». قُلْتُ هَذَا رَاكِبٌ. ثُمَّ قُلْتُ هَذَا رَاكِبٌ آخَرُ.

---

[٢٦٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٦١٩) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٤٠٨) شيب : خُلِط

[٢٦٤] - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٥١) (٥٣٣٤) صحيح

[٢٦٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٥٤٠٩) -شيب : خُلِط

[٢٦٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٥٧١)

فشبت : الشوب :الخلط والمزج. -تجاهه : تجاه الشيء : مقابله وحذاؤه.-داجن : الشاة التي تألف البيت ، وتكون معدة للبن.جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٥ / ٨٤)

حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَكُنَّا سَبْعَةَ رَكْبٍ - قَالَ - فَمَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الطَّرِيقِ فَوَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ « احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلاَتَنَا ». فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَالشَّمْسُ فِى ظَهْرِهِ - قَالَ - فَقُمْنَا فَزِعِينَ ثُمَّ قَالَ « ارْكَبُوا ». فَرَكِبْنَا فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِى فِيهَا شَىْءٌ مِنْ مَاءٍ - قَالَ - فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءًا دُونَ وُضُوءٍ - قَالَ - وَبَقِىَ فِيهَا شَىْءٌ مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ لأَبِى قَتَادَةَ « احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ ». ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ كُلَّ يَوْمٍ - قَالَ - وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَرَكِبْنَا مَعَهُ - قَالَ - فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَهْمِسُ إِلَى بَعْضٍ مَا كَفَّارَةُ مَا صَنَعْنَا بِتَفْرِيطِنَا فِى صَلاَتِنَا ثُمَّ قَالَ « أَمَا لَكُمْ فِىَّ أُسْوَةٌ ». ثُمَّ قَالَ « أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِى النَّوْمِ تَفْرِيطٌ إِنَّمَا التَّفْرِيطُ عَلَى مَنْ لَمْ يُصَلِّ الصَّلاَةَ حَتَّى يَجِىءَ وَقْتُ الصَّلاَةِ الأُخْرَى فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلْيُصَلِّهَا حِينَ يَنْتَبِهُ لَهَا فَإِذَا كَانَ الْغَدُ فَلْيُصَلِّهَا عِنْدَ وَقْتِهَا ». ثُمَّ قَالَ « مَا تَرَوْنَ النَّاسَ صَنَعُوا ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « أَصْبَحَ النَّاسُ فَقَدُوا نَبِيَّهُمْ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بَعْدَكُمْ لَمْ يَكُنْ لِيُخَلِّفَكُمْ. وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا ». قَالَ فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ وَحَمِىَ كُلُّ شَىْءٍ وَهُمْ يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْنَا عَطِشْنَا. فَقَالَ « لاَ هُلْكَ عَلَيْكُمْ ». ثُمَّ قَالَ « أَطْلِقُوا لِى غُمَرِى ». قَالَ وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِى الْمِيضَأَةِ تَكَابُّوا عَلَيْهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَحْسِنُوا الْمَلأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى ». قَالَ فَفَعَلُوا فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ حَتَّى مَا بَقِىَ غَيْرِى وَغَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- - قَالَ - ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ لِى « اشْرَبْ ». فَقُلْتُ لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « إِنَّ سَاقِىَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا ». قَالَ فَشَرِبْتُ وَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- - قَالَ - فَأَتَى النَّاسُ الْمَاءَ جَامِّينَ رِوَاءً. قَالَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَاحٍ إِنِّى لأُحَدِّثُ هَذَا الْحَدِيثَ فِى مَسْجِدِ الْجَامِعِ إِذْ قَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ انْظُرْ أَيُّهَا الْفَتَى كَيْفَ تُحَدِّثُ فَإِنِّى أَحَدُ الرَّكْبِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. قَالَ قُلْتُ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ. فَقَالَ مِمَّنْ أَنْتَ قُلْتُ مِنَ الأَنْصَارِ. قَالَ حَدِّثْ فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِحَدِيثِكُمْ. قَالَ فَحَدَّثْتُ الْقَوْمَ فَقَالَ عِمْرَانُ لَقَدْ شَهِدْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَمَا شَعَرْتُ أَنَّ أَحَدًا حَفِظَهُ كَمَا حَفِظْتُهُ.[٢٦٧]

وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ.[٢٦٨]

---

[٢٦٧] - صحيح مسلم- المكتز - (١٥٩٤)

اهار : انتصف -ينجفل : ينقلب ويسقط -دعم : أسند وأقام ميله من النوم -الرواء : رووا من الماء -أطلقوا : ائتوا -الغُمر : القدح الصغير -الملأ : الخُلق والعشرة -تمور : ذهب أكثره

[٢٦٨] - صحيح ابن حبان - (١٢ / ١٥٤) (٥٣٣٨) صحيح

وعَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ،مَنْ بَنِي أَسَدٍ،قَالَ:سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى قَالَ:كُنَّا فِي سَفَرٍ فَلَمْ نَجِدِ الْمَاءَ،قَالَ:ثُمَّ هَجَمْنَا عَلَى الْمَاءِ بَعْدُ،قَالَ:فَجَعَلُوا يَسْقُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَكُلَّمَا أَتَوْهُ بِالشَّرَابِ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ،ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،حَتَّى شَرِبُوا كُلُّهُمْ.[٢٦٩]

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ:أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺوَأَصْحَابَهُ عَطَشٌ،قَالَ:فَنَزَلَ مَنْزِلاً،فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ،فَجَعَلَ يَسْقِي أَصْحَابَهُ،وَجَعَلُوا يَقُولُونَ:اشْرَبْ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ حَتَّى سَقَاهُمْ كُلَّهُمْ.[٢٧٠]

[٢٦٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٤٩٠) (١٩١٢١) ١٩٣٣٢– صحيح

[٢٧٠] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٥٦٤) (١٩٤١٢) ١٩٦٣٢– صحيح

-١١-آداب اللباس

اللباس من نعم الله تعالى التي خصّ بها الإنسان من بين المخلوقات ليتقي بها العوامل الطبيعية من حر وبرد وشمس ومطر.. وليستر بها عورته ويواري سوأته،ويحفظ كرامته،ويتجمل بها في حياته.. قال تعالى:{وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} (٨١) سورة النحل.

والله جعل لكم ما تستظلُّون به من الأشجار وغيرها،وجعل لكم في الجبال من المغارات والكهوف أماكن تلجؤون إليها عند الحاجة،وجعل لكم ثيابًا من القطن والصوف وغيرهما،تحفظكم من الحر والبرد،وجعل لكم من الحديد ما يردُّ عنكم الطعن والأذى في حروبكم،كما أنعم الله عليكم بهذه النعم يتمُّ نعمته عليكم ببيان الدين الحق؛ لتستسلموا لأمر الله وحده،ولا تشركوا به شيئًا في عبادته.[٢٧١]

وقد علم الله تعالى الإنسان صناعة الثياب بمختلف أشكالها وأمره أن يستتر بها ويتقي ما يواجهه خلال حياته قال تعالى عن سيدنا داود: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ} (٨٠) سورة الأنبياء

واختصَّ الله داود عليه السلام بأن علَّمه صناعة الدروع يعملها حلَقًا متشابكة،تسهِّل حركة الجسم؛ لتحمي المحاربين مِن وَقْع السلاح فيهم،فهل أنتم شاكرون نعمة الله عليكم حيث أجراها على يد عبده داود؟[٢٧٢]

ولقد أتانا فيما أتانا من ضلالات الغرب وصرعات الجاهلية الحديثة دعوة جديدة إلى التعري وإظهار العورات مسخا للإنسان،وانتكاسه إلى الحيوانية العجماء..

كما تصدّر لنا بيوت الأزياء اليهودية كل عام تصاميم لملابس لا همّ لها سوى إظهار المفاتن وعرض المغريات وفتن عقول الشباب والشابات،واستباحة الأهواء والشهوات.. فهي ملابس إلى العري أقرب منها إلى الستر..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَمْ أَرَهُمَا:قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلاَتٌ مُمِيلاَتٌ رُؤُوسُهُنَّ مِثْلُ أَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ،وَلاَ يَجِدُونَ رِيحَهَا،وَإِنَّ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا.[٢٧٣].

---

[٢٧١] – التفسير الميسر – (٤ / ٤٥١)

[٢٧٢] – التفسير الميسر – (٥ / ٤٩٦)

[٢٧٣] – صحيح ابن حبان – (١٦ / ٥٠٠) (٧٤٦١) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا »[٢٧٤].

وهذه باقة من الآداب الإسلامية في اللباس:

الابتداء بتسمية الله تعالى،كما تستحب التسمية في جميع الأعمال.

جعل النية من اللباس أمر الله تعالى في ستر العورة،لا التباهي بزينة اللباس،ومراءاة الناس بها.

قال تعالى:{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} الأعراف.

يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم،وهو لباس الضرورة،ولباسًا للزينة والتجمل،وهو من الكمال والتنعم. ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم،فتشكروا لله عليها. وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خَلْقه بهذه النعم.[٢٧٥]

الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ:

فعَنْ أَبِي سَعِيد،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ وَقَالَ:" اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا الثَّوْبَ فَلَكَ الْحَمْدُ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ "[٢٧٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ،فَقَالَ:اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِي هَذَا فَلَكَ الْحَمْدُ،أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ.،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ،وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ " قَالَ أَبُو نَضْرَةَ:" فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺإِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ:تُبْلَى وَيُخْلِفُ اللَّهُ تعالى "[٢٧٧]

الدعاء بما ورد عن النبي ﷺعند لبس ثوب جديد.

---

[٢٧٤] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٧٠٤)

كاسيات عاريات ، الكاسية العارية : هي التي تلبس الرقيق من الثياب الذي يشف ، يقال : كسا يكسو : إذا صار ذا كسوة ، فهو كاس ، وقيل يكسين بعض أجسامهن ويلقين خمرهن من ورائهن ، فتظهر صدورهن.

مائلات مميلات ، المائلات : الزائغات عن طاعة الله تعالى وعما يلزمهن من حفظ الفروج ، والمميلات : اللاتي يعلمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن. وقيل : مائلات : متبخترات في مشيهن مميلات : يملن أعطافهن ، وقيل : المائلات اللاتي يمتشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا ، والمميلات : اللاتي يمشطن غيرهن تلك المشطة.جامع الأصول في أحاديث الرسول – (١٠ / ٦٩٨)

[٢٧٥] – التفسير الميسر – (٢ / ٤٨٧)

[٢٧٦] – الدُّعَاءُ لِلطَّبَرَانِيِّ >> بَابُ الْقَوْلِ عِنْدَ اسْتِجْدَادِ الثِّيَابِ (٣٦٢) صحيح

[٢٧٧] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٢٤٠)(٥٤٢١) وسنن أبي داود – المكتز –(٤٠٢٢) صحيح

فعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ لَبِسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب رضى الله عنه ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ الْحَمْدُ للَّه الَّذى كَسَانى مَا أُوَارِى به عَوْرَتى وَأَتَجَمَّلُ به فِى حَيَاتى. ثُمَّ عَمَدَ إلى الثَّوْب الَّذى أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ به ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- يَقُولُ « مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ الْحَمْدُ للَّه الَّذى كَسَانى مَا أُوَارِى به عَوْرَتى وَأَتَجَمَّلُ به فِى حَيَاتى ثُمَّ عَمَدَ إلى الثَّوْب الَّذى أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ به كَانَ فِى كَنَف اللَّه وَفِى حِفْظ اللَّه وَفِى سَتْر اللَّه حَيًّا وَمَيِّتًا ». رواه الترمذي[٢٧٨].

وعَنْ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺرَأَى عَلَى عُمَرَ ثَوْبًا غَسِيلاً،فَقَالَ:أَجَدِيدٌ ثَوْبُك هَذَا ؟ قَالَ:غَسِيلٌ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اِلْبَسْ جَدِيدًا،وَعِشْ حَمِيدًا،وَتَوَفَّ شَهِيدًا،يُعْطِكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.[٢٧٩]

اختيار أوساط الثياب،والمعتدلة منها،دون مبالغة ومغالاة،ودون تبذل وإهمال.

التأكد من نظافة الثوب وطهارته،لتصح العبادة به،ولأن المؤمن نظيف البدن والثوب طاهرهما.

قال تعالى:{ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)} المدثر ٤.

أَيْ طَهِّرْ نَفْسَكَ مِنَ الذُّنُوبِ،وَأَصْلِحْ عَمَلَكَ،وَطَهِّرْ ثِيَابَكَ بِالْمَاءِ مِمَّا لَحِقَ بِهَا مِنَ النَّجَاسَةِ .فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

اجتناب التفاخر بالثياب أو إطالتها حتى تمسّ الأرض تكبرا واستعلاء،بل ينبغي رفعها عن الأرض لأنه أتقى وأنقى وأبقى.

فعَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ عَنِ الإِزَارِ فَقَالَ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إلى نِصْفِ السَّاقِ وَلاَ حَرَجَ - أَوْ لاَ جُنَاحَ - فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِى النَّارِ مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ ».[٢٨٠]

وعَنِ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:ذُكِرَ الإِزَارُ،فَأَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ،فَقُلْتُ:أَخْبِرْنِي عَنِ الإِزَارِ،فَقَالَ:أَجَلْ بِعِلْمٍ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ،لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ،وَمَا أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فَفِي النَّارِ،مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ.[٢٨١]

---

[٢٧٨] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٩٠٨) حسن لغيره - أخلق : بلى

[٢٧٩] - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٢٦٥) (٢٥٥٩٧) حسن لغيره

[٢٨٠] - سنن أبي داود - المكتر - (٤٠٩٥) صحيح

قال الشيخ : قوله فهو في النار يتأول على وجهين أحدهما أن ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار عقوبة له على فعله.

والوجه الآخر أن يكون معناه أن صنيعه ذلك وفعله الذي فعله في النار على معنى أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار والله أعلم.معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ١٩٧)

[٢٨١] - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٦٦) (٥٤٥٠) صحيح

فَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَجُرَّ ثَوْبَهُ بِقَصْدِ التَّكَبُّرِ . إِذْ أَنَّ مَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ بِهِ حَاجَةٌ فَمَنَعَهُ مِنْهُ . وَأَبَاحَ ذَلِكَ لِلنِّسَاءِ ، فَلِلْمَرْأَةِ أَنْ تَجُرَّ ثَوْبَهَا خَلْفَهَا شِبْرًا أَوْ ذِرَاعًا لِلْحَاجَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى ذَلِكَ ، وَهِيَ التَّسَتُّرُ وَالإِبْلاَغُ فِيهِ ، إِذْ أَنَّ الْمَرْأَةَ كُلَّهَا عَوْرَةٌ إِلاَّ مَا اسْتُثْنِيَ ، وَذَلِكَ فِيهَا بِخِلاَفِ الرِّجَالِ .الموسوعة الفقهية الكويتية - (٦ / ١٤٠)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه – ﷺ– قَالَ « لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا » .[٢٨٢].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ،قَالَ: كَانَ مَرْوَانُ يَسْتَخْلِفُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ،فَكَانَ إِذَا رَأَى إِنْسَانًا يَجُرُّ إِزَارَهُ،ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ وَقَالَ: قَدْ جَاءَ الأَمِيرُ ! قَدْ جَاءَ الأَمِيرُ ! ثُمَّ يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ:مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا،فَإِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَيْهِ،أَوْلَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ.[٢٨٣]

وأما المرأة فيختلف حكمها،فعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي عُبَيْدٍ،أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺقَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ حِينَ ذُكِرَ الإِزَارُ:فَالْمَرْأَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:تُرْخِي شِبْرًا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ:إِذًا تَنْكَشِفُ عَنْهَا،قَالَ:فَذِرَاعًا لاَ تَزِيدُ عَلَيْهِ.[٢٨٤]

القيام بإصلاح الثوب إن وجد به شقا أو ثقبا،وعدم لبسه وهو ممزق،فقد كان النبي ﷺيرقع ثوبه بيده،ويصلح نعله بنفسه. فعَنْ عَائِشَةَ،أَنَّهَا سُئِلَتْ:مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ:كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ،وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ،وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ.[٢٨٥]

وعَنْ عُرْوَةَ،قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَ: " نَعَمْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَرُفُّ ثَوْبَهُ،وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ،وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ "[٢٨٦]

وعن هِشَامَ بْنِ سَعْدٍ،قَالَ:حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ بِشْرٍ التَّغْلِبِيُّ،قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبِي وَكَانَ،جَلِيسًا لأَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺيُقَالُ لَهُ:ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ،وَكَانَ رَجُلاً مُتَوَحِّدًا،قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ،إِنَّمَا هُوَ فِي صَلاَةٍ،فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا يُسَبِّحُ وَيُكَبِّرُ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ،فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ،فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ:كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ،قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺسَرِيَّةً،فَقَدِمْتُ،فَجَاءَ

---

[٢٨٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٧٨٨)

"بطرا" بفتح الطاء على المصدر وبكسرها على الحال من فاعل جر أي جره تكبرا وطغيانا، وأصل البطر الطغيان عند النعمة، واستعمل بمعنى التكبر. وقال الراغب: أصل البطر دهش يعتري المرء عند هجوم النعمة عن القيام بحقها. قوله: "لا ينظر الله" أي لا يرحمه، فالنظر إذا أضيف إلى الله كان مجازا، وإذا أضيف إلى المخلوق كان كناية، ويحتمل أن يكون المراد لا ينظر الله إليه نظر رحمة. وقال شيخنا في "شرح الترمذي" عبر عن المعنى الكائن عند النظر بالنظر لأن من نظر إلى متواضع رحمه ومن نظر إلى متكبر مقته، فالرحمة والمقت متسببان عن النظر.

ويستنبط من سياق الأحاديث أن التقييد بالجر خرج للغالب، وأن البطر والتبختر مذموم ولو لمن شمر ثوبه، والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه مستحضرا لها شاكرا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله لا يضره ما لبس من المباحات، ولو كان في غاية النفاسة. فتح الباري لابن حجر – (١٠ / ٢٥٨)

[٢٨٣] – مسند أبي عوانة (٦٩٠٨) صحيح

[٢٨٤] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٢٦٧) (٥٤٥١) صحيح

والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق وحال جواز وهو إلى الكعبين. وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع.فتح الباري لابن حجر – (١٠ / ٢٥٩)

[٢٨٥] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٩٠)(٥٦٧٧) صحيح

[٢٨٦] – شعب الإيمان – (١٠ / ٤٨٦) (٧٨٤٥) صحيح

رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ:لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ الْتَقَيْنَا نَحْنُ وَالْعَدُوَّ،فَحَمَلَ فُلاَنٌ فَطَعَنَ،فَقَالَ:خُذْهَا وَأَنَا الْغُلاَمُ الْغِفَارِيُّ،كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ ؟ قَالَ:مَا أُرَاهُ إِلاَّ قَدْ أَبْطَلَ أَجْرَهُ،فَسَمِعَ ذَلِكَ آخَرُ،فَقَالَ:مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا،فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺفَقَالَ:سُبْحَانَ اللهِ،لاَ بَأْسَ أَنْ يُحْمَدَ وَيُؤْجَرَ قَالَ:فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سُرَّ بِذَلِكَ،وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ،وَيَقُولُ:أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُ:نَعَمْ،فَمَا زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ:لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.
قَالَ:ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ،فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ:كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ،قَالَ:قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الْمُنْفِقَ عَلَى الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ،كَبَاسِطِ يَدِهِ بِالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبِضُهَا.
قَالَ:ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ،فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ:كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ،فَقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلاَ طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَجَعَلَ يَأْخُذُ شَفْرَةً فَيَقْطَعُ بِهَا شَعَرَهُ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ،وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ قَالَ:فَأَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ:دَخَلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَإِذَا عِنْدَهُ شَيْخٌ جُمَّتُهُ فَوْقَ أُذُنَيْهِ،وَرِدَاؤُهُ إِلَى سَاقَيْهِ،فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا:هَذَا خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ.
قَالَ:ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ،وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ،فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ:كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ فَقَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ،فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ،وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ،فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ."[٢٨٧]
وعَنْ رَجُلٍ صِدْقٍ مِنْ أَهْلِ قِنَّسْرِينَ يُقَالُ لَهُ قَيْسُ بْنُ بِشْرٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ جُلَسَاءِ أَبِي الدَّرْدَاءِ،فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَانَ هُنَالِكَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺمُتَعَبِّدٌ مُعْتَزِلٌ لَا يَكَادُ يَفْرُغُ مِنَ الْعِبَادَةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْحَنْظَلِيَّةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَاهُ وَقَالَ: " إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ وَرِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ "[٢٨٨].

الابتداء في لبس الثوب،والنعل والسراويل والجوارب باليمين،والخلع بالشمال. فعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ:فِي تَرَجُّلِهِ،وَفِي طُهُورِهِ،وَفِي نَعْلِهِ قَالَ شُعْبَةُ:ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيُحِبُّ،أَوْ يُعْجِبُهُ،التَّيَمُّنُ مَا اسْتَطَاعَ.[٢٨٩]
وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِىُّ - ﷺ- يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ فِى شَأْنِهِ كُلِّهِ فِى طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ.رواه البخاري[٢٩٠].
نفض الثياب قبل لبسها،ونفض الجوارب للتأكد من خلوها من الحشرات المؤذية.

---

[٢٨٧] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٥٢) (١٧٦٢-) ١٧٧٦٧-١٧٧٧٠) حسن
[٢٨٨] - شعب الإيمان - (٨ / ٢٦٦) (٥٧٩٤) حسن
[٢٨٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٣٥٨)(٢٥٥٤٥) ٢٦٠٦١- صحيح
[٢٩٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٢٦) -الترجل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه

طيّ الثياب بعد خلعها،وذكر اسم الله عليها عند وضعها أو تعليقها،وعدم إلقائها مبعثرة دون مبالاة.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ،وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ،أَنْ يَقُولُوا:بِسْمِ اللَّهِ "[٢٩١]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ،وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ،أَنْ يَقُولُوا:بِسْمِ اللَّهِ "[٢٩٢]

تعهد الجوارب بالنظافة وغسلها مساء كل يوم،وخاصة أيام الصيف،أو كلما تغيرت رائحتها،وكذلك تعهد النعلين بالنظافة والإصلاح.

يستحسن أن تكون أكمام القمصان طويلة إلى الرسغين،فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ،قَالَتْ:" كَانَتْ يَدُ كُمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلى الرُّسْغِ "[٢٩٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَبِسَ قَمِيصًا،وَكَانَ فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ،وَكَانَ كُمُّهُ مَعَ الأَصَابِعِ "[٢٩٤]

إجتناب الألبسة المصنوعة من الحرير،لحرمة لبسها على الذكور.فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيَّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقال: حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي،وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ. رواه الترمذي[٢٩٥].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُرَيْرٍ - يَعْنِى الْغَافِقِيَّ - أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِى طَالِبٍ - رضى الله عنه - يَقُولُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ -ﷺ- أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِى يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِى شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِى ».[٢٩٦]

اجتناب تشبّه الرجال بالنساء في لباسهم،واجتناب تشبّه النساء بالرجال في لباسهن. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺالرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ،وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ.[٢٩٧]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ: الْعَاقُّ بِوَالِدَيْهِ،وَمُدْمِنُ خَمْرٍ،وَمَنَّانٌ،وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الرَّجُلُ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ،وَالْمَرْأَةُ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ،وَالدَّيُّوثُ "[٢٩٨].

---

[٢٩١] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (٢ / ٤١٧)(١٧٠٨) حسن بغيره

[٢٩٢] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (٢ / ٤١٨)(١٧٠٩-١٧١١) حسن لغيره

وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٤ / ٣٢) رقم الفتوى ٢٠٠٣١ كيف يستر الرجال والنساء عوراتهم عن أعين الجن

[٢٩٣] – سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٣٥٦٤) حسن

[٢٩٤] – المستدرك للحاكم (٧٤٢٠) حسن لغيره

[٢٩٥] – سنن الترمذى- المكتر – (١٨٢٤) صحيح

[٢٩٦] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٠٥٩) صحيح

[٢٩٧] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٦٢) (٥٧٥١) صحيح

[٢٩٨] – شعب الإيمان – (١٠ / ٢٢٤) (٧٤١٧) وسنن النسائي- المكتر – (٢٥٧٤) صحيح

إجتناب الثياب المزركشة والمزينة وذات الألوان الزاهية،والتي تظهر التخنث على مظهر لابسها. فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَىِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا ». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَمَعْنَى قَوْلِهِ « حُلَلِ الإِيمَانِ ». يَعْنِى مَا يُعْطَى أَهْلُ الإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ.[٢٩٩]

وعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.... وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ تَوَاضُعًا كَسَاهُ اللهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ وَمَنْ رَوَّحَ لِلَّهِ تَوَّجَهُ تَاجَ الْمُلْكِ "[٣٠٠]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺيَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَلَا تَسْمَعُونَ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ،إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ " يَعْنِي التَّقَحُّلَ .

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: الْبَذَاذَةُ سُوءُ الْهَيْئَةِ وَالتَّجَوُّزُ فِي الثِّيَابِ وَنَحْوِهَا قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَإِنَّمَا هُوَ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ لَا تُبْعِدَهُ الْبَذَاذَةُ عَنِ الْجَمَاعَاتِ،فَلَا يَمْتَنِعُ إِذَا سَاءَتْ حَالُهُ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَلَا عَنْ مَجَالِسِ الْعِلْمِ لِأَجَلِ رَثَاثَةِ كِسْوَتِهِ وَسُوءِ هَيْئَةِ لِبَاسِهِ وَلَكِنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ وَيَحْمَدُ اللهَ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَشْعِرُ مِنْهُ خَجَلًا وَلَا حَيَاءً،فَذَاكَ إِنْ شَاءَ اللهُ هُوَ الْإِيمَانُ دُونَ الرَّثَاثَةِ بِعَيْنِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ "[٣٠١]

أما ما يواري العورة ففيه تفصيل: فما يلي حقويه (معقد الإزار والسروال) لا بد أن يكون فيه شيء من التحجيم لجزء من العورة،ولكن لا حرج -بشرط ألا يجاوز مقدار الحاجة-؛ لأن الإزار أو السروال أو البنطال لا يستمسك على الحقو إلا بذلك،فالحاجة تقتضيه.

وما جاوز موضع الحاجة فلا يجوز أن يكون ضيقاً يحجِّم العورة.

ولا يعتبر ساتراً للعورة بالمعنى الشرعي؛ لأن ما يستر العورة يجب أن يكون واسعاً لا يصف (إلا ما تقتضيه الحاجة،وقد سبق ذكره)،صفيقاً لا يشف ما تحته.

ونحن نربأ بالشاب العاقل ذي المروءة والحياء أن يخرج للناس بهذه البناطيل الضيقة،التي لا تليق بالرجل السوي الخلوق الحيي.[٣٠٢]

اجتناب الثياب الضيقة والمحجّمة والشفافة للرجل والمرأة،واختيار الثياب الساترة والمريحة،وخاصة للفتاة،والحذر من التزيّن والتبرّج.

المرأة المترجلة : التي تتشبه بالرجال في هيئتهم وأفعالهم. -الديوث من الرجال : هو الذي لا غيرة له ولا حمية.جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١١ / ٧٠٨)

[٢٩٩] - سنن الترمذى- المكتر - (٢٦٦٩) والصحيحة (٧١٨) وصحيح الجامع (٦١٤٥) حسن

وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٨ / ٧٥٨٤) -رقم الفتوى ٥٩١٤٥ ثواب من ترك شهوة ابتغاء وجه الله

[٣٠٠] - شعب الإيمان - (١٠ / ٥٣٦)(٧٩٥٠) وسنن أبي داود - المكتر - (٤٧٨٠) ضعيف

[٣٠١] - شعب الإيمان - (٨ / ٤٣٢) (٦٠٥١) صحيح

[٣٠٢] - فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١٤ / ٤٥٥) -الثياب الضيقة للرجال

فالبنطال الضيق (كالسترتش ونحوه) لا يجوز للمرأة أن تلبسه عند النساء،ويخشى على من لبسته أن يحق عليها حديث أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا »[٣٠٣].

ومعنى كاسيات عاريات: أي كاسيات في الصورة،عاريات في الحقيقة؛ لأنهن يلبسن ملابس تصف (تحجم) الجسد،فتبدو عوراتهن موصوفة بارزة،بحيث يحجم لباسهن الأفخاذ والأرداف،وهذا يناقض المقصود من اللبس.

لاَ يَجُوزُ لُبْسُ الرَّقِيقِ مِنَ الثِّيَابِ إِذَا كَانَ يَشِفُّ عَنِ الْعَوْرَةِ،فَيُعْلَمُ لَوْنُ الْجِلْدِ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ حُمْرَةٍ،سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَلَوْ فِي بَيْتِهَا،هَذَا إِنْ رَآهَا غَيْرُ زَوْجِهَا،لِمَا يَأْتِي مِنَ الأَدِلَّةِ،وَهُوَ بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ مُخِلٌّ بِالْمُرُوءَةِ،وَلِمُخَالَفَتِهِ لِزِيِّ السَّلَفِ،وَلاَ تَصِحُّ الصَّلاَةُ فِي مِثْلِ تِلْكَ الثِّيَابِ،وَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ لُبْسُهُ إِذَا كَانَ لاَ يَرَاهَا إِلاَّ زَوْجُهَا.أَمَّا مَا كَانَ رَقِيقًا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ،وَلَكِنَّهُ يَصِفُ حَجْمَهَا حَتَّى يُرِي شَكْلَ الْعُضْوِ فَإِنَّهُ مَكْرُوهٌ.فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:إِنَّ الرَّجُلَ لَيَلْبَسُ وَهُوَ عَارٍ.يَعْنِي:الثِّيَابَ الرِّقَاقَ[٣٠٤].

وعَنِ ابْنِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،أَنَّ أَبَاهُ أُسَامَةَ،قَالَ:كَسَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺقُبْطِيَّةً كَثِيفَةً كَانَتْ مِمَّا أَهْدَاهَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ،فَكَسَوْتُهَا امْرَأَتِي،فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا لَكَ لَمْ تَلْبَسِ الْقُبْطِيَّةَ ؟ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،كَسَوْتُهَا امْرَأَتِي.فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: مُرْهَا فَلْتَجْعَلْ تَحْتَهَا غِلاَلَةً،إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا.[٣٠٥]

فَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى النَّهْيِ عَنْ لُبْسِ اللِّبَاسِ الَّذِي يَصِفُ مَا تَحْتَهُ مِنَ الْبَدَنِ،وَلِهَذَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَلْقَمَةَ عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ:دَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ وَعَلَيْهَا خِمَارٌ رَقِيقٌ،فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ،وَكَسَتْهَا خِمَارًا كَثِيفًا "[٣٠٦]

وعَنْ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ أُتِيَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- بِقَبَاطِيَّ فَأَعْطَانِي مِنْهَا قُبْطِيَّةً فَقَالَ « اصْدَعْهَا صَدْعَيْنِ فَاقْطَعْ أَحَدَهُمَا قَمِيصًا وَأَعْطِ الآخَرَ امْرَأَتَكَ تَخْتَمِرُ بِهِ ». فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ « وَأْمُرِ امْرَأَتَكَ أَنْ تَجْعَلَ تَحْتَهُ ثَوْبًا لاَ يَصِفُهَا »[٣٠٧].

---

[٣٠٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٧٠٤)

البخت : واحدتها البختية وهى الناقة طويلة العنق ذات السنامين

[٣٠٤] – مجمع الزوائد – (٨٦٠٦) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .والموسوعة الفقهية الكويتية – (٦ / ١٣٦)

[٣٠٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٢٨٨) (٢١٧٨٦) ٢٢١٢٩- حسن

[٣٠٦] – أخرجه مالك في الموطأ (١٧٥٨) حسن

[٣٠٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٤١١٨) حسن -اصدع : شق -القبطية : ثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء

وَيُشْتَرَطُ فِي السَّاتِرِ أَنْ لاَ يَكُونَ رَقِيقًا يَصِفُ مَا تَحْتَهُ بَل يَكُونُ كَثِيفًا لاَ يُرَى مِنْــهُ لَــوْنُ الْبَشَــرَةِ وَيُشْتَرَطُ كَذَلِكَ أَنْ لاَ يَكُونَ مُهَلْهَلاً تُرَى مِنْهُ أَجْزَاءُ الْجِسْمِ لأَنَّ مَقْصُودَ السِّتْرِ لاَ يَحْصُل بِذَلِكَ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ سِتْرَ الْعَوْرَةِ غَيْرُ وَاجِبٍ بَيْنَ الرَّجُل وَزَوْجَتِهِ،إِذْ كَشْفُ الْعَوْرَةِ مُبَاحٌ بَيْنَهُمَا،فعَنْ بَهْــزٍ قَالَ:حَدَّثَنِي أَبِي،عَنْ جَدِّي،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَــذَرُ ؟ قَــالَ:احْفَــظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ،أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ؟ قَالَ:إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ فَلاَ يَرَيَنَّهَا.قُلْتُ فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَــالَ:فَاللَّــهُ أَحَــقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ. [٣٠٨]

كما لا يجوز للمرأة أن تلبس الضيق عند أحد من محارمها سوى زوجها فحسب.

لقد رأينا تساهل النساء في لباسهن عند محارمهن -غير الزوج- أفضى بكثير منهن إلى نزع جلبــاب الحياء والجرأة في التبرج والسفور والتساهل في الحشمة والحجاب.

فعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِى بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّه -ﷺ- وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- وَقَالَ « يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْــلُحْ أَنْ يُــرَى مِنْهَا إِلاَّ هَذَا وَهَذَا ». وَأَشَارَ إِلى وَجْهِهِ وَكَفَّيْهِ[٣٠٩]

فلِبَاسُ الْمَرْأَةِ قَدْ يَكْشِفُ عَنِ الْعَوْرَةِ،وَقَدْ يَسْتُرُهَا وَلَكِنَّهُ يَصِفُ حَجْمَهَا،وَهُوَ فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ غَيْــرُ شَرْعِيٍّ . [٣١٠] .

[٣٠٨] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٤ / ١٧٤) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٦ / ٧٢٩)(٢٠٠٣٤) ٢٠٢٨٧– صحيح

[٣٠٩] – سنن أبي داود – المكتر – (٤١٠٦) حسن لغيره

[٣١٠] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٣٥ / ١٩٣)

-١٢-آداب الكلام

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم،وشقّ له سمعه وبصره،وزوده بمعجزة العقل وآتاه وسائل التعلم والاكتساب قال تعالى:{قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣)} الملك.

وقال تعالى:{ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (٩)} البلد.

ومن مهمات اللسان الكثيرة التعبير عن حاجات النفس وإيصال المعلومات إلى الغير عن طريق النطق والكلام. قال تعالى:{الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)} الرحمن.

وأمر الله تعالى المسلم بمراعاة أقواله كما يراعي أعماله،ولهذا قيل " مَنْ عَدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ "[٣١١].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ،وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ،وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ،فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ [٣١٢].

وأمره أن يقول الحق الذي يرضيه،وأن يراقبه عند كل كلمة تخرج من فيه،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً،يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ،وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ » [٣١٣]. وعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ،قَالَ:مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهُ شَرَفٌ،وَهُوَ جَالِسٌ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ،فَقَالَ عَلْقَمَةُ:يَا فُلَانُ،إِنَّ لَكَ حُرْمَةً،وَإِنَّ لَكَ حَقًّا،وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلاَءِ الْأُمَرَاءِ فَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ،وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلاَلَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ،مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ،فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ،وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ،مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ،فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ عَلْقَمَةُ:انْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ،وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ،فَرُبَّ كَلاَمٍ قَدْ مَنَعَنِي مَا سَمِعْتُهُ مِنْ بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ."[٣١٤]

وعَنْ بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ،يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ

---

[٣١١] -الزهد لابن أبي عاصم – (٥٩) وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية – (٤ / ٣٥١) عن عمر بن عبد العزيز

[٣١٢] -المعجم الكبير للطبراني – (١١ / ٢٢٥)(٤٣٠) الصواب وقفه

[٣١٣] -صحيح البخارى- المكتر – (٦٤٧٨)

[٣١٤] -صحيح ابن حبان – (١ / ٥١٤) (٢٨٠) صحيح

بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ،يَكْتُبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.[٣١٥]

هذه قيمة الكلام في الاسلام،حتى لقد صار المسلم يتورع في النطق كما يتورع في المأكل والمشرب،فيجتنب اللغو وما لا طائل وراءه كما يجتنب المحرمات والشبهات.

كيف لا يكون ذلك وهو يتمثل قوله تعالى:{ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)} ق.فلاَ يَصْدُرُ عَن الإِنسَانِ لَفْظ أَوْ كَلِمَةٌ إلاَّ وَلَديهِ مَلكٌ حَاضِرٌ مَعَهُ،مُرَاقِبٌ لأعْماله يُثبتُها في صَحيفَته .[٣١٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ».متفق عليه[٣١٧].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتَ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ،وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ،فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ،وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ.[٣١٨]

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتَ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلاَ تَدْخُلِ الْحَمَّامَ ".[٣١٩]

قال أحدهم:

وتجنّب الفحشاء لا تنطق بها .....ما دمت في جدّ الكلام وهزله

واحبس لسانك عن رديء مقالة .....وتوقّ من عثر اللسان وزله

وبين أيدينا باقة من آداب الكلام نبسطها كما يلي:

اختيار أجمل الكلام،وأحسن الألفاظ،أثناء مخاطبة الناس،كما يختار أطايب الطعام،والرد على ما يسمعه منهم بلباقة وتهذيب،قال تعالى:{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ } (٢٤) سورة الحج.

---

[٣١٥] -مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٤٤٥) (١٥٨٥٢) ١٥٩٤٦- صحيح

[٣١٦] -أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢٧)

[٣١٧] -صحيح البخارى- المكتر - (٦٠١٨) وصحيح مسلم- المكتر - (١٨٢)

[٣١٨] -صحيح ابن حبان - (١٢ / ٩٧) (٥٢٨٧) صحيح

[٣١٩] -صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤١٠) (٥٥٩٧) صحيح

لقد هداهم الله في الدنيا إلى طيب القول: من كلمة التوحيد وحَمْد الله والثناء عليه،وفي الآخـــرة إلى حمده على حسن العاقبة،كما هداهم من قبل إلى طريق الإسلام المحمود الموصل إلى الجنة.[٣٢٠]

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ- « اتَّقُوا النَّارَ ».ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ،ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّـــارَ ».ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاَثًا،حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا،ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ،فَمَنْ لَمْ يَجِـــدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » متفق عليه[٣٢١].

التمهّل في الكلام وبيانه حتى يفهم المستمع المراد من الحديث ويعقل مقصوده ومغزاه.

فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو فُلاَنٍ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِى يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّه - ﷺ-،يُسْمِعُنِى ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِىَ سُبْحَتِى،وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ،إِنَّ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ متفق عليه[٣٢٢].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ،أَنَّ عَائِشَةَ،قَالَتْ:أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَـــاءَ فَجَلَـــسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺيُسْمِعُنِي ذَلِكَ،وَكُنْتُ أُسَبِّحُ،فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي،وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.[٣٢٣]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ،أَنَّ عَائِشَةَ،قَالَتْ:أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ ؟ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى بَابِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺيُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ،فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي،وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ:وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ،إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ:يَقُولُونَ:إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ،أَوْ قَالَ:أَكْثَـــرَ وَاللَّـــهُ الْمَوْعِدُ،وَيَقُولُونَ:مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لاَ يَتَحَدَّثُونَ بِمِثْلِ أَحَادِيثِهِ،وَسَأُخْبِرُكُمْ عَـــنْ ذَلِـــكَ إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَرَضِيهِمْ،وَأَمَّا إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ،فَكَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّـــفْقُ بِالأَسْوَاقِ،وَكُنْتُ أَخْدِمُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَلَى مِلْءِ بَطْنِي،فَأَشْهَدُ مَا غَابُوا،وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُـــوا،وَلَقَدْ قَـــالَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَوْمًا:أَيُّكُمْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ،فَيَأْخُذُ حَدِيثِي هَذَا ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ،فَإِنَّهُ لَنْ يَنْسَـــى شَـــيْئًا يَسْمَعُهُ،فَبَسَطْتُ بُرْدَةً عَلَيَّ حَتَّى جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي،فَمَا نَسِيتُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ شَيْئًا حَدَّثَنِي بِهِ،وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حُدِّثْتُ شَيْئًا أَبَدًا:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا

---

[٣٢٠] - التفسير الميسر - (٦ / ٤٥)

[٣٢١] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٥٤٠) وصحيح مسلم- المكتر - (٢٣٩٦)

[٣٢٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٥٦٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٥٥٤)

أسبح : أصلى صلاة تطوع

[٣٢٣] - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٠٢) (١٠٠) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُ عَائِشَةَ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ، أَرَادَتْ بِهِ سَرْدَ الْحَدِيثِ لاَ الْحَدِيثَ نَفْسَهُ.

بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)} [البقرة:١٥٩،١٦٠][٣٢٤]

وعَنْ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ قَالَتْ كَانَ كَلاَمُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- كَلاَمًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ.. رواه أبو داود[٣٢٥].

وعَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ. وَعَائِشَةُ تُصَلِّى فَلَمَّا قَضَتْ صَلاَتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ أَلاَ تَسْمَعُ إِلى هَذَا وَمَقَالَتِهِ آنِفًا إِنَّمَا كَانَ النَّبِىُّ -ﷺ- يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ.[٣٢٦]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلاَمٍ بَيْنَهُ فَصْلٌ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ.[٣٢٧]

مخاطبة المستمع على قدر فهمه،وبما يناسب ثقافته ومستواه العلمي،وإلا ساء ظنّه،وحسب الكلام استهزاء به وتنقيصا له. قَالَ عَلِيٌّ :حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ،أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ "[٣٢٨]

تجنّب الخوض في أحاديث لا يعلمها،أو غير متأكد من صحتها،أو لا يعلم عنها إلا الظنّ فإن الظنّ أكذب الحديث. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ تَنَافَسُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا.[٣٢٩]

لزوم قلة الكلام إلا إذا كان جوابا،أو نصيحة،أو أمرا بالمعروف،أو نهيا عن المنكر،أو دعوة إلى الله.

قال تعالى:{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١١٤) سورة النساء.

---

[٣٢٤] – صحيح ابن حبان – (١٦ / ١٠٤) (٧١٥٣)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَوْلُ عَائِشَةَ وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ أَرَادَتْ بِهِ سَرْدَ الْحَدِيثِ لاَ الْحَدِيثَ نَفْسَهُ ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا تَعْقِيبُهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.

[٣٢٥] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٨٤١) حسن

الفصل : البَيِّن الظاهر ، الذي يَفْصِل بين الحقّ والباطل

[٣٢٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٥٦٧) وصحيح مسلم– المكتر – (٧٧٠١)

[٣٢٧] – سنن الترمذى– المكتر – (٤٠٠٠) قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

السرد : المتابعة بين الأيام في الصوم – السرد : الاستعجال بمتابعة الحديث –الفصل : البَيِّن الظاهر ، الذي يَفْصِل بين الحقّ والباطل

[٣٢٨] – صحيح البخارى– المكتر – (١٢٧)

[٣٢٩] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٥٠٠) (٥٦٨٧)وصحيح البخارى– المكتر – (٥١٤٣)

لا نفع في كثير من كلام الناس سرّاً فيما بينهم،إلا إذا كان حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة،أو الكلمة الطيبة،أو التوفيق بين الناس،ومن يفعل تلك الأمور طلبًا لرضا الله تعالى راجيًا ثوابه،فسوف نؤتيه ثوابًا جزيلا واسعًا.[٣٣٠]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّه الْقَلْبُ الْقَاسِى ». الترمذي[٣٣١].

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ،قَالَ:قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ:لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمُ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ،فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ،لاَ تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ الْعِبَادِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ،وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيد،فَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلاَنِ:مُبْتَلًى وَمُعَافًى،فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلاَءِ،وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ.[٣٣٢]

تجنب الثرثرة واللغو والكلام الذي لا طائل منه،قال تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)} المؤمنون.

والذين يَنْصرِفُونَ إلى الجدِّ،وَيُعْرِضُونَ عَمَّا لاَ فَائِدَةَ مِنْهُ مِنَ الأَفْعَالِ والأَقْوالِ (اللَّغْوِ).وَقَدْ وَصفَ اللهُ تعالى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِه:{ والذين لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً } أَيْ إِنَّهُمْ لاَ يَتَوقَّفُونَ وَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ .[٣٣٣]

تعقل الكلام قبل النطق به،والتفكر في عواقبه،وتجنب إلقاء الكلام دون روية وإستيعاب،قال تعالى:{ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)} ق.

وَلاَ يَصْدُرُ عَن الإِنسَانِ لَفْظ أَوْ كَلِمَةٌ إِلاَّ وَلَديه مَلكٌ حَاضِرٌ مَعَهُ،مُرَاقِبٌ لأَعْماله يُثبتُها في صَحيفَته[٣٣٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺكَانَ:إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ،أَعَادَهَا ثَلاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ "[٣٣٥]

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاَثًا،وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا .[٣٣٦]

وعن عمر بن عبد الله،مولى غفرة،حدثني إبراهيم بن محمد،من ولد علي،قال:كان علي بن أبي طالب إذا وصف النبي ﷺ،قال:« كان أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا،وَأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا،وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً،وَأَوْفَى

---

[٣٣٠] – التفسير الميسر – (٢ / ١١٢)

[٣٣١] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٥٩٣) وحسنه

[٣٣٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (١١ / ٥٤٨) (٣٢٥٤٠) صحيح مقطوع

[٣٣٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٥٥٦)

[٣٣٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٥٢٧)

[٣٣٥] – المستدرك للحاكم (٧٧١٦) صحيح

[٣٣٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٩٤)

النَّاسِ بِذِمَّةٍ،وَأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً،وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً،مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ،وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،يَقُولُ نَاعِتُهُ:لَمْ أَرَ مِثْلَهُ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ.ﷺ»[٣٣٧]

الصمت لمن هو أعلى مقاما،وأرفع قدرا،وأغزر علما،وأكبر سنا،وأعظم فضلا،والإصغاء لكلامه،والإقبال عليه بالسمع والبصر. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَطَّانُ:" كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ لَا يُتَحَدَّثُ فِي مَجْلِسِهِ،وَلَا يُبْرَى فِيهِ قَلَمٌ،وَلَا يَبْتَسِمُ أَحَدٌ،فَإِنْ تَحَدَّثَ أَوْ بَرَى قَلَمًا،صَاحَ وَلَبِسَ نَعْلَيْهِ وَدَخَلَ،وَكَذَا يَفْعَلُ ابْنُ نُمَيْرٍ،وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي هَذَا،وَكَانَ وَكِيعٌ أَيْضًا فِي مَجْلِسِهِ كَأَنَّهُمْ فِي صَلَاةٍ،فَإِنْ أَنْكَرَ مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئًا انْتَعَلَ وَدَخَلَ،وَكَانَ ابْنُ نُمَيْرٍ يَغْضَبُ وَيَصِيحُ،وَكَانَ إِذَا رَأَى مَنْ يَبْرِي قَلَمًا،تَغَيَّرَ وَجْهُهُ "[٣٣٨]

تجنب الكلام حتى ينتهي المتكلم في المجلس،لأن مجلس العقلاء لا يتكلم فيه اثنان معا. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺيَوْمًا،فَقَالُوا:انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ،وَالشِّعْرِ،فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا،وَشَتَّتَ أَمْرَنَا،وَعَابَ دِينَنَا،فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ،قَالُوا:مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،قَالُوا:أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ،فَأَتَاهُ عُتْبَةُ،فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ،ثُمَّ قَالَ:أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ،وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ،إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا،وَشَتَّتَ أَمْرَنَا،وَعِبْتَ دِينَنَا،فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ،حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا،وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا،وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلا مِثْلَ صَيْحَةَ الْحُبْلَى بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى أَيُّهَا الرَّجُلُ،إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلا،وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ:أَفَرَغْتَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ؟ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؟،حَتَّى بَلَغَ:؟ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ؟،فَقَالَ عُتْبَةُ:حَسْبُكَ حَسْبُكَ،مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ:لا،فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ،فَقَالُوا:مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ:مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلا كَلَّمْتُهُ،قَالُوا:هَلْ أَجَابَكَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً،مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ:؟ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ

---

[٣٣٧] – مصنف ابن أبي شيبة – (١١ / ٥١٢) (٣٢٤٦٥) وأخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني – (٨٤) حسن لغيره

لين العريكة : طيب الذكر والعرض، سَلِس مُنْقَاد قليل الخلاف والنُّفُور

[٣٣٨] -- الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٣٢٤)

وَثَمُودَ ؟،قَالُوا:وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لا تَدْرِي مَا قَالَ ؟ قَالَ:لا،وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ "[٣٣٩]

تجنب مقاطعة أحد،أو تصحيح كلامه،أو تجريحه،أو تخطيه،أو السخرية من كلامه.

قال تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ} (٨٣) سورة البقرة

واذكروا يا بني إسرائيل حين أخَذْنا عليكم عهدًا مؤكدًا: بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له،وأن تحسنوا للوالدين،وللأقربين،وللأولاد الذين مات آباؤهم وهم دون بلوغ الحلم،وللمساكين،وأن تقولوا للناس أطيب الكلام،مع أداء الصلاة وإيتاء الزكاة،ثم أَعْرَضْتم ونقضتم العهد -إلا قليلا منكم ثبت عليه- وأنتم مستمرون في إعراضكم.[٣٤٠]

وقال تعالى:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (٤٦) سورة العنكبوت.

ولا تجادلوا -أيها المؤمنون- اليهودَ والنصارى إلا بالأسلوب الحسن،والقول الجميل،والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك،إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا،أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون،وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أُنزل إلينا،وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذَيْن أُنزلا إليكم،وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته،ولا في ربوبيته،ولا في أسمائه وصفاته،ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به،ونهانا عنه.[٣٤١]

خفض الصوت وعدم رفعه أكثر من الحاجة،وتجنب الصخب والضجيج،والصراخ والانفعال.

قال تعالى:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)}

لقمان.

وَامشِ مُقْتَصِداً فِي مَشْيِكَ،عَدْلاً وَسَطاً بَيْنَ البَطِيءِ المُتَبَطِّءِ،والسَّرِيعِ المُفْرِطِ،وَلا تُبَالِغْ فِي الكَلاَمِ،وَلا تَرْفَعَ صَوْتَكَ فِيمَا لا فَائِدَةَ مِنْهُ،وَحِينَما لاَ تَكُونَ هُنَاكَ حَاجَةٌ إلى رَفْعِ الصَّوتِ،فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْقَرَ لِلمُتَكَلِّمِ،وأَبْسَطَ لِنَفْسِ السَّامِعِ.ثُمَّ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ مُنَفِّراً إِيَّاهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِهِ حِينَما لاَ يَكُونُ هُنَاكَ

---

[٣٣٩] - مسند أبي يعلى الموصلي (١٨١٨) والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٢٤٨) وحياة الصحابة للكاندهلوى - (١ / ١٣) حسن

[٣٤٠] - التفسير الميسر - (١ / ٩٧)

[٣٤١] - التفسير الميسر - (٧ / ١٦٧)

حَاجَةً لِذلك:إِنَّ الحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِندَ النَّهِيقِ،ولكِنَّ الصَّوْتَ الذي يَصْدُرُ عَنْهُ قَبيحٌ مُنْكَرٌ،فَلاَ يَلِيقُ بالإِنسَانِ العَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الحِمَارِ "[٣٤٢]

التزام الهدوء والابتسام أثناء الكلام،وعدم التجهم والعبوس في وجوه الناس.

فعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ،قَالَتْ:كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ،لاَ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِيهِ،فَقُلْتُ لَهُ:إِنِّي أَخْشَى أَنْ يُحَمِّقَكَ النَّاسُ فَقَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺلاَ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلاَّ تَبَسَّمَ.". رواه أحمد[٣٤٣].

تجنّب الخبيث من الكلام،والهجين من الألفاظ،لأن المؤمن لا يكون فاحشا ولا بذيئا. فعَنْ مَسْرُوقٍ،قَالَ:قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا،وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَكَانَ يَقُولُ:خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا.[٣٤٤]

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا »[٣٤٥].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْجَدَلِيِّ،قَالَ:قُلْتُ لِعَائِشَةَ:كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ:كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا،لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا،وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَلاَ سَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ،وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ،وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.[٣٤٦]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ».متفق عليه[٣٤٧]

وعَنْ أَبِي مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ قَالَ « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[٣٤٨]

تجنب الحلف والإكثار من القسم أثناء الكلام،وعدم الحلف إلا لضرورة. فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ،يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ،فَإِنَّهُ يُنْفَقُ،ثُمَّ يُمْحَقُ.[٣٤٩]

---

[٣٤٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٣٦٩)

[٣٤٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٢٧٤) (٢١٧٣٥) ٢٢٠٧٨– حسن

فيه حبيب بن عمر الأنصاري مختلف فيه التعجيل (١٧٦)

[٣٤٤] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٥٤) (٦٤٤٢) وصحيح البخارى– المكتر – (٣٥٥٩)

[٣٤٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٠٢٩) وصحيح مسلم– المكتر – (٦١٧٧)

[٣٤٦] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٥٥) (٦٤٤٣) صحيح

[٣٤٧] – صحيح البخارى– المكتر – (١٠) وصحيح مسلم– المكتر – (١٧٠)

[٣٤٨] – صحيح البخارى– المكتر – (١١)

[٣٤٩] – مسند أبي عوانة (٤٤٤٨) صحيح

وقال تعالى:{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ **وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} (٨٩) سورة المائدة.

وإنما حذر عن كثرة الحلف ؛ لأن الغالب ممن كثرت أيمانه وقوعه في الكذب والفجور،وإن سلم من ذلك على بعده لم يسلم من الحنث،أو النَّدم ؛ لأن اليمين حنث أو مندمة.وإن سلم من ذلك لم يسلم من مدح السلعة المحلوف عليها،والإفراط في تزيينها ليروجها على المشتري،مع ما في ذلك من ذكر الله تعالى لا على جهة التعظيم،بل على جهة مدح السِّلعة،فاليمين على ذلك تعظيم للسِّلع،لا تعظيم لله تعالى.وهذه كلها أنواع من المفاسد لا يقدم عليها إلا من عقله ودينه فاسد[٣٥٠]

تجنّب الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والآباء والحياة والرأس والشرف.. إلخ.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ،فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ،فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ،أَوْ لِيَسْكُتْ. متفق عليه[٣٥١].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ،سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ،رَجُلاً يَقُولُ:وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ:لاَ تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللهِ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ.[٣٥٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ،وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ،وَلاَ بِالأَنْدَادِ،وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللَّهِ،وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ.[٣٥٣]

إلزام اللسان كثرة الاستغفار كلما بدر منه سيئة أو صدرت عنه خطيئة. فعَن حُذَيْفَةَ،قَالَ:شَكَوْت إلى رَسُولِ اللهِ ﷺذَرَبَ لِسَانِي فَقَالَ:أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ،إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ.[٣٥٤]

الذرب:فساد اللسان وبذاؤه

"وفي الحديث دليل على أن سبب ذرب اللسان هو الذنوب فإذا غفرها الله سبحانه وتعالى بالاستغفار ذهب ذلك عن صاحبه وأما رسول الله ﷺفهو معصوم عن ذلك وإنما قال هذه المقالة واستغفر هذا الاستغفار ليبين لأمته ما يفعلون إذا بلى أحدهم بذلك "[٣٥٥]

مراقبة اللسان وحفظه،وحبسه وكفه عن المهلكات والمحرمات التالية:

---

[٣٥٠] – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – (١٤ / ١٣٧)

[٣٥١] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٢٠١) (٤٣٥٩) وصحيح البخارى- المكتر – (٦١٠٨) وصحيح مسلم- المكتر – (٤٣٤٣)

[٣٥٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٥١١) (٦٠٧٢) وفتح الباري لابن حجر – (١١ / ٥٣١) حسن

وفسر بعض العلماء قوله كفر أو أشرك على التغليظ كما روي أن النبي ﷺ قال الرياء شرك

[٣٥٣] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ١٩٩) (٤٣٥٧) صحيح

[٣٥٤] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٠ / ٢٩٧) (٣٠٠٥٤) صحيح

[٣٥٥] – تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني – (١ / ٣٠٩)

الكذب في الجد والهزل،فهو من أعظم الذنوب وأشد الكبائر. فعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي سَفَرٍ،فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ،فَقُلْتُ:يَا نَبِيَّ اللهِ،أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ،وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ.قَالَ:لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ،وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ،تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا،وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ،وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَتَصُومُ رَمَضَانَ،وَتَحُجُّ الْبَيْتَ،ثُمَّ قَالَ:أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟:الصَّوْمُ جُنَّةٌ،وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ،وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ قَرَأَ:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}،حَتَّى بَلَغَ:{يَعْمَلُونَ}،ثُمَّ قَالَ:أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ فَقُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ.قَالَ:رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ،وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ:أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ:بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ.فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ،فَقَالَ:كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ:ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ،وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،أَوْ قَالَ:عَلَى مَنَاخِرِهِمْ،إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟[٣٥٦].

الغيبة وهي ذكر أحد بما يكره،وهي تدل على نقص فاعلها وخسة نفسه وقلة مروءته. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِى أَخِى مَا أَقُولُ قَالَ « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ »[٣٥٧].

النميمة وهي نقل الأحاديث السيئة للإيقاع بين المتحابين وهي تدل على خبث النفس وضعتها وأنانيتها. فعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً يَنِمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ ».[٣٥٨]

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين؛ إن بعض ذلك الظن إثم،ولا تُفَتِّشوا عن عورات المسلمين،ولا يقل بعضكم في بعضٍ بظهر الغيب ما يكره. أيحب أحدكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك،فاكرهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين،رحيم بهم.[٣٥٩]

---

[٣٥٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٣٥٠)(٢٢٠١٦) ٢٢٣٦٦- صحيح لغيره

[٣٥٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٥٨)

[٣٥٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٣٠٣)

[٣٥٩] – التفسير الميسر – (٩ / ٢٣٣)

المراء والجدال العقيم،وقيل وقال،والخوض فيما لا طائل منه ولا ثمرة بعده. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ،بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ،وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ،بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا،وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ،بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا "[٣٦٠]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ بِرَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ،وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا،وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ،وَإِنْ كَانَ مَازِحًا،وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حُسُنَ خُلُقُهُ "[٣٦١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا،وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاَثًا،يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا،وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ،وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ،وَقَالَ:وَإِضَاعَةَ الْمَالِ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ.[٣٦٢]

وعَنِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِى كَاتِبُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنِ اكْتُبْ إِلَىَّ بِشَىْءٍ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِىِّ - ﷺ-.فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ النَّبِىَّ - ﷺ- يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا قِيلَ وَقَالَ،وَإِضَاعَةَ الْمَالِ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ »[٣٦٣] .

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ».[٣٦٤]

تزكية النفس،والاعتداد بها،والتحدث عن أعمالها ومناقبها وأمجادها ومآثرها،قال تعالى:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ **فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**} (٣٢) سورة النجم

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِىِّ - ﷺ- فَقَالَ « وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ،قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ».مِرَارًا ثُمَّ قَالَ - « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا،وَاللَّهُ حَسِيبُهُ،وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا،أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ »[٣٦٥]

---

[٣٦٠] - سُنَنُ ابْنِ مَاجَهْ >> الْمُقَدِّمَةُ >> (٥٠) حسن

[٣٦١] - شعب الإيمان - (١٠ / ٣٧٦) (٧٦٥٣) حسن

[٣٦٢] - صحيح ابن حبان - (٨ / ١٨٢) (٣٣٨٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٥٧٨)

[٣٦٣] - صحيح البخارى- المكتر - (١٤٧٧)

[٣٦٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٥٧٨)

[٣٦٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٦٦٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٧٦٩٣)

وانظر فتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١٣ / ١٧١) -المدح المذموم والمشروع وآفات على الطريق كامل - (١ / ٨٢) والآداب الشرعية - (٤ / ١٤٨)

اللعان والسباب والفحش والشتم والطعن والولوغ في أعراض الناس وسمعتهم همزا ولمزا. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِاللِّعَّانِ،وَلَا الطَّعَّانِ،وَلَا الْفَاحِشِ،وَلَا الْبَذِيءِ "[٣٦٦]
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِاللَّعَّانِ،وَلا بِالطَّعَّانِ،وَلا الْفَاحِشِ،وَلا الْبَذِيءِ "[٣٦٧]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَإِيَّاكُمْ وَ الْفُحْشَ،فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ،وَلاَ التَّفَحُّشَ،وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ،فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ،أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ،فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ،وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ،فَفَجَرُوا،وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ،فَبَخِلُوا،فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَأَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ:أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ،وَيَدِكَ،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ،قَالَ:أَنْ تَهْجُرَ مَا كَرِهَ رَبُّكَ،قَالَ:وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْهِجْرَةُ هِجْرَتَانِ،هِجْرَةُ الْحَاضِرِ،وَهِجْرَةُ الْبَادِي،أَمَّا الْبَادِي،فَيُجِيبُ إِذَا دُعِيَ،وَيُطِيعُ إِذَا أُمِرَ،وَأَمَّا الْحَاضِرُ،فَهُوَ أَعْظَمُهُمَا بَلِيَّةً،وَأَعْظَمُهُمَا أَجْرًا.[٣٦٨]

ذم أي شيء،واحتقار أي مخلوق،والدعاء على أي أحد. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».[٣٦٩]

كثرة المزاح،وإضحاك الآخرين،حتى تصير عادة تسقط المهابة،وتذهب بالحياء.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا:تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ،وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ،وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ،تَكُنْ مُؤْمِنًا،وَأَحْسِنْ إِلَى مُجَاوِرِكَ مَنْ جَاوَرَكَ،تَكُنْ مُسْلِمًا،وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ "[٣٧٠]
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ،أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ ؟ قَالَ:قُلْتُ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.قَالَ:فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا ثُمَّ قَالَ:اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ،وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ،وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا،وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا،وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ،فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ.[٣٧١]

---

[٣٦٦] – شعب الإيمان – (٧ / ١٤٢) (٤٧٨٧) صحيح
[٣٦٧] – مسند أبي يعلى الموصلي(٥٣٦٩) صحيح
[٣٦٨] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٥٧٩) (٥١٧٦) صحيح
[٣٦٩] -صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٠٦)
[٣٧٠] – شعب الإيمان – (٧ / ٥٠٠) (٥٣٦٦و١٠٦١٥) صحيح لغيره
[٣٧١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٢١٣) (٨٠٩٥) ٨٠٨١- صحيح لغيره

والضحك أحياناً لا بأس به،فعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ لَمْ يَرْفَعْ أَحَدٌ مِنَّا رَأْسَهُ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ،فَإِنَّهُمَا كَانَا يَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا"[٣٧٢]

وعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ" كَانَ يَخْرُجُ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَهُمْ جُلُوسٌ وَفِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَلَا يَرْفَعُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَصَرَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَإِنَّهُمَا كَانَا يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَيَتَبَسَّمَانِ إِلَيْهِ وَيَتَبَسَّمُ إِلَيْهِمَا "[٣٧٣]

والمزاح إذا كان قليلا وبحق فلا بأس به،فعنْ عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ،قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلا يَقُولُ لابْنِ عُمَرَ: أَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللَّه ﷺ، يَقُولُ:إِنِّي لأَمْزَحُ،وَلا أَقُولُ إلا حَقًّا؟ قَالَ: نَعَمْ.[٣٧٤]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهَا قَالَتْ:مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَطُّ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ قَالَتْ وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِى وَجْهِهِ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه النَّاسُ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ،وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِى وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ قَالَ :« يَا عَائِشَةُ وَمَا يُؤَمِّنُنِى أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ ». وَتَلاَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٢٤) سورة الأحقاف.[٣٧٥]

السخرية من الناس،والاستهزاء بضعفائهم،وتنقيص أقدارهم،والحط من مكانتهم. قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات.

وعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ،كَانَ يَحْتَزُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺسِوَاكًا مِنْ أَرَاكٍ،وَكَانَ فِي سَاقَيْهِ دِقَّةٌ،فَضَحِكَ الْقَوْمُ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ.[٣٧٦]

المبالغة في المدح،والتكريم والتعظيم،حتى يصير تملقا ونفاقا.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا النَّجَاةُ قَالَ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ ». رواه الترمذي[٣٧٧].

---

[٣٧٢] – المستدرك للحاكم (٤١٨) ومسند البزار كاملا – (٢ / ٣١٨) (٦٨٩٤) حسن

[٣٧٣] – سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ـــ الْجَامِعُ الصَّحِيحُ (٣٧٥٩) حسن

[٣٧٤] – المعجم الكبير للطبراني – (١١ / ٢٢) (١٣٢٦٢) حسن

[٣٧٥] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٣ / ٣٦٠) (٦٦٩٣) وصحيح البخارى- المكتر – (٤٨٢٨) وصحيح مسلم- المكتر – (٢١٢٣)

[٣٧٦] – صحيح ابن حبان – (١٥ / ٥٤٦) (٧٠٦٩) صحيح

[٣٧٧] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٥٨٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. يعني لغيره

وعَنْ إِسْمَاعِيلَ بن أَبِي خَالِد،قَالَ: أَوْصَى ابْنُ مَسْعُودٍ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَهُ بِثَلاث كَلِمَاتٍ"أَيْ بنِيْ،أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّه،وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ". [٣٧٨]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقَالَ لِي:يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ،صِلْ مَنْ قَطَعَكَ،وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ،وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

قَالَ:ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقَالَ لِي:يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ،أَمْلِكْ لِسَانَكَ،وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ،وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ.

قَالَ:ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقَالَ لِي:يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ،أَلاَ أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الزَّبُورِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلاَ فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ،لاَ يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلاَّ قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}،وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}،وَ{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}،قَالَ عُقْبَةُ:فَمَا أَتَتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ إِلاَّ قَرَأْتُهُنَّ فِيهَا،وَحُقَّ لِي أَنْ لاَ أَدَعَهُنَّ وَقَدْ أَمَرَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَكَانَ فَرْوَةُ بْنُ مُجَاهِد،إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ:أَلاَ فَرُبَّ مَنْ لاَ يَمْلِكُ لِسَانَهُ،أَوْ لاَ يَبْكِي عَلَى خَطِيئَتِهِ وَلاَ يَسَعُهُ بَيْتُهُ. [٣٧٩]

وعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ،وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ،وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ "[٣٨٠]

وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ،قَالَ:قُلْ:رَبِّيَ اللَّهُ،ثُمَّ اسْتَقِمْ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ قَالَ:فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ:هَذَا "[٣٨١].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ:الْمَعْنَى فِي أَخْذِ النَّبِيِّ ﷺلِسَانَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ:هَذَا،وَقَدْ أَمْكَنَهُ أَنْ يَقُولَ:اللِّسَانُ،مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَ لِسَانَهُ أَنَّهُ ﷺكَانَ عَالِمًا بِالْعِلْمِ الَّذِي كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ،فَأَرَادَ أَنْ يَسْبِقَ نَفْسَهُ إِلَى الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ الَّذِي اسْتُعْلِمَ،فَعَلِمَ بِأَنَّهُ أَخْبَرَ السَّائِلَ بِأَنَّ أَخْوَفَ مَا يَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُورِدَ صَاحِبَهُ الْمَوَارِدَ،وَأَمَرَهُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ،وَلاَ يُطْلِقَهُ،فَعَمِلَ ﷺبِمَا كَانَ يَعْلَمُهُ أَوَّلاً،حَتَّى يُفَصِّلَ مَوَاضِعَ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ. [٣٨٢]

وتجوز المبالغة بالذم لمن يعادي الإسلام،فعَنْ أَنَسٍ،قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ[٣٨٣]،قَالَ:فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ،وَرَكِبَ حِمَارًا،وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ،وَهِيَ أَرْضٌ سَبِخَةٌ،فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ،قَالَ:إِلَيْكَ عَنِّي،فَوَاللهِ،لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ.قَالَ:فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ:وَاللهِ،لَحِمَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺأَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ،قَالَ:فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ،قَالَ:فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

---

[٣٧٨] – المعجم الكبير للطبراني – (٧ / ٤٩٩) (٨٤٥٨ و ٨٦٦٦) حسن لغيره

[٣٧٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٥ / ٩٢٣) (١٧٤٥٢) ١٧٥٨٩– ١٧٥٩١ – حسن لغيره

[٣٨٠] – المعجم الصغير للطبراني – (١ / ١٤٠) (٢١٢) حسن

[٣٨١] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٦) (٥٦٩٩) صحيح

[٣٨٢] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٦)

[٣٨٣] – انظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٦ / ٤١٧٦) –رقم الفتوى ٤٥٤٧٤ رأس المنافقين

أَصْحَابُهُ،قَالَ:فَكَانَ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَبِالأَيْدِي وَبِالنِّعَالِ،قَالَ:فَبَلَغَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِمْ :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٩) سورة الحجرات.[٣٨٤]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٣٨٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٦٩١) وصحيح مسلم- المكتر – (٤٧٦٢)

وفي الحديث بيان ما كان النبي ﷺ عليه من الصفح والحلم والصبر على الأذى في الله والدعاء إلى الله وتأليف القلوب على ذلك، وفيه أن ركوب الحمار لا نقص فيه على الكبار. وفيه ما كان الصحابة عليه من تعظيم رسول الله ﷺ والأدب منه والمحبة الشديدة، وأن الذي يشير على الكبير بشيء يورده بصورة العرض عليه لا الجزم. وفيه جواز المبالغة في المدح لأن الصحابي أطلق أن ريح الحمار أطيب من ريح عبد الله بن أبي وأقره النبي ﷺ على ذلك.فتح الباري لابن حجر – (٥ / ٢٩٩)

-١٣-آداب بيتية

يقضي الإنسان فترة راحته وخلوته مع أهله وأسرته في بيته،ولا بدّ خلال هذه الفترة في تعامله مع نفسه أو أهله أو مرافق بيته من مبادئ صحيحة وقواعد سليمة ينال بها رضاء الله تعالى،ويحقق بها سعادته وتقواه.

وأهم ما يتزود به المسلم من بيته هو عبادة الله تعالى عندما يكون خاليا،ومراقبته له سبحانه وقيامه في الليل إلى صلاته ودعائه وعرض حوائجه ومناجاته.

ويأتي في الدرجة الثانية تزوده بالمعارف والعلوم من خلال مطالعاته وقراءاته في الكتب النافعة المفيدة في أوقات فراغه وصفائه.

ثم يأتي وقت التفكير والاستعداد للقاء الناس،وكيفية صحبتهم،وخاصة في معاملاته مع أهله وإخوته وأرحامه.

ثم يتبع ذلك وقت راحته ونومه،واستعادة نشاطه الجسمي من خلال طعامه وشرابه،ونظافته واستحمامه وغير ذلك.

وهذه طائفة من الآداب البيتية نعرضها في الآتي:

تسمية الله تعالى عند الدخول إلى البيت.

فعَنْ جَابِرٍ،أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ،يَقُولُ:إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ،قَالَ الشَّيْطَانُ:لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ،وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ،قَالَ الشَّيْطَانُ:أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ،وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ،قَالَ:أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ.[٣٨٥]

يُسْتَحَبُّ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ أَنْ يُسَلِّمَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ أَحَدٌ وَلْيَقُلِ:السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.وَكَذَا إِذَا دَخَلَ مَسْجِدًا،أَوْ بَيْتًا لِغَيْرِهِ فِيهِ أَحَدٌ،يُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَلِّمَ وَأَنْ يَقُولَ:السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ،السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،فعن نافع،أن عبد الله بن عمر قال:إذا دخل البيت غير المسكون فليقل:السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين "[٣٨٦]

قال تعالى:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (٦١) سورة النور.

---

[٣٨٥] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠١) (٨١٩) وصحيح مسلم- المكثر – (٥٣٨١)

[٣٨٦] – الأدب المفرد للبخاري – (٤ / ٨٢) (١٠٩٥) صحيح

وأن يدعو بالدعاؤ التالي،فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ فِي بَيْتِه،فَلْيَقُلِ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ،وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ،بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا،وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا،وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا،ثُمَّ لْيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِه. رواه أبو داود[٣٨٧].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا بُنَىَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ». رواه الترمذي[٣٨٨].

تجنب التسلل إلى البيت،أو الدخول فجأة على الأهل دون إشعار أو إعلام أو استئذان،لئلا يرى ما يكره أن يوقع أحدا في الحرج أو الرعب،وخاصة عند العودة من غيبة طويلة.

قال تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (١٨٩) سورة البقرة.

سَأَلَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ الرَّسُولَ ﷺعَنِ اخْتِلاف الهِلاَلِ:يَكُونُ صَغِيراً فَيَكْبُرُ،ثُمَّ يَعُودُ فَيَصْغُرُ.فَنَزَلَتْ هذه الآيَةُ.وَفِيهَا يُجِيبُهُمُ اللهُ تعالى:يَسْأَلُونَكَ عَنِ الحِكْمَةِ فِي اخْتِلاف الأَهِلَّة وَفَائِدَتِه،فَأَجِبْهُمْ:بِأَنَّهَا مَعَالِمُ لِلنَّاسِ،يُوَقِّتُونَ بِهَا أُمُورَ دُنْيَاهُمْ،فَيَعْلَمُونَ أَوْقَاتَ زُرُوعِهِمْ،وَأَجَلَ عقُودِهِمْ،وَهِيَ مَعَالِمُ لِلْعِبَادَاتِ الْمُوَقَّتَةِ،فَيَعْرِفُونَ بِهَا أَوْقَاتَها كَالصِّيَامِ،وَالإِفْطَارِ وَالحَجِّ.. وَلَوْ كَانَ الهِلاَلُ مُلاَزِماً حَالاً وَاحِداً لَمَا تَيَسَّرَ التَّوْقِيتُ بِه .

وَكَانَ العَرَبُ إِذَا أَحْرَمُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَتَوا البَيْتَ مِنْ ظَهْرِه،وَقِيلَ أَيْضاً إِنَ أَحَدَهُمْ إِذا أَرَادَ سَفَراً وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِه لِسَفَرِه،ثُمَّ بَدَا لَهُ بَعْدَ خُرُوجِه أَنْ يُقِيمَ وَيَدَعَ السَّفَرَ،لَمْ يَدْخُلْ بَيْتِه مِنْ بَابِه،وَإِنَّمَا كَانَ يَتَسَوَّرُهُ مِنْ ظَهْرِه.فَأَمَرَهُمُ اللهُ تعالى بِدُخُولِ البُيُوتِ مِنْ أَبْوابِها.وَيَقُولُ تعالى لِلْمُؤْمنِينَ إِنَّ البِرَّ هُوَ التَّقْوَى،وَلَيسَ فِي إِتْيانِ البُيُوتِ مِنْ ظُهُورِها بِرٌّ،وَلاَ تَقْوَى.فَاتَّقُوا اللهَ،وَافْعَلُوا مَا أَمَرَكُمْ بِه،وَاتْرُكُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ،لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِذا وَقَفْتُمْ فِي الآخِرَةِ بَيْنَ يَدَيه لِلْحِسَابِ .[٣٨٩]

وعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِى الْجَاهِلِيَّةِ أَتَوُا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِه،فَأَنْزَلَ اللَّهُ (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا).[٣٩٠]

مراقبة الله تعالى في الوحدة،واجتناب المحرمات في الخلوة. عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِى مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ « احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِى بَعْضٍ قَالَ « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَيَنَّهَا

---

[٣٨٧] – سنن أبي داود – المكتز – (٥٠٩٨) والصحيحة (٢٢٥) وصحيح الجامع (٨٣٩) صحيح لغيره

[٣٨٨] – سنن الترمذى– المكتز – (٢٩١٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[٣٨٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٩٦)

[٣٩٠] – صحيح البخارى– المكتز – (٤٥١٢)

أَحَدٌ فَلاَ يَرَيَنَّهَا ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا قَالَ « اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ ».[٣٩١]

تجنب رفع الأصوات والصخب واللعب المزعج للأهل أو للجيران.

تجنب رفع صوت المذياع أو الرائي وخاصة في أوقات الراحة أو النوم.

تجنب سماع شيء أو رؤيته ما لا يليق بالمسلم إضاعة الوقت به.قال تعالى:{ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (٣٦)} الإسراء.

الانتباه للستر والحياء،وتجنب كشف العورات وخاصة عند تبديل الثياب،وعند الطهارة والاغتسال،ومراعاة الحشمة والأدب أثناء الجلوس والمنام،والغض عن عورات الآخرين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،قَالَ:كُنَّا نَنْقُلُ الْحِجَارَةَ إِلَى الْبَيْتِ حِينَ بَنَتْ قُرَيْشٌ الْبَيْتَ،وَكَانَ رِجَالٌ يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ فَكَانُوا يَنْقُلُونَ رَجُلَيْنِ رَجُلَيْنِ،وَكَانَتِ النِّسَاءُ يَنْقُلْنَ الشِّيدَ،وَكُنْتُ أَنْقُلُ أَنَا وَابْنُ أَخِي،فَكُنَّا نَضَعُ ثِيَابَنَا تَحْتَ الْحِجَارَةِ،فَإِذَا غَشِينَا النَّاسُ اتَّزَرْنَا،قَالَ:فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي وَمُحَمَّدٌ ﷺقُدَّامِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ،فَتَأَخَّرَ مُحَمَّدٌ ﷺ،فَانْبَطَحَ عَلَى وَجْهِهِ،فَجِئْتُ أَسْعَى،وَأَلْقَيْتُ الْحَجَرَيْنِ،وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى شَيْءٍ فَوْقَهُ،قُلْتُ:مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَامَ فَأَخَذَ إِزَارَهُ،وَقَالَ:نُهِيتُ أَنْ أَمْشِيَ عُرْيَانًا،قُلْتُ:اكْتُمْهَا النَّاسَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولُوا:مَجْنُونٌ[٣٩٢]

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ قَالَ:كُنَّا نَنْقُلُ الْحِجَارَةَ إِلَى الْبَيْتِ حِينَ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَبْنِي الْبَيْتَ،وَكَانَ الرِّجَالُ مِنْ قُرَيْشٍ يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ،وَكَانَتِ النِّسَاءُ تَنْقُلُ.قَالَ:وَكُنْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّ ﷺ. قَالَ:فَكُنَّا نَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى أَرْقَابِنَا وَأُزُرِنَا تَحْتَ الْحِجَارَةِ،فَإِذَا غَشِينَا النَّاسَ ؛ اتَّزَرْنَا،فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي وَمُحَمَّدٌ ﷺأَمَامِي لَيْسَ عَلَيْهِ إِزَارٌ ؛ إِذْ خَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَانْبَطَحَ.قَالَ:فَأَلْقَيْتُ حَجَرِي وَجِئْتُ أَسْعَى ؛ فَإِذَا هُوَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ،فَقُلْتُ:مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَامَ فَأَخَذَ إِزَارَهُ،فَقَالَ:« نُهِيتُ أَنْ أَمْشِي عُرْيَانًا ».قَالَ:فَكُنْتُ أَكْتُمُهُ النَّاسَ مَخَافَةَ أَنْ يَقُولُوا:مَجْنُونٌ،حَتَّى أَظْهَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نُبُوَّتَهُ ﷺ"[٣٩٣].

الرضا بما قسم الله تعالى من المسكن،وعدم التذمر من ضيقه أو سوء ظروفه،فكم من إنسان لا مأوى له يقيه حر الصيف وبرد الشتاء.

عن ابْنِ بُرَيْدَةَ،قَالَ:حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَقُولُ إِذَا تَبَوَّأَ مَضْجَعَهُ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي وَسَقَانِي،الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ،الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ،الْحَمْدُ لِلَّهِ

---

[٣٩١] -سنن أبي داود - المكتر - (٤٠١٩) صحيح

[٣٩٢] -كشف الأستار - (٢ / ٤١) (١١٥٨) والصحيحة (٢٣٧٨) وك ١٧٩/٤ وصحيح الجامع (٦٧٨٣) حسن

[٣٩٣] - المجالسة وجواهر العلم - (٥ / ٦٠) (١٨٦٢) حسن

عَلَى كُلِّ حَالٍ،اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ،وَمَالِكَ كُلِّ شَيْءٍ،وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ،لَكَ كُلُّ شَيْءٍ،أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ.[٣٩٤].

وعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ،قَالَتْ:أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا،فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهِ،فَوَجَدَهُ حَارًّا،فَقَالَ:حَسٍّ،وَقَالَ ابْنُ آدَمَ إِنَّ أَصَابَهُ بَرْدٌ قَالَ:حَسٍّ،وَإِنَّ أَصَابَهُ حَرٌّ قَالَ:حَسٍّ. ثُمَّ تَذَاكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الدُّنْيَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ،فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بُورِكَ لَهُ فِيهَا،وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ فِي مَالِ اللهِ وَمَالِ رَسُولِهِ ﷺ،لَهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣٩٥].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– عَلَّمَهُ دُعَاءً،وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَعَاهَدَ بِهِ أَهْلَهُ كُلَّ يَوْمٍ،قَالَ:" مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ:لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ،لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ،وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ،وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ.اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ،أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ،أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلِفٍ،فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ،مَا شِئْتَ كَانَ،وَمَا لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ،وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ،إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.اللَّهُمَّ وَمَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتَ،وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتَ،إِنَّكَ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،تَوَفَّنِي مُسْلِمًا،وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ.أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ،وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ،وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ،وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ،وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ،أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ،أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ،أَوْ أَكْتَسِبَ خَطِيئَةً مُحْبِطَةً،أَوْ ذَنْبًا لَا يُغْفَرُ.اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ،ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ،فَإِنِّي أَعْهَدُ إِلَيْكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،وَأُشْهِدُكَ – وَكَفَى بِكَ شَهِيدًا – إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ،لَكَ الْمُلْكُ،وَلَكَ الْحَمْدُ،وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ،وَأَشْهَدُ أَنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ،وَلِقَاءَكَ حَقٌّ،وَالْجَنَّةَ حَقٌّ،وَالسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا،وَأَنْتَ تَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ،وَأَشْهَدُ أَنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ،وَعَوْرَةٍ،وَذَنْبٍ،وَخَطِيئَةٍ،وَإِنِّي لَا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ ؛ فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ،إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ،وَتُبْ عَلَيَّ ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " .[٣٩٦]

وعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ،أَنَّ فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ كَانَ يَقُولُ:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ،وَبَرَدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ،وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلى وَجْهِكَ،وَالشَّوْقَ إِلى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ،وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ،وَزَعَمَ أَنَّهَا دَعَوَاتٌ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ"[٣٩٧]

تفقد مرافق البيت وأثاثه،والحرص على سلامته،والقيام بإصلاح ما يحتاج إلى ذلك إن كان يحسن إصلاحه،وعدم إهماله حتى يكبر ويزيد.

---

[٣٩٤] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٣٤٩) (٥٥٣٨) صحيح

[٣٩٥] – صحيح ابن حبان – (٧ / ١٥٠) (٢٨٩٢)صحيح

[٣٩٦] – غاية المقصد فى زوائد المسند ٢ – (٢ / ٣٣٨)(٤٦٣٠) حسن لغيره

[٣٩٧] – المعجم الكبير للطبراني – (١٣ / ٢٥٦) (١٥٢١٩) حسن

الانتباه إلى نظافة البيت وطهارته والمشاركة في خدماته. عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِى حَسَّانَ،قَالَ:سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ:إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ،نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ،كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ،جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ،فَنَظِّفُوا (أُرَاهُ قَالَ:) أَفْنِيَتَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ،قَالَ:فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِمُهَاجِرِ بْنِ مِسْمَارٍ،فَقَالَ:حَدَّثَنِيهِ عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنِ النَّبِىِّ،ﷺ، مِثْلَهُ،إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ:نَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ "[٣٩٨]

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَظِّفُوا أَفْنِيَتِكُمْ،فَإِنَّ الْيَهُودَ أَنْتَنُ النَّاسِ "[٣٩٩]

وعَنِ الأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِىُّ - ﷺ- يَصْنَعُ فِى بَيْتِهِ قَالَتْ كَانَ يَكُونُ فِى مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِى خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ.رواه البخاري[٤٠٠].

حفظ أسرار البيت الخاصة،وتجنب عدم إذاعتها أمام أحد.

الاستئذان والسلام عند الخروج من البيت،وإعلام الأهل عن الوجهة التي يريد.

ترديد دعاء الخروج من البيت عند الخروج منه.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ « بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا ». رواه الترمذي[٤٠١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:" إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ،لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،قَالَ:يُقَالُ حِينَئِذٍ:هُدِيتَ،وَكُفِيتَ،وَوُقِيتَ،فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ،فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ:كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟ "رواه أبو داود[٤٠٢].

وعَن كَعْبِ الأَحْبَارِ قَالَ:إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ:بِسْمِ اللهِ،تَوَكَّلْت عَلَى اللهِ،وَلا حول ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ،تلقت الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَالُوا:هَذَا عَبْدٌ قَدْ هُدِيَ وَحُفِظَ وَكُفِيَ فَلا سَبِيلَ لَكُمْ عَلَيْهِ،فَيَتَصَدَّعُونَ عَنهُ."[٤٠٣]

---

[٣٩٨] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٠٢٩) فيه ضعف

[٣٩٩] - الزهد لوكيع - (٢٨٧) صحيح مرسل

[٤٠٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٧٦)

[٤٠١] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٧٥٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٤٠٢] - سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٤٩٦) صحيح

[٤٠٣] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٠ / ٢١٢) (٢٩٨١٤) صحيح مقطوع

-١٤- آداب الابن مع الوالدين

لم يقرن الله تعالى إلى عبادته وحده شيئا سوى الإحسان إلى الوالدين،ولم يعطف شكر أحد إلى شكره وهو مصدر كل نعمة وخير وفضل وعطاء سوى شكر الوالدين: قال تعالى:{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا} (٣٦) سورة النساء

واعبدوا الله وانقادوا له وحده،ولا تجعلوا له شريكًا في الربوبية والعبادة،وأحسنوا إلى الوالدين،وأدُّوا حقوقهما،وحقوق الأقربين،واليتامى والمحتاجين،والجار القريب منكم والبعيد،والرفيق في السفر وفي الحضر،والمسافر المحتاج،والمماليك من فتيانكم وفتياتكم. إن الله تعالى لا يحب المتكبرين من عباده،المفتخرين على الناس.[٤٠٤]

وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (١٤) سورة لقمان.

وأَمَرْنا الإنسان ببرِّ والديه والإحسان إليهما،حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف،وحمله وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين،وقلنا له: اشكر لله،ثم اشكر لوالديك،إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق.[٤٠٥]

وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن الكريم،وفي وصايا رسول اللّه - ﷺ- ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا. ومعظمها في حالة الوأد - وهي حالة خاصة في ظروف خاصة - ذلك أن الفطرة تتكفل وحدها برعاية الوليد من والديه. فالفطرة مدفوعة إلى رعاية الجيل الناشئ لضمان امتداد الحياة،كما يريدها اللّه وإن الوالدين ليبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما ومن كل ما يملكان من عزيز وغال،في غير تأفف ولا شكوى بل في غير انتباه ولا شعور بما يبذلان! بل في نشاط وفرح وسرور كأنهما هما اللذان يأخذان! فالفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين دون وصاة! فأما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحي المدبر المولّى الذاهب في أدبار الحياة،بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة! وما يملك الوليد وما يبلغ أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه،ولو وقف عمره عليهما. وهذه الصورة الموحية:«حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ» ترسم ظلال هذا البذل النبيل. والأم بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأعمق وأحنى وأرفق ..[٤٠٦]

---

[٤٠٤] - التفسير الميسر - (٢ / ٣٦)

[٤٠٥] - التفسير الميسر - (٧ / ٢٥٨)

[٤٠٦] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٨٨)

وليس بعد ذلك الشرف العظيم،والوسام الكريم،والحكم الالهي الحكيم تفصيل لمتكلم،ولا تعقيب لمعقب،ولا زيادة لمستزيد.

إنها وصية الله جلّ ذكره {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (٨) سورة العنكبوت.

إن الوالدين لأقرب الأقرباء. وإن لهما لفضلا،وإن لهما لرحما وإن لهما لواجبا مفروضا:واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة. ولكن ليس لهما من طاعة في حق اللّه. وهذا هو الصراط:«وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً. وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما» ..

إن الصلة في اللّه هي الصلة الأولى،والرابطة في اللّه هي العروة الوثقى. فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية،لا الطاعة ولا الاتباع. وإن هي إلا الحياة الدنيا ثم يعود الجميع إلى اللّه. «إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ..

ويفصل ما بين المؤمنين والمشركين. فإذا المؤمنون أهل ورفاق،ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر:«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» ..

وهكذا يعود الموصولون باللّه جماعة واحدة،كما هم في الحقيقة وتذهب روابط الدم والقرابة والنسب والصهر،وتنتهي بانتهاء الحياة الدنيا،فهي روابط عارضة لا أصيلة،لانقطاعها عن العروة الوثقى التي لا انفصام لها.[٤٠٧]

ووصية نبيه الكريم ﷺ،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،وَقَتْلُ النَّفْسِ،وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ ».رواه البخاري[٤٠٨].

وعن أَبِى بَكْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،وَشَهَادَةُ الزُّورِ،وَشَهَادَةُ الزُّورِ - ثَلاَثًا - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ ».فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ[٤٠٩].

ومن واقع الحياة ننظر إلى الموقفين الصالحين المحبوبين المرزوقين فنجدهم بارين بوالديهم وننظر إلى الأشقياء المحرومين وإلى غلاظ القلوب والمرذولين فنجدهم عاقين لوالديهم.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ حَمَلَ أُمَّهُ عَلَى عُنُقِهِ،فَجَعَلَ يَطُوفُ بِهَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي لَهَا بَعِيُهَا الْمُذَلَّلْ ... إِذَا ذُعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرْ

وَمَا حَمَلَتْنِي أَكْثَرْ

---

[٤٠٧] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٢٢)

[٤٠٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٦٧٥)

[٤٠٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٩١٩)

ثُمَّ قَالَ: أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ:" لَا،وَلَا بِزَفْرَةٍ"[٤١٠]

وعَنْ زُرْعَةَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ،أَنَّ رَجُلًا،أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،فَقَالَ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،إِنَّ لِي أُمًّا بَلَغَهَا مِنَ الْكِبَرِ أَنَّهَا لَا تَقْضِي حَاجَةً إِلَّا وَظَهْرِي مَطِيَّةٌ لَهَا فَأُوطِيهَا وَأَصْرِفُ عَنْهَا وَجْهِي،فَهَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا ؟ قَالَ:لَا.قَالَ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،أَلَيْسَ بَعْدَ مَا حَمَلْتُهَا عَلَى ظَهْرِي،وَحَبَسْتُ عَلَيْهَا نَفْسِي ؟ قَالَ:" لَا،لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَ وَهِيَ تَتَمَنَّى بَقَاءَكَ،وَأَنْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِهَا وَأَنْتَ تَتَمَنَّى فِرَاقَهَا "[٤١١]

وعن سَعِيدَ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ:سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ،أَنَّهُ شَهِدَ ابْنَ عُمَرَ وَرَجُلٌ يَمَانِيٌّ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ،حَمَلَ أُمَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ،يَقُولُ :

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُذَلَّلُ إِنْ أُذْعِرَتْ رِكَابُهَا لَمْ أُذْعَرِ .

ثُمَّ قَالَ:يَا ابْنَ عُمَرَ أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا ؟ قَالَ:لَا،وَلَا بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ "[٤١٢]

وهذه باقة من الآداب الإسلامية مع الوالدين.

العلم بأن الله تعالى أوصى ببرهما،وحسن صحبتهما،والإحسان إليهما،وقرن ذلك بعبادته،وتعظيما لشأنهما،وتكريما لقدرهما،وأن النبي ﷺأوصى بصلتهما وطاعتهما وخدمتهما،وجعل عقوقهما من أكبر الكبائر.

قال تعالى:{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤)} الإسراء.

وأَمَر ربك -أيها الإنسان- وألزم وأوجب أن يفرد سبحانه وتعالى وحده بالعبادة،وأمر بالإحسان إلى الأب والأم،وبخاصة حالةُ الشيخوخة،فلا تضجر ولا تستثقل شيئًا تراه من أحدهما أو منهما،ولا تسمعهما قولا سيئًا،حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ،ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح،ولكن ارفق بهما،وقل لهما -دائما- قولا لينًا لطيفًا.

وكُنْ لأمك وأبيك ذليلا متواضعًا رحمة بهما،واطلب من ربك أن يرحمهما برحمته الواسعة أحياءً وأمواتًا،كما صبرا على تربيتك طفلا ضعيف الحول والقوة.[٤١٣]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ اللَّه - ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّه مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِى قَالَ « أُمُّكَ ».قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « أُمُّكَ ».قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « أُمُّكَ ».قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ « ثُمَّ أَبُوكَ » البخاري[٤١٤].

---

[٤١٠] - شعب الإيمان - (١٠ / ٣١٣) (٧٥٥٠) صحيح

[٤١١] - الْجَامِعُ فِي الْحَدِيثِ لِابْنِ وَهْبٍ (٨٩) ضعيف

[٤١٢] - الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١١) صحيح

[٤١٣] - التفسير الميسر - (٥ / ١٧)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ ﷺ،فقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قَالَ:أُمُّكَ،قَالَ:ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ:أُمُّكَ،قَالَ:ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ:أَبُوكَ،قَالَ:فَيَرَوْنَ أَنَّ لِلْأُمِّ ثُلُثَيِ الْبِرِّ.[٤١٥]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيه – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ».ثَلاَثًا.قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه.قَالَ « الإِشْرَاكُ باللَّه،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ».وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ « أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ».قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ .[٤١٦]

السلام عليهما عند الدخول عليهما والخروج من عندهما،وقرن السلام بتقبيل يديهما. عَن جَهْمٍ،أَنَّهُ قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي قَدْ أَرَدْتُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ،فَقَالَ: " هَلْ مِنْ أَبَوَيْكَ مِنْ حَيٍّ ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ أُمِّي،قَالَ: " فَالْزَمْ رِجْلَهَا " قَالَ: فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا،فَقَالَ: " وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا،فَثَمَّ الْجَنَّةُ "[٤١٧]

تعظيم قدرهما،وإكرام شأنهما وإجلال مقامها،والوقوف لهما احتراما عند دخولهما.

التأدب عند مخاطبتهما،ولين القول لهما،وعدم رفع الصوت فوق صوتهما.

تلبية ندائهما،والمسارعة لقضاء حوائجهما،وطاعة أمرهما،وتنفيذ وصاياهما،وعدم الاعتراض على قولهما،إلا إذا أمرا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق،قال تعالى:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)} لقمان.

ووصينا الإنسان بوالديه أن يبرهما،ويحسن إليهما بالقول والعمل،وإن جاهداك -أيها الإنسان- على أن تشرك معي في عبادتي،فلا تمتثل أمرهما. ويلحق بطلب الإشراك بالله،سائر المعاصي،فلا طاعة لمخلوق كائنًا من كان في معصية الله سبحانه،كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ. إليَّ مصيركم يوم القيامة،فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من صالح الأعمال وسيئها،وأجازيكم عليها.[٤١٨]

إدخال السرور على قلبيهما بالإكثار من برّهما،وتقديم الهدايا لهما،والتودد لهما بفعل كل ما يحبانه ويفرحان به. فعَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ دِينَارٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبِرِّ بَعْدَ الْبِرِّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمَا مَعَ صَلَاتِكَ،وَأَنْ تَصُومَ عَنْهُمَا مَعَ صِيَامِكَ،وَأَنْ تَصَدَّقَ عَنْهُمَا مَعَ صَدَقَتِك."[٤١٩]

المحافظة على أموالهما وأمتعتهما،وعدم أخذ شيء منهما إلا بإذنهما.

---

[٤١٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٩٧١)

[٤١٥] – صحيح ابن حبان – (٢ / ١٧٦) (٤٣٣) صحيح

[٤١٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٦٥٤)

[٤١٧] -معرفة الصحابة لأبي نعيم – (٢ / ٦٣٤)(١٧٠٣) حسن

[٤١٨] – التفسير الميسر – (٧ / ١٣٠)

[٤١٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (٣ / ٣٨٧) (١٢٢١٠) معضل

المحافظة على سمعتهما،والحذر من التسبب في شتمهما. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ « نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ »[٤٢٠].

تفقد مواضع راحتهما،وتجنب إزعاجهما أثناء نومهما،أو الدخول عليهما في غرفتهما إلا بإذنهما.

تجنب مقاطعتهما في كلامهما،أو مجادلتهما،أو معاندتهما،أو لومهما،أو السخرية منهما،أو الضحك والقهقهة بحضرتهما.

تجنب مد اليد إلى الطعام قبلهما،أو الاستئثار بالطيبات دونهما.

تجنب التقدم في المشي عليهما،أو الدخول أو الخروج أو الجلوس قبلهما.

عن هِشَامَ بْنِ عُرْوَةَ،عَنْ أَبِيهِ،أَوْ غَيْرِهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ،فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا:مَا هَذَا مِنْكَ ؟ فَقَالَ:أَبِي،فَقَالَ:لَا تُسَمِّهِ بِاسْمِهِ،وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ،وَلَا تَجْلِسْ قَبْلَهُ "[٤٢١].

تجنب الاضطجاع أو مد الرجل أمامهما،أو الجلوس في مكان أعلى منهما.

استشارتهما في جميع الأمور،والاستفادة من رأيهما وتجربتهما وقبول نصائحهما.

الإكثارمن الدعاء لهما،والطلب من الله تعالى أن يجزيهما كل خير على فضلهما وإحسانهما وتربيتهما.

الإكثارمن زيارة قبريهما إن توفيا،والإكثارمن ذكرهما والترحم عليهما.

العمل بوصيتهما،وصلة أرحامهما،وخدمة أحبابهما من بعدهما.

عَنْ أَبِى أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِىِّ قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِىَ مِنْ بِرِّ أَبَوَىَّ شَىْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا قَالَ « نَعَمِ الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِى لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا ».. رواه أبو داود[٤٢٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « أَبَرُّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ ».[٤٢٣]

وعَنِ الزُّهْرِيِّ،حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ،فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ،فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ،فَقَالُوا: إِنَّهُ وَاللهِ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ،فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ: اللهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ،فَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا،فَنَاءَ بِيَ طَلَبُ السَّحَرِ يَوْمًا،فَلَمْ أَرُحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا،فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَجِئْتُهُمَا

---

[٤٢٠] - صحيح مسلم- المكتز - (٢٧٣)

[٤٢١] - الْأَدَبُ الْمُفْرَدِ لِلْبُخَارِيِّ (٤٥) صحيح

[٤٢٢] - سنن أبي داود - المكتز - (٥١٤٤) حسن

[٤٢٣] - صحيح مسلم- المكتز - (٦٦٧٨)

بِه،فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ،فَتَحَرَّجْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا،وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا،فَقُمْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ،فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا،اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ،فَانْفَرَجَتِ انْفِرَاجًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا "،قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ،وَكَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ،فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي،حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ،فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا،فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا،قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،فَتَحَرَّجْتُ مِنَ -[٣١٦]- الْوُقُوعِ عَلَيْهَا،فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النِّسَاءِ إِلَيَّ،وَتَرَكْتُ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا،اللهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ،فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا "،قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ: اللهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ،فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ وَارْتَعَجَتْ،فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ،فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ،أَدِّ لِي أَجْرِي،فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ،وَالْبَقَرِ،وَالْغَنَمِ،وَالرَّقِيقِ،فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ،لَا تَسْتَهْزِئْ بِي،فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ،فَأَخَذَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ،فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا،اللهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ،فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا مِنَ الْغَارِ يَمْشُونَ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[٤٢٤]

تجنّب الأمور المؤدية إلى العقوق ومنها:

الغضب منهما،والنظر شزر لهما،والإعراض بالوجه عنهما،والتأفف من قولهما أو فعلهما،والتضجر منهما،ورفع الصوت عليهما،وقرعهما بكلمات مؤذية أو جارحة،وجلب الإهانة لهما،والاستعلاء عليهما،واعتبار الولد نفسه مساويا لأبيه أو أفضل من والديه،والحياء من الانتساب إليهما لفقرهما بعد أن يصبح ذا مركز أو نعمة أو جاه،والبخل عليهما ونسيان فضلهما،وتفضيل غيرهما عليهما،ومصاحبة إنسان غير بار بوالديه.

[٤٢٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٢١٥) وصحيح مسلم- المكتر - (٧١٢٧) وشعب الإيمان - (٩ / ٣١٦) (٦٧٠٤)

-١٥- آداب الأخ مع إخوته

لقد ألزم الإسلام كلاً من الاخوة والأخوات الأدب في القول والمعاملة والمعاشرة،وأوجب عليهم الإحسان لبعضهم على بعض حتى تدوم المحبة والمودة بينهم وحتى يسود الأسرة جو من الوئام والألفة والصفاء،وتخيم السعادة على جوانب البيت بأسره وعلى جميع نواحيه .

فالإخوة ثمرات الوالدين،وهم أقرب الأرحام،وألصقهم بالنفس،وأحبهم إلى القلب،وهم الذين يقضي معهم الإنسان صدر حياته،أيام الطفولة والنماء،والبراءة والنقاء جنبا إلى جنب في البيت والمدرسة وعلى الطعام والشراب،وأثناء الليل والنهار.. لذلك أمر الله تعالى بالوفاء إليهم،وصلتهم،والإحسان إليهم،ونهى عن قطيعتهم والإساءة إليهم ونسيان عهد المودة والأولى.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى. قَالَ فَذَاكَ لَكِ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)} محمد،رواه مسلم[٤٢٥].

وهذه جملة من الآداب الإسلامية الخاصة بمعاملة الإخوة والأخوات.

احترام الإخوة الكبار وتوقيرهم،والعطف على الصغار مع الرحمة والعناية والحنان.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا،وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا."[٤٢٦].

وعَنْ أَبِي رِمْثَةَ،قَالَ:انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:" بَرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ " "[٤٢٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " حَقُّ كَبِيرِ الْأُخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ،كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ "[٤٢٨]

معاملة الإخوة عموما بالعطف والرقة واللين واللباقة والإحسان.

التزام حسن الخلق في معاشرة الإخوة،والتحلي بالتواضع وخفض الجناح والإيثار والخدمة والمحبة والتعاون وإنكار الذات.

---

[٤٢٥] - صحيح مسلم- المكتز - (٦٦٨٢)

[٤٢٦] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٤٤)(٦٧٣٣) صحيح

[٤٢٧] - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ(٧٣٥٤) حسن

[٤٢٨] - أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٣٩٨) فيه لين

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ خَيْرَكُمْ لأَهْلِه،وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي "[٤٢٩]

الابتداء بالسلام عليهم عند الدخول عليهم،ومصافحتهم،والبشاشة في وجوهم.

عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِىَ النَّبِىُّ -ﷺ- « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ». رواه مسلم[٤٣٠].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ،فَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً،فَأَكْثِرْ مَاءَهَا،وَاغْرِفْ لِجِيرَانِكَ مِنْهَا."[٤٣١]

وعَنْ عَقِيلِ بْنِ طَلْحَةَ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيُّ،قَالَ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِه،فَقَالَ:لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي،وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ،وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ،فَإِنَّهُ مِنَ الْمَخِيلَةِ،وَلاَ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ،فَلاَ تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ،فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ،وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ". [٤٣٢]

مراعاة شعور الإخوة بعدم الفرح أمام حزين،وعدم الأكل أمام صائم،وعدم الصخب أمام نائم.

محبة الخير لهم،والعمل على إيصاله إليهم.

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » البخاري[٤٣٣].

الشكر على معروفهم،بعد مكافأتهم عليه بأحسن منه.

الاهتمام بشؤونهم،والتعرف إلى أحوالهم،وتفقد حاجاتهم،والعمل على مساعدة من يستطيع مساعدته في حاجة أو دراسة أو مال. عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ،وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِه،وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .[٤٣٤]

---

[٤٢٩] - صحيح ابن حبان - (٩ / ٤٨٥) (٤١٧٧) صحيح

[٤٣٠] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٨٥٧)

[٤٣١] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨٢) (٥٢٣) صحيح

[٤٣٢] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨١) (٥٢٢) حسن

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الأَمْرُ بِتَرْكِ اسْتِحْقَارِ الْمَعْرُوفِ أَمْرٌ قُصِدَ بِهِ الإِرْشَادُ وَالزَّجْرُ عَنْ إِسْبَالِ الإِزَارِ زَجْرُ حَتْمٍ لِعِلَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَهِيَ الْخُيَلاَءُ ، فَمَتَى عُدِمَتِ الْخُيَلاَءُ ، لَمْ يَكُنْ بِإِسْبَالِ الإِزَارِ بَأْسٌ وَالزَّجْرُ عَنِ الشَّتِيمَةِ إِذَا شُوتِمَ الْمَرْءُ ، زَجْرٌ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَقَبْلَهُ ، وَبَعْدَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُشْتَمْ.

[٤٣٣] - صحيح البخارى- المكتر - (١٣)

[٤٣٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٤٤٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٧٤٣)

بذل النصيحة لهم،ودعوتهم إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة،وتذكيرهم بأداء فرائض الله بالترغيب والترهيب.قال تعالى:{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (١٣٢) سورة طه.

الانتصار لهم إن كانوا على حق،والغيرة عليهم،والمحافظة على سمعتهم.عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ».فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّه أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا،أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ « تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ،فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ ».رواه البخاري[٤٣٥].

الاعتذار منهم عن الهفوات والزلات،والتغاضي عما يصدر منهم من هنات وسيئات،وقبول اعتذارهم وعدم معاتبتهم عليها على الدوام.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ قَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ،لَيِّنٍ،قَرِيبٍ،سَهْلٍ."[٤٣٦].

الإصلاح بين المتخاصمين منهم،وتجنب التقاطع والتدابر والتباغض والتحاسد وسوء الظن.

تجنب إيذاء أحد منهم باليد أو بالسب أو بالكلام أو بالمزاح غير المهذب.

تجنب الخصومات والمجادلات والخلافات.

تجنب التدخل في شؤونهم الخاصة،أو استخدام حوائجهم الشخصية دون إذن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ تَنَافَسُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا.[٤٣٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: لاَ تَنَاجَشُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ،وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا،الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،لاَ يَظْلِمُهُ،وَلاَ يَحْقِرُهُ،وَلاَ يَخْذُلُهُ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ - قَالَ إِسْمَاعِيلُ فِي حَدِيثِهِ:وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ - التَّقْوَى هَا هُنَا،التَّقْوَى هَا هُنَا،التَّقْوَى هَا هُنَا،يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثًا،بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ." رواه مسلم[٤٣٨].

---

[٤٣٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٩٥٢)

[٤٣٦] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢١٦) (٤٧٠) صحيح

قال الماوردي: بين بهذا الحديث أن حسن الخلق يدخل صاحبه الجنة ويحرمه على النار فإن حسن الخلق عبارة عن كون الإنسان سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة كما سبق لكن لهذه الأوصاف حدود مقدرة في مواضع مستحقة فإن تجاوز بها الخير صارت ملقاً وإن عدل بها عن مواضعها صارت نفاقاً والملق ذل والنفاق لؤم.فيض القدير، شرح الجامع الصغير(٦ / ٢٧٨)

[٤٣٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٥١٤٣) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٧٠١) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٥٠٠) (٥٦٨٧)

[٤٣٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧٠٦)

مراعاة الحشمة والأدب في الكلام واللباس،وخاصة عند اختلاف الجنس،وغضَ البصر عن النقائص والعورات.

والأخوة في الدين هي أعلى مراتب الأخوة وأعظمها،وهي رباط اجتماعي لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه،ولذلك وجدنا الأب يحارب ولده في الإسلام والزوج يقاتل زوجته والأخ يعادي أخاه من أجل مرضاة الله،والمراد بالأخوة هنا أخوة الدين والعقيدة،فإذا أضيف إليها أخوة النسب فهي مقدمة على غيرها،وهي أولى بالبر عن سواها فالأقربون أولى بالمعروف،ولذا جاء نداء القرآن بالدعوة إلى الإحسان إليهم:{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (٢١٥) سورة البقرة

وجاء قوله تعالى: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا } (٨) سورة النساء،وجاء قوله تعالى :" كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) [البقرة:١٨٠،١٨١] "،

وعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ:صَدَقَةٌ،وَصِلَةٌ. "[٤٣٩]

وفي الحديث ما يؤكد أن قرابة المسلم هم أحق الناس بصلته وبره وإحسانه

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-:" وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ،وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ،وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ،وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَى جَارِهِ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ اللَّهُ " وَقَالَ:" يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ،وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ،وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صِلَتِهِ وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[٤٤٠]

ومن مستلزمات الأخوة أن تحب في أخيك إيمانه وعبادته وطاعته لربه واستسلامه لخالقه،كما أنه من مستلزمات الأخوة أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك وتكره له ما تكرهه لنفسك وأن تؤدي ما عليك من حقوق له حسبما جاء بها الإسلام،وأن تفرج كربته وأن تستر عورته وأن تفرح لفرحه وتحزن لحزنه وأن تمده بمالك إن احتاج إليه،ومن هنا يتضح الفرق بين رباط الدم والنسب وبين رباط الإسلام والعقيدة فإن رباط الإسلام أقوى وهو حاكم على رباط النسب والدم ومهيمن عليه وهو الرباط الباقي فلا يفنى والأبدي فلا يزول بعد الموت وهو المعبر عن كيان الإنسان ومكانته عند الله في الدنيا والآخرة،وهو وحده أساس السعادة والسيادة والكرامة والعزة،وهو إشراقة النور في قلب المؤمن وبدونه يكون الظلام ومضلات الهوى،وبالإيمان يتغير الفكر والسلوك وأنواع المعاملات والتصرفات

[٤٣٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٥٦٨)(١٦٢٣٣) ١٦٣٣٩- صحيح

[٤٤٠] - المعجم الأوسط للطبراني - (٩٠٧٤) فيه ضعف

ولذا جاء قوله سبحانه وتعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات

وقد منَّ سبحانه على المؤمنين بهذه الأخوة فقال: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١٠٣) سورة آل عمران

ولقد كان الميراث أول الإسلام بالأخوة في الدين لا بالنسب و لم يكن أحد من المسلمين في يده درهم و دينار وهو يرى أنه أحق بديناره أو درهمه من أخيه المسلم،بل كان يرى أن إخوانه أحق بما في يده منه حتى استحقوا قول ربهم:{ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩) سورة الحشر .

-١٦- الأدب مع الأولاد

لقد اعتنى الإسلام بكل جوانب حياة الإنسان،وشرع له من الأحكام ما يجعله سعيدا في الدنيا والآخرة،قال تعالى ممتنًّا على عباده:{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (٧٢) سورة النحل .

وقد جعل الإسلام للأولاد حقوقاً على والديهم،لابد لهم من مراعاتها والالتزام بها .

وهذه الحقوق منوعة مادية ومعنوية،من قبل أن يتزوج أبوه أمَّه حتى يصبح رجلاً .

الحقُّ الأول –اختيار الزوجة الصالحة

على المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التي تعرف حق ربها،وحق زوجها،وحق ولدها،والأم التي تعرف رسالتها في الحياة،الأم التي تعرف موقعها في هذه المحن،الأم التي تغار على دينها،وعلى سنة نبيها ﷺ.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا،فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ »[٤٤١]

ورغب الإسلام في المرأة الولود الودود عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ،وَلَكِنَّهَا لاَ تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا ؟ فَنَهَاهُ،ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ،فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ:فَنَهَاهُ،ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ،فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ:فَقَالَ ﷺ:تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ."[٤٤٢] .

الحقُّ الثاني –إتباع السنَّة في المعاشرة الزوجية وطلب الولد الصالح

وذلك بذكر الأدعية التي تحصن المولود وهو نطفة من الشيطان الرجيم عملاً بقول الرسول ﷺ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ- ﷺ-« أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِى أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ،اللَّهُمَّ جَنِّبْنِى الشَّيْطَانَ،وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا،ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِى ذَلِكَ،أَوْ قُضِىَ وَلَدٌ،لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا » [٤٤٣]

وهذا جانب من جوانب التربية الروحية المبكرة للطفل قبل ولادته.

وعلى المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الولد الصالح الذي ينفعه في حياته وبعد مماته والله عز وجل يقول {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً} [الفرقان-: ٧٤].

الحق الثالث –إتباعُ السنَّة في استقبال المولود

---

[٤٤١] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٠٩٠) وصحيح مسلم- المكتر –(٣٧٠٨)

[٤٤٢] – صحيح ابن حبان – (٩ / ٣٦٣)(٤٠٥٦) والمستدرك للحاكم (٢٦٨٥) وسنن أبي داود – المكتر – (٢٠٥٢) صحيح

[٤٤٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٥١٦٥)

من رفع الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى وتحنيكه بالتمر والدعاء له وحلق رأسه والعقيقة عنه وتسميته بأحب الأسماء وختانه..

وذلك للأدلة التالية:

يُستحب حين الولادة أن يقوم الوالد بالأذان المولود اليُمنى ويُقيم في اليسرى وذلك ليكون أول شيء يصل المولود من أمور الحياة بعد الهواء هو التوحيدُ المنافي للشرك،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ:" أَذَّنَ فِي أُذُنِ الْحَسَنِ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ "[٤٤٤]

والتحنيك سنة مؤكدةٌ من سُنن الهدي التي سنها رسول الله ﷺ لأمته والدعاء له،جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: وُلِدَ لِي غُلَامٌ،فَأَتَيْتُ بِهِ ﷺ: " فَسَمَّاهُ إِبْرَاهِيمَ وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ "[٤٤٥].

وعَنْ أُمِّ بَنِي كُرْزٍ الْكَعْبِيِّينَ،قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْعَقِيقَةِ:عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ،وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ فَقُلْتُ لَهُ،يَعْنِي عَطَاءً:مَا الْمُكَافِئَتَانِ ؟ قَالَ:مِثْلَانِ ذُكْرَانُهُمَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ إِنَاثِهِمَا.[٤٤٦]

يتأثر الطفل نفسياً بنوع الكُنية أو الاسم الذي يُعطى له،ويشير الإمام ابن القيم رحمه الله إلى أن هناك علاقة وارتباطاً بين الاسم والمسمى،وأن للأسماء تأثيراً على المسميات،فقد أمر رسول الله ﷺ بتحسين الأسماء،فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،وَابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَلْيُحْسِنِ اسْمَهُ وَأَدَبَهُ،فَإِذَا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إِثْمًا،فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبِيهِ "[٤٤٧]

الحقُّ الرابع –الرضا بقسمة الله من الذكور والإناث وعدم تسخط البنات

لقول الله تعالى عن حال أهل الجاهلية:{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) [النحل:٥٧ - ٥٩] }

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ،فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ."[٤٤٨]

وأكد الرسول ﷺ عنايته بالمرأة منذ الولادة فقد روى مسلم عَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا وَضَمَّ إِصْبَعَيْهِ.[٤٤٩]

الحقُّ الخامس –أن يختار له مرضعة صالحة إنْ فقد أمه

---

[٤٤٤] – شعب الإيمان – (١١ / ١٠٤)(٨٢٥٢) وشرح السنة للبغوي –(٢٧١٧) حسن لغيره

[٤٤٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٤٦٧) وصحيح مسلم– المكتر –(٥٧٣٩) وشعب الإيمان – (١١ / ١٠٧)(٨٢٥٦)

[٤٤٦] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٢٩)(٥٣١٣) صحيح

[٤٤٧] – شعب الإيمان – (١١ / ١٣٧)(٨٢٩٩) حسن

[٤٤٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٥ / ٩٠٥)(١٧٣٧٣) ١٧٥٠٨– حسن وقد ضعفه الألباني والشيخ شعيب لظنهما تفرد ابن لهيعة به،وفاتهما الطرق والمتابعات له .!!!!

[٤٤٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٩٧)(٢٥٩٤٨) وصحيح مسلم– المكتر – (٦٨٦٤)

وأفضل الرضاعة ما كانت حولين كاملين لقول الله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٢٣٣) سورة البقرة.

الحقُّ السادس –أن تحضن الأم ابنها

وخاصة مرحلة المهد والطفولة المبكرة ولا تتركه للخادمات والمربيات .

وذلك لأن الأم مع رضاعة وليدها بالحليب ترضعه العطف والحنان الذي لا يملكه غيرها،ومن هنا كانت حكمة الله سبحانه وتعالى في إرجاع موسى إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن قال الله تعالى: {فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (١٣) سورة القصص .ويرى العلماء أن الطفل يحسُّ بالأمن كلما ألصقته الأم إلى صدرها.

الحقُّ السابع –أن يعلِّمه والداه كتاب الله و ما يلزم من العلوم الضرورية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ:" سَبعةٌ يُظلهمُ اللهُ تَحتَ ظلهِ يَومَ لاَ ظِلَّ إلا ظِلّهُ:إمامٌ مُقسطٌ،وَرجلٌ لَقيتهُ امرأةٌ ذَاتُ جَمالٍ وَمنصبٍ فَعرضتْ نَفسهَا عَليهِ فَقالَ:إنِي أَخافُ اللهَ رَب الْعالمينَ،وَرجلٌ قَلبهُ مُتعلقٌ بالمساجد،وَرجلٌ تَعلمَ الْقرآنَ فِي صغرهِ فَهوَ يَتلوهُ فِي كبرهِ،وَرجلٌ تَصدقَ بيمينهِ فَأخفاهَا عَنْ شِماله،وَرجلٌ ذَكرَ اللهَ فِي بَرِّيَّةٍ فَفاضتْ عَيناهُ خَشيةً مِنَ اللهِ،وَرجلٌ لَقيَ رَجلاً فَقالَ:إنِي أُحبكَ فِي اللهِ،فَقالَ لَهُ الرجلُ:وَأنَا أُحبكَ فِي اللهِ" [٤٥٠] .

الحقُّ الثامن –ألا يرزقه إلا طيباً من الكسب الحلال

فعَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ». رواه الترمذي[٤٥١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "[٤٥٢]

فيعود الطفل على أكل الحلال وكسب الحلال وإنفاق الحلال حتى ينشأ على التوسط والاعتدال بعيدا عن الإسراف والتقتير.

الحقُّ التاسع –أن يعلِّمه الصلاة ويعوِّده عليها

---

[٤٥٠] – شعب الإيمان للبيهقي (٨٠٧) صحيح غريب

[٤٥١] – سنن الترمذى- المكتز – (٢٦٠٢) صحيح

[٤٥٢] – الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ (٣٠٥٩) حسن لغيره

لقول الله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (١٣٢) سورة طـــه .

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيه،عَنْ جَدِّه،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:مُـــرُوا أَبْنَـــاءَكُمْ بِالصَّـــلاَةِ لِسَـــبْعِ سِنِينَ،وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ،وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ،وَإِذَا أَنْكَحَ أَحَدُكُمْ عَبْدَهُ،أَوْ أَجِيرَهُ،فَلاَ يَنْظُرَنَّ إِلَى شَيْءٍ مِنْ عَوْرَتِه،فَإِنَّ مَا أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِه إِلَى رُكْبَتَيْه مِنْ عَوْرَتِه."[٤٥٣]

الحقُّ العاشر – أن يدربه على الصوم

وهذا من العمل المستحب إذ يرى جمهور العلماء أنه لا يجب على من دون ســـن البلـــوغ ولكـــن يستحب للتمرين.. أخرج البخاري ومسلم عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ ابْنِ عَفْرَاءَ،قَالَتْ:أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّـــهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ،الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ:" مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَـــائِمًا،فَلْيُتِمَّ صَـــوْمَهُ،وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا،فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِه " " فَكُنَّا،بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ،وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَـــاءَ اللَّهُ،وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ،فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ،فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّـــاهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ "[٤٥٤]

الحقُّ الحادي عشر –تربية البنات على الحجاب

تعوَّد البنت على لبس الحجاب منذ الطفولة ليكون لها شرفاً وحفظاً ويرى العلماء أن تعود البنت على لبس الحجاب في سن السابعة قياساً على حديث الأمر بالصلاة. ومن فوائد الحجاب للبنت صـــيانتها والحفاظ،على عفتها وشرفها ويدخل في دائرة الحجاب إبعاد البنت عن الاختلاط بالأجانب.. قال الله تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَـــا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـــانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَـــاء وَلَـــا يَضْـــرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـــونَ} (٣١) سورة النـــــور.

ويخاطب الله المؤمنات جميعاً فيقول: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (٥٩) سورة الأحزاب.

الحقُّ الثاني عشر – أن يعلَّم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول

وقد جاء هذا التوجيه في القرآن الكريم بأسلوب تربوي متدرج فطلب من الأطفال وهـــم صـــغار أن يستأذنوا في ثلاث أوقات مهمة:

---

[٤٥٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٦٤٨)(٦٧٥٦) حسن

[٤٥٤] – صحيح مسلم- المكتز – (٢٧٢٥)

١- من قبل صلاة الفجر ٢- ووقت الظهيرة عند القيلولة ٣- وبعد صلاة العشاء. فإذا بلـــغ الأولاد سنَّ البلوغ وجب عليهم الاستئذان في البيت للدخول على والديهم في كل وقت،قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِـــيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـــهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)} سورة النـــــور.

الحقُّ الثالث عشر –أن يعدل الوالدان بين أولادهم

فلا يفضل أحد على أحد ولا يميز الذكور على الإناث،والعدل بين الأولاد مطلوب في جميع الحالات سواء كان في العطاء أو في المحبة والقبلة أو في تقديم الهدايا والهبات والوصية أو في المعاملة فإنه يلـــزم الوالدين معاملة أولادهم بالعدل والمساواة.

روى أبو داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ يَعْنِى الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ». وَلَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانُ يَعْنِى الذُّكُورَ.[٤٥٥].

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ: انْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،وَنَحَلَنِي نُحْلًا لِيُشْهِدَهُ عَلَى ذَلِكَ قَـــالَ: " أَكُـــلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟ " فَقَالَ: لَا،قَالَ: " أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ كُلُّهُمْ سَـــوَاءً ؟ " قَـــالَ: بَلَى،قَالَ: " فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي "[٤٥٦]

الحقُّ الرابع عشر – تخيِّرُ الصحبة الصالحة لهم

وقد حث الإسلام على صحبة الصالحين والأخيار وحذر من صـــحبة الأشـــرار،فعَنْ أَبِـــي سَـــعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ،قَالَ:لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا،وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ.[٤٥٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ،فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. "[٤٥٨]

الحقُّ الخامس عشر –توفير أسباب اللهو واللعب المفيد

من سباحة ورماية وركوب الخيل وما جرى مجراهم في النفع،فعَنِ ابْنِ جُدْعَانَ وَيَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ سَمِعَا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ قَالَ عَلِيٌّ مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَبَاهُ وَأُمَّهُ لأَحَدٍ إِلاَّ لِسَعْدِ بْـــنِ أَبِـــى

---

[٤٥٥] - سنن أبي داود - المكتر - (٥١٤٨) فيه ضعف

يئدها : من الوأد،وهو دفن الرجل ابنته حية،كما كانوا يفعلون في الجاهلية،وهي الموؤدة التي ذكرها الله - عزَّ وجلَّ - فقـــال: {وإذا الموؤدة سُئلت بأيِّ ذنب قُتلت } [التكوير: ٨،٩] .جامع الأصول في أحاديث الرسول - (١ / ٤١٤)

[٤٥٦] - شرح مشكل الآثار - (١٣ / ٧١)(٥٠٧٢) صحيح

[٤٥٧] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣١٤)(٥٥٤) صحيح

[٤٥٨] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ١٩٥)(٨٠٢٨) ٨٠١٥- صحيح

وَقَّاصٍ قَالَ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ « ارْمِ فِدَاكَ أَبِى وَأُمِّى ». وَقَالَ لَهُ « ارْمِ أَيُّهَا الْغُلاَمُ الْحَزَوَّرُ » ارْمِ فِدَاكَ أَبِى وَأُمِّى »[٤٥٩].

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ،فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا أَرْهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:هَذِهِ بِتِلْكَ.[٤٦٠]

وعَنْ مُوَرِّقٍ،عَنْ مَوْلًى لِبَنِي هَاشِمٍ قَالَ:قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ فَاسْتَقْبَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ،وَالْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (فَجَعَلَ ﷺ أَكْبَرَهُمَا) خَلْفَهُ،وَحَمَلَ أَصْغَرَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ."[٤٦١]

الحق السادس عشر –أن يعوله حتى سن الرشد

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،أَنَّهَا قَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ بَنِي أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي،وَلَيْسَ لَهُمْ شَيْءٌ إِلاَّ مَا أَنْفَقْتُ عَلَيْهِمْ،وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ كَذَا وَلاَ كَذَا،أَفَلِي أَجْرٌ إِنْ أَنْفَقْتُ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ،فَإِنَّ لَكِ أَجْرَ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ. "[٤٦٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لأَصْحَابِهِ:تَصَدَّقُوا،فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللهِ عِنْدِي دِينَارٌ،قَالَ:أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ،قَالَ:إِنَّ عِنْدِي آخَرَ،قَالَ أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ،قَالَ:إِنَّ عِنْدِي آخَرَ،قَالَ:أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ،قَالَ:إِنَّ عِنْدِي آخَرَ،قَالَ:أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ،قَالَ:إِنَّ عِنْدِي آخَرَ،قَالَ أَنْتَ أَبْصَرُ. "[٤٦٣]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ.[٤٦٤]

الحقُّ السابع عشر – الرحمة وما يتفرع عنها من حب وحنان وعطف

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ،يَقُولُ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا،إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ،عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ،فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:صَدَقَ اللَّهُ:{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ،فَلَمْ أَصْبِرْ،حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي فَرَفَعْتُهُمَا.[٤٦٥]

---

[٤٥٩] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٠٦٣) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الحزور : الغلام إذا اشتد وقوى

[٤٦٠] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٥٤٥) (٤٦٩١) صحيح

[٤٦١] – المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – (١١ / ٦٣٩)(٢٦٣٦) حسن

[٤٦٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٦٢٣)(٢٦٦٤٢) ٢٧١٧٧– صحيح

[٤٦٣] – صحيح ابن حبان – (٨ / ١٢٦)(٣٣٣٧) صحيح

[٤٦٤] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٥١) (٤٢٤٠) صحيح

[٤٦٥] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٤٠٣)(٦٠٣٩) صحيح

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ أَبْصَرَ النَّبِىَّ - ﷺ - يُقَبِّلُ الْحَسَنَ فَقَالَ إِنَّ لِى عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ ».[٤٦٦]

الحقُّ الثامن عشر –من حق الأولاد التأديب

عَنْ أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ نُحْلاً أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ[٤٦٧]. ونحل أعطى.

وعَنْ صَالِحِ بْنِ رُسْتُمَ،قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَوَالِدِي،إِلَى أَيُّوبَ بْنِ مُوسَى،فَقَالَ أَيُّوبُ: ابْنُكَ هَذَا ؟ قَالَ: نَعَمْ،قَالَ: فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ،حَدَّثَنِي أَبِي،عَنْ جَدِّي،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ: " مَا نَحِلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ "[٤٦٨]

وقَالَ عُثْمَانُ الْخَاطِبِيُّ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ لِرَجُلٍ: " أَدِّبِ ابْنَكَ،فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ وَلَدِكَ،مَاذَا أَدَّبْتَهُ ؟ وَمَاذَا عَلَّمْتَهُ،وَإِنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ بِرِّكَ وَطَوَاعِيَتِهِ لَكَ "[٤٦٩].

الحقُّ التاسع عشر – تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ

فيعلم الولد هذه الأحكام أو ما يسمَى بالثقافة الجنسية سواء كان الولد ذكراً أم أنثى،فيعرف الصبي إذا بلغ الحلم وهو السن الذي يتراوح ما بين ١٢ إلى ١٥ سنة أنه إذا نزل منه مني ذو دفق وشهوة فقد أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف،ويجب على الأم أن تصارح ابنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف.

عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ حَدَّثَتْ أَنَّهَا سَأَلَتْ نَبِىَّ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الْمَرْأَةِ تَرَى فِى مَنَامِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ فَلْتَغْتَسِلْ ». فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ وَهَلْ يَكُونُ هَذَا فَقَالَ نَبِىُّ اللَّهِ - ﷺ - « نَعَمْ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبَهُ إِنَّ مَاءَ الرَّجُلِ غَلِيظٌ أَبْيَضُ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ رَقِيقٌ أَصْفَرُ فَمِنْ أَيِّهِمَا عَلاَ أَوْ سَبَقَ يَكُونُ مِنْهُ الشَّبَهُ ».[٤٧٠]

---

[٤٦٦] – صحيح مسلم- المكتز – (٦١٧٠)

[٤٦٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٥ / ٧١٦)(١٦٧١٠) ١٦٨٣٠- وشعب الإيمان – (١١ / ١٣٠) (٨٢٨٥) وسنن الترمذى- المكتز – (٢٠٧٩) حسن لغيره

[٤٦٨] – شعب الإيمان – (١١ / ١٣١) (٨٢٨٦) حسن لغيره

[٤٦٩] – شعب الإيمان – (١١ / ١٣٥)(٨٢٩٥) حسن

[٤٧٠] – صحيح مسلم- المكتز – (٧٣٦)

وعَنْ عَائشَةَ،قَالَتْ: كُنْتُ إِذَا وَضَعْتُ لَهُ غُسْلَهُ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ،ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلاةِ،ثُمَّ أَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي أُصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى يَرَى أَنْ قَدِ اسْتَبْرَأَ الْبَشَرَةَ،ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ" [٤٧١]

الحقُّ العشرون – أن يبحث الوالدان لولدهما عن الزوجة الصالحة

ولبنتهما عن الزوج الصالح وينفقا على زواجهما إن كانا غنيين .

فقد حثَّ الرسول ﷺ على زواج الشباب في سن مبكرة فقال في الحديث الصحيح عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ فَلَقِيَهُ عُثْمَانُ بِمِنًى فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لِى إِلَيْكَ حَاجَةً.فَخَلَيَا فَقَالَ عُثْمَانُ هَلْ لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِى أَنْ نُزَوِّجَكَ بِكْرًا،تُذَكِّرُكَ مَا كُنْتَ تَعْهَدُ،فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ أَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى هَذَا أَشَارَ إِلَىَّ فَقَالَ يَا عَلْقَمَةُ،فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهْوَ يَقُولُ أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ قَالَ لَنَا النَّبِىُّ - ﷺ - « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ،وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ » ..رواه البخاري[٤٧٢]

وكما حث الإسلام على حسن اختيار الزوجة الصالحة التي سوف تكون أما للولد غداً حتى لا يلحقه بها عار بسوء اختيارها أماله كذلك حث الإسلام على حسن اختيار الزوج الصالح الذي سوف يكون أبا لأولاده غداً حتى يحيا وسط المجتمع مرفوع الرأس عالي الهمة،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ »[٤٧٣].

فلينظر العاقل أين يضع كريمته،ومن زوج ابنته فاسقا أو سيئ الخلق فقد جنى عليها وأساء إليها وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار،وقال بعضهم: لا تنكح إلاّ الأتقياء فإنه إن أحبها أكرمها،وإن أبغضها أنصفها،[٤٧٤]

تلك هي عناية الإسلام بالأولاد بالأرض التي سوف يزرعون فيها وتكون لهم وعاءا وهذا من حسن تأديب الإسلام للوالدين لرعاية أولادهما وبعد أنعام الله على الوالدين بأولادهما فقد أوجب الأدب معهم ويتمثل ذلك في قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم

---

[٤٧١] – مسند أبي عوانة (٦٧٠) صحيح

[٤٧٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٠٦٥) –الباءة : النكاح –الوجاء : الحماية – انظر كتابي الوجيز في حقوق الأولاد

[٤٧٣] – سنن الترمذى- المكتر – (١١٠٧) حسن

[٤٧٤] – قوت القلوب – (٢ / ٢٢٦)

وهذه الآية جمعت كل الأدب اللازم للأولاد ذلك لأن الإنسان ينشأ في أول أمره وأيام طفولته على فطرة سليمة ونفس صافية تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر،وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة ونفس صافية تتأثر بالخير كما تتأثر بالشر،وتنطبع فيها الأخلاق الحسنة كما تنطبع فيها الأخلاق السيئة فإذا وجد في هذا الوقت من يحكم تربيته ويحسن تأديبه ويسلك به سبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال،شبَّ حسن الأخلاق طيب النفس متعلقا بأهداب الفضيلة مستمسكا بحبل الهدى والرشد،فيحيا حياة طيبة يكون بها سعيدا في نفسه ونافعا في أمته،أما إذا أهمل أمره فلم ينل حظه من التربية والتأديب و لم يأخذ نصيبه من الإرشاد والتهذيب نشأ سيئ الخلق خبيث النفس فاقد الهمة ساقط المروءة محبا للشر كارها للخير،كَلاًّ على أهله وعشيرته وكان شقاءا على نفسه وبلاءا على الناس أجمعين لإهماله في تربيته وتأديبه وتهاونه في إرشاده وتهذيبه فهو مسئول عن ذلك أمام الله تعالى،وعَنِ الْحَسَنِ،أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ،أَحَفَظَ أَمْ ضَيَّعَ،حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ.[٤٧٥]

إن تربية الأولاد في صغرهم على مبادئ الدين الحنيف وتعويدهم على مكارم الأخلاق من أهم المسائل التي يجب على الآباء والأمهات أن يتنبوا لها،وعلى المصلحين أن يعنوا بها وأن يعلموا أن عليها تدور حياة الأمة في مستقبلها وعليها وحدها يتوقف رقيها في مدارج الرفعة والكمال في الأمم بالأخلاق،وما الأخلاق إلا بالتربية الصحيحة وأنكم لو تأملتم في جميع ما نشكوا منه اليوم من فساد الأخلاق وانتشار المنكرات وانتهاك المحرمات وزيغ في العقائد وتهاون في تنفيذ أوامر الدين وخروج النساء في الطرقات والأسواق من غير ضرورة لذلك،لو تأملتم لوجدتم أن السبب في هذا كله هو ترك التربية الدينية وإهمال التأديب في وقته،إن الولد قطعة من والديه وأمانة في أعناقهما فاتقوا الله يا قوم في ثمرات قلوبكم وأفلاذ أكبادكم ولا تلقوا بأيديكم في نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة،يا قوم اتقوا الله في أبنائكم وبناتكم وذرياتكم والأولاد الذين ألقيت إليكم مقاليد أمورهم وصارت رعاية شئونهم في أيديكم تنالوا رضا الله في الدنيا والآخرة وتسعدوا وتسعدوا أولادكم في حياتكم وبعد مماتكم .

[٤٧٥] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٣٤٤) (٤٤٩٣) صحيح لغيره

-١٧ -آداب الطريق

الأسواق والطرقات أماكن عامة يلتقي فيها جميع الناس ليبلغوا حاجاتهم ويصلوا إلى بيوتهم،ويتعاملوا مع بعضهم..

وللمسلم في قضائه بعض وقته في الطريق سمت خاص وأدب جمّ،وهئة متميزة،وخلق رفيع عبّر عنه سبحانه بقوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً (٦٣)} الفرقان.

وفصلته السنة النبوية بما ورد عن النبي ﷺفي مشيه في الأسواق عَنِ ابْنِ لأَبِي هَالَةَ التَّمِيمِيِّ،عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ،قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَّافًا عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ ﷺوَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي شَيْئًا مِنْهَا أَتَعَلَّقُ بِه،قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،إِذَا زَالَ زَالَ قَلِعًا يَخْطُو تَكَفُّيا وَيَمْشِي هَوْنًا،ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ،وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا،خَافِضُ الطَّرْفِ،نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ،جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ،يَسُوقُ أَصْحَابَهُ يَبْدر مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ " رواه الترمذي[٤٧٦].

وما أحوج المسلم لهذه الآداب الكريمة في وقت نجد فيه الكثير من الشباب يتسكعون في الطرقات،ويجتمعون في الشوارع والمنعطفات،وعلى أبواب المدارس وفي الساحات،لا عمل لهم سوى إيذاء الناس بفاحش الكلمات،وتصيّد العثرات والزلات،ومراقبة السقطات والعورات..

وهذه قطوف من الآداب الواردة فيما يتعلق بالمشي في الطرقات والسعي في الأسواق لعلها تكون واقعا ملموسا وسلوكا مطبّقا:

غض البصر عن المحرمات،وعن مراقبة المارين من الناس في أعمالهم أو تصرفاتهم أو لباسهم.

تجنب الجلوس في الطرقات،أو الوقوف في المنعطفات،أو على واجهات الحوانيت والمحلات.

بذل السلام وإلقاؤه على الآخرين وخاصة على الصالحين منهم،ورد السلام على من ألقاه بأحسن منه.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ ».فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ،إِنَّمَا هِىَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا.قَالَ « فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا » قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ قَالَ « غَضُّ الْبَصَرِ،وَكَفُّ الأَذَى،وَرَدُّ السَّلاَمِ،وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ،وَنَهْىٌ عَنِ الْمُنْكَرِ » البخاري[٤٧٧].

---

[٤٧٦] – شعب الإيمان – (٣ / ٢٤) (١٣٦٢) والشمائل المحمدية للترمذي – (٧) حسن لغيره

ينحط : يسقط ويهوي – الصبب : المنحدر من الأرض

[٤٧٧] – صحيح البخارى– المكتر – (٤٦٥)

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ - رضى الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- قَالَ « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ ».فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا.فَقَالَ « إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ».قَالُوا وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « غَضُّ الْبَصَرِ،وَكَفُّ الأَذَى،وَرَدُّ السَّلاَمِ،وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ » .[٤٧٨]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:لا تَجْلِسُوا فِي الْمَجَالِسِ،فَإِنْ كُنْتُمْ لا بَدَّ فَاعِلِينَ،فَرُدُّوا السَّلامَ،وَغُضُّوا الْبَصَرَ،وَاهْدُوا السَّبِيلَ،وَأَعِينُوا عَلَى الْحُمُولَةِ.[٤٧٩]

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيُّ،عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الصُّعُدَاتِ فَمَنْ جَلَسَ فِي صَعِيدٍ فَلْيُعْطِهِ حَقَّهُ " قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: " إِغْضَاضُ الْبَصَرِ وَرَدُّ التَّحِيَّةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ "[٤٨٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺنَهَى عَنِ الأَفْنِيَةِ وَالصُّعُدَاتِ أَنْ يُجْلَسَ فِيهَا،فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ:لا نَسْتَطِيعُهُ،لا نُطِيقُهُ،قَالَ:أَمَّا لاَ فَأَعْطُوا حَقَّهَا،قَالُوا:وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ:غَضُّ الْبَصَرِ،وَإِرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ،وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللهَ،وَرَدُّ التَّحِيَّةِ.[٤٨١]

وعَنِ ابْنِ حُجَيْرٍ الْعَدَوِىِّ قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- فِى هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ « وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ وَتَهْدُوا الضَّالَّ ».[٤٨٢]

وعَنِ الْبَرَاءِ،قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَجْلِسٍ لِلْأَنْصَارِ فَقَالَ: " إِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَجْلِسُوا فَرُدُّوا السَّلَامَ،وَاهْدُوا السَّبِيلَ،وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ "[٤٨٣]

وعن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: كُنَّا جُلُوسًا بِالْأَفْنِيَةِ فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺفَقَالَ: " مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ " فَقُلْنَا: اجْتَمَعْنَا لِغَيْرِ مُرَابٍ نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ قَالَ: " فَأَعْطُوا الْمَجَالِسَ حَقَّهَا " قَالُوا: وَمَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: " غَضُّ الْبَصَرِ وَرَدُّ السَّلَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ "[٤٨٤]

وعَنِ ابْنِ حُجَيْرٍ الْعَدَوِيِّ،قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ،يَقُولُ: أَتَى عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺوَنَحْنُ جُلُوسٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَقَالَ: " إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى هَذِهِ الطُّرُقِ فَإِنَّهَا مَجَالِسُ الشَّيْطَانِ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا مَحَالَةَ فَأَدُّوا حَقَّ الطَّرِيقِ " ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَدُّوا حَقَّ

---

[٤٧٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٢٢٩)

[٤٧٩] - كشف الأستار - (٢ / ٤٢٥)(٢٠١٩) حسن

[٤٨٠] - شرح مشكل الآثار - (١ / ١٥٦) (١٦٨) صحيح

[٤٨١] - أخرجه البخاري في "الأدب المفرد(١٠١٤) صحيح

[٤٨٢] - سنن أبي داود - المكتر - (٤٨١٩) صحيح

[٤٨٣] - شرح مشكل الآثار - (١ / ١٥٧) (١٧٢) صحيح

[٤٨٤] - شرح مشكل الآثار - (١ / ١٥٥) (١٦٧) صحيح

الطَّرِيقِ وَلَمْ أَسْأَلْهُ مَا هُوَ ؟ فَلَحِقْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ قُلْتَ: كَذَا،وَكَذَا فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ ؟ قَالَ: " حَقُّ الطَّرِيقِ أَنْ تَرُدَّ السَّلَامَ وَتَغُضَّ الْبَصَرَ وَتَكُفَّ الْأَذَى وَتَهْدِيَ الضَّالَّ وَتُعِينَ الْمَلْهُوفَ "[٤٨٥]

وعَنْ سَهْلِ بن حُنَيْف،قَالَ: قَالَ أَهْلُ الْعَالِيَة: يَا رَسُولَ اللَّه،لا بُدَّ لَنَا مِنْ مَجَالِسَ،قَالَ:"فَأَدُّوا حَقَّ الْمَجَالِسِ"،قَالُوا: وَمَا حَقُّ الْمَجَالِسِ؟،قَالَ:"ذِكْرُ اللَّه كَثِيرًا،وَأَرْشِدُوا السَّبِيلَ،وَغُضُّوا الأَبْصَارَ" .[٤٨٦]

وعَنْ وَحْشِيٍّ بن حَرْبٍ أَنّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:لَعَلَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بَعْدِي مَدَائِنَ عِظَامًا،وتَتَّخِذُونَ فِي أَسْوَاقِهَا مَجَالِسَ،فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَرُدُّوا السَّلامَ وَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِكُمْ،وَاهْدُوا الأَعْمَى وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ."[٤٨٧]

ومجموع ما في هذه الأحاديث أربعة عشر أدبا وقد نظمتها في ثلاثة أبيات وهي:

جمعت آداب من رام الجلوس على الطر ... يق من قول خير الخلق إنسانا

أفش السلام وأحسن في الكلام ... وشمت عاطسا وسلاما رد إحسانا

في الحمل عاون ومظلوما أعن وأغث ... لهفان اهد سبيلا واهد حيرانا

بالعرف مر وانه عن نكر وكف أذى ... وغض طرفا وأكثر ذكر مولانا

وقد اشتملت على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرق من التعرض للفتن بخطور النساء الثواب وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك،إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن،ومن التعرض لحقوق الله .[٤٨٨]

المحافظة على نظافة الطريق،وتجنب إلقاء النفايات والأوساخ والنجاسات في ممرات الناس ومجالسهم.

إماطة الأذى عن الطريق،كالقشور والزجاج والمسامير والحجارة وغيرها لئلا يتعثر بها أحد.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً،أَعْلاَهَا شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ."[٤٨٩]

---

[٤٨٥] – شرح مشكل الآثار – (١ / ١٥٤)(١٦٥) صحيح

[٤٨٦] – المعجم الكبير للطبراني – (٥ / ٣٤٢) (٥٤٥٨) حسن لغيره

[٤٨٧] – المعجم الكبير للطبراني – (١٦ / ١١) (١٧٨٢٣) حسن

[٤٨٨] – فتح الباري لابن حجر – (١١ / ١١)

[٤٨٩] – صحيح مسلم– المكتز – (١٦٢) وصحيح ابن حبان – (١ / ٤٢٠) (١٩١)

بِضع : البِضعُ : القطعة من الشيء ، وهو في العدد ما بين الثلاث إلى التسع؛ لأنه قطعة من العدد.

الحياء من الإيمان : جعل الحياء – وهو غريزةٌ – من الإيمان – وهو اكتسابٌ – ؛ لأن المستحيي ينقطع باستحيائه عن المعاصي ، وإن لم يكن له تَقيَّةٌ ، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، وإنما جعله بَعْضًا من الإيمان؛ لأن الإيمان بمجموعه ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به ، وانتهاءٍ عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضه .

الشُّعبة : الطائفة من كل شيء ، والقِطْعَةٌ منه .

إماطة الأذى : أماط الشيء : إذا أزاله عنه ، وأَذْهَبَهُ ، والأذى في هذا الحديث ، نحو الشَّوك والحجر وما أَشبَهَهُ. جامع الأصول في أحاديث الرسول – (١ / ٢٣٦)

مساعدة المحتاجين،وإغاثة الملهوفين،وإرشاد الضالين،وإعانة أبناء السبيل والمنقطعين،ودلالة الأعمى في طريقه،والحمل مع الضعيف في حمولته..

تجنب الطرق المزدحمة،والأسواق المكتظة،وخاصة التي تنتشر فيها المنكرات والمحرمات،وعند الاضطرار فالإسراع في اجتيازها،وذكر الله تعالى فيها بين الغافلين فهو فضيلة عظيمة.

عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ حَىٌّ لاَ يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ ». رواه الحاكم[٤٩٠].

الانتباه إلى مسالك الطريق لئلا يصطدم بشيء،أو يقع في حفرة،وعدم الالتفات يمنة ويسرة وإلى الوراء أثناء المشي دون حاجة.

تجنب عبور الشارع إلا بعد التأكد من خلوه من السيارات والحافلات والعربات والدراجات،وعدم المخاطرة في ذلك.

المرور ضمن الممرات المحددة للمشاة أثناء عبور الشارع ضمانة للأمن والسلامة.

القصد في المشي،بعدم الإسراع والركض في الطرقات،وعدم البطء والتمهل والاختيال والتبختر تكبرا وتعاظما وإعجابا بالنفس،قال تعالى:{ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧)} الإسراء.وقال تعالى:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} لقمان ١٩.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- يَقُولُ:" مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتعالى - وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ "[٤٩١]

رفع الأطعمة وفتات الخبز عن قارعة الطريق،وإبعاد الأوراق التي كتب فيها أسماء كريمة أو قرآنية عن ممرات الناس.

تجنب الأكل في الطرقات لإخلاله بالأدب والمروءة[٤٩٢]،إلا لحاجة فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:كُنَّا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺنَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي،وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ."[٤٩٣]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:كُنَّا نَأْكُلُ وَنَحْنُ نَمْشِي،وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.[٤٩٤]

تجنب اللعب في الطرقات وجعلها أماكن للهو والتسلية وإضاعة الأوقات.

تجنب رفع الأصوات أثناء التعامل بالبيع والشراء.

---

[٤٩٠] – سنن الترمذى- المكتز – (٣٧٥٦) والمستدرك للحاكم (١٩٧٤) وصحيح الجامع (٦٢٣١) وهو حديث صحيح لغيره

[٤٩١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٤٩٧) (٥٩٩٥) صحيح – الاختيال : الكِبْرُ والعُجْبُ والزَّهْو

[٤٩٢] – فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٥ / ٤٢٤٧) –رقم الفتوى ٣٤٢٧٥ الأكل في الطريق وحوارم المروءة

[٤٩٣] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٤١) (٥٣٢٢) صحيح

[٤٩٤] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٤٣) (٥٣٢٥) صحيح

اعتنام الوقت الضائع في الطريق بإشغاله بذكر الله تعالى والتفكر في آياته ومخلوقاته،أو الصلاة على رسول الله ﷺ،أو تلاوة القرآن غيبا،أو مراجعة المحفوظات والواجبات المدرسية عن ظهر قلب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَلَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ،إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً،وَمَا مِنْ رَجُلٍ مَشَى طَرِيقًا فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ،إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً،وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ،إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً." رواه أحمد[٤٩٥]،ومعنى ترة: أي نقص وتبعة وحسرة.

[٤٩٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٥٣٦)(٩٥٨٣) ٩٥٨٠– صحيح

-١٨-آداب الدراسة والمدرسة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ..."[٤٩٦].

وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِى الْجَعْدِ قَالَ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:تَعَلَّمُوا قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ،فَإِنَّ قَبْضَ الْعِلْمِ قَبْضُ الْعُلَمَاءِ،وَإِنَّ الْعَالِمَ وَالْمُتَعَلِّمَ فِى الأَجْرِ سَوَاءٌ. "[٤٩٧]

واكتساب العلوم والمعارف في زمان التلقي والاستزادة والحفظ في بداية العمر تحتاج إلى جد واجتهاد وتركيز وانتباه واعتنام لأوقات الفراغ،عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ،قَالَ: قَالَ عُمَرُ: " تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا "[٤٩٨]

وأهم ما ينبغي أن يتزود منه الطفل متى بلغ سنَّ التمييز حفظ القرآن الكريم،منبع العلوم،وكتر الأخلاق،وبحر الفصاحة،وأفق الكمال. فعَنْ عُثْمَانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ."[٤٩٩]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ،فَقِيلَ:مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ ؟ قَالَ:أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ.[٥٠٠]

فأقبلوا على تعلمه وتلاوته والتفكر فيه،وعلموه أولادكم ونشؤهم على تلاوته وحبه،حتى يألفوه ويتصلوا به فيطهّر أخلاقهم،ويزكي نفوسهم،ويكونوا من حملة القرآن وأهله؛ لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يقرأ في صلاته،وحفظ القرآن في الصغر أولى من حفظه في الكبر،وأشد علوقا بالذاكرة،وأرسخ وأثبت؛ لأن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر.[٥٠١]

وفي الوقت الذي يقضيه الطالب في مدرسته لا بدّ له من الاحتكاك مع زملائه ومعلميه،والتعامل في دراسته مع أدوات العلم،ومرافق المدرسة..

ولكل ذلك آداب يجب تمثلها. بعد معرفتها واكتسابها،ليكون ناجحا في دراسته،محبوبا في مجتمعه،موفقا للخيرات،سائرا نحو المعالي،قال الشاعر:

---

[٤٩٦] – شعب الإيمان – (٣ / ١٩٥) (١٥٤٤) وصحيح الجامع (٣٩١٣) صحيح لغيره

[٤٩٧] – سنن الدارمى– المكتر – (٣٣٤) صحيح

[٤٩٨] – شعب الإيمان – (٣ / ٢٠٦) (١٥٤٩) صحيح – تسودوا : تنالوا المجد والشرف وقيل : تتزوجوا وتنشغلوا قَالَ أَبُو عُبَيْد فِي حَدِيث عُمَرَ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا يَقُولُ : " تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مَا دُمْتُمْ صِغَارًا قَبْلَ أَنْ تَصِيرُوا سَادَةً رُؤَسَاءَ مَنْظُورًا إلَيْكُمْ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا قَبْلَ ذَلِكَ اسْتَحْيَيْتُمْ أَنْ تَعْلَمُوا بَعْدَ الْكِبَرِ فَبَقِيتُمْ جُهَّالًا لَا تَأْخُذُونَهُ مِنَ الْأَصَاغِرِ فَيَزْرِي ذَلِكَ بِكُمْ " وَهَذَا شَبِيهٌ بِحَدِيث عَبْد اللَّه : لَنْ يَزَالَ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ فَقَدْ هَلَكُوا " الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٧٦٩)

[٤٩٩] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٠٢٧) وصحيح ابن حبان – (١ / ٣٢٥) (١١٨)

[٥٠٠] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٣٢٧)(١٢٢٧٩) ١٢٣٠٤– صحيح

[٥٠١] – موسوعة خطب المنبر – (١ / ١٨٧) –تلاوة القرآن

لو كان نور العلم يدرك بالمنى.....فندامة العقبى لمن يتكاسل

اجهد ولا تكسل ولا تك غافلا ...ما كان يبقى في البرية جاهل

في المدرسة:

١ – الحضور الى المدرسة باكرا قبل قرع الجرس.

٢ – السلام على الأصدقاء بوجه باسم،وإلقاء التحية على المعلمين.

٣ – المحافظة على النظام العام والهندام المدرسي والسلوك القويم.

٤ – إحضار الدفاتر والكتب المدرسية واللوازم الخاصة بالبرنامج اليومي.

٥ – الانتباه المطلق أثناء الدرس والمشاركة الفعلية في سيره،ومشاركة المعلم تدرجه في شرح الدروس.

٦ – تجنب الشرود أثناء الدرس،أو الانشغال بالدفاتر أو اللوازم،أو الحديث مع الطلاب.

٧ – تسجيل الواجبات المكلف بها في دفتر خاص،يرجع اليها في البيت لئلا ينسى أي واجب.

٨ – اللعب بلطف أثناء الفرصة،والانتباه الى من هم أصغر سنا لئلا يدفعهم،وعدم اللعب مع من هم أكبر سنا.

٩ – الاستفادة من الوقت المخصص للفرصة لقضاء الحاجات الخاصة في أول الوقت كدخول الخلاء.

١٠ – الانتباه إلى تناول الأطعمة والأشربة النظيفة،مع غسل اليدين قبلها وبعدها.

١١ – الانتباه إلى عدم سقوط شيء من الأطعمة في الباحة تحت الأقدام.

١٢ – تجنب أخذ أي متاع خاص بأحد الطلاب إلا بإذنه،ولا تتم إستعارة أي شيء إلا بالاستئذان قبله،والشكر بعده.

١٣ – تجنب التهكم بالآخرين والسخرية منهم،والتنابز بالألقاب،والمزاح المؤدي الى الخصومات والعداوات. قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ} الحجرات ١١

١٤ – إختيار الأصدقاء الصالحين من أصحاب الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة والسلوك المستقيم والذكاء والاجتهاد في الدروس. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ،فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ "[٥٠٢].

١٥ – التحضير الجيد للامتحان من بداية العام الدراسي،وعدم ترك الدروس تتراكم دون حفظ أو متابعة.

١٦ – تجنب الغش ومحاولة النقل والاعتماد على الغير في الامتحان،أو استخدام الوسائل غير المشروعة.

---

[٥٠٢] -مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٨٠) (٨٤١٧) ٨٣٩٨- صحيح

١٧ – الدعاء عند بداية الامتحان يقول تعالى: :{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)} طه.

في البيت:

١ ــ المسارعة في كتابة الواجبات المدرسية بعد العودة من المدرسة وعدم تأجيلها الى الغد.

٢ ــ مراجعة البرنامج اليومي والتأكد من كتابة جميع الواجبات ودراسة مواد اليوم السابق،والتحضير لمواد اليوم اللاحق.

٣ ــ الاعتناء بالخط والترتيب،والتسطير والتبويب ٤ ــ الاعتناء بنظافة الدفاتر والكتب وتغليفها بشكل لائق،والمحافظة عليها من التلف أو الضياع ٥ ــ السعي إلى التفوق في جميع المواد بالمتابعة المستمرة في الدروس،وتجنب تضييع الأوقات بلا فائدة

المسارعة في كتابة الواجبات المدرسية بعد العودة من المدرسة وعدم تأجيلها إلى الغد.

مراجعة البرنامج اليومي والتأكد من كتابة جميع الواجبات ودراسة مواد اليوم السابق،والتحضير لمواد اليوم اللاحق.

عَنْ عَائِشَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ " رواه البيهقي[٥٠٣].

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٥٠٣] -شعب الإيمان – (٧ / ٢٣٣) (٤٩٣١) صحيح

-١٩-آداب شخصية

للمسلم مع نفسه آداب يلزمها بها،ويجاهدها عليها،ويقوّمها ويعتني بها،ويهتم بتزكيتها،ويسارع إلى تهذيبها ومعالجتها،وضبطها ومحاسبتها،ويلتزم استكمال فضائلها في ظاهرها وباطنها.. قال تعالى:{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)} الشمس.

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَلْهَمَ النُّفُوسَ مَعْرَفَةَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ،ذَكَرَ مَا تَلْقَاهُ النُّفُوسُ مِنَ الجَزَاءِ عَلَى فِعْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا،فَقَالَ تعالى: مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ بِطَاعَةِ اللهِ،وَنَمَّاهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الأَخْلاَقِ الدِّنِيئَةِ وَالرَّذَائِلِ،فَازَ وَأَفْلَحَ (وَهَذَا جَوَابُ القَسَمِ) .

أَمَّا مَنْ أَخْفَى فَضَائِلَ نَفْسِه،وَأَمَاتَ اسْتِعْدَادَهَا لِلْخَيْرِ،بِفِعْلِ المَعَاصِي،وَاجْتِرَاحِ السَّيِّئَاتِ،وَمُجَانَبَةِ الخَيْرِ وَالبِرِّ وَالقُرُبَاتِ،فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ.وَقَدْ حَذَفَ اللهُ تَعَالَى المُقْسَمَ عَلَيْهِ لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ نَظَائِرِه،فَكَأَنَّهُ قَالَ:وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا.. لَيُنْزِلَنَّ بِالمُكَذِّبِينَ مِنْكُمْ مَا نَزَلَ بِثَمُودَ .[٥٠٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ،وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ. ابن وقال المتنبي:

و لم أر في عيوب الناس عيبا .....كنقص القادرين على التمام

وقال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على .....حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وجاهد النفس والشيطان واعصهما .....وإن هما محضاك النصح فاتهم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه .....إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

وراعها وهي في الأعمال سائمة .....وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

وكم حسنت لذة للمرء قاتلة .....من حيث لم يدر أن السم في الدسم

وقد اعتنى أهل التربية بالنفس،ووقفوا على أمراضها وأداوئها،وبينوا طرق معالجتها من لهوها وبطالتها،وشهواتها وأهوائها،فوضعوا لها أسباب تربيتها،وبينوا طرق شفائها،وسبل مجاهدتها،وكيفية تقويمها وتأديبها حتى تصبح كما ورد في الحديث الشريف: عَنْ عبدِ اللهِ بن عَمرو بنِ العاص رضي الله عنهما،قال:قالَ رسولُ الله – ﷺ-:((لا يُؤمِنُ أَحدُكُم حتّى يكونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئتُ بِهِ))[٥٠٦]

.

---

[٥٠٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٩٢٩)

[٥٠٥] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٤٩٥) (٧١٩) صحيح

[٥٠٦] – الأربعون للفسوي – (٨) والسنة لابن أبي عاصم – (١٤) وجامع العلوم والحكم محقق – (٤٣ / ١) حسن

ولهذا البحث شروح مطوّلة،وشجون متفرعة،ونكتفي هنا أن نعرض لبعض الآداب التي ينبغي على الناشئة تعويد أنفسهم عليها. حتى تصبح ملكة راسخة وطبعا أصيلا:

المحافظة على النظافة العامة بالاغتسال مرة كل أسبوع،ويسن أن يكون يوم الجمعة.

عَنْ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَهُوَ أَفْضَلُ ». رواه الترمذي وأبو داود[٥٠٧].

قص أظافر اليدين والرجلين مرة كل أسبوع،وتجنب إطالتها أو إطالة بعضها وخاصة عند الفتيات،لأنها تصبح حقلا لتجمع الأوساخ والأقذار تحتها،وتمنع ماء الوضوء من وصوله إلى أطراف الأصابع،فضلا عن منظرها الحيواني القبيح. عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ وَالسِّوَاكُ وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ وَقَصُّ الأَظْفَارِ وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ وَنَتْفُ الإِبْطِ وَحَلْقُ الْعَانَةِ وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ ». قَالَ زَكَرِيَّاءُ قَالَ مُصْعَبٌ وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ.[٥٠٨]

قص الشعر كلما طال،وتعهده بالنظافة والترجيل،دون إفراط ولا تفريط. عَنْ جَابِرٍ،أَنّ النَّبِيَّ ﷺرَأَى رَجُلا وَسِخَةً ثِيَابُهُ،فَقَالَ:أَمَا وَجَدَ هَذَا مَا يُنَقِّي ثِيَابَهُ ؟ وَرَأَى رَجُلا ثَائِرَ الشَّعْرِ،فَقَالَ:مَا وَجَدَ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ ؟[٥٠٩]

التعوّد على التيامن،أي تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم،كالغسل والوضوء،والتحية والمصافحة،ولبس الثوب والنعال،وتقليم الأظفار،والأخذ والعطاء،والأكل والشرب،وتقديم اليسار في ما سوى ذلك،كالامتخاط والبصاق،وخلع الثوب والنعل،والاستنجاء،ومسّ العورة.

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي شَأْنِه كُلِّه:فِي تَرَجُّلِه،وَفِي طُهُورِه،وَفِي نَعْلِه قَالَ شُعْبَةُ:ثُمَّ سَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيُحِبُّ،أَوْ يُعْجِبُهُ،التَّيَمُّنُ مَا اسْتَطَاعَ."[٥١٠].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّه -ﷺ- الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلاَئِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى. رواه أبو داود[٥١١].

---

[٥٠٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٥٤) وسنن الترمذى– المكتر – (٤٩٩) صحيح

قَالَ أَبُو عِيسَى :وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَمَنْ بَعْدَهُمُ اخْتَارُوا الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَأَوْا أَنْ يُجْزِئَ الْوُضُوءُ مِنَ الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ -ﷺ- بِالْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنَّهُ عَلَى الاخْتِيَارِ لاَ عَلَى الْوُجُوبِ حَدِيثُ عُمَرَ حَيْثُ قَالَ لِعُثْمَانَ وَالْوُضُوءَ أَيْضًا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- أَمَرَ بِالْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَلَوْ عَلِمَا أَنَّ أَمْرَهُ عَلَى الْوُجُوبِ لاَ عَلَى الاخْتِيَارِ لَمْ يَتْرُكْ عُمَرُ عُثْمَانَ حَتَّى يَرُدَّهُ وَيَقُولَ لَهُ ارْجِعْ فَاغْتَسِلْ وَلَمَا خَفِيَ عَلَى عُثْمَانَ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ وَلَكِنْ دَلَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ فَضْلٌ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ فِي ذَلِكَ.

[٥٠٨] – صحيح مسلم– المكتر – (٦٢٧)

البراجم : العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ واحدتها برجمة

[٥٠٩] – مسند أبي يعلى الموصلي (٢٠٢٦) صحيح

[٥١٠] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٣٥٨) (٢٥٥٤٥) ٢٦٠٦١– صحيح

[٥١١] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٣) صحيح

تجنب استقبال القبلة بالبصاق أو الامتخاط أو قذف النخامة،بل تكون إلى جهة اليسار وفي منديل خاص لئلا يؤذي بها أحدا.

تحويل الوجه أثناء العطاس عن وجوه الناس وعن الطعام والشراب لئلا يصيبها رذاذ العطاس،ووضع اليد أو المنديل على الفم وخفض الصوت بها إذا أمكن.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « الْعُطَاسُ مِنَ اللَّهِ وَالتَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ وَإِذَا قَالَ آهْ آهْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ وَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ آهْ آهْ إِذَا تَثَاءَبَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ فِى جَوْفِهِ ». رواه الترمذي[٥١٢].

أن يحمد الله تعالى بعد العطاس.

أن يقال لمن عطس وحمد الله تعالى (يرحمك الله) فيجيب (يهديكم ويصلح بالكم).

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ- قَالَ « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ.وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ ».رواه البخاري[٥١٣].

وضع اليد على الفم أثناء التثاؤب لستر المنظر غير اللائق عند فتح الفم ومنعا لدخول شيء إليه،وخفض الصوت به،وإن استطاع أن يمنعه فليفعل،وليستغفر الله تعالى بعده،لأنه دليل على الملل والكسل،لذلك كرهه الله تعالى وجعله من الشيطان.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ وَلاَ يَعْوِى فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْهُ ».[٥١٤]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ،وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ،فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ،فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ،وَأَمَّا التَّثَاوُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ،فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ،فَإِذَا قَالَ هَا.ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ ».رواه البخاري[٥١٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ،وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ،فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ،أَوْ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ،فَإِنَّهُ إِذَا تَثَاءَبَ فَقَالَ:آهْ،فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ.[٥١٦]

مدافعة الجشاء،وتجنب الأطعمة التي تسببه أو الإكثارمنها،وخفض الصوت به والاستغفار بعده.

---

[٥١٢] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٩٧٠) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٥١٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٢٢٤)

[٥١٤] – سنن ابن ماجه- المكتر – (١٠٢١) صحيح -يعوى : يصيح

[٥١٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٢٢٣)

[٥١٦] – صحيح ابن حبان – (٦ / ١٢٢) (٢٣٥٨) صحيح

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ،فَتَجَشَّأْتُ فَقَالَ: " مَا هَذَا يَا أَبَا جُحَيْفَةَ ؟ إِنَّ أَطْوَلَ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،أَطْوَلُهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا " قَالَ: فَمَا أَكَلْتُ فِي بَطْنِي كُلِّهِ مُنْذُ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،وَقَالَ هَذَا ثَلَاثِينَ سَنَةً "[٥١٧].

ذكر الله تعالى وشكره عند النظر في المرآة،والدعاء بما رود عن النبي ﷺ.

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا نَظَرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قَال:الْحَمْدُ لِلَّهِ،اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي " رواه ابن السني[٥١٨].

استخدام الهاتف للضرورة لا للتسلية أو اللغو أو إزعاج الآخرين،والاتصال في الأوقات المناسبة،وابتداء المكالمة بالسلام والتعريف بالنفس وذكر الحاجة.

المحافظة على الأعمال الصالحة،والمداومة على ما اعتاده من العبادات والصدقات،والنوافل والقربات،والأذكار وقراة القرآن،وعدم تركها مللا أو كسلا أو رغبة عنها أو انشغالا بالدنيا عنها.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- الَّذِى يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ "[٥١٩] .

ترك الفضول في كل شيء،وعدم التدخل فيما لا يعني،ولزوم الاهتمام بعيوب النفس والانشغال في إصلاحها وتقويمها وتزكيتها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيه." [٥٢٠] .

إسداء النصيحة لكل من يعرف بالحسنى،وبما فيه مصلحة المخاطب في دينه ودنياه.

قبول النصيحة ممن أسداها،والاعتراف بالحق والعودة السريعة إليه،والاعتراف بالخطأ إن كان عليه،وعدم الإصرار عليه،لأن الحقيقة هي ضالة المؤمن التي يبحث عنها ويشكر من يقدمها،ويثني على كل من أسدى نصيحة أو معروفا. عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ».[٥٢١]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ،يَقُولُ:لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ.[٥٢٢]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ:جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا،فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ.[٥٢٣]

---

[٥١٧] - شعب الإيمان - (٧ / ٤٤٢) (٥٢٥٤) صحيح لغيره

[٥١٨] - عمل اليوم والليلة لابن السني - (١٦٢) وأخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني - (٤٩٣) حسن لغيره

[٥١٩] - صحيح البخارى- المكتز - (٦٤٦٢)

[٥٢٠] - سنن الترمذى- المكتز - (٢٤٨٧ و٢٤٨٨) وصحيح ابن حبان - (١ / ٤٦٦) (٢٢٩) صحيح لغيره

[٥٢١] - صحيح مسلم- المكتز - (٢٠٥)

[٥٢٢] - صحيح ابن حبان - (٨ / ١٩٨) (٣٤٠٧) صحيح

[٥٢٣] - صحيح ابن حبان - (٨ / ٢٠٢) (٣٤١٣) صحيح

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ أُولِيَ مَعْرُوفًا فَلْيُكَافِئْ بِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَذْكُرْهُ،فَإِنْ ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ،وَالْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يَنَلْ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ "[٥٢٤]

وقد حذر الله تعالى الذين لا يقبلون النصيحة بقوله:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) } [البقرة:٢٠٤ - ٢٠٧]

تعوُّد التخوشن في المعيشة،والقناعة والرضا فيها،باليسير،وترك الترفه والتنعم في الدنيا،فذلك أنفى للكبر،وأبعد عن العجب،وأسلم من الزهو والصلف والخيلاء.

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ،قَالَتْ:وَكَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نَسْتَوْقِدُ نَارًا،إِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ:التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْنَا جِيرَانٌ لَنَا بِغَزِيرَةِ شَاتِهِمْ."[٥٢٥]،والأدم هو الجلد المدبوغ.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- كَانَ فِى بَعْضِ الْمَشَاهِدِ وَقَدْ دَمِيَتْ إِصْبَعُهُ،فَقَالَ :

« هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ،وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ »[٥٢٦]

الإخلاص لله تعالى في جميع الأعمال،وجعل الهدف الرئيسي من الحياة شعار المؤمن الذي يضعه بين عينيه،ويردده على جميع الأحوال " إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي".

قال تعالى:{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} الأنعام.

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ،الذِينَ يَذْبَحُونَ الذَّبَائِحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللهِ:إِنَّكَ مُخَالِفٌ فِي ذَلِكَ،فَإِنَّ صَلاَتَكَ وَنُسُكَكَ وَمَحْيَاكَ عَلَى اسْمِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،خَالِصاً لِوَجْهِ اللهِ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ،وَهُوَ رَبُّ العَالَمِينَ جَمِيعاً .

وَأَنَا أُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ بِذَلِكَ،وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ المُمْتَثِلِينَ بِأَمْرِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ[٥٢٧]

[٥٢٤] - شعب الإيمان - (١١ / ٣٧٣) (٨٦٩٢) صحيح

[٥٢٥] - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٢٧٥) (٦٣٦١) صحيح

[٥٢٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٨٠٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٧٥٥)

[٥٢٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٥٢)

-٢٠-آداب النوم

النوم هو آخر محطة يترلها الراكب بعد أن يقطع رحلة يومه،وعناء نهاره،فيأوي في بيته إلى مكان هادئ ومريح ومظلم،ويسلم نفسه لخالقها الذي يتولى حفظها ورعايتها،وتصريف أمورها وعمل أجهزتها قال تعالى:{ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)} القصص.

ومِنْ رَحْمَتِه بِكُم أَنَّهُ خَلَق اللَّيلَ مُظْلِماً لِتَسكُنُوا فيه،وتَرتَاحُوا وَخَلَقَ النَّهارَ مُضِيئاً،لتَعمَلُوا فيه،ولتكسبُوا مَعَايِشَكُم بالعَمَلِ والأَسْفَارِ (لِتَبتَغُوا مِنْ فَضْلِه)،وهُوَ تَعَالَى يُذَكِّرُكُمْ بِنعمَتِه وآلائِه عَليكُم لَعَلَّكُمْ تَقُومُونَ بِشُكْرِه عَليها بأَداءِ العِبَادَاتِ لهُ في اللَيْلِ والنَّهَارِ،وتُخْلِصُونَ الحَمدَ لَهُ .[٥٢٨]

والنوم آية تدلُّ على عظمة الله وقهره،وعلى ضعف الإنسان وفقره،فلولاه لكلت عضلاته،وشلّت أعصابه،وانفجرت شرايينه،فهو راحة له لاستعادة نشاطه وشحن قوته،رحمة من الله وفضلا ونعمة وكرما. قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (١١)} القصص.

وَجَعَلَ نَوْمَكُمْ فِي اللَّيْلِ قَاطِعاً لِلْحَرَكَةِ،لِتَرْتَاحَ الأَبْدَانُ مِمَّا تَكَابِدُهُ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ فِي السَّعْيِ فِي أُمُورِ المَعَاشِ،وَلَوْلاَ النَّوْمُ لَفَقَدَتِ الأَبْدَانُ نَشَاطَهَا،وَأُرْهِقَتْ،وَانْقَطَعَتْ عَنِ العَمَلِ .وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى اللَّيْلَ سَاتِراً لِلأَجْسَامِ عَنِ العُيُونِ بِظُلْمَتِهِ،وَمُغَطِياً لَهَا،وَكَأَنَّهُ اللِّبَاسُ الذي يُغَطِّي الجِسْمَ وَيَسْتُرُهُ .

وَجَعَلَ اللهُ النَّهَارَ مُشْرِقاً بِالضِّيَاءِ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ،وَالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالمَعَاشِ .[٥٢٩]

والنوم صنو الموت،يعطل الحواس،ويفقد الوعي،ويلقي بالإنسان جثة هامدة،ليس فيها إلا قلب ينبض،ونفس يتردد،ودماء تجري بقدرة الله الواحد القهار.

وفي كل شيء له آية .....تدلُّ على أنه واحد

هذا وللنوم وكيفيته ومقداره آداب إسلامية،وسنن نبوية نذكر فيها ما يلي:

الوضوء قبل النوم،وصلاة ما تيسر من قيام الليل،يختمها بصلاة الوتر،ولا يأخذه النوم إلا وهو على وضوء وذكر الله تعالى .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ أَوْصَانِى خَلِيلِى بِثَلاَثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ،وَصَلاَةِ الضُّحَى،وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ[٥٣٠] .

---

[٥٢٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٠٧)

[٥٢٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٥٥٨)

[٥٣٠] - صحيح البخارى- المكتر - (١١٧٨)

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ،يَقُولُ:"مَنْ آوَى إِلَى فِرَاشِهِ طَاهِرًا يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ،لَمْ يَتَغَلَّبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ". رواه ابن السني[٥٣١].

محاسبة النفس قبل النوم على ما فعله في يومه،والاستغفار من جميع الذنوب التي اقترفها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ،سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ،غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَوْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ."[٥٣٢]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ:أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ،وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ،وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ رَمْلِ عَالِجٍ،وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ عَدَدِ وَرَقِ الشَّجَرِ." رواه الترمذي[٥٣٣].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:"مَنْ قَالَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلا فَقَهَرَ،وَبَطَنَ فَخَبَرَ،وَمَلَكَ فَقَدَرَ،الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[٥٣٤]

قراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين قبل النوم.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ– كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.[٥٣٥].

نفض الفراش والغطاء قبل الاضطجاع فيه للاطمئنان إلى خلوه من الحشرات وغيرها،ثم الاضطجاع على الجنب الأيمن،وتجنب مد الرجلين إلى جهة القبلة،ثم الدعاء بما ورد عن النبي ﷺبأحد أدعية النوم.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ– « إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ،فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ،ثُمَّ يَقُولُ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِى،وَبِكَ أَرْفَعُهُ،إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَارْحَمْهَا،وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ » البخاري[٥٣٦]

---

[٥٣١] – عمل اليوم والليلة لابن السني – (٧١٧) والمعجم الكبير للطبراني – (٧ / ١٣٤) (٧٤٤٧) وسنن الترمذى- المكتر – (٣٨٦٩) وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[٥٣٢] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٣٣٨) (٥٥٢٨) صحيح

[٥٣٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٢٩)(١١٠٧٤) ١١٠٩٠– وسنن الترمذى- المكتر – (٣٧٢٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[٥٣٤] – المعجم الكبير للطبراني – (٢٠ / ٢٧٠) (١٧٨٩) حسن لغيره

[٥٣٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٠١٧)

[٥٣٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٢٠) –الداخلة : الطرف الذى يلى الجسد

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِه ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْـــه فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِه ثَلاَثَ مَرَّات فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْه بَعْدَهُ فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ باسْمِكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبِى وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبَـــادَكَ الصَّالِحِينَ.فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِى عَافَانِى فِى جَسَدِى وَرَدَّ عَلَىَّ رُوحِى وَأَذِنَ لِى بِـــذِكْرِه »[٥٣٧].

عدم استجلاب النوم تكلفا وعدم الاستلقاء على الفراش قبل الشعور بالنعاس.

التعوّد على النوم باكرا،فهو يعين على الاستيقاظ باكرا بهمة ونشاط للعبادة والصلاة،وهو ما تنصح به القواعد الصحية: (نم مع الحمل واستيقظ مع العصفور).

قال تعالى:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (١٦) سورة السجدة.

وعَنِ الأَسْوَدِ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - كَيْفَ صَلاَةُ النَّبِىِّ - ﷺ- بِاللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَهُ وَيَقُومُ آخِرَهُ،فَيُصَلِّى ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِه،فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ،فَإِنْ كَانَ بِه حَاجَةٌ اغْتَسَـــلَ،وَإِلاَّ تَوَضَّأَ وَخَرَجَ [٥٣٨]..

لبس الثياب اللينة والساترة والمريحة خلال النوم،وتجنب التعري والتكشف،واختيار المكـــان الهـــادئ والواسع والمريح للنوم،وانفراد كل شخص بغطاء خاص به.

يكون نوم الذكور في مكان مستقل عن مكان نوم الإناث. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَـــدِّه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِى الْمَضَاجِعِ ».[٥٣٩]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه قَالَ: وسَمِعْت رَسُولَ اللَّه - ﷺ- يَقُولُ: لاَ يُبَاشِرِ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِى الثَّـــوْبِ الْوَاحِدِ،وَلاَ تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فِى الثَّوْبِ الْوَاحِدِ "[٥٤٠]

تجنب النوم على البطن،لأضراره الصحية النفسية والجسدية.

عَنْ يَعِيشَ بْنِ طِخْفَةَ بْنِ قَيْسٍ الْغِفَارِىِّ قَالَ كَانَ أَبِى مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـــه -ﷺ- « انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ ». فَانْطَلَقْنَا فَقَالَ « يَا عَائِشَةُ أَطْعِمِينَا ». فَجَاءَتْ بِحَشِيشَةٍ فَأَكَلْنَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ أَطْعِمِينَا ». فَجَاءَتْ بِحَيْسَةٍ مِثْلِ الْقَطَاةِ فَأَكَلْنَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ اسْقِينَا ». فَجَاءَتْ بِعُسٍّ

---

[٥٣٧] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٧٢٩) صحيح

داخلة : الإزار : طرفه. وصنفته : طرفه أيضا من جانب هدبه. وقيل : من جانب حاشيته.-خلفه عليه : خلف فلان فلانا : إذا قـــام مقامه. والمراد : ما يكون قد دب على فراشه بعد مفارقته له.

[٥٣٨] – صحيح البخارى- المكتر – (١١٤٦)

[٥٣٩] سنن أبي داود – المكتر – (٤٩٥) صحيح

[٥٤٠] – غاية المقصد فى زوائد المسند ٢ – (١ / ٢١٥) (٣٠٦٦) صحيح

مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبْنَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ اسْقِينَا ». فَجَاءَتْ بِقَدَحٍ صَغِيرٍ فَشَرِبْنَا ثُمَّ قَالَ « إِنْ شِئْتُمْ بِتُّمْ وَإِنْ شِئْتُمُ انْطَلَقْتُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ ». قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ فِى الْمَسْجِدِ مِنَ السَّحَرِ عَلَى بَطْنِى إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِى بِرِجْلِهِ فَقَالَ « إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ ». قَالَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-. رواه أبو داود[٥٤١].

ذكر الله عز وجل كلما استيقظ خلال النوم.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ دَعَا رَبِّ اغْفِرْ لِى ». قَالَ الْوَلِيدُ أَوْ قَالَ « دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ »[٥٤٢]

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ،رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.. رواه ابن حبان[٥٤٣]

وعَنْ حُذَيْفَةَ،قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "[٥٤٤]

الاعتدال في النوم،وعدم تجاوزه ثماني ساعات،لأن النوم تعطيل للحياة.

إغلاق النوافذ والأبواب،وإطفاء المواقد والنيران،وتغطية الأواني والأباريق،قبل النوم.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ،وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ،وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ،وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ » البخاري[٥٤٥]

الاستبشار بالرؤية الصالحة،وسؤال الله تعالى خيرها،والتحدث بها إلى من يحب،والاستعاذة بالله من الرؤيا السيئة وعدم التشاؤم منها،وسؤال الله تعالى صرف شرّها.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ - ﷺ- يَقُولُ « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ اللَّهِ،فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا،وَلْيُحَدِّثْ بِهَا،وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ،فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ الشَّيْطَانِ،فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا،وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ،فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ ».البخاري[٥٤٦]

---

[٥٤١] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٠٤٢) حسن لغيره

الحيسة : الخليط من التمر والسمن والأقط –العس : القدح الكبير –القطاة : اليمامة

[٥٤٢] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٠٦٢) صحيح –تعار : أرق واستيقظ

[٥٤٣] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٣٤٠) (٥٥٣٠) صحيح

[٥٤٤] – شعب الإيمان – (٦ / ٢٢٤) (٤٠٧٥) صحيح

[٥٤٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٢٩٦) – خمر : غَطِ

[٥٤٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٩٨٥)

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ،وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ ». الحميدي[٥٤٧]

القيام إلى الوضوء والصلاة إذا أصيب بأرق،ثم الاستعاذة بكلمات الله التامات من غضبه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين،ثم الدعاء بما علّم به رسول الله ﷺ.

عَنْ زَيْدِ بن ثَابِت،قَالَ:أَصَابَنِي أَرَقٌ اللَّيْلِ،فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ:قُلِ:اللَّهُمَّ غَارَتِ النُّجُومُ،وهَدَأَتِ الْعُيُونُ،وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ،يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَنِمْ عَيْنِي وأَهْدِئْ لِيَلِي،فَقُلْتُهَا فَذَهَبَ عَنْي) .. رواه الطبراني[٥٤٨]

[٥٤٧] – مسند الحميدي – المكتر – (١١٩٧) صحيح

[٥٤٨] – المعجم الكبير للطبراني – (٥ / ٣٣) (٤٦٨٣) ضعيف

-٢١-آداب الغسل ودخول الحمام

اهتم الإسلام بجميع الشؤون التي يصادفها المسلم ويتعرّض لها خلال خطوات حياته،فهو إلى جانب حرصه على بناء المسلم الكامل في عقيدته،الراجح في عقله،الزكيّ في نفسه،الفاضل في أخلاقه،الناجح في معاملاته،حرص على بناء المسلم السليم في جسده،القوي في بنيته،الطاهر في بدنه،النظيف في ثيابه،المعطر في رائحته،الجميل في هندامه.

قال تعالى:{ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} (١٠٨) سورة التوبة

إِنَّ مَسْجِدَ قبَاءٍ فِيهِ رِجَالٌ يَعْمُرُونَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ،وَذِكْرِ اللهِ،وَتَسْبِيحِه؟،وَيُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا بِذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ.وَيُثْنِي اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَنْصَارِ فِي تَطَهُّرِهِمْ،وَفِي عِنَايَتِهِمْ بِنَظَافَةِ أَبْدَانِهِمْ،لأَنَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ .[٥٤٩]

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَعْدٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَنَظَّفُوا "[٥٥٠].

وإذا كان العقل السليم في الجسم السليم،فإن الإسلام جعل من الطهارة التي هي سبب في صحة الأجسام،ونشاط الأعضاء،جعل منها نصف الإيمان.

فعَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ». رواه مسلم[٥٥١].

وقد شرع الإسلام النظافة على هيئة الغسل أو الوضوء كمقدمة لأهم العبادات وأكثرها تكرارا في اليوم والليلة وهي الصلاة،وأكد على فضيلة إسباغ الوضوء وإبلاغ الغسل جميع البدن.

فعَنْ عَلِىٍّ رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ ». رواه أبو داود[٥٥٢].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ ». رواه مسلم[٥٥٣].

---

[٥٤٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٤٤)

[٥٥٠] - الزهد لوكيع - (٢٨٨) حسن مرسل

[٥٥١] - صحيح مسلم- المكتز - (٥٥٦) -الموبق : المُهْلَك

[٥٥٢] - سنن أبي داود - المكتز - (٦١) صحيح لغيره

[٥٥٣] - صحيح مسلم- المكتز - (٦٠١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ،خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ،وَمَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ،أَوْ نَحْوَ هَذَا،فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ،أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ،حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ." رواه مسلم[٥٥٤]

وسنّ الإغتسال لكثير من العبادات أو المناسبات الدينية التي يلتقي فيها المسلمون ومنها: غسل الجمعة،وغسل العيدين،وعند الإحرام،ولدخول مكة،وللوقوف بعرفة،وللطواف،ولدخول المدينة،ولكل ليلة من رمضان،ولمن دخل في الإسلام[٥٥٥]..

هذا وللغسل والاستحمام آداب إسلامية على المسلم أن يراعيها ويتعلمها ويتقيد بها،نذكر منها الآداب التالية:

تسمية الله تعالى عند خلع الثياب للغسل،وتستحب التسمية ولو لجنب أو حائض دون أن يقصدا بها القرآن.

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ،وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ،أَنْ يَقُولُوا:بِسْمِ اللَّهِ " تمام [٥٥٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سِتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ،وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ،أَنْ يَقُولُوا:بِسْمِ اللَّهِ "[٥٥٧]

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ:" سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ بِسْمِ اللَّهِ إِذَا وَضَعَ ثِيَابَهُ "[٥٥٨]

ستر العورة،إذ يحرم على المسلم أن يغتسل أمام أحد وهو مكشوف العورة،كما ينبغي عدم كشف العورة لغير حاجة وذلك حياء من الله تعالى،وإكراما للملائكة الحفظة الكاتبين،والانتباه إلى أن عورة الرجل على الرجل،والمرأة على المرأة،من السرة إلى الركبة.

قال تعالى:{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) } الأعراف ٢٦-٢٧.

---

[٥٥٤] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٠٠) وصحيح ابن حبان – (٣ / ٣١٥) (١٠٤٠)

[٥٥٥] – انظر الفقه الإسلامي وأدلته – (١ / ٤٧٦) والموسوعة الفقهية الكويتية – (١٨ / ٣١٩)

[٥٥٦] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (٢ / ٤١٨)(١٧٠٩) حسن لغيره

[٥٥٧] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (٢ / ٤١٧)(١٧٠٨) حسن لغيره

[٥٥٨] – العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني – (١٠٧٨) صحيح مقطوع

يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم،وهو لباس الضرورة،ولباسًا للزينة والتجمل،وهو من الكمال والتنعم. ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم،فتشكروا لله عليها. وفي ذلك امتنان من الله تعالى على خَلْقه بهذه النعم.يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان،فيزين لكم المعصية،كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء،فأخرجهما بسببها من الجنة،يترع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله،ولا يصدقون رسله،ولا يعملون بهديه. .[٥٥٩]

وعَنْ زُرْعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَرْهَدٍ عَنْ أَبِيهِ – قَالَ كَانَ جَرْهَدٌ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ – قَالَ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– عِنْدَنَا وَفَخِذِى مُنْكَشِفَةٌ فَقَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ ». رواه أبو داود[٥٦٠] .

وعَنْ بَهْزِ بن حَكِيمٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟،قَالَ:"اسْتُرْ عَوْرَتَكَ إِلا مِنْ زَوْجِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ"،زَادَ الْحَجَبِيُّ فِي حَدِيثِهِ: قُلْتُ: الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟،قَالَ:"إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلا تَرَيَنَّهَا"،قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟،قَالَ:"فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ". الطبراني[٥٦١]

وعن بَهْزَ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ:حَدَّثَنِي أَبِي،عَنْ جَدِّي قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ ؟ قَالَ:" احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ،أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ " قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ قَالَ:" إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتَكَ فَافْعَلْ " قُلْتُ:فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا فَقَالَ:" فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَى مِنَ النَّاسِ "[٥٦٢]

تجنب الدخول إلى الحمام إلا وهو ساتر لعورته بفوطة أو مئزر،والاحتفاظ بها أثناء الاستحمام وخاصة في الحمامات العامة.

عَنْ أَبِي عُذْرَةَ،قَالَ:وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ،عَنْ عَائِشَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺنَهَى الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَنِ الْحَمَّامَاتِ،ثُمَّ رَخَّصَ لِلرِّجَالِ أَنْ يَدْخُلُوهَا فِي الْمَآزِرِ." أحمد[٥٦٣].

---

[٥٥٩] – التفسير الميسر – (٢ / ٤٨٧)

[٥٦٠] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٠١٦) صحيح

[٥٦١] – المعجم الكبير للطبراني – (١٤ / ٣٤٧) (١٦٣٤٠) صحيح

[٥٦٢] – عشرة النساء للإمام للنسائي – الطبعة الثالثة – (١ / ٧٩) ٧٨-٧٧٣٣ – صحيح

[٥٦٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٢٣٧)(٢٥٠٠٦) ٢٥٥٢٠– حسن لغيره

وعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « إِنَّهَا سَتُفْتَحُ لَكُمْ أَرْضُ الْعَجَمِ وَسَتَجِدُونَ فِيهَا بُيُوتًا يُقَالُ لَهَا الْحَمَّامَاتُ فَلاَ يَدْخُلَنَّهَا الرِّجَالُ إِلاَّ بِالأُزُرِ وَامْنَعُوهَا النِّسَاءَ إِلاَّ مَرِيضَةً أَوْ نُفَسَاءَ »أبو داود.[٥٦٤]

وعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،فَلَا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ،مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلَّا بِمِئْزَرٍ،مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ " إِمَّا قَالَ: يُدَارُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ أَوْ قَالَ: يُشْرَبُ الْخَمْرُ " البيهقي[٥٦٥].

غض البصر عن عورته،وعن عورات الآخرين،وتجنب استراق النظر إلى أحد وهو يخلع ثيابه أو يغتسل.

قال تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النور.

قل – أيها النبي – للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارهم عمَّا لا يحلُّ لهم من النساء والعورات،ويحفظوا فروجهم عمَّا حَرَّم الله من الزنى واللواط،وكشف العورات،ونحو ذلك،ذلك أطهر لهم. إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.[٥٦٦]

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ بَلَغَنِى أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ :« لَعَنَ اللَّهُ النَّاظِرَ وَالْمَنْظُورَ إِلَيْهِ » البيهقي[٥٦٧].

طلب الخلوة،والاستتار عن الأنظار،وترك الاعتماد على أحد أو مساعدته في الاستحمام،إلا ما يكون من تعليم الوالدين لأبنائهما الصغار.

عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- رَأَى رَجُلاً يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلاَ إِزَارٍ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِىٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ ». رواه أبو داود والنسائي[٥٦٨].

تجنب الكلام والحديث مع الآخرين،والسلام أوردِّه على أحد والذكر الجهري وتلاوة القرآن،أثناء الاستحمام،إلا ما كان من النية وأدعية الغسل،والتزام الصمت والهدوء في صب الماء.

تجنب تناول الطعام،أو شرب الماء البارد أثناء الاستحمام،وتجنب دخول الحمام بعد الطعام مباشرة،لأن ذلك يسيء إلى عملية الهضم.

---

[٥٦٤] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٠١٣) حسن

[٥٦٥] – شعب الإيمان – (٧ / ٤١٢)(٥٢٠٧) حسن صحيح

[٥٦٦] – التفسير الميسر – (٦ / ٢٣٤)

[٥٦٧] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٧ / ٩٩) (١٣٩٥٠) ومَرَاسِيلُ أَبِي دَاوُدَ (٤٤٥) حسن مرسل

[٥٦٨] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٠١٤) وسنن النسائي– المكتر – (٤٠٩) صحيح –براز : الفضاء الواسع من الأرض

التفكر والاعتبار وتذكر الموت والدار الآخرة عند التجرد من الثياب،والتعوّذ بالله تعالى من النار والحميم عند صب الماء الحار.

تجنب الدخول إلى الحمامات العامة إلا عند الضرورة،لأنه مظنة لكشف العورات،والنظر إلى الآخرين،وخاصة إذا توفر الحمّام في البيت.

تجنب الإسراف وصب الماء بلا حاجة،فهو من مكروهات الغسل،ولو كان يغترف من نهر جار،لأن الله لا يحب المسرفين.

عَنْ أَبِي الْعَلاَءِ،قَالَ:سَمِعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ،ابْنًا لَهُ وَهُوَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الأَبْيَضَ عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ،قَالَ:يَا بُنَيَّ،إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ الْجَنَّةَ،وَتَعَوَّذْ به مِنَ النَّارِ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولُ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ،وَالطُّهُورِ." ابن حبان[٥٦٩].

الانتباه إلى إسباغ الغسل وتبليغه جميع البدن،وإيصاله إلى معاطف الجسم ومنابت الشعر،وذلك حسب الطريقة الشرعية.

قال الإمام الغزالي: إن أردت غسلا فاحمل الإناء،وضعه عن يمينك إن كنت تغترف منه،وعن يسارك إن كنت تصب منه،واغسل يديك أولا ثلاثا،وأزل ما على جسمك من نجاسة أو قذر،ثم توضأ وضوءك للصلاة،ثم صب الماء على رأسك ثلاثا مع استحضار النية،ثم على شقك الأيمن ثلاثا،ثم على شقك الأيسر ثلاثا،وأدلك ما أقبل من بدنك،وخلل الأطراف،وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ما خف منه أو كثف،واعلم أن الواجب هو النية واستيعاب البدن بالغسل.[٥٧٠]

قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (٢٢٢) سورة البقرة.

وَاللهُ يُحِبُّ التَّوَابِينَ مِنَ الذُّنُوبِ،وَإِنْ تَكَرَّرَ غِشْيَانُها،وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ عَنِ الأَقْذَارِ وَالأَذَى وَالفَوَاحِش .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ يَبْدَأُ فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ الْمَاءَ فَيُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِى أُصُولِ الشَّعْرِ حَتَّى إِذَا رَأَى أَنْ قَدِ اسْتَبْرَأَ حَفَنَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ حَفَنَاتٍ ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ." رواه مسلم[٥٧١].

---

[٥٦٩] – صحيح ابن حبان – (١٥ / ١٦٦) (٦٧٦٣) صحيح

[٥٧٠] – إحياء علوم الدين – (١ / ١٤٥) وبداية الهداية – (١ / ٤)

[٥٧١] – صحيح مسلم- المكتز – (٧٤٤)

وعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ،قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ،يَبْدَأُ،فَيَغْسِلُ يَدَيْهِ،ثُمَّ يُفْرِغُ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ،فَيَغْسِلُ فَرْجَهُ،ثُمَّ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الأَرْضِ،فَيَمْسَحُهَا،ثُمَّ يَغْسِلُهَا،ثُمَّ يَتَوَضَّأُ وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ،ثُمَّ يُفْرِغُ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ،ثُمَّ يَتَنَحَّى،فَيَغْسِلُ رِجْلَيْهِ." أحمد[٥٧٢]

الانتباه إلى أنه يحرم على الجنب خمسة أشياء: الصلاة،وقراءة القرآن،ومس المصحف وحمله،والطواف والمكث في المسجد إلا لعذر.

ويحرم على المحدث حدثا أصغر ثلاثة أشياء: الصلاة،والطواف،ومس المصحف وحمله وأجازه بعض أهل العلم [٥٧٣]

١٣- ينبغي للمسلم أن يسارع إلى إزالة الحدثين بالغسل والوضوء فور حدوثهما،وعدم البقاء على جنابة فإنه لا يدري متى يقع الموت.

[٥٧٢] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٦٦٤)(٢٦٧٩٨) ٢٧٣٣٤- صحيح

[٥٧٣] - انظر :مصنف ابن أبي شيبة - (٥ / ١٣٧)(٧٥٠٠-٧٥٠٨) والموسوعة الفقهية الكويتية - (١٦ / ٢٤٠) والموسوعة الفقهية الكويتية - (١٨ / ٣٢٢)

-٢٢-آداب المسجد

المساجد بيوت الله تعالى،ومن أحب الله تعالى أحب بيوته،وأكثر من زيارته فيها. قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (١٨) سورة الجن.

وأن المساجد لعبادة الله وحده،فلا تعبدوا فيها غيره،وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تُبْنَ إلا ليُعبَدَ اللهُ وحده فيها،دون من سواه،وفي هذا وجوب تنزيه المساجد من كل ما يشوب الإخلاص لله،ومتابعة رسوله محمد ﷺ.[٥٧٤]

والضيف إذا نزل بساحة الكرماء،ومنازل العظماء،أصابه جودهم وفضلهم،ونال من أعطياتهم وغنم من إكرامهم،فكيف بضيف نزل بأكرم الأكرمين،وحلّ على رب العالمين..؟

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:إِنَّ بُيُوتَ اللَّهِ فِي الأَرْضِ الْمَسَاجِدُ،وَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا." الطبراني[٥٧٥]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ،قَالَ: أَخْبَرَنَا أَصْحَابُ،رَسُولِ اللهِ ﷺ: " إِنَّ الْمَسَاجِدَ بُيُوتُ اللهِ فِي الْأَرْضِ،وَإِنَّهُ لَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ مَنْ زَارَهُ فِيهَا "[٥٧٦]

وعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ،إِلا كَانَ زَائِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ". [٥٧٧]

وعَنْ عُمَرَ،قَالَ:الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللهِ فِي الأَرْضِ،وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ."[٥٧٨]

وعَنْ سَلْمَانَ،قَالَ:مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ،ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لِيُصَلِّيَ فِيهِ كَانَ زَائِرًا للهِ،وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ."[٥٧٩]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ،أَنَّ كَعْبًا،قَالَ:إِنِّي لأَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتعالى: إِنَّ بُيُوتِي فِي الأَرْضِ الْمَسَاجِدُ،وَإِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ،ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ،وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ،ثُمَّ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ..} إِلَى آخِرِ الآيَةِ ثُمَّ وَجَدْتُ فِي التَّوْرَاةِ:أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مَحَبَّةٌ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ حَتَّى يَكُونَ بَدْؤُهَا مِنَ اللَّهِ يُنَزِّلُهَا اللَّهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ،ثُمَّ يُنَزِّلُهَا عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ،وَلَمْ يَكُنْ بُغْضُهُ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ،حَتَّى يَكُونَ بَدْؤُهَا مِنَ اللَّهِ يُنَزِّلُهَا عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ ثُمَّ يُنَزِّلُهَا عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ،ثُمَّ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ {إِنَّ

---

[٥٧٤] – التفسير الميسر – (١٠ / ٢٨٧)

[٥٧٥] – المعجم الكبير للطبراني – (٩ / ٣) (١٠١٧١) حسن

[٥٧٦] – شعب الإيمان – (٤ / ٣٧٨)(٢٦٨٢) صحيح موقوف

[٥٧٧] – المعجم الكبير للطبراني – (٦ / ٦٨) (٦٠٢٢) حسن

[٥٧٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٩ / ١٨٩) (٣٥٧٥٨) حسن

[٥٧٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٩ / ١٨٩) (٣٥٧٦٠) صحيح موقوف

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}،وَوَجَدْتُ فِي التَّوْرَاةِ:مَنْ قَالَ مِنْ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ فَقَدِ اجْتَهَدَ،وَمَنْ قَالَ هَكَذَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَلَبَهَا وَجَعَلَ ظُهُورَ كَفَّيْهِ مِمَّا يَلِي السَّمَاءَ فَقَدِ ابْتَهَلَ،وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرُدَّ يَدِينِ خَاسِئَتَيْنِ يُسْأَلُ بِهَا خَيْرًا ."[٥٨٠]

ولا شك أن أعظم هذه الكرامات،وأفضل هذه الأعطيات،أن يذيقه الله تعالى لذة قربه وحلاوة مناجاته،وأن يمنحه شهادة الإيمان.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ،فَاشْهَدُوا عَلَيْهِ بِالإِيمَانِ،قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (١٨) سورة التوبة. ابن حبان[٥٨١].

وفي منازل القيامة،وكربات مواقفها،وأهوال مشاهدها،يكون في ظل عرش الرحمن،آمنا مطمئنا. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ،وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ،وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ،وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ،وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ.وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ،وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».متفق عليه[٥٨٢].

ثم يصله تعالى بنعمة الجنة،وما أعده له فيها من نعيم مقيم،وفضل عميم.. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِى الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » رواه مسلم.[٥٨٣].

والمساجد ليست معابد تؤدَّى فيها طقوس العبادات،وحركات الصلوات فحسب،فالأرض كلها جعلت لأمة النبي ﷺمسجدا وطهورا،وتصلح لأداء الأركان والواجبات،فعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِ وَيَعْرِضُ عَلَيَّ فِي السِّكَّةِ،فَيَمُرُّ بِالسَّجْدَةِ فَيَسْجُدُ،قَالَ:قُلْتُ:أَتَسْجُدُ فِي السِّكَّةِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ،يَقُولُ:سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ:الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ،قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ:ثُمَّ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى،قَالَ:قُلْتُ:كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ:أَرْبَعُونَ سَنَةً قَالَ:ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ." أحمد[٥٨٤].

وعن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي:نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا،وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ،وَأُحِلَّتْ

---

[٥٨٠] – الزهد أبي داود ٢٧٥ – (١ / ٣٧٨)(٤٨٣) صحيح مقطوع

[٥٨١] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٦) (١٧٢١) والمستدرك للحاكم (٧٧٠) حسن

[٥٨٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٦٠) وصحيح مسلم- المكتر – (٢٤٢٧)

[٥٨٣] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٥٦)

فيه: الحض على شهود الجماعات، ومواظبة المساجد للصلوات؛ لأنه إذا أعد الله له نزله فى الجنة بالغدو والرواح، فما ظنك بما يُعِدُّ له ويتفضل عليه بالصلاة فى الجماعة واحتساب أجرها والإخلاص فيها لله تعالى.شرح ابن بطال – (٣ / ٣٥٧)

[٥٨٤] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ١٧٣)(٢١٣٨٣) ٢١٧١١- صحيح

لِيَ الْغَنَائِمُ،وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي،وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً،وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً." البخاري[٥٨٥]

ولكن المساجد بيوت الله يأوي إليها المسلم منقطعا عن صخب الحياة المادية،ومتحررا من قيود الهموم الدنيوية،فيجد فيها مراتع من رياض الجنة،ورياحين الفردوس.. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ:الْمَسَاجِدُ،قُلْتُ:وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:سُبْحَانَ اللهِ،وَالْحَمْدُ للهِ،وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ،وَاللهُ أَكْبَرُ." الترمذي[٥٨٦]

فتارة في مجلس ذكر لله تعالى،وتلاوة القرآن الكريم يصل فيها إلى صفاء الروح،ولقائها بخالقها،وصلتها بمصدر الخير والكمال،ونهلها من منبع الحكمة والمعرفة والإيمان..

وتارة في مجلس وعظ وإرشاد تتزكى فيه النفس من نقائصها،وتتطهر من رذائلها،وتتحلى بفضائلها ومكارم أخلاقها..

وتارة في مجلس علم وفقه في الدين تتفتح فيه آفاق العقل على عظمة التشريع،وتتنوّر دروب الحياة بهدي التعاليم الإلهية،فيتضح صراط الله المستقيم..

كل ذلك في مجتمع إيماني كريم،يشدُّ بعضه أزر بعض،ويحقق فيه المؤمنون قوله تعالى: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٢) سورة المائدة.

ويحنون من الثمرات ما ورد في الحديث الشريف عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ».

رواه مسلم[٥٨٧].

وإذا كان حق الضيف إكرامه،فإن من واجبه معرفة قدر من يزور،والاستعداد لزيارته،والتأدب في حضرته بما يليق وجلال المزور وعظمته..

ومن الآداب الإسلامية لزيارة بيوت الله تبارك وتعالى نذكر منها ما يلي:

محبة المساجد وتقديرها،والنظر إليها بعين التكريم والتعظيم والتقديس والاحترام،لأنها بيوت الله تعالى التي بنيت لذكره وعبادته،وتلاوة كتابه وأداء رسالته،ونشر تعاليمه وتبليغ منهجه،وتعارف أتباعه

---

[٥٨٥] – صحيح البخارى- المكتز – (٣٣٥) وصحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٠٨) (٦٣٩٨)

[٥٨٦] – سنن الترمذى- المكتز – (٣٨٥١) حسن

[٥٨٧] – صحيح مسلم- المكتز – (٧٠٢٨)

ولقائهم على مائدة العلم والحكمة ومكارم الأخلاق..قال تعالى:{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} الحج.

وقال سبحانه:{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) } [النور:٣٦-٣٨] .

هذا النور المضيء في مساجد أَمَرَ الله أن يُرْفع شأنها وبناؤها،ويُذْكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل،وغير ذلك من أنواع الذكر،يُصلِّي فيها لله في الصباح والمساء.رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذِكْرِ الله،وإقام الصلاة،وإيتاء الزكاة لمستحقيها،يخافون يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك،وتتقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟ ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم،ويزيدهم من فضله بمضاعفة حسناتهم. والله يرزق مَن يشاء بغير حساب،بل يعطيه مِنَ الأجر ما لا يبلغه عمله،وبلا عدٍّ ولا كيل.[٥٨٨]

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ،قَالَ: كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ يَا أَخِي لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:"الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ،وَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَانَ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُ الرَّوْحَ،وَالرَّحْمَةَ،وَالْجَوَازَ عَلَى الصِّرَاطِ".رواه الطبراني[٥٨٩] .

وعَنْ ابْنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ: أَوْصَانِي أَبِي يَا بُنَيَّ لِيَكُنِ الْمَسْجِدُ بَيْتَكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " الْمَسَاجِدُ بُيُوتُ اللهِ،وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ لِمَنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بَيْتَهُ بالرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ،وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى الْجَنَّةِ " "[٥٩٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ،أَوْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا،أَوْ رَاحَ" ابن أبي شيبة.[٥٩١]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا هُمْ أَوْتَادُهَا لَهُمْ جُلَسَاءُ مِنَ الْمَلائِكَةِ،فَإِنْ غَابُوا سَأَلُوا عَنْهُمْ،وَإِنْ كَانُوا مَرْضَى عَادُوهُمْ،وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ "[٥٩٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا الْمَلائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ،إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ،وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ،وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ. وَقَالَ:جَلِيسُ الْمَسْجِدِ عَلَى ثَلاثِ خِصَالٍ:أَخٍ

---

[٥٨٨] – التفسير الميسر – (٦ / ٢٤٠)

[٥٨٩] – المعجم الكبير للطبراني – (٦ / ٦٧) (٦٠٢٠) حسن لغيره

[٥٩٠] – شعب الإيمان – (٤ / ٣٨١)(٢٦٨٨) حسن لغيره

[٥٩١] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٩ / ١٨٧) (٣٥٧٥٤) صحيح

[٥٩٢] – المستدرك للحاكم (٣٥٠٧) صحيح موقوف

مُسْتَفَاد،أَوْ كَلِمَةٌ مُحْكَمَةٌ،أَوْ رَحْمَةٌ مُنْتَظَرَةٌ." أحمد[٥٩٣]

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ،قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: " إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا مِنَ النَّاسِ،وَإِنَّ لَهُمْ جُلَسَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،فَإِذَا فَقَدُوهُمْ سَأَلُوا عَنْهُمْ فَإِنْ كَانُوا مَرْضَى عَادُوهُمْ وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ "[٥٩٤]

العمل على إشادتها،والقيام بما يستطيع من جهد مادي أو جسدي لبنائها،وتشجيع الناس على التبرع لاستكمالها وتجهيزها بما يليق ومكانتها،وابتغاء وجه الله تعالى في كل ذلك. فعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. " ابن حبان[٥٩٥]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،أَنَّهُ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَذْكُرُ فِيهِ اسْمَ اللهِ،بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ." ابن حبان[٥٩٦]

وعن عُبَيْدِ اللهِ الْخَوْلَانِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:مَنْ بَنَى مَسْجِدًا،بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا." ابن حبان[٥٩٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا،بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. رواه أحمد[٥٩٨] .

المحافظة على ارتياد المساجد ولو كانت بعيدة عن مترله،والمشي إليها ولو تحمل في سبيل ذلك الحّر والبرد،وظلمة الليل ومشقة الطريق.فعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِى الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ وَالَّذِى يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِى يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ ». وَفِى رِوَايَةٍ « حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ فِى جَمَاعَةٍ » رواه مسلم[٥٩٩]..

وعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِى الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ فَأَبْعَدُهُمْ مَمْشًى،وَالَّذِى يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِى يُصَلِّى ثُمَّ يَنَامُ »[٦٠٠] .

وعَنْ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».رواه أبو داود[٦٠١] .

---

[٥٩٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٥٠٠)(٩٤٢٤) ٩٤١٤-٩٤١٥) حسن

[٥٩٤] – شعب الإيمان – (٤ / ٣٨٢) (٢٦٩١) صحيح مقطوع

[٥٩٥] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٤٨٩)(١٦١٠) صحيح

[٥٩٦] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٤٨٧) (١٦٠٨) صحيح

[٥٩٧] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٤٨٨) (١٦٠٩) صحيح

[٥٩٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٦٣٩)(٢١٥٧) صحيح لغيره

المفحص : الحفرة التي تحفرها القطاة في الأرض لتبيض وترقد فيها -القطاة : نوع من اليمام

[٥٩٩] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٤٥)

[٦٠٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٥١)

[٦٠١] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٦١) صحيح

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ كَانَ رَجُلٌ لاَ أَعْلَمُ رَجُلاً أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ وَكَانَ لاَ تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ - قَالَ - فَقِيلَ لَهُ أَوْ قُلْتُ لَهُ لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِى الظَّلْمَاءِ وَفِى الرَّمْضَاءِ.قَالَ مَا يَسُرُّنِى أَنَّ مَنْزِلِى إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِى مَمْشَاىَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِى إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ ». رواه مسلم[٦٠٢].

التهيؤ للذهاب إلى المسجد بالطهارة وحسن الوضوء والتسوّك،ولبس الثياب النظيفة،وتقليم الأظافر وترجيل الشعر،والتجمّل والتطيّب.

قال تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣١) سورة الأعراف

يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك،وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله،ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك.[٦٠٣]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ وَأَبِى سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ :« مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاسْتَاكَ وَلَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَتَطَيَّبَ بِطِيبٍ إِنْ وَجَدَهُ ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يَتَخَطَّ النَّاسَ فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُصَلِّىَ فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ سَكَتَ فَذَلِكَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى » البيهقي[٦٠٤].

وعَنْ سَلْمَانَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَسْبَغَ وَتَطَهَّرَ وَتَطَيَّبَ مِنْ طِيبِ أَهْلِهِ،وَخَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ اثْنَيْنِ،ثُمَّ صَلَّى مَا قُدِّرَ لَهُ حَتَّى يَخْرُجَ الإِمَامُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى." البزار[٦٠٥]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ تَطَهَّرَ فِى بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِىَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً ». رواه مسلم.[٦٠٦]

إنهاء جميع الأعمال الدنيوية،وإيقاف كافة الأشغال المادية عند سماع الأذان،والمسارعة إلى تلبية النداء،والتوجه إلى المسجد مهما كانت الأعذار.قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٢٤) سورة الأنفال

---

[٦٠٢] - صحيح مسلم- المكتز - (١٥٤٦) -الرمضاء : الرمل الحار والأرض الشديدة الحرارة

[٦٠٣] - التفسير الميسر - (٢ / ٤٩٢)

[٦٠٤] - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ١٩٢) (٥٨٩٢) صحيح

[٦٠٥] - مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار - (٦ / ٤٧٢) (٢٥٠٤) صحيح

[٦٠٦] - صحيح مسلم- المكتز - (١٥٥٣)

يا أيها الذين صدِّقوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحييكم من الحق،ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة،واعلموا -أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء،والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهيه قلبه،فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم؛ إذ بيده ملكوت كل شيء،واعلموا أنكم تُجمعون ليوم لا ريب فيه،فيجازي كلا بما يستحق.[٦٠٧]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِى قَائِدٌ يَقُودُنِى إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّىَ فِى بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ « هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ ». فَقَالَ نَعَمْ. قَالَ « فَأَجِبْ ». رواه مسلم[٦٠٨].

الدخول إلى المسجد مقدما الرجل اليمنى قائلا: بسم الله،اللهم صل على سيدنا محمد،اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

كما يستحب أن ينوي الاعتكاف فإنه يصح ولو لم يمكث إلا فترة قليلة،فيقول: نويت الاعتكاف في هذا المسجد ما دمت فيه.

الخروج مقدما الرجل اليسرى واضعا حذاءه أمامه بهدوء قائلا: اللهم صل على سيدنا محمد،اللهم إني أسألك من فضلك.

عَنْ أَبِي حُمَيْد،أَوْ أَبِي أُسَيْد السَّاعِدِيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ وَلْيَقُلِ:اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلِ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ. ابن حبان[٦٠٩]

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا حُمَيْدٍ أَوْ أَبَا أُسَيْدٍ الأَنْصَارِىَّ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- ثُمَّ لْيَقُلِ اللَّهُمَّ افْتَحْ لِى أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ »رواه مسلم وأبو داود[٦١٠].

---

[٦٠٧] - التفسير الميسر - (٣ / ١٩٢)

[٦٠٨] - صحيح مسلم- المكتر - (١٥١٨)

وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلَالَة لِمَنْ قَالَ : الْجَمَاعَة فَرْض عَيْن . وَأَجَابَ الْجُمْهُور عَنْهُ بِأَنَّهُ سَأَلَ هَلْ لَهُ رُخْصَة أَنْ يُصَلِّي فِي بَيْته وَتَحْصُل لَهُ فَضِيلَة الْجَمَاعَة بِسَبَبِ عُذْره ؟ فَقِيلَ : لَا . وَيُؤَيِّد هَذَا أَنَّ حُضُور الْجَمَاعَة يَسْقُط بِالْعُذْرِ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَدَلِيله مِنْ السُّنَّة حَدِيث عِتْبَانَ بْن مَالِك الْمَذْكُور بَعْد هَذَا . وَأَمَّا تَرْخِيص النَّبِيّ ﷺ ثُمَّ رَدُّهُ ، وَقَوْله : فَأَجِبْ ، فَيَحْتَمِل أَنَّهُ بِوَحْيٍ نَزَلَ فِي الْحَال ، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ تَغَيَّرَ اجْتِهَاده ﷺ إِذَا قُلْنَا بِالصَّحِيحِ وَقَوْل الْأَكْثَرِينَ إِنَّهُ يَجُوز لَهُ الِاجْتِهَاد ، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ رَخَّصَ لَهُ أَوَّلًا وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَجِب عَلَيْك الْحُضُور إِمَّا لِعُذْرٍ وَإِمَّا لِأَنَّ فَرْض الْكِفَايَة حَاصِل بِحُضُورِ غَيْره ، وَإِمَّا الْأَمْرَيْنِ ، ثُمَّ نَدَبَهُ إِلَى الْأَفْضَل فَقَالَ : الْأَفْضَل لَك وَالْأَعْظَم لِأَجْرِك أَنْ تُجِيب وَتَحْضُر فَأَجِبْ . وَاَللَّهُ أَعْلَم "شرح النووي على مسلم - (٢ / ٤٥٤) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٧ / ١٦٥)

[٦٠٩] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٣٩٧)(٢٠٤٨) صحيح

[٦١٠] - صحيح مسلم- المكتر - (١٦٨٥) وسنن أبي داود - المكتر - (٤٦٥)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺوَلْيَقُلِ:اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ،وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،وَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ." ابن حبان[٦١١]

صلاة ركعتين سنة تحية المسجد قبل الجلوس،إذا لم يكن وقت صلاة راتبة،ومن لم يتمكن من الصلاة لحدث أو شغل.. فليقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا " ".قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ ؟ قَالَ:" " المَسَاجِدُ " "،قُلْتُ:وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ:" " سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ " "[٦١٢]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيِّ سَمِعَ أَبَا قَتَادَةَ بْنَ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيَّ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ- « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّىَ رَكْعَتَيْنِ » البخاري[٦١٣]..

خلع الحذاء وإزالة ما علق به من أوساخ خارج المسجد،وإطباقه ووضعه في أقرب مكان مخصص والحذر من رفعه فوق الرؤوس،أو تلويث المسجد به،ثم إطباق باب المسجد بهدوء عند الدخول.

الانتباه إلى طهارة الجوارب ونظافتها،قبل المشي بها على سجاد المسجد.

تجنب أكل الثوم أو البصل،وما له رائحة كريهة،والدخول إلى المسجد قبل إزالتها،بتنظيف الفم بالماء والفرشاة والمعجون.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ- « مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلاً،فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا،وَلْيَقْعُدْ فِى بَيْتِه ».وَإِنَّهُ أُتِىَ بِبَدْرٍ – قَالَ ابْنُ وَهْبٍ يَعْنِى طَبَقًا – فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ،فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا فَسَأَلَ عَنْهَا – أُخْبِرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ – فَقَالَ قَرِّبُوهَا فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِه كَانَ مَعَهُ،فَلَمَّا رَآهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ « كُلْ،فَإِنِّى أُنَاجِى مَنْ لاَ تُنَاجِى ».متفق عليه[٦١٤].

وعَنْ جَابِرٍ،أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكُرَّاثَ،فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا " أبو يعلى[٦١٥]

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ. فَغَلَبَتْنَا الْحَاجَةُ فَأَكَلْنَا مِنْهَا فَقَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الإِنْسُ » مسلم.[٦١٦]

---

[٦١١] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٩٦)(٢٠٤٧) صحيح

[٦١٢] – سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ـــ الْجَامِعُ الصَّحِيحُ (٣٥٨٥) حسن لغيره

[٦١٣] – صحيح البخارى- المكتر – (١١٦٣)

[٦١٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٣٥٩) وصحيح مسلم- المكتر –(١٢٨١)- البدر : الطبق

[٦١٥] – مسند أبي يعلى الموصلي (٢٣٢٢) صحيح

[٦١٦] – صحيح مسلم- المكتر – (١٢٨٠)

تجنب تلويث المسجد بشيء من القاذورات أو النجاسات،كالمرور بأرجل عليها نجاسة،أو تلويثه بالقليل من الدم،كما يحرم البول في المسجد ولو كان في وعاء ويحرم الاستنجاء فيه.

فعن إِسْحَاقَ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ حَدَّثَنِى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - وَهُوَ عَمُّ إِسْحَاقَ - قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِى الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِذْ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مَهْ مَهْ. قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَىْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ إِنَّمَا هِىَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ». أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-.قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. رواه مسلم[٦١٧].

تجنب تلويث المسجد بالبصاق أو المخاط أو النخامة،وخاصة عند عتبات المسجد أو على بابه أو في أماكن الوضوء،والقيام على إزالته إن وجد.

عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا." متفق عليه[٦١٨].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- رَأَى فِى جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا أَوْ بُصَاقًا أَوْ نُخَامَةً فَحَكَّهُ ." البخاري[٦١٩].

تجنب اللهو واللعب والجري،واللغو والثرثرة،ورفع الأصوات ولو بقراءة القرآن على وجه يشوّش على المصلين أو الذاكرين أو المتدارسين للعلم.

عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ كُنْتُ قَائِمًا فِى الْمَسْجِدِ فَحَصَبَنِى رَجُلٌ،فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ اذْهَبْ فَأْتِنِى بِهَذَيْنِ.فَجِئْتُهُ بِهِمَا.قَالَ مَنْ أَنْتُمَا - أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا قَالاَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ.قَالَ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا،تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ-. رواه البخاري[٦٢٠].

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ قَالَ:اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِى الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَشَفَ السِّتْرَ وَقَالَ:« أَلاَ إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ فَلاَ يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَلاَ يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الْقِرَاءَةِ ». أَوْ قَالَ:« فِى الصَّلاَةِ ». رواه أبو داود[٦٢١].

تجنب الخصومات والاشتغال بأمور الدنيا،والبيع والشراء،والبحث عن ضائع،وإنشاد الشعر المتضمن فحشا أو هجاء لمسلم أو ظلما أو غزلا،ولا بأس فيما تضمن حكمة أو خيرا.

---

[٦١٧] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٨٧) -شن : صبه صبا متقطعا

[٦١٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٤١٥) وصحيح مسلم- المكتر - (١٢٥٩) وصحيح ابن حبان - (٤ / ٥١٦) (١٦٣٧)

[٦١٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٠٧)

[٦٢٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٠)

[٦٢١] - سنن أبي داود - المكتر - (١٣٣٤) صحيح

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أَنَّهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يُسْتَقَادَ فِى الْمَسْجِدِ وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ الأَشْعَارُ وَأَنْ تُقَامَ فِيهِ الْحُدُودُ."أبو داود[٦٢٢]

وعَنِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺعَنِ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ فِي الْمَسْجِدِ،وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ الأَشْعَارُ،وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ الضَّالَّةُ،وَعَنِ الْحِلَقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلاَةِ." أحمد[٦٢٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَبِيعُ وَيَشْتَرِي فِي الْمَسْجِدِ،فَقُولُوا:لاَ أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ." ابن حبان[٦٢٤] .

وعن سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيِّبِ قال: " مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ،أوالْمَجْلِسِ "،فَإِنَّمَا يُجَالِسُ رَبَّهُ " فَمَا أَحَقَّهُ أَنْ لَا يَقُولَ إِلَّا خَيْرًا " [٦٢٥]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ،قَالَ:كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الأَشْعَارَ،وَيَتَذَاكَرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ،وَرَسُولُ اللهِ ﷺسَاكِتٌ فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ،أَوْ قَالَ:كُنَّا نَتَنَاشَدُ الأَشْعَارَ،وَنَذْكُرُ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ،فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ ﷺ." أحمد[٦٢٦]

وعَنِ الشَّعْبِيِّ،قَالَ: " كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ،أَحْسَبُهُ قَالَ مَعَ أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺفَكَانُوا يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ.فَوَقَفَ بِنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ،فَقَالَ: فِي حَرَمٍ،وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ،يَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ ؟.فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺإِنَّمَا نَهَى عَنِ الشِّعْرِ،الَّذِي إِذَا أُتِيتْ فِيهِ النِّسَاءُ،وَتُزْدَرَى فِيهِ الْأَمْوَاتُ "[٦٢٧]

تجنب الاحتباء وتشبيك الأصابع وفرقعتها والعبث بها في المسجد وأثناء انتظار الصلاة.

عَنْ مَوْلًى لأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:بَيْنَمَا أَنَا مَعَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺإِذْ دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ،فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ فِي وَسَطِ الْمَسْجِدِ مُحْتَبِيًا مُشَبِّكٌ أَصَابِعَهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ،فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَلَمْ يَفْطِنِ الرَّجُلُ لإِشَارَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ:إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَلاَ يُشَبِّكَنَّ،فَإِنَّ التَّشْبِيكَ مِنَ الشَّيْطَانِ،وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَزَالُ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْهُ." رواه أحمد[٦٢٨] .

---

[٦٢٢] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٤٩٢) حسن

[٦٢٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٦٣١)(٦٦٧٦) حسن

[٦٢٤] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٥٢٨) (١٦٥٠) صحيح

[٦٢٥] – الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (٤١٤) فيه جهالة

[٦٢٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٥٧)(٢١٠١٠) ٢١٣٢٣– صحيح

[٦٢٧] – شرح معاني الآثار – (٤ / ٢٩٧) (٦٩٩٤) حسن

[٦٢٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ١١٠)(١١٣٨٥) ١١٤٠٥– فيه جهالة

وعَنْ أَبِي ثُمَامَةَ الْحَنَّاطِ،قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بن عُجْرَةَ وَأَنَا مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْمَسْجِدِ مُشَبِّكٌ أَصَابِعِي،فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:"إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَلا يُشَبِّكْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ،فَإِنَّهُ فِي صَلاةٍ"." الطبراني[٦٢٩]

تجنب الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة.

عَنْ أَبِى الشَّعْثَاءِ قَالَ كُنَّا قُعُودًا فِى الْمَسْجِدِ مَعَ أَبِى هُرَيْرَةَ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ يَمْشِى فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ -ﷺ-.. رواه مسلم[٦٣٠].

تجنب تناول الأطعمة في المسجد وجعلها أمكنة للراحة أو القيلولة أو السمر،وتجنب الوقوع في المحرمات كالغيبة والنميمة والكذب وتنقيص الناس.

تجنب الدخول إلى المسجد للمرور فيه كطريق،أو الدخول والخروج منه من غير صلاة أو ذكر أو تسبيح أو عبادة أو أمر بالمعروف أو نهي عن منكر أو طلب للعلم.

القيام بصيانة المسجد،والحفاظ على نظافته وأناقته،وأثاثه وأمتعته،وكتبه ومصاحفه.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِى الدُّورِ وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ.". رواه أبو داود[٦٣١].

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ،وَأَنْ تُطَيَّبَ وَتُنَظَّفَ." ابن حبان[٦٣٢]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا ». رواه الترمذي وأبو داود[٦٣٣].

صيانة المسجد من الأطفال والمجانين،وتشجيع الصبية الذين تجاوزوا السابعة وإحضارهم إلى المسجد تعويدا لهم على العبادة،وتحبيبهم بالمساجد مع تعليمهم آدابها قبل دخولها،والإشراف عليهم أثناء وجودهم فيها لتوجيههم وتنبيههم عند الإخلال بحرمتها أو مخالفة آدابها والحذر من إهانتهم أو طردهم منها. فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَخْطُبُ النَّاسَ إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ بْنُ

---

[٦٢٩] – المعجم الكبير للطبراني – (١٤ / ٢٢) (١٥٦٦٦) حسن

[٦٣٠] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٢١)

[٦٣١] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٥٥) وسنن الترمذى- المكتر – (٥٩٧) صحيح

[٦٣٢] – صحيح ابن حبان – (٤ / ٥١٣)(١٦٣٤)

[٦٣٣] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٦١) وسنن الترمذى- المكتر – (٣١٦٦) والفتح ٧٠/٩ والفتوحات ٣٥١/٣ حسن وهناك خلاف حول سماع المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب من أنس والراجح أنه سمع منه انظر التهذيب ١٧٨/١٠ و١٧٩ القذاة : ما يقع فى العين والشراب من غبار ووسخ

عَلِيٍّ فَصَعِدَ إِلَيْهِ فَضَمَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،وَقَالَ:أَلا إِنِ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ،وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَعَلَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " الحاكم[٦٣٤]

تجنب التطيب والتزين والتبرّج للمرأة التي تشهد المساجد،ودخولها وخروجها من المكان المخصص للنساء،دون اختلاطها بالرجال أو مزاحمتهم.

عَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلاَ تَمَسَّ طِيبًا ». رواه مسلم[٦٣٥].

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺجَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ،إِذْ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ تَرْفُلُ فِي زِينَةٍ لَهَا فِي الْمَسْجِدِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزِّينَةِ،وَالتَّبَخْتُرِ فِي الْمَسْجِدِ،فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبِسَ نِسَاؤُهُمُ الزِّينَةَ،وَتَبَخْتَرْنَ فِي الْمَسَاجِدِ." رواه ابن ماجه[٦٣٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَرَّتْ بِأَبِي هُرَيْرَةَ امْرَأَةٌ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ،فَقَالَ لَهَا:إِلَى أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أَمَةَ الْجَبَّارِ ؟ قَالَتْ:إِلَى الْمَسْجِدِ قَالَ:تَطَيَّبْتِ ؟ قَالَتْ:نَعَمْ قَالَ:فَارْجِعِي فَاغْتَسِلِي،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ امْرَأَةٍ صَلاةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ" ابن خزيمة[٦٣٧]

[٦٣٤] – المستدرك للحاكم (٤٨١٠) صحيح لغيره

[٦٣٥] – صحيح مسلم- المكتز – (١٠٢٥)

[٦٣٦] – سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة – (٥ / ١٣٦)(٤٠٠١) فيه ضعف

[٦٣٧] – صحيح ابن خزيمة (٢ / ٤٧٣) صحيح

-٢٣-آداب صلاة الجماعة

الإنسان اجتماعي بطبعه،يحب الجماعة التي توافقه وترعاه،وتسأل عن شؤونه وتسدي إليه النصح والمعروف،ولا بدّ للإنسان في حياته من جماعة يعيش معها،فإذا ما افتقد الجماعة التي تأمره بالخير وتعينه على التقوى،تلفقته الجماعة التي تأمره بالمنكر،وتزين له الشرور والآثام،فينساق معها إلى الذنوب والعصيان،ويهوي بسببها إلى النار. وقد أخبرنا الله تعالى أن المجرمين يساقون إلى النار كل مع جماعته،وأن المؤمنين يحشرون إلى الجنة كل مع زمرته،قال تعالى وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) } [الزمر:٧١ - ٧٤]

وسيق الذين كفروا بالله ورسله إلى جهنم جماعات،حتى إذا جاؤوها فتح الخزنة الموكّلون بها أبوابها السبعة،وزجروهم قائلين: كيف تعصون الله وتجحدون أنه الإله الحق وحده؟ ألم يرسل إليكم رسلا منكم يتلون عليكم آيات ربكم،ويحذّرونكم أهوال هذا اليوم؟ قالوا مقرين بذنبهم: بلى قد جاءت رسل ربنا بالحق،وحذّرونا هذا اليوم،ولكن وجبت كلمة الله أن عذابه لأهل الكفر به.قيل للجاحدين أن الله هو الإله الحق إهانة لهم وإذلالا: ادخلوا أبواب جهنم ماكثين فيها أبدًا،فقبُح مصير المتعالين على الإيمان بالله والعمل بشرعه.

وسيق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته إلى الجنة جماعات،حتى إذا جاؤوها وشُفع لهم بدخولها،فتحت أبوابها،فترحّب بهم الملائكة الموكّلون بالجنة،ويُحَيُّونهم بالبشر والسرور؛ لطهارتهم من آثار المعاصي قائلين لهم: سلام عليكم من كل آفة،طابت أحوالكم،فادخلوا الجنة خالدين فيها.وقال المؤمنون: الحمد لله الذي صدَقنا وعده الذي وعدَنا إياه على ألسنة رسله،وأورثَنا أرض الجنة نَنْزِل منها في أيِّ مكان شئنا،فنِعم ثواب المحسنين الذين اجتهدوا في طاعة ربهم.[٦٣٨]

وأمر سبحانه بالتزام الجماعة المؤمنة الصادقة فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة.

---

[٦٣٨] - التفسير الميسر - (٨ / ٢٨٩)

يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ،وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِه وَوَاجِبَاتِه،وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيه،وَاصْدقوا وَالزَمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ،وَتَنْجُوا مِنَ المَهَالِك،وَيَجْعَلُ اللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجاً .[٦٣٩]

والإسلام بعتباره دين الفطرة فهو دين الجماعة،يأمر بها ويحثُّ على التزامها،ويكره الفرقة والاختلاف،وينعي على الذين يشذون عن الجماعة ويفارقونها بأنهم يشذون إلى أهوائهم الذي يسوقهم إلى الانحراف وإلى الضلال المبين. فعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ قَالَ:خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَة فَقَالَ:إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّه - ﷺ- فِينَا فَقَالَ:" أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ،وَلَا يُسْتَحْلَفُ،وَحَتَّى يَشْهَدَ وَلَا يُسْتَشْهَدُ عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَة،وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ،لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا شَيْطَانٌ،مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ،مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ " النسائي[٦٤٠]

وعَنْ يَسِيرِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ قُلْنَا: أَوْصِنَا قَالَ: " عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ،فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺعَلَى ضَلَالَةٍ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ أَوْ يُسْتَرَاحُ مِنْ فَاجِرٍ "[٦٤١]

وقد جاء الإسلام،والعرب متفرقون لا تجتمع لهم كلمة أحدهم على كلمة فوحدهم بعد فرقة،وجمع شملهم بعد عداوة،وجعلهم إخوة كالجسد الواحد بعد طول تشاحن واقتتال. ومنّ عليهم بذلك فقال سبحانه: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (١٠٣) سورة آل عمران.

يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِالتَّمَسُّكِ بِحَبْلِ اللهِ،أيْ بِعَهْدِه وَدِينِه وَذِمَّتِه وَقُرْآنِه،وَمَا أمَرَهُمْ بِه مِنَ الإِلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالاجْتِمَاعِ،وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ،وَيَطْلُبُ إِلَيْهِمْ أنْ يَذْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيهِمْ إِذْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ،وَآخَى بَيْنَهُم بَعْدَ العَدَاوَةِ المُسْتَحْكِمَةِ،وَالفُرْقَةِ التِي كَانَتْ بَيْنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ،فَقَدْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ شَفِيرِ النَّارِ،بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَاقْتِتَالِهِمْ،فَهَدَاهُمُ اللهُ وَأَنْقَذَهُمْ .وَكَمَا بَيَّنَ لَهُمْ رَبُّهُمْ،فِي هَذِه الآيَاتِ،مَا يُضْمِرُهُ لَهُمُ اليَهُودُ مِنْ شَرٍّ وَحِدَاعٍ وَغِشٍّ،وَمَا كَانُوا عَلَيه فِي حَالِ جَاهِلِيَّتِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَفُرْقَةٍ وَاقْتِتَالٍ،وَمَا صَارُوا إليه بِفَضْلِ الإِسْلاَمِ مِنْ وَحْدَةٍ وَإِخَاءٍ،كَذَلِكَ يُبَيِّن سَائِرَ حُجَجِه فِي تَنْزِيلِه

---

[٦٣٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٥٥)

[٦٤٠] - عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة - (١ / ٢٣٩)٣٢٧-٧٩٨١ - وسنن الترمذى برقم(٢٣١٨) والمستدرك للحاكم برقم(٣٨٧) صحيح

[٦٤١] - شعب الإيمان - (١٠ / ٢٣)(٧١١١) حسن

عَلَى رَسُولِه،لِيُعِدَّهُمْ لِلاهْتِدَاءِ الدَّائِمِ،حَتَّى لا يَعُودُوا إِلى عَمَلِ أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالعَدَاوَةِ وَالاقْتِتَالِ .[٦٤٢]

على أن مدلول الآية أوسع مدى من هذه الحادثة. فهي تشي – مع ما قبلها في السياق وما بعدها – بأنه كانت هناك حركة دائبة من اليهود لتمزيق شمل الصف المسلم في المدينة،وإثارة الفتنة والفرقة بكل الوسائل. والتحذيرات القرآنية المتوالية من إطاعة أهل الكتاب،ومن الاستماع إلى كيدهم ودسهم،ومن التفرق كما تفرقوا .. هذه التحذيرات تشي بشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود في المدينة،ومن بذرهم لبذور الشقاق والشك والبلبلة باستمرار .. وهو دأب يهود في كل زمان. وهو عملها اليوم وغدا في الصف المسلم،في كل مكان![٦٤٣]

ومن مظاهر الجماعة الخيّرة في الإسلام حضّه على إقامة العبادات مع الجماعة،فقد حضّ على صلاة الجماعة،وأكد على ضرورة حضورها،ورغب في عظيم فضلها فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً". مسلم[٦٤٤].

ووعد الذين يلتزمونها ويحافظون عليها بشهادة في الدنيا تنفي عنهم مرض النفاق،وبشهادة في الآخرة تحميهم من دخول النار،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِى جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ ». رواه الترمذي[٦٤٥].

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فِي جَمَاعَةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ،وَبَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ " البيهقي[٦٤٦]

وجعل الفرقة في الصلاة علامة على التهاون بشأنها،وهي بدورها علامة على وجود عمل للشيطان واستيلاء له على القلوب والأعمال،فعَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،قَالَ:سَأَلَنِي أَبُو الدَّرْدَاءِ أَيْنَ مَسْكَنُكَ ؟ قُلْتُ:فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمْصٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ،فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ،فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ قَالَ السَّائِبُ:إِنَّمَا يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ جَمَاعَةَ الصَّلاَةِ." ابن حبان[٦٤٧].

---

[٦٤٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٦)

[٦٤٣] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (١ / ٤٤٤)

[٦٤٤] – صحيح مسلم– المكتر – (١٥٠٩)

[٦٤٥] – سنن الترمذى– المكتر – (٢٤١) ومسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار – (١٤ / ٩١)(٧٥٧٠) وأمالي ابن سمعون – (١ / ١٩)(٨٩) والترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين – (٦١) ومعجم ابن الأعرابي – (١١٧٥) حسن لغيره

[٦٤٦] – شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٧٤٥) حسن لغيره

[٦٤٧] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٤٥٨) (٢١٠١) صحيح وانظر : الفقه الإسلامي وأدلته – (٢ / ٣١٨) والموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٧ / ١٦٦)

وأوعد من يتخلف عن صلاة الجماعة بتركه لهدي النبي ﷺ،وهدد بوجود علامة للنفاق فيه،فعَنْ عَبْدِ اللهِ،أَنَّهُ قَالَ:مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا،فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ،حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ،فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى،وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى،وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ،كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ،لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ،وَلَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ،وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ،فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ،ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ،إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً،وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً،وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً،وَلَوْ رَأَيْتُنَا،وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ،وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ،حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ." رواه مسلم[٦٤٨].

وقد حافظ المسلمون على هذه الشعيرة المباركة على مدى الأجيال،وكان لها أكبر الفضل في محافظتهم على ركن الصلاة،وظل نداء الإيمان يصدح على المآذن حتى هذه الأيام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد بلغ من محافظة السلف على حضور الجماعات حدا أشبه بالخيال،فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ: سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ يَزِيدَ،يَقُولُ: " مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَّا وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ أَكُونَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا "[٦٤٩]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ،قَالَ:مَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ مُنْذُ ثَلاَثِينَ سَنَةً،إِلاَّ وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ."[٦٥٠].

وَفِي شَرْحِ الشِّرْعَةِ كَانَ السَّلَفُ يُعَزُّونَ أَنْفُسَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِذَا فَاتَتْهُمْ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى وَيُعَزُّونَ سَبْعًا إِذَا فَاتَتْهُمُ الْجَمَاعَةُ "[٦٥١]..

هذا ولصلاة الجماعة آداب كثيرة إضافة إلى آداب المسجد التي ذكرناها،منها ما يختص بالإمام ومنها ما يختص بالمأموم،ومنها ما يلزمهما معا،نذكر منها الآداب التالية:

استحوذ : الاستحواذ الاستيلاء على الشيء والغلبة. -القاصية : القاصي : البعيد.

[٦٤٨] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٢٠) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ١٠٠)(٣٩٣٦) – يهادى : يمشى معتمدا عليهما

لو سُلِّم أن المراد به الجماعة لسائر الصلوات؛لأمكن أن يقال : كان ذلك سدًّا لباب الذريعة إلى إسقاطها لأجل المنافقين،كما قال عبد الله :"ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق أو مريض ".

وقوله في حديث ابن مسعود:"ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف لتركتم سنة نبيكم،ولو تركتموها لضللتم"هذا يصلح أن يتمسك به من قال:إن إقامة الجماعة للصلوات فرض على الكفاية؛كما حكيناه . ويصلح لمن يقول:إنها سنة.ويكون إطلاقه الضلال على التاركين إذا تمالؤوا على تركها كما قدمناه . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – (٦ / ٦٦) وقارن بفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٢ / ٤٢٨) رقم الفتوى ١٧٩٨ صلاة الجماعة واجبة إلا لعذر. وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٢ / ٤٨٤٥) رقم الفتوى ٩٧٨٠ الجماعة واجبة ولو في المسجد الصغير

[٦٤٩] – شعب الإيمان – (٤ / ٣٧٢)(٢٦٦٩) صحيح

[٦٥٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (٣ / ٢١١) (٣٥٤٢) والزهد لأحمد بن حنبل – (٢٢٩٢) صحيح

[٦٥١] – الفقه الإسلامي وأدلته – (٢ / ٣١٥) وإحياء علوم الدين – (١ / ١٥٧) وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية – (٦ / ١٧٥)

المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد،والاستعداد لها بالطهارة والوضوء في البيت،والحضور في أول الوقت،وخاصة إذا كان المسجد قريبا.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ :« لاَ صَلاَةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلاَّ فِى الْمَسْجِدِ ».رواه الدارقطني[٦٥٢].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « صَلاَةُ الرَّجُلِ فِى جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِه فِى بَيْتِه وَصَلاَتِه فِى سُوقِه بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِى الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِىَ تَحْبِسُهُ وَالْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِى مَجْلِسِه الَّذِى صَلَّى فِيه يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْه مَا لَمْ يُؤْذ فِيه مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيه ».مسلم[٦٥٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِه وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً،فَإِنْ صَلاَّهَا بِأَرْضٍ قِيٍّ،فَأَتَمَّ وُضُوءَهَا،وَرُكُوعَهَا،وَسُجُودَهَا،تُكْتَبُ صَلاَتُهُ بِخَمْسِينَ دَرَجَةً." ابن حبان[٦٥٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِه فِي بَيْتِه،وَصَلاَتِه فِي سُوقِه خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً،وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ،ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلاَّ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً،وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ،فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ." ابن حبان[٦٥٥]

تجنب التهاون في صلاة الجماعة،والتكاسل عنها،والانشغال بغيرها عند سماع النداء.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنّ رَسُولَ اللَّه ﷺقَالَ: وَالَّذي نَفْسي بِيَده لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَب فَيُحْتَطَبُ،ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاة فَيُنَادَى بِهَا،ثُمَّ آمُرَ رَجُلا فَيَؤُمَّ النَّاسَ،ثُمَّ أُخَالفَ إِلَى أَقْوَام فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ،وَالَّذي نَفْسي بِيَده لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ " أبو عوانة[٦٥٦]

---

[٦٥٢] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٣ / ٥٧)(٥١٣٩-٥١٤٢) والمستدرك للحاكم (٨٩٨) وسنن الدارقطنى- المكتر – (١٥٧١و١٥٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة – (٣ / ١٩٥)(٣٤٨٨) والفتح ١ / ٤٣٩ مرفوعاً وموقوفاً والصواب وقفه

قوله:« لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب »، معناه:لا صلاة كاملة، كقوله: لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد »؛لإجماعهم أن صلاته جائزة فى داره أو حيث صلاها،فنفى عنه الكمال، فكذلك هاهنا. شرح ابن بطال – (٣ / ٤٥٧)

[٦٥٣] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٣٨) –ينهز : يحفز ويدفع

[٦٥٤] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٤٤)(١٧٤٩) صحيح

[٦٥٥] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٩١)(٢٠٤٣) صحيح

[٦٥٦] – مسند أبي عوانة (٩٨٥) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ،ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا،ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ،ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ."[٦٥٧].

الحرص على صلاة الفجر والعشاء مع الجماعة،لما فيهما من عظيم الأجر وجزيل الثواب،ولما في هذين الوقتين من البركات وتنزّل الرحمات،ولثقلهما على المنافقين لانشغالهم فيها في لهو أو نوم.

فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ،قَالَ:دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلاَةِ الْمَغْرِبِ،فَقَعَدَ وَحْدَهُ وَقَعَدْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ:يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ،فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ،وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ،فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ." رواه مسلم[٦٥٨].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ،فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ."[٦٥٩]

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَة."[٦٦٠]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ،وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا،لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُقِيمَ،ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً يَؤُمُّ النَّاسَ،ثُمَّ آخُذَ شُعَلاً مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لاَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ بَعْدُ » البخاري[٦٦١].

التوقف عن الذكر والصلاة وقراءة القرآن عند سماع الأذان،وإجابة المؤذن فيما يقول.

عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ:" مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ،فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ - فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ " رواه الطبراني[٦٦٢].

الإقبال إلى صلاة الجماعة بنؤدة وهدوء وسكينة ووقار،وخشوع للقلب،وترك لشواغل الدنيا،وتجنب الإسراع أو الركض في الطريق أو في المسجد للحوق بالجماعة..

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ-.وَعَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ،وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَلاَ تُسْرِعُوا،فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا » رواه البخاري[٦٦٣].

---

[٦٥٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٤٤) وصحيح ابن حبان – (٥ / ٤٥١) (٢٠٩٦)

[٦٥٨] – صحيح مسلم- المكتر – (١٥٢٣) وصحيح ابن حبان – (٥ / ٤٠٩) (٢٠٦٠)

[٦٥٩] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٤٠٧) (٢٠٥٨) صحيح

[٦٦٠] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٤٠٨) (٢٠٥٩) صحيح

[٦٦١] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٥٧)

[٦٦٢] – المعجم الكبير للطبراني – (١٤ / ٢٦٥)(١٦١٥٩) حسن لغيره

[٦٦٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٦)

إلقاء السلام على الجماعة المنتظرين للصلاة عند الدخول عليهم،وتفقد الغائبين منهم بعد أداء الصلاة،فمن كان مريضا عادوه،ومن كان مقصرا زاروه،ومن كان محتاجا أعانوه،ومن كان مصابا عزوه،ومن كان متوفى شيعوه.

السعي للوصول إلى الصف الأول وذلك بالتبكير إلى المسجد وتجنب تخطي رقاب المصلين للوصول إليه،فإن أحق المصلين بالصف الأول أسبقهم إليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا عَلَيْهِ،وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا." متفق عليه[٦٦٤].

تجنب السير بين الصفوف،والحذر من المرور بين يدي المصلين أثناء صلاتهم.

عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ،أَنَّ زَيْدَ بْنَ خَالِدٍ أَرْسَلَهُ إِلَى أَبِي جُهَيْمٍ يَسْأَلُهُ:مَاذَا سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي الْمَارِّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي ؟ قَالَ أَبُو جُهَيْمٍ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ،لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ،لاَ أَدْرِي سَنَةً قَالَ أَمْ شَهْرًا،أَوْ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً."[٦٦٥].

التوقف عن أداء صلاة السنة متى أقيمت الصلاة المكتوبة،وتخفيفها إن كان قد تلبّس بها،وقصرها إلى ركعتين إن كانت رباعية وذلك للحوق الإمام.فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ،فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةَ." مسلم[٦٦٦].

وعَنِ ابْنِ بُحَيْنَةَ قَالَ:أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- رَجُلاً يُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ،وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- :« الصُّبْحُ أَرْبَعًا الصُّبْحُ أَرْبَعًا »[٦٦٧].

يجب متابعة الإمام في حركات الصلاة،وتحرم مسابقته،وتبطل إن سبقه بتكبيرة الإحرام.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ،فَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا،وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ.فَقُولُوا رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ.وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا،وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ،وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِى الصَّلاَةِ،فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ ».متفق عليه[٦٦٨].

---

[٦٦٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٦١٥) وصحيح مسلم- المكتر – (١٠٠٩) وصحيح ابن حبان – (٤ / ٥٤٣) (١٦٥٩)
يستهم : استهم القوم على الشيء : إذا اقترعوا عليه.

[٦٦٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٥١٠) وصحيح مسلم- المكتر – (١١٦٠) وصحيح ابن حبان – (٦ / ١٣٠) (٢٣٦٦)

[٦٦٦] – صحيح مسلم- المكتر – (١٦٧٨) وصحيح ابن حبان – (٥ / ٥٦٧)(٢١٩٣)

[٦٦٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٦٣)

[٦٦٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٢٢) وصحيح مسلم- المكتر – (٩٦٢)
أَمَّا قَوْله ﷺ : (وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا) فَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِيهِ فَقَالَتْ طَائِفَة بِظَاهِرِهِ . وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ أَحْمَد بْن حَنْبَل وَالْأَوْزَاعِيّ رَحِمَهُمَا اللَّه تَعَالَى ، وَقَالَ مَالِك رَحِمَهُ اللَّه تَعَالَى فِي رِوَايَة : لَا يَجُوز صَلَاة الْقَادِر عَلَى الْقِيَام خَلْف الْقَاعِد لَا قَائِمًا وَلَا قَاعِدًا ، وَقَالَ

إذا كان المقتدي فردا واحدا فإنه يقف عن يمين الإمام متأخرا عنه قليلا،فإن أتى آخر أشار إليه برفق بعد أن ينوي الصلاة ليتأخر،ويصفّان وراء الإمام.

فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ،قَالَ: " أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺوَهُوَ يُصَلِّي حَتَّى قُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَخَذَنِي بِيَدِهِ فَأَدَارَنِي حَتَّى أَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ وَجَاءَ جَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ فَقَامَ عَنْ يَسَارِهِ،فَدَفَعَنَا بِيَدِهِ جَمِيعًا حَتَّى أَقَمْنَا خَلْفَهُ " معاني الآثار[٦٦٩]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِى مَسْجِدِهِ وَهُوَ يُصَلِّى فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمِلاً بِهِ،فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَقُلْتُ:يَرْحَمُكَ اللَّهُ أَتُصَلِّى فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَهَذَا إِزَارُكَ إِلَى جَنْبِكَ؟ فَقَالَ:أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَىَّ الأَحْمَقُ مِثْلُكَ فَيَرَانِى كَيْفَ أَصْنَعُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. فَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلاً وَفِيهِ:قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَعْنِى يُصَلِّى وَكَانَتْ عَلَىَّ بُرْدَةٌ ذَهَبْتُ أُخَالِفُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا،فَلَمْ تَبْلُغْ لِى وَكَانَتْ لَهَا ذَبَاذِبُ فَنَكَّسْتُهَا،ثُمَّ خَالَفْتُ بَيْنَ طَرَفَيْهَا،ثُمَّ تَوَاقَصْتُ عَلَيْهَا،فَجِئْتُ حَتَّى قُمْتَ عَنْ يَسَارِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَأَخَذَ بِيَدِى فَأَدَارَنِى حَتَّى أَقَامَنِى عَنْ يَمِينِهِ،فَجَاءَ ابْنُ صَخْرٍ حَتَّى قَامَ عَنْ يَسَارِهِ،فَأَخَذَنَا بِيَدَيْهِ جَمِيعًا فَدَفَعَنَا حَتَّى أَقَامَنَا خَلْفَهُ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَرْمُقُنِى وَأَنَا لاَ أَشْعُرُ،ثُمَّ فَطِنْتُ بِهِ فَقَالَ هَكَذَا يَعْنِى شَدَّ وَسَطَكَ،فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ :« يَا جَابِرُ ». قُلْتُ:لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ :« إِذَا كَانَ وَاسِعًا فَخَالِفْ بَيْنَ طَرَفَيْهِ،وَإِذَا كَانَ ضَيِّقًا فَاشْدُدْهُ عَلَى حِقْوِكَ ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ [٦٧٠].

يتم إنشاء الصف خلف الإمام بمحاذاته،ثم يصطفّ المصلون يمينا ويسارا بالتساوي حتى يستكمل الصف،ولا يبدأ بتشكيل صف جديد حتى ينتهي الذي قبله وينبغي تسوية الصفوف لتكون على

أَبُو حَنِيفَة وَالشَّافِعِيّ وَجُمْهُور السَّلَف رَحِمَهُمْ اللَّه تَعَالَى : لَا يَجُوز لِلْقَادِرِ عَلَى الْقِيَام أَنْ يُصَلِّي خَلْف الْقَاعِد إِلَّا قَائِمًا وَاحْتَجُّوا بِأَنَّ النَّبِيّ ﷺ صَلَّى فِي مَرَض وَفَاته بَعْد هَذَا قَاعِدًا وَأَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَالنَّاس خَلْفه قِيَامًا وَإِنْ كَانَ بَعْض الْعُلَمَاء زَعَمَ أَنَّ أَبَا بَكْر رَضِيَ اللَّه عَنْهُ كَانَ هُوَ الْإِمَام وَالنَّبِيّ ﷺ مُقْتَدٍ بِهِ لَكِنَّ الصَّوَاب أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ هُوَ الْإِمَام وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِم بَعْد هَذَا الْبَاب صَرِيحًا أَوْ كَالصَّرِيحِ فَقَالَ فِي رِوَايَته عَنْ أَبِي بَكْر بْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُول اللَّه ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَسَار أَبِي بَكْر ، وَكَانَ رَسُول اللَّه ﷺ يُصَلِّي بِالنَّاسِ جَالِسًا وَأَبُو بَكْر قَائِمًا يَقْتَدِي أَبُو بَكْر بِصَلَاةِ النَّبِيّ ﷺ وَيَقْتَدِي النَّاس بِصَلَاةِ أَبِي بَكْر.

وَأَمَّا قَوْله ﷺ : (إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَام لِيُؤْتَمّ بِهِ) فَمَعْنَاهُ عِنْد الشَّافِعِيّ وَطَائِفَة فِي الْأَفْعَال الظَّاهِرَة وَإِلَّا فَيَجُوز أَنْ يُصَلِّي الْفَرْض خَلْف النَّفْل وَعَكْسه ، وَالظُّهْر خَلْف الْعَصْر ، وَقَالَ مَالِك وَأَبُو حَنِيفَة رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا وَآخَرُونَ : لَا يَجُوز ذَلِكَ . وَقَالُوا : مَعْنَى الْحَدِيث لِيُؤْتَمّ بِهِ فِي الْأَفْعَال وَالنِّيَّات ، وَدَلِيل الشَّافِعِيّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ وَمُوَافِقِيهِ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ بِبَطْنِ نَخْل صَلَاة الْخَوْف مَرَّتَيْنِ بِكُلِّ فِرْقَة مَرَّة ، فَصَلَاته الثَّانِيَة وَقَعَتْ لَهُ نَفْلًا وَلِلْمُقْتَدِينَ فَرْضًا . وَأَيْضًا حَدِيث مُعَاذ كَانَ يُصَلِّي الْعِشَاء مَعَ النَّبِيّ ﷺ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمه فَيُصَلِّيهَا بِهِمْ هِيَ لَهُ تَطَوُّع وَلَهُمْ فَرِيضَة . مِمَّا يَدُلّ عَلَى أَنَّ الِائْتِمَام إِنَّمَا يَجِب فِي الْأَفْعَال الظَّاهِرَة . شرح النووي على مسلم - (٢ / ١٤٩)

[٦٦٩] - شرح معاني الآثار - (١ / ٣٠٧) (١٨٤٠) صحيح

[٦٧٠] - صحيح مسلم- المكتر - (٧٧٠٥) والسنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٢ / ٢٣٩)(٣٤١٥) -الحقو : الإزار

استقامة واحدة كما ينبغي رصّ الصفوف للتوجه إلى الله تعالى بقلب واحد،وبذلك نحصل بركة الجماعة،إذ تتوحد القلوب في مقصدها فيغذي القوي منها الضعيف،وتفاض رحمة الله على الجميع.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (وَسِّطُوا الإِمَامَ،وَسُدُّوا الْخَلَلَ.)". رواه أبو داود[٦٧١].

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ رَافِعِى أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِى الصَّلاَةِ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَرَآنَا حَلَقًا فَقَالَ « مَا لِى أَرَاكُمْ عِزِينَ ». قَالَ ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ « أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ». فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا قَالَ « يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِى الصَّفِّ ». رواه مسلم[٦٧٢].

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ ».متفق عليه[٦٧٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلاَةِ،فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ.[٦٧٤]

وقَالَ سِمَاكٌ:سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ،وَهُوَ يَخْطُبُ وَيَقُولُ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُسَوِّي الصَّفَّ حَتَّى يَدَعَهُ مِثْلَ الْقِدْحِ أَوِ الرُّمْحِ،فَرَأَى صَدْرَ رَجُلٍ نَاتِئًا مِنَ الصَّفِّ فَقَالَ:عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ." ابن حبان[٦٧٥]

وعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَدَلِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ،يَقُولُ:أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺبِوَجْهِهِ فَقَالَ:أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ - ثَلاَثًا - وَاللَّهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالَ:فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يُلْزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ وَمَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ.[٦٧٦]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْخَلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِى إِخْوَانِكُمْ،وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا

---

[٦٧١] – سنن أبي داود – المكتر – (٦٨١) فيه جهالة ، وانظر :الموسوعة الفقهية الكويتية – (٤٣ / ١٤١)

[٦٧٢] – صحيح مسلم– المكتر – (٩٩٦)

الحلق : جمع حلقة –الشمس : جمع شموس وهى النَّفور التى لا تستقر ولا تسكن لشغبها وحدتها –العزين : جمع عزة وهى الحلقة المجتمعة من الناس

[٦٧٣] – صحيح البخارى– المكتر – (٧٢٣) وصحيح مسلم– المكتر – (١٠٠٣)

[٦٧٤] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٥١)(٢١٧٧) صحيح

[٦٧٥] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٤٩) (٢١٧٥) صحيح

[٦٧٦] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٥٠) (٢١٧٦) صحيح

قَطَعَهُ اللَّهُ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَمَعْنَى « وَلِينُوا بِأَيْدِى إِخْوَانِكُمْ ». إِذَا جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّفِّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فِيهِ فَيَنْبَغِى أَنْ يُلَيِّنَ لَهُ كُلُّ رَجُلٍ مَنْكِبَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ فِى الصَّفِّ. رواه أبو داود[٦٧٧].

ينبغي عدم التأخر عن أول الصلاة وتكبيرة الإحرام،وعدم التباطؤ عن الصفوف الأولى.

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- رَأَى فِى أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ « تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِى وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » النسائي[٦٧٨].

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- رَأَى فِى أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ « تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِى وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ ». رواه مسلم[٦٧٩].

ينبغي أن يقف خلف الإمام مباشرة أكبر المصلين قدراً وسنًّا،وأحسنهم خلقا وإيمانا،وأكثرهم تقوى وصلاحا،وأحفظهم للقرآن الكريم،وأعلمهم بأحكام الدين،وينبغي تقديمهم إذا كانوا في الصفوف المتأخرة،وإيثارهم بالصف الأول.

فعَنْ أَبِى مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِى الصَّلاَةِ وَيَقُولُ « اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِى مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ». قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلاَفًا. رواه مسلم[٦٨٠].

ينبغي أن يخفف الإمام الصلاة مع إتمامها،ولا يطيل زيادة على المألوف رفقا بالضعفاء والمرضى والصنّاع والمسنين وأصحاب الحاجات والأعذار،وليطلْ إذا صلّى وحده أو بمن يرضون الإطالة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ،فَإِنَّ فِيهِمُ السَّقِيمَ،وَالضَّعِيفَ،وَالْكَبِيرَ،وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ." ابن حبان[٦٨١].

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ،فَإِنَّ فِي النَّاسِ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَذَا الْحَاجَةِ." ابن حبان[٦٨٢]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،يَقُولُ:مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ."[٦٨٣].

---

[٦٧٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٦٦٦) صحيح

[٦٧٨] – سنن النسائي– المكتر – (٨٠٣) صحيح

[٦٧٩] – صحيح مسلم– المكتر – (١٠١٠)

[٦٨٠] – صحيح مسلم– المكتر – (١٠٠٠)

[٦٨١] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٦) (١٧٦٠) صحيح

[٦٨٢] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٠٨) (٢١٣٦) صحيح

[٦٨٣] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥١٠) (٢١٣٨) صحيح

وعَنْ أَبِي مَسْعُود،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺفَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلاَنٌ،فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺفَمَا رَأَيْتُهُ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ:أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ،فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ." ابن حبان[٦٨٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ،فَأُخَفِّفَ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ به." ابن حبان[٦٨٥]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ قَالَ:قِيلَ:وَمَا هَمَمْتَ بِهِ ؟ قَالَ:هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ." ابن حبان[٦٨٦]

تجنب الاستعجال في الخروج من المسجد بعد انقضاء الجماعة،لئلا يؤدي إلى مزاحمة المصلين ومدافعتهم،والحذر من إفساد ثواب الجماعة بإيذاء أحد منهم باليد أو باللسان،ويفضل إطالة الجلوس في المسجد لقراءة الأذكار المأثورة دبر كل صلاة.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقْرَؤُوا الْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ." ابن حبان[٦٨٧]

وعَنْ وَرَّاد،قَالَ:كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ:أَيُّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقُولُ إِذَا انصرف مِنَ الصَّلاَةِ ؟ قَالَ:كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَتِه:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ،وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ،وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ." ابن حبان[٦٨٨]

وعَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ،أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ،كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ،لاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ،لَهُ الْمَنُّ،وَلَهُ النِّعْمَةُ،وَلَهُ الْفَضْلُ وَالثَّنَاءُ الْحَسَنُ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ،وَيَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقُولُ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ." ابن حبان[٦٨٩]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَصْلَتَانِ لاَ يُحْصِيهُمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ،هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ،يُسَبِّحُ اللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْرًا،وَيَحْمَدُهُ عَشْرًا،وَيُكَبِّرُ عَشْرًا،قَالَ:فَأَنَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺيَعْقِدُهَا بِيَدِه،قَالَ:فَقَالَ:خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ،وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ،وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِه سَبَّحَ وَحَمَّدَ وَكَبَّرَ مِائَةً،فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ،وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ،فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ قَالَ:كَيْفَ لاَ يُحْصِيهِمَا ؟ قَالَ:يَأْتِي أَحَدَكُمُ

---

[٦٨٤] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٠٩)(٢١٣٧) صحيح

[٦٨٥] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥١٠) (٢١٣٩) صحيح

[٦٨٦] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥١٢) (٢١٤١) صحيح

[٦٨٧] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٤٤) (٢٠٠٤) صحيح

[٦٨٨] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٤٥) (٢٠٠٥) صحيح

[٦٨٩] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٠) (٢٠٠٨) صحيح

الشَّيْطَانُ،وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ،فَيَقُولُ:اذْكُرْ كَذَا،اذْكُرْ كَذَا،حَتَّى شَغَلَهُ،وَلَعَلَّهُ أَنْ لاَ يَعْقِلَ،وَيَأْتِيهِ فِي مَضْجَعِهِ فَلاَ يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ." ابن حبان[٦٩٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ دُبُرَ صَلاَتِهِ،وَحَمِدَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَكَبَّرَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ." ابن حبان[٦٩١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالُوا:ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيُجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ،قَالَ:أَفَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ،وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ،وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَيْهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ بِمِثْلِ أَعْمَالِكُمْ ؟ تُسَبِّحُونَ،وَتُحَمِّدُونَ،وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ." ابن حبان[٦٩٢]

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ:يَا رَسُولَ اللهِ،ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالأَجْرِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ،أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تُدْرِكُ بِهِنَّ مَنْ سَبَقَكَ،وَلاَ يَلْحَقُكَ مَنْ خَلْفَكَ،إِلاَّ مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ ؟ قَالَ:بَلَى رَسُولَ اللهِ،قَالَ:تُكَبِّرُ اللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَتُحَمِّدُهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَتُسَبِّحُهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَتَخْتِمُهَا بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ." ابن حبان[٦٩٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَحَمِدَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَكَبَّرَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ،وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ." ابن حبان[٦٩٤]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،أَخَذَ بِيَدِ مُعَاذٍ،فَقَالَ:يَا مُعَاذُ،وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ،فَقَالَ مُعَاذٌ:بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ،فَقَالَ:يَا مُعَاذُ،أُوصِيكَ أَنْ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ:اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ،وَشُكْرِكَ،وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ." ابن حبان[٦٩٥]

وعَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُسْلِمٍ التَّمِيمِيِّ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺفِي سَرِيَّةٍ،فَلَمَّا بَلَغْنَا الْمُغَارَ،اسْتَحْثَثْتُ فَرَسِي،فَسَبَقْتُ أَصْحَابِي،فَتَلَقَّانِي الْحَيُّ بِالرَّنِينِ،فَقُلْتُ:قُولُوا:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

---

[٦٩٠] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٤) (٢٠١٢) صحيح

[٦٩١] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٥) (٢٠١٣) صحيح

[٦٩٢] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٦) (٢٠١٤) صحيح

[٦٩٣] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٨) (٢٠١٥) صحيح

[٦٩٤] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٩) (٢٠١٦) صحيح

[٦٩٥] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٦٤) (٢٠٢٠) صحيح

تُحَرَّزُوا،فَقَالُوهَا،فَلاَمَنِي أَصْحَابِي،وَقَالُوا:حُرِمْنَا الْغَنِيمَةَ بَعْدَ أَنْ رُدَّتْ بِأَيْدِينَا،فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَخْبَرُوهُ بِمَا صَنَعْتُ،فَدَعَانِي،فَحَسَّنَ لِي مَا صَنَعْتُ،وَقَالَ:أَمَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَكَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ كَذَا وَكَذَا.قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:فَأَنَا نَسِيتُ الثَّوَابَ،قَالَ:ثُمَّ قَالَ لِي:إِنِّي سَأَكْتُبُ لَكَ كِتَابًا،وَأُوصِي بِكَ مَنْ يَكُونُ بَعْدِي مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ:فَكَتَبَ لِي كِتَابًا،وَخَتَمَ عَلَيْهِ،وَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ:إِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ،فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا:اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ،فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ تِلْكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ،وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَدًا:اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ،فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللَّهُ لَكَ جَوَازًا مِنَ النَّارِ قَالَ:فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ،أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ بِالْكِتَابِ،فَفَضَّهُ،فَقَرَأَهُ وَأَمَرَ لِي بِعَطَاءٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ،ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُمَرَ،فَقَرَأَهُ،وَأَمَرَ لِي،وَخَتَمَ عَلَيْهِ،ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ عُثْمَانَ،فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَارِثِ:تُوُفِّيَ الْحَارِثُ بْنُ مُسْلِمٍ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ،وَتَرَكَ الْكِتَابَ عِنْدَنَا،فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَنَا حَتَّى كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْوَالِي بِبَلَدِنَا يَأْمُرُهُ بِإِشْخَاصِي إِلَيْهِ وَالْكِتَابَ،فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ،فَفَضَّهُ،وَأَمَرَ لِي،وَخَتَمَ عَلَيْهِ،وَقَالَ:أَمَا إِنِّي لَوْ شِئْتُ أَنْ يَأْتِيَكَ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي مَنْزِلِكَ فَعَلْتُ،وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تُحَدِّثَنِي بِالْحَدِيثِ عَلَى وَجْهِهِ،قَالَ:فَحَدَّثْتُهُ. " ابن حبان[٦٩٦]

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،عَشْرَ مَرَّاتٍ،كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ،وَمُحِيَ بِهِنَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ،وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ،وَكُنَّ لَهُ عَدْلَ عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ،وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ،وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صَلاَتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ." ابن حبان[٦٩٧]

وعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ،وَعَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ،قَالاَ:كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمَكْتَبُ الْغِلْمَانَ،يَقُولُ:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ." ابن حبان[٦٩٨]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ،قَالَ:اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ،وَمَا أَخَّرْتُ،وَمَا أَسْرَرْتُ،وَمَا أَعْلَنْتُ،وَمَا أَسْرَفْتُ،وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي،أَنْتَ الْمُقَدِّمُ،وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ،لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ." ابن حبان[٦٩٩]

---

[٦٩٦] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٦٦) (٢٠٢٢) حسن

[٦٩٧] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٦٩) (٢٠٢٣) صحيح

[٦٩٨] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٧١) (٢٠٢٤) صحيح

[٦٩٩] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٧٢) (٢٠٢٥) حسن

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مَرْوَانَ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ كَعْبًا حَلَفَ لَهُ بِالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى،أَنَّا نَجِدُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ ﷺ،كَانَ إِذَا انصرف مِنَ الصَّلاَةِ،قَالَ:اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عِصْمَةَ أَمْرِي،وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي،اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ،وَبِعَفْوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ،اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ،وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ،وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ.

وَحَدَّثَنِي كَعْبٌ،أَنَّ صُهَيْبًا حَدَّثَهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يَقُولُهُنَّ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَلاَتِهِ." ابن حبان[٧٠٠]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ." ابن حبان[٧٠١]

يمكن للمرأة أن تشهد الجماعة وتصلي في المسجد إذا خرجت بإذن وليّها غير متبرّجة ولا متزينة ولا متعطّرة وصلاتها في بيتها أفضل.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ فِى الْجَمَاعَةِ فِى الْمَسْجِدِ،فَقِيلَ لَهَا لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ قَالَتْ وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِى قَالَ يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- « لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ » .متفق عليه[٧٠٢]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ بَعْضُ بَنِيهِ:لاَ تَأْذَنْ لَهُنَّ فَيَتَّخِذْنَهُ دَغَلاً،قَالَ:فَعَلَ اللَّهُ بِكَ وَفَعَلَ أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَتَقُولُ لاَ تَأْذَنْ." ابن حبان[٧٠٣]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلاَتٍ." ابن حبان[٧٠٤] ،وعَنْ زَيْنَبَ الثَّقَفِيَّةِ،امْرَأَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ لَهَا:إِذَا خَرَجْتِ إِلَى الْعِشَاءِ فَلاَ تَمَسِّينَ طِيبًا." ابن حبان[٧٠٥] ،وعن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا استأذنتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا قَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ:وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ،قَالَ:فَسَبَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ أَسْوَأَ مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ قَطُّ،وَقَالَ:سَمِعْتَنِي قُلْتُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا استأذنتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلاَ يَمْنَعْهَا قُلْتَ:وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ ؟." ابن حبان[٧٠٦]

---

[٧٠٠] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٧٣) (٢٠٢٦) صحيح

[٧٠١] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٧٥) (٢٠٢٨) صحيح

[٧٠٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٩٠٠) وصحيح مسلم- المكتر – (١٠١٨)

[٧٠٣] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٨٨) (٢٢١٠) صحيح

[٧٠٤] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٨٩) (٢٢١١) صحيح – تفلات : غير متبرجات

[٧٠٥] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٩٠)(٢٢١٢) صحيح

[٧٠٦] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٩١) (٢٢١٣) صحيح

-٢٤-آداب العالِم

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ،قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ،فَأَتَاهُ رَجُلٌ،فَقَالَ:يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ،إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ فِي حَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:أَمَا جِئْتَ لِحَاجَةٍ،أَمَا جِئْتَ لِتِجَارَةٍ،أَمَا جِئْتَ إِلاَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا،سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ،وَالْمَلاَئِكَةُ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ،وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ،وَمَنْ فِي الأَرْضِ،وَالْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ،وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ،كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ،إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ،إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا،وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ،فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ." ابن حبان[٧٠٧]

فالعلماء ورثة الأنبياء،والأنبياء لم يورثوا من عرض الدنيا متاعا زائلا،ولا مالا فائنا،وإنما ورّثوا دين الله عز وجل القائم على العلم والحكمة،ومعرفة آيات الله في خلقه،وتزكية النفس وصلتها بخالقها،وتحليتها بمكارم الأخلاق.

وقد ورثوا عن سيدنا نوح صبره على تبليغ رسالة الله،وتحمله إيذاء قومه وإعراضهم عنه في سبيل الله،وهو قائم بالدعوة إلى الله مئات السنين دون كلل ولا ملل،ولا ضجر ولا قنوط.

وورثوا عن سيدنا إبراهيم شجاعته وصموده أمام أعداء الله،وتضحيته بالحياة واستهانته بالموت في سبيل إعلاء كلمة الله.

وورثوا عن سيدنا موسى قوته وأمانته،وعفته ونزاهته،ودعوته لإنقاذ قومه من الظلم والاستعباد،ورفقه بهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور،ومن عبادة الطواغيت إلى عبادة الله الواحد القهار.

وورثوا عن سيدنا عيسى روحانيته وقربه من الله،وذكره وصلته الدائمة بالله،وصدقه ورحمته،وسمونفسه ورفعتها ومحبتها لجميع خلق الله.

وورثوا عن خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺوعليهم أجمعين الخلق العظيم،والرحمة للعالمين،والصفوة من الشرع والدين القويم.

ورثوا عنه صبره وحلمه،وجهاده ونضاله،وعرض نفسه ودعوته على الناس في سبيل نشر دين الله،مقتحما الأخطار،غير مبال بتهديد ولا إيذاء ولا استنكار،غير آبه بإغراء بمنصب أو مال أو

---

[٧٠٧] – صحيح ابن حبان – (١ / ٢٨٩) (٨٨) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا ، هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ، دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ. أَلاَ تَرَاهُ يَقُولُ : الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَالأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلاَّ الْعِلْمَ ، وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺسُنَّتُهُ ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لَمْ يَكُنْ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ.

جمال،قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:وَحَدّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنّهُ حُدّثَ أَنّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بَعَثَ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺفَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِي،إنّ قَوْمَك قَدْ جَاءُونِي،فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا،لِلّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ فَأَبْقِ عَلَيّ وَعَلَى نَفْسِك،وَلَا تُحَمّلْنِي مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ قَالَ فَظَنّ رَسُولُ اللّهِ ﷺأَنّهُ قَدْ بَدَا لِعَمّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ وَأَنّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ.قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺيَا عَمّ،وَاَللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي،وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ قَالَ ثُمّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺفَبَكَى ثُمّ قَامَ فَلَمّا وَلّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي،قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺفَقَالَ اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي،فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَاَللّهِ لَا أُسْلِمُك لِشَيْءٍ أَبَدًا ."."[٧٠٨]

هؤلاء العلماء هم الذين عقلوا عن الله دينه،وفهموا مراده من رسالته إلى خلقه {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } (٤٣) سورة العنكبوت.

وَهذا المَثَلُ،وَمَا مَاثَلَهُ مِنَ الأمثَالِ التِي اشْتَمَلَ عَلَيها القُرآنُ الكَرِيمُ،إِنَّما ضَرَبَها اللهُ تَعَالى لِلنَّاسِ لِيُقَرِّبَ مِنْ أَفهَامِهِمْ مَا بَعُدَ عَنْها،وَلِيُوضِّحَ لَهُم مَا أَشْكَلَ عَلَيهِمْ أَمْرُهُ،واسْتَعصَى عَلَيهِمْ فَهْمُهُ،وهذه الأَمثالُ التِي يَضْرِبُها اللهُ للناسِ لا يَفْهَمُها،ويُدْرِكُ مَعنَاهَا ومَغْزَاهَا،إلا الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ،المُتَدَبِّرُونَ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ .[٧٠٩]

فاستقرّ نور الكتاب بين ثنايا صدورهم،وانطبعت معاني الآيات في أعماق قلوبهم {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} (٤٩) سورة العنكبوت.

هذا القُرآنُ آياتٌ بَيِّنَاتٌ،وَاضِحَاتُ الدَّلاَلَةِ عَلَى الحَقِّ،يَحْفَظُهُ العُلَمَاءُ،وَقَدْ يَسَّرَهُ اللهُ حِفْظاً وَتِلاَوَةً،وَمَا يُكَذِّبُ بِآيَاتِ اللهِ وَيرْفُضُها،وَيَبْخَسُهَا حَقَّها إلا المُعْتَدُونَ الظَّالِمُونَ،الذِينَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ وَيَحِيدُونَ عَنْهُ .[٧١٠]

وبذلك ارتقوا في مقامات الصالحين،وارتفعوا إلى مصافّ المقربين {..يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة.

يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم،ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان،والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها،وهو مجازيكم عليها. وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم،ورفع درجاتهم.

---

[٧٠٨] – سيرة ابن هشام – (١ / ٢٦٦) صحيح مرسل

[٧٠٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٢٦٥)

[٧١٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٢٧١)

وشتان ما بين هذه المترلة الرفيعة،ومترلة الغفل الجاهلين،والمعرضين الزاهدين {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (٩) سورة الزمر.

هَلْ يَسْتَوِي حَالُ هَذَا الْمُشْرِكِ الذِي يَكْفُرُ بِنعَمِ اللهِ،وَيُشْرِكُ بِهِ الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ،وَلاَ يَذْكُرُ اللهَ إِلاَّ عِنْدَ الشَّدَّةِ والبَلاَءِ،مَعَ حَالِ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ قَائِمٌ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ،وَدَائِبٌ عَلَى العِبَادَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ حِينَمَا يَكُونُ النَّاسُ نِياماً،لاَ يَرْجُو مِنْ أَدَائِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ اللهِ وَثَوَابِهِ وَرَحْمَتِهِ،إِنَّهُمَا بِلاَ شَكٍّ لاَ يَسْتَوِيَانِ.ثُمَّ أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى عَدَمَ التَّسَاوِي بَيْنَ المُؤْمِنِ المُطِيعِ والكَافِرِ الجَاحِدِ،فَقَالَ لرَسُولِهِ الكَرِيمِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤَلاَءِ:هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنْ ثَوَابٍ،وَمَا لَهُمْ فِي مَعْصِيَتِهِ مِنْ عِقَابٍ،وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنَّمَا يَعْتَبِرُ بِحُجَجِ اللهِ،وَيَتَّعِظُ بِهَا،وَيَتَدَبَّرُهَا أَهَلُ العُقُولِ والأَفْهَامِ،لاَ أَهْلَ الجَهْلِ والغَفْلَةِ .[٧١١]

هؤلاء العلماء هم مصابيح الهدى التي تدلُّ الناس على منهج الله،وترشدهم إلى دين الله،وهم منابع الخير والسعادة والفلاح،يملؤون العقول بالعلم والحكمة،ويهذبون النفوس ويزكونها بمراقبة الله وذكره على الدوام،وينشؤون الجيل القوي بعقيدته،الكريم بأخلاقه،النافع لأمته،المخلص في بناء وطنه،فهم روح الأمة وكترها الأكبر. فعن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ،كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ،يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ،فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ،أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ. " أحمد[٧١٢].

وما دام العلمُ باقياً في الأرض،فالنَّاس في هُدى،وبقاءُ العلم بقاءُ حَمَلَتِه،فإذا ذهب حملتُه ومَنْ يقومُ به،وقع الناسُ في الضَّلال،كما في " الصحيحين " عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنَ النَّاسِ،وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ بِعِلْمِهِمْ،حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً،فَسُئِلُوا،فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ،فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.[٧١٣] .

وإذا كان العلماء مصادرَ السعادة لمن لاذ بهم وأخلص في صحبتهم في الدنيا،فهم تمام السعادة في الآخرة،يحشر أتباعهم بمعيتهم،ثم يشفعون بهم،قال النقاش:لرسول الله (ﷺ) ثلاث شفاعات:العامة وشفاعة في السبق إلى الجنة وشفاعة في أهل الكبائر بن عطية:والمشهور أنهما شفاعتان فقط:العامة

---

[٧١١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٤٦)

[٧١٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٤٠٤) (١٢٦٠٠) ١٢٦٢٧– فيه جهالة

الطَّمْس : استِئْصال أَثَرِ الشيء. –الهداة : الذين يهدون الناس إلى الخير

[٧١٣] – صحيح البخارى– المكتر – (١٠٠) وصحيح مسلم– المكتر – (٦٩٧١) وجامع العلوم والحكم محقق – (٣٨ / ١٨)

وشفاعة في إخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء "[٧١٤]

وعَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ لِفَصْلِ عِبَادِه:إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وَحِلْمِي فِيكُمْ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ وَلَا أُبَالِي ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ [٧١٥]

وأي شرف أرفع،وفضل أكبر في تكريم العلماء من عطف شهادتهم في وحدانية الله على شهادة الله وشهادة ملائكته،قال تعالى {شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) سورة آل عمران.

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ الوَاحِدُ،الذي لاَ إِلهَ إلاّ هُوَ،وَأَنَّهُ قَائِمٌ عَلَى شُؤونِ خَلْقِه بالعَدْلِ،وَقَدْ أَقَامَ الدَّلاَئِلَ عَلَى ذَلِكَ فِي الأَنْفُسِ وَالآفَاقِ،وَفِي إِنْزالِ التَّشْرِيعَاتِ النَّاطِقَةِ بِذَلِكَ.وَأَخْبَرَ المَلاَئِكَةُ الرُّسُلَ بِهَذَا،وَشَهِدُوا بِه شَهَادَةً مُؤَيَّدَةً بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ – وَهُوَ عِنْدَ الأَنْبِياءِ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِ اليَقِينِيَّاتِ – وَأولُو العِلْمِ أَخْبَرُوا بِذَلِكَ وَبَيَّنُوهُ،وَشَهِدُوا بِه شَهَادَةً مَقْرُونَةً بِالدَّلائِلِ وَالحُجَجِ لأَنَّ العَالِمَ بِالشَّيءِ لاَ تُعْوِزُهُ الحُجَّةُ عَلَيه .وَقَوَامَةُ اللهِ فِي تَدْبِيرِ هَذَا الكَوْنِ،وَأُمُورِ الخَلْقِ،تَتَّصِفُ دَائِمًا بِصِفَةِ العَدْلِ (قَائِماً بِالقِسْطِ).وَجَعَلَ اللهُ تَعَالَى سُنَنَ الخَلْقِ قَائِمَةً عَلَى أَسَاسِ العَدْلِ.ثُمَّ أَكَّدَ تَعَالَى كَوْنَهُ مُنْفَرِداً بِالأُلُوهِيَّةِ،وَقَائِماً بِالعَدْلِ (لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) .[٧١٦]

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ الْبَاهِلِىِّ قَالَ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّه –ﷺ– رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه –ﷺ– « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِى عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه –ﷺ– « إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِى جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ ». رواه الترمذي[٧١٧].

هذا وللعلماء الحقيقيين صفات بها يعرفون،وأخلاق عليها مجبولون،وآداب بها متصفون،نذكر منها ما يلي:

١– لزوم العلم ومحبته والشغف به،وبذل الوقت للاستزادة منه على الدوام.قال الله تعالى: {.. وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١١٤) سورة طه.

---

[٧١٤] – تفسير القرطبي ــ موافق للمطبوع – (١٠ / ٣١٠)

[٧١٥] – مجمع الزوائد – (٥٢٧) حسن لغيره

[٧١٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣١٢)

[٧١٧] – سنن الترمذى– المكتز – (٢٩٠١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

هذا توجيه للنبي ﷺللاستزادة من العلم،فما دُمْتَ أنت يا رب الحافظ فزِدْني منه،ذلك لأن رسول الله سيحتاج إلى علم تقوم عليه حركة الحياة من لَدُنْــه إلى أن تقــوم الســاعة،عِلْمٌ يشــمل الأزمنــة والأمكنة،فلا بُدَّ له أنْ يُعَدَّ الإعدادَ اللازم لهذه المهمة.[٧١٨]

٢- العمل بالعلم،لأن العالم الحق لا يخالف فعله قوله،ومن كان قدوة للناس بفعله وســلوكه قبــل كلامه وتوجيهه،ومن دعاهم إلى الله بسيرته وأخلاقه،قبل دروسه وخطبه،ومن علّم الناس بحاله قبــل قاله. عَنْ مَيْمُونٍ،أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ،قَالَ:وَيْلٌ لِلَّذِي لاَ يَعْلَمُ مَرَّةً وَوَيْلٌ لِلَّذِي يَعْلَمُ،ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ سِتَّ مِرَارٍ. " ابن أبي شيبة[٧١٩].

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ:قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ:" وَيْلٌ لِلَّذِي لَا يَعْلَمُ مَرَّةً،وَوَيْلٌ لِلَّذِي يَعْلَمُ وَلَا يَعْمَلُ سَبْعَ مَرَّاتٍ "[٧٢٠]

وعَنْ عُمَيْرِ بْنِ تَمِيمٍ النِّمْرَانِيِّ أَبِي وَبْرَةَ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ ؟ فَقَالَ:" لَا تَسْــأَلْ فَإِنَّكَ إِنْ تَأْتِ الشَّيْءَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُهُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَأْتِيَهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُهُ "[٧٢١]

وعَنْ شَبِيبِ بْنِ غَرْقَدَةَ،قَالَ:سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ،عَنْ شَيْءٍ بِالْحِيَلِ،فَقَالَ:" لَا تَسْأَلْ،فَإِنَّكَ إِنْ تَــأْتِ الشَّيْءَ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُهُ أَهْوَنُ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُهُ "[٧٢٢]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:" إِنَّكَ لَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ مُتَعَلِّمًا،وَلَنْ تَكُونَ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ بِمَــا عَلِمْتَ عَامِلًا "[٧٢٣]

وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ:لَيْسَ الْعَالِمُ الَّذِي يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِــنَ الشَّــرِّ،إِنَّمَا الْعَــالِمُ الَّــذِي يَعْــرِفُ الْخَيْرَ،فَيَتَّبِعُهُ وَيَعْرِفُ الشَّرَّ فَيَجْتَنِبُهُ "[٧٢٤].

وقال أحد الشعراء:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَأَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... نُصْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيِّها فإذا انتهتْ فأنتَ حكيمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

---

[٧١٨] - تفسير الشعراوي - (/ ٢٤٤٤)

[٧١٩] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ٤٧٩) (٣٦٧٧٣) فيه انقطاع

[٧٢٠] - الزُّهْدُ لِوَكِيعٍ (٢١١) فيه انقطاع - الويل : الحزن والعذاب والهلاك وقيل وادٍ في جهنم

[٧٢١] - الزُّهْدُ لِوَكِيعٍ (٢١٢) حسن

[٧٢٢] - الزُّهْدُ لِوَكِيعٍ (٢١٣) صحيح

[٧٢٣] - الزُّهْدُ لِوَكِيعٍ (٢١٤) فيه انقطاع

[٧٢٤] - الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٩٤٥) صحيح

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قِيلَ لَهُ أَلاَ تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فَقَالَ أَتُرَوْنَ أَنِّى لاَ أُكَلِّمُهُ إِلاَّ أُسْمِعُكُمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلاَ أَقُولُ لأَحَدٍ يَكُونُ عَلَىَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ. بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ».رواه مسلم[٧٢٥].

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)} الصف.

وقال تعالى على لسان نبيه شعيب: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (٨٨) سورة هود.

قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ:هَلْ تَرَوْنَ لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَهُدًى،وَأَنَّهُ آتَانِي النُّبُوَّةَ،وَرَزَقَنِي رِزْقاً حَلالاً طَيِّباً حَسَناً،ثُمَّ عَصَيْتُهُ فِيمَا أَرْسَلَنِي بِهِ إِلَيكُمْ،وَتَرَكْتُ دَعْوَتَكُمْ إِلَى الحَقِّ،وَعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ،فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ حِينَئِذٍ؟ وَأَنَا لاَ أَنْهَاكُمْ عَنْ شَيءٍ وَأُخَالِفُكُمْ فِي السِّرِّ إِليهِ فَأَفْعَلُهُ،وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ إِنَّ اللهَ أَكْرَمَنِي بِالرِّزْقِ الحَلالِ الحَسَنِ،دُونَ أَنْ أَحْتَاجَ إِلى التَّطْفِيفِ فِي المِكْيَالِ وَالمِيزَانِ،وَدُونَ أَنْ أَبْخَسَ فِيهِما .وَأَنَا لاَ أُرِيدُ مِنْ أَمْرِي إِيّاكُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ،وَبِالإِقْلاعِ عَنِ المَفَاسِدِ،إِلاَّ الإِصْلاَحَ بِقَدْرِ جَهْدِي وَطَاقَتِي.وَلا أَسْأَلُ غَيْرَ اللهِ التَّوْفِيقَ فِي إِصَابَةِ الحَقِّ وَإِنَّنِي تَوَكَّلْتُ عَلَيهِ،وَإِلَيهِ أَخْلَصْتُ وَأَنَبْتُ فِي عِبَادَتِي وَطَاعَتِي .[٧٢٦]

وقال عز وجل:{ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) } البقرة.

يَنْعِى اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ – وَهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ – أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالخَيْرِ وَالبِرِّ وَطَاعَةِ اللهِ،فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَنْسَوْنَ وَعْظَ أَنْفُسِهِمْ،وَحَمْلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ،فَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ،مَعَ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ المُنْزَلَ إِلَيْهِمْ،وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنْ عَقَابٍ يَحِلُّ بِمَنْ يُقَصِّرُ فِي القِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللهُ.وَلَكِنَّ الأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مِنْهُمْ لاَ يَذْكُرُونَ مِنَ الحَقِّ إِلاَّ مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ،وَلا يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ إِذَا عَارَضَ شَهَوَاتِهِمْ .[٧٢٧]

---

[٧٢٥] – صحيح مسلم- المكتز – (٧٦٧٤) -الأقتاب : جمع القتب وهو الأمعاء

[٧٢٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٥٦٢)

[٧٢٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١)

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ:يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ اعْمَلُوا بِهِ،فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ،وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ،يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ يَجْلِسُونَ حِلَقاً فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ،أُولَئِكَ لاَ تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ."[٧٢٨]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ:" لَا تَكُونُ تَقِيًّا حَتَّى تَكُونَ عَالِمًا وَلَا تَكُونُ بِالْعِلْمِ جَمِيلًا حَتَّى تَكُونَ بِهِ عَامِلًا "

قَالَ أَبُو عُمَرَ:مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَخَذَ الْقَائِلُ قَوْلَهُ:" كَيْفَ هُوَ مُتَّقٍ وَلَا يَدْرِي مَا يَتَّقِي "

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ:" الْعَالِمُ الَّذِي وَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ وَمَنْ خَالَفَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ فَذَلِكَ رَاوِيَةُ أَحَادِيثَ سَمِعَ شَيْئًا فَقَالَهُ " وَيُرْوَى أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يُنْشِدُ مُتَمَثِّلًا وَهِيَ لِسَابِقٍ الْبَرْبَرِيِّ فِي شِعْرٍ لَهُ مِطْوَّلٍ :

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تُعْذَرْ بِمَا أَنْتَ جَاهِلُهْ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ عِلْمًا فَإِنَّمَا يُصَدِّقُ قَوْلُ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلُهْ

وَيُرْوَى أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيَّ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَذَا،وَاللَّهُ أَعْلَمُ،وَأَنْشَدَ الرِّيَاشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

مَا مَنْ رَوَى أَدَبًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ وَيَكُفَّ عَنْ زَيْغِ الْهَوَى بِأَدِيبِ
حَتَّى يَكُونَ بِمَا تَعَلَّمَ عَامِلًا مِنْ صَالِحٍ فَيَكُونُ غَيْرَ مَعِيبِ
وَلَقَلَّمَا تُجْدِي إِصَابَةُ عَالِمٍ أَعْمَالُهُ أَعْمَالُ غَيْرِ مُصِيبِ

وَقَالَ مَنْصُورٌ رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَيْسَ الْأَدِيبُ أَخَا الرِّوَا يَةِ لِلنَّوَادِرِ وَالْغَرِيبِ
وَلِشِعْرِ شَيْخِ الْمُحَدِّثِينَ أَبِي نَوَّاسٍ أَوْ حَبِيبِ
بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ وَالْمُرُو ءَةِ وَالْعَفَافِ هُوَ الْأَدِيبُ[٧٢٩]

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ-:" مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ الْفَتِيلَةِ،تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَتَحْرِقُ نَفْسَهَا ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ[٧٣٠].

خشية الله تعالى كلما ازداد علما،ومخافته كلما ازداد معرفة بعظمته وقدرته،قال أحدهم:

على قدر علم المرء يعظم خوفه .....فما عالم إلا من الله خائف

---

[٧٢٨] – سنن الدارمي- المكتر – (٣٩٠) ضعيف

[٧٢٩] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٨٠٦) فيه انقطاع

[٧٣٠] – اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي – (٦٩) وأمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني – (٢٤٥) والأمثال في الحديث – (٢٧٦) ومجمع الزوائد – (٨٦٩) وصحيح الجامع (٥٨٣٧) حسن لغيره

فآمن مكر الله بالله جاهل .....وخائف مكر الله بالله عارف

قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) } [فاطر:٢٧،٢٨] .

يُنَبِّهُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ إِلى قُدْرَتِه العَظِيمَة عَلَى خَلقِ الأَشياءِ المُخْتَلِفَة،المُتَنَوِّعَة المُظَاهِرِ وَالأَشْكَال،مِنَ الشَّيءِ الوَاحِد،فَيَقُولُ تَعَالى إِنَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَطَراً فَأَرْوَى بِهِ الأَرْضَ،فَأَخْرَجَتْ ثِمَاراً مُخْتَلِفَةَ الألوانِ والطُّعُومِ والرُّوَائِحِ،وَإِنَّه خَلَقَ الجِبَالَ كَذَلِكَ مُخْتَلِفَةَ الأَلْوَانِ،فَمِنْهَا الأَبْيَضُ وَمِنْهَا الأَحْمَرُ وَمِنْهَا الأَسْوَدُ الغِرْبِيْبُ .وَجَعَلَ اللهُ تَعَالى النَّاسَ والدَّوابَّ والأَنْعَامَ مُخْتَلِفِي الأَلوَانِ والأَشْكَالِ في الجِنْسِ الوَاحِد،فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ،وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لاَ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ حَقَّ المَعْرِفَة،والذي يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ هُم العَالِمُونَ بِأَسْرَارِ الكَوْن،العَارِفُونَ بِعَظِيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالى،فَهَؤُلاءِ هُمُ الذينَ يَخْشَوْنَ اللهَ،وَيَتَّقُونَ عِقَابَهُ،فَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِه.واللهُ عَزِيزٌ فِي انتِقَامِه مِمَّنْ كَفَرَ بِه،غَفُورٌ لِذُنُوبِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَطَاعَهُ .[٧٣١]

٤- الترفع عن سفاسف الدنيا،ولغوها ولهوها ولعبها،وبهرجها وزخارفها وشهواتها الرخيصة. قال ذو النون،وصف لي رجل بالمغرب وذكر لي من حكمته وكلامه ما حملني على لقائه،فرحلت إليه إلى المغرب فأقمت على بابه أربعين صباحاً على أن يخرج من مترله إلى المسجد ويقعد،فكان يخرج وقت كل صلاة يصلي،ويرجع كالواله لا يكلم أحداً فقلت له يوماً: يا هذا إني مقيم ها هنا منذ أربعين صباحاً لا أراك تكلمني. فقال لي: يا هذا لساني سبع إن أطلقته أكلني. فقلت له: عظني رحمك الله بموعظة أحفظها عنك. قال: وتفعل؟ قلت: نعم إن شاء الله،قال: لا تحب الدنيا وعد الفقر والغنى والبلاء من الله نعمة،والمنع من الله عطاء،والوحدة مع الله أنساً،والذل عزاً والطاعة حرفة والتوكل معاشاً والله تعالى لكل شديدة عدة.

ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلمني،فقلت له: رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلدي فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة فقال: اعلم أن الزاهد في الدنيا قوته ما وجد ومسكنه حيث أدرك ولباسه ما ستر الخلوة مجلسه،والقرآن حديثه،والله الجبار العزيز أنيسه والذكر رفيقه،والصمت جنته،والخوف سجيته،والشوق مطيته،والنصيحة نهمته والصبر وساده،والصديقون إخوانه والحكمة كلامه،والعقل دليله،والجوع أدمه والبكاء دأبه،والله عز وجل عدته. قلت بما تتبين الزيادة من النقصان؟ قال: عند المحاسبة للنفوس." [٧٣٢]".

قال تعالى:{ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) } طه.

---

[٧٣١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٥٦٨)

[٧٣٢] - صفة الصفوة - (٢ / ٤)

يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَه ﷺفَيَقُولُ لَهُ:اصْبِرْ عَلَى تَكْذِيبِ هَؤَلاَءِ الْمُكَذِّبِينَ،وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بَعْدَ صَلاَةِ الفجْرِ،وَبَعْدَ صَلاَةِ العَصْرِ (قَبْلَ غُرُوبِهَا)،وَفِي فَتَرَاتِ اللَّيْلِ،فَالتَّسْبِيحُ اتِّصَالٌ بِاللهِ تَعَالَى،وَالنَّفْسُ الَّتِي تَتَّصِلُ بِاللهِ تَطْمَئِنُّ وَتَرْضَى.فَالرِّضَا ثَمَرَةُ التَّسْبِيحِ وَالعِبَادَةِ،وَهُوَ وَحْدَهُ جَزَاءٌ حَاضِرٌ يَنْبُعُ مِنْ دَاخِلِ النَّفْسِ .[٧٣٣]

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ:أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ،وَأَصْلُ الزُّهْدِ الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ فَإِذَا اقْتَرَنَ الزُّهْدُ وَالْعِلْمُ فَقَدْ تَمَّتِ السَّعَادَةُ وَعَمَّتِ الْفَضِيلَةُ،وَإِنْ افْتَرَقَا فَيَا وَيْحَ مُفْتَرَقَيْنِ مَا أَضَرَّ افْتِرَاقَهُمَا،وَأَقْبَحَ انْفِرَادَهُمَا[٧٣٤].

٥- التواضع لعباد الله،والشفقة على المتعلمين،والرفق بهم،والتأني في تعليمهم،ومعاملتهم كأبنائه المحتاجين،واحتمال إعراضهم وجفائهم وجهالتهم،والحرص على إنقاذهم من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والفقه في الدين. والعمل على إصلاحهم بإنتقاء العلم الذي يعالج أمراضهم،ويصلح أحوالهم وتقديم الأولى في تعليمهم والتدرج في تأديبهم،وتفهم حاجاتهم وتقدير ظروفهم،والرد على أسئلتهم،والبشاشة في وجوههم،وتأليف قلوبهم،وبذل الوقت وإنفاق المال في سبيل إرشادهم،وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:" اطْلُبُوا الْعِلْمَ،وَاطْلُبُوا مَعَ الْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ،لِينُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ،وَلِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ،وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ،فَيَغْلِبُ عِلْمَكُمْ جَهْلَكُمْ "[٧٣٥]

قال تعالى:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)} الشعراء.

بعد أن أمره بالشدة على أهله وقرابته يأمره باللين،وخَفْض الجناح لباقي المؤمنين به،وخَفْض الجناح كناية عن اللُّطْف واللين في المعاملة،وقَد أُخِذ هذا المعنى من الطائر حين يحنو على فراخه،ويضمهم بجناحه.

وخَفْض الجناح دليل الحنان،لا الذلّة والانكسار،وفي المقابل نقول (فلان فارد أجنحته) إذا تكبَّر وتجبَّر،وتقول (فلان مجنح لي) إذا عصا أوامرك.

وفي موضع أخر:{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }[الحجر: ٨٨].

وقال في حَقِّ الوالدين:{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ }[الإسراء: ٢٤] فلا نقول: كُنْ ذليلاً لهم،إنما كُنْ رحيماً بهم،حَنُوناً عليهم،ففي هذا عِزّك ونجاتك.

---

[٧٣٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٤٤٠)

[٧٣٤] - أدب الدنيا والدين - (١ / ٤٦)

[٧٣٥] - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي - (٨٩٣) وإحياء علوم الدين - (٢ / ٣٦٥) ضعيف - اللين : اليسر والتسهيل

فإنْ عصاك الأقارب فلا تتردد في أنْ تعلنها { إِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } [الشعراء: ٢١٦] وعندها لا تراعي فيهم حَقَّ الرحم،ولا حَقّ القُرْبى،لأنه لا حَقَّ لهم؛ لذلك قال { فَقُلْ } [الشعراء: ٢١٦] ولم يقل تبرأ منهم؛ لأنه قد يتبرأ منهم فيما بينه وبينهم.

لكن الحق ــ تبارك وتعالى ــ يريد أنْ يعلنها رسول الله على الملأ ليعلمها الجميع،وربنا يُعلِّمنا هنا درساً حتى لا نحابي أحداً،أو نجامله لقرابته،أو لمكانته حتى تستقيم أمور الحياة.

والذي يُفسد حياتنا وينشر فيها الفوضى واللا مبالاة أنْ ننافق ونجامل الرؤساء والمسئولين،ونُغطِّي على تجاوزاتهم،ونأخذهم بالهوادة والرحمة،وهذا كله يهدم معنويات المجتمع،ويدعو للفوضى والتهاون.

لذلك يعلمنا الإسلام أنْ نعلنها صراحة { فَقُلْ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } [الشعراء: ٢١٦] وليأخذ القانون مجراه،وليتساوى أمامه الجميع،ولو عرف المخالف أنه سيكون عبرة لغيره لارتدع.

لذلك يُقال عن عمر رضي الله عنه أنه حكم الدنيا كلها،والحقيقة أنه حكم نفسه أولاً،فحكمتْ له الدنيا،وكذلك مَنْ أراد أنْ يحكم الدنيا في كل زمان ومكان عليه أنْ يحكم نفسه،فلا يجرؤ أحد من أتباعه أن يخالفه،وساعة أن يراه الناس قدوة ينصاعون له بالسمع والطاعة.[٧٣٦]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ،أُعَلِّمُكُمْ،إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ،وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا،وَأَمَرَ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ،وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ،وَالرِّمَّةِ،وَنَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ الرَّجُلُ بِيَمِينِهِ." ابن ماجة[٧٣٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ،أُعَلِّمُكُمْ إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ،وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا،وَلاَ يَسْتَنْجِ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ،وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ،وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثَةِ وَالرِّمَّةِ." ابن حبان[٧٣٨]

وعَنْ أَبِى هَارُونَ الْعَبْدِىِّ قَالَ:كُنَّا نَأْتِى أَبَا سَعِيدٍ فَيَقُولُ:مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّ رِجَالاً يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرَضِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا. رواه الترمذي[٧٣٩].

٦- الإخلاص في تعليم العلم وبذله للناس،وإرادة وجه الله تعالى به،وطلبا لرضاء الله عز وجل وقربه إليه،فلا يطلب أجرا ولا جزاء ولا ثناء ولا شكورا.

قال الله تعالى:{ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} [هود:٢٩].

---

[٧٣٦] - تفسير الشعراوي - (/ ٣٠٧٨)

[٧٣٧] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ٢٠٨) (٣١٣) صحيح -الرمة : العظم البالى -الروث : رجيع ذى الحافر

[٧٣٨] - صحيح ابن حبان - (٤ / ٢٧٩) (١٤٣١) صحيح

[٧٣٩] - سنن الترمذى- المكتز - (٢٨٦٢) ضعيف

وَأَنَا لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَى نُصْحِي لَكُمْ،وَدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ،مَالاً آخُذُهُ مِنْكُمْ أُجْرَةً عَلَى ذَلِكَ،وَإِنَّمَا أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ،وَأَنَا لاَ أَسْتَطِيعُ طَرْدَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا طَلَبْتُمْ مِنِّي،اسْتِعْلاءً مِنْكُمْ عَلَيْهِمْ،وَتَحَاشِياً مِنَ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ،لأَنَّهُمْ سَيُلاَقُونَ رَبَّهُمْ،وَسَيَسْأَلُنِي اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ،وَإِنِّي لأَرَاكُمْ قَوْماً تَتَجَاوَزُونَ فِي طَلَبِكُمُ الحَقَّ وَالصَّوابَ،إِلَى الجَهْلِ وَالبَاطِلِ،وَلا تُدْرِكُونَ أَنَّ مَا يَصِحُّ أَنْ يَتَفَاضَلَ فِيهِ الخَلْقُ عِنْدَ اللهِ هُوَ الإِيمَانُ،وَالعَمَلُ الصَّالِحُ،لاَ المَالُ،وَلاَ الحَسَبُ وَلا الجَاهُ .[٧٤٠]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ ؟ قَالَ:مَنْ ذَكَّرَكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ،وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ،وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ" رواه أبو يعلى[٧٤١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ،لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا،لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." ابن حبان[٧٤٢].

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ،وَلاَ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ،وَلاَ تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ،فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ." ابن حبان[٧٤٣]

٧- التثبت من العلم والتوسع في دقائقه،وإصابة لبه،وأن يبلغ فيه مداه،فلا يكتفي ببعضه ولا بقشوره،ولا يعلم بعض مسائله ويجهل ما هو من مستلزماتها ومتمماتها.

٨- الالتزام بالحلم والوقار،والأناة وسعة الصدر،إذا لا يزين العلم إلا الحلم ومكارم الأخلاق،وتجنب الرعونة والحمق والطيش والخفة والغضب والتهور وسرعة الانفعال..

٩- الصبر على جفاء الجاهلين،وإيذاء الحاسدين،وافتراء الكاذبين وعداوة الجاحدين.

قال الله تعالى:{ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } الأحقاف ٣٥.

فَاصْبِرْ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مَا تُلاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ قَومِكَ لَكَ،كَمَا صَبَرَ أَصْحَابُ القُوَّةِ والثَّبَاتِ،مِنَ الرُّسُلِ الذِينَ سَبَقُوكَ،عَلَى تَكْذِيبِ أَقْوامِهِمْ لَهُمْ حِينَما أَبْلَغُوهُمْ دَعْوَةَ اللهِ إِلى الإِيمَانِ بِه.وَلا تَسْتَعْجِلْ بِسُؤَالِ رَبِّكَ أَنْ يُنزِلَ بِهِم العَذَابَ،فَهُوَ واقِعٌ بِهِمْ لا مَحَالَةَ.وَأَنَّهُمْ حِينَما يَنْزِلُ بِهِم العَذَابُ يَومَ القِيَامَةَ يَرَوْنَ أَنَّ مُدَّةَ لَبثِهِمْ فِي الدُّنيا (أَوْ فِي قُبُورِهِمْ) كَانَتْ قَصِيرةً،حَتَّى لَيَحْسَبُوها سَاعَةً مِنْ نَهارٍ .وَهذا الذِي وُعِظْتُم بِهِ لَكَافٍ فِي المَوعِظَةِ،وَلاَ يَهلِكُ بالعَذابِ إِلا الكَافِرُونَ الخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَأَمْرِه،لأَنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ إِلا مَنْ يَسْتَحِقُّ العَذَابَ .[٧٤٤]

---

[٧٤٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٥٠٣)

[٧٤١] - مسند أبي يعلى الموصلي (٢٤٣٧) فيه لين

[٧٤٢] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٧٩) (٧٨) صحيح

[٧٤٣] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٧٨) (٧٧) صحيح

[٧٤٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٤٢٤)

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ- يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ،وَهْوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ،وَيَقُولُ « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ».متفق عليه[٧٤٥].

١٠- بذل العلم لأهله،وتبيانه وإيضاحه،وتجنب كتمان شيء منه ضنا به أو ترفعا على من يطلبه.

قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)} آل عمران.

أخَذَ اللهُ تَعَالَى العَهْدَ وَالمِيثَاقَ عَلَى أهْلِ الكِتَابِ عَلَى ألْسِنَةِ أنْبِيَائِهِمْ،بأنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ غَيرَ كَاتِمِينَ مِنْهُ شَيْئاً،وَبأنْ يُوَضِّحُوا مَعَانِيَهُ كَمَا هِيَ دُونَ تَأوِيلٍ أَوْ تَحْرِيفٍ،وَبأنْ يُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ أن كُتُبَهُمْ أَشَارَتْ إلى بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ،ليَكُونَ النَّاسُ عَلَى أهْبَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ حَتَّى إذَا بَعَثَهُ اللهُ رَسُولاً لِلْخَلْقِ تَابَعُوهُ،وَلَكِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ كَتَمُوا ذَلِكَ،واعْتَاضُوا بِحُطَامِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ (ثَمناً قَلِيلاً) عَنِ الأَجْرِ الذِي وَعَدَهُم اللهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .وَقَدْ وَبَّخَهُم اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ العَمَلِ،تَوْبِيخاً شَدِيداً فِي أكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنَ القُرآنِ،وَقَالَ لَهُمْ:بِئْسَتِ البَيْعَةُ بَيْعَتُهُمْ.وَوَاجِبُ أهْلِ الكِتَابِ فِي شَرْحِ مَعَانِي كُتُبِ اللهِ لِلنَّاسِ وَبَيَانِ أَحْكَامِهَا،يَنْطَبِقُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَيْضاً[٧٤٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ كَتَمَ عِلْمًا تَلَجَّمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. " ابن حبان[٧٤٧].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ." ابن حبان[٧٤٨]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:أَيُّمَا رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ."[٧٤٩]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ: " عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلَانِ:رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا،فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ،وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طَمَعًا وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا،فَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ وَدَوَابُّ الْبَرِّ وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ،وَيَقْدَمُ عَلَى اللَّهِ سَيِّدًا شَرِيفًا حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِينَ،وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا،فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ،وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا،وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا،فَذَاكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ،وَيُنَادِي مُنَادٍ:هَذَا الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ،وَأَخَذَ عَلَيْهِ طَمَعًا،وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا،وَكَذَلِكَ حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الْحِسَابِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[٧٥٠]

---

[٧٤٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٤٧٧) وصحيح مسلم- المكتر -(٤٧٤٧)

[٧٤٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٨٠)

[٧٤٧] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٩٧) (٩٥) صحيح

[٧٤٨] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٩٨) (٩٦) صحيح

[٧٤٩] - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ٤٦٤) (١٠٠٤٥) صحيح

[٧٥٠] - المعجم الأوسط للطبراني - (٧٣٩١) ضعيف

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" مَا آتى اللّه عَالماً علماً إلاّ أخَذَ عَلَيه المِثـاقَ أنْ لا يَكتُمَهُ ه" رواه أبو نعيم[٧٥١].

١١- استماع الحجة والقبول بها،والانصياع للحق وإن كان من الخصم،وتجنب الإصرار على الخطأ. قال الشافعي: وَدِدْت أَنَّ النَّاسَ انْتَفَعُوا بِهَذَا الْعِلْمِ وَلَا يُنْسَبُ إلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ،وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:مَا نَاظَرْت أَحَدًا قَطُّ فَأَحْبَبْت أَنْ يُخْطِئَ،وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا كَلَّمْت أَحَدًا قَطُّ إلَّا أَحْبَبْتُ أَنْ يُوَفَّقَ وَيُسَدَّدَ وَيُعَانَ وَتَكُونَ عَلَيْهِ رِعَايَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ".[٧٥٢]

١٢- الجرأة في الحق،وإظهار عزة العلم،وأن لا يخشى في الله لومة لائم أو غضبة حاقد وإن كان مرا وذلك بالحكمة والعقل والموعظة الحسنة.قال تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } [الأنعام:٨٣].

وَتِلْكَ هِيَ حُجَّةُ اللهِ الدَّامِغَةُ عَلَى وُجُودِ اللهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَتِه،أَرْشَدَ إِلَيْهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،لِيُوجِّهُهَا إِلَى قَوْمِه،وَهُمْ يُجَادِلُونَهُ فِي رَبِّه،وَاللهُ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِه،دَرَجَاتٍ فِي الدِّينِ وَالفَهْمِ وَالحُجَّةِ،وَإِنَّ رَبَّكَ اللهَ الذي رَبَّاكَ وَعَلَّمَكَ وَهَدَاكَ يَا مُحَمَّدُ،وَجَعَلَكَ خَاتَمَ الرُّسُلِ،حَكِيمٌ فِي قَوْلِه وَفِعْلِه،عَلِيمٌ بِمَنْ يَهْتَدِي بِمَا أَنْزَلَ اللهُ،وَبِمَنْ يَضِلُّ،وَبِمَنْ قَامَتِ الحُجَّةُ عَلَيْهِ .[٧٥٣]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ،وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ،وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ." ابن حبان[٧٥٤]

وعَنْ عَائِشَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:" مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ،وَمَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ " ابن حبان[٧٥٥].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ،وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أرضاهُ فِي سَخَطِه،وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِه." الطبراني[٧٥٦]

١٣- إعطاء المتعلم على قدر فهمه،فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره،ثم يتدرج به من رتبة إلى رتبة. قَالَ عَلِيٌّ:حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ،أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " رواه البخاري[٧٥٧].

---

[٧٥١] – القول المسدد – (١ / ٥) وإتحاف السادة المتقين ١/١٠٥ و ١٥٣ و ١٥٤ وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (١٢ / ١٣١)(٧٧٦٧) وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية – (٢ / ٢١٤) ضعيف

[٧٥٢] – إحياء علوم الدين – (١ / ٢٧) والمدخل لابن الحاج – (١ / ١٧٠)

[٧٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٨٧٣)

[٧٥٤] – صحيح ابن حبان – (١ / ٥١٠)(٢٧٦) صحيح

[٧٥٥] – صَحِيحُ ابْنِ حِبَّانَ (٢٧٧) صحيح

[٧٥٦] – المعجم الكبير للطبراني – (٩ / ٤٦٦) (١١٥٣٠) صحيح لغيره

[٧٥٧] – صحيح البخارى- المكتر – (١٢٧)

وعَنْ عُبَيْد اللَّه بْنِ عَبْد اللَّه بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً." رواه مسلم[٧٥٨].

١٤- بذل العلم لمن يقدِّرونه وينتفعون منه،وإمساكه عمن غيرهم.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ،وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ." رواه ابن ماجه[٧٥٩].

١٥- إصلاح ظاهره بالاستقامة على الشريعة المحمدية،وباطنه على التقوى وتزكية النفس ومراقبة الله تعالى،لأن العلم ليس لقلقة باللسان،وكلمات جوفاء لا تتجاوز الآذان،وإنما هو نور القلب يخرج من روح متصلة بالله مستقر في القلوب والأرواح لينقلب إلى عمل وسلوك.قال الله تعالى:{ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) } [السجدة:٢٣ - ٢٥] .

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى رَسُولَه ﷺأَنَّهُ آتَى مُوسَى التَّوْرَاةَ (الكِتَابَ)،لِتَكُونَ هُدىً وعِظَةً لِبني إِسْرائيلَ،كَمَا آتَى عَبْدَهُ مُحَمَّداً القُرآنَ،وأَمَرهُ بأَلاَّ يَكُونَ في شَكٍّ وَرِيبَةٍ مِنْ صِحَّةِ مَا آتاهُ اللهُ مِنَ الكِتَاب،فَمُحَمَّدٌ لَيْسَ بِدْعاً في الرُّسُلِ،فَقَدْ آتى الله غَيْرَهُ مِنَ الأنبياءِ كُتُباً.وَجَعَلَ اللهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائيلَ أَئِمَّةً في الدُّنيا،يَهْدُونَ أَتْبَاعَهُمْ إِلى الخَيْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ،لأَنَّهُم صَبَروا عَلى طَاعَتِه،وَعَزَفَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ لَذَّاتِ الدُّنيا وَشَهَواتِها،وَكَانُوا مُؤْمنينَ بآياتِ اللهِ وَحُجَجِه،وَبِمَا اسْتَبَانَ لَهُمْ مِنَ الحَقِّ[٧٦٠]

وعَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ:عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَتِلْكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى عِبَادِه."[٧٦١]

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ:الْعِلْمُ عِلْمَانِ:فَعِلْمٌ فِى الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ.[٧٦٢]

وقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: " الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ بِاللِّسَانِ،وَعِلْمٌ بِالْقَلْبِ،فَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْقَلْبِ: فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،وَأَمَّا الْعِلْمُ بِاللِّسَانِ: فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ "[٧٦٣]

١٦-تجنب الفتيا بغير علم أو تثبت أو تأكد من المسألة،وإحالة الباب الذي لا يعرفه إلى من هو أعلم منه،وعدم الحرج من قول لا أدري أو الأنفة من ذلك.

---

[٧٥٨] - صحيح مسلم- المكتر - (١٤)

[٧٥٩] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ١٥١) (٢٢٤) وآخره ضعيف جدا ، وأوله صحيح لغيره

[٧٦٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٠٧)

[٧٦١] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ٨٨) (٣٥٥٠٢) صحيح مرسل

[٧٦٢] - سنن الدارمى- المكتر - (٣٧٢) صحيح

[٧٦٣] - شعب الإيمان - (٣ / ٢٩٤) (١٦٨٦)

قال تعالى:{ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥)} الاسراء.

إنّ علم الإنسان سيظل قاصراً عن إدراك هذه الحقيقة،وسيظل بينهما مسافات طويلة؛ لذلك قال تعالى بعدها: { وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء: ٨٥]

وهل عرف العقل البشري كل شيء حتى يبحث في أسرار الروح؟!

والحق سبحانه وتعالى حينما يعطينا فكرة عن الأشياء لا يعطينا بحقائق ذاتها وتكوينها؛ لأن أذهاننا قد لا تتسع لفهمها،وإنما يعطينا بالفائدة منها. فحين حدثنا عن الأهِلّة قال:{ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.. }[البقرة: ١٨٩]

وهذه هي الفائدة التي تعود علينا والتي تهمنا من الأَهِلّة،أما حركتها ومنازلها والمراحل التي تمر بها الأَهِلّة فأمور لا يضر الجهل بها؛ ذلك لأن الاستفادة بالشيء ليستْ فرعاً لفهم حقيقته،فالرجل الأُميّ في ريفنا يقتني الآن التلفاز وربما الفيديو،ويستطيع استعمالهما وتحويل قنواتهما وضبطهما،ومع ذلك فهو لا يعرف كيف تعمل هذه الأجهزة؟ وكيف تستقبل؟

إذن: الاستفادة بالشيء لا تحتاج معرفة كل شيء عنها،فيكفيك ــ إذن ــ أنْ تستفيد بها دون أن تُدخِل نفسك في متاهات البحث عن حقيقتها.

والحق سبحانه وتعالى ينبهنا إلى هذه المسألة في قوله تعالى:{ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.. }[الإسراء: ٣٦] لأن الخالق سبحانه يريد للإنسان أن يُوفّر طاقاته الفكرية ليستخدمها فيما يُجدي،وألاَّ يُتعِب نفسه ويُجهدها في علم لا ينفع،وجهل لا يضر.

فعلى المسلم بدل أن يشغل تفكيره في مثل مسألة الروح هذه،أنْ ينشغل بعمل ذي فائدة له ولمجتمعه. وأيّ فائدة تعود عليك إنْ توصلت إلى سِرٍّ من أسرار الروح؟ وأيّ ضرر سيقع عليك إذا لم تعرف عنها شيئاً؟

إذن: مناط الأشياء أن تفهم لماذا وجدت لك،وما فائدتها التي تعود عليك.

والحق سبحانه حينما قال: { وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء: ٨٥] كان يخاطب بها المعاصرين لرسول الله منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة عام،ومازال يخاطبنا ويخاطب مَنْ بعدنا،وإلى أن تقوم الساعة بهذه الآية مع ما توصلتْ إليه البشرية من علم وكأنه سبحانه يقول: يا ابن آدم،الزم غرزك،فإن وقفت على سِرٍّ فقد غابتْ عنك أسرار.

وقد أوضح الحق سبحانه لنا هذه المسألة في قوله:{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ }[فصلت:٥٣]

وهاهم العلماء والباحثون يقفون كل يوم على جديد في الكون الفسيح وفي الإنسان،ولو تابعتَ ما توصّل إليه علماء الفضاء ورجال الطب لَهالكَ ما توصَّلوا إليه من آيات وعجائب في خَلْق الله تعالى،لكن هل معنى ذلك أننا عرفنا كل شيء؟ إن كلمة { سَنُرِيهِمْ } ستظل تعمل إلى قيام الساعة.

والمتتبع لطموحات العقول وابتكاراتها يجد التطور يسير بخُطىً واسعة،ففي الماضي كان التقدم يُقَاسُ بالقرون،أما الآن ففي كل يوم يطلع علينا حديث وجديد،ونرى الأجهزة تُصنع ولا تُستعمل؛ لأنها قبل أنْ تُبَاع يخرج عليها أحدث منها،لكن كلها زخارف الحياة وكمالياتها،كما قال تعالى:{ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ.. }[يونس: ٢٤]

فكلُّ مَا نراه من تقدُّم ليس من ضروريات الحياة،فقد كُنَّا نعيش بخير قبل أن نعرف الكهرباء،وكُنَّا نشرب في الفخار والآن في الكريستال،فابتكارات الإنسان في الكماليات،أما الضروريات فقد ضمنها الخالق سبحانه قبل أن يوجد الإنسان على هذه الأرض.

فإذا ما استنفدتْ العقول البشرية نشاطاتها،وبلغتْ مُنتهى مَا لديها من ابتكارات،حتى ظنَّ الناس أنهم قادرون على التحكم في زمام الكون،لا يعجزهم فيه شيء،كما قال تعالى: { وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ }[يونس: ٢٤]

فبعد ما أخذتم أسرار المنعِم في الكون على قَدْر ما استطعتم،فاذهبوا الآن إلى المنعِم ذاته لتروا النعيم على حقيقته،وكلما رأيت في دنيا الناس ابتكارات واختراعات تُسعِد الإنسان،فهذا ما أعدَّ البشر للبشر،فكيف بما أعدَّ الله الخالق لخَلْقه؟

فالمفروض أن زخارف الحياة وزينتها وكمالياتها لا تدعونا إلى الحقد والحسد لمن توفرتْ لديه،بل تدعونا إلى مزيد من الإيمان والشوق إلى النعيم الحقيقي عند المنعِم سبحانه.

ولو تأملتَ هذه الارتقاءات البشرية لوجدتها قائمة على المادة التي خلقها الله والعقل المخلوق لله والطاقة المخلوقة لله،فَدوْر الإنسان أنه أعمل عقله وفكره في المقوّمات التي خلقها الله،لكن مهما وصلتْ هذه الارتقاءات،ومهما تطورتْ هل ستصل إلى درجة: إذا خطر الشيء ببالك تجدْه بين يديك؟[٧٦٤]

وعَنْ أَبِى عُثْمَانَ الطُّنْبُذِىِّ - رَضِيعِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ - قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ أُفْتِىَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ،وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِى غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ ».. رواه أبو داود[٧٦٥].

١٧-تجنب المنة على المتعلمين ورؤية فضله على أحدهم إذا تعلَّم وتهذب وتزكَّى،لأن ذلك مما يحبط الأجر والثواب،ولكن يطلب ذخره عند الله،ويرى الفضل للمتعلم الذي كان السبب في رفع درجاته،وزيادة حسناته.

١٨-أن يتبع طريقة النبي ﷺفي زجر المقصرين،ومحاسبة المذنبين وذلك بالتعريض دون التوبيخ،وبالتلميح دون التصريح.. كأن يقول " ما بال أقوام".

---

[٧٦٤] - تفسير الشعراوي - (/ ٢٠٩٨)

[٧٦٥] - سنن أبي داود - المكتر - (٣٦٥٩) حسن

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺسَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺعَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ أَتَزَوَّجُ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ آكُلُ اللَّحْمَ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا،لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ،وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ،وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي." ابن حبان[٧٦٦]

وعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ،فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ:لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ،أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ." ابن حبان[٧٦٧]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:كَاتَبَتْ بَرِيرَةَ عَلَى نَفْسِهَا بِتِسْعَةِ أَوَاقٍ،فِي كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةً،فَأَتَتْ عَائِشَةَ تَسْتَعِينُهَا،فَقَالَتْ:لاَ،إِلاَّ أَنْ يَشَاؤُوا أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً،وَيَكُونَ الْوَلاَءُ لِي،فَذَهَبَتْ بَرِيرَةُ،فَكَلَّمَتْ بِذَلِكَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا عَلَيْهَا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْوَلاَءُ لَهُمْ،فَجَاءَتْ إِلَى عَائِشَةَ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺعِنْدَ ذَلِكَ،فَقَالَتْ لَهَا مَا قَالَ أَهْلُهَا،فَقَالَتْ:لاَهَا:اللهِ إِذًا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْوَلاَءُ لِي،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ بَرِيرَةَ أَتَتْنِي تَسْتَعِينُنِي عَلَى كِتَابَتِهَا،فَقُلْتُ:لاَ إِلاَّ أَنْ يَشَاؤُوا أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً،وَيَكُونَ الْوَلاَءُ لِي،فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لأَهْلِهَا،فَأَبَوْا عَلَيْهَا،إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الْوَلاَءُ لَهُمْ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ابْتَاعِيهَا وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاَءَ وَأَعْتِقِيهَا،فَإِنَّ الْوَلاَءَ لِمَنْ أَعْتَقَ. ثُمَّ قَامَ ﷺفَخَطَبَ النَّاسَ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ يَقُولُونَ:أَعْتِقْ يَا فُلاَنُ وَالْوَلاَءُ لِي،كِتَابُ اللهِ أَحَقُّ،وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ،كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ،وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ،فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺزَوْجَهَا،وَكَانَ عَبْدًا فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا،قَالَ عُرْوَةُ:فَلَوْ كَانَ حُرًّا مَا خَيَّرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ زَوْجِهَا." ابن حبان[٧٦٨]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَ:إِنِّي أَصَبْتُ فَاحِشَةً،فَرَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺمِرَارًا،قَالَ:فَسَأَلَ قَوْمَهُ:أَبِهِ بَأْسٌ ؟ فَقِيلَ:مَا بِهِ بَأْسٌ غَيْرَ أَنَّهُ أَتَى أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْهُ إِلاَّ أَنْ يُقَامَ الْحَدُّ عَلَيْهِ،قَالَ:فَأَمَرَنَا فَانْطَلَقْنَا بِهِ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ،قَالَ:فَلَمْ نَحْفُرْ لَهُ وَلَمْ نُوثِقْهُ،فَرَمَيْنَاهُ بِخَزَفٍ وَعِظَامٍ وَجَنْدَلٍ،قَالَ:فَاشْتَكَى فَسَعَى،فَاشْتَدَدْنَا خَلْفَهُ،فَأَتَى الْحَرَّةَ فَانْتَصَبَ لَنَا،فَرَمَيْنَاهُ بِجَلاَمِيدِهَا حَتَّى سَكَنَ،فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺمِنَ الْعَشِيِّ خَطِيبًا،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:أَمَا بَعْدُ،مَا بَالُ أَقْوَامٍ إِذَا غَزَوْنَا تَخَلَّفَ أَحَدُهُمْ فِي عِيَالِنَا لَهُ نَبِيبٌ كَنَبِيبِ التَّيْسِ،أَمَا إِنَّ عَلَيَّ أَنْ لاَ أُوتِيَ بِأَحَدٍ فَعَلَ ذَلِكَ إِلاَّ نَكَّلْتُ بِهِ،قَالَ:وَلَمْ يَسُبَّهُ،وَلَمْ يَسْتَغْفِرْ لَهُ."[٧٦٩]

---

[٧٦٦] – صحيح ابن حبان – (١ / ١٩١) (١٤) صحيح

[٧٦٧] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٦١) (٢٢٨٤) صحيح

[٧٦٨] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٩٣) (٤٢٧٢) صحيح

[٧٦٩] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٢٨٥) (٤٤٣٨) صحيح

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا حُمَيْدٍ السَّاعِدِيَّ يَقُولُ:اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺابْنَ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ،فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ،فَقَالَ:هَذَا لَكُمْ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلاَ جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ،فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺالظُّهْرَ قَامَ فَخَطَبَ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ،مَا بَالُ أَقْوَامٍ نُوَلِّيهِمْ أُمُورًا مِمَّا وَلاَّنَا اللَّهُ وَنَسْتَعْمِلَهُمْ عَلَى أُمُورٍ مِمَّا وَلاَّنِي اللَّهُ،ثُمَّ يَأْتِي أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ:هَذَا لَكُمْ وَهَذِهِ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ،أَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عَاتِقِهِ،فَلاَ أَعْرِفَنَّ رَجُلاً يَحْمِلُ عَلَى عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ،أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ،أَوْ شَاةً تَيْعَرُ،ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ بَصَرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي،ثُمَّ قَالَ:أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ - ثَلاَثًا -،الشَّهِيدُ عَلَى ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ يَحُكُّ مَنْكِبِي مَنْكِبَهُ." ابن حبان[٧٧٠]

[٧٧٠] - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٧٣) (٤٥١٥) صحيح

-٢٥-آداب المتعلم

كلنا يعلم أنَّ أول ما نزل من القرآن الكريم أن أمر الله تعالى نبيه بالقراءة:{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)} العلق. ومنّ على الإنسان بالإنعام عليه بالعلم:{ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} العلق. ثم أقسم في ثاني سورة بالكتابة وأدواتها {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١)} القلم،ثم تتالت الآيات في بيان فضل العلم كقوله تعالى:{ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} الأنعام ١٤٨. وفي الحث على التعلم كقوله تعالى وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) } [التوبة:١٢٢].

وفي تكريم العلماء كقوله جلّ وعلا: { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣) } [الرعد:٤٣].

وتمت معجزة الدين الجديد بالقضاء على ظلام الجهل والخرافة والأمية،ونشر مشاعل العلم والحكمة والحضارة والمعرفة في أرجاء الأرض.

وليس هناك من دين سماوي أو نظام وضعي حضَّ على العلم وقدَّسه وأمر بتحصيله وتحكيمه في كل خطوة من خطوات الحياة وفي كل ميادينها كما فعل الإسلام.

ففي وقت كان العلم محظورا على الرعاع من الناس،ومقصورا على طبقة الأشراف والنبلاء، لم يبح الاسلام العلم وإنما جعله فريضة على جميع معتنقيه،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ " البيهقي[٧٧١].

وتبرأ من كل جاهل،فعَنِ الْحَسَنِ،أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ قَالَ:كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُحِبًّا أَوْ مُتَّبِعًا،وَلَا تَكُنِ الْخَامِسَ فَتَهْلِكَ.قَالَ:قُلْتُ لِلْحَسَنِ:مَنِ الْخَامِسُ ؟ قَالَ:الْمُبْتَدِعُ "[٧٧٢]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ:مَلْعُونَةٌ الدُّنْيَا،مَلْعُونٌ أَهْلُهَا،إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ،أَوْ مَا ذُكِرَ اللَّهُ،وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ،وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ"[٧٧٣]

وجعله بمنزلة الحيوان الأعجم،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:" قَلِيلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ الْعِبَادَةِ،وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا إِذَا عَبَدَ اللَّهَ،وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا عَجِبَ بِرَأْيِهِ،إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ:عَالِمٌ وَجَاهِلٌ فَلَا تُمَارِ الْعَالِمَ وَلَا تُحَاوِرِ الْجَاهِلَ "[٧٧٤].

---

[٧٧١] – شعب الإيمان – (٣ / ١٩٥) (١٥٤٥) صحيح لغيره

[٧٧٢] – الْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٨٧) فيه انقطاع

[٧٧٣] – الْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٨٨) وفيه انقطاع

[٧٧٤] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٧٢) وفيه جهالة

وعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺيَقُولُ:" قَلِيلُ الْفِقْه خَيْرٌ مِنْ كَثِير الْعِبَادَة،وَكَفَى بِالْمَرْءِ فِقْهًا إِنْ عَبَدَ اللَّهَ،وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِه،إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ:فَمُؤْمِنٌ وَجَاهِلٌ،فَلَا تُؤْذِ الْمُؤْمِنَ وَلَا تُجَاوِرِ الْجَاهِلَ "[٧٧٥]

وجعل العلم طريقا إلى الفوز بالجنة،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا،سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ،وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ." ابن حبان[٧٧٦]

وجعل طالبه حبيب الملائكة الذين يقومون بتأييده ومعونته،فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ،وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ دَوَابُّ الْبِرِّ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ "[٧٧٧]

وبين أن القليل منه،خير من كثير العبادة،فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ " [٧٧٨]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: " يَا أَبَا ذَرٍّ،لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّه،خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ،وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ،عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ،خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ "[٧٧٩]

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه - ﷺ: " فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ،وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[٧٨٠]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ،وَمِلَاكُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ."[٧٨١]

وجعل طلبه جهادا في سبيل الله،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ"[٧٨٢].

وأجره كأجر من ظفر بحجة تامة،فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ،كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ"[٧٨٣].

---

[٧٧٥] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (٢ / ٣١٠) (١٥٠٣) والْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٣٥١) وفيه ضعف

[٧٧٦] – صحيح ابن حبان – (١ / ٢٨٤) (٨٤) صحيح

[٧٧٧] – شعب الإيمان – (٣ / ٢٢١) (١٥٧٤) صحيح

[٧٧٨] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٩٦) ضعيف

[٧٧٩] – سُنَنُ ابْنِ مَاجَهْ (٢٢٠) ضعيف

[٧٨٠] – المعجم الأوسط للطبراني – (٤١٠٧) حسن

[٧٨١] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٣٣٥) (٢٦٦٣٩) صحيح مرسل

الورع : في الأصْل : الكَفُّ عن المَحارِم والتَّحَرُّج مِنْه، ثم استُعِير للكفّ عن المُباح والحلال .

[٧٨٢] – سنن الترمذى– المكتز – (٢٨٥٩) حسن

[٧٨٣] – المعجم الكبير للطبراني – (٧ / ٩٩) (٧٣٤٦) صحيح

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا،أَوْ يَعْلَمَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ مُعْتَمِرٍ تَامِّ الْعُمْرَةِ،فَمَنْ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا،أَوْ يُعَلِّمَهُ فَلَهُ أَجْرُ حَاجٍّ تَامِّ الْحجَّةِ"[٧٨٤]

وأمر بطلبه إن فقد في بلده ولو في آخر الدنيا،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:"" اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بالصِّينِ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ "[٧٨٥]..

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:اعْقِلْ رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ،مَا خَاطَبَكَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ،فَإِنَّهُ يَحُثُّكَ عَلَى طَلَبِ عِلْمِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ قَبْلَ فَنَاءِ الْعُلَمَاءِ،ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ فَنَاءَ الْعِلْمِ بِقَبْضِ أَهْلِهِ،ثُمَّ أَعْلَمَكَ أَنَّ الْخَيْرَ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ،وَفِيمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ،فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ،اعْقِلْ هَذَا وَاطْلُبْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُنْفِي عَنْكَ بِهِ الْجَهْلُ،وَتَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ وَتُرِيدُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِهِ،فَإِنَّهُ عَلَيْكَ فَرِيضَةٌ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ "،وَلِقَوْلِهِ:" اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بالصِّينِ "[٧٨٦]

وجعل أثره بعد موت صاحبه عملا مستمرا له وأجرا باقيا وثوابا جاريا في صحيفته،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ:صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ،أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ." ابن حبان[٧٨٧]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » رواه مسلم[٧٨٨]..

ولئلا يفهم الناس أن المقصود من العلم هو علم العبادات والمناسك فقط،فقد حث القرآن في آياته على تتبع علوم الكون كله،واستنباط أسراره وتعلم قوانينه والاستفادة من نظامه ودقة نواميسه قال سبحانه:{ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) } [الأعراف:١٨٥]

أَوَ لَمْ يَنْظُرْ هَؤُلاَءِ الْمُكَذِّبُونَ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَيَتَدبَّرُوا ذَلِكَ،وَيَعْتَبِرُوا بِهِ،وَيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،وَيَتَخَلَّوْا عَنِ الأَنْدَادِ وَالأَوْثَانِ؟ فَلْيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ آجَالُهُمْ قَدِ اقْتَرَبَتْ فَيَهْلِكُوا وَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ،وَيَصِيرُوا إِلى عَذَابٍ أَلِيمٍ.وَإِذا لَمْ يَتَّعِظُوا بِمَا قَالَهُ مُحَمَّدٌ،وَبِمَا حَذَّرَهُمْ مِنْهُ،فَبِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِنَ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ يُصَدِّقُونَ؟ وَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ القُرْآنِ يُؤْمِنُونَ،إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ؟[٧٨٩]

---

[٧٨٤] – المستدرك للحاكم(٣١١) صحيح

[٧٨٥] – جامع بيان العلم وفضله – مؤسسة الريان – (١ / ٢٥) (١٦) ضعيف

[٧٨٦] – الْأَرْبَعُونَ حَدِيثًا لِلْآجُرِّيِّ (٢)

[٧٨٧] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٢٨٦) (٣٠١٦) صحيح

[٧٨٨] – صحيح مسلم- المكتز – (٤٣١٠)

[٧٨٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١١٤٠)

وقال تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) } [آل عمران:١٩٠ - ١٩١] .

إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ،وَمَا فِيها مِنْ مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ،وَكَوَاكِبَ وَسَيَّارَاتٍ،وَفِي خَلْقِ الأَرْضِ،وَمَا فيها مِنْ بِحَارٍ،وَأَنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَأَشْجَارٍ وَنَبَاتٍ،وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ وَالقِصَرَ،وَيَطُولُ هَذا تَارةً،وَيَطُولُ الآخَرَ تَارَةً أُخْرَى...لآيَاتٍ وَبَرَاهِينَ وَحُجَجاً وَدَلائِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ،وَعَظِيمَ قُدْرَتِهِ،لأَهْلِ العُقُولِ وَالأَلْبَابِ الزَّكِيَّةِ.وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى أُوْلِي الأَلْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ:إِنَّهُمُ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلاَ يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ،بِسَرَائِرِهِمْ،وَأَلْسِنَتِهِمْ...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ خَلِيقَتِهِ،وَمِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ وَعِظَاتٍ،تَدُلُّ عَلَى الخَالِقِ،وَقُدْرَتِهِ،وَحِكْمَتِهِ،ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً،رَبَّنَا تَنَزَّهْتَ عَنِ العَبَثِ وَالبَاطِلِ،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالحَقِّ،وَالإِنْسَانَ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثاً،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ.وَمَتَى حُشِرَ الخَلْقُ إِلَيكَ حَاسَبْتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،فَتَجْزِي الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا،وَتَجْزِي الذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.ثُمَّ يُتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذابَ النَّارِ .[٧٩٠]

وأشار في محكم تنزيله إلى بعض علوم السماء والأرض،والنبات والحيوان،والأجنة والفلك،والسياسة والاجتماع،والمعاملات الاجتماعية والعلاقات الدولية..

ومن وحي هذه التعاليم الاسلامية لم تمض فترة وجيزة إلا وصار كل بيت قبلة،وكل سوق مدرسة،وانقلبت الصحاري والمراعي إلى منابع للنور والحكمة وفنون العلم والمعارف،ثم انطلق المسلمون إلى أصقاع الأرض ينشرون هذا العلم بين الناس،ويبصرونهم سبل سعادتهم،ويدلونهم على حقيقة إنسانيتهم،وأسرار خلقهم.. ويبثون حضارة ما عرفت الإنسانية أعظم منها هدفا ولا أنبل منها غاية ولا أرحم منها على بني الإنسان.

إنها رسالة الإسلام،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺالْمَسْجِدَ وَقَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَوْمٌ يَتَذَاكَرُونَ الْفِقْهَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كِلاَ الْمَجْلِسَيْنِ إِلَى خَيْرٍ،أَمَّا الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ،وَهَؤُلاَءِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ وَيَتَعَلَّمُونَ،وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا،وَهَذَا أَفْضَلُ فَقَعَدَ مَعَهُمْ."[٧٩١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ"[٧٩٢].

---

[٧٩٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٨٣)

[٧٩١] – مسند الطيالسي – (٤ / ١١) (٢٣٦٥) حسن

[٧٩٢] – الفوائد لتمام ٤١٤ – (١ / ١٥٦) (٢٧٦) صحيح

هذا وليحصل طالب العلم على ثمرات عمله على الوجه المطلوب،وليبارك في جهـــوده،لا بـــد أن يطلب العلم متأدبا بآدابه التي نقطف منها هذه اللآلئ،وننظمها لكل متعلم:

آداب المتعلم مع العلم:

١- التماس مجالس العلم،وانتقاء اليانع من ثمراتها،والانتفاع بها على الوجه المطلـــوب.فعَـــنِ ابْـــنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ،فَارْتَعُوا،قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ:مَجَالِسُ الْعِلْمِ.". رواه الطبراني[٧٩٣].

٢- الصدق في طلب العلم،وبذل الوقت والجهد في تحصيله،والإعراض عن كل ما يشغل عنه مـــن لغو أو بطالة أو اقتراف لمعصية أو محرم. وقال بعضهم :

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَوْمَأَ لِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ بِأَنَّ حِفظَ الشَّيْءِ فَضْلٌ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُدْرِكُهُ عَاصِي

وعن سَعِيدَ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُـــوَ مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ،إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ.فَقَالَ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ حَدَّثَنَا أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- « أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِى بَنِى إِسْرَائِيلَ،فَسُئِلَ أَىُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ أَنَا.فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ.فَقَالَ لَهُ بَلَى،لِى عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.قَالَ أَىْ رَبِّ وَمَنْ لِى بِهِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ أَىْ رَبِّ وَكَيْفَ لِى بِهِ - قَالَ تَأْخُذُ حُوتًا،فَتَجْعَلُهُ فِى مِكْتَلٍ،حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهْوَ ثَمَّ - وَرُبَّمَـــا قَالَ فَهْوَ ثَمَّهْ - وَأَخَذَ حُوتًا،فَجَعَلَهُ فِى مِكْتَلٍ،ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَـــاهُ يُوشَـــعُ بْـــنُ نُـــونٍ،حَتَّى أَتَيَـــا الصَّخْرَةَ،وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى،وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِى الْبَحْرِ،فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِـــى الْبَحْرِ سَرَبًا،فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ،فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ،فَقَالَ هَكَذَا مِثْلُ الطَّـــاقِ.فَانْطَلَقَـــا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا،حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَـــفَرِنَا هَـــذَا نَصَبًا .

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ.قَالَ لَهُ فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّـــخْرَةِ فَـــإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ،وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ،وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا،فَكَانَ لِلْحُوتِ سَـــرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا.قَالَ لَهُ مُوسَى ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِى،فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا،رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ،فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ،فَسَلَّمَ مُوسَى،فَرَدَّ عَلَيْهِ.فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ.قَالَ أَنَا مُوسَى.قَالَ مُوسَى بَنِى إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ،أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِى مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا.قَالَ يَا مُوسَى إِنِّى عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ،عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لاَ تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لاَ أَعْلَمُهُ.قَالَ هَلْ أَتَّبِعُـــكَ قَالَ (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا) إِلَـــى قَوْلِـــهِ (إِمْـــرًا)

---

[٧٩٣] - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ٣٠٥)(١٠٩٩٥) والاتحاف ٢٤٠/١ و ٦/٥ و ١٧٣ و ٣٢٢/٨ وفيه مجهول

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ،فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ،كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ،فَعَرَفُوا الْخَضِرَ،فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ،فَلَمَّا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ،فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ،فَنَقَرَ فِى الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ،قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى،مَا نَقَصَ عِلْمِى وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ.إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا،قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلاَّ وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ.فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ،عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا،لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا.قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا.قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا،فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا.فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلاَمٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ،فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا - فَقَالَ لَهُ مُوسَى أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا.قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا.قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِى،قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْرًا.فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ مَائِلاً - أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ،فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلاً إِلاَّ مَرَّةً - قَالَ قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا.قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ،سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ،فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا ».قَالَ سُفْيَانُ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى،لَوْ كَانَ صَبَرَ يُقَصُّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا ».وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا،وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ.ثُمَّ قَالَ لِى سُفْيَانُ سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ.قِيلَ لِسُفْيَانَ حَفِظْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنْ عَمْرٍو،أَوْ تَحَفَّظْتَهُ مِنْ إِنْسَانٍ فَقَالَ مِمَّنْ أَتَحَفَّظُهُ وَرَوَاهُ أَحَدٌ عَنْ عَمْرٍو غَيْرِى سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا وَحَفِظْتُهُ مِنْهُ .[٧٩٤]

وقد ذكر القرآن الكريم: قال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠)} الكهف.

لا أبرح: أي لا أترك،والبعض يظن أن لا أبرح تعني: لا أترك مكاني الذي أنا فيه،لكنها تعني: لا أترك ما أنا بصدده،فإنْ كنتُ قاعداً لا أترك القعود،وإنْ كنتُ ماشياً لا أترك المشي،وقد قال موسى ـــ عليه السلام ـــ هذا القول وهو يبتغي بين البحرين،ويسير متجهاً إليه،فيكون المعنى: لا أترك السير إلى هذا المكان حتى أبلغ مجمع البحرين.

---

[٧٩٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٤٠١)

الطاق : ما عطف من الأبنية أى جعل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه ذلك -يقصان : يتتبعان الأثر -ينقض : يسقط -المكتل : القفة الكبيرة -النكر : الأمر الشديد

وقد وردت مادة (برح) في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: { فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي.. } [يوسف: ٨٠] قالها كبيرهم بعد أن أخذ يوسف أخاه بنيامين ومنعه من الذهاب معهم،فهنا استحى الأخ الأكبر من مواجهة أبيه الذي أخذ عليهم العهد والميثاق أنْ يأتوا به ويُعيدوه إليه.

و" مجْمَع البحرين " أي: موضع التقائهما،حيث يصيران بحراً واحداً،كما يلتقي مثلاً دجلة والفرات في شَطِّ العرب.

وقوله: { أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً } [الكهف: ٦٠] الحُقُب: جمع حِقْبة،وهي الفترة الطويلة من الزمن،وقد قدَّروها بحوالي سبعين أو ثمانين سنة،فإذا كان أقل الجمع ثلاثة،فمعنى ذلك أن يسير موسى ــ عليه السلام ــ مائتين وعشرة سنين،على اعتبار أن الحِقْبة سبعون سنة.ويكون المعنى: لا أترك السير إلى هذا المكان ولو سِرْتُ مائتين وعشرة سنين؛ لأن موسى عليه السلام كان مَشُوقاً إلى رؤية هذا الرجل الأعلم منه،كيف وهو النبي الرسول الذي أوحى الله إليه؛ لذلك أخبره ربه أن عِلْم هذا الرجل علم من لدنا،علم من الله لا من البشر.[٧٩٥]

٣- الإخلاص في طلب العلم،وإرادة وجه الله تعالى في تحصيله،وامتثال أمر رسوله ﷺ،والحذر من أن يكون حظه من العلم طلب عرض من الدنيا قليل.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ». رواه الترمذي[٧٩٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ،لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا،لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." ابن حبان[٧٩٧].

٤- تزكية النفس وتطهيرها من رذائل الأخلاق واتباع الأهواء قبل طلب العلم،لأن العلم إذا نزل على نفس خبيثة زادها خبثا وصار ضررا على صاحبه وبلاء على الناس. قال الشاعر:

لا تحسبنّ العلم ينفع وحده .....ما لم يتوّج ربّه بخلاق

وقال آخر:

لو كان للعلم من دون التقى شرف ...لكان أشرف خلق الله إبليس

٥- الابتعاد عن المراء،وتجنب الجدال بعد ظهور الحق،فإن المراء لا يأتي بخير،لأنه يضيع الوقت،ويقسي القلوب،ويورث الأحقاد،ويسبب البغضاء،وعلى المتعلم أن يبدي رأيه لمحدثه فإن اقتنع وإلا فليتوقف عن النقاش العقيم،قال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا

---

[٧٩٥] - تفسير الشعراوي - (/ ٢١٨٤)

[٧٩٦] -سنن الترمذى- المكتر - (٢٨٦٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[٧٩٧] - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٧٩) (٧٨) صحيح

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (٤٦) سورة العنكبوت.

ولا تجادلوا -أيها المؤمنون- اليهودَ والنصارى إلا بالأسلوب الحسن،والقول الجميل،والدعوة إلى الحق بأيسر طريق موصل لذلك،إلا الذين حادوا عن وجه الحق وعاندوا وكابروا وأعلنوا الحرب عليكم فجالدوهم بالسيف حتى يؤمنوا،أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون،وقولوا: آمنا بالقرآن الذي أُنزل إلينا،وآمنا بالتوراة والإنجيل اللذَيْن أُنزلا إليكم،وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في ألوهيته،ولا في ربوبيته،ولا في أسمائه وصفاته،ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا به،ونهانا عنه.[٧٩٨]

فعَنْ مُعَاذ بن جَبَلٍ،عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ،قَالَ:"مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ،وَيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ فِي الْمَجَالِسِ،لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"[٧٩٩]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ،أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ،أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ،فَهُوَ فِي النَّارِ." رواه ابن ماجه[٨٠٠].

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ ».[٨٠١]

٦- المحافظة على السمت الحسن،والاتزان والهدوء،ووقار العلم،وما يطبعه في النفس من خشية لله،ومعرفة بأقدار الناس. والابتعاد عن كل ما يخلّ بشرف العلم ومكانته في النطق والمشي والأمكنة والمعاملات.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:"تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ،وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَ،وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ" رواه الطبراني[٨٠٢].

وقَالَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ،وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُمْ،وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تُعَلِّمُونَ،وَلا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ ؛ فَلا يَقُومُ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ "[٨٠٣]

وقال مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: " إِنَّ مَجَالِسَ الْعِلْمِ تُحْتَضَنُ بِالْخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ "[٨٠٤]

---

[٧٩٨] - التفسير الميسر - (٧ / ١٦٧)

[٧٩٩] - المعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ٤٦٧) (١٦٥٤٥) ومسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار - (١٣ / ٤٨٧) (٧٢٩٥) وصحيح الجامع (٦٣٨٢) حسن لغيره

[٨٠٠] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ١٧٠) (٢٥٣) حسن لغيره

[٨٠١] - سنن أبي داود - المكتر - (٤٨٠٢) حسن - الربض : حوالى الجنة وأطرافها

[٨٠٢] - المعجم الكبير للطبراني - (١٩ / ٤٥٠) (١٠٧٧) ضعيف

[٨٠٣] - المجالسة وجواهر العلم - (٤ / ٤١) (١١٩٧) حسن لغيره

وعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ قَالَ:كَانَ يُقَالُ:" تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ،وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ،وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ،وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ عَلَّمَكُمْ " قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ،سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ:كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ،إِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ،فَهُوَ يَوْمُ غُنَيْمَته،سَأَلَهُ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ،وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ عَلَّمَهُ،وَتَوَاضَعَ لَهُ،وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ ذَاكَرَهُ وَدَارَسَهُ،وَقَالَ:لَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ أَخَذَ بِالشَّاذِّ مِنَ الْعِلْمِ،وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى كُلَّ مَا سَمِعَ،وَلَا يَكُونُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ مَنْ رَوَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ،وَالْحِفْظُ الْإِتْقَانُ"[٨٠٥]

٧- طلب العلم النافع المفيد في دين المسلم أو دنياه أو آخرته،وتجنب العلوم التي انقضى زمانها،أو التي لا طائل منها،أو التي تضر المسلم في دينه،أو توقعه في الشك والإلحاد. قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} (١٤) سورة الشورى.

يُبَيِّنَ اللهُ تَعَالَى الأَسْبَابَ التي حَمَلَت النَّاسَ عَلَى التَّفَرُّقِ والاخْتِلاَفِ فِي الدِّينِ،مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَهُمْ جَمِيعاً بِأَمْرٍ وَاحِد،وَطَلَبَ مِنْهُمِ الأَخْذَ بِه،وَعَدَمَ التَّفَرُّقِ فِيه.فَقَالَ تعالى: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَلِمُوا أَنَّ الفُرْقَةَ ضَلاَلَةٌ،وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ بَغْياً وَطَلَباً لِلرِئَاسَةِ وَلِلحَمِيَّةِ وَالعَصبِيَّةِ،وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَذْهَبُ مَذْهَباً وَتَدْعُو إِلَيه،وَتُقَبِّحُ مَا سَوَاهُ لِلظُّهُورِ وَالتَّفَاخُرِ،وَلَوْلاَ الكَلِمَةُ السَّابِقَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِأَنْ يُؤَخِّرَ حِسَابَهُمْ،وَالفَصْلَ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،لَعَجَّلَ لَهُمْ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا.وَالذِينَ وَرِثُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيل عَنْ أَسْلاَفِهِم السَّابِقِينَ،هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ كِتَابِهِمْ،لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِه حَقَّ الإِيْمَانِ .وَهُمْ يَقَلِّدُونَ أَسْلاَفَهُمْ بِلاَ حُجَّةٍ وَلاَ دَلِيلٍ وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمْ فِي شَكٍّ وَحِيرَةٍ مُقْلِقَيْنِ [٨٠٦]

وعَنْ عَبَّادِ بْنِ أَبِى سَعِيدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الأَرْبَعِ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ ».[٨٠٧]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا ». رواه مسلم[٨٠٨].

---

[٨٠٤] - الْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٥٧٤)

[٨٠٥] - الْمُحَدِّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوِي وَالْوَاعِي لِلرَّامَهُرْمُزِيِّ (٨٦) صحيح مقطوع

[٨٠٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٦٥)

[٨٠٧] - سنن أبي داود - المكتز - (١٥٥٠) صحيح

[٨٠٨] - صحيح مسلم- المكتز - (٧٠٨١)

٨- تلقي العلم عن أهله الأكفاء،من العلماء الراسخين،والأتقياء الصالحين،وأخذ كل فن من المختصين به،المحسنين له.

فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ:إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ."[٨٠٩]

وقَال مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ "

وَيَكُونُ قَدْ وَسَمَ نَفْسَهُ بِآدَابِ الْعِلْمِ،مِنَ اسْتِعْمَالِ:الصَّبْرِ وَالْحِلْمِ،وَالتَّوَاضُعِ لِلطَّالِبِينَ،وَالرِّفْقِ بِالْمُتَعَلِّمِينَ،وَلِينِ الْجَانِبِ،وَمُدَارَاةِ الصَّاحِبِ،وَقَوْلِ الْحَقِّ،وَالنَّصِيحَةِ لِلْخَلْقِ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ،وَالنُّعُوتِ الْجَمِيلَةِ[٨١٠]

٩- الصبر على التعلم والحفظ والمراجعة،واستغلال الوقت واكتساب الفراغ،قبل ذهابهما بما يستطيع من الاستزادة من العلم،فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ،شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ،وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "[٨١١]

وعَنِ الأَحْنَفِ،قَالَ:قَالَ عُمَرُ:تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا."[٨١٢]

يُرِيدُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَخْدُمِ الْعِلْمَ فِي صِغَرِهِ اسْتَحْيَى أَنْ يَخْدُمَهُ فِي كِبَرِ السِّنِّ وَإِدْرَاكِ السُّؤْدَدِ " قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ وَبَلَغَنِي عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ،أَنَّهُ قَالَ:مَنْ تَرْأَسَ فِي حَدَاثَتِهِ كَانَ أَدْنَى عُقُوبَتِهِ أَنْ يَفُوتَهُ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْعِلْمِ.وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ،رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ:مَنْ طَلَبَ الرِّيَاسَةَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَوَانِهِ لَمْ يَزَلْ فِي ذُلٍّ مَا بَقِيَ،أَنْشَدَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ أَنْشَدَنِي سَهْلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ:أَنْشَدَنَا مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ لِنَفْسِهِ :

الْكَلْبُ أَكْرَمُ عِشْرَةً وَهُوَ النِّهَايَةُ فِي الْخَسَاسَةْ

مِمَّنْ يُنَازِعُ فِي الرِّيَاسَةِ قَبْلَ أَوْقَاتِ الرِّيَاسَةْ[٨١٣]

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:" يَا طَالِبَ الْعِلْمِ إِنَّ الْعِلْمَ ذُو فَضَائِلَ كَثِيرَةٍ:فَرَأْسُهُ التَّوَاضُعُ،وَعَيْنُهُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَسَدِ،وَأُذُنُهُ الْفَهْمُ،وَلِسَانُهُ الصِّدْقُ،وَحِفْظُهُ الْفَحْصُ،وَقَلْبُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ،وَعَقْلُهُ مَعْرِفَةُ الْأَشْيَاءِ وَالْأُمُورُ الْوَاجِبَةُ،وَيَدُهُ الرَّحْمَةُ،وَرِجْلُهُ زِيَادَةُ الْعُلَمَاءِ،وَهِمَّتُهُ السَّلَامَةُ،وَحِكْمَتُهُ الْوَرَعُ،وَمُسْتَقَرُّهُ النَّجَاةُ،وَقَائِدُهُ الْعَافِيَةُ،وَمَرْكَبُهُ الْوَفَاءُ،وَسِلَاحُهُ لِينُ الْكَلِمَةِ،وَسَيْفُهُ الرِّضَا،وَفَرَسُهُ الْمُدَارَاةُ،وَجَيْشُهُ مُحَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ،وَمَالُهُ الْأَدَبُ،وَذَخِيرَتُهُ اجْتِنَابُ الذُّنُوبِ،وَزَادُهُ الْمَعْرُوفُ،وَمَاؤُهُ الْمُوَادَعَةُ،وَدَلِيلُهُ الْهُدَى،وَرَفِيقُهُ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ " وَيَكُونُ قَدْ أَخَذَ فِقْهَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ،لَا مِنَ الصُّحُفِ"[٨١٤]

---

[٨٠٩] - صحيح مسلم- المكتز - (٢٦)

[٨١٠] - الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٨٤١)

[٨١١] - شعب الإيمان - (١٢ / ٤٧٦) (٩٧٦٧) صحيح

[٨١٢] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٣٣٦) (٢٦٦٤٠) صحيح

[٨١٣] - الْعُزْلَةُ لِلْخَطَّابِيِّ (١٩٦)

[٨١٤] - الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٨٤٢) ضعيف

١٠- السؤال عن كل ما استعصى عليه فهمه،والبحث في كل مسألة حتى يتقنها،وعدم الحياء في طلب العلم. فعَنْ مُغِيرَةَ قَالَ:قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَيْفَ أَصَبْتَ هَذَا الْعِلْمَ ؟ قَالَ:" بِلِسَانٍ سَؤُولٍ،وَقَلْبٍ عَقُولٍ " [٨١٥].

وعَنْ دَغْفَلَ بْنِ حَنْظَلَةَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ شَيْبَانَ قَالَ:قَالَ لِي مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" يَا دَغْفَلُ،مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ هَذَا الْعِلْمَ ؟ قُلْتُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،عَلِمْتُهُ بِلِسَانٍ سَئُولٍ وَقَلْبٍ عُقُولٍ وَأُذُنٍ وَاعِيَةٍ لِلْعِلْمِ "

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ:أَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى دَغْفَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَسْأَلُ عَنِ الْعَرَبِيَّةِ وَالنَّحْوِ وَالنِّسْبَةِ فَقَالَ:يَا دَغْفَلُ مِنْ أَيْنَ حَفِظْتَ هَذَا ؟ قَالَ:بِلِسَانٍ سَئُولٍ وَقَلْبٍ عُقُولٍ وَأُذُنٍ وَاعِيَةٍ "[٨١٦]

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ:" لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ "[٨١٧].

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِىَّ -ﷺ- عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ فَقَالَ « تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا ». فَقَالَتْ أَسْمَاءُ وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِى ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ « تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ - أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِى الدِّينِ[٨١٨].

١١- التبكير إلى مجالس العلم،والحرص على كل ما يرد فيها من أفكار ومعان وبركات،وتقييدها بالكتابة،وتصنيفها وتبويبها بعد مراجعتها في البيت.

قال الشافعي:

العلم صيد والكتابة قيده .....قيّد صيودك بالحبال الواثقة

١٢- استكمال العدة اللازمة للدخول في عداد طلاب العلم ومنها ثمانية أشياء: الدليل: وهو المعلم الكامل،والزاد: وهو التقوى،والسلاح: وهو الوضوء،والسراج: وهو الذكر،والمنهاج: وهو الشريعة المحمدية،والهمة الصادقة القوية،والأخوة في الله المصاحبين بالصدق،وتجنب اتباع الهوى.

آداب المتعلم مع المعلم:

التواضع للمعلم ولو كان أصغر سنا،إذ ليس من الذل المكروه أن يتذلل طالب العلم لمعلمه.

---

[٨١٥] - فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ(١٨٤٤) فيه انقطاع

[٨١٦] - الآحاد والمثاني - (٣ / ١٧٠)(١٦٧٣) حسن

[٨١٧] - المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - (٣١٣) صحيح

[٨١٨] - صحيح مسلم- المكتز - (٧٧٦) -السدرة : شجرة النبق -الفرصة : قطعة من قطن أو صوف

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ،كَانَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُمْلِي عَلَيْنَا فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ فَلَحِقَتْهُ الشَّمْسُ فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ فَقَالَ:يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي الشَّمْسِ فَأَنْشَأَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ :

أُهِينُ لَهُمْ نَفْسِي لِأُكْرِمَهَا بِهِمْ وَلَنْ يُكْرِمَ النَّفْسَ الَّذِي لَا يُهِينُهَا

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا "[٨١٩]

وعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ قَالَ:يُقَالُ:" مَا أَحْسَنَ الْإِسْلَامَ وَيَزِينُهُ الْإِيمَانُ،وَمَا أَحْسَنَ الْإِيمَانَ وَيَزِينُهُ التَّقْوَى،وَمَا أَحْسَنَ التَّقْوَى وَيَزِينُهَا الْعِلْمُ،وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ وَيزِينُهُ الْحِلْمُ،وَمَا أَحْسَنَ الْحِلْمَ وَيزِينُهُ الرِّفْقُ " وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ حُلَّتَا كَرَمٍ لِلْمَرْءِ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ فَنَالَ السُّمُوَّ وَارْتَفَعَا
صِنْوَانِ لَا يَسْتَتِمُّ حُسْنُهُمَا إِلَّا بِجَمْعٍ لِذَا وَذَاكَ مَعًا
كُلُّ رُفَيْعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا أَخْمَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا " وَكَانَ يَقُولُ:" لِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ "[٨٢٠]

وعن الْأَصْمَعِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ شُعْبَةَ،يَقُولُ:" كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنَ الرَّجُلِ الْحَدِيثَ،كُنْتُ لَهُ عَبْدًا مَا حَيِيَ،فَكُلَّمَا لَقِيتُهُ سَأَلْتُهُ عَنْهُ "[٨٢١] .

احترام العالم وتقديره وإكرامه،والنظر اليه بعين الإكبار والإجلال والتعظيم.

قال الشافعي: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحا رقيقا هيبة لئلا يسمع وقعها[٨٢٢].

وعن مُحَمَّدَ بْنِ إِسْحَاقَ قال:سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ،يَقُولُ:وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ " [٨٢٣]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا ». " رواه الترمذي[٨٢٤].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا ».[٨٢٥]

---

[٨١٩] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٥٥٠)

[٨٢٠] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٥٨٩) حسن ، وخبر ابن عباس فيه انقطاع

[٨٢١] – الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٣١٨)

[٨٢٢] – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (٧ / ٧٥)

[٨٢٣] – الْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٥٦٣) صحيح

[٨٢٤] – سنن الترمذى– المكتر – (٢٠٤٤) صحيح

[٨٢٥] – مسند الحميدي – المكتر – (٦١٤) صحيح

وعَنْ عُمَرَ بْنِ مخْرَاق،قَالَ: مَرَّ عَلَى عَائشَةَ رَجُلٌ ذُو هَيْئَة فَدَعَتْهُ يَقْعُدُ مَعَهَا وَمَرَّ آخَرُ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً،فَقِيلَ لَهَا،فَقَالَتْ: " أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺأَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ "[٨٢٦]

القيام للعالم عند دخوله،وتقبيل يده احتراما ومحبة وتبركا وتقديرا.

قال الله تعالى:{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} الحج.

وعَنْ الزَّارِعِ:أَنَّهُ وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،وَخَرَجَ مَعَهُ بِأَخِيهِ لأُمِّهِ يُقَالُ لَهُ:مَطَرُ بْنُ هِلالٍ مِنْ عَنْزَةَ،وَخَرَجَ بِابْنِ أَخٍ لَهُ مَجْنُونٍ،وَمَعَهُمُ الأَشَجُّ،وَكَانَ اسْمُهُ مُنْذِرُ بْنُ عَائِذٍ،فَقَالَ الْمُنْذِرِ،يَا زَارِعُ:خَرَجْتَ مَعَنَا بِرَجُلٍ مَجْنُونٍ وَفَتًى شَابٍّ لَيْسَ مِنَّا،وَافِدِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،قَالَ الزَّارِعُ:أَمَّا الْمُصَابُ،فَآتِي بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَدْعُو لَهُ،عَسَى أَنْ يُعَافِيَهُ اللَّهُ،وَأَمَّا الْفَتَى الْعَنْزِيُّ،فَإِنَّهُ أَخِي لأُمِّي،وَأَرْجُو أَنْ يَدْعُوَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺبِدَعْوَةٍ،تُصِيبُهُ دَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ،فَمَا عَدَا أَنْ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ،قِيلَ:هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،فَمَا تَمَالَكْنَا أَنْ وَثَبْنَا عَنْ رَوَاحِلِنَا،فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا،فَأَخَذْنَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ نُقَبِّلُهُمَا،وَأَنَاخَ الْمُنْذِرُ رَاحِلَتَهُ،فَعَقَلَهَا،وَذَاكَ بِعَيْنِ النَّبِيِّ ﷺ،ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَوَاحِلِنَا،فَأَنَاخَهَا رَاحِلَةً رَاحِلَةً،فَعَقَلَهَا كُلَّهَا،ثُمَّ عَمَدَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَفَتَحَهَا،فَوَضَعَ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ،ثُمَّ أَتَى يَمْشِي،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَشَجُّ:إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ " قَالَ:وَمَا هُمَا بِأَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ:الْحِلْمُ،وَالأَنَاةُ " قَالَ:فَأَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا،أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا ؟ قَالَ:اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا،قَالَ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ،قَالَ الزَّارِعُ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ:بِأَبِي وَأُمِّي،جِئْتُ بِابْنِ أَخٍ لِي مُصَابٍ،لِتَدْعُوَ اللَّهَ لَهُ،وَهُوَ فِي الرِّكَابِ،قَالَ:فَأْتِ بِهِ "قَالَ:فَأَتَيْتُهُ،وَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعَ الأَشَجُّ،فَأَخَذْتُ عَيْبَتِي،فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا ثَوْبَيْنِ حَسَنَيْنِ،وَأَلْقَيْتُ عَنْهُ ثِيَابَ السَّفَرِ،وَأَلْبَسْتُهُمَا إِيَّاهُ،ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ،فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺوَهُوَ يَنْظُرُ،نَظَرَ الْمَجْنُونِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْعَلْ ظَهْرَهُ مِنْ قِبَلِي " فَأَقَمْتُهُ،فَجَعَلْتُ ظَهْرَهُ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ،وَوَجْهُهُ مِنْ قِبَلِي،فَأَخَذَهُ،ثُمَّ جَرَّهُ بِمَجَامِعِ رِدَائِهِ فَرَفَعَ يَدَهُ،حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبِطَيْهِ،ثُمَّ ضَرَبَ بِثَوْبِهِ ظَهْرَهُ،وَقَالَ:اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ " فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَنْظُرُ نَظَرَ الصَّحِيحِ،ثُمَّ أَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ،فَدَعَا لَهُ،وَمَسَحَ وَجْهَهُ،قَالَ:فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ الْمَسْحَةَ فِي وَجْهِهِ،وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ،كَأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهَ عَذْرَاءَ شَبَابًا،وَمَا كَانَ فِي الْقَوْمِ رَجُلٌ يُفَضَّلُ عَلَيْهِ،بَعْدَ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ،ثُمَّ دَعَا لَنَا عَبْدَ الْقَيْسِ،فَقَالَ:خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ،رَحِمَ اللَّهُ عَبْدَ الْقَيْسِ،إِذَا أَسْلَمُوا،غَيْرَ خَزَايَا،إِذْ أَبَى بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يُسْلِمُوا " قَالَ:ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَدْعُو لَنَا،حَتَّى زَالَتِ الشَّمْسُ،قَالَ الزَّارِعُ:قُلْتُ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ:إِنَّ مَعَنَا،ابْنَ أُخْتٍ لَنَا،لَيْسَ مِنَّا،قَالَ:ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ " فَانصرفنَا رَاجِعِينَ،فَقَالَ الأَشَجُّ:أَنْتَ كُنْتَ يَا زَارِعُ:أَمْثَلَ رَأْيًا مِنِّي فِيهِمَا،وَكَانَ فِي الْقَوْمِ جَهْمُ بْنُ قُثَمَ،كَانَ قَدْ شَرِبَ قَبْلَ ذَلِكَ بِالْبَحْرَيْنِ مَعَ ابْنِ عَمٍّ لَهُ،فَقَامَ إِلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ،فَضَرَبَ سَاقَهُ بِالسَّيْفِ،فَكَانَتْ تِلْكَ الضَّرْبَةُ فِي سَاقِهِ،قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي وَأُمِّي،إِنَّ أَرْضَنَا،ثَقِيلَةً،وَخَمَةً،وَإِنَّا نَشْرَبُ مِنْ

[٨٢٦] – شعب الإيمان – (١٣ / ٣٦٨) (١٠٤٨٩) حسن لغيره

هَذَا الشَّرَابِ عَلَى طَعَامِنَا،فَقَالَ:لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَشْرَبَ الإِنَاءَ،ثُمَّ يَزْدَادَ إِلَيْهَا أُخْرَى،حَتَّى يَأْخُذَ فِيهِ الشَّرَابُ،فَيَقُومُ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ،فَيَضْرِبُ سَاقَهُ بِالسَّيْفِ " فَجَعَلَ يُغَطِّي جَهْمُ بْنُ قُثَمَ سَاقَهُ،قَالَ:فَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ،وَالنَّقِيرِ،وَالْحَنْتَمِ. "[٨٢٧]

وعن امراة من صباح عَبْد القَيْس،يُقال لها:أم أَبَان ابنة الوازع،عن جَدِّها،أن جَدَّها الزَّارع بن عامر،قال: قَدِمْنَا،فَقِيل:ذَاكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَأَخَذْنَا بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ نُقَبِّلُهُمَا." رواه البخاري في الأدب[٨٢٨].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَبَّلَ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ.[٨٢٩].

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِى لَيْلَى أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَ فِى سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايَا رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً فَكُنْتُ فِيمَنْ حَاصَ – قَالَ – فَلَمَّا بَرَزْنَا قُلْنَا كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ فَرَرْنَا مِنَ الزَّحْفِ وَبُؤْنَا بِالْغَضَبِ فَقُلْنَا نَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَنَتَثَبَّتُ فِيهَا وَنَذْهَبُ وَلاَ يَرَانَا أَحَدٌ – قَالَ – فَدَخَلْنَا فَقُلْنَا لَوْ عَرَضْنَا أَنْفُسَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– فَإِنْ كَانَتْ لَنَا تَوْبَةٌ أَقَمْنَا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ ذَهَبْنَا – قَالَ – فَجَلَسْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– قَبْلَ صَلاَةِ الْفَجْرِ فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا نَحْنُ الْفَرَّارُونَ فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا فَقَالَ « لاَ بَلْ أَنْتُمُ الْعَكَّارُونَ ». قَالَ فَدَنَوْنَا فَقَبَّلْنَا يَدَهُ فَقَالَ « أَنَا فِئَةُ الْمُسْلِمِينَ ».رواه أبو داود[٨٣٠].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ،قَالَ:" قُمْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَبَّلْنَا يَدَهُ "[٨٣١]

وعَنِ ابْنِ جُدْعَانَ،قَالَ ثَابِتٌ لِأَنَسٍ:أَمَسَسْتَ النَّبِيَّ ﷺبِيَدِكَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،فَقَبَّلَهَا " رواه البخاري في الأدب[٨٣٢].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قَالَ ثَابِتٌ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:" مَسَسْتَ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ:نَعَمْ قَالَ:فَنَاوِلْنِي يَدَكَ فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا " [٨٣٣]

---

[٨٢٧] – كشف الأستار – (٣ / ٢٧٨) (٢٧٤٦) حسن

[٨٢٨] – الأدب المفرد للبخاري – (٩٧٥) حسن

[٨٢٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٢٧٣) (٤٧٥٠) حسن

[٨٣٠] – سنن أبي داود – المكتر – (٢٦٤٩) حسن –الحيصة : الفرار –العكارون : العائدون إلى القتال

فيه يزيد بن زياد الكوفى مختلف فيه والراجح فيه أنه صدوق ساء حفظه بآخره ورواية الكبار عنه موثوقة ، وهذا من رواية سفيان وغيره ، راجع التهذيب ٣٢٩/١١-٣٣١ والكاشف (٦٤١٧) والديوان (٤٧٢٣)

[٨٣١] – الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٣١٤) حسن

وفي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير الشرف والعلم كذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك لأن لهما حقا وهذا من التواضع "شرح رياض الصالحين لابن عثيمين – (٤ / ٥٢)

[٨٣٢] – الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١٠١١) حسن

[٨٣٣] – الْإِخْوَانُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (١٤٤) حسن

وعَنِ ابْنِ جُدْعَانَ:قَالَ قَالَ ثَابِتٌ لأَنَسٍ:" يَا أَبَا حَمْزَةَ،هَلْ مَسَسْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِيَدِكَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَنَاوِلْنِيهَا،فَأَعْطَاهُ يَدَهُ فَقَبَّلَهَا "[٨٣٤]

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ:رَأَيْتُ عَلِيًّا يُقَبِّلُ يَدَ الْعَبَّاسِ وَرِجْلَيْهِ " رواه البخاري في الأدب[٨٣٥].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ فِى قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. قَالَتْ وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- قَامَ إِلَيْهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِى مَجْلِسِهِ وَكَانَ النَّبِىُّ -ﷺ- إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ مِنْ مَجْلِسِهَا فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِى مَجْلِسِهَا فَلَمَّا مَرِضَ النَّبِىُّ -ﷺ- دَخَلَتْ فَاطِمَةُ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَبَكَتْ ثُمَّ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ أَعْقَلِ نِسَائِنَا فَإِذَا هِىَ مِنَ النِّسَاءِ فَلَمَّا تُوُفِّىَ النَّبِىُّ -ﷺ- قُلْتُ لَهَا أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَبْتِ عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَبَكَيْتِ ثُمَّ أَكْبَبْتِ عَلَيْهِ فَرَفَعْتِ رَأْسَكِ فَضَحِكْتِ مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ قَالَتْ إِنِّى إِذًا لَبَذِرَةٌ أَخْبَرَنِى أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ ثُمَّ أَخْبَرَنِى أَنِّى أَسْرَعُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَذَاكَ حِينَ ضَحِكْتُ." [٨٣٦] .

التأدب في مجلس العالم بجلسته وكلامه،وحسن استماعه وسؤاله. قَالَ أَبُو عُمَرَ:وَرُوِّينَا مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ،أَنَّهُ قَالَ:" لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ لَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا " قَالَ الشَّعْبِيُّ:" كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَحُرِمَ بِذَلِكَ عِلْمًا كَثِيرًا " وَقَالَ الْحُكَمَاءُ:إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ " وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ لِابْنِهِ:" يَا بُنَيَّ،إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ،وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الِاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الصَّمْتِ،وَلَا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثًا وَإِنْ طَالَ حَتَّى يُمْسِكَ " وَقَالَ الشَّعْبِيُّ:" جَالِسُوا الْعُلَمَاءَ ؛ فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْسَنْتُمْ حَمِدُوكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ تَأَوَّلُوا لَكُمْ وَعَذَرُوكُمْ وَإِنْ أَخْطَأْتُمْ لَمْ يُعَنِّفُوكُمْ وَإِنْ جَهِلْتُمْ عَلَّمُوكُمْ وَإِنْ شَهِدُوا لَكُمْ نَفَعُوكُمْ "[٨٣٧]

تجنب الانصراف،ومغادرة مجلس العلم إلا بإذن من المعلم،فإذا أذن له فليستغفر الله لأن الأولى أن لا يغادر مجلس العلم قبل انتهائه.قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٦٢) سورة النور.

---

[٨٣٤] – الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ (٢٧٦٢) حسن

[٨٣٥] – الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ لِلْبُخَارِيِّ (١٠١٣) حسن

[٨٣٦] – سنن الترمذى- المكتز – (٤٢٤٦) صحيح

البذرة : البذر الذى يفشى السر ويظهر ما يسمعه –الدل : الشكل والشمائل

[٨٣٧] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٦١٤) بلاغاً بلا سند

هُنَا يُؤَدِّبُ اللهُ النَّاسَ،فَكَمَا أَمَرَهُمْ بالاستئذان عِنْدَ الدُّخُولِ،كَذَلِكَ أَمَرَهُمْ اللهُ تَعَالَى بِأَلاَّ يَتَفَرَّقُوا عَنِ النَّبِيِّ إِلاَّ بعدَ استئذانه ومُشَاوَرَته،وللرَّسُولِ ﷺأَنْ يَأْذَنَ لِمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ .

وَرَوَى ابنُ إِسْحَاقَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ:لَمّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ وَالأَحْزَابُ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ الخَنْدَقِ،أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺبِحَفْرِ خَنْدَقِ المَدِينَةِ،وَأَخَذَ يَعْمَلُ بِنَفْسِهِ تَرْغِيباً للمُسْلِمِينَ فِي الأَجْرِ،فَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ،وَأَبْطَأَ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ،وَأَخَذُوا يَقُومُونَ بالضَّعِيفِ مِنَ العَمَلِ وَيَتَسَلَّلُونَ بِغَيْرِ إِذْنِ الرَّسُولِ ﷺ. وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَأْذِنُونَ الرَّسُولَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِم،فَإِذَا قَضَى أَحَدُهُمْ حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ،رَغْبَةً فِي الخَيْرِ والأَجْرِ،واحْتِسَاباً لَهُ،وَيَقُولُ تَعَالَى إِنَّ هَؤُلاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً .[٨٣٨]

الاستئذان في الصحبة،وطلب العلم من المعلم. وطاعته في كل ما يأمره بهسوى معصية الله.

قال الله تعالى:{ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩)} الكهف.

قَالَ لَهُ مُوسَى:إِنَّهُ مُوسَى نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ،وَإِنَّهُ جَاءَهُ لِيُعَلِّمَهُ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ،لِيَسْتَرْشِدَ بِهِ،فَهَلْ يَسْمَحُ لَهُ بِمُرَافَقَتِهِ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ:إِنَّهُ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ لاَ يَعْلَمُهُ مُوسَى،وَلاَ يَسْتَطِيعُ مُوسَى أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مُرَافَقَتِهِ حَتَّى يَتَعَلَّمَهُ.ثُمَّ قَالَ لَهُ:وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَى أُمُورٍ لاَ تَعْرِفُ أَنْتَ خَفَايَاهَا،وَالْمَصْلَحَةُ البَاطِنَةُ فِيهَا،التِي أَطْلَعَنِي اللهُ عَلَيْهَا؟

فَقَالَ لَهُ مُوسَى:سَتَجِدُنِي صَابِراً إِنْ شَاءَ اللهُ عَلَى مَا سَأَرَى مِنَ الأُمُورِ مِنْكَ،وَلَنْ أَعْصِي أَمْراً لَكَ،وَلَنْ أُخَالِفَكَ فِي شَيْءٍ .[٨٣٩]

وقال الشعراوي:" كأن موسى عليه السلام يُعلِّمنا أدب تلقّي العلم وأدب التلميذ مع معلمه،فمع أن الله تعالى أمره أن يتبع الخضر،فلم يقُل له مثلاً: إن الله أمرني أن أتبعك،بل تلطّف معه واستسمحه بهذا الأسلوب: { هَلْ أَتَّبِعُكَ.. } [الكهف: ٦٦] والرشد: هو حُسْن التصرّف في الأشياء،وسداد المسلك في علة ما أنت بصدده،وسبق أن قلنا: إن الرُّشْد يكون في سنِّ البلوغ،لكن لا يعني هذا أن كل مَنْ بلغ يكون راشداً،فقد يكون الإنسان بالغاً وغير راشد،فقد يكون سفيهاً.

لذلك لما تكلم الحق سبحانه عن اليتامى قال:{ وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى }[النساء: ٦] أي: اختبروهم،واختبار اليتيم يكون حال يُتْمه وهو ما يزال في كفالتك،فعليك أنْ تكلّفه بعمل لإصلاح حاله،وتعطيه جزءاً من ماله يتصرَّف فيه تحت عينك وفي رعايتك،لترى كيف سيكون تصرفه.

---

[٨٣٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٣٥)

[٨٣٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٢٠٦)

عليك أنْ تحرص على تدريبه لمواجهة الحياة،لا أن تجعله في مَعْزل عنها إلى أنْ يبلغَ الرشْد،ثم تدفع إليه بماله فلا يستطيع التصرف فيه لعدم خبرته،وإنْ فشل كانت التجربة في ماله والخسارة عليه.

إذن: فاختبار اليتيم يتمُّ وهو ما يزال في ولايتك،وتحت سمعك وبصرك رعاية لحقه.{ حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ.. }[النساء: ٦] وهو سن البلوغ،ولم يقُلْ بعدها: فادفعوا إليهم أموالهم؛ لأن بعد البلوغ شرطاً آخر{ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً.. }[النساء: ٦] فعلى الوصيّ أنْ يُراعِيَ هذا الترتيب:

أنْ تُراعي اليتيم وهو تحت ولايتك،وتدفع به في مُعْتَرك الحياة وتجاربها حتى يتمكن من مواجهة الحياة ولا يتخبط في ماله لعدم تجربته وخبرته،فإن علمت رشده بعد البلوغ فادفع إليه بماله ليتصرف فيه،فإن لم تأنس منه الرشد وحسن التصرف فلا تترك له المال يبدده بسوء تصرفه. لذلك يقول تعالى في هذا المعنى:{ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ.. }[النساء: ٥] ولم يقُلْ: أموالهم؛ لأن السفيه لا مالَ له حال سَفَهه،بل هو مالكم لِتُحسِنوا التصرف فيه وتحفظوه لصاحبه لحين تتأكد من رُشْده.

إذن: فالرشد الذي طلبه موسى من العبد الصالح هو سداد التصرف والحكمة في تناول الأشياء،لكن هل يعني ذلك أن موسى ــ عليه السلام ــ لم يكن راشداً؟ لا،بل كان راشداً في مذهبه هو كرسول،راشداً في تبليغ الأحكام الظاهرية.

أما الرشد الذي طلبه فهو الرشد في مذهب العبد الصالح،وقد دلّ هذا على أنه طلب شيئاً لم يكن معلوماً له،وهذا لا يقدح في مكانة النبوة؛ لأن الحق سبحانه وتعالى قال:{ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }[الإسراء: ٨٥] وقال للنبي ﷺ:{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً }[طه: ١١٤]

لذلك يقول الشاعر:

كُلّما ازْدَدْتُ عُلوماً زِدْتُ إيقَانَاً بجْهلي

لأن معنى أنه ازداد عِلْماً اليوم أنه كان ناقصاً بالأمس،وكذلك هو ناقص اليوم ليعلمَ غداً.

والإنسان حينما يكون واسعَ الأفق محباً للعلم،تراه كلما عَلِم قضية اشتاق لغيرها،فهو في نَهمٍ دائم للعلم لا يشبع منه،كما قال ﷺ: " منهومان لا يشبعان: طالب علم،وطالب مال ".

والشاعر الذي تنَّبه لنفسه حينما دَعَتْه إلى الغرور والكبرياء والزَّهْو بما لديه من علم قليل،إلا أنه كان متيقظاً لخداعها،فقال

قالتِ النفْسُ قَدْ عِلمْتُ كَثِيراً قُلْتُ هَذَا الكثيرُ نَزْعٌ يسيرُ

ثم جاء بمثل توضيحي:

تَمْلأُ الكُوزَ غَرْفَةٌ من مُحيط فَيَرى أنَّهُ المحيطُ الكَبيرُ

ثم يقول الحق سبحانه: { قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً }.

هنا يبدأ العبد الصالح يُملي شروط هذه الصُّحْبة ويُوضّح لموسى ــ عليه السلام ــ طبيعة عِلْمه ومذهبه،فمذهبُك غير مذْهبي،وعلمي من كيس غير كيسك،وسوف ترى مني تصرفات لن تصبر

عليها؛ لأنه لا علْم لك ببواطنها،وكأنه يلتمس له عُذْراً على عدم صَبْره معه؛ لذلك يقول: { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً }.فلا تحزن لأني قُلت: لن تستطيع معي صبراً؛ لأن التصرفات التي ستعترض عليها ليس لك خُبر بها،وكيف تصبر على شيء لا عِلْمَ لك به؟

ونلحظ في هذا الحوار بين موسى والخضر ــ عليهما السلام ــ أدبَ الحوار واختلافَ الرأي بين طريقتين: طريقة الأحكام الظاهرية،وطريقة ما خلف الأحكام الظاهرية،وأن كلاً منهما يقبَل رأْيَ الآخر ويحترمه ولا يعترض عليه أو يُنكره،كما نرى أصحاب المذاهب المختلفة ينكر بعضهم على بعض،بل ويُكفِّر بعضهم بعضاً،فإذا رأَوْا مثلاً عبداً مَنْ عباد الله اختاره الله بشيء من الفيوضات،فكانت له طريقة وأتباع نرى من ينكر عليه،وربما وصل الأمر إلى الشتائم والتجريح،بل والتكفير.

لقد تجلى في قول الخضر: { وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً } [الكهف: ٦٨] مظهر من مظاهر أدب المعلّم مع المتعلِّم،حيث احترم رأيه،والتمس له العُذْر إن اعترض عليه،فلكُلٍّ منهما مذهبه الخاص،ولا يحتج بمذهب على مذهب آخَر.

فماذا قال المتعلم بعد أن استمع إلى هذه الشروط؟ { قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ.. }.أي: أنا قابل لشروطك أيُّها المعلم فاطمئن،فلن أجادلك ولن أعارضك في شيء. وقدّم المشيئة فقال: { إِن شَآءَ اللَّهُ.. } [الكهف: ٦٩] ليستميله إليه ويُحنَّن قلبه عليه { صَابِراً.. } [الكهف: ٦٩] على ما تفعل مهما كان { وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً } [الكهف: ٦٩] وهكذا جعل نفسه مأموراً،فالمعلم آمراً،والمتعلّم مأمور.

وهذا تأكيد من الخضر لموسى،وبيان للطريقة التي يجب اتباعها في مصاحبته: إنْ تبعتني فلا تسألْني حتى أخبرك،وكأنه يُعلِّمه أدب تناول العلم والصبر عليه،وعدم العجلة لمعرفة كل أمر من الأمور على حدة.[٨٤٠]

القيام بحقوق المعلم على أكمل وجه،وقد جمعها الكثير من السلف الصالح نختار منها ما يلي:

وقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:" مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتَخُصَّهُ دُونَهُمْ بِالتَّحِيَّةِ،وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ،وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ،وَلَا تَغْمِزَنَّ بِعَيْنَيْكَ،وَلَا تَقُولَنَّ:قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِه،وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا،وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِه،وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِه،وَلَا تُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسِلَ،وَلَا تُعْرِضَ مِنْ طُولِ صُحْبَتِه ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ،وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَالِمَ لَأَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّه،وَإِذَا مَاتَ الْعَالِمُ انْثَلَمَتْ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "[٨٤١].

---

[٨٤٠] – تفسير الشعراوي – (/ ٢١٩٠)

[٨٤١] – الْجَامِعُ لِأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٣٤٧) فيه انقطاع

قال الإمام الغزالي:آداب المتعلم مع العالم

"أن يبدأه بالتحية والسلام،وأن يقلل بين يديه الكلام،ولا يتكلم ما لم يسأله أستاذه،ولا يسأل ما لم يستأذن أولا،ولا يقول في معارضة قوله: قال فلان بخلاف ما قلت،ولا يشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه،ولا يسأل جليسه في مجلسه،ولا يلتفت إلى الجوانب،بل يجلس مطرقا ساكنا متآدبا كأنه في الصلاة،ولا يكثر عليه السؤال عند مله،وإذا قام قام له،ولا يتبعه بكلامه وسؤاله،ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله،ولا يسيء الظن به في أفعال ظاهرها منكرة عنده،فهو أعلم بأسراره،وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر – عليهما السلام: (أَخَرَقْتَها لِتُغرِقَ أَهلَها،لَقَد جِئتَ شَيئاً إمرا)،وكونه مخطئا في إنكاره اعتمادا على الظاهر."[٨٤٢].

وقال بعض العلماء: من حق أستاذك عليك أن تتواضع له وتحبه حب الفناء،ولا تخرج عن رأيه وتوجيهه،وأن تشاوره فيما تقصده،وتتحرى رضاه فيما يعتمده،وتنظر اليه بعين الإجلال،وتعتقد فيه درجة الكمال،وأن تعرف حقه،ولا تنسى له فضله،وتحضر إلى درسه قبل أن يأتي،ولا تتنقل أثناء درسه،ولا تتقدم في السير عليه،وأن تدعو له مدة حياته،وأن تصبر على صحبته،وتجلس بين يديه بسكون وتواضع واحترام،وأن تصغي إليه،وتنظر اليه مقبلا بكليتك عليه،غير ملتفت عنه،وأن لا تعبث بيديك أو رجليك أو أنفك أو دفترك أثناء كلامه،وأن تدفع الضحك والقهقهة والتثاؤب في حضرته،وأن تستأذن للدخول عليه وللانصراف من عنده،وأن تدخل عليه كامل الهيئة،متطهر البدن،نظيف الثياب،فارغا من الشواغل،حاضر القلب بذكر الله عز وجل وإرادة وجهه.

وقال الامام الشافعي:

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ...ولن تكرم النفس التي لا تهينها

وقال شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا .....كاد المعلم أن يكون رسولا

أرأيت أعظم أو أجلّ من الذي ...يبني وينشئ أنفسا وعقولا

وقال غيره:

أرى فضل أستاذي على فضل والدي وإن ...نالني من والدي العزّ والتحف

فهذا مربي العقل والعقل جوهر .....وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

[٨٤٢] – بداية الهداية – (١ / ٢١)

-٢٦-آداب تلاوة القرآن الكريم

القرآن الكريم كتاب الله الخالد،وكلامه القديم،ومعجزة نبيه الكبرى،وجامعة الإسلام العظمى،وصفه الذي أنزله بالعلم: {لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا} (١٦٦) سورة النساء.

إن يكفر بك اليهود وغيرهم -أيها الرسول- فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أَنْزَلَ عليه القرآن العظيم،أنزله بعلمه،وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحي إليك،وشهادة الله وحدها كافية.[٨٤٣]

وبالحكمة:{ يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)} يس.

أُقْسِمُ بِالقُرآنِ المُحْكَمِ المُشْتَمِلِ عَلى الحِكْمَةِ والعِلْمِ النَّافِعِ،الذي لا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِه.

وبالكرم:{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)} الواقعة.

أَقْسَمَ تَعَالَى بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ القُرْآن الذي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺهُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ جَمُّ المَنَافِعِ،عَظِيمُ الفَوَائِدِ،لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ حِكْمٍ وَعِبَرٍ وَخَيْرٍ لِلْعِبَادِ[٨٤٤] .

وبالمجد:{ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)} ق.

يُقسِمُ تَعَالى بالقُرآنِ المَجيدِ،الكَثيرِ الخَيْرِ والبَرَكَةِ،عَلَى أنَّ مُحَمَّداً هُوَ مِنَ المُرسَلِينَ .

وبالعزة:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١)} فصلت.

وَالذينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ القُرْآنِيَةِ،والقُرآنُ كِتَابٌ عَزِيزٌ قَوِيٌّ مَنيعُ الجَانِبِ،سَيُلاَقُونَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَهُمْ لاَ يَخْفَوْنَ عَلَى اللهِ .

وبالعظمة:{ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} الحجر.

هنا يمتنُّ الحق سبحانه على رسوله ﷺبأنه يكفيه أنْ أنزلَ عليه القرآن الكتاب المعجزة،والمنهج الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه. فالقرآن يضمُّ كمالاتِ الحق التي لا تنتهي؛ فإذا كان سبحانه قد أعطاك ذلك،فهو أيضاً يتحمَّل عنك كُلَّ ما يُؤلمك.

والحق سبحانه هو القائل:{ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ }[الحجر: ٩٧].ويقول له الحق أيضاً:{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ }[الأنعام: ٣٣].

وأزاح الحق سبحانه عنه هموم اتهامهم له بأنه ساحر أو مجنون؛ وقال له سبحانه:{ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَـاكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }[الأنعام: ٣٣].

ويكشف له سبحانه: إنهم يؤمنون أنك يا محمد صادق،ولكنهم يتظاهرون بتكذيبك.

---

[٨٤٣] - التفسير الميسر - (٢ / ١٦٤)

[٨٤٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٩٣٥)

ويتمثَّل امتنانُ الحق سبحانه على رسوله أنه أنزل عليه السَّبْع المثاني،واتفق العلماء على أن كلمة " المثاني " تعني فاتحة الكتاب،فلا يُثنَّى في الصلاة إلا فاتحة الكتاب.

ونجده سبحانه يَصِف القرآنَ بالعظيم؛ وهو سبحانه يحكم بعظمة القرآن على ضَوْء مقاييسه المُطْلقة؛ وهي مقاييس العظمة عنده سبحانه.

والمَثَل الآخر على ذلك وَصفْه سبحانه لرسوله ﷺ:{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[القلم: ٤].

وهذا حُكْم بالمقاييس العُلْيا للعظمة،وهكذا يصبح كُلّ متاع الدنيا أقلَّ مِمَّا وهبه الحق سبحانه لرسوله ﷺ،فلا ينظرَنَّ أحدٌ إلى ما أُعطِيَ غيره؛ فقد وهبه سبحانه لرسوله ﷺ.

ونلحظ أن الحق سبحانه قد عطف القرآن على السَّبْع المثاني،وهو عَطْف عام على خَاصٍّ؛ كما قال الحق سبحانه:{ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى }[البقرة: ٢٣٨].

ونفهم من هذا القول أن الصلاة تضمُّ الصلاة الوُسْطى أيضاً،وكذلك مثل قول الحق ما جاء على لسان رسوله ﷺ:{ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ }[نوح: ٢٨].

وهكذا نرى عَطْف عام على خاص،وعَطْف خاص على عام.

أو: أنْ نقولَ: إن كلمة" قرآن" تُطلَق على الكتاب الكريم المُنزَّل على رسول الله ﷺمن أول آية في القرآن إلى آخر آية فيه،ويُطلق أيضاً على الآية الواحدة من القرآن؛ فقول الحق سبحانه:{ مُدْهَآمَّتَانِ }[الرحمن:٦٤].هي آية من القرآن؛ وتُسمَّى أيضاً قرآناً.ونجده سبحانه يقول:{ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً }[الإسراء: ٧٨].ونحن في الفجر لا نقرأ كل القرآن،بل بعضاً منه،ولكن ما نقرؤه يُسمَّى قرآناً،وكذلك يقول الحق سبحانه:{ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً }[الإسراء: ٤٥].وهو لا يقرأ كُلَّ القرآن بل بعضه،إذن: فكلُّ آية من القرآن قرآن.

وقد أعطى الحق سبحانه رسوله ﷺالسَّبْع المثاني والقرآن العظيم،وتلك هي قِمَّة العطايا؛ فلله عطاءاتٌ متعددة؛ عطاءات تشمل الكافر والمؤمن،وتشمل الطائع والعاصي،وعطاءات خاصة بمَنْ آمن به؛ وتلك عطاءات الألوهية لَمَنْ سمع كلام ربِّه في" افعل" و" لا تفعل ".

وسبحانه يمتد عطاؤه من الخَلْق إلى شَرْبة الماء،إلى وجبة الطعام،وإلى الملابس،وإلى المَسْكن،وكل عطاء له عُمْر،ويسمو العطاء عند الإنسان بسُمو عمر العطاء،فكل عطاء يمتدُّ عمره يكون هو العطاء السعيد.

فإذا كان عطاء الربوبية يتعلَّق بمُعْطيات المادة وقوام الحياة؛ فإن عطاءات القرآن تشمل الدنيا والآخرة؛ وإذا كان ما يُنغِّص أيَّ عطاء في الدنيا أن الإنسانَ يُفارقه بالموت،أو أن يذوي هذا العطاء في ذاته؛ فعطاء القرآن لا ينفد في الدنيا والآخرة.

ونعلم أن الآخرة لا نهايةَ لها على عكس الدنيا التي لا يطول عمرك فيها بعمرها،بل بالأجل المُحـــدَّد لك فيها.

وإذا كانت عطاءاتُ القرآن تحرس القيم التي تهُبُك عطاءات الحياة التي لا تفنَى وهي الحياة الآخـــرة؛ فهذا هو أَسْمى عطاء،وإياك أن تتطلعَ إلى نعمة موقوتة عند أحد منهم من نِعَم الدنيا الفانية؛ لأن مَـــنْ أُعطِي القرآن وظنَّ أن غيره قد أُعْطِي خيراً منه؛ فقد حقر ما عَظَّم الله.[٨٤٥]

وبالبركة: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (٢٩) سورة ص

وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ،يَا مُحَمَّدُ،هَذَا القُرْآنَ،وَفِيهِ خَيرٌ وَبَرَكَةٌ،وَنَفْعٌ وَهُدىً لِلنَّاسِ،لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ،وَلِيَتَدَبَّرَهُ أُولُو الأَفْهَامِ والعُقُولِ والأَلْبَـــابِ.وَتَـــدَبُّرُ القُـــرْآنِ لاَ يَكُـــونُ بِحُسْـــنِ تِلاَوَتِهِ،وَإِنَّما يَكُونَ بِالعَمَلِ بِمَا فِيهِ،واتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ،وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ[٨٤٦] .

وبالتذكير:{ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)} ص.

أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِالقُرْآنِ ذِي الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ،المُشْتَمِلِ عَلَى مَا فِيهِ ذِكْرٌ لِلعِبَادِ،وَنَفْعٌ لَهُمْ فِي حَيَـــاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ .

وبالوضوح والتبيين:{ حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} الدخان.

يُقْسِمُ اللهُ تَعَالَى،جَلَّتْ قُدْرَتُهُ،بِكِتَابِهِ المَجِيدِ،المُبَيِّنِ لِلنَّاسِ مَا يُصْلِحُ حَالَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ .

وبين آثاره في الهداية والبشرى {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُـــونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩)} الإسراء.

هل عند نزول هذه الآية كان القرآن كله قد نزل،ليقول: إن هذا القرآن؟

نقول: لم يكن القرآن كله قد نزل،ولكن كل آية في القرآن تُسمّى قرآناً،كما قال تعالى:{ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ }[القيامة: ١٨]

فليس المراد القرآن كله،بل الآية من القرآن قرآن. ثم لما اكتمل نزول القرآن،واكتملتْ كل المســـائل التي تضمن لنا استقامة الحياة،قال تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً.. }[المائدة: ٣]

فإن استشرف مُسْتشرف أنْ يستزيد على كتاب الله،أو يأتي بجديد فليعلم أن منـــهج الله مُـــترَّه عـــن النقص،وفي غِنىً عن زيادتك،وما عليك إلا أن تبحث في كتاب الله،وسوف تجد فيه ما تصبو إليه من الخير.

---

[٨٤٥] – تفسير الشعراوي – (/ ١٨٧٣)

[٨٤٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٨٧٨)

قوله: { يَهْدِي.. } [الإسراء: ٩] الهداية هي الطريق الموصِّل للغاية من أقرب وَجْه،وبأقل تكلفة وهي الطريق المستقيم الذي لا التواءَ فيه،وقلنا: إن الحق سبحانه يهدي الجميع ويرسم لهم الطريق،فمن اهتدى زاده هُدى،كما قال سبحانه:{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }[محمد: ١٧]

ومعنى: { أَقْوَمُ.. } [الإسراء: ٩] أي: أكثر استقامة وسلاماً. هذه الصيغة تُسمّى أفعل التفضيل،إذن: فعندنا (أقوم) وعندنا أقل منه منزلة (قَيّم) كأن نقول: عالم وأعلم. فقوله سبحانه: { إِنَّ هَـاذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.. } [الإسراء: ٩] يدل على وجود (القيّم) في نُظم الناس وقوانينهم الوضعية،فالحق سبحانه لا يحرم البشر من أن يكون لهم قوانين وشرائع حينما تعضُّهم المظالم ويشْقُون بها،فيُقنّنون تقنيات تمنع هذا الظلم.

ولا مانع من ذلك إذا لم يترل لهم منهج من السماء،فما وضعوه وإنْ كان قَيّماً فما وضعه الله أقوم،وأنت لا تضع القيم إلا بعد أن تُعضَّ بشيء مُعوج غير قيّم،وإلا فماذا يلفتُك للقيم؟

أما منهج السماء فإنه يضع الوقاية،ويمنع المرض من أساسه،فهناك فَرْق بين الوقاية من المرض وبين العلاج للمرض،فأصحاب القوانين الوضعية يُعدّلون نُظمهم لعلاج الأمراض التي يَشْقَون بها.

أما الإسلام فيضع لنا الوقاية،فإن حَدثْت غفلة من المسلمين،وأصابتهم بعض الداءات نتيجة انصرافهم عن منهج ربهم نقول لهم: عودوا إلى المنهج: { إِنَّ هَـاذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.. } [الإسراء: ٩]

فنظام الطلاق في الإسلام الذي كثيراً ما هاجموه وانتقدوه،ورأوا فيه ما لا يليق بالعلاقة الزوجية،ولكن بمرور الزمن تكشفت لهم حقائق مؤلمة،وشقي الكثيرون منهم لعدم وجود هذا الحل في قوانينهم،وهكذا ألجاهم مشاكل الحياة الزوجية لأنْ يُقنِّنوا للطلاق.

ومعلوم أن تقنينهم للطلاق ليس حُباً في الإسلام أو اقتناعاً به،بل لأن لديهم مشاكل لا حَّل لها إلا بالطلاق،وهذا هو الظهور المراد في الآيتين الكريمتين،وهو ظهور بشهادتكم أنتم؛ لأنكم ستلجأون في حل قضاياكم لقوانين الإسلام،أو قريباً منها.

ومن هذه القضايا أيضاً قضية تحريم الربا في الإسلام،فعارضوه وأنكروا هذا التحريم،إلى أن جاء " كِتر " وهو زعيم اقتصادي عندهم،يقول لهم: انتبهوا،لأن المال لا يؤدي وظيفته كاملة في الحياة إلا إذا انخفضتْ الفائدة إلى صفر.

سبحان الله،ما أعجب لجَجَ هؤلاء في خصومتهم مع الإسلام،وهل تحريم الربا يعني أكثر من أن تنخفض الفائدة إلى صفر؟ إنهم يعودون لمنهج الله تعالى رَغْماً عنهم،ومع ذلك لا يعترفون به.

ولا يخفى ما في التعامل الربوي من سلبيات،وهل رأينا دولة اقترضت من أخرى،واستطاعت على مَرّ الزمن أنْ تُسدد حتى أقساط الفائدة؟ ثم نراهم يغالطوننا يقولون: ألمانيا واليابان أخذت قروضاً بعد الحروب العالمية الثانية،ومع ذلك تقدمت ونهضت.

نقول لهم: كفاكم خداعاً،فألمانيا واليابان لم تأخذ قروضاً،وإنما أخذت معونة لا فائدة عليها،تسمى معونة (مارشال).

وأيضاً من هذه القضايا التي ألجأتهم إليها مشاكل الحياة قضية ميراث المرأة،فلما عَضَّتهم قَنَنُوا لها.

فظهور دين الله هنا يعني ظهورَ نُظم وقوانين ستضطرهم ظروف الحياة إلى الأخذ بها،وليس المقصود به ظهور اتّباع.

إذن: فمنهج الله أقوم،وقانون الحق سبحانه أعظم من قوانين البشر وأَهْدى،وفي القرآن الكريم ما يُوضّح أن حكم الله وقانونه أقوم حتى من حكم رسوله ﷺ.

وهذا في قصة مولاه " زيد بن حارثة "،وزيد لم يكن عبداً إلى أن خطفه بعض تجار الرقيق وباعوه،وانتهى به المطاف إلى السيدة خديجة ـــ رضي الله عنها ـــ التي وهبتْه بدورها لخدمة رسول الله ﷺ.فكان زيد في خدمة رسول الله ﷺإلى أن علم أهله بوجوده في مكة فأتوا ليأخذوه،فما كان من رسول الله ﷺ،إلا أن خَيَّره بين البقاء معه وبين الذهاب إلى أهله،فاختار زيد البقاء في خدمة رسول الله وآثره على أهله. فقال ﷺ: " فما كنت لأختار على مَنِ اختارني شيئاً ".

وفي هذه القصة دليل على أن الرقَّ كان مباحاً في هذا العصر،وكان الرقّ حضانةَ حنانٍ ورحمة،يعيش فيها العبد كما يعيش سيده،يأكل من طعامه،ويشرب من شرابه،يكسوه إذا اكتسى،ولا يُكلّفه ما لا يطيق،وإنْ كلّفه أعانه،فكانت يده بيده.

وهكذا كانت العلاقة بين محمد ﷺوبين زيد؛ لذلك آثره على أهله،وأحب البقاء في خدمته،فرأى رسول الله أن يُكافئ زيداً على إخلاصه له وتفضيله له على أهله،فقال:" لا تقولوا زيد بن حارثة،قولوا زيد بن محمد ".

وكان التبني شائعاً في ذلك الوقت. فلما أراد الحق سبحانه أنْ يُحرِّم التبني،وأنْ يُحرِّم نسبة الولد إلى غير أبيه بدأ برسول الله ﷺ،فقال:{ ادْعُوهُمْ لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُواْ آبَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ }[الأحزاب: ٥]

والشاهد هنا:{ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ }[الأحزاب: ٥] فكأن الحكم الذي أنهى التبني،وأعاد زيداً إلى زيد بن حارثة هو الأقسط والأعدل،إذن: حكم الرسول ﷺلم يكن جَوْراً،بل كان قِسْطاً وعدلاً،لكنه قسط بشري يَفْضُله ما كان من عند الحق سبحانه وتعالى.

وهكذا عاد زيد إلى نسبه الأصلي،وأصبح الناس يقولون " زيد بن حارثة "،فحزن لذلك زيد،لأنه حُرِم من شرف الانتساب لرسول الله ﷺفعوَّضه الله تعالى عن ذلك وساماً لم يَنَلْه صحابي غيره،هذا الوسام هو أن ذُكِر اسمه في القرآن الكريم،وجعل الناس يتلونه،ويتعبدون به في قوله تعالى:{ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا.. }[الأحزاب: ٣٧]

إذن: عمل الرسول قسط،وعمل الله أقسط.

قوله تعالى: { يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.. } [الإسراء: ٩] لأن المتتبع للمنهج القرآني يجده يُقدّم لنا الأقوم والأعدل والأوسط في كل شيء.في العقائد،وفي الأحكام،وفي القصص.

ففي العقائد مثلاً،جاء الإسلام ليجابه مجتمعاً متناقضاً بين مَنْ ينكر وجود إله في الكون،وبين مَنْ يقول بتعدُّد الآلهة،فجاء الإسلام وَسَطاً بين الطرفين،جاء بالأقوم في هذه المسألة،جاء ليقول بإله واحد لا شريك له.

فإذا ما تحدّث عن صفات هذا الإله سبحانه اختار أيضاً ما هو أقوم وأوسط،فللحق سبحانه صفات تشبه صفات البشر،فَلَه يَدٌ وسمع وبصر،لكن ليست يده كيدنا،وليس سمعه كسمعنا،وليس بصره كبصرنا:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.. }[الشورى: ١١]

وبهذا المنهج الحكيم خرجنا مما وقع فيه المشبِّهة الذين شبّهوا صفات الله بصفات البشر،وخرجنا مما وقع فيه المعطّلة الذين أنكروا أن يكون لله تعالى هذه الصفات وأوّلوها على غير حقيقتها.

وكذلك في الخلق الاجتماعي العام،يلفتنا المنهج القرآني في قوله تعالى:{ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ }[يوسف: ١٠٥] يلفتنا إلى ما في الكون من عجائب نغفل عنها،ونُعرِض عن تدبُّرها والانتفاع بها،ولو نظرنا إلى هذه الآيات بعين المتأمل لوجدنا فيها منافع شتى منها: أنها تُذّكرنا بعظمة الخالق سبحانه،ثم هي بعد ذلك ستفتح لنا الباب الذي يُثري حياتنا،ويُوفّر لنا ترف الحياة ومتعتها.

فالحق سبحانه أعطانا مُقوّمات الحياة،وضمن لنا برحمته ضروريات البقاء،فمَنْ أراد الكماليات فعليه أنْ يُعمِل عقله فيما أعطاه الله ليصل إلى ما يريد.

والأمثلة كثيرة على مشاهدات متأملة في ظواهر الكون،اهتدى بها أصحاب إلى اكتشافات واختراعات خدمت البشرية،وسَهَّلَتْ عليها كثيراً من المعاناة.

فالذي اخترع العجلة في نقل الأثقال بنى فكرته على ثِقل وجده يتحرك بسهولة إذا وُضع تحته شيء قابل للدوران،فتوصل إلى استخدام العجلات التي مكَّنَتْهُ من نقل أضعاف ما كان يحمله.

والذي أدخل العالم عصر البخار استنبط فكرة البخار،وأنه يمكن أن يكون قوةً مُحرِّكة عندما شاهد القِدْر وهو يغلي،ولاحظ أن غطاءه يرتفع إلى أعلى،فاهتدى إلى استخدام البخار في تسيير القطارات والعربات.

والعالِم الذي اكتشف دواء " البنسلين " اهتدى إليه عندما شاهد طبقة خضراء نسميها " الريم " تتكون في أماكن استخدام الماء،وكان يشتكي عينه،فعندما وصلت هذه المادة إلى عينه ربما مصادفة،لاحظ أن عينه قد برئت،فبحث في هذه المسألة حتى توصّل إلى هذا الدواء.

إلى غير ذلك من الآيات والعجائب في كون الله،التي يغفل عنها الخَلْق،ويمرُّون عليها وهم معرضون.

أما هؤلاء العلماء الذين آثروا حياة البشرية بنظرهم الثاقبة،فقد استخدموا عقولهم في المادة التي خلقها الله،ولم يأتوا بشيء من عند أنفسهم؛ لأن الحق سبحانه حينما استخلف الإنسان في الأرض أعدَّ لـه كُلَّ متطلبات حياته،وضمن له في الكون جنوداً إن أعمل عقله وطاقته يستطيع أن يستفيد منها،وبعد ذلك طلب منه أن يعمر الأرض: { هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }[هود: ٦١] والاستعمار أنْ تجعلها عامرة،وهذا الإعمار يحتاج إلى مجهود،وإلى مواهب متعددة تتكاتف،فلا تستقيم الأمور إنْ كان هذا يبني وهذا يهدم،إذن: لا بد أنْ تُنظم حركة الحياة تنظيماً يجعل المواهب في الكون تتساند ولا تتعاند،وتتعاضد ولا تتعارض.

ولا يضمن لنا هذا التنظيم إلا منهج من السماء يترل بالتي هي أقوم،وأحكم،وأعدل،كما قال تعالى في آية أخرى:{ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ }[الشورى: ١٧]

وإنْ كان الحق سبحانه وتعالى قد دعانا إلى النظر في ظواهر الكون،والتدبُّر في آيات الله في كونه،والبحث فيها لنصل إلى أسرار ما غُيِّب عنا،فإنه سبحانه نهانا أن نفعل هذا مع بعضنا البعض،فقد حرَّم علينا التجسُّس وتتبُّع العورات،والبحث في أسرار الآخرين وغَيْبهم.

وفي هذا الأدب الإلهي رحمة بالخلق جميعاً؛ لأن الله تعالى يريد أن يُثري حياة الناس في الكون،وهَبْ أن إنساناً له حسنات كثيرة،وعنده مواهب متعددة،ولكن له سيئة واحدة لا يستطيع التخلّي عنها،فلو تتبعتَ هذه السيئة الواحدة فربما أزهدتْك في كل حسناته،حرمتْك الانتفاع به،والاستفادة من مواهبه،أما لو تغاضيت عن هذه السيئة فيه لأمكنك الانتفاع به.

وهَبْ أن صانعاً بارعاً في صنعته وقد احتجْتَه ليؤديَ لك عملاً،فإذا عرفت عنه ارتكاب معصية ما،أو اشتهر عنه سيئة ما لأزهدك هذا في صَنْعته ومهارته،ولرغبت عنه إلى غيره،وإنْ كان أقلّ منه مهارة.

وهذا قانون عام للحق سبحانه وتعالى،فالذي نهاك عن تتبُّع غيب الناس،والبحث عن أسرارهم نهاهم أيضاً عن تتبُّع غَيْبك والبحث عن أسرارك؛ ولذلك ما أنعم الله على عبيده نعمة أعظمَ من حِفْظ الغيب عنده هو؛ لأنه ربّ،أما البشر فليس فيهم ربوبية،أمر البشر قائم على العبودية،فإذا انكشف لأحدهم غَيْبُ أخيه أو عيبٌ من عيوبه أذاعه وفضحه به.

إذن: فالحق تبارك وتعالى يدعونا إلى أن نكون طُلَعة في استنباط أسرار الكون والبحث عن غيبه،وفي الوقت نفسه ينهانا أن نكون طُلَعة في تتبّع أسرار الناس والبحث عن غيبهم؛ لأنك إنْ تتبعتَ غيب الناس والتمسْتَ عيوبهم حرمْتَ نفسك من مصادر يمكن أنْ تنتفع بها.

فالحق سبحانه يريد في الكون حركة متبادلة،وهذه الحركة المتبادلة لا تنشأ إلا بوجود نوع من التنافس الشريف البنّاء،التنافس الذي يُثري الحياة،ولا يثير شراسة الاحتكاك،كما قال تعالى:{ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ.. }[المطففين: ٢٦] كما يتنافس طالب العلم مع زميله المجدّ ليكون مِثْله أو

أفضل منه،وكأن الحق سبحانه يعطينا حافزاً للعمل والرُّقي،فالتنافس المقصود ليس تنافس الغِلِّ والحقد والكراهية،بل تنافس مَنْ يحب للناس ما يحب لنفسه،تنافس مَنْ لا يشمت لفشل الآخرين.

وقد يجد الإنسان هذا الحافز للمنافسة حتى في عدوه،ونحن نرى الكثير منا يغضب وتُثَار حفيظته إنْ كان له عدو،ويراه مصدر شرٍّ وأذى،ويتوقع منه المكروه باستمرار.

وهو مع ذلك لو استغل حكمة الله في إيجاد هذا العدو لاتنفع به انتفاعاً لا يجده في الصديق،لأن صديقك قد يُنافقك أو يُداهنك أو يخدعك.

أما عدوك فهو لك بالمرصاد،يتتبع سقطاتك،ويبحث عن عيوبك،وينتظر منك كَبْوة ليذيعها ويُسمّع بك،فيحملك هذا من عدوك على الاستقامة والبعد عما يشين.

ومن ناحية أخرى تخاف أن يسبقك إلى الخير،فتجتهد أنت في الخير حتى لا يسبقك إليه.

وما أجمل ما قاله الشاعر في هذا المعنى:

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عليَّ ومِنَّةٌ فَلاَ أبعَدَ الرحْمَنُ عَنّي الأعَادِيَا

هُمُو بحثُوا عَنْ زَلّتِي فَاجْتنبْتُها وهُمْ نَافَسُوني فاكْتَسبْتُ المعَالِيا

وهكذا نجد لكل شيء في منهج الله فائدة،حتى في الأعداء،ونجد في هذا التنافس المثمر الذي يُثري حركة الحياة دليلاً على أن منهج السماء هو الأقوم والأنسب لتنظيم حركة الحياة.

أيضاً لكي يعيش المجتمع آمناً سالماً لا بُدّ له من قانون يحفظ توازنه،قانون يحمي الضعيف من بطش القوي،فجاء منهج الله تعالى ليُقنّن لكل جريمة عقوبتها،ويضمن لصاحب الحق حَقّه،وبعد ذلك ترك الباب مفتوحاً للعفو والتسامح بين الناس.

ثم حذَّر القوي أنْ تُطغيه قوته،وتدعوه إلى ظلم الضعيف،وذكّره أن قوته ليست ذاتية فيه،بل هي عَرَضٌ سوف يزول وسوف تتبدل قوته في يوم ما إلى ضَعْف يحتاج معه إلى العون والمساعدة والحماية.

وكأن الحق تبارك وتعالى يقول لنا: أنا أحمي الضعيف من قوتك الآن،لأحمي ضعفك من قوة غيرك غداً.أليس في هذا كله ما هو أقوم؟

ونقف على جانب آخر من جوانب هذه القوامة لمنهج الله في مجال الإنفاق،وتصرُّف المرء في ماله،والمتأمل في هذا المنهج الأقوم يجده يختار لنا طريقاً وسطاً قاصداً لا تبذيرَ فيه ولا تقتير.

ولاشك أن الإنسان بطبعه يُحب أن يُثري حياته،وأن يرتقي بها،ويتمتع بترفها،ولا يُتاح له ذلك إنْ كان مُبذّراً لا يُبقي من دخله على شيء،بل لا بُدّ له من الاعتدال في الإنفاق حتى يجد في جعبته ما يمكنه أن يُثري حياته ويرتقي بها ويُوفّر لأسرته كماليات الحياة،فضلاً عن ضرورياتها.

جاء هذا المنهج الأقوم في قول الحق تبارك وتعالى:{ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً }[الفرقان: ٦٧]

وفي قوله تعالى:{ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً }[الإسراء: ٢٩]

فللإنسان في حياته طموحات تتتابع ولا تنتهي،خاصة في عصر كثُرت فيه المغريات،فإنْ وصل إلى هدف تطلع لما هو أكبر منه،فعليه إذن ألاّ يُبدّد كل طاقته،وينفق جميع دَخْله.

وكما نهى الإسلام عن التبذير نهى أيضاً عن البُخْل والإمساك؛ لأن البُخْل مذموم،والبخيل مكروه من أهله وأولاده،كما أن البُخْل سبب من أسباب الركود والبطالة والكساد التي تصيب المجتمع،فالممسك لا يتعامل مع المجتمع في حركة البيع والشراء،فيسهم ببُخْله في تفاقم هذه المشاكل،ويكون عنصراً خاملاً يَشْقى به مجتمعه.

إذنْ: فالتبذير والإمساك كلاهما طرف مذموم،والخير في أوسط الأمور،وهذا هو الأقوم الذي ارتضاته لنا المنهج الإلهي.

وكذلك في مجال المأكل والمشرب،يرسم لنا الطريق المعتدل الذي يحفظ للمرء سلامته وصحته،ويحميه من أمراض الطعام والتُّخْمة،قال تعالى:{ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }[الأعراف: ٣١]

فقد علَّمنا الإسلام أن الإنسان إذا أكل وشرب على قَدْر طاقة الوقود الذي يحتاجه جسمه لا يشتكي ما يشتكيه أصحاب الإسراف في المأكل والمشرب.والمتأمل في حال هؤلاء الذين يأكلون كلّ مَا لَذَّ وطاب،ولا يَحْرمون أنفسهم مما تشتهيه،حتى وإن كان ضاراً،نرى هؤلاء عند كِبَرهم وتقدُّم السِّنِّ بهم يُحْرمون بأمر الطبيب من تناول هذه الملذّات،فترى في بيوت الأعيان الخادم يأكل أطيب الطعام ويتمتع بخير سيده،في حين يأكل سيده أنواعاً محددة لا يتجاوزها،ونقول له:

لأنك أكلتها وأسرفتَ فيها في بداية الأمر،فلا بُدَّ أنْ تُحرَم منها الآن.

وصدق رسول الله ﷺحين قال: " كُلُوا واشربوا وتصدقوا،والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة "

وأيضاً من أسباب السلامة التي رسمها لنا المنهج القرآني،ألاَّ يأكل الإنسان إلا على جوع،فالطعام على الطعام يرهق المعدة،ويجرُّ على صاحبه العطب والأمراض،ونلاحظ أن الإنسان يجد لذة الطعام وحلاوته إذا أكل بعد جوع،فمع الجوع يستطيب كل شيء ولو كان الخبز الجاف.

وهكذا نجد المنهج الإلهي يرسم لنا الطريق الأقوم الذي يضمن لنا سلامة الحياة واستقامتها،فلو تدبرْتَ هذا المنهج لوجدته في أيِّ جانب من جوانب الحياة هو الأقوم والأنسب.

في العقائد،في العبادات،في الأخلاق الاجتماعية العامة،في العادات والمعاملات،إنه منهج ينتظم الحياة كلها،كما قال الحق سبحانه:{ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }[الأنعام: ٣٨]

هذا المنهج الإلهي هو أَقْوم المناهج وأصلحها؛ لأنه منهج الخالق سبحانه الذي يعلم مَنْ خلق،ويعلم مَا يصلحهم،كما قلنا سابقاً: إن الصانع من البشر يعلم صَنْعته،ويضع لها من تعليمات التشغيل والصيانة ما يضمن لها سلامة الأداء وأمن الاستعمال.

فإذا ما استعملْتَ الآلة حَسبْ قانون صانعها أدَّتْ مهمتها بدقة،وسلَمتْ من الأعطال،فالذي خلق الإنسان أعلم بقانون صيانته،فيقول له: افعل كذا ولا تفعل كذا:{ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }[الملك: ١٤]

فآفة الناس في الدنيا أنهم وهم صَنْعةُ الحق سبحانه يتركون قانونه،ويأخذون قانون صيانتهم من أمثالهم،وهي قوانين وضعية قاصرة لا تسمو بحال من الأحوال إلى قانون الحق سبحانه،بل لا وَجْهَ للمقارنة بينهما. إذن: لا تستقيم الحياة إلا بمنهج الله عز وجل.

ثم يقول تعالى: { وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً } [الإسراء: ٩] فالمنفذ لهذا المنهج الإلهي يتمتع باستقامة الحياة وسلامتها،وينعم بالأمن الإيماني،وهذه نعمة في الدنيا،وإن كانت وحدها لكانت كافية،لكن الحق سبحانه وتعالى يُبشِّرنا بما هو أعظم منها،وبما ينتظرنا من نعيم الآخرة وجزائها،فجمع لنا ربنا تبارك وتعالى نَعيمَيْ الدنيا والآخرة.

نعيم الدنيا لأنك سِرْتَ فيها على منهج معتدل ونظام دقيق،يضمن لك فيها الاستقامة والسلام والتعايش الآمن مع الخَلْق.ومن ذلك قول الحق سبحانه:{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[البقرة: ٣٨] وقوله تعالى في آية أخرى:{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى }[طه: ١٢٣] ويقول تعالى:{ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[النحل: ٩٧]

وفي الجانب المقابل يقول الحق سبحانه:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذالِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذالِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى }[طه: ١٢٤-١٢٦] فكما أن الحق تبارك وتعالى جمع لعباده الصالحين السائرين على منهجه خيري الدنيا والآخرة،ففي المقابل جمع لأعدائه المعرضين عن منهجه عذاب الدنيا وعذاب الآخرة،لا ظُلْماً منه،فهو سبحانه مُنَزَّه عن الظلم والجَوْر،بل عَدْلاً وقِسطاً بما نَسُوا آيات الله وانصرفوا عنها.

ومعنى: { يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ } [الإسراء: ٩] وعمل الصالحات يكون بأن تزيد الصالح صلاحاً،أو على الأقل تبقي الصالح على صلاحه،ولا تتدخل فيه بما يُفسده.

وقوله: { أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً } [الإسراء: ٩] نلاحظ هنا أن الحق سبحانه وصف الأجر بأنه كبير،ولم يَأْتِ بصيغة أفعل التفضيل منها (أكبر)،فنقول: لأن كبير هنا أبلغ من أكبر،فكبير مقابلها

صغير،فَوَصْف الأجر بأنه كبير يدل على أن غيره أصغر منه،وفي هذا دلالة على عِظَم الأجر من الله تعالى. أما لو قال: أكبر فغيره كبير،إذن: فاختيار القرآن أبلغ وأحكم.

كما قلنا سابقاً: إن من أسماء الحق تبارك وتعالى (الكبير)،وليس من أسمائه أكبر،إنما هي وصف له سبحانه. ذلك لأن (الكبير) كل ما عداه صغير،أما (أكبر) فيقابلها كبير.

ومن هنا كان نداء الصلاة (الله أكبر) معناه أن الصلاة وفَرْض الله علينا أكبر من أي عمل دنيويّ،وهذا يعني أن من أعمال الدنيا ما هو كبير،كبير من حيث هو مُعين على الآخرة.

فعبادة الله تحتاج إلى طعام وشراب وإلى مَلْبس،والمتأمل في هذه القضية يجد أن حركة الحياة كلها تخدم عمل الآخرة،ومن هنا كان عمل الدنيا كبيراً،لكن فَرْض الله أكبر من كل كبير.

ولأهمية العمل الدنيوي في حياة المسلم يقول تعالى عن صلاة الجمعة:{ يأَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[الجمعة: ٩-١٠] والمتأمل في هذه الآيات يجد الحق تبارك وتعالى أمرنا قبل الجمعة أن نترك البيع،واختار البيع دون غيره من الأعمال؛ لأنه الصفقة السريعة الربح،وهي أيضاً الصورة النهائية لمعظم الأعمال،كما أن البائع يحب دائماً البيع،ويحرص عليه،بخلاف المشتري الذي ربما يشتري وهو كاره،فتجده غير حريص على الشراء؛ لأنه إذا لم يشْتَرِ اليوم سيشتري غداً. إذن: فالحق سبحانه حينما يأمرنا بترك البيع،فتَرْك غيره من الأعمال أَوْلَى.

فإن ما قُضِيَت الصلاة أمرنا بالعودة إلى العمل والسعي في مناكب الأرض،فأخرجنا للقائه سبحانه في بيته من عمل،وأمرنا بعد الصلاة بالعمل.

إذن: فالعمل وحركة الحياة (كبير)،ولكن نداء ربك (أكبر) من حركة الحياة؛ لأن نداء ربك هو الذي سيمنحك القوة والطاقة،ويعطيك الشحنة الإيمانية،فتُقبِل على عملك بهمّة وإخلاص.[٨٤٧]

وفي الشفاء والرحمة:{ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} الإسراء ٨٢.

وَنُنَزِّلُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ مِنَ القُرْآنِ مَا يُسْتَشْفَي بِه مِنَ الجَهْلِ وَالضَّلاَلِ،وَمَا يُذْهِبُ مَا فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ مِنْ أَمْرَاضِ الشَّكِّ وَالنِّفَاقِ،وَالشِّرْكِ وَالزَّيْغِ،وَيَشْفِي مِنْهَا،وَهُوَ رَحْمَةُ لِمَنْ آمَنَ بِه،وَعَمِلَ بِأَوَامِرِه،وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيه.أَمَّا الكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يَزِيدُهُمْ سَمَاعُ القُرْآنِ إِلاَّ بُعْداً عَنِ الإِيمَانِ وَكُفْراً،وَعُتُوّاً وَخَسَاراً،لأَنَّهُمْ قَدْ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ [٨٤٨].

---

[٨٤٧] – تفسير الشعراوي – (/ ٢٠٢٢)

[٨٤٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢١١٢)

وفي التذكير والتقوى:{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)} الزمر.

لَقَدْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُقَرِّبَ المَعَانِي مِنْ أَفْهَامِ النَّاسِ فَضَرَبَ لَهُمُ الأَمْثَالَ فِي القُرْآنِ،وَنَوَّعَ الأَمْثَالَ فِيهِ زِيَادَةً فِي تَقْرِيبِ المَعَانِي وَإِيضَاحِهَا،لَعَلَّ النَّاسَ يَفْهَمُونَ وَيُدرِكُونَ مَا أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى،وَلَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ بِمَا قَصَّهُ عَلَيْهِمْ .وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى القُرْآنَ عَرَبِياً وَاضِحاً لاَ لَبْسَ فِيهِ وَلاَ غُمُوضَ،وَلاَ عِوَجَ وَلاَ انْحِرَافَ لِيَفْهَمَ العَرَبُ مَعَانِيَهُ.وَيَعُوا مَرَامِيَهُ،لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللهَ،وَيَحْذَرُونَ نِقَمَهُ [٨٤٩].

وفي الثبات على الحق:{ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)} النحل.

قُلْ لَهُمْ:إِنَّ القُرْآنَ قَدْ نَزَلَ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي مَعَ جِبْرِيلَ الرُّوحِ الطَّاهِرِ،مُقْتَرِناً بِالحَقِّ وَمُشْتَمِلاً عَلَيْهِ لِيُثَبِّتَ بِهِ المُؤْمِنِينَ،وَلِيَهْدِيَ بِهِ النَّاسَ إِلَى الخَيْرِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَدِلَّةٍ قَاطِعَةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ،وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ،وَبِمَا فِيهِ مِنْ تَشْرِيعٍ وَتَعَالِيمٍ وَأَحْكَامٍ،فَهُوَ هَادٍ لِلْمُؤْمِنِينَ،وَبَشِيرٌ لَهُمْ بِحُسْنِ الثَّوَابِ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ . [٨٥٠]

وفي زيادة الإيمان:{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)} التوبة.

إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى سُورَةً مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ فَمِنَ المُنَافِقِينَ مَنْ يَقُولُ لإِخْوَانِهِ:(أَوْ يَقُولُ لِمَنْ يَلْقَاهُ مِنَ المُؤْمِنِينَ مُشَكِّكاً):أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ السُّورَةُ إِيمَاناً وَيَقِيناً بِحَقِيقَةِ القُرْآنِ وَالإِسْلاَمِ،وَصِدْقِ الرَّسُولِ؟

وَيَقُولُ تعالى: أَمَّا الذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ فَتَزِيدُهُمُ الآيَاتُ إِيمَاناً،وَيَسْتَبْشِرُونَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِمْ،وَبِمَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ . [٨٥١]

فأما الذين آمنوا فقد أضيفت إلى دلائل الإيمان عندهم دلالة فزادتهم إيمانا وقد خفقت قلوبهم بذكر ربهم خفقة فزادتهم إيمانا وقد استشعروا عناية ربهم بهم في إنزال آياته عليهم فزادتهم إيمانا .. وأما الذين في قلوبهم مرض،الذين في قلوبهم رجس من النفاق،فزادتهم رجسا إلى رجسهم،وماتوا وهم كافرون ..وهو نبأ من اللّه صادق،وقضاء منه سبحانه محقق. [٨٥٢]

ووصفه الذي أنزل عليه ﷺوبيّن آثاره في كثير من أحاديثه الشريفة،منها ما روي فعَنْ عَلِيٍّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ قَالَ:قُلْتُ فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ،هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ يَرُدَّهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ،وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ،وَهُوَ

---

[٨٤٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٦٤)

[٨٥٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٠٠٣)

[٨٥١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٣٦٠)

[٨٥٢] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٣ / ١٧٤٢)

الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلاَ يَخْلُقُ عَنْ رَدٍّ،وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ،وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الْجِنُّ حِينَ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا:إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.. رواه البزار[٨٥٣].

وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« اعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ أَحِلُّوا حَلاَلَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ وَاقْتَدُوا بِهِ وَلاَ تَكْفُرُوا بِشَىْءٍ مِنْهُ وَمَا تَشَابَهَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى أُولِى الْعِلْمِ مِنْ بَعْدِى كَمَا يُخْبِرُوكُمْ وَآمِنُوا بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ وَلْيَسَعْكُمُ الْقُرْآنُ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ أَلاَ وَلِكُلِّ آيَةٍ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنِّى أُعْطِيتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ مِنَ الذِّكْرِ الأَوَّلِ وَأُعْطِيتُ طَهَ وَطَوَاسِينَ وَالْحَوَامِيمَ مِنْ أَلْوَاحِ مُوسَى وَأُعْطِيتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتَ الْعَرْشِ »[٨٥٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ،وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ،مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَجَا،وَمَنْ مَحِلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ "[٨٥٥]

وعن محمد بن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله {ﷺ} القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله وحرمة القرآن عند الله تعالى كحرمة الوالد على ولده القرآن شافع مشفع وما حل مصدق فمن شفع له القرآن شفع ومن محل به القرآن صدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله ومن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تبارك اسمه يا حملة القرآن استجيبوا

---

[٨٥٣] – مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار – (٣ / ٧١)(٨٣٦) حسن لغيره

الفصل : الفاصل بين الحق والباطل.–وما هو بالهزل : أي : هو جد كله.

الجبار : في صفات الله تعالى : الذي جبر خلقه على ما أراد ، يقال : جبره وأجبره ، إذا قهره ، وهو في صفة الآدمي ، المسلط العاتي المتكبر على الناس المتعظم عليهم.

قصمه : أي أهلكه ، وهو بالقاف : أن ينكسر الشيء فيبين.

الحبل : في كلام العرب : يرد على وجوه ، منها : العهد ، وهو الأمان ومنها : النور ، والمتين : القوي الشديد، فقال : هو حبل الله المتين ، أي : عهده وأمانه من العذاب ، وهو نور هداه ، والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط ، ومنه قوله تعالى : {حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر}[البقرة : ١٨٧].

الذكر : الشرف ، ومنه قوله تعالى : {وإنه لذكر لك ولقومك} [الزخرف : ٤٤] أو هو ما يذكر ، أي : يقال ويحكى.

الحكيم : المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب ، أو هو فعيل بمعنى فاعل ، أي : إنه حاكم فيكم ، وعليكم ، ولكم.

يزيغ : الزيغ : الميل ، وأراد به الميل عن الحق.–الرشد : والرشاد ، ضد الضلال ، والغي. جامع الأصول في أحاديث الرسول – (٨ / ٤٦٢)

[٨٥٤] – السنن الكبرى للبيهقي– المكتر – (١٠ / ٩)(٢٠١٩٨) ضعيف

[٨٥٥] – فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ (٤٤) الصواب وقفه

لربكم بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم إلى عباده يرفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن شر الآخرة ومن استمع آية من كتاب الله كان له خيرا من صبر ذهبا ومن قرأ آية من كتاب الله كان أفضل مما تحت العرش إلى التخوم وإن في كتاب الله لسورة تدعى العزيزة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها أكثر من ربيعة ومضر وهي سورة يس"[٨٥٦]

وقد أمر الله تعالى بتلاوته {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ} النمل ٩١-٩٢.

يَأْمُرُ اللهُ رَسُولَهُ ﷺبأَنْ يَقُولَ لِهؤُلاءِ المُكَذِّبِينَ:إِنَّهُ أُمِرَ بِعِبَادَةِ رَبِّ مَكَّةَ التي جَعَلَهَا بَلَداً حَراماً،لاَ يُسْتَبَاحُ فِيها دَمٌ،وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شيءٍ وَمَلِيكُهُ،لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ،وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ رَسُولَهُ بأَنْ يَكُونَ مِنَ المُسلِمِينَ لَهُ،المُوَحِّدِينَ المُخْلِصِينَ لِجَلاَلِه .وَقُلْ لَقَدْ أَمَرني رَبي بِأَنْ أَتلُوَ القُرآنَ عَلَى النَّاسِ،وَأُلَقِّنَهُمْ إِياهُ،وَلِي أُسْوَةٌ بِنْ تَقَدَّمَنِي مِنَ الرُّسُلِ،الذين أَنْذَرُوا أَقوَامَهُمْ،وَقَامُوا بتأْدِيَةِ الرِّسَالة،وَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهُدَاهُ،وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ وَلا يَضُرُّ اللهَ شَيْئاً .[٨٥٧]

ووعد عليها الخير الجزيل:{ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} فاطر.

إِنَ عِبَادَ اللهِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،وَيُؤْمِنُونَ بِه،وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ:مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ وأَدائِها بِخُشُوعِها،وَإِتْمَامِها بِرُكُوعِها وسُجُودِها،وَمِنَ الإِنْفَاقِ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ سِراً وَعَلاَنِيةً فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَى الفُقَراءِ والمُحْتَاجِينَ،وفيمَا فِيهِ خيرُ الجَمَاعَةِ المُسلِمَةِ،إِنَّ هؤلاءِ العِبَادَ المُؤْمِنِينَ،الذِينَ يَقُومُونَ بِذَلِكَ،يَرْجُونَ الثَّوَابَ عَلَى أَفْعَالِهِمْ،عِنْدَ اللهِ،وَسَتَكُونُ تِجَارَتُهُمْ رَابِحَةً عِندَ اللهِ،وَلَنْ تَكْسُدَ .وَيَرْجُونَ أَنْ يَحْزِيَهُمُ اللهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى عَلَى أَعْمَالِهِم الصَّالِحَةِ،وَأَنْ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِه،فَيَتجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَواتِهِمْ،وَيَضَاعِفَ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ حَتَّى سَبعِمِئَةِ ضِعْفٍ،وَاللهُ تَعَالى غَفُورٌ لِلذُّنُوبِ،شَكُورٌ لِلْقَلِيلِ مِنَ الأَعمالِ الصَّالِحة .[٨٥٨]

كما أمر النبي ﷺبتلاوته وبيّن ما أعد الله سبحانه وتعالى لمن قرأه من أجر عظيم منها شفاعته به،فعَنْ زَيْد أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلاَّمٍ يَقُولُ حَدَّثَنِى أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِىُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- يَقُولُ « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِه اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ

---

[٨٥٦] - نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ـــ للترمذى - (٣ / ١٧٣) مرسل ، ولا يصح ، وورد بعضه مفرقا

[٨٥٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣١٣٢)

[٨٥٨] -أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٥٧٠)

أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ». قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَغَنِى أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ." رواه مسلم[٨٥٩].

ومنها حصوله على ثروة عريضة من الحسنات التي تضاف إلى رصيده عند تلاوة كل حرف من الكتاب الكريم،فعن مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِىَّ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ ». رواه الترمذي[٨٦٠].

ومنها ارتقاؤه إلى مترلة لا تنتهي رفعتها إلا عندما ينتهي من تلاوته فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِى الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا ». رواه الترمذي[٨٦١].

ومنها نيله شهادة نبوية بتقليده أعلى وسام إلهي،فعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ،فَقِيلَ:مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ ؟ قَالَ:أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ.". رواه أحمد[٨٦٢].

إنه كتاب الله تعالى الدستور الجامع لأحكام الإسلام،والمنبع الصافي للعلم والخير والحكمة والنور والوسيلة المختصرة لمعرفة الله تعالى وقربه ورضاه والوصول إلى حقائق التقوى ومعادن الإيمان. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللَّهِ،فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ،إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ،عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ،وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ،لاَ يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ،وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ،وَلاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ،وَلاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ،فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاَوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ،أَمَا إِنِّى لاَ أَقُولُ الم وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلاَمٍ وَمِيمٍ. " الدارمي[٨٦٣].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي،قَالَ:عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ،وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ،فَإِنَّهَا رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ،وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلاوَةِ كِتَابِهِ،فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ وَذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ،وَاخْزُنْ لِسَانَكَ إِلَّامِنْ خَيْرٍ،فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ." الطبراني[٨٦٤]

إنه رسالة الله العلي القدير،لهذا الإنسان الضعيف الجهول الفقير،لتأخذ بيده وتدله على سبيل النجاة،وتهديه إلى صراط الله،وتمنحه السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

---

[٨٥٩] – صحيح مسلم- المكتز – (١٩١٠)

البطلة : السحرة –الصواف : جمع صافة وهى الباسطة أجنحتها فى الهواء –الغايتان : مثنى غاية وهى السحابة –الفرقان : الجماعتان

[٨٦٠] – سنن الترمذى- المكتز – (٣١٥٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[٨٦١] – سنن الترمذى- المكتز – (٣١٦٢) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٨٦٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٣٢٧) (١٢٢٧٩) ١٢٣٠٤- صحيح

[٨٦٣] – سنن الدارمى- المكتز – (٣٣٧٨) حسن

[٨٦٤] – المعجم الصغير للطبراني – (٢ / ١٥٦) (٩٤٩) حسن لغيره

فعَنْ مُحَمَّد بن جُبَيْر بن مُطْعِم،عَنْ أَبيه،قَالَ:كُنَّا مَعَ رَسُول اللَّه ﷺ،بالْجُحْفَة فَخَرَجَ عَلَيْنَا،فَقَالَ:أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ،وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه،وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْد اللَّه ؟ قُلْنَا:نَعَمْ،قَالَ:فَأَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَد اللَّه،وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ،فَتَمَسَّكُوا بِه،وَلا تُهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا. رواه الطبراني[٨٦٥].

ولقد بوأ الله به المسلمين عندما تمسكوا به،وأخلصوا في تطبيق أوامره،وتنفيذ أحكامه ووصاياه،وانتهوا عن كل ما نهى عنه،بوأهم مكانة الصدارة بين الأمم،وجعلهم مخلّصي الشعوب ومعلمي الأمم،وناشري الحضارة التي ما عرف التاريخ لها مثيلا،فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس.

وهذا كتاب الله تعالى تكفل بحفظه،وسخر عباده لتوثيقه،ليكون الدستور الخالد إلى يوم القيامة {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)} الحجر.

والقرآن قد جاء بعد كُتب متعددة،وكان كل كتاب منها يحمل منهج الله؛ إلا أن أيَّ كتاب منها لم يَكُنْ معجزة؛ بل كانت المُعْجزة تنزل مع أيِّ رسول سبق سيدنا رسول الله ﷺ،وعادة ما تكون المعجزة من صنف ما نبغ فيه القوم الذين نزل فيهم.

وما دام المنهج مفصولاً عن المعجزة؛ فقد طلب الحق سبحانه من الحاملين لكتب المنهج تلك أنْ يحافظوا عليها،وكان هذا تكليفاً من الحق سبحانه لهم. والتكليف ــ كما نعلم ــ عُرْضة أنْ يُطَاع،وعُرْضة أنْ يُعصى،ولم يلتزم أحد من الأقوام السابقة بحفظ الكُتب المنزّلة إليهم.

ونجد الحق ــ سبحانه وتعالى ــ يقول:{ إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ... }[المائدة: ٤٤]

أي: أن الحق ــ سبحانه وتعالى ــ قد كلّفهم وطلب منهم أنْ يحفظوا كتبهم التي تحمل منهجه؛ وهذا التكليف عُرْضة أنْ يطاع،وعُرْضة أنْ يُعصى؛ وهم قد عَصَوا أمر الحق سبحانه وتكليفه بالحفظ؛ ذلك أنهم حرّفوا وبدلوا وحذفوا من تلك الكتب الكثير. فقد قال الحق سبحانه عنهم:{ ...وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }[البقرة: ١٤٦]

بل وأضافوا من عندهم كلاماً وقالوا: هو من عند الله؛ لذلك قال فيهم الحق سبحانه:{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ }[البقرة: ٧٩]

وهكذا ارتكبوا ذنوب الكذب وعدم الأمانة،ولم يحفظوا الكتب الحاملة لمنهج الله كما أنزلها الله على أنبيائه ورُسله السابقين على رسول الله ﷺ.

ولذلك لم يَشَأ الحق سبحانه أن يترك مهمة حفظ القرآن كتكليف منه للبشر؛ لأن التكليف عُرْضة أن يطاع وعُرْضة أنْ يُعصى،فضلاً عن أن القرآن يتميز عن الكتب السابقة في أنه يحمل المنهج،وهو

---

[٨٦٥] – المعجم الكبير للطبراني – (٢ / ١٦٣) (١٥٢٠) والصحيحة (٧١٣) وصحيح الجامع (٣٤) صحيح لغيره

المعجزة الدالة على صِدْق بلاغ رسول الله ﷺفي نفس الوقت.ولذلك قال الحق سبحانه: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]

والذِّكْر إذا أُطلِق انصرف المعنى إلى القرآن؛ وهو الكتاب الذي يحمل المنهج؛ وسبحانه قد شاء حِفْظه؛ لأنه المعجزة الدائمة الدالة على صدق بلاغ رسوله ﷺ.وكان الصحابة يكتبون القرآن فَوْرَ أن يترل على رسول الله ﷺ،ووجدنا في عصرنا من هم غير مؤمنين بالقرآن؛ ولكنهم يتفنّنون في وسائل حفْظه؛ فهناك مَنْ طبع المصحف في صفحة واحدة؛ وسخَّر لذلك مواهب أُناسٍ غير مؤمنين بالقرآن.

وحدث مثل ذلك حين تَمّ تسجيل المصحف بوسائل التسجيل المعاصرة. وفي ألمانيا ــ على سبيل المثال ــ توجد مكتبة يتم حِفْظ كل ما يتعلق بكل آية من القرآن في مكان مُعيّن مُحدّد.وفي بلادنا المسلمة نجد مَنْ ينقطع لحفظ القرآن منذ الطفولة،ويُنهي حِفْظه وعمره سبع سنوات؛ وإنْ سألته عن معنى كلمة يقرؤها فقد لا يعرف هذا المعنى.

ومن أسرار عظمة القرآن أن البعض مِمَّنْ يحفظونه لا يملكون أية ثقافة،ولو وقف الواحد من هؤلاء عند كلمة؛ فهو لا يستطيع أن يستكملها بكلمةٍ ذات معنى مُقَارب لها؛ إلى أنْ يردّه حافظٌ آخر للقرآن.

ولكي نعرف دِقّة حِفْظ الحق سبحانه لكتابه الكريم؛ نجد أن البعض قد حاول أن يُدخِل على القرآن ما ليس فيه،وحاول تحريفه من مدخل،يروْنَ أنه قريب من قلب كل مسلم،وهو توقير الرسول ﷺ؛ وجاءوا إلى قول الحق سبحانه:{ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... }[الفتح: ٢٩]

وأدخلوا في هذه الآية كلمة ليست فيها،وطبعوا مصحفاً غيَّروا فيه تلك الآية بكتابتها " محمد رسول الله ﷺوالذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم " وأرادوا بذلك أن يسرقوا عواطف المسلمين،ولكن العلماء عندما أمسكوا بهذا المصحف أمروا بإعدامه وقالوا: " إن به شيئاً زائداً "،فردَّ مَنْ طبع المصحف " ولكنها زيادة تحبونها وتُوقّرونها "،فردَّ العلماء: " إن القرآن توقيفيّ؛ نقرؤه ونطبعه كما نزل ".وقامت ضَجَّة؛ وحسمها العلماء بأن أيّ زيادة ــ حتى ولو كانت في توقير رسول الله ﷺومحبته ــ لا تجوز في القرآن،لأن علينا أن نحفظ القرآن كما لقَّنه جبريل لمحمد ﷺ.[٨٦٦]

وننظر نحن اليوم من وراء القرون إلى وعد اللّه الحق بحفظ هذا الذكر فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب – إلى جانب غيرها من الشواهد الكثيرة – ونرى أن الأحوال والظروف والملابسات والعوامل التي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركه مصونا محفوظا لا تتبدل فيه كلمة،ولا تحرف فيه جملة،لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إرادة

---

[٨٦٦] – تفسير الشعراوي – (/ ١٧٩٧)

البشر،أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل،تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل،وتصونه من العبث والتحريف.

لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق،وكثر فيه النزاع،وطمت فيه الفتن،وتماوجت فيه الأحداث. وراحت كل فرقة تبحث لها عن سند في هذا القرآن وفي حديث رسول اللّه – ﷺ– ودخل في هذه الفتن وساقها أعداء هذا الدين الأصلاء من اليهود – خاصة – ثم من «القوميين» دعاة «القومية» الذين تسمّوا بالشعوبيين! ولقد أدخلت هذه الفرق على حديث رسول اللّه – ﷺ– ما احتاج إلى جهد عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء عشرات من السنين لتحرير سنة رسول اللّه – ﷺ– وغربلتها وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدين.كما استطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تؤول معاني النصوص القرآنية،وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتجاهات ..

ولكنها عجزت جميعا – وفي أشد أوقات الفتن حلوكة واضطرابا – أن تحدث حدثا واحدا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ وبقيت نصوصه كما أنزلها اللّه حجة باقية على كل محرف وكل مؤول وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ.

ثم جاء على المسلمين زمان – ما نزال نعانيه – ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم،وعن حماية عقيدتهم،وعن حماية نظامهم،وعن حماية أرضهم،وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم. وحتى عن حماية عقولهم وإدراكهم! وغيّر عليهم أعداؤهم الغالبون كل معروف عندهم،وأحلوا مكانه كل منكر فيهم .. كل منكر من العقائد والتصورات،ومن القيم والموازين،ومن الأخلاق والعادات. ومن الأنظمة والقوانين .. وزينوا لهم الانحلال والفساد والتوقح والتعري من كل خصائص «الإنسان» وردوهم إلى حياة كحياة الحيوان .. وأحيانا إلى حياة يشمئز منها الحيوان .. ووضعوا لهم ذلك الشر كله تحت عنوانات براقة من «التقدم» و«التطور» و«العلمانية» و«العلمية» و«الانطلاق» و«التحرر» و«تحطيم الأغلال» و«الثورية» و«التجديد» ... إلى آخر تلك الشعارات والعناوين .. وأصبح «المسلمون» بالأسماء وحدها مسلمين. ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير.

وباتوا غثاء كغثاء السيل لا يمنع ولا يدفع،ولا يصلح لشيء إلا أن يكون وقودا للنار .. وهو وقود هزيل! ..

ولكن أعداء هذا الدين – بعد هذا كله – لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها. ولم يكونوا في هذا من الزاهدين. فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ،وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال! ولقد بذل أعداء هذا الدين – وفي مقدمتهم اليهود – رصيدهم من تجارب أربعة آلاف سنة أو تزيد في الكيد لدين اللّه. وقدروا على أشياء كثيرة .. قدروا على الدس في سنة رسول اللّه – ﷺ– وعلى تاريخ الأمة المسلمة. وقدروا على تزوير الأحداث ودس الأشخاص في

جسم المجتمع المسلم ليؤدوا الأدوار التي يعجزون عن أدائها وهم سافرون. وقدروا على تحطيم الدول والمجتمعات والأنظمة والقوانين.وقدروا على تقديم عملائهم الخونة في صورة الأبطال الأمجاد ليقوموا لهم بأعمال الهدم والتدمير في أجسام المجتمعات الإسلامية على مدار القرون،وبخاصة في العصر الحديث ..ولكنهم لم يقدروا على شيء واحد – والظروف الظاهرية كلها مهيأة له – .. لم يقدروا على إحداث شيء في هذا الكتاب المحفوظ،الذي لا حماية له من أهله المنتسبين إليه وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع فدل هذا مرة أخرى على ربانية هذا الكتاب،وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنه حقا تنزيل من عزيز حكيم.

لقد كان هذا الوعد على عهد رسول اللّه – ﷺ– مجرد وعد. أما هو اليوم – من وراء كل تلك الأحداث الضخام ومن وراء كل تلك القرون الطوال. فهو المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب،والتي لا يماري فيها إلا عنيد جهول:«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ،وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ» .. وصدق اللّه العظيم ..[٨٦٧]

وصدق رسول الله ﷺإذ يقول:" خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ. " رواه البخاري[٨٦٨].

قال أحدهم:

قد حوى القرآن نورا وهدى .....فعصى القرآن من لا يعقل

قل لقوم نبذوا أحكامه .....ما لكم مما نبذتم بدل

فاسألوا التاريخ عن قرآنكم .....يوم ضاءت بسناه السبل

فكأن الكون أفق أنتم .....فيه بدر كامل لا يأفل

أو كأن الكون منكم روضة .....وعلى الأغصان أنتم بلبل

إنه كتاب الله،مترلته كمترلة مترله،وتعظيمه من تعظيم قائله،والأدب معه أدب مع الله سبحانه وحري بالمسلم أن يتعلم هذه الآداب ليلتزمها مع كتاب الله الكريم.

١ – أن يقصد بقراءته وجه الله تعالى،وتعلم أحكام كتابه،وتنفيذ أمر ربه بتلاوة القرآن الكريم.

قال الله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) سورة البينة.

وهذه هي قاعدة دين اللّه على الإطلاق: عبادة اللّه وحده،وإخلاص الدين له،والميل عن الشرك وأهله،وإقامة الصلاة،وإيتاء الزكاة:«وَذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» .. عقيدة خالصة في الضمير،وعبادة للّه،تترجم عن هذه العقيدة،وإنفاق للمال في سبيل اللّه،وهو الزكاة .. فمن حقق هذه القواعد،فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب،وكما هو في دين اللّه على الإطلاق. دين واحد. وعقيدة واحدة،تتوالى بها الرسالات،ويتوافى عليها الرسل .. دين لا غموض فيه ولا تعقيد. وعقيدة لا تدعو

---

[٨٦٧] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٤ / ٢١٢٧)

[٨٦٨] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٠٢٧) وصحيح ابن حبان – (١ / ٣٢٥) (١١٨)

إلى تفرق ولا خلاف،وهي بهذه النصاعة،وبهذه البساطة،وبهذا التيسير. فأين هذا من تلك التصورات المعقدة،وذلك الجدل الكثير؟[٨٦٩]

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَاصٍّ يَقْرَأُ ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ ». رواه الترمذي[٨٧٠].

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يَتَأَكَّلُ بِهِ النَّاسَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَجْهُهُ عَظْمٌ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ " " رواه البيهقي[٨٧١].

٢- أن يكون على طهارة من الحدثين،فالطهارة من الجنابة والحيض والنفاس فرض لقراءة القرآن أو مس المصحف وحمله.

قال تعالى:{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)} الواقعة.

إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع،كثير الخير،غزير العلم،في كتاب مَصُون مستور عن أعين الخلق،وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب،ولا يَمَسُّه أيضًا إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين،فهو الحق الذي لا مرية فيه.[٨٧٢]

فعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ،قَالَ:سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَمَةَ،قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَا وَرَجُلَانِ:رَجُلٌ مِنَّا،وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ،أَحْسَبُ فَبَعَثَهُمَا وَجْهًا،وَقَالَ:إِنَّكُمَا عِلْجَانِ فَعَالِجَا عَنْ دِينِكُمَا،ثُمَّ دَخَلَ الْمَخْرَجَ ثُمَّ خَرَجَ،فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ مَاءٍ فَتَمَسَّحَ بِهَا ثُمَّ جَاءَ،فَقَرَأَ الْقُرْآنَ قِرَاءَةً فَأَنْكَرْنَا ذَلِكَ،فَقَالَ عَلِيٌّ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَأْتِي الْخَلاءَ فَيَقْضِي الْحَاجَةَ،ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَأْكُلُ مَعَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ،وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ،وَلا يَحْجُبُهُ عَنِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَيْسَ الْجَنَابَةَ،أَوْ إِلا الْجَنَابَةُ " ابن خزيمة[٨٧٣].

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا لَمْ يَكُنْ جُنُبًا. وَبِهِ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَالتَّابِعِينَ.قَالُوا يَقْرَأُ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ وَلاَ يَقْرَأُ فِى الْمُصْحَفِ إِلاَّ وَهُوَ طَاهِرٌ. وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ وَالشَّافِعِىُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ.[٨٧٤]

---

[٨٦٩] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٩٥٢)

[٨٧٠] - سنن الترمذى- المكتر - (٣١٦٧) والصحيحة (٢٥٧) و صحيح الجامع (٦٤٦٧) صحيح لغيره

[٨٧١] - شعب الإيمان - (٤ / ١٩٦) (٢٣٨٤) صحيح لغيره

[٨٧٢] - التفسير الميسر - (١٠ / ١٥)

[٨٧٣] - صحيح ابن خزيمة- (١ / ١١٧) حسن

[٨٧٤] - سنن الترمذى- المكتر - (١٤٦) قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ عَلِيٍّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وعَنْ أَبِي الْغَرِيف،قَالَ:أُتِيَ عَلِيٌّ بِوَضُوءٍ،فَمَضْمَضَ،وَاسْتَنْشَقَ ثَلاثًا،وَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا،وَغَسَلَ يَدَيْهِ وَذِرَاعَيْهِ ثَلاثًا ثَلاثًا،ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ،ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺتَوَضَّأَ،ثُمَّ قَرَأَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ،ثُمَّ قَالَ:هَذَا لِمَنْ لَيْسَ بِجُنُبٍ فَأَمَّا الْجُنُبُ فَلا،وَلاَ آيَةَ." أحمدرواه أحمد[٨٧٥].

٣- تنظيف الفم بالسواك وغيره،لأنه مجرى كلام الله تبارك وتعالى.

فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ فَطَيِّبُوهَا بِالسِّوَاكِ." رواه ابن ماجة[٨٧٦]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ :« إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ لِلْقُرْآنِ ؛ فَطَهِّرُوهَا بِالسِّوَاكِ »[٨٧٧]

٤- يستحب للقارئ أن يجلس مستقبلا القبلة إذا تمكن من ذلك،فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْرَمُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ " الطبراني[٨٧٨]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا،وَإِنَّ شَرَفَ الْمَجَالِسِ مَا اسْتُقْبِلَ بِهِ الْقِبْلَةُ،وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ أَخِيهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ،فَكَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي النَّارِ."[٨٧٩]

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى،قَالَ:إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شَرَفًا،وَأَشْرَفُ الْمَجَالِسِ مَا اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ،وقَالَ:مَا رَأَيْت سُفْيَانَ يَجْلِسُ إلاَّ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ."[٨٨٠]

وعَنْ مَكْحُولٍ،قَالَ:أَفْضَلُ الْمَجَالِسِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ.[٨٨١]

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى،قَالَ:لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّدٌ،وَسَيِّدُ الْمَجَالِسِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ.[٨٨٢]

ويجوز أن يقرأ قائما أو ماشيا أو مضجعا أو في فراشه أو في الطريق أو على غير ذلك من الأحوال وله الأجر،وإن كان دون الأول[٨٨٣].

٥- طهارة المكان والثياب ونظافتهما،والتجمل والتطيب استعدادا لمناجاة الله تعالى بتلاوة كلامه. قال تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} (٤) سورة المدثر

---

[٨٧٥] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٣٢٢) (٨٧٢) حسن

[٨٧٦] - سنن ابن ماجه- المكتر - (٣٠٦) ومعجم ابن الأعرابي - (١٧٥٧) ضعيف

[٨٧٧] - المجالسة وجواهر العلم - (٣ / ٦٨) (٦٧٩) ضعيف

[٨٧٨] - المعجم الكبير للطبراني - (١١ / ٣٣٦)(٧٦٦) والسنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٧ / ٢٧٢)(١٤٩٨٢) حسن لغيره

[٨٧٩] - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٩٧) (١٠٦٣٠) حسن لغيره

[٨٨٠] - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٤٨٦)(٢٦٤٥٧) صحيح مقطوع

[٨٨١] - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٤٨٧) (٢٦٤٦٠) صحيح مقطوع

[٨٨٢] - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٤٨٧) (٢٦٤٦١) صحيح مقطوع

[٨٨٣] - انظر : غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب - (٣ / ٣٨٢) ولواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية - (٢ / ٨٧) وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم - (١ / ٥١٠) معنى حديث: "خير المجالس ما استقبل به القبلة"

يحتمل أن المراد بثيابه،أعماله كلها،وبتطهيرها تخليصها والنصح بها،وإيقاعها على أكمل الوجوه،وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات،والمنقصات من شر ورياء،[ونفاق]،وعجب،وتكبر،وغفلة،وغير ذلك،مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة،فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة،التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة. ويحتمل أن المراد بثيابه،الثياب المعروفة،وأنه مأمور بتطهيرها عن [جميع] النجاسات،في جميع الأوقات،خصوصا في الدخول في الصلوات،وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر،فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن[٨٨٤].

٦- التعوذ والبسملة قبل البدء بالتلاوة.قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (٩٨) سورة النحل.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺوَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ،عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺبِأَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ،إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ .[٨٨٥]

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ،فَهُوَ أَقْطَعُ."[٨٨٦]

٧- المداومة على قراءة القرآن،بالتزام ورد يومي وإن قلّ،وتجنب هجران القرآن ونسيان تلاوته.

عن الْحَسَنَ،قالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا طَهُرَتْ مَا شَبِعْنَا مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا،وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَنْظُرُ فِي الْمُصْحَفِ " وَمَا مَاتَ عُثْمَانُ حَتَّى خُرِقَ مُصْحَفُهُ مِنْ كَثْرَةِ مَا كَانَ يُدِيمُ النَّظَرَ فِيهَا "[٨٨٧]

قال تعالى:{ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً (٣٠)} الفرقان.

وَقَالَ الرَّسُولُ مُشْتَكِياً إِلَى رَبِّه:يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً،أَيْ أَنَّ قَوْمِي الّذِينَ بَعَثْتَنِي إِلَيْهِمْ لأَدْعُوَهُمْ إِلى تَوْحِيدِكَ،وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلاَغِ القُرْآنِ إِلَيْهِم،قَدْ هَجرُوا كِتَابَكَ،وَتَرَكُوا الإِيمانَ بِكَ،وَلَمْ يَأْبَهُوا بِوَعِيدِكَ،بل أَعْرَضُوا عن استماعِهِ واتِّبَاعِه .[٨٨٨]

لقد هجروا القرآن الذي نزله اللّه على عبده لينذرهم. ويبصرهم. هجروه فلم يفتحوا له أسماعهم إذ كانوا يتقون أن يجتذبهم فلا يملكون لقلوبهم عنه ردا. وهجروه فلم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله،ويجدوا الهدي على نوره. وهجروه فلم يجعلوه دستور حياتهم،وقد جاء ليكون منهاج حياة يقودها إلى أقوم طريق [٨٨٩]

---

[٨٨٤] - تفسير السعدي - (١ / ٨٩٥)

[٨٨٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٩٩)

[٨٨٦] - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي - (١٢١٩) وفيه ضعف

[٨٨٧] - شعب الإيمان - (٣ / ٥١٠) (٢٠٣٠) حسن

[٨٨٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٦٧)

[٨٨٩] - في ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٥٦١)

وعَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِى عُقُلِهَا » رواه مسلم[٨٩٠].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا »[٨٩١].

٨- الإقبال بشغف وشوق ومحبة على كلام الله تعالى حتى يتملك عليه مشاعره وأحاسيسه،وقلبه وفكره وروحه،ويعين على ذلك طرح كل ما يشغله من أفكار أو كلام أو هموم الحياة الدنيا،وخصوصا في صلاة الليل.قال تعالى:{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ} الزمر ٢٣.

اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ قُرْآناً يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً (مَثَانِيَ)،وَيَتَرَدَّدُ فِيهِ القَوْلُ،مَعَ المَوَاعِظِ والأَحْكَامِ لِيَفْهَمَ النَّاسُ مَا أَرَادَ رَبُّهُمْ تَعَالَى،وَإِذَا تُلِيَتْ مَعَهُ آيَاتُ العَذَابِ والعِقَابِ اقْشَعَرَّتْ لَهَا جُلُودُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ،وَوَجِلَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ،وَإِذَا تُلِيَتْ آيَاتُ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ والثَّوَابِ تَلِينُ قُلُوبُهُمْ،وَتَطْمَئِنُّ نُفُوسُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ.وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللهُ،وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيُعْرِضُ عَنِ الحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ دُونِ اللهِ .[٨٩٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:"مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ وَيُعْجِبُهُ فَهُوَ بِخَيْرٍ".[٨٩٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:"مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ". رواه الطبراني[٨٩٤].

٩- تحسين الصوت وتزيينه عند التلاوة،والتغني بالقرآن ليكون أشد وقعا،وأكبر تأثيرا في القلوب.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ - ﷺ- يَقُولُ « مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَىْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِىٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ».متفق عليه[٨٩٥].

---

[٨٩٠] – صحيح مسلم- المكتر – (١٨٨٠) –العُقل : جمع العقال وهو الحبل الذى يربط به البعير

[٨٩١] – سنن الترمذى- المكتر – (٣١٦٦) وصحيح ابن خزيمة – (٢ / ٢٥٦) حسن

وهناك خلاف حول سماع المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب من أنس والراجح أنه سمع منه انظر التهذيب ١٠/١٧٨ و١٧٩

[٨٩٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٦٠)

[٨٩٣] – المعجم الكبير للطبراني – (٨ / ٣٨) (٨٥٧٤) صحيح

[٨٩٤] – المعجم الكبير للطبراني – (٨ / ٣٨) (٨٥٧٥) صحيح

[٨٩٥] -صحيح البخارى- المكتر – (٧٥٤٤) وصحيح مسلم- المكتر -(١٨٨٣)

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع، كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسناً

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ." ابن حبان[٨٩٦].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ–:" مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا ".رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى[٨٩٧].

وعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ." ابن حبان[٨٩٨]

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنَا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ،مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ." ابن حبان[٨٩٩]

بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها، ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء. انظر "الفتح" "٩/٦٨-٧٢".

[٨٩٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٢٥) (٧٤٩) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَلْفَاظِ الأَضْدَادِ ، يُرِيدُ بِقَوْلِهِ ﷺ: زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، لاَ : زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ.

[٨٩٧] – مسند أبي يعلى الموصلي (٤٧٥٥) حسن لغيره

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَوْلُهُ ﷺ: يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ، يُرِيدُ يَتَحَزَّنُ بِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْغُنْيَةِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْغُنْيَةِ لَقَالَ : يَتَغَانَى بِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : يَتَغَنَّى بِهِ ، وَلَيْسَ التَّحَزُّنُ بِالْقُرْآنِ نَقَاءَ الْجِرْمِ ، وَطِيبَ الصَّوْتِ ، وَطَاعَةَ اللَّهَوَاتِ بِأَنْوَاعِ النَّغَمِ بِوِفَاقِ الْوِقَاعِ ، وَلَكِنَّ التَّحَزُّنَ بِالْقُرْآنِ هُوَ أَنْ يُقَارِنَهُ شَيْئَانِ : الأَسَفُ وَالتَّلَهُّفُ : الأَسَفُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَالتَّلَهُّفُ عَلَى مَا يُؤْمَلُ مِنَ التَّوْقِيرِ ، فَإِذَا تَأَلَّمَ الْقَلْبُ وَتَوَجَّعَ ، وَتَحَزَّنَ الصَّوْتُ وَرَجَّعَ ، بَدَرَ الْجَفْنَ بِالدُّمُوعِ ، وَالْقَلْبَ بِاللُّمُوعِ ، فَحِينَئِذٍ يَسْتَلِذُّ الْمُتَهَجِّدُ بِالْمُنَاجَاةِ ، وَيَفِرُّ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى وَكْرِ الْخَلَوَاتِ ، رَجَاءَ غُفْرَانِ السَّالِفِ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَالتَّجَاوُزِ عَنِ الْجِنَايَاتِ وَالْعُيُوبِ ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لَهُ.صحيح ابن حبان – (٣ / ٢٨)

[٨٩٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣٠)(٧٥٣) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ التَّحَزُّنَ الَّذِي أَذِنَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ فِيهِ بِالْقُرْآنِ وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ هُوَ التَّحَزُّنُ بِالصَّوْتِ مَعَ بِدَايَتِهِ وَنِهَايَتِهِ ، لأَنَّ بَدَاءَتَهُ هُوَ الْعَزْمُ الصَّحِيحُ عَلَى الانْقِلاَعِ عَنِ الْمَزْجُورَاتِ ، وَنِهَايَتُهُ وُفُورُ التَّشْمِيرِ فِي أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ ، فَإِذَا اشْتَمَلَ التَّحَزُّنُ عَلَى الْبِدَايَةِ الَّتِي وَصَفْتُهَا ، وَالنِّهَايَةُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا ، صَارَ الْمُتَحَزِّنُ بِالْقُرْآنِ كَأَنَّهُ قَذَفَ بِنَفْسِهِ فِي مِقْلاَعِ الْقُرْبَةِ إِلَى مَوْلاَهُ ، وَلَمْ يَتَعَلَّقْ بِشَيْءٍ دُونَهُ.

[٨٩٩] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣١)(٧٥٤) حسن

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إِنَّمَا أَرَادَ وَاللهُ أَعْلَمُ الِاسْتِمَاعَ لَهُ، وَقَوْلُه لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ " يُرِيدُ بِهِ تَحْسِينَ الْقَارِئِ صَوْتَهُ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ يَمِيلُ بِهِ نَحْوَ التَّحْزِينِ دُونَ التَّطْرِيبِ "شعب الإيمان – (٣ / ٤٦٥)

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ (الكلاباذي): إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَصَابَهُ غَمٌّ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَتَسَلَّى بِشَيْءٍ ، أَوْ ضَاقَ صَدْرُهُ مِنْ أَمْرٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْرَحَ ، أَوْ أَصَابَتْهُ وَحْشَةٌ فَأَحَبَّ إِزَالَتَهَا عَنْهُ ، رُبَّمَا يُغَنِّي ، وَهُوَ أَنْ يُنَغِّمَ ، وَيُرَجِّعَ صَوْتَهُ لِشَيْءٍ مِنَ الشِّعْرِ ، وَالزَّجَلِ ، وَالْمَنْظُومِ مِنَ الْكَلَامِ ، يَطْلُبُ بِذَلِكَ رَاحَةً وَفَرْحَةً مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْوَحْشَةِ أَوِ الْكَرْبِ ، وَالْغَمِّ . وَالْأَنْبِيَاءُ ، وَالرُّسُلُ ، وَأَفَاضِلُ الْأَوْلِيَاءِ ، وَالصِّدِّيقُونَ هُمُومُهُمْ هَمُّ الْمَعَادِ ، وَكَرْبُهُمْ كَرْبُ الدِّينِ ، وَوَحْشَتُهُمْ مِمَّا دُونَ اللَّهِ ، وَضِيقُ صُدُورِهِمْ عَمَّا يَشْغَلُهُمْ عَنِ اللَّهِ ، فَهُمْ لَا يَتَفَرَّحُونَ مِنْ كَرْبِهِمْ إِلَّا بِذِكْرِ رَبِّهِمْ ، وَلَا يَنْسَلُّونَ عَنْ غُمُومِهِمْ وَهُمُومِهِمْ إِلَّا بِمَوْلَاهُمْ ، فَيُرَجِّعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الَّذِي مِنْ مَحْبُوبِهِمْ بَدَأَ ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، وَبِخَشْيَتِهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَرِقَّةٍ مِنْ أَفْوَاهِ أَفْئِدَتِهِمْ ، وَيُزَانُ مَحَبَّتُهُ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ وَمَاءُ الِاشْتِيَاقِ يَجْرِي عَلَى خُدُودِهِمْ ، فَتَحْسُنُ لِذَلِكَ أَصْوَاتُهُمْ ؛ لِأَنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ هُوَ قِرَاءَتُهُ عَلَى خَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ . وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ ؟ فَقَالَ : " مَنْ إِذَا قَرَأَ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى " فَأَخْبَرَ أَنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ قِرَاءَتُهُ عَلَى خَشْيَةٍ مِنَ اللَّهِ . فَقَوْلُهُ ﷺ: " حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ " ، يُرِيدُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قِرَاءَتَهُ عَلَى خَشْيَتِهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَخُشُوعٍ فِي نَفْسِهِ ، وَرِقَّةٍ مِنْ فُؤَادِهِ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَفَاضِلِ الْأَوْلِيَاءِ ، لَيْسَ تَرْجِيعَ الصَّوْتِ وَالْإِلْحَانِ ، وَتَحْرِيكَ الْحَنَكِ ، كَفِعْلِ مَنْ يَتَلَهَّى بِكَلَامِ الْمُحَدِّثِ الَّذِي يُرِيدُ بِهِ إِثَارَةَ الشَّهَوَاتِ الْخَفِيَّةِ بِقُلُوبٍ لَاهِيَةٍ ، وَأَفْئِدَةٍ سَاهِيَةٍ تَتَزَيَّنُ لِلنَّاسِ ، وَلَا يُطْرَدُ الْخَنَّاسُ ، وَيَزِيدُ فِي الْوَسْوَاسِ ،

١٠- قراءة القرآن حسب قواعد التجويد،وترتيله على النحو الذي وضعه علماء القرآن بتأديته حرفا حرفا،من غير استعجال،وكما ورد عن السلسلة المتصلة بالنبي ﷺفي تلقي القرآن الكريم،قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازم .....من لم يجوّد القرآن آثم

لأنه به الإله أنزله .....وهكذا منه إلينا وصله

وهذا الواجب يتأدى بالتطبيق العملي للأحكام على ما يقرؤه القارئ،ولو كان لا يعلم قواعد التجويد وأحكامه نظرياً،فالمهم أن يقرأ بالترتيل ما أمره الله تعالى،والترتيل هو تجويد الحروف،ومعرفة الوقوف كما قال أهل العلم [٩٠٠]،قال تعالى:{ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)} المزمل.

وَاقْرَأ القُرْآنَ مُتَمَهِّلاً فِي قِرَاءَتِه،لأَنَّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ مَعَانِيه وَتَدَبُّرِه،وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) يَقْرَأُ القُرْآنَ[٩٠١]

فَمَنْ رُزِقَ حُسْنَ النِّعْمَة ، وَخَشْيَةَ الْقَلْب ، وَرِقَّةَ الْفُؤَاد ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ مُتَرَسِّلًا لَهُ ، مُرَتِّلًا حَقَّ حُرُوفه ، فَذَلِكَ الْكَامِلُ الَّذي أُوتيَ مزْمَارًا منْ مَزَامير آل دَاوُدَ كَمَا قَالَ ﷺحينَ سَمعَ قرَاءَةَ أَبي مُوسَى ، فَقَالَ : " لَقَدْ أُوتيَ أَبُو مُوسَى مزْمَارًا منْ مَزَامير دَاوُدَ " ﷺ. وَقَالَ أَبُو مُوسَى رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: " قَدْ سَمعْتُ قرَاءَتَكَ " ، فَقَالَ : أَمَا لَوْ عَلمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ قرَاءَتي لَحَبَّرْتُهَا لَكَ تَحْبيرًا وَمَنْ لَمْ يُرْزَقْ حُسْنَ النِّعْمَة ، وَأُتيَ بمَا سوَاهَا مَنْ لَمْ يَخْرُجْ إنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى منْ صفَة مَنْ يَأْذَن اللَّهُ لَهُ بحُسْن صَوْته وَقَوْلُهُ ﷺ: " مَا أَذنَ اللَّهُ لشَيْءٍ مَا أَذنَ لنَبيٍّ " ، أَيْ : مَا رَضيَ منَ الْمَسْمُوعَات شَيْئًا هُوَ أَرْضَى عنْدَهُ ، وَلَا أَحَبُّ إلَيْه ، وَلَا آثَرُ لَدَيْه منْ قرَاءَة الْقُرْآن عَلَى خَشْيَة منَ اللَّه ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بالسَّمْع وَالْبَصَر ، وَالرُّؤْيَة ، وَالْإدْرَاك ، وَهُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ ، وَالسَّمْعُ صفَةٌ لَهُ عَلَى الْحَقيقَة في ذَاته بخلَاف مَا يَفْعَلُ منَ اسْتمَاع الْمُحَدَثينَ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ صفَات الْحَدَث عُلُوًّا كَبيرًا ، فَهُوَ سَامعٌ للْمَسْمُوعَات عَلَى الْحَقيقَة ليَسْتَمعَ ، هُوَ لَهُ صفَةٌ ، وَلَيْسَتْ بجَارحَة ، فَإذْنُ اللَّه سَمَاعُهُ لقرَاءَة الْقُرْآن ، وَهُوَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بأَنَّهُ أَسْمَعُ بشَيْءٍ منْهُ لغَيْره ، وَلَا يُوصَفُ بالاسْتمَاع الَّذي هُوَ جَمْعُ الْفكْر ، وَإحْضَارُ السِّرِّ ، وَإلْقَاءُ السَّمْع . فَلذَلكَ حَملَ مَعْنَى تَخْصيص سَمَاع الْقُرْآن منْهُ عَلَى الرِّضَا وَالْمَحَبَّة وَالْإيثَار ، وَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: " مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالْقُرْآن فَلَيْسَ منَّا " ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَتَفَرَّجْ منْ غُمُومه ، وَلَمْ يَكْتَف ممَّا يُلْهيه عَنْ كُرَبه ، وَيُسَلِّيه عَنْ هُمُومه ، وَيَطْرُدُ وَحْشَاته بقرَاءَة الْقُرْآن وَالتَّفَكُّر فيه ، وَالتَّدَبُّر لَهُ فَلَيْسَ منَّا ، أَيْ : لَيْسَ ذَلكَ منْ أَوْصَافنَا ، وَلَا تَشَبَّهَ بنَا طَريقَةً وَصفَةً ، وَإنْ كَانَ منَّا نحْلَةً وَملَّةً هيَ قَوْلُهُ : " مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالْقُرْآن فَلَيْسَ منَّا " لَهُ مَعْنَيَان : أَحَدُهُمَا : أَنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ هُمُومُهُ هُمُومَ الْمَعَاد ، وَوَحْشَتُهُ منْ أَوْصَاف الْمُحْدَثينَ فَلَيْسَ منَّا ؛ لأَنَّ التَّسَلِّيَ بكَلَام اللَّه إنَّمَا يَكُونُ منْ كُرَب الدِّين وَالْهُمُوم الَّتي تَكُونُ في اللَّه ، فَيَكُونُ التَّسَلِّي منْهَا بمَا منَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَمَّا هُمُومُ الدُّنْيَا منْ جهَة فَوَاتهَا وَنَيْلهَا ، وَوَحْشَةُ الْخَلْق منَ الْأَوْطَان وَالْأَخْدَان ، فَإنَّمَا يُطْلَبُ لَهَا الْمَلَاهي ، وَتَرْجيعُ الْأَصْوَات بالْأَغَاني . وَالْمَعْنَى الْآخَرُ : أَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَأْنسْ باللَّه وَأَذْكَاره ، وَلَمْ يَرْجعْ إلَى اللَّه عنْدَ ضَرُوراته ، وَلَمْ تَكُنْ صفَاتُهُ جَلَّ وَعَزَّ حَائلَةً لَهُ عَنْ وَحْشَة صفَاته ، فَلَيْسَ منَّا خُلُقًا وَسيرَةً ، وَإنْ كَانَ منَّا نُطْقًا وَسَريرَةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ " بَحْرُ الْفَوَائد الْمُسَمَّى بمَعَاني الْأَخْيَار للْكَلَابَاذيِّ (١٧٥)

[٩٠٠] – وانظر المجموع للنووي ج٣صـ٣٥٩ والتبيان في آداب حملة القرآن له أيضاً والفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج١٣صـ٤٠٤ وفتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري. وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٢ / ١١٩١) رقم الفتوى ٣١١٢ جمع القراءات في قراءة واحدة و(٥ / ٧٣٦)رقم الفتوى ٣٠٦٤٣ عدم تعلم علم التجويد لا يعتبر خروجا عن الملة و(٩ / ٤٣٢٣)رقم الفتوى ٦٥١٧٢ حكم الوقف القبيح

[٩٠١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٣٥٧)

وعَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ،قَالَ:سَأَلْتُ أُمَّ سَلَمَةَ عَنْ صَلاَةِ،رَسُولِ اللهِ ﷺبِاللَّيْلِ وَقِرَاءَتِه،فَقَالَتْ:مَا لَكُمْ وَلِصَلاَتِه وَلِقِرَاءَتِه ؟ كَانَ يُصَلِّي قَدْرَ مَا يَنَامُ،وَيَنَامُ قَدْرَ مَا يُصَلِّي،وَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا." أحمد[٩٠٢].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ ». رواه مسلم[٩٠٣].

١١- التدبّر: تُسَنُّ الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ،فَهُوَ الْمَقْصُودُ الأَعْظَمُ،وَالْمَطْلُوبُ الأَهَمُّ،وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ،وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ.قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِه} (سورة ص / ٢٩)

وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْكَ،يَا مُحَمَّدُ،هَذَا القُرْآنَ،وَفِيهِ خَيرٌ وَبَرَكَةٌ،وَنَفْعٌ وَهُدىً لِلنَّاسِ،لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ،وَلِيَتَدَبَّرَهُ أُولُو الأَفْهَامِ والعُقُولِ والأَلْبَابِ.وَتَدَبُّرُ القُرْآنِ لاَ يَكُونُ بِحُسْنِ تِلاَوَتِه،وَإِنَّما يَكُونَ بِالعَمَلِ بِمَا فِيهِ،واتِّبَاعِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ أَوَامِرَ،وَالانْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ[٩٠٤] .

وَقَال:{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (سورة محمد / ٢٤)

أَفَلاَ يَتَدبَّرُ المُنَافِقُونَ مَا فِي القُرآنِ مِنْ مَواعِظَ وَعِبرٍ لِيَعْلَمُوا خَطأ مَا هُمْ مُقِيمُونَ عَلَيهِ،أَمْ أَنَّ قُلُوبَهمَ وَضَعَ اللهُ عَلَيهَا أقفالاً فَهِي تَحولُ بَيْنَك وَبَينَ فَهْمِ القُرآنِ وَتَدَبُّرِ عِظَاتِه؟[٩٠٥]

وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّفَكُّرِ فِي مَعْنَى مَا يَلْفِظُ بِه فَيَعْرِفُ مَعْنَى كُلِّ آيَةٍ،وَيَتَأَمَّلَ الأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ،وَيَعْتَقِدُ قَبُولَ ذَلِكَ،فَإِنْ كَانَ مِمَّا قَصَّرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى اعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ،وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ اسْتَبْشَرَ وَسَأَلَ،أَوْ عَذَابٍ أَشْفَقَ وَتَعَوَّذَ،أَوْ تَنْزِيهٍ نَزَّهَ وَعَظَّمَ،أَوْ دُعَاءٍ تَضَرَّعَ وَطَلَبَ [٩٠٦] .

إنَّ القرآن آيات بينات تتنزل على قلوب المؤمنين فتغمرها بالسكينة والطمأنينة،وتملؤها بالثقة والثبات وتدبر آيات الله عز وجل ومعرفة مقاصدها ومراميها والوقوف عند عظاتها وعبرها. قال الحسن البصري رحمه الله: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم،فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها في النهار".[٩٠٧]

---

[٩٠٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٥٨٩)(٢٦٥٢٦) ٢٧٠٦١- صحيح

[٩٠٣] – صحيح مسلم- المكتز – (١٨٩٨) -يتتعتع : يتردد فى قراءته

[٩٠٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٨٧٨)

[٩٠٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٤٤٨)

[٩٠٦] – الإتقان ص١٠٦ ، والبرهان في علوم القرآن ١ / ٤٥٥ ، والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٤٥ ، الموسوعة الفقهية الكويتية – (١٣ / ٢٥٥)

[٩٠٧] – لم أجده ونسبه هؤلاء إليه ،إحياء علوم الدين – (١ / ٢٨٤) وقوت القلوب – (١ / ٨١) وموسوعة خطب المنبر – (١ / ٤٠٠٣) إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٥ / ٧١١٤)

إنها نعمة عظيمة من النعم التي يوفق إليها العبد المسلم حينما يتدبر آيات ربه،ويتفكر في معانيها وفقهها وأسرارها،قال تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال:٢][٩٠٨].

وعَنْ عَلِيٍّ،قَالَ:أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقِّ الْفِقْهِ ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ،وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مَكْرَ اللَّهِ،وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ إِلَى غَيْرِهِ.أَلاَ لاَ خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ،وَلاَ خَيْرَ فِي فِقْهٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ،وَلاَ خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ [٩٠٩].

وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ،قَالَ:قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ،وَإِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ فَقَالَ:" لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَدَّبَّرُهَا وَأُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ " وفي رواية " أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ أَجْمَعَ هَذْرَمَةً " [٩١٠]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ."[٩١١]

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ:حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالَ:فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً [٩١٢]"

وقد بات الكثير من السلف يتلو أحدهم آية واحدة ليلة كاملة،يرددها ليتدبر ما فيها،وكلما أعادها انكشف له من معانيها،وظهر له من أنوارها،وفاض عليه من علومها وبركاتها.

وقَالَ الأَحْنَف بْنِ قَيْسٍ"عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى الْقُرْآنِ فَلَمْ أَجِدْنِي بِآيَةٍ أَشْبَهُ بِهَذِهِ الآيَةِ " {وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٠٢) سورة التوبة "[٩١٣].

قال تعالى:{ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (٢٩)} ص.

وقال عز وجل:{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)} محمد.

وقال سبحانه:{ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)} الإسراء.

وَآتَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ قُرْآناً نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ مُفَرَّقاً وَمُنَجَّماً لِتَتْلُوَهُ عَلَى النَّاسِ،وَتُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهْلٍ (عَلَى مُكْثٍ)،لِيَتَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِهِ،وَفَهْمِ أَحْكَامِهِ،وَالتَّمَعُّنِ فِيهَا لِتَرْسَخَ فِي عُقُولِهِمْ وَأَفْهَامِهِمْ.وَقَدْ نَزَّلْنَاهُ شَيْئاً فَشَيْئاً بِحَسَبِ الظُّرُوفِ وَالحَوَادِثِ وَالوَقَائِعِ (نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) .

---

[٩٠٨] – موسوعة خطب المنبر – (١ / ٤٠٠٣)

[٩٠٩] – الزهد أبي داود – (١ / ١١٥)(١١١) حسن موقوف

[٩١٠] – فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ (١٨٠) صحيح – أدبر : أتأمل فيها

[٩١١] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٤٦٦) (٣٠٦٤١) صحيح

[٩١٢] – تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ >> سُورَةُ الْفَاتِحَةِ >>(٢٣٠٠) صحيح

[٩١٣] – تفسير ابن أبي حاتم – (٧ / ٣٩٨) (١٠٧٦٤) فيه انقطاع

وَفَرَّقْنَاهُ بالتَّشْديد – كَذَلِكَ كَانَ يَقْرَؤُهَا ابْنُ عَبَّاسٍ:وَمَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَهُ آيَةً فَآيَةً مُفَسَّراً وَمُبَيَّناً لِتَتْلُوَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَهَلٍ،وَتُبْلِغَهُمْ إِيَّاهُ عَلَى مَهَلٍ .[٩١٤]

وقال عز من قائل:{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)}.

وَلَقَدْ جَعَلْنا القُرآنَ سَهْلَ المَعْنى،يَسيرَ اللَّفْظِ،لِيَقْرأَهُ النَّاسُ وَيَتَدَبَّرُوا مَعَانِيَهُ،وَيَتَّعِظُوا بِما جَاءَ فِيهِ،وَلكِنْ هَلْ مَنْ مُتَّعظٍ بِه،مُزْدَجِرٍ به عَنْ مَعَاصِيه؟[٩١٥]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَاصِمَ بْنَ حُمَيْدٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قُمْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فَبَدَأَ فَاسْتَاكَ وَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ مِنَ الْبَقَرَةِ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَأَلَ وَلاَ يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلاَّ وَقَفَ يَتَعَوَّذُ ثُمَّ رَكَعَ فَمَكَثَ رَاكِعًا بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ فِى رُكُوعِهِ « سُبْحَانَ ذِى الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ». ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ رُكُوعِهِ يَقُولُ فِى سُجُودِهِ « سُبْحَانَ ذِى الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ ». ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ ثُمَّ سُورَةً ثُمَّ سُورَةً فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. رواه النسائي[٩١٦].

وعن جَسْرَةَ بِنْتِ دَجَاجَةَ،قَالَتْ:خَرَجْنَا عُمَّارًا فَوَرَدْنَا الرَّبْذَةَ فَأَتَيْنَا أَبَا ذَرٍّ،فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺذَاتَ لَيْلَةِ الْعِشَاءَ،ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ،فَلَمَّا تَكَفَّأَتْ عَنْهُ الْعُيُونُ رَجَعَ إِلَى مَقَامِهِ فَجِئْتُ فَقُمْتُ خَلْفَهُ قَبْلَ أَنْ يَرْكَعَ،فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِيَدِهِ فَقُمْتُ عَنْ يَمِينِهِ،ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ خَلْفَنَا فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَقَامَ عَنْ شِمَالِهِ،فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺحَتَّى أَصْبَحَ يَتْلُو آيَةً وَاحِدَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِهَا وَيَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا يَدْعُو حَتَّى أَصْبَحَ إِ{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١١٨) سورة المائدة،فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَعَلَ اللَّيْلَةَ كَذَا وَكَذَا،فَلَوْ سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ،فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قُمْتَ اللَّيْلَةَ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ بِهَا تَرْكَعُ وَبِهَا تَسْجُدُ وَبِهَا تَدْعُو،وَقَدْ عَلَّمَكَ اللَّهُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ،قَالَ:" إِنِّي دَعَوْتُ لِأُمَّتِي "[٩١٧].

١٢–خشوع القلب،وإطراق الرأس،وسكون الجوارح،واستحضار عظمة منزلة القرآن،والبكاء من خشية الله تعالى،فإن لم يبك فليستجلب البكاء وليحاول ذلك عندما يكون خاليا فإنه أبعد من الرياء..

---

[٩١٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢١٣٦)

[٩١٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٧٤٢)

[٩١٦] -سنن النسائي– المكتر – (١١٤٠) حسن

[٩١٧] – قِيَامُ اللَّيْلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ (١٦٧) حسن

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اقْرَأْ عَلَيَّ "،فَقُلْتُ:أَقْرَأُهُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟،قَالَ:إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي،فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا،غَمَزَنِي غَامِزٌ،فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا عَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ "

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ:قَالَ:كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ بِالْمِئِينَ ؛ بِالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطَهَ وَاقْتَرَبَ،وَنَحْوِهِنَّ مِنَ السُّوَرِ،فَأَتَيْتُ يَوْمًا مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ وَأَنَا فِي آخِرِ صُفُوفِ الرِّجَالِ مَا يَلِي النِّسَاءَ،وَهُوَ يَقْرَأُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،فَمَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ،وَكَانَ جَهِيرَ الْقِرَاءَةِ،فَبَكَى حَتَّى انْقَطَعَتْ قِرَاءَتُهُ وَحَتَّى سَمِعْتُ نَحِيبَهُ "

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ:" غَلَبَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبُكَاءُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ حَتَّى سَمِعْتُ نَحِيبَهُ مِنْ وَرَاءِ ثَلَاثَةِ صُفُوفٍ " وَعَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَمُرُّ بِالْآيَةِ مِنْ وِرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَيَبْكِي حَتَّى يَسْقُطَ وَيَبْقَى فِي الْبَيْتِ حَتَّى يُعَادَ لِلْمَرَضِ " وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:" كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ "[٩١٨]

قال تعالى:{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٢١) سورة الحشر.

إِنَّ الجَبَلَ لَوْ فَهِمَ هَذَا القُرْآنَ،وَتَدَبَّرَهُ،لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالبَشَرِ أَنْ لاَ تَلِينَ قُلُوبُهُمْ،وَلاَ تَخْشَعَ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشيَةِ اللهِ وَقَدْ فَهِمُوا مَعَانِيَهُ وَتَدَبَّرُوا مَا فِيه؟ وَيَضْرِبُ اللهُ تَعَالَى الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِيُقَرِّبَ مَعَانِيَ القُرْآنِ إِلَى أَفْهَامِهِمْ،لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا وَيَعْتَبِرُونَ .[٩١٩]

وقال عز وجل: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (٨٣) سورة المائدة.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنَ القُرْآنِ،وَتُلِيَ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ،تُفِيضُ عُيُونُهُمْ بِالدَّمْعِ (أَيْ يَبْكُونَ حَتَّى يَسِيلَ الدَّمعُ مِنْ عُيُونِهِمْ)،لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ مَا بَيْنَهُ القُرْآنُ هُوَ الحَقُّ،وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْ ذَلِكَ عُتُوٌّ وَلاَ اسْتِكْبَارٌ وَلا تَعَصُّبٌ كَمَا يَمْنَعُ غَيرَهُمْ.وَحِينَ يَسْمَعُونَ الحَقَّ الذي جَاءَ بِه القُرْآنُ،وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ فِي كُتُبِهِمْ،يَتَضَرَّعُونَ إِلى اللهِ بِأَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ إِيمَانَهُمْ وَأَنْ يَكْتُبَهُمْ مَعْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الذِينَ جَعَلَهُمُ اللهُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ،وَمِمَّا يَتَنَاقَلُونَهُ عَنْ أَسْلاَفِهِمْ،أَنَّ النَّبِيَّ الأَخِيرَ الذِي يَكْمُلُ بِهِ الدِّيْنُ،وَيَتِمُّ التَّشْرِيعُ،يَكُونُ مُتَّبِعُوهُ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ،وَيَكُونُونَ حُجَّةً عَلَى المُشْرِكِينَ وَالمُبْطِلِينَ .[٩٢٠]

وقال سبحانه :{وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا*} (١٠٩) سورة الإسراء.

---

[٩١٨] – قِيَامُ اللَّيْلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ (١٦١) الأول صحيح والباقي بلا سند

[٩١٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠٢٥)

[٩٢٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٧٥٣)

وَيَخِرُّونَ سَاجِدِينَ عَلَى ذُقُونِهِمْ (لِلأَذْقَانِ) وَيَبْكُونَ خُشُوعاً وَخُضُوعاً للهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَإِيمَاناً وَتَصْدِيقاً بِكِتَابِهِ،وَبِرَسُولِهِ،وَيَزِيدُهُمْ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً (خُشُوعاً)[٩٢١] .

وقال سبحانه: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا*} (٥٨) سورة مريم.

هَؤُلاَءِ النَّبِيُّونَ الَّذِينَ قَصَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺقَصَصَهُمْ،هُمُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ ذُرِيَّةِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ،وَمَنْ هَدَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ،وَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا كَلاَمَ اللهِ الْمُتَضَمِّنَ حُجَجَهُ وَدَلاَئِلَهُ وَبَرَاهِينَهُ،سَجَدُوا لِرَبِّهِمْ خُضُوعاً وَخُشُوعاً وَحَمْداً وَشُكْراً عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ النَّعَمِ العَظِيمَةِ وَهُمْ يَبْكُونَ [٩٢٢].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ السَّائِبِ،قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ،فَأَتَيْتُهُ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ،فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي بَلَغَنِي أَنَّكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا،فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا وَتَغَنَّوْا بِهِ،فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِهِ فَلَيْسَ مِنَّا "[٩٢٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } [النجم: ٦٠] بَكَى أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ،فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَنِينَهُمْ بَكَى مَعَهُمْ فَبَكَيْنَا بِبُكَائِهِ فَقَالَ ﷺ: " لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْصِيَةٍ،وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ " رواه البيهقي[٩٢٤].

١٣- العمل بالقرآن،ائتمارا بأمره،وانتهاء عن نواهيه،وتنفيذا لوصاياه،ووقوفا عند حدوده.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:" كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ،لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرَفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ " "[٩٢٥].

---

[٩٢١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٣٩)

[٩٢٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣٠٨)

[٩٢٣] - شعب الإيمان - (٣ / ٤٦٧) (١٩٦٠) حسن

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْبُكَاءَ إِنْ كَانَ قَاصِرًا عَلَى خُرُوجِ الدَّمْعِ فَقَطْ بِلاَ صَوْتٍ فَإِنَّهُ جَائِزٌ،قَبْلَ الْمَوْتِ وَبَعْدَهُ،وَمِثْلُهُ غَلَبَةُ الْبُكَاءِ بِصَوْتٍ إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى رَدِّهِ،وَمِثْلُهُ حُزْنُ الْقَلْبِ.وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى تَحْرِيمِ النَّدْبِ بِتَعْدَادِ مَحَاسِنِ الْمَيِّتِ بِرَفْعِ صَوْتٍ،إِلاَّ مَا نُقِلَ فِي الْفُرُوعِ عَنْ بَعْضِ الْحَنَابِلَةِ .الموسوعة الفقهية الكويتية - (٨ / ١٧٢)

[٩٢٤] - شعب الإيمان - (٢ / ٢٣٣) (٧٧٧) وسنده واه

[٩٢٥] - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - (١ / ٨٠)(٨١) هذا إسناد صحيح. وهو موقوف على ابن مسعود،ولكنه مرفوع معنى،لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ. فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير.

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ:لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ،وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ -ﷺ- فَيَتَعَلَّمُ حَلاَلَهَا،وَحَرَامَهَا،وَآمِرَهَا،وَزَاجِرَهَا،وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا. كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ،ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِى مَا آمِرُهُ وَلاَ زَاجِرُهُ وَلاَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ." البيهقي[٩٢٦]

قال تعالى:{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} البقرة ١٢١.

وَمِنْ أَهْلِ الكتاب طَائِفَةٌ يَقْرَؤُونَ التَّورَاةَ بِخُشُوعٍ وَإِمْعَانٍ،وَيَتَدَبَّرُونَ مَعْنَاهَا،وَيَفْقَهُونَ أَسْرَارَهَا وَحِكَمَهَا،وَأُولئِكَ هُمُ الذِينَ يَعْقِلُونَ أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ هُوَ الحَقُّ،فَيُؤْمِنُونَ بِهِ،وَيَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ إِلى سَوَاءِ السَّبِيلِ،(كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَّمٍ).وَمَنْ يَكْفُرْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيكَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ الحَقُّ،مِنَ الرُّؤَسَاءِ المَعَانِدِينَ،وَالجُهَّالِ المُقَلِّدِينَ،فَأُولئِكَ هُمُ الذِينَ خَسِرُوا سَعَادَةَ الدُّنْيَا،وَالمَجْدَ وَالسِّيَادَةَ التِي يُعْطِيهَا اللهُ مَنْ يَنْصُرُ دِينَهُ .[٩٢٧]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ،لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ،خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِئَةَ رَكْعَةٍ،وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ،عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ،خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ." رواه ابن ماجه[٩٢٨].

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ،قَالَ:سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرَ فَقِيهٍ،وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ فِقْهُهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ،اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ،فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ " رواه الطبراني[٩٢٩].

وعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ ». رواه الترمذي[٩٣٠].

١٤- قراءة القرآن مع النظر في المصحف،لتجتمع له عبادتا القراءة والنظر،وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ،وَمَا حَظُّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ ؟ قَالَ: " النَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ،وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ،وَالاعْتِبَارُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ " رواه البيهقي[٩٣١].

---

[٩٢٦] - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ١٢٠) (٥٤٩٦) حسن

[٩٢٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٨)

[٩٢٨] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ١٤٨) (٢١٩) حسن

[٩٢٩] - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٢ / ٢٨٢) (١٣٤٥) حسن

[٩٣٠] - سنن الترمذى- المكتر - (٣١٦٨) فيه ضعف

[٩٣١] - شعب الإيمان - (٣ / ٥٠٩)(٢٠٢٩) ضعيف

١٥- الإصغاء والاستماع والإنصات عند تلاوة القرآن،لأن ذلك أدنى للفهم والتأمل بما في آيات الله من وعد ووعيد،وتبشير وتهديد،وحكمة وموعظة،وأمر ونهي،وأقرب لإحراز رحمة الله تعالى:
قال تعالى:{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} الأعراف.
لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ القُرْآنَ بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ،أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِالإِنْصَاتِ إِلَيْهِ عِنْدَ تَلاَوَتِهِ للانْتِفَاعِ بِهُدَاهُ،وَإِعْظَاماً لَهُ وَاحْتِرَاماً.فَإِذَا قَرَأَ الإِمَامُ فِي صَلاَةِ الجَهْرِ فَالمُؤْتَمُّونَ بِهِ يَنْصِتُونَ وَلاَ يَقْرَؤُونَ مَعَه [٩٣٢].

إن الناس يخسرون الخسارة التي لا يعارضها شيء بالانصراف عن هذا القرآن .. وإن الآية الواحدة لتصنع أحيانا في النفس - حين تستمع لها وتنصت - أعاجيب من الانفعال والتأثر والاستجابة والتكيف والرؤية والإدراك،والطمأنينة والراحة،والنقلة البعيدة في المعرفة الواعية المستنيرة .. مما لا يدركه إلا من ذاقه وعرفه! وإن العكوف على هذا القرآن - في وعي وتدبر لا مجرد التلاوة والترنم! - لينشيء في القلب والعقل من الرؤية الواضحة البعيدة المدى ومن المعرفة المطمئنة المستيقنة ومن الحرارة والحيوية والانطلاق! ومن الإيجابية والعزم والتصميم ما لا تدانيه رياضة أخرى أو معرفة أو تجريب! وإن رؤية حقائق الوجود - من خلال التصوير القرآني - وحقائق الحياة،ورؤية الحياة البشرية وطبيعتها وحاجاتها من خلال التقريرات القرآنية،لهي رؤية باهرة واضحة دقيقة عميقة. تهدي إلى معالجتها وإلى مزاولتها بروح أخرى،غير ما توجه إليه سائر التصويرات والتقريرات البشرية ..وهذا كله أرجى إلى الرحمة .. وهو يكون في الصلاة وفي غير الصلاة. وليس هناك ما يخصص هذا التوجيه القرآني العام بالصلاة كما روى القرطبي عن النحاس [٩٣٣].
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ تَلَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَمَنِ اسْتَمَعَ لِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً " البيهقي [٩٣٤].
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ،وَمَنْ تَلاَهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ." أحمد [٩٣٥]

١٦- تجنب كل ما يخل بالخشوع مع جلال القرآن أثناء التلاوة أو السماع،كالضحك والتثاؤب والعبث بالثياب أو الأعضاء،وفرقعة الأصابع،والتحدث إلى الآخرين دون حاجة.. إلخ ويمسك عن القراءة إذا غلبه التثاؤب لأنه في حضرة الخطاب الإلهي،والتثاؤب من الشيطان.
عن مجاهد قال:« إذا تثاءبت وأنت تقرأ،فأمسك عن القراءة حتى يذهب عنك »[٩٣٦].

---

[٩٣٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٥٩)
[٩٣٣] - في ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٣ / ١٤٢٥)
[٩٣٤] - شعب الإيمان - (٣ / ٣٧٠) (١٨٢٨) حسن لغيره
[٩٣٥] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٩٨) (٨٤٩٤) ٨٤٧٥- حسن لغيره

وعن عكرمة،قال:« إذا تثاءب أحدكم وهو يقرأ القرآن فليسكت،ولا يقل هاها وهو يقرأ »[٩٣٧] يريد أن في ذلك الفعل إجلالا للقرآن[٩٣٨]

١٧- العمل على حفظ القرآن الكريم واستظهاره،وإن من أعظم النعم الإلهية أن جعل الله تعالى قلوب عباده المؤمنين أوعية لكلامه،وصدورهم خزائن لآياته،يتلونها آناء الليل وأطراف النهار.

إنَّ حِفْظَ مَا تَجُوزُ بِه الصَّلَاةُ فَرْضٌ،وَحِفْظَ الْفَاتِحَةِ مَعَ سُورَةٍ وَاجِبٌ،وَحِفْظَ سَائِرِ الْقُرْآنِ فَرْضُ كِفَايَةٍ،وَسُنَّةُ الْعَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ النَّفْلِ،وَعَنْ الْكُبْرَى التَّعَلُّمُ أَوْلَى مِنْ حِفْظِ بَوَاقِي الْقُرْآنِ[٩٣٩].

وَنِسْيَان الْقُرْآن مِنْ أَعْظَم الْمَصَائِب وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي،حَتَّى الْقَذَاةِ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ،وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي،فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ،أَوْ آيَةٍ،أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا. فِي إسْنَاده ضَعْف[٩٤٠].وَقَدْ أَخْرَجَ ابْن أَبِي دَاوُدَ مِنْ وَجْه آخَر مُرْسَل عَنِ الْوَلِيد بْن عَبْد اللهِ بْنِ أَبِي مُغِيث،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الذُّنُوبُ فَلَمْ أَرَ فِيهَا شَيْئًا أَعْظَمَ مِنْ حَامِلِ الْقُرْآنِ وَتَارِكِهِ[٩٤١]. وَمِنْ طَرِيق أَبِي الْعَالِيَة مَوْقُوفًا " كُنَّا نَعُدُّ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الرَّجُلُ الْقُرْآنَ ثُمَّ يَنَامُ عَنْهُ،(حَتَّى يَنْسَاهُ) " وَإِسْنَاده جَيِّد[٩٤٢].وَمِنْ طَرِيق ابْن سِيرِينَ بِإِسْنَادٍ صَحِيح الَّذِي يَنْسَى الْقُرْآن كَانُوا يَكْرَهُونَهُ وَيَقُولُونَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا،وَلِأَبِي دَاوُدَ عَنْ سَعْد بْن عُبَادَةَ مَرْفُوعًا " مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ،ثُمَّ يَنْسَاهُ إلاَّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ أَجْذَمُ " وَفِي إسْنَاده أَيْضًا مَقَال[٩٤٣]،وَقَدْ قَالَ بِهِ مِنْ الشَّافِعِيَّة أَبُو الْمَكَارِم وَالرُّويَانِيّ وَاحْتَجَّ بِأَنَّ الْإِعْرَاض عَنِ التِّلَاوَة يَتَسَبَّب عَنْهُ نِسْيَان الْقُرْآن،وَنِسْيَانه يَدُلّ عَلَى عَدَم الِاعْتِنَاء بِهِ وَالتَّهَاوُن بِأَمْرِهِ .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ[٩٤٤]:مَنْ حَفِظَ الْقُرْآن أَوْ بَعْضه فَقَدْ عَلَتْ رُتْبَته بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يَحْفَظْهُ،فَإِذَا أَخَلَّ بِهَذِهِ الرُّتْبَة الدِّينِيَّة حَتَّى تَزَحْزَحَ عَنْهَا نَاسَبَ أَنْ يُعَاقَب عَلَى ذَلِكَ،فَإِنَّ تَرْكَ مُعَاهَدَة الْقُرْآن يُفْضِي إِلَى

---

[٩٣٦] – التفسير من سنن سعيد بن منصور – (١ / ٩٩)(٩٧) حسن

التثاؤب : تنفس ينفتح منه الفم بلا قصد وذلك لأنه يكون عن امتلاء البدن وثقله وكثرة الغذاء وميله إلى الكسل

[٩٣٧] – فضائل القرآن للقاسم بن سلام – (١٠٧) صحيح

[٩٣٨] – تفسير القرطبي ـــ موافق للمطبوع – (١ / ٢٧)

[٩٣٩] – بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية – (٥ / ٢٥٩) و الإتقان – (١ / ١٢٥)

[٩٤٠] – انظر المسند الجامع – (١ / ٤٨٦)(٣٢٦) الصواب أنه حسن

وهناك خلاف حول سماع المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب من أنس والراجح أنه سمع منه انظر التهذيب ١٠/١٧٨ و١٧٩

[٩٤١] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٤٥٧)(٣٠٦٢٠) بل معضل وبنحوه مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٤٥٧) (٣٠٦١٨-٣٠٦١٩)

[٩٤٢] – المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – (١٤ / ٤٠٩)(٣٥٠٢) صحيح

[٩٤٣] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٤٥٦)(٣٠٦١٧) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٥٧٠)(٢٢٧٨١) ٢٣١٦٢- حسن

[٩٤٤] – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (٩ / ٣٧٢)(٥٤٢١)

الرُّجُوع إِلَى الْجَهْل،وَالرُّجُوع إِلَى الْجَهْل بَعْد الْعِلْم شَدِيد.وَقَالَ إِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ:يُكْرَه لِلرَّجُلِ أَنْ يَمُرّ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا لَا يَقْرَأ فِيهَا الْقُرْآن .[٩٤٥]

قال تعالى:{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} العنكبوت ٤٩.

وَهذا القُرآنُ آياتٌ بَيِّنَاتٌ،وَاضِحَاتُ الدَّلاَلَةِ عَلَى الحَقِّ،يَحْفَظُهُ العُلَمَاءُ،وَقَدْ يَسَّرَهُ اللهُ حِفْظاً وَتِلاَوَةً،وَمَا يُكَذِّبُ بِآيَاتِ اللهِ وَيرْفُضُها،وَيَبْخَسُهَا حَقَّها إلا المُعْتَدُونَ الظَّالِمُونَ،الذِينَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ وَيَحِيدُونَ عَنْهُ[٩٤٦] .

عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ،حَدَّثَنَا عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ،كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ " رواه الترمذي[٩٤٧].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ الَّذِى لَيْسَ فِى جَوْفِهِ شَىْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ ». رواه الترمذي[٩٤٨].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:الرَّجُلُ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ."[٩٤٩]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَشْرَافُ أُمَّتِي حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَأَصْحَابُ اللَّيْلِ " البيهقي رواه البيهقي[٩٥٠].

١٨- التأدب بآداب الحفظة إذا منّ الله عليه بحفظ كتابه،وإلا سلبت منه هذه الفضيلة العظمى،قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ،إِلَى الْخَلِيفَةِ فَمَنْ دُونَ،وَأَنْ تَكُونَ حَوَائِجُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ،قَالَ:سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ:حَامِلُ الْقُرْآنِ حَامِلُ رَايَةِ الْإِسْلَامِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْغُوَ مَعَ مَنْ يَلْغُو،وَلَا يَسْهُوَ مَعَ مَنْ يَسْهُو،وَلَا يَلْهُوَ " قَالَ:وَسَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ:إِنَّمَا

---

[٩٤٥] – فتح الباري لابن حجر – (١٤ / ٢٥٨) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب – (١ / ٣٧٣٣) سؤال رقم ٣٧٠٤– مشكلة نسيان القرآن وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٣ / ٥٨٠٣) رقم الفتوى ١٩٥٦٤ نسيان القرآن بعد حفظه تفريط بالنعمة والزواجر عن اقتراف الكبائر – (١ / ٣١٠)

[٩٤٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٢٧١)

[٩٤٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٤١٢)(١٢٦٨) والترمذي (٢٩٠٥) ضعيف

استظهر القرآن : أي حفظه ، يقول : قرأت القرآن عن ظهر قلبي ، أي : قرأته من حفظي.

[٩٤٨] – سنن الترمذى– المكتر – (٣١٦١) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وتناقض الألبانى فضعفه فى ضعيف الجامع (١٥٢٤) وأقرَّ الترمذى على تصحيحه فى المشكاة (٢١٣٥) !!

وفى سنده قابوس بن أبي ظبيان مختلف فيه وثقة قوم وضعفه آخرون وقال ابن عدي : أحاديثه متقاربة،وأرجو أنه لا بأس به" الكامل ٥٠/٦

[٩٤٩] – المعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٢٥٦)(١٢٤٥٣) حسن

[٩٥٠] – شعب الإيمان – (٤ / ٢٣٤)(٢٤٤٧) ضعيف

أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ،فَاتَّخَذَ النَّاسُ قِرَاءَتَهُ عَمَلًا،أَيْ لِيُحِلُّوا حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُوا حَرَامَهُ،وَيَقِفُوا عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ "[٩٥١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ،وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ،وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ،وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ،وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ،وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ،وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَلِيمًا حَكِيمًا سِكِّيتًا،وَلاَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ،قَالَ أَبُو بَكْرٍ ذَكَرَ كَلِمَةً،لاَ صَخَّابًا،وَلاَ صَيَّاحًا،وَلاَ حَدِيدًا."[٩٥٢].

وعن زَيْدَ بْنِ حُبَابٍ،قَالَ:سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ،يَقُولُ:يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ،وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ مُفْطِرُونَ،وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ،وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ "[٩٥٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ،لاَ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَّ مَعَ جِدٍّ،وَلا يَجْهَلَ مَعَ جَهْلٍ وَفِي جَوْفِهِ كَلامُ اللَّهِ تَعَالَى " رواه الحاكم[٩٥٤].

١٩- إن مما يعين على حفظ القرآن الكريم الابتداء بحفظه منذ الصغر،وتفريغ الذهن له باعتنام الأوقات المباركة في الأسحار،وترتيله والتغني به في صلاة الليل،وسماعه من أفواه المقرئين المجيدين ومحاولة تقليد أحدهم،وتدبر المعنى ومعرفة أسباب النزول،وتجزيء القرآن إلى أرباع أحزاب ووضع برنامج محدد للحفظ،والمحافظة على الورد اليومي مهما كانت الأعذار،والتزام معلم للقرآن يسمع منه ما حفظه كل يوم،والتكرار الكثير وعدم الملل أو اليأس إذا صعبت عليه بعض الآيات،والحفظ في مصحف معين والالتزام به ويفضل مصحف الحفاظ،وسؤال الله تعالى بالصدق والعزم أن يكرمه بحفظظ كتابه،والتقوى وتطهير النفس والقلب مما سوى الله.

عَنْ عُبَيْدَةَ الْمُلَيْكِيِّ،وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ،لَا تَوَسَّدُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَفْشُوهُ،وَتَغَنَّوْهُ وَتَدَبَّرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ،وَلَا تَعْجَلُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّ لَهُ ثَوَابًا " رواه البيهقي وأبو نعيم[٩٥٥].

---

[٩٥١] – أخلاق حملة القرآن للآجري – (٣٤)

[٩٥٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٩ / ٤٧٠) (٣٦٧٣٤) فيه انقطاع

[٩٥٣] – المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي – (٤٥١) صحيح

[٩٥٤] – المستدرك للحاكم (٢٠٢٨) حسن

[٩٥٥] – شعب الإيمان – (٣ / ٣٨٨)(١٨٥٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم – (٤ / ١٩١٧)(٤٨١٩) ضعيف

قال أبو عبيد : قوله : تغنوه ، يقول : اجعلوه غناكم من الفقر ، ولا تعدوا الإقلال معه فقرا . وقوله : تقنوه ، يقول : اقتنوه كما تقتنون الأموال ، واجعلوه مالكم .

٢٠ – الحرص على الحفظ من النسيان،بالتلاوة المستمرة،والتكرار اليومي للمحفوظات من القرآن الكريم،واجتناب الذنوب والمحرمات،لأن القرآن لا يستقر في القلوب الغافلة.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا ». رواه الترمذي وأبو داود[٩٥٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَصَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ،إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا،وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ." رواه مسلم[٩٥٧].

٢١–إجابة بعض الآيات عند سماعها أو تلاوتها ببعض الأكار أو الكلمات الواردة ومنها بعد { يا أيها الذين آمنوا..}

يقول: لبيك ربي وسعديك

بعد الفاتحة يقول: آمين

بعد البقرة يقول: آمين

بعد كل آية {فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (١٣) سورة الرحمن يقول:

ولا بشيء من نعمك نكذب فلك الحمد.

بعد القيامة يقول: بلى هو قادر.

بعد الملك يقول: الله رب العالمين.

بعد المرسلات يقول: آمنت بالله.

بعد { سبّح اسم ربك الأعلى} يسبّح ثلاثا.

بعد { فألهمها فجورها وتقواها} يقول: اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺإِذَا مَرَّ بِهَذِه الآيَة "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"[الشمس آية ٧] وَقَفَ،ثُمَّ قَالَ:اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا وَخَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا.[٩٥٨]

بعد التين يقول: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ،سَمِعَهُ مِنْ شَيْخٍ،فَقَالَ مَرَّةً:سَمِعْتُهُ مِنْ رَجُلٍ،مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَعْرَابِيٍّ،سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ:وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَقَالَ:{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ،فَلْيَقُلْ:آمَنَّا بِاللَّهِ،وَمَنْ قَرَأَ:{وَالتِّينِ

---

[٩٥٦] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٦١) وسنن الترمذى– المكتر – (٣١٦٦) حسن –القذاة : ما يقع فى العين والشراب من غبار ووسخ

[٩٥٧] – صحيح مسلم– المكتر – (١٨٧٥) وصحيح ابن حبان – (٣ / ٤١) (٧٦٤) –المعقلة : المربوطة بالحبال

[٩٥٨] – المعجم الكبير للطبراني – (٩ / ٣١٥) (١١٠٢٨) حسن

وَالزَّيْتُونِ}،فَلْيَقُلْ:بَلَى،وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ،وَمَنْ قَرَأَ:{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}،فَلْيَقُلْ:بَلَى.

قَالَ إِسْمَاعِيلُ:فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ هَلْ حَفِظَ ؟ وَكَانَ أَعْرَابِيًّا،فَقَالَ:يَا ابْنَ أَخِي،أَظَنَنْتَ أَنِّي لَمْ أَحْفَظْهُ لَقَدْ حَجَجْتُ سِتِّينَ حَجَّةً،مَا مِنْهَا سَنَةٌ،إِلاَّ أَعْرِفُ الْبَعِيرَ الَّذِي حَجَجْتُ عَلَيْهِ."[٩٥٩]

بعد {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٥٦) سورة الأحزاب،يصلي على النبي ﷺ.

بعد آية سجدة يسجد إن كان متوضأ،وإلا قال (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله،والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ثلاثا[٩٦٠].

وبعد آية تتريه: يسبح،وبعد آية دعاء يدعو وينيب،وبعد آية استغفار يستغفر ويتوب..

٢٢-الدعاء بعد كل تلاوة بما يتناسب والآيات التي تلاها،ويتأكد الدعاء بعد ختم القرآن الكريم فهو مظنة الاستجابة،عَنِ الْحَكَمِ،قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ مُجَاهِدٌ،وَعَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ،قَالَا: إِنَّمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنَّا نُرِيدُ أَنْ نَخْتِمَ الْقُرْآنَ،وَكَانَ يُقَالُ: " إِنَّ الدُّعَاءَ يُسْتَجَابُ عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ،فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ خَتْمِ الْقُرْآنِ دَعَوْا بِدَعَوَاتٍ "[٩٦١]

وعَنْ أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " مَعَ كُلِّ خَتْمَةٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ "[٩٦٢]

وعَنِ الْعِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"مَنْ صَلَّى صَلاَةَ فَرِيضَةٍ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ،وَمَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فَلَهُ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ"[٩٦٣]

وعَنْ ثَابِتٍ،أَنَّ أَنَسَ بن مَالِكٍ،كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ،فَدَعَا لَهُمْ ." الطبراني[٩٦٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَحَمِدَ الرَّبَّ،وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ فَقَدْ طَلَبَ الْخَيْرَ مَكَانَهُ " رواه البيهقي[٩٦٥].

٢٣- يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في ختمة جديدة مباشرة ليكون متواصل القراءة دون فترة أو مهلة أو تقاعس بعد الختمة..

---

[٩٥٩] - الدر المنثور للسيوطي -موافق للمطبوع - (١٥ / ١٤٠) وتفسير ابن كثير - دار طيبة - (٨ / ٢٨٤) وتفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - (٢٤ / ٥١٦) والإتقان - (١ / ١٢٧) وسنن أبي داود - المكتر-(٨٨٧) وسنن الترمذى- المكتر - (٣٦٧٠) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٦٠)(٧٣٩١) ٧٣٨٥- فيه جهالة

[٩٦٠] - الفقه على المذاهب الأربعة - (١ / ٧٢٢) وفقه العبادات - حنبلي - (١ / ٢٣٧)

[٩٦١] - سنن الدارمى- المكتر - (٣٥٤٦) وشعب الإيمان - (٣ / ٤٢٢)(١٩٠٩) صحيح

[٩٦٢] - شعب الإيمان - (٣ / ٤٣٤) (١٩١٩-١٩٢٠) فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ

[٩٦٣] - المعجم الكبير للطبراني - (١٣ / ١٧٩) (١٥٠٥٠) ضعيف

[٩٦٤] - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٢٩١) (٦٧٣) صحيح

[٩٦٥] - شعب الإيمان - (٣ / ٤٣٢) (١٩١٧) ضعيف

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَىُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ « الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ ». قَالَ وَمَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ قَالَ « الَّذِى يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ ». رواه الترمذي[٩٦٦].

فضائل بعض سور القرآن الكريم

سورة الفاتحة:

عَنْ أَبِى سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ كُنْتُ أُصَلِّى فَدَعَانِى النَّبِىُّ - ﷺ- فَلَمْ أُجِبْهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى كُنْتُ أُصَلِّى.قَالَ « أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ (اسْتَجِيبُوا للَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ) ثُمَّ قَالَ أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِى الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ».فَأَخَذَ بِيَدِى فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.قَالَ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هِىَ السَّبْعُ الْمَثَانِى وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِى أُوتِيتُهُ ».رواه البخاري[٩٦٧].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهْىَ خِدَاجٌ - ثَلاَثًا - غَيْرُ تَمَامٍ ». فَقِيلَ لأَبِى هُرَيْرَةَ إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ. فَقَالَ اقْرَأْ بِهَا فِى نَفْسِكَ فَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِى عَبْدِى وَإِذَا قَالَ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى. وَإِذَا قَالَ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ). قَالَ مَجَّدَنِى عَبْدِى - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَىَّ عَبْدِى - فَإِذَا قَالَ (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). قَالَ هَذَا بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ). قَالَ هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ ».[٩٦٨]

وعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ».[٩٦٩]

وتسمى سورة الفاتحة بسورة (أم الكتاب،وسورة الصلاة،وسورة المناجاة،وسورة الكافية،وسورة الشافية)..

سورة البقرة وآل عمران:

عَنْ زَيْدٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلاَّمٍ يَقُولُ حَدَّثَنِى أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِىُّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا

---

[٩٦٦] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٢٠٠) ضعيف

[٩٦٧] -صحيح البخارى- المكتر - (٥٠٠٦)

[٩٦٨] -صحيح مسلم- المكتر - (٩٠٤) -الخداج : النقصان

[٩٦٩] -سنن الدارمى- المكتر - (٣٤٣٣) والمجالسة وجواهر العلم -(١٤٨٢) وشعب الإيمان - (٤ / ٤٢) (٢١٥٢) موصولاً عن جابر حسن لغيره ، والمرسل صحيح

تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ ». قَالَ مُعَاوِيَةُ بَلَغَنِى أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ. رواه مسلم[٩٧٠].

الغيابة: هي ما أظلك من فوقك،البطلة: أي السحرة،فهي حصن منهم.

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا،وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ،مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلاً لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَ لَيَالٍ،وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ."[٩٧١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:لاَ تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ،صَلُّوا فِيهَا،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ يَسْمَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ فِيهِ"[٩٧٢]

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ { الم اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران: ٢] { وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } [البقرة: ١٦٣] " [٩٧٣]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺسَأَلَهُ:" أَيَّةُ آيَةٍ فِي الْكِتَابِ أَعْظَمُ؟" قَالَ أُبَيٌّ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ: فَرَدَّهَا مِرَارًا،ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ،إِنَّ لَهَا لِسَانًا،وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ"[٩٧٤]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَبَا الْمُنْذِرِ،أَيَّةُ آيَةٍ مَعَكَ أَعْظَمُ مِنْ كِتَابِ اللهِ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: { اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [البقرة: ٢٥٥] قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي فَقَالَ: " لِيَهْنِ الْعِلْمُ لَكَ أَبَا الْمُنْذِرِ،فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لِهَذِهِ الْآيَةِ لِسَانًا،وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ "[٩٧٥]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ وَكَّلَنِى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ،فَأَتَانِى آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ،فَأَخَذْتُهُ،وَقُلْتُ وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ–.قَالَ إِنِّى مُحْتَاجٌ،وَعَلَىَّ عِيَالٌ،وَلِى حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ.قَالَ فَخَلَّيْتُ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ النَّبِىُّ – ﷺ– « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ».قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً فَرَحِمْتُهُ،فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.قَالَ « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ ».فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– إِنَّهُ سَيَعُودُ.فَرَصَدْتُهُ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ

---

[٩٧٠] صحيح مسلم- المكتر – (١٩١٠)

البطلة : السحرة –الصواف : جمع صافة وهى الباسطة أجنحتها فى الهواء –لغايتان : مثنى غياية وهى السحابة –الفرقان : الجماعتان –

[٩٧١] –صحيح ابن حبان – (٣ / ٥٩) (٧٨٠) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَوْلُهُ ﷺ: لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ، أَرَادَ بِهِ مَرَدَةَ الشَّيَاطِينِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

[٩٧٢] صحيح مسلم- المكتر – (١٨٦٠)و صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٢) (٧٨٣)

[٩٧٣] – شعب الإيمان – (٤ / ٥٠) (٢١٦٦) والمسند الجامع – (١٩ / ١٠٢)(١٥٨٢٣) حسن

[٩٧٤] – شعب الإيمان – (٤ / ٥٢) (٢١٦٨) صحيح

[٩٧٥] – شعب الإيمان – (٤ / ٥٢) (٢١٦٩) وصحيح مسلم- المكتر – (١٩٢١)

الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ-.قَالَ دَعْنِى فَإِنِّى مُحْتَاجٌ،وَعَلَىَّ عِيَالٌ لاَ أَعُودُ،فَرَحِمْتُهُ،فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ،فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ».قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً وَعِيَالاً،فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.قَالَ « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ ».فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ،فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- ،وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ.قَالَ دَعْنِى أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا.قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِىِّ (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ) حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ،فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ.فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ،فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ».قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِى كَلِمَاتٍ،يَنْفَعُنِى اللَّهُ بِهَا،فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ.قَالَ « مَا هِىَ ».قُلْتُ قَالَ لِى إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِىِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ (اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ) وَقَالَ لِى لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ،وَكَانُوا أَحْرَصَ شَىْءٍ عَلَى الْخَيْرِ.فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ،تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ».قَالَ لاَ.قَالَ « ذَاكَ شَيْطَانٌ » [٩٧٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " سُورَةُ الْبَقَرَةِ فِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ لَا تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ،فِيهِ شَيْطَانٌ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ آيَةُ الْكُرْسِيِّ "[٩٧٧]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ،قَالَ:لَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ فِي الطَّوَافِ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ،فَحَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ."[٩٧٨]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:الآيَتَانِ خُتِمَ بِهِمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ لاَ تُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ،فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ."[٩٧٩]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى،حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ،قَالَ:كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺفَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،إِنَّ لِي أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ قَالَ:وَمَا وَجَعُهُ ؟ قَالَ:بِهِ لَمَمٌ،قَالَ:فَأْتِنِي بِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَوَّذَهُ النَّبِيُّ ﷺبِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ،وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،وَهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ:{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ،وَثَلاَثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ،وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}،وَآيَةٍ مِنَ الأَعْرَافِ {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ}،وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ {فَتَعَالَى اللَّهُ

---

[٩٧٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٣١١)

[٩٧٧] - شعب الإيمان - (٤ / ٥٤) (٢١٧١) صحيح

[٩٧٨] - صحيح ابن حبان - (٣ / ٦٠) (٧٨١) صحيح

[٩٧٩] - صحيح ابن حبان - (٣ / ٦١) (٧٨٢) صحيح

الْمَلِكُ الْحَقُّ}،وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا}،وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّات،وَثَلاَثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ،وَ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ.فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْتَكِ قَطُّ. "[٩٨٠]

سورة الكهف:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ " الحاكم[٩٨١].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ." ابن حبان[٩٨٢]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ."[٩٨٣]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ "[٩٨٤]

سورة يس:

عَنْ جُنْدُبٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ غُفِرَ لَهُ."[٩٨٥]

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِى رَبَاحٍ قَالَ بَلَغَنِى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ :« مَنْ قَرَأَ يس فِى صَدْرِ النَّهَارِ قُضِيَتْ حَوَائِجُهُ »[٩٨٦].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« إِنَّ لِكُلِّ شَىْءٍ قَلْباً،وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس،مَنْ قَرَأَهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ »[٩٨٧].

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:مَنْ قَرَأَ يس حِينَ يُصْبِحُ أُعْطِىَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّى يُمْسِىَ،وَمَنْ قَرَأَهَا فِى صَدْرِ لَيْلِهِ أُعْطِىَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ." [٩٨٨]

سورة الواقعة:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا " وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَأْمُرُ بَنَاتِهِ يَقْرَأْنَ بِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ " رواه البيهقي[٩٨٩].

---

[٩٨٠] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ١٠٩)(٢١١٧٤) ٢١٤٩٣– ضعيف

[٩٨١] – المستدرك للحاكم (٣٣٩٢) صحيح

[٩٨٢] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٥) (٧٨٥) صحيح

[٩٨٣] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٦) (٧٨٦) صحيح

[٩٨٤] – مسند أبي عوانة (٣١٨٥) صحيح

[٩٨٥] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٣١٢) (٢٥٧٤) صحيح

[٩٨٦] – سنن الدارمى– المكتر – (٣٤٨١) صحيح مرسل

[٩٨٧] – سنن الدارمى– المكتر – (٣٤٧٩) فيه جهالة

[٩٨٨] – سنن الدارمى– المكتر – (٣٤٨٢) حسن موقوف

[٩٨٩] – شعب الإيمان – (٤ / ١١٩) (٢٢٦٧–٢٢٧٠) وتفسير ابن كثير – دار طيبة – (٧ / ٥١٢) حسن لغيره

سورة تبارك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلاَثُونَ آيَةً تَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ:{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك:] ؟ فَأَقَرَّ بِهِ أَبُو أُسَامَةَ وَقَالَ:نَعَمْ.[٩٩٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ،ثَلاَثُونَ آيَةً،تَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا حَتَّى يُغْفَرَ لَهُ:تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ.[٩٩١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺخِبَاءً عَلَى قَبْرٍ،وَلا يَحْسَبُ أَنَّهُ قَبْرٌ،فَإِذَا هُوَ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ"[الملك آية ١]،حَتَّى خَتَمَهَا،فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ،وَأَنَا لا أَحْسَبُ أَنَّهُ قَبْرٌ،فَإِذَا إِنْسَانٌ يَقْرَأُ: "تَبَارَكَ" حَتَّى خَتَمَهَا،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.[٩٩٢]

سورة قل يا ايها الكافرون :

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيِّ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺفَقُلْتُ:يَا نَبِيَّ اللهِ،عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَوَيْتُ إِلَى فِرَاشِي،قَالَ:اقْرَأْ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.[٩٩٣]

وعَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:هَلْ لَكَ فِي رَبِيبَةٍ يَكْفُلُهَا رَبِيبٌ ؟ قَالَ:ثُمَّ جَاءَ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ،فَقَالَ:تَرَكْتُهَا عِنْدَ أُمِّهَا،قَالَ:فَمَجِيءُ مَا جَاءَ بِكَ ؟ قَالَ:جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنَامِي،قَالَ:اقْرَأْ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون:]،ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا،فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ."[٩٩٤]

سورة الإخلاص:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ:أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:] يُرَدِّدُهَا،فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺفَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ،فَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ."[٩٩٥]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ رَجُلاً،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي أُحِبُّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ.[٩٩٦]

---

[٩٩٠] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٧) (٧٨٧) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ ﷺ: تَسْتَغْفِرُ لِصَاحِبِهَا ، أَرَادَ بِهِ ثَوَابَ قِرَاءَتِهَا ، فَأَطْلَقَ الِاسْمَ عَلَى مَا تَوَلَّدَ مِنْهُ وَهُوَ الثَّوَابُ ، كَمَا يُطْلَقُ اسْمُ السُّورَةِ نَفْسِهَا عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺفِي خَبَرِ أَبِي أُمَامَةَ أَرَادَ بِهِ ثَوَابَ الْقُرْآنِ ، وَثَوَابَ الْبَقَرَةِ ، وَآلِ عِمْرَانَ ، إِذِ الْعَرَبُ تُطْلِقُ فِي لُغَتِهَا اسْمَ مَا تَوَلَّدَ مِنَ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ.

[٩٩١] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٩) (٧٨٨) صحيح

[٩٩٢] – المعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٣١٨) (١٢٦٣٠) وسنن الترمذى– المكتر – (٣١٣٣) حسن

[٩٩٣] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٦٩) (٧٨٩) صحيح

[٩٩٤] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٠) (٧٩٠) صحيح

[٩٩٥] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧١) (٧٩١)وصحيح البخارى– المكتر – (٥٠١٣)

[٩٩٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٢) (٧٩٢) صحيح

وعَنْ عَائِشَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺبَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ،فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ صَنَعَ هَذَا ؟ فَسَأَلُوهُ،فَقَالَ:أَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ.[٩٩٧]

وعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَلْزَمُ قِرَاءَةَ:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص:] فِي الصَّلاَةِ مَعَ كُلِّ سُورَةٍ،وَهُوَ يَؤُمُّ بِأَصْحَابِهِ،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺفِيهِ،فَقَالَ:إِنِّي أُحِبُّهَا،قَالَ:حُبُّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ.[٩٩٨]

المعوذتان:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:تَبِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَوْمًا وَهُوَ رَاكِبٌ،فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى يَدِهِ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَقْرِئْنِي مِنْ سُورَةِ هُودٍ وَمِنْ سُورَةِ يُوسُفَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ.[٩٩٩]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ». رواه مسلم[١٠٠٠]

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اقْرَأْ يَا جَابِرُ،قَالَ:قُلْتُ:مَا أَقْرَأُ بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ ؟ قَالَ:{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق:] وَ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس:]،فَقَرَأْتُهُمَا،فَقَالَ ﷺاقْرَأْ بِهِمَا،وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا."[١٠٠١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَتَعَوَّذُ مِنَ الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. " رواه الترمذي[١٠٠٢].

وينبغي لمن لا يطيق حفظ القرآن الكريم كاملا،أن يحاول حفظ بعض السور الفضيلة وقراءتها في الصلوات،وعند الصباح والمساء ومنها: الكهف ويس والدخان والرحمن والواقعة والملك وجزء عم.

[٩٩٧] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٣) (٧٩٣) حسن

[٩٩٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٤) (٧٩٤) صحيح

[٩٩٩] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٥) (٧٩٥) صحيح

[١٠٠٠] – صحيح مسلم- المكتر – (١٩٢٧)

[١٠٠١] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٧٦)(٧٩٦) صحيح

[١٠٠٢] – سنن الترمذى- المكتر – (٢١٩٨) حسن

-٢٧-آداب ذكر الله تعالى

ذكر الله تعالى هو روح جميع العبادات،وهو المقصود من كل الطاعات والقربات،وهو أفضل من جميع الأعمال الصالحات،وهو منتهى حياة المؤمن ونورها وغايتها وخلاصتها في الدنيا والآخرة. قال تعالى:{ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } العنكبوت ٤٥.

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى المُؤمنينَ،وَهُوَ يُوَجِّهُ خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ،بِتِلاَوَةِ القُرآنِ،وإِقَامَةِ الصَّلاةِ،فَقَالَ تعالى: وَأَدِمْ تِلاَوَةَ القُرآنِ تَقَرُّباً إِلى اللهِ تَعَالى بِتِلاَوتِهِ،وَتَذكُّراً لِمَا فيهِ منَ الأَسْرَارِ والفَوائِدِ،واعْمَلْ بِمَا فيهِ من الأَوامِرِ والآدابِ وَمَحاسِنِ الأَخْلاَقِ،وأَقِمِ الصَّلاةَ،وأَدِّهَا عَلَى الوَجهِ الأَكْمَلِ بِخُشُوعِها وَرُكُوعِها وسُجُودِهَا،لأَنَّ الصَّلاَةَ إِنْ تَمَّتْ عَلَى الوَجهِ الأَكْمَلِ كَانَتْ لَها فَائِدَتَانِ:

- أَنها تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ وَتَحْمِلُ المُؤْمِنَ عَلى مُجَانَبَتِها،وَتركِها لِمُنَافَاةِ الصَّلاةِ لِفِعْلِ الفَاحِشَةِ والمُنكَرِ والبَغْيِ .

- وفِيها فَائِدَةٌ أَعْظَمُ،أَلا وهي ذِكرُ اللهِ لِعِبَادِهِ الذينَ يذكُرُونَهُ،ويُؤدُّونَ الصّلاةَ بِشُرُوطِها،ويُسَبِّحُونه ويَحْمَدُونَهُ،واللهُ تَعالى يَعلَمُ ما تَفْعَلُونَ مِنْ خَيرٍ وشَرٍ،وهوَ مُجَازِيكُمْ بِهِ [١٠٠٣].

وقال سبحانه { إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } طه ١٤.

إِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ لِلْمُكَلَّفِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَاحِدٌ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ،لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَهُوَ رَبُّ المَخْلُوقَاتِ وَخَالِقُهَا،وَالمُتَصَرِّفُ فِيهَا،فَقُمْ يَا مُوسَى بِعِبَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ شَرِيكٍ،وَأَدِّ الصَّلاَةَ عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ الَّذِي أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ،بِكَامِلِ شُرُوطِهَا لِتَذْكُرَ بِهَا رَبَّكَ.وَتَدْعُوهُ دُعاءً خَالِصاً لاَ يَشُوبُهُ إِشْرَاكٌ [١٠٠٤].

وقال:{ وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} البقرة ٢٠٣.

واذكروا الله تسبيحًا وتكبيرًا في أيام قلائل،وهي أيام التشريق: الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة.

عَنْ سَهْلِ بن مُعَاذ بن أَنَسٍ،عَنْ أَبيه،عَنْ رَسُولِ اللَّه أَنَّ رَجُلا سَأَلَهُ،فَقَالَ: أَيُّ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ:"أَكْثَرُهُمْ لِلَّه ذِكْرًا"،قَالَ: وَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ لِلَّه أَجْرًا؟ قَالَ:"أَكْثَرُهُمْ لِلَّه ذِكْرًا"،ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلاَةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصَّدَقَةَ،كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّه ﷺيَقُولُ:"أَكْثَرُهُمْ لِلَّه ذِكْرًا"،فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ

[١٠٠٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٦٧)

[١٠٠٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣٦٢)

لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ:"يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ بِكُلِّ خَيْرٍ"،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"أَجَلْ" رواه الطبراني[١٠٠٥].

وعَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِى دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ». قَالُوا بَلَى. قَالَ « ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى ». فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضى الله عنه مَا شَىْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ." رواه الترمذي[١٠٠٦]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ:أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ." رواه ابن حبان[١٠٠٧] .

ولكل عبادة من العبادات وقت معين وشروط محددة،ولكن ذكر الله تعالى لا يحدده مكان،ولا يحدده زمان،ولكنه مطلوب على جميع الأحوال،وفي كل الأوقات،قال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (١٩١) سورة آل عمران.

يَصِفُ اللهُ تَعَالَى أُوْلِي الأَلْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ:إِنَّهُمُ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلاَ يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ،بِسَرَائِرِهِمْ،وَأَلْسِنَتِهِمْ...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ خَلِيقَتِه،وَمِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ وَعِظَاتٍ،تَدُلُ عَلَى الخَالِقِ،وَقُدْرَتِه،وَحِكْمَتِه،ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً،رَبَّنَا تَنَزَّهْتَ عَنِ العَبَثِ وَالبَاطِلِ،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالحَقِّ،وَالإِنْسَانِ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثاً،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ.وَمَتَى حُشِرَ الخَلْقُ إِلَيكَ حَاسَبْتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،فَتَجْزِي الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا،وَتَجْزِي الذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.ثُمَّ يُتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذابَ النَّارِ[١٠٠٨]

و لم يطلب الله سبحانه من عبادة الإكثار من شيء،إلا ذكر الله فقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢)} الأحزاب.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِه بِكَثْرَةِ ذِكْرِه،فَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَيهِمْ،لِمَا لَهُمْ فِي ذِكْرِ اللهِ مِنْ عَظِيمِ الثَّوابِ.وَيَأْمُرُهُمْ تَعَالَى أَيضاً بِتَنْزِيهِه عَمَّا لاَ يَلِيقُ بَيْنَ طَرَفَي النَّهَارِ:فِي البُكُورِ عِنْدَ القِيامِ مِنَ النَّومِ،وَوَقْتِ الأَصِيلِ،وَقْتِ الانْتِهَاءِ مِنَ العَمَلِ اليَومِيِّ،فَيَكُونُ الذِّكْرُ فِي الصَّبَاحِ شُكْراً للهِ عَلَى بَعْثِ

[١٠٠٥] – المعجم الكبير للطبراني – (١٥ / ١١٤) (١٦٨١٢) حسن لغيره

[١٠٠٦] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٧٠٤) صحيح لغيره –الورق : الفضة

[١٠٠٧] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠٠) (٨١٨) حسن

[١٠٠٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٨٤)

الإنسْان مِنْ رُقَادِه،وَفِي المَسَاء شُكْراً لَهُ عَلى تِوفِيقِه لأَداءِ العَمَلِ،والقِيَامِ بالسَّعِي لِلْحُصُول عَلَى الرِّزْقِ[١٠٠٩] .

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} (٤٥) سورة الأنفال

يَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى الثَّبَاتِ عِنْدَ لِقَاءِ الأَعْدَاءِ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ،وَيَأْمُرُهُمْ بِذِكرِ اللهِ عِنْدَ الشَّدَائِد،لِتَقْوَى قُلُوبُهُمْ،وَتَثْبُتَ نُفُوسُهُمْ،وَهَذَانِ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الفَوْزِ وَالنَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ فِي الدُّنْيا،وَمِنْ أَسْبَابِ الفَوْزِ بِالفَلاَحِ وَبِرِضْوَانِ اللهِ فِي الآخِرَةِ .[١٠١٠]

وقال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٣٥) سورة الأحزاب.

إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات،والمصَدِّقين والمصدِّقات والمطيعين لله ورسوله والمطيعات،والصادقين في أقوالهم والصادقات،والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات،والخائفين من الله والخائفات،والمتصدقين بالفرض والنَّفْل والمتصدقات،والصائمين في الفرض والنَّفْل والصائمات،والحافظين فروجهم عن الزنى ومقدماته،وعن كشف العورات والحافظات،والذاكرين الله كثيرًا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات،أعدَّ الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثوابًا عظيمًا،وهو الجنة.[١٠١١]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- يَسِيرُ فِى طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ « سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ». قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ ». رواه مسلم [١٠١٢]

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا."[١٠١٣]

وعَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا"[١٠١٤]

[١٠٠٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٤٥٥)

[١٠١٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٢٠٦)

[١٠١١] – التفسير الميسر – (٧ / ٣٤٥)

[١٠١٢] – صحيح مسلم- المكثر – (٦٩٨٤)

المفردون : الذاكرون الله كثيرا والمفرد الذى انفرد بأمر وجعله شغله الشاغل

[١٠١٣] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (١ / ٢٥٨) (٤٤٦) وصحيح الجامع (٥٤٤٦) حسن لغيره

[١٠١٤] – المعجم الكبير للطبراني – (١٥ / ٣) (١٦٦٠٨) حسن لغيره

بل إنه جعل إحدى علامات المنافقين أنهم يذكرون الله تعالى ولكنه الذكر القليل الذي لا يثمر محبة،ولا يورث خشية،ولا يحدث تقوى ولا إيمانا قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً} (١٤٢) سورة النساء.

يَعْتَقِدُ المُنَافِقُونَ،جَهْلاً مِنْهُمْ وَسَفْهاً،أنَّ أُمُورَهُمْ رَاجَتْ عِنْدَ النَّاسِ لِمَا أَظْهَرُوهُ لَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَأَبْطَنُوهُ مِنَ الكُفْرِ،وَأنَّ نِفَاقَهُمْ سَيَرُوجُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ أَيْضاً،كَمَا رَاجَ عِنْدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا،وَقَدْ جَهَلَ هَؤُلاءِ المَخْدُوعُونَ أنَّ اللهَ عَالِمٌ بِمَسْلَكِهِمْ وَسَرَائِرِهِمْ،وَهُوَ يَخْدَعُهُمْ إِذْ يَسْتَدْرِجُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ،وَضَلاَلِهِمْ،وَيَخْدَعُهُمْ عَنِ الحَقِّ وَالوُصُولِ إِلَيْهِ،فِي الدُّنْيَا،وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ[١٠١٥]

وإذا كان الإيمان شجرة باسقة جذورها العقيدة الصحيحة بالله،وفروعها العمل الصالح النافع،وثمارها الأخلاق الكريمة الطيبة،فإن ماءها الذي تسقى به والذي فيه استمرار حياتها إنما هو ذكر الله تعالى وعَنْ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ - « مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَىِّ وَالْمَيِّتِ » رواه البخاري[١٠١٦].

وعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ،قَالَ:"مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ،وَلَوْلا ذَلِكَ مَا أَمَرَ النَّاسَ بِالصَّلاةِ وَالْقِتَالِ،أَلا تَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ النَّاسَ بِالذِّكْرِ عِنْدَ الْقِتَالِ ؟ فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ".[١٠١٧]

ومن بين شرائع الإسلام الحقة انتقى منها معلمها الأول أنفعها وأكثرها ضرورة للتمسك به،والثبات عليه،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضى الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَىَّ فَأَخْبِرْنِى بِشَىْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ « لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ». رواه الترمذي)[١٠١٨].

كيف لا وذاكر الله تعالى جليس ربه الذي يفيض عليه من علمه وحكمته ومراقبته بحسب صلته به وقوة توجهه إليه،قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (١٥٢) سورة البقرة.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ فِيمَا افْتَرَضَهُ عَلَيهِمْ مِنْ طَاعَةٍ وَحَمْدٍ وَتَسْبِيحٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ،لِيَذْكُرَهُمْ فِيمَا أَوْجَبَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيْمَةَ مِنْ إِدَامَةِ النِّعَمِ وَالفَضْلِ،وَلِيُجْزِلَ لَهُمُ الثَّوَابَ،وَيُفِيضَ عَلَيهِمِ الخَيْرَاتِ (أَي اذكُرُونِي بِطَاعَتِي،أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي)،وَأَمَرَ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِالشُّكْرِ لَهُ،وَوَعَدَ الشَّاكِرِينَ بِمَزِيدٍ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَاتِ،وَنَهَاهُمْ عَنِ الكُفْرِ بِالنِّعْمَةِ .[١٠١٩]

[١٠١٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٣٥)

[١٠١٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٤٠٧)

[١٠١٧] - تفسير ابن أبي حاتم - (٧ / ١٠٧) حسن مقطوع

[١٠١٨] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٧٠٢) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[١٠١٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٥٩)

عَنْ كَرِيمَةَ بِنْتِ الْحَسْحَاسِ،قَالَتْ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ فِي بَيْتِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ يُحَدِّثُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ." رواه ابن حبان [١٠٢٠]

وعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ " ذِكْرَ اللهِ شِفَاءٌ وَإِنَّ ذِكْرَ النَّاسِ دَاءٌ " رواه البيهقي[١٠٢١]

وعَنْ مَاهَانَ الْحَنَفِيِّ قَالَ: " أَمَا يَسْتَحِي أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ دَابَّتُهُ الَّتِي يَرْكَبُهَا،وَثَوْبُهُ الَّذِي يَلْبَسُ أَكْثَرَ ذِكْرًا لِلَّهِ مِنْهُ قَالَ: وَكَانَ لَا يَفْتُرُ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ "[١٠٢٢]

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِعُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ: " أَرَى لِسَانَكَ لَا يَفْتُرُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَكَمْ تُسَبِّحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ؟ قَالَ: مِائَةَ أَلْفٍ إِلَّا أَنْ تُخْطِئَ الْأَصَابِعُ "[١٠٢٣]

وعن ثَابِتَ الْبُنَانِيِّ،قَالَ: قَالَ فُلَانٌ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ حِينَ يَذْكُرُنِي رَبِّي "،قَالُوا: وَتَعْلَمُ حِينَ يَذْكُرُكَ رَبُّكَ ؟ قَالَ: " نَعَمْ،إِذَا ذَكَرْتُهُ ذَكَرَنِي "،قَالَ: " وَإِنِّي لَأَعْلَمُ حِينَ يَسْتَجِيبُ لِي رَبِّي "،قَالُوا: وَتَعْلَمُ حِينَ يَسْتَجِيبُ لَكَ رَبُّكَ ؟ قَالَ: " نَعَمْ "،إِذَا وَجَلَ قَلْبِي،وَاقْشَعَرَّ جِلْدِي،وَفَاضَتْ عَيْنَايَ،وَفُتِحَ لِي فِي الدُّعَاءِ فَثَمَّ أَعْرِفُ أَنِّي قَدِ اسْتُجِيبَ لِي "[١٠٢٤].

وعَنْ سَلْمَانَ،قَالَ: " إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَدْعُو اللهَ فِي السَّرَّاءِ،فَنَزَلَتْ بِهِ الضَّرَّاءُ فَيَدْعُو فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مَعْرُوفٌ مِنْ آدَمِيٍّ ضَعِيفٍ،كَانَ يَدْعُو فِي السَّرَّاءِ،فَيُشْفَعُونَ لَهُ ؛ وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ لَا يَدْعُو اللهَ فِي السَّرَّاءِ فَنَزَلَتْ بِهِ الضَّرَّاءُ فَدَعَا فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: صَوْتٌ مُنْكَرٌ مِنْ آدَمِيٍّ ضَعِيفٍ كَانَ لَا يَدْعُو فِي السَّرَّاءِ فَنَزَلَتْ بِهِ الضَّرَّاءُ فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُ "[١٠٢٥]

وذكر الله تعالى هو العاصم من الوقوع في الخطايا،وهو الوازع للنفس يكفها عن غفلتها وميلها إلى الباطل،واتباعها للهوى،قال تعالى { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) } الكهف.

وَاجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ،وَيَحْمَدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ،وَيَسْأَلُونَهُ مِنْ فَضْلِه بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،وَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ،سَوَاءً كَانُوا أَغْنِيَاءَ أَوْ فُقَرَاءَ (وَيُقَالُ إِنَّ هذه الآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ حِينَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺأَنْ يَجْلِسَ مَعَهُمْ وَحْدَهُمْ،وَأَنْ لاَ يُجَالِسَ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ).ثُمَّ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ لاَ يُجَاوِزَ هؤُلاَءِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ،وَبِأَنْ لاَ يُطِيعَ مَنْ

[١٠٢٠] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٩٧) (٨١٥) صحيح

[١٠٢١] – شعب الإيمان – (٢ / ١٨٤) (٧٠٥) صحيح مرسل

[١٠٢٢] – شعب الإيمان – (٢ / ١٨٥)(٧٠٦) صحيح مقطوع

[١٠٢٣] – شعب الإيمان – (٢ / ١٨٥) (٧٠٧) حسن مقطوع

[١٠٢٤] – شعب الإيمان – (٢ / ٣٨٣) (١٠٩٩)

[١٠٢٥] – شعب الإيمان – (٢ / ٣٨٣) (١١٠٠) حسن موقوف

شُغِلَ بِالدُّنْيا عَنِ الدِّينِ،وَعَنْ عِبَادَةِ اللهِ،وَمَنْ تَجاوَزَ فِي أَعْمَالِهِ حُدُودَ اللهِ،وَتَمَادَى فِي ارْتِكَابِ المَعَاصِي وَالآثَامِ،وَكَانَ مُفْرِطاً سَفِيهاً فِي أَمْرِهِ .[١٠٢٦]

وذكر الله تعالى هو العمل المرتجى للنجاة من عذاب الله تعالى،إذ أن أشد العذاب الذي يصيب الإنسان إنما يأتيه بسبب الغفلة عن الله،وما وقع من وقع،ولا زل من زل،ولا أذنب من أذنب إلا بسبب غفلته عن الله تعالى قال الله عز وجل:{ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦)} الزخرف

وَمَنْ يَتَغَافَلْ وَيَتَعَامَ عَنِ القُرْآنِ،وَعَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى،وَيَنْهَمِكْ فِي المَعَاصِي،وَلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.. فَإِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ فَيَكُونُونَ لَهُ قُرَنَاءَ،يُزَيِّنُونَ لَهُ ارْتِكَابَ المَعَاصِي،وَالاشْتِغَالَ بِاللَّذَّاتِ،فَيَسْتَرْسِلُ فِيهَا فَيَحِقُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ وَعِقَابُهُ .[١٠٢٧]

وقال تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)} طه.

وَمَنْ خَالَفَ أَمْرِي،وَكَفَرَ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَى رُسُلِي،وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي وَتَنَاسَاهُ فَسَتَكُونُ مَعِيشَتُهُ فِي الدُّنْيَا ضَنْكاً لاَ طُمَأنِينَةَ لَهُ فِيهَا،وَلاَ يَنْشَرِحُ فِيهَا صَدْرُهُ،بَلْ يَبْقَى صَدْرُهُ ضَيِّقاً حَرِجاً،بِسَبَبِ ضَلاَلِه.وَمَا لَمْ يَخْلُصِ الهُدَى وَاليَقِينُ إِلَى قَلْبِه،فَإِنَّهُ سَيَبْقَى فِي قَلَقٍ وَحِيرَةٍ وَشَكٍّ،وَيَحْشُرُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى البَصَرِ وَالبَصِيرَةِ،قَدْ عَمِيَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيءٍ إِلاَّ جَهَنَّمَ،لأَنَّ الجَهَالَةَ التِي كَانَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا تَبْقَى مُلاَزِمَةً لَهُ فِي الآخِرَةِ.فَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا المُتَسَائِلِ مُبَيِّناً:لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رُسُلَنَا بِآيَاتِنَا فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا،وَتَنَاسَيْتَهَا،فَكَذَلِكَ نُعَامِلُكَ اليَوْمَ مُعَامَلَةَ المَنْسِيِّ،فَتُتْرَكَ فِي النَّارِ[١٠٢٨] .

وعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنَ النَّارِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ،قَالَ:وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ،إلا أن تَضْرِبُ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ،ثُمَّ تَضْرِبُ بِه حَتَّى يَنْقَطِعَ ثَلاَثًا."[١٠٢٩]

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺقَالَ:مَا عَلَى ظَاهِرِ الأَرْضِ مِنْ بُنْيَانٍ هُوَ أَنْجَى لِامْرِئٍ مِنْ عَذَابِ اللَّه مِنْ ذِكْرِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قَالَ رَجُلٌ:وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه ؟ قَالَ:وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه وَإِنْ ضَرَبْتَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ "[١٠٣٠]

[١٠٢٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢١٦٩)

[١٠٢٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٢٤٠)

[١٠٢٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٣٧)

[١٠٢٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٤٥٥) (٣٦١٩٤) صحيح لغيره

[١٠٣٠] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (٣ / ٣٩٤) (٢٥٣٦) صحيح لغيره

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ،وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ،وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ،وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ،وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا:وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَقَالَ:ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ:مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[١٠٣١].

ومجالس الذكر التي يجتمع عليها الذاكرون،فتلتقي أرواحهم في بوتقة واحدة،ويستمد ضعيفها من قويها،وتستمد جميعها من مصدر الخير والكمال والفضل والعطاء،والنور والهدى والإيمان،هي رياض الجنة،ومجالس الرضوان قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٢٨) سورة الكهف.

واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده،ويدعونه في الصباح والمساء،يريدون بذلك وجهه،واجلس معهم وخالطهم،ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا،ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا،وآثَرَ هواه على طاعة مولاه،وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.[١٠٣٢]

وعَنِ الأَغَرِّ،قَالَ:أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،وَأَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ،إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. رواه مسلم[١٠٣٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ،يَمْشُونَ فِي الطُّرُقِ،يَلْتَمِسُونَ الذِّكْرَ،فَإِذَا رَأَوْا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَنَادَوْا:هَلُمُّوا إِلَى حَاجَاتِكُمْ،فَيَحُفُّونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ،فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ جَلَّ وَعَلاَ،وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ،فَيَقُولُ:عِبَادِي مَا يَقُولُونَ ؟ فَيَقُولُونَ:يَا رَبِّ،يُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ،فَيَقُولُ:هَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ،فَيَقُولُ:كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَسْبِيحًا وَتَمْجِيدًا وَتَكْبِيرًا وَتَحْمِيدًا،فَيَقُولُ:مَاذَا يَسْأَلُونَ ؟ فَيَقُولُونَ:يَسْأَلُونَكَ يَا رَبِّ الْجَنَّةَ،فَيَقُولُ لَهُمْ:هَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ،فَيَقُولُ:كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ قَدْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ طَلَبًا وَأَشَدَّ حِرْصًا،فَيَقُولُ:فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ فَيَقُولُونَ:يَتَعَوَّذُونَ بِكَ مِنَ النَّارِ،فَيَقُولُ:فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ،فَيَقُولُ:كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ قَدْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ تَعَوُّذًا،فَيَقُولُ:فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ."[١٠٣٤]

[١٠٣١] - المستدرك للحاكم (١٨٢٥) حسن

[١٠٣٢] - التفسير الميسر - (٥ / ١٣١)

[١٠٣٣] - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٣٦) (٨٥٥) وصحيح مسلم- المكتر - (٧٠٣٠)

[١٠٣٤] - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٣٧) (٨٥٦) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً فُضُلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ،يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ،يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ،فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا:هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ،فَيَحُفُّونَ بِهِمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ،فَيَقُولُ:مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ:يُكَبِّرُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ،فَيَقُولُ:هَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ،فَيَقُولُ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا،فَيَقُولُ:وَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ:فَيَقُولُونَ:يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ،فَيَقُولُ:فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ،فَيَقُولُ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا عَلَيْهَا أَشَدَّ حِرْصًا وَأَشَدَّ طَلَبًا،وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً،فَيَقُولُ:وَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ فَيَقُولُونَ:مِنَ النَّارِ،فَيَقُولُ:وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ،فَيَقُولُ:فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ فَيَقُولُونَ:لَوْ رَأَوْهَا لَكَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ فِرَارًا،وَأَشَدَّ هَرَبًا،وَأَشَدَّ خَوْفًا،فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ:أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ.،قَالَ:فَقَالَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ:إِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ،قَالَ:فَهُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ."[١٠٣٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ:جُمْدَانَ،فَقَالَ:سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ،سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ،سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،مَا الْمُفَرِّدُونَ ؟ قَالَ:الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ."[١٠٣٦]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ:سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ،فَقِيلَ:مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ." ابن حبان[١٠٣٧].

وأي شرف أعظم لهذا الإنسان الضعيف،من قول الملك العظيم،الكريم الحلي حين يخاطبه في الحديث القدسي،فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ،فِي قَوْلِ اللَّهِ: " " وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ "،قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ،ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،وَإِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي وَحْدَهُ،ذَكَرْتُهُ وَحْدِي،وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ،ذَكَرْتُهُ فِي أَحْسَنَ مِنْهُمْ وَأَكْرَمَ"[١٠٣٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: إِذَا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا،تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا،وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا،تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا،وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا،أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً،وَإِنْ هَرْوَلَ سَعَيْتُ إِلَيْهِ،وَاللَّهُ أَوْسَعُ بِالْمَغْفِرَةِ." متفق عليه[١٠٣٩]

[١٠٣٥] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٣٩) (٨٥٧) صحيح

[١٠٣٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٤٠) (٨٥٨) صحيح

[١٠٣٧] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٩٨) (٨١٦) حسن

[١٠٣٨] – تفسير ابن أبي حاتم – (٦ / ٣٣٣) (٩٥٠٤) صحيح مرسل

[١٠٣٩] – صحيح ابن حبان – (٢ / ١٠٠)(٣٧٦) وصحيح البخارى- المكتر – (٧٥٣٧) وصحيح مسلم- المكتر – (٧٠٠٦)

وعَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺيَرْوِيهِ،عَنْ رَبِّهِ تَبارَكَ وَتَعالَى قالَ: " مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ " البيهقي[١٠٤٠]

وإذا كان الذكر هو الصلة الروحية بين العبد وربه،فلا بد للوصول بها إلى مرتبة القبول،ولتؤتي ثمارها على الوجه الأفضل،من آداب يلتزمها الذاكر بين يدي خالقه ومولاه نذكر منها:

الوضوء قبل الذكر،الجلوس باتجاه القبلة ساكنا خاشعا،استعدادا لمناجاة الله تعالى .

إرادة وجه الله تعالى بذكره،وامتثال أمره وطاعته،وابتغاء مرضاته،دون الالتفاف إلى شيء من حظوظ النفس،أو مراءاة الناس،أو مراقبة الآخرين.قال تعالى: {قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٩) سورة آل عمران.

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ سَرَائِرَهُمْ وَضَمَائِرَهُمْ وَظَوَاهِرَهُمْ،وَأَنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْ أَمْورِهِمْ،وَيَعْلَمُ مَا فِي الكَوْنِ جَمِيعاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى عُقُوبَةِ المُخَالِفِينَ عَنْ أَمْرِهِ،وَالمُوَالِينَ أَعْدَاءَهُ،فَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ خَفِيّةٍ،أَوْ ظَاهِرَةٍ إلاّ وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيها،وَقَادِرٌ عَلَى عِقَابِ فَاعِلِهَا عَلَيهَا .[١٠٤١]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:خَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ،فَقَالَ:مَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا:جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ،قَالَ:آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَلِكَ ؟ قَالُوا:وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَلِكَ،قَالَ:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،فَقَالَ:مَا يُجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا:جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ،قَالَ:آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَلِكَ ؟ قَالُوا:وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَلِكَ،قَالَ:أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ،وَلَكِنْ جِبْرِيلُ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ. رواه مسلم[١٠٤٢].

وَمِنْ هُنَا قال النَّوَوِيُّ:يُسْتَحَبُّ الْجُلُوسُ فِي حِلَقِ الذِّكْرِ [١٠٤٣]

الابتداء بتطهير النفس بالاستغفار والتوبة إلى الله من كل الذنوب والخطايا والغفلات.قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (١٣٥) سورة آل عمران.

وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنَّهُمْ إِذَا صَدَرَ عَنْهُمْ فِعْلَ قَبِيحٌ يَتَعَدَّى أَثرُهُ إِلَى غَيْرِهِمْ (كَغِيبَةِ إِنْسَانٍ)،أَو صَدَرَ عَنْهُمْ ذَنْبٌ يَكُونُ مُقْتَصِراً عَلَيْهِمْ (كَشُرْبِ خَمْرٍ وَنَحْوَهُ)،ذَكَرُوا اللهَ تَعَالَى وَوَعِيدَهُ،وَعَظَمَتَهُ

[١٠٤٠] – شعب الإيمان – (٢ / ٩٥) (٥٦٨ و ٥٦٩وشعب الإيمان – (٥ / ٥٠٨)

٣٧٨٦ –) صحيح لغيره

[١٠٤١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٢٣)

[١٠٤٢] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٩٦) (٨١٣) وصحيح مسلم– المكتر – (٧٠٣٢)

[١٠٤٣] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢١ / ٢٥٢) والفتوحات الربانية ١ / ٨٩ – ١٠٦ وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٢ / ٤٠١٤)رقم الفتوى ٨٣٨١ الذكر الجماعي وأقوال العلماء بشأنه

وَجَلاَلَهُ،فَرَجَعُوا إِلَى اللهِ تَائِبِينَ،طَالِبِينَ مَغْفِرَتَهُ،وَلَمْ يُقِيمُوا عَلى القَبِيحِ مِنْ غَيْرِ اسْتِغْفَارٍ،لِعِلْمِهِمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً،وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى الذَّنْبِ،لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ،تَابَ اللهُ عَلَيهِ،وَغَفَرَ لَهُ .[١٠٤٤]

وعَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِىِّ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ ». رواه مسلم[١٠٤٥].

يفضل إغماض العينين،لئلا يشتغل بشيء من متاع الدنيا،ولصرف القلب والفكر إلى تدبر معاني الذكر،ومراقبة الله سبحانه وتعالى.

إختيار الأوقات المناسبة لذكر الله تعالى،والتي يكون فيها المرء خاليا من الشواغل،ونفسه مستعدة لتلقي النور والفيض الإلهي،وقلبه مشتاق لمناجاة الله تعالى،كأوقات السحر،والأصيل،وعقب الصلوات المكتوبة،وفي الليالي المباركة،والأيام الفضيلة..

قال تعالى:{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥)} الإنسان.

وَدُمْ عَلَى ذِكْرِ رَبِّكَ وَتَسْبِيحِهِ فِي البُكُورِ وَفِي الأَصَائِلِ أَيْ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ .

وقال سبحانه:{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦)} الإنسان.

هذا هو الزاد. اذكر اسم ربك في الصباح والمساء،واسجد له بالليل وسبحه طويلا .. إنه الاتصال بالمصدر الذي نزّل عليك القرآن،وكلفك الدعوة،هو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد .. الاتصال به ذكرا وعبادة ودعاء وتسبيحا .. ليلا طويلا .. فالطريق طويل،والعبء ثقيل. ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير.

وهو هناك،حيث يلتقي العبد بربه في خلوة وفي نجاء،وفي تطلع وفي أنس،تفيض منه الراحة على التعب والضنى،وتفيض منه القوة على الضعف والقلة. وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل،وترى عظمة التكليف،وضخامة الأمانة. فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من أشواك الطريق! إن اللّه رحيم،كلف عبده الدعوة،ونزل عليه القرآن،وعرف متاعب العب ء،وأشواك الطريق. فلم يدع نبيه - ﷺ- بلا عون أو مدد. وهذا هو المدد الذي يعلم - سبحانه - أنه هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك .. وهو هو زاد أصحاب الدعوة إلى اللّه في كل أرض وفي كل جيل. فهي دعوة واحدة. ملابساتها واحدة. وموقف الباطل منها واحد،وأسباب هذا الموقف واحدة.ووسائل الباطل هي ذاتها وسائله. فلتكن وسائل الحق هي الوسائل التي علم اللّه أنها وسائل هذا الطريق.

[١٠٤٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٢٨)

[١٠٤٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٧٠٣٣) -يغان : يغطى

والحقيقة التي ينبغي أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى اللّه هي هذه الحقيقة التي لقنها اللّه لصاحب الدعوة الأولى – ﷺ– هي أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند اللّه. فهو صاحبها. وأن الحق الذي تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذي يدعو إليه الآثمون الكفار. فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم،أو الالتقاء في منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل. فهما نهجان مختلفان،وطريقان لا يلتقيان. فأما حين يغلب الباطل بقوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم،لحكمة يراها اللّه .. فالصبر حتى يأتي اللّه بحكمه. والاستمداد من اللّه والاستعانة بالدعاء والتسبيح – ليلا طويلا – هي الزاد المضمون لهذا الطريق .... إنها حقيقة كبيرة لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق ..[١٠٤٦]

وقال سبحانه:{ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ (١٧)} آل عمران.

وَهؤلاءِ العِبَادُ المُتَّقُونَ هُمُ:الصَّابِرُونَ عَلَى قِيَامِهِمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ،وَتَرْكِ مُحَرَّمَاتِه،وَهُمُ الصَّادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِه مِنْ إِيمَانِهِمْ بِمَا التَزَمُوا بِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الشَّاقَّة،والمُلْتَزِمُونَ بِطَاعَةِ اللهِ،وَالخُضُوعِ لَهُ (القَانِتُونَ)،وَهُمُ المُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوالِهِمْ فِي جَمِيعِ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ،وَصِلَةِ الأَرْحَامِ وَمُوَاسَاةِ ذَوِي الحَاجَاتِ،وَهُمُ المُسْتَغْفِرُونَ رَبَّهُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّحَرِ،حِينَما يَكُونُ النَّاسُ نَائِمِينَ.وَجَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:" يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى اللَّيْلِ الأَخِيرِ فَيَقُولُ:هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ "[١٠٤٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ " فِيمَا يَذْكُرُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ:" ابْنَ آدَمَ،اذْكُرْنِي بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِيكَ مَا بَيْنَهُمَا "[١٠٤٨].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِى جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ». قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ ». رواه الترمذي[١٠٤٩].

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ،ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ،وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"[١٠٥٠]

[١٠٤٦] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٧٨٥)

[١٠٤٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣١١)

[١٠٤٨] – الزُهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (٢٠٨) ضعيف

[١٠٤٩] – سنن الترمذى– المكتر – (٥٨٩) وصحيح الجامع (٦٣٤٦) وهو حديث صحيح لغيره

[١٠٥٠] – مسند أبي يعلى الموصلي (١٤٩٥) حسن لغيره

وعَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ حَدَّثَنِى عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِىَّ -ﷺ- يَقُولُ « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِى تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ ». رواه الترمذي [١٠٥١]

استحضار عظمة الله وجلاله،وأسمائه الحسنى،وصفاته العليا،بحسب حالة الذكر والفتح الذي يفتح عليه فيه،والتفكير في كل لفظ يذكره،ومراقبة القلب يردده مع اللسان،حتى يصل إلى الهيبة والتضرع والعبودية الحقة،ولا يفرغ حتى يشعر بطمأنينة القلب بذكر الله تعالى .

قال الراغب: ذكر اللّه تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة والإجلال وتارة لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن وتارة لفضله ورحمته فيتولد منه الرجاء وتارة لنعمته فيتولد منه العز فحق المؤمن أن لا ينفك أبداً عن ذكره على أحد هذه الوجوه.[١٠٥٢] .

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢) سورة الأنفال.

يُعَرِّفُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمُ:الذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ فَزِعَتْ قُلُوبُهُمْ وَخَافَتْ (وَجِلَتْ)،وَعَمِلَتْ بِمَا أَمَرَ اللهُ،وَتَرَكَتْ مَا نَهَى عَنْهُ.فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَهُمُّوا بِمَعْصِيَةٍ أَوْ يَظْلِمُوا،وَقِيلَ لَهُمْ:اتَّقُوا اللهَ،ارْتَدَعُوا عَمَّا هَمُّوا بِهِ خَوْفاً مِنَ اللهِ.وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ رَسَّخَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ وَزَادَ فِيهِ،وَهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ،لاَ يَرْجُونَ سِوَاهُ،وَلاَ يَلُوذُونَ إِلاَّ بِجَنَابِهِ،وَلاَ يَسْأَلُونَ غَيْرَهُ .[١٠٥٣]

وقال تعالى:{ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)} الأعراف.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِذِكْرِهِ كَثِيراً فِي أَوْلِ النَّهَارِ وَفِي آخِرِهِ،كَمَا أَمَرَ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ فِي هَذِينِ الوَقْتَيْنِ،(وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ).وَيَأْمُرُ اللهُ بِأَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ فِي النَّفْسِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً،وَبِالقَوْلِ خُفْيَةً وَسِرّاً،لاَ جَهْراً،وَلِذَلِكَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ خَفِيّاً لاَ نِدَاءً وَلاَ جَهْراً بَلِيغاً،وَبِأَنْ لاَ يَكُونَ الإِنْسَانُ غَافِلاً عَنْ ذِكْرِ اللهِ،وَأَنْ يَسْتَشْعِرَ قَلْبُهُ الخُضُوعَ لَهُ،وَالخَوْفَ مِنْ قُدْرَتِهِ .[١٠٥٤]

وقال تعالى:{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)} الرعد.

[١٠٥١] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٩٢٨) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

[١٠٥٢] – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (٨ / ١٩٩)

[١٠٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١١٦٣)

[١٠٥٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١١٦٠)

وَهؤلاَءِ الذينَ يَهْديهِمُ اللهُ هُمُ الْمُؤْمنُونَ،الذينَ آمَنُوا باللهِ،وَتَطيبُ قُلُوبُهُمْ،وَتَهْدَأُ إِلَى جَانبِ اللهِ،وَتَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِهِ،وَتَرْضَى بِهِ مَوْلًى وَنَاصِراً.وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّ القُلُوبَ الْمُؤْمِنَةَ تَطْمَئِنُّ وَتَسْكُنُ وَتَهْدَأُ عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى .[١٠٥٥]

ومعنى الاطمئنان سكونُ القلب واستقراره وأُنْسُه إلى عقيدة لا تطفو إلى العقل ليناقشها من جديد.

ونعلم أن الإنسانَ له حواسٌّ إدراكية يستقبل بها المُحسَّات؛ وله عقل يأخذ هذه الأشياء ويهضمها؛ بعد إدراكها؛ ويفحصها جيداً،ويتلمس مدى صِدْقها أو كَذِبها؛ ويستخرج من كل ذلك قضية واضحة يُبقيها في قلبه لتصبح عقيدة،لأنها وصلت إلى مرحلة الوجدان المحب لاختيار المحبوب.

وهكذا تمرُّ العقيدة بعدة مراحلَ؛ فهي أولاً إدراك حِسِّي؛ ثم مرحلة التفكّر العقلي؛ ثم مرحلة الاستجلاء للحقيقة؛ ثم الاستقرار في القلب لتصبح عقيدة.ولذلك يقول سبحانه: { وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ... } [الرعد: ٢٨]

فاطمئنان القلب هو النتيجة للإيمان بالعقيدة؛ وقد يمرُّ على القلب بعضٌ من الأغيار التي تزلزل الإيمان،ونقول لمن تمرُّ به تلك الهواجس من الأغيار: أنت لم تُعْطِ الربوبية حقها؛ لأنك أنت الملوم في أي شيء يَنَالُكَ.

فلو أحسنتَ استقبال القدر فيما يمرُّ بك من أحداث،لَعلِمْتَ تقصيرك فيما لك فيه دَخْل بأيِّ حادث وقع عليك نتيجة لعملك،أما مَا وقع عليك ولا دَخْل لك فيه؛ فهذا من أمر القَدَر الذي أراده الحقُّ لك لحكمة قد لا تعلمها،وهي خير لك.

إذن: استقبال القدر إن كان من خارج النفس فهو لك،وإن كان من داخل النفس فهو عليك. ولو قُمْتَ بإحصاء ما ينفعك من وقوع القدر عليك لَوجدتَّه أكثرَ بكثير مما سَلَبه منك. والمَثَل هو الشاب الذي استذكر دروسه واستعدَّ للامتحان؛ لكن مرضاً داهمه قبل الامتحان ومنعه من أدائه.

هذا الشاب فعلَ ما عليه؛ وشاءَ الله أن يترل عليه هذا القدر لحكمة ما؛ كأنْ يمنع عنه حسَد جيرانه؛ أو حسدَ مَنْ يكرهون أَمه أو أباه،أو يحميه من الغرور والفتنة في أنه مُعتمِد على الأسباب لا على المُسبِّب. أو تأخير مرادك أمام مطلوب الله يكون خيراً.

وهكذا فَعَلى الإنسان المؤمن أن يكون موصولاً بالمُسبِّب الأعلى،وأنْ يتوكل عليه سبحانه وحده،وأن يعلم أنْ التوكل على الله يعني أن تعمل الجوارح،وأنْ تتوكَّل القلوب؛ لأن التوكل عملٌ قلبي،وليس عملَ القوالب.

ولينتبه كُلٌّ منّا إلى أن الله قد يُغيب الأسباب كي لا نغتر بها،وبذلك يعتدل إيمانك به؛ ويعتدل إيمان غيرك.

[١٠٥٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٧٣٦)

وقد ترى شاباً ذكياً قادراً على الاستيعاب،ولكنه لا ينال المجموع المناسب للكلية التي كان يرغبها؛ فيسجد لله شكراً؛ مُتقبِّلاً قضاء الله وقَدَره؛ فَيُوفِّقه الله إلى كلية أخرى وينبغ فيها؛ ليكون أحدَ البارزين في المجال الجديد.

ولهذا يقول الحق سبحانه:{ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }[البقرة: ٢١٦]

وهكذا نجد أن مَنْ يقبل قَدر الله فيه،ويذكر أن له رباً فوق كل الأسباب؛ فالاطمئنان يغمرُ قلبه أمام أيِّ حدَثٍ مهْمَا كان.وهكذا يطمئن القلب بذكر الله؛ وتهون كُلّ الأسباب؛ لأن الأسباب إنْ عجزتْ؛ فلن يعجز المُسبِّب.

وقد جاء الحق سبحانه بهذه الآية في مَعرِض حديثه عن التشكيك الذي يُثيره الكافرون،وحين يسمع المسلمون هذا التشكيك؛ فقد توجد بعض الخواطر والتساؤلات: لماذا لم يَأْتِ لنا رسول الله ﷺبمعجزة حِسِّية مثل الرُّسُل السابقين لتنفضّ هذه المشكلة،وينتهي هذا العناد؟

ولكن تلك الخواطر لا تنزع من المؤمنين إيمانهم؛ ولذلك يُنزِل الحق سبحانه قوله الذي يُطمئن: { الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ... } [الرعد: ٢٨] والذِّكْر في اللغة جاء لِمَعَانٍ شتّى؛ فمرّة يُطلق الذِّكر،ويُرَاد به الكتاب أي: القرآن:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر: ٩]

ويأتي الذكر مرّة،ويُرَاد به الصِّيت والشهرة والنباهة،يقول تعالى:{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }[الزخرف: ٤٤]

أي: أنه شَرَفٌ عظيم لك في التاريخ،وكذلك لقومك أنْ تأتي المعجزة القرآنية من جنس لغتهم التي يتكلمون بها.

وقد يطلق الذكر على الاعتبار؛ والحق سبحانه يقول:{ ...وَلَـاكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَآءَهُمْ حَتَّى نَسُواْ الذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً }[الفرقان: ١٨]

أي: نسوا العِبَر التي وقعتْ للأمم التي عاشتْ من قبلهم؛ فنصَر الله الدينَ رغم عناد هؤلاء.

وقد يطلق الذكر على كُلِّ ما يبعثه الحق سبحانه على لسان أيِّ رسول:{ ...فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ }[النحل: ٤٣]

وقد يُطلق الذِّكْر على العطاء الخيّر من الله.

ويُطْلق الذِّكْر على تذكر الله دائماً؛ وهو سبحانه القائل:{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ... }[البقرة: ١٥٢]

أي: اذكروني بالطاعة أذكرْكُم بالخير والتجليّات،فإذا كان الذِّكْر بهذه المعاني؛ فنحن نجد الاطمئنان في أيٍّ منها،فالذكر بمعنى القرآن يُورث الاطمئنان.

ويقول الحق سبحانه:{ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً }[الأحزاب: ٤١ــ٤٣]

فكُلُّ آية تأتي من القرآن كانت تُطمئِنُ الرسول ﷺأنه صادقُ البلاغِ عن الله؛ فقد كان المسلمون قلة مُضطهدة،ولا يقدرون على حماية أنفسهم،ولا على حماية ذَويهم.

ويقول الحق سبحانه في هذا الظرف:{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }[القمر: ٤٥]

ويتساءل عمر رضي الله عنه: أيُّ جمع هذا،ونحن لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا؛ وقد هاجر بعضنا إلى الحبشة خوفاً من الاضطهاد؟

ولكن رسول الله ﷺيسير إلى بدر،ويُحدِّد أماكن مصارع كبار رموز الكفر من صناديد قريش؛ ويقول: " هذا مصرع فلان،وهذا مصرع فلان "؛ بل ويأتي بالكيفية التي يقع بها القتل على صناديد قريش؛ ويتلو قول الحق سبحانه:{ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ }[القلم: ١٦]

وبعد ذلك يأتون برأْس الرجل الذي قال عنه رسول الله ذلك؛ فيجدون الضربة قد جاءت على أنفه.فمنْ ذَا الذي يتحكم في مواقع الموت؟

إن ذلك لا يتأتى إلاَّ من إله هو الله؛ وهو الذي أخبر محمداً ﷺبهذا الخبر:{ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ }[القمر: ٤٥]

وقد طمأنَ هذا القولُ القومَ الذين اتبعوا رسول الله ﷺالذي لا يعلم الغيب،ولا يعلم الكيفية التي يموت عليها أيُّ كافر وأيُّ جبار؛ وهو ﷺيخبرهم بها وهُمْ في منتهى الضَّعْف.وهذا الإخبار دليل على أن رصيده قويّ عند علاَّم الغيوب.

إذن: فقول الحق سبحانه: {...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]

يعني: أن القلوب تطمئن بالقرآن وما فيه من أخبار صادقة تمام الصدق،لتؤكد أن محمداً ﷺمُبلِّغ عن ربِّه؛ وأن القرآن ليس من عند محمد ﷺبل هو من عند الله.

وهكذا استقبل المؤمنون محمداً ﷺوصَدَّقوا ما جاء به؛ فها هي خديجة ــ رضي الله عنها وأرضاها ــ لم تكُنْ قد سمعت القرآن؛ وما أنْ أخبرها رسول الله ﷺمخاوفه من أنَّ ما يأتيه قد يكون جناً،فقالت: " إنك لتَصِلُ الرَّحِم،وتحمل الكَلَّ،وتَكسِب المعدوم،وتَقْري الضَّيْف،وتُعينَ على نوائب الحق،واللهِ ما يخزَيك الله أبداً ".

وهاهو أبو بكر ــ رضي الله عنه وأرضاه ــ يصدق أن محمداً رسول من الله،فَوْرَ أن يخبره بذلك.

وهكذا نجده ﷺقد امتلك سِمَاتاً؛ وقد صاغ الله لرسوله أخلاقاً،تجعل مَنْ حوله يُصدِّقون كُلَّ ما يقول فَوْر أنْ ينطق.

ونلحظ أن الذين آمنوا برسالته ﷺ؛ لم يؤمنوا لأن القرآن أخذهم؛ ولكنهم آمنوا لأن محمداً ﷺلا يمكن أن يَكْذِبهم القول،وسيرته قبل البعثة معجزة في حَدِّ ذاتها،وهي التي أدَّتْ إلى تصديق الأوَّلين لرسول الله ﷺ.

أما الكفار فقد أخذهم القرآن؛ واستمال قلوبهم،وتمنَّوا لو نزل على واحد آخر غير محمد ﷺ.

وحين يرى المؤمنون أن القرآن يُخبرهم بالمواقف التي يعيشونها،ولا يعرفون لها تفسيراً؛ ويخبرهم أيضاً بالأحداث التي سوف تقع،ثم يجدون المستقبل وقد جاء بها وِفْقاً لما جاء بالقرآن،هنا يتأكد لهم أن القرآنَ ليس من عند محمد،بل هو من عند رَبِّ محمد ﷺ.

ولذلك فحين يُثير الكفار خزعبلاتهم للتشكيك في محمد ﷺيأتي القرآن مُطَمْئناً للمؤمنين؛ فلا تؤثر فيهم خزعبلات الكفار.

والمؤمن يذكر الله بالخيرات؛ ويعتبر من كل ما يمرُّ به،وبكل ما جاء بكتاب الله؛ وحين يقرأ القرآن فقلبه يطمئنُّ بذكر الله؛ لأنه قد آمن إيمانَ صِدْقٍ.

وقد لمس المؤمنون أن أخبار النبي التي يقولها لهم قد تعدَّتْ محيطهم البيئيّ المحدود إلى العالم الواسع بجناحَيْه الشرقي في فارس،والغربي في الروم.وقد أعلن لهم رسول الله ﷺ ــ على سبيل المثال ــ خبر انتصار الروم على الفرس،حين أنزل الحق سبحانه قوله:{ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ.. }[الروم: ١-٤]

فأروني أيّ عبقرية في العالم تستطيع أن تتحكم في نتيجة معركة بين قوتين تصطرعان وتقتتلان؛ وبعد ذلك يحدد مِنَ الذي سينتصر،ومِنَ الذي سَيُهزم بعد فترة من الزمن تتراوح من خَمْس إلى تِسَع سنوات؟

وأيضاً تأتي الأحداث العالمية التي لا يعلم عنها رسول الله ﷺشيئاً،وتوافق ما جاء بالقرآن.

وكُلُّ ذلك يجعل المؤمنين بالقرآن في حالة اطمئنان إلى أن هذا القرآن صادق،وأنه من عند الله،ويُصدّق هذا قول الحق سبحانه: { الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]

ونعلم أن الكون قد استقبل الإنسان الأول ــ وهو آدم عليه السلام ــ استقبالاً،وقد هُيِّئ له فيه كُلُّ شيء من مُقوِّمات الحياة؛ وصار الإنسانُ يعيش في أسباب الله،تلك الأسباب المَمْدودة من يَدِ الله؛ فنأخذ بها وتترقَّى حياتنا بقَدْر ما نبذل من جَهْد.

وما أنْ نموتَ حتى نصِلَ إلى أرْقى حياة؛ إنْ كان عملُنا صالحاً وحَسُنَ إيماننا بالله؛ فبعد أنْ كُنّا نعيش في الدنيا بأسباب الله الممدودة؛ فنحن نعيش في الآخرة بالمُسبِّب في جنته التي أعدَّها للمتقين.

وقول الحق سبحانه: {...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]

يعني: أن الاطمئنان مُستْوعِب لكل القلوب؛ فكل إنسان له زاوية يضطرب فيها قلبه؛ وما أنْ يـــذكر الله حتى يجِدَ الاطمئنان ويتثبتَ قلبه.

وقد حاول المستشرقون أن يقيموا ضَجَّة حول قوله تعالى: {...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَـــئِنُّ الْقُلُـــوبُ } [الرعد: ٢٨] وتساءلوا: كيف يقول القرآن هنا أن الذِّكْر يُطمئِن القلب؛ ويقول في آيـــة أخـــرى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... }[الأنفال: ٢]

فأيُّ المعنيَيْنِ هو المراد؟

ولو أن المستشرقين قد استقبلوا القرآن بالمَلَكة العربية الصحيحة لَعلِموا الفارق بين: {...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: ٢٨]

وبين قول الحق سبحانه:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... }[الأنفال: ٢] فكأنه إذا ذُكِر الله أمام الناس؛ وكان الإنسان في غَفْلة عن الله؛ هنا ينتبه الإنسان بِوجَلٍ.أو: أن الحق سبحانه يخاطب الخَلْق جميعاً بما فيهم من غرائز وعواطف ومواجيد؛ فلا يوجد إنسان كامل؛ ولكُـــلِّ إنســـان هفوة إلا مَنْ عصم الله.وحين يتذكر الإنسانُ إسرافه من جهة سيئة؛ فهو يَوْجَل؛ وحين يتذكر عَفْـــو الله وتوبته ومغفرته يطمئن.[١٠٥٦]

إنَّ القلوب تطمئن بإحساسها بالصلة باللّه،والأنس بجواره،والأمن في جانبه وفي حماه. تطمئن من قلق الوحدة،وحيرة الطريق. بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير. وتطمئن بالشعور بالحماية من كـــل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء،مع الرضى بالابتلاء والصبر على الـــبلاء. وتطمـــئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة :«أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» ..

ذلك الاطمئنان بذكر اللّه في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطـــت بشاشـــة الإيمـــان قلوبهم،فاتصلت باللّه. يعرفونها،ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها،لأنهـــا لا تنقل بالكلمات،إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشـــعر الطمأنينة والسلام،ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفردا بلا أنيس. فكل ما حوله صديق،إذ كل مـــا حوله من صنع اللّه الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى اللّه. ليس أشقى ممـــن ينطلـــق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون،لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حولـــه في اللّه خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لم جاء؟ و لم يذهب؟ و لم يعاني ما يعاني في الحيـــاة؟ ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيء خيفة لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبـــين كل شيء في هذا الوجود.

[١٠٥٦] - تفسير الشعراوي - (/ ١٧٢٢)

ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريدا وحيدا شاردا في فلاة،عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين.

وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكنا إلى اللّه،مطمئنا إلى حماه،مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد .. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله،فلا يصمد لها إلا المطمئنون باللّه :«أَلا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» ..[١٠٥٧]

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا "[١٠٥٨].

يستحب البكاء مصاحبا لذكر الله تعالى،ويساعد عليه التوجه الكلي إلى الله عز وجل حتى يمتلئ القلب من خشية الله،أو ذكر تقصيره في جنب الله وما مضى من عمره وهو في الغافلين.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا:عَيْنٌ بَاتَتْ تَكْلأُ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه" رواه أبو يعلى[١٠٥٩].

وعن بَهْزِ بِ حَكِيمٍ،عَنْ أَبِيه،عَنْ جَدِّه،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:"ثَلاثَةٌ لا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه،وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّه"[١٠٦٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّه يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ:إِمَامٌ عَادِلٌ،وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى،وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ،وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ،وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا،وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا فَقَالَ:إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ،وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ." متفق عليه[١٠٦١].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:"لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّه مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّه،وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّه". رواه الطبراني[١٠٦٢].

أفضل الذكر ما كان خفيا في القلب،وسريّا في أعمالق النفس،وذلك بملاحظة القلب بذكر اسم الله تعالى مع كل نبضة من نبضاته،وملاحظة نور الله تعالى يتدفق إليه مع كل قطرة تفد إليه.

[١٠٥٧] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٤ / ٢٠٦٠)

[١٠٥٨] – شعب الإيمان – (٢ / ٢٣٧) (٧٨٢) حسن لغيره

[١٠٥٩] – مسند أبي يعلى الموصلي (٤٣٤٦) صحيح

[١٠٦٠] – المعجم الكبير للطبراني – (١٤ / ٣٥١)(١٦٣٤٧) حسن لغيره

[١٠٦١] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٣٣٨) (٤٤٨٦) وصحيح البخارى- المكتر – (٦٦٠) وصحيح مسلم- المكتر – (٢٤٢٧)

[١٠٦٢] – المعجم الكبير للطبراني – (٧ / ٢٦٨) (٧٨٤٣) حسن

وقال أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّد،يَقُولُ وَسَأَلَهُ جَعْفَرٌ:مَا تَقُولُ أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الذِّكْرِ الْخَفِيِّ ؟ مَا هُوَ الَّذِي لَا تَعْلَمُهُ الْحَفَظَةُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ زَادَ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا ؟ فَأَجَابَهُ فَقَالَ:" وَفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِأَرْشَدِ الْأُمُورِ وَأَقْرَبِهَا إِلَيْهِ،وَاسْتَعْمَلَنَا وَإِيَّاكُمْ بِأَرْضَى الْأُمُورِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ وَخَتَمَ لَنَا وَلَكُمْ بِخَيْرٍ،فَأَمَّا الذِّكْرُ الَّذِي يَسْتَأْثِرُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ غَيْرِهِ فَهُوَ مَا اعْتَقَدَتْهُ الْقُلُوبُ وَطُوِيَتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ مِمَّا لَا تُحَرِّكُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَالْجَوَارِحُ وَهُوَ مِثْلُ الْهَيْبَةِ لِلَّهِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ وَالْإِجْلَالِ لِلَّهِ وَاعْتِقَادِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَذَلِكَ كُلُّهُ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ،وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ،وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ وَهَذِهِ أَشْيَاءُ امْتَدَحَ اللَّهُ بِهَا فَهِيَ لَهُ وَحْدَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ،وَأَمَّا مَا تَعْلَمُهُ الْحَفَظَةُ فَمَا وُكِّلَتْ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ:مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،وَقَوْلُهُ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَهَذَا الَّذِي وُكِّلَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْحَافِظُونَ مَا لَفِظَ بِهِ وَ بَدَا حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّد،يَقُولُ وَسَأَلَهُ جَعْفَرٌ:مَا تَقُولُ أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الذِّكْرِ الْخَفِيِّ ؟ مَا هُوَ الَّذِي لَا تَعْلَمُهُ الْحَفَظَةُ ؟ وَمِنْ أَيْنَ زَادَ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا ؟ فَأَجَابَهُ فَقَالَ:" وَفَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِأَرْشَدِ الْأُمُورِ وَأَقْرَبِهَا إِلَيْهِ،وَاسْتَعْمَلَنَا وَإِيَّاكُمْ بِأَرْضَى الْأُمُورِ وَأَحَبِّهَا إِلَيْهِ وَخَتَمَ لَنَا وَلَكُمْ بِخَيْرٍ،فَأَمَّا الذِّكْرُ الَّذِي يَسْتَأْثِرُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ دُونَ غَيْرِهِ فَهُوَ مَا اعْتَقَدَتْهُ الْقُلُوبُ وَطُوِيَتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ مِمَّا لَا تُحَرِّكُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَالْجَوَارِحُ وَهُوَ مِثْلُ الْهَيْبَةِ لِلَّهِ وَالتَّعْظِيمِ لِلَّهِ وَالْإِجْلَالِ لِلَّهِ وَاعْتِقَادِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَذَلِكَ كُلُّهُ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ،وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ:يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ،وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ وَهَذِهِ أَشْيَاءُ امْتَدَحَ اللَّهُ بِهَا فَهِيَ لَهُ وَحْدَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ،وَأَمَّا مَا تَعْلَمُهُ الْحَفَظَةُ فَمَا وُكِّلَتْ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ:مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ،وَقَوْلُهُ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَهَذَا الَّذِي وُكِّلَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْحَافِظُونَ مَا لَفِظَ بِهِ وَ بَدَا مِنْ لِسَانِهِ،وَمَا يُعْلِنُونَ وَيَفْعَلُونَ هُوَ مَا ظَهَرَ بِهِ السَّعْيُ،وَمَا أَضْمَرَتْهُ الْقُلُوبُ مِمَّا لَمْ يَظْهَرْ عَلَى الْجَوَارِحِ وَمَا تَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ فَذَلِكَ يَعْلَمُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ،وَكُلُّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ مَا عُقِدَ لَا يُجَاوِزُ الضَّمِيرَ فَهُوَ مِثْلُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ،وَمَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ مِنْ فَضْلِ عَمَلِ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ وَأَنَّ عَمَلَ السِّرِّ يَزِيدُ عَلَى عَمَلِ الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا فَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّ مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ عَمَلًا فَأَسَرَّهُ فَقَدْ أَحَبَّ أَنْ يَنْفَرِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِلْمِ ذَلِكَ الْعَمَلِ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ بِعِلْمِ اللَّهِ فِي عَمَلِهِ عَنْ عِلْمِ غَيْرِهِ وَإِذَا اسْتَغْنَى الْقَلْبُ بِعِلْمِ اللَّهِ أَخْلَصَ الْعَمَلَ فِيهِ،وَلَمْ يَعْرُجْ عَلَى مَنْ دُونَهُ فَإِذَا عَلِمَ جَلَّ ذِكْرُهُ بِصِدْقِ قَصْدِ الْعَبْدِ إِلَيْهِ وَحْدَهُ،وَسَقَطَ عَنْ ذِكْرِهِ مَنْ دُونَهُ أَثْبَتَ ذَلِكَ الْعَمَلَ فِي أَعْمَالِ الْخَالِصِينَ الصَّالِحِينَ الْمُؤْثِرِينَ لِلَّهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ وَجَازَاهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ بِصِدْقِهِ مِنَ الثَّوَابِ سَبْعِينَ ضِعْفًا عَلَى مَا عَمِلَ مَنْ لَا يَحِلُّ مَحَلَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ " [١٠٦٣].

[١٠٦٣] -حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١٥٥٠٨)

وقال النووي: الذكر يكون بالقلب،ويكون باللسان،والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا،فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل،ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفا من أن يظن به الرياء،بل يذكر بهما جميعا ويقصد به وجه الله تعالى،وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله:أن ترك العمل لأجل الناس رياء.[١٠٦٤].

قال تعالى:{ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨)} المزمّل.

وَدُمْ عَلَى ذِكْرِ رَبِّكَ لَيْلاً وَنَهَاراً،بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ،وَالتَّحْمِيدِ،والصَّلاَةِ،وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ،وَانْقَطِعْ إِلَيهِ بِالعِبَادَةِ،وَجَرِّدْ نَفْسَكَ إِلَيه،وَأَعْرِضْ عَمَّنْ سِوَاهُ .[١٠٦٥]

وقال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} (٢٠٥) سورة الأعراف.

واذكر -أيها الرسول- ربك في نفسك تخشعًا وتواضعًا لله خائفًا وجل القلب منه،وادعه متوسطًا بين الجهر والمخافتة في أول النهار وآخره،ولا تكن من الذين يَغْفُلون عن ذكر الله،ويلهون عنه في سائر أوقاتهم.

وقال سبحانه: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٢٨) سورة الكهف

وعن سَعْدَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ،قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ،يَقُولُ:خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ،وَخَيْرُ الرِّزْقِ،أَوِ الْعَيْشِ،مَا يَكْفِي. رواه ابن حبّان[١٠٦٦].

وعَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " اذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرًا خَامِلًا " قَالَ:فَقِيلَ:وَمَا الذِّكْرُ الْخَامِلُ ؟ قَالَ:" الذِّكْرُ الْخَفِيُّ " رواه ابن المبارك[١٠٦٧].

وقال أحدهم:

بقلب فاذكر الله خفيّا .....عن الخلق بلا حرف وقال

وهذا الذكر أفضل كل ذكر .....بهذا قد جرى قول الرجال

مطالبة النفس بثمرات الذكر بعد الفراغ منه،وذلك بالمحافظة على الطاعات،ومجانبة اللهو واللغو والإثم والمحرمات،والاستقامة في الأقوال والأفعال والمعاملات.

[١٠٦٤] - الأذكار للنووي - (١ / ٩)

[١٠٦٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٣٦١)

[١٠٦٦] - صحيح ابن حبان - (٣ / ٩١) (٨٠٩) صحيح

[١٠٦٧] - الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ (١٥٥) ضعيف

قَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ: " الذِّكْرُ ذِكْرَانِ ذِكْرُ اللهِ بِاللِّسَانِ حَسَنٌ جَمِيلٌ،وَذِكْرُ اللهِ عِنْدَ مَا أَحَلَّ أَوْ حَرَّمَ أَفْضَلُ "[١٠٦٨]

وعَنْ بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: " الذِّكْرُ ذِكْرَانِ فَذِكْرُ اللهِ بِاللِّسَانِ وَكُلُّ ذِكْرٍ حَسَنٌ وَذِكْرٌ عِنْدَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ فَذَاكَ أَفْضَلُ "[١٠٦٩]

وقال أحد العارفين: المؤمن يذكر الله تعالى بكله،لأنه يذكر الله بقلبه فتسكن جميع جوارحه إلى ذكره فا يبقى منه عضو إلا وهو ذاكر في المعنى،فاذا امتدت يده إلى شيء ذكر الله فكف يده عما نهى الله عنه،وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله فغض بصره عن محارم الله،وكذلك سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى،ومراعاة أمر الله،والحياء من نظر الله،فهذا هو الذكر الكثير الذي أشار الله إليه بقوله سبحانه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢)} الأحزاب.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى الْمُؤْمنينَ مِنْ عِبَادِه بِكَثْرَةِ ذِكْرِه،فَهُوَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَيهِمْ،لِمَا لَهُمْ فِي ذِكْرِ اللهِ مِنْ عَظِيمِ الثَّوابِ.وَيَأْمُرُهُمْ تَعَالى أَيضاً بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بَيْنَ طَرَفَيِ النَّهَارِ:فِي الْبُكُورِ عِنْدَ القِيامِ مِنَ النَّومِ،وَوَقْتِ الأَصِيلِ،وَقْتِ الانْتِهَاءِ مِنَ العَمَلِ اليَومِيِّ،فَيَكُونُ الذِّكْرُ فِي الصَّبَاحِ شُكْراً للهِ عَلى بَعْثِ الإِنسْانِ مِنْ رُقَادِه،وَفِي المَسَاءِ شُكْراً لَهُ عَلى تَوفِيقِه لأَداءِ العَمَلِ،والقِيَامِ بالسَّعِي لِلْحُصُولِ عَلَى الرِّزْقِ [١٠٧٠].

وقال سبحانه: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} (٤٥) سورة العنكبوت.

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى الْمُؤمنينَ،وَهُوَ يُوَجِّهُ خِطَابَهُ لِرَسُولِه ﷺ،بِتِلاَوَةِ القُرآنِ،وإِقَامَةِ الصَّلاةِ،فَقَالَ تعالى: وَأَدِمْ تِلاَوَةَ القُرآنِ تَقَرُّباً إِلى اللهِ تَعَالى بِتِلاَوتِه،وَتَذَكُّراً لِمَا فِيهِ مِنَ الأَسْرَارِ والفَوائِدِ،واعْمَلْ بِمَا فِيهِ من الأَوامِرِ والآدابِ وَمَحاسِنِ الأَخْلاَقِ،وأَقِمِ الصَّلاةَ،وأَدِّهَا عَلَى الوَجهِ الأَكْمَلِ بِخُشُوعِها وَرُكُوعِها وسُجُودِهَا،لأَنَّ الصَّلاَةَ إِنْ تَمَّتْ عَلَى الوَجهِ الأَكْمَلِ كَانَتْ لَها فَائِدَتَانِ:

- أَنها تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ والبَغْيِ وَتَحْمِلُ الْمُؤْمِنَ عَلى مُجَانَبَتِها،وَتركِها لِمُنَافَاةِ الصَّلاةِ لِفِعْلِ الفَاحِشَةِ والْمُنكَرِ والبَغْيِ .

- وفِيها فَائِدَةٌ أَعْظَمُ،أَلا وهي ذِكرُ اللهِ لِعِبَادِه الذينَ يذكُرُونَهُ،ويُؤَدُّونَ الصّلاةَ بشُرُوطِها،ويُسَبِّحُونه ويَحْمَدُونَهُ،واللهُ تَعَالى يَعلَمُ ما تَفْعَلُونَ مِنْ خَيرٍ وشَرٍ،وهوَ مُجَازِيكُمْ بِه[١٠٧١] .

[١٠٦٨] - شعب الإيمان - (٢ / ١٧٣)(٦٧٤) صحيح مقطوع

[١٠٦٩] - شعب الإيمان - (٢ / ١٧٤) (٦٧٥) صحيح مقطوع

[١٠٧٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٥٥)

[١٠٧١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢٦٧)

وعَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ،قَالَ:" مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ:ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ،أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ،وَلَا أَمْحَقْكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ،يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ظُلِمْتَ فَاصْبِرْ،فَإِنَّ لَكَ نَاصِرًا خَيْرًا مِنْكَ لِنَفْسِكَ نَاصِرًا ".[١٠٧٢]

وعن وهيب بن الورد.قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي إِذَا غَضِبْتَ أَذْكُرُكَ إِذَا غَضِبْتُ،فَلَا أُمْحِقُكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ،وَإِذَا ظُلِمْتَ فَاصْبِرْ،وَارْضَ بِنُصْرَتِي،فَإِنَّ نَصْرِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ نُصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ [١٠٧٣]

وعن صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ مَعْدَانَ يَقُولُ:" قَالَ اللَّهُ تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ،إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي،وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنَ الْمَلَأِ الَّذِي ذَكَرْتَنِي فِيهِمْ،وَإِنْ ذَكَرْتَنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرُكَ حِينَ أَغْضَبُ فَلَمْ أَمْحَقْكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ ".[١٠٧٤]

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذِ اللَّهِ قَالَ:" إِنَّ رَبَّكُمْ تَعَالَى قَالَ:ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ،فَلَمْ أَمْحَقْكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ ".[١٠٧٥]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: " يَا رَبِّ،أَيُّ خَلْقِكَ أَكْرَمُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَزَالُ لِسَانُهُ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِي قَالَ: يَا رَبِّ،أَيُّ خَلْقِكَ أَعْلَمُ ؟ قَالَ: الَّذِي يَلْتَمِسُ إِلَى عِلْمِهِ عِلْمَ غَيْرِهِ قَالَ: يَا رَبِّ،فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْدَلُ ؟ قَالَ: الَّذِي يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ كَمَا يَقْضِي عَلَى النَّاسِ قَالَ: يَا رَبِّ،فَأَيُّ خَلْقِكَ أَعْظَمُ ذَنْبًا ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَّهِمُنِي قَالَ: يَا رَبِّ،وَهَلْ يَتَّهِمُكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ: الَّذِي يَسْتَخِيرُنِي ثُمَّ لَا يَرْضَى بِقَضَائِي "[١٠٧٦]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ ». رواه أبو داود[١٠٧٧].

اختتام الذكر بالصلاة على النبي ﷺوبالدعاء.

يستحب الاجتماع على الذكر،لما فيه من حث الهمم على الطاعة،وتقوية الضعيف وإعانته على نفسه،والتقاء القلوب وتغذية ذاكرها لغافلها،وإشاعة جو الألفة والمحبة في الله،واكتساب بركة الجماعة،وإظهار لشعائر الله وأركان الدين.

قال تعالى:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} المائدة ٢.

[١٠٧٢] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (٣٣٠٤) (١ / ٤١٩)

[١٠٧٣] – تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٥٤٢٨) وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء – (١ / ١٠٠)

[١٠٧٤] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (٧١٩٣) – (٢ / ٣٦١) ضعيف

[١٠٧٥] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (٦٨٤١) – (٢ / ٣١٨)

[١٠٧٦] – شعب الإيمان – (٢ / ١٧٢) (٦٧٢) حسن مرسل

[١٠٧٧] – سنن أبي داود – المكتز – (٤٦٨٣) صحيح لغيره

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ– « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى،وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِى،فَإِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى،وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ».رواه البخاري[١٠٧٨].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ–:" لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَامًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ،عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ،يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ،لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ".قَالَ:فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ.قَالَ:هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ،مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى،وَبِلَادٍ شَتَّى،يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ.رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[١٠٧٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ،فَتَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ،وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ." ابن حبان[١٠٨٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَإِنْ أُدْخِلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ.[١٠٨١]

بعض الأذكار المسنونة

أستغفر الله:

قال تعالى:{ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١)} نوح.

ثُمَّ أَعْلَنْتُ الدَّعْوَةَ لَهُمْ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ،ثُمَّ أَسْرَرْتُهَا لَهُمْ فِي أَحْوَالٍ أُخْرَى،وَطَوْراً كُنْتُ أَجْمَعُ بَيْنَ الجَهْرِ والإِسْرَارِ لَعَلَّ وَاحداً مِنَ أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ يَنْجَحُ فِي إِقْنَاعِهِمْ .وَقُلْتُ لَهُمْ:اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَاسْأَلُوهُ العَفْوَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ،وَمَا فَرطَ مِنْكُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ والآثَامِ،فَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِذُنُوبِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ،وَرَجَعَ إِلَيْهِ مُخْلِصاً مُنِيباً .وَإِنَّكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ،وَاسْتَغْفَرْتُمُوهُ،فَإِنَّهُ تَعَالَى يُرْسِلُ المَطَرَ عَلَيْكُمْ مُتَتَابِعاً،لِتُنْبِتَ أَرْضُكُمْ بِالزُّرُوعِ وَالخَيْرَاتِ .وَيُكَثِّرُ لَكُمُ الأَمْوَالَ وَالخَيْرَاتِ،وَيُكَثِّرُ لَكُمُ الأَوْلاَدَ،وَيَجْعَلُ لَكُمْ بَسَاتِينَ تُنْتِجُ الثِّمَارَ،وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً جَارِيَةً تَرْوِي الزُّرُوعَ وَالبَسَاتِينَ والأَشْجَارَ والمَوَاشِيَ فَتَزْدَادُ الخَيْرَاتُ .[١٠٨٢]

وقال تعالى:{ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)} الذاريات.

[١٠٧٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٤٠٥)

[١٠٧٩] – مجمع الزوائد – (١٦٧٧٠) وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ

[١٠٨٠] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٣٥١) (٥٩٠) صحيح

[١٠٨١] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٣٥٢) (٥٩١) صحيح

[١٠٨٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٣٠٦)

كَانُوا يَنَامُونَ القَلِيلَ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيلِ،وَيَقُومُونَ للصلاة وَالعِبَادة في مُعْظَمِه .وَكَانُوا يُحيُون اللَّيلَ مُتَهَجِّدِينَ،فَإذا جَاءَ وَقْتُ السَّحَرِ أخَذُوا في الاسْتِغْفَارِ كَأَنَّهمْ أسْلَفُوا في ليلتِهم الذُّنُوبَ .[١٠٨٣]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ». رواه أبو داود[١٠٨٤].

وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- إِذَا انصرف مِنْ صَلاَتِه اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا وَقَالَ « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ». رواه مسلم[١٠٨٥].

لا اله إلا الله:

قال تعالى:{ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩)} محمد.

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺبالثَّبَاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيه مِنَ الإِيمَان بأَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَمن دَوام الاسْتِغفَارِ لِنَفسه وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ،واللهُ يَعْلَمُ تَصَرُّفَ العِبَادِ في نَهَارِهِمْ،وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهُمْ في لَيلِهِمْ،فَعَلَيهمْ أَنْ يَتَّقُوهُ وَيَسْتَغْفِرُوهُ[١٠٨٦]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ». رواه الترمذي[١٠٨٧].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ. فِى يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِىَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِى يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ».[١٠٨٨]

وعَنِ الرَّبيعِ بن خُثَيْمٍ،قَالَ:مَنْ قَالَ:لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ،قَالَ:فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ بن خُثَيْمٍ:مِمَّنْ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ:مِنْ عَمْرِو بن مَيْمُونٍ،فَأَتَيْتُ عَمْرَو بن مَيْمُونٍ،فَقُلْتُ:مِمَّنْ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ:مِنِ

[١٠٨٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٥٧١)

[١٠٨٤] – سنن أبي داود – المكتر – (١٥٢٠) وفي سنده الحكم بن مصعب فيه جهالة وقال المنذري في آخر الترغيب: صويلح الحديث" حسن لغيره

[١٠٨٥] – صحيح مسلم- المكتر – (١٣٦٢)

[١٠٨٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٤٤٣)

[١٠٨٧] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٩٣٤) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[١٠٨٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠١٨)

ابْنِ أَبِي لَيْلَى،فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى،فَقُلْتُ:مِمَّنْ سَمِعْتَهُ ؟ قَالَ:مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ يُحَدِّثُهُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.[١٠٨٩].

التسبيح والتحميد والتكبير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ،ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ:سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ،سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ. " متفق عليه[١٠٩٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ». رواه مسلم[١٠٩١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَحَمِدَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،وَكَبَّرَهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ،فَتِلْكَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ،وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ." رواه مسلم[١٠٩٢].

لا حول ولا قوة إلا بالله:

عَنْ أَبِي مُوسَى،قَالَ:أَخَذَ الْقَوْمُ فِي عَقَبَةٍ أَوْ ثَنِيَّةٍ،فَكُلَّمَا عَلاَهَا رَجُلٌ،قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَاللَّهُ أَكْبَرُ،وَالنَّبِيُّ ﷺعَلَى بَغْلَةٍ يَعْرِضُهَا فِي الْجَبَلِ،فَقَالَ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ،إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا،ثُمَّ،قَالَ:يَا أَبَا مُوسَى،أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ،أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ." رواه مسلم[١٠٩٣].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:كُنْتُ أَمْشِي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:يَا أَبَا ذَرٍّ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَالَ:لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.[١٠٩٤]

وعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو أَيُّوبَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ،فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِجِبْرِيلَ:مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ:هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ،فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ:يَا مُحَمَّدُ مُرْ أُمَّتَكَ أَنْ يُكْثِرُوا غِرَاسَ الْجَنَّةِ،فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ،وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِإِبْرَاهِيمَ:وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ:لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.[١٠٩٥]

[١٠٨٩] – المعجم الكبير للطبراني – (٤ / ٢٢٥)(٣٩٢١) وصحيح مسلم- المكتر – (٧٠٢٠)

[١٠٩٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٤٠٦) وصحيح مسلم- المكتر – (٧٠٢١)

[١٠٩١] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٢٢)

[١٠٩٢] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٣٥٩)(٢٠١٦) وصحيح مسلم- المكتر – (١٣٨٠)

[١٠٩٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٣٧) و صحيح ابن حبان – (٣ / ٨٤) (٨٠٤)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، لَفْظَةُ إِعْلاَمٍ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ ، مُرَادُهَا الزَّجْرُ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالدُّعَاءِ.

[١٠٩٤] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠٢) (٨٢٠) صحيح

[١٠٩٥] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠٣) (٨٢١) صحيح

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه،فَقَالَ:بِسْمِ اللهِ،تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه،فَيُقَالُ لَهُ:حَسْبُكَ قَدْ كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ. فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ:كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ.[١٠٩٦]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ:شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺالرَّمْضَاءَ،فَلَمْ يَشْكُنَا،وَقَالَ:أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ:لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّابِاللهِ،فَإِنَّهَا تَدْفَعُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ بَابًا مِنَ الضُّرِّ أَدْنَاهَا الْهَمَّ "[١٠٩٧]

الصلاة على رسول الله ﷺ:

قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٥٦)} الأحزاب.

إن الله تعالى يثني على النبي ﷺعند الملائكة المقربين،وملائكته يثنون على النبي ويدعون له،يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،صلُّوا على رسول لله،وسلِّموا تسليمًا،تحية وتعظيمًا له. وصفة الصلاة على النبي ﷺثبتت في السنة على أنواع،منها: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى،قَالَ:قَالَ لِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ:أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً ؟ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللهِ،قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ،فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ:قُولُوا:اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ."[١٠٩٨]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا ». " رواه مسلم[١٠٩٩].

وعَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِى مَرْيَمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ صَلَّى عَلَىَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ».[١١٠٠]

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً." رواه ابن حبان[١١٠١].

[١٠٩٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠٤) (٨٢٢) صحيح

[١٠٩٧] – المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية – (٣ / ١٦٧) (٢٥٧) حسن لغيره

[١٠٩٨] -صحيح ابن حبان – (٣ / ١٩٣) (٩١٢) صحيح

[١٠٩٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٩٣٩) وسنن أبي داود – المكتر – (١٥٣٢)

[١١٠٠] – سنن النسائي- المكتر – (١٣٠٥) صحيح

[١١٠١] -صحيح ابن حبان – (٣ / ١٩٢) (٩١١) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي هَذَا الْخَبَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِرَسُولِ اللهِ ﷺفِي الْقِيَامَةِ يَكُونُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ ، إِذْ لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ أَكْثَرَ صَلاَةً عَلَيْهِ ﷺمِنْهُمْ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ،فَلَمْ يُصَلِّ عَلَـيَّ،وَرَغِمَ أَنْـفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ،فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ،وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ،ثُمَّ انْسَـلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ."[١١٠٢].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ الْبَخِيلَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ،فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ.[١١٠٣]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّـدَاءَ اللَّهُـمَّ رَبَّ هَـذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِى وَعَدْتَهُ،حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».رواه البخاري [١١٠٤]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَىَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَىَّ رُوحِى حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ». رواه أبو داود[١١٠٥].

وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ،وَفِيهِ قُبِضَ،وَفِيهِ النَّفْخَةُ،وَفِيهِ الصَّعْقَةُ،فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ،فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ،قَالُوا:وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَامَنَا[١١٠٦].

[١١٠٢] -صحيح ابن حبان - (٣ / ١٨٩) (٩٠٨) صحيح

[١١٠٣] -صحيح ابن حبان - (٣ / ١٩٠) (٩٠٩) صحيح

[١١٠٤] -صحيح البخارى- المكتز - (٦١٤)

[١١٠٥] -سنن أبي داود - المكتز - (٢٠٤٣) صحيح لغيره

[١١٠٦] -صحيح ابن حبان - (٣ / ١٩١) (٩١٠) صحيح

-٢٨-آداب الدعاء

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ ». رواه الترمذي[١١٠٧]،ويطلق المخ على الخالص من الشيء،ذلك أن كل عابد لله سبحانه ربما سما قلبه،وغفل لبه،إلا الذي يدعو ربه فإنه حاضر معه،متضرع بين يديه،خاشع له ظاهره وباطنه،وهذه غاية العبودية لله تعالى،وهي أشرف أحوال الإنسان،وأفضلها،وأسعدها..

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ». ثُمَّ قَرَأَ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[١١٠٨]

ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺفقال: أقريب ربنا فنناجيه،أم بعيد فنناديه،فسكت عنه،فأنزل الله تعالى:{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)} البقرة.

وقد بشّر سبحانه وتعالى عباده بسعة فضله،وعظيم جوده وكرمه،باستجابة لدعائهم،وسماعه لطلبهم،فقال:{ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} غافر.

يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى دُعَائِه،وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالإِجَابَةِ عَلَى دُعَائِهِمْ؛ وَدُعَاءُ العَبْدِ رَبَّهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِه بِرَبِّه،وَخَوْفِه مِنْهُ،وَطَمَعِه فِي ثَوَابِه وَكَرَمِه،وَرَحْمَتِه،وَمَنْ اسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْتَمُّ بِإِجَابَةِ دُعَائِه لأَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ،وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ،وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الخَلاَئِقِ،وَتَصْرِيفِ شُؤُونِهِمْ،وَإِحْصَاءِ أَعْمَالِهِمْ،وَإِعَادَةِ بَعْثِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَيْهَا،وَيَجْزِيَهُمْ بِهَا .وَلِذَلِكَ قَالَ تعالى: إِنَّ الذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه فَإِنَّهُ سَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهُمْ أَذِلاءُ صَاغِرُونَ [١١٠٩].

بل حذر سبحانه عباه من نسيان الدعاء،وترك التضرع،والإعراض عن الالتجاء إلى الله،فقال:{ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً (٧٧)} الفرقان.

قُلْ يا محمدُ لهؤلاءِ الذينَ أُرْسِلْتَ إليهم:إنَّ الفائزينَ بنعَمِ الله الجَليلة،التي يَتَنَافَسُ فيها المُتنافسُونَ إنما نَالُوها بما ذُكِرَ من الصِّفاتِ الحميدة التي اتَّصَفُوا بها،وَلَوْلاها لم يَهْتَمَّ بهم ربُّهم،و لم يَعْتَدَّ.ولذلكَ فإنَّهُ لا يَعْبَأُ بِكُمْ إذا لم تَعْبُدُوه،فما خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ إلا لِيَعْبُدُوا ربَّهُمْ ويُطِيعُوه وحْدَه لا شريكَ له،وما دُمْتُمْ قد

[١١٠٧] -سنن الترمذى- المكتر - (٣٦٩٨) حسن

[١١٠٨] -سنن الترمذى- المكتر - (٣٥٥٥) قَالَ أَبُو عِيسَى. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[١١٠٩] -أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٠٧٢)

خَالَفْتُم أمرَ ربِّكم،وَعَصَيْتُمْ حُكْمَهُ،وكَذَّبْتُم رَسُولَهُ،فَسَوْفَ يَلْزَمُكُمْ أَثَر تَكْذِيبِكُمْ،وهو العقابُ الذي لا مَنَاصَ منهُ،فاسْتَعِدُّوا له،وهَيِّئُوا أنفسَكُمْ لذلكَ اليومِ العصيبِ،وهو آتٍ قَرِيبٌ .[١١١٠]

وإذا كان الخلاف في الدعاء وهل يرد القضاء،أو يغير في قوانين الله ونواميسه شيئا،فإنه مما لا خلاف فيه أنه التجاء الضعيف إلى القوي،ورجاء الفقير من الغني،وتضرع من لا يملك من الأمر سببا إلى مفتح الأبواب ومسبب الأسباب. عَنْ مُعَاذٍ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ،وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ،فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللَّه." رواه أحمد[١١١١].

وعن عائشة،رضي الله عنها قالت:قال رسول الله ﷺ: « لا يغني حذر من قدر،والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل،وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة »[١١١٢]

وامتثال أمر الله تعالى وأمر رسوله بالدعاء،والمسارعة إلى ما يحبه الله سبحانه،ومما يحبه من عباده التوسل اليه والضراعة بين يديه،أفضل من الجدال العقيم،في فائدة الدعاء،وجدوى الرجاء،وهل ترد من قضاء الله شيئا،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:"لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ "[١١١٣].

والقرآن الكريم،والأحاديث النبوية،ملأى بنماذج من الدعاء،ورقائق من الابتهاء،وفرائد من مناجاة الأنبياء،وصلتهم مع ربهم،تلك الصلة التي لا تنقطع ما دام يربطها حبل الدعاء والنداء.

فهذا آدم عليه السلام يقع في الخطيئة فلا يجد موئلا ولا ملجأ إلا في هذا الدعاء الحزين:{ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} الأعراف.

قَالَ آدَمُ وَزَوْجُهُ نَادِمَيْنِ مُتَضَرِّعَيْنِ:رَبَّنَا إِنَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِطَاعَتِنَا لِلشَّيْطَانِ،وَمَعْصِيَتِنا لأَمْرِكَ،وَقَدْ أَنْذَرْتَنَا،وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا مَا ظَلَمْنَا بِهِ أَنْفُسَنَا،وَتَرْحَمْنَا بِالرِّضا عَنَّا،وَتُوَفِّقْنَا لِلهِدَايَةِ،وَتَرْكِ الظُّلْمِ،لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ لأَنْفُسِنَا.(وَهَذِهِ هِيَ الكَلِمَاتُ التِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ مُعْتَذِراً لِيَغْفِرَ لَهُ) [١١١٤].

وهذا نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما،حتى إذا يئس من هدايتهم،نادى ربه :{ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) [القمر:١٠ - ١٢] .

فَدَعَا نُوحٌ رَبَّهُ قَائلاً:يَا رَبِّ إِنَّ قَومِي غَلَبُونِي،وَإِنَّنِي ضَعِيفٌ لاَ أَسْتَطِيعُ مُقَاوَمَتَهُمْ فَانْتَصِرْ أَنْتَ مِنْهُمْ لِدِينِكَ،بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِكَ،عَلَى كُفْرِهِمْ بِكَ،وَعَلى تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَكَ.فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَطَراً غَزِيراً

[١١١٠] -أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨١٤)

[١١١١] -مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٥٧)(٢٢٠٤٤) ٢٢٣٩٤- حسن لغيره

[١١١٢] -الدعاء للطبراني - (٢٩) ضعيف

[١١١٣] - المعجم الكبير للطبراني - (١٩ / ٢١٥) (٥٣٢) حسن

[١١١٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٧٨)

يَنْهَمِرُ انْهِمَاراً.وَأَمَرْنَا الأَرْضَ بِأَنْ تَتَفَجَّرَ عُيُوناً وَيَنابيعَ،فَالتَقَى مَاءُ السَّماءِ مَعَ مَاءِ الأَرْضِ،عَلَى أَمْرٍ قَدْ قَدَّرَهُ،اللهُ،وَهُوَ إِحْدَاثُ طُوفَانٍ يُهْلِكُ هؤُلاءِ الكَفَرَةَ الفَجَرَةَ[١١١٥] .

وهذا سيدنا إبراهيم يناجي ربه بهذا الدعاء المؤثر النابع من أعماق القلب المتصل بالله العارف بـه:{ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} الشعراء.

ولنتدبر هذا المقطع القرآني الرقيق يحدثنا عن أكرم رسله وهم يلوذون بخالقهم،ويلتجئون إليه:{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)} الأنبياء.

يذْكُرُ اللهُ تَعالى مَا أَصابَ عَبْدَهُ أَيُّوبَ عَلَيْه السلامُ،منَ البَلاءِ في مَالِه وولَدِه وجَسَدِه،ولبثَ في ذلكَ البلاءِ مُدَّةً طَويلةً فَنادَى رَبَّه:يَا رَبِّ لَقَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ فَارْحَمْنِي،وأفضْ عَليَّ منْ جُودِكَ وَرَحْمَتِكَ مَا يُسْعِفُنِي،ويَدْفَعُ الضُّرُّ عَنِّي،وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.وإنَّ إسْمَاعيلَ وإدريسَ وذا الكفْلِ،كلَّهُم منَ الرُّسُل الكِرَامِ،الذين صَبَروا على ما ابْتَلاهُمْ به اللهُ،وأَخْبتُوا لِرَبِّهم،فَنَالُوا رِضَاهُ.يَذْكُرُ اللهُ تَعالى قِصَّةَ يونُسَ عليه السلامُ (وهوَ ذو النُّونِ أيْ صاحبُ الحُوت)،وكانَ اللهُ قَدْ بَعَثَهُ نَبياً إلى أَهْلِ نينَوَى فَدَعَاهُمْ إلى عِبَادةِ اللهِ وَحدَهُ فَأَبَوْا،وَتَمَادَوْا في كُفْرِهم،فَخَرَجَ يُونُسُ منْ بَيْنِهم مُغَاضِباً لَهُمْ،وأَنْذَرَهُمْ بأنَّ العَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام،فَلما تَحَقَّقُوا منْ ذَلكَ،وَعلمُوا أنَّ النبيَّ لا يَكْذِبُ،خَرَجُوا منَ البلد بأطْفَالِهم وأنْعامِهم ومَوَاشِيهم،ثُمَّ تَضَرَّعُوا إلى اللهِ تَعَالى،وَجأَرُوا إليه بالدُّعَاءِ،فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ العَذابَ،وصَرَفَهُ عَنْهُم،كَمَا جَاءَ في آيةٍ أُخْرى .

أمَّا يونسُ فإنَّه تَرَكَ قَوْمَه مُغَاضِباً لَهُم،وذَهَبَ فَرَكِبَ في سَفِينَةٍ فَاضْطَرَبَتْ وَخافَ مَنْ فيها منْ غَرَقِها،فاقْتَرعُوا على رَجُل يُلقُونهُ منْ بينهم في الماءِ يَتَخفَّفُونَ منهُ،فوقَعَت القُرْعَةُ على يُونُسَ،فَأَبَوْا أنْ يُلْقُوهُ،ثُمَّ أعادُوا القُرْعَةَ فَوَقَعَتْ عليْه،فَأَبَوْا،ثمَّ أعَادُوا للمرةِ الثَّالثة فَوَقَعَتْ عليه،فَتَجَرَّدَ يُونُسُ منْ ثِيَابِه،وأَلْقَى بِنَفْسِه في المَاءِ،فالْتَقَمَهُ الحُوتُ،ولِذَلكَ سُمِّيَ بصَاحِبِ الحُوتِ (ذُو النُّونِ) .

[١١١٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٧٣٥)

وكانَ يُونسُ يَظُنُّ أنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّقَ عليْهِ في بَطْنِ الحُوتِ،(أو أنهُ تَعالى لنْ يَقْدِرَ عليه أَنْ يَكُونَ فِي بَطْنِ الحُوتِ) فَكَانَ في بَطْنِ الحوتِ في ظُلْمَةٍ،وفي أعْمَاقِ البَحْرِ في ظُلمَةٍ،وفي ظَلاَمِ الليلِ في ظُلْمَةٍ،ولذلك قَالَ تعالى: { فنادى فِي الظلمات } ودَعاَ رَبَّهُ قائلاً:لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَك إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ .

يُخْبِرُ اللهُ تعالى عَنْ زَكَرِيَّا عَليهِ السَّلامُ حينما تَقَدَّمَتْ به السِّنُ،وطَلبَ مِنَ اللهِ أَنْ يَهَبَهُ وَلَداً يَرِثُ النُبُوَّةَ من بَعْدِهِ،فَنَادَى رَبَّه نِدَاءً خَفِيّاً عَنْ قَوْمِه،وقَالَ:رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً بلا وَلَدٍ،وَلاَ وَارِثٍ،يَقُومُ بَعْدِي في النَّاسِ،وأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ وَرِثَ العِبَادَ (وفي هذا الدُّعَاءِ إِشَارَةٌ إِلى قِيَامِ السَّاعةِ،وهَلاَكِ البشَرِ جَمِيعاً،وَبَقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ [١١١٦].

وهكذا كان شأن خاتم النبيين وسيد المرسلين،فقد أتحفتنا كتب السيرة والحديث الشريفة،بباقة عطرة،من دعائه ﷺ،وفيها ما تهتز له القلوب،وتتزكى به النفوس،وتفيض له العيون،وتخشع عنده الجوارح،وتلتقي بخالقها الأرواح على بساط العبودية الصحيحة.

والله سبحانه أكرم الأكرمين،لا يخيّب راجيه،ولا يرد سائله،ولا يحرم من فضله بره وكرمه داعيه،قال سبحانه: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (٦٢) سورة النمل.

واسأَلُهم هَلِ الذينَ تُشرِكُونَهُم في العِبَادَةِ مَعَ اللهِ خَيرٌ،وَهُمْ لا يَضُرُّونَ وَلا يَنفعُونَ،أَمْ مَنْ يُجيبُ دَعوَةَ المُضْطَرِّ عِنْدَ الشَّدَّةِ إِذا دَعَاهُ لِيَكشفَ عَنْهُ مَا بِه مِنْ ضُرٍّ،وَمَنْ يَجْعَلُ أُمَماً في الأَرْضِ قَرْناً بَعْدَ قَرنٍ،وَجيلاً بَعْدَ جيلٍ،وَلو شَاءَ لَخَلَقَهُمْ أَجمَعين،ولَمْ يَجْعَلْ بعضَهُم مِنْ ذُرِّيَّةِ بعضٍ،ولو فَعَلَ ذَلك لضَاقَتِ الأرضُ بالبَشَرِ،ولضَاقَتْ عَليهِم مَعَايِشُهُمْ وَأَرزَاقُهُمْ،ولكنّ حِكمَتَهُ اقتَضَتْ أن يَخْلُقَهُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ،وَأَ،يَجْعَلَهُمْ أُمماً يَخْلُفُ بَعْضُهُم بَعْضاً،حَتَّى يَنْقَضِيَ الأَجَلُ وَيَعُودَ النَّاسُ إِلى اللهِ تَعَالى يَومَ القِيامَةِ،وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ ذَلكَ غيرُ اللهِ تَعَالى؟ فَهَلْ هُنَاكَ إِلهٌ مَعَ اللهِ،وَهَلْ تَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهاً غَيرَهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ اللهُ؟ فَمَا أَقَلَّ تَذَكُّرَكُمْ أَنْعُمَ اللهِ عَلَيكُم التِي يُرشِدُكُم بِها إِلى الحَقِّ،وَيَهدِيكُمْ بِها إِلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ؟[١١١٧]

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا."[١١١٨]

وقال أحدهم:

لا تسألن بنّي آدم حاجة .....وسل الذي أبوابه لا تحجب

[١١١٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٨٤)

[١١١٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣١٠٣)

[١١١٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٥٩) (٨٧٦) صحيح

الله يغضب إن تركت سؤاله.....وبنيّ آدم حين يسأل يغضب

وقد أرشد ﷺإلى كيفية الدعاء وأحواله وأوقاته وآدابه في جملة تعاليمه الكريمة نختار منها هذه النفحات:

الإخلاص لله تعالى،والوضوء،واستقبال القبلة،والجثو على الركب،والتوبة إلى الله. والاستغفار ورد المظالم إلى أهلها.قال تعالى:{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) } هود.

وَأَمَرَ هُودٌ قَوْمَهُ باسْتِغْفَارِ رَبِّهِمْ مِنَ الشِّرْكِ،وَمِمَّا أَسْلَفُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ،وَبِإِخْلاَصِ التَّوْبَةِ إِلَيْهِ عَمَّا يَسْتَقْبِلُونَهُ،وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَى رَبِّهِ وَاسْتَغْفَرَهُ،يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ،وَحَفِظَ شَأْنَهُ،وَأَرْسَلَ السَّمَاءَ عَلَيْهِ بِالمَطَرِ المُتَتَابِعِ،وَالإِسَاءَةِ إلى النَّاسِ [١١١٩].

وعن عَامِرَ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدٍ،عَنْ جَدِّهِ سَعْدٍ،أَنَّ قَوْمًا شَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَحْطَ الْمَطَرِ،قَالَ: فَقَالَ: اجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ،ثُمَّ قُولُوا: يَا رَبِّ،يَا رَبِّ،قَالَ: فَفَعَلُوا،فَسُقُوا حَتَّى أَحَبُّوا أَنْ يَكُفَّ عَنْهُمْ." رواه أبو عوانة[١١٢٠].

رفع اليدين حذو المنكبين،وبسطهما مكشوفتان إلى السماء،بقصد التذلل والتمسكن والاستجداء،ثم مسح الوجه بهما بعد انتهاء الدعاء.عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ حَدَّثَنِى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « .. سَلُوا اللَّهَ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ وَلاَ تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَامْسَحُوا بِهَا وُجُوهَكُمْ ». رواه أبو داود[١١٢١].

عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ إِلاَّ فِي الاِسْتِسْقَاءِ،فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ.". رواه البخاري[١١٢٢].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ فِى الدُّعَاءِ لَمْ يَحُطَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى فِى حَدِيثِهِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ. رواه الترمذي[١١٢٣].

حضور القلب مع الله،وتحسين الظن والرجاء به سبحانه،والخضوع بين يديه،والتيقن من استجابته وكرمه وأنه سميع قريب مجيب..

قال تعالى:{ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)} الأعراف.

[١١١٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٥٢٦)

[١١٢٠] – مسند أبي عوانة (٢٠٣٨) فيه ضعف

[١١٢١] – سنن أبي داود – المكتر – (١٤٨٧) والأذكار (١٠٣٨ و ١٠٣٩) حسن لغيره ،وحسنه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام لغيره .

[١١٢٢] – صحيح ابن حبان – (٧ / ١١٣) (٢٨٦٣) وصحيح البخارى– المكتر – (٣٥٦٥)

[١١٢٣] – سنن الترمذى– المكتر – (٣٧١٤) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

يُرْشِدُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إِلى دُعَائِه بِتَضَرُّعٍ وَبِصُورَةٍ خَفِيَّة.(أَيْ بِخُشُوعٍ وَصِحَّة يَقِينٍ بِوَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَبُرُبُوبِيَّتِه) لاَ جَهَاراً وَلاَ مُرَاءَاةً،فَاللهُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَتَجَاوَزُوا فِي الدُّعَاءِ حُدُودَ مَا أُمِرُوا بِهِ (كَالْمُبَالَغَةِ فِي رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الدُّعَاءِ،أَوْ طَلَبِ العَوْنِ مِنَ اللهِ عَلَى ارْتِكَابِ المَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ،أَوْ التَّوجُّهِ بِالدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ اللهِ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ...)[١١٢٤]

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي،فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ.[١١٢٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ يَقُولُ:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي،إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ،وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ.[١١٢٦]

وعَنْ حَيَّانَ أَبِي النَّضْرِ،قَالَ خَرَجْتُ عَائِدًا لِيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ فَلَقِيتُ وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ وَهُوَ يُرِيدُ عِيَادَتَهُ،فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ،فَلَمَّا رَأَى وَاثِلَةَ،بَسَطَ يَدَهُ،وَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِ،فَأَقْبَلَ وَاثِلَةُ حَتَّى جَلَسَ،فَأَخَذَ يَزِيدُ بِكَفَّيْ وَاثِلَةَ،فَجَعَلَهُمَا عَلَى وَجْهِه،فقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ:كَيْفَ ظَنُّكَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ:ظَنِّي بِاللَّهِ وَاللَّهِ حَسَنٌ،قَالَ:فَأَبْشِرْ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ:أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ خَيْرًا،وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا."[١١٢٧]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَه ». رواه الترمذي[١١٢٨] .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الزَّاهِدُ رَحِمَهُ اللَّهُ:مَعْنَى قَوْلِه:" وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ " أَيْ:كُونُوا عَلَى حَالَةٍ تَسْتَحِقُّونَ الْإِجَابَةَ أَيْ بِحُضُورِ السِّرِّ،وَصِحَّةِ الْحَالِ،حَتَّى يَكُونَ مَعْرُوفًا فِي الْمَلَكُوتِ،حَتَّى يُقَالَ:صَوْتٌ مَعْرُوفٌ،وَهُوَ أَنْ يَكُونَ تَعَرَّفَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَدَاءِ أَوَامِرِه،وَاجْتِنَابِ مَنَاهِيه،وَقَبُولِ أَحْكَامِه غَيْرَ مُتَسَخِّطٍ،ثُمَّ يَدْعُوهُ،وَلَا يَكُونُ فِي سِرِّهِ غَيْرُهُ إِلَّا سِوَاهُ بِقَوْلِه تَعَالَى وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ أَيْ:رَاجِعٍ إِلَيْهِ عَمَّا سِوَاهُ،ثُمَّ يَكُونُ مُضْطَرًّا إِلَيْهِ،فَقَدِ انْقَطَعَ رَجَاؤُهُ عَمَّا سِوَاهُ،لَا يَرْجِعُ إِلَّا حَوْلِه وَقُوَّتِه،وَلَا إِلَى أَفْعَالِه تَعَالَى،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ،قَالَ بَعْضُهُمُ:الْمُضْطَرُّ الَّذِي إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَهُ لَمْ يَرَ لِنَفْسِه عَمَلًا،فَإِذَا كَذَلِكَ أَيْقَنَ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِه،لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ إِجَابَةَ مَنْ دَعَاهُ،وَهَذِهِ شَرَائِطُ مَنْ يُجِيبُ دُعَاءَهُ،وَمَنْ أَتَى بِهَا فَاللَّهُ مُنْجِزٌ لَهُ وَعْدَهُ،وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ "[١١٢٩]

[١١٢٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٠١٠)

[١١٢٥] -صحيح ابن حبان – (٢ / ٤٠١) (٦٣٣) صحيح

[١١٢٦] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٤٠٥) (٦٣٩) صحيح

[١١٢٧] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٤٠٧) (٦٤١) صحيح

[١١٢٨] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٨١٦) حسن لغيره

[١١٢٩] – بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلَابَاذِيِّ (١٦)

وعَنْ أَبِي سَعِيد،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ،وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ،إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَث:إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ،وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ،وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا قَالُوا:إِذًا نُكْثِرُ،قَالَ:اللَّهُ أَكْثَرُ." رواه أحمد[1130].

لزوم الدعاء والإكثارمنه،والاتجاء إلى الله في كل الأمور،كبيرها وصغيرها،جليلها ودقيقها.. لأن الدعاء هو غاية الاستعانة بالله،ومطلق العبودية لله،وإظهار الفاقة إلى الله..

قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين: {إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (٢٨) سورة الطور.

لَقَدْ كُنَّا فِي الدُّنيا نَسَأَلُ اللهَ تَعَالى أَنْ يَمُنَّ عَلَينا بالرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ فَاسْتَجَابَ لِدُعَائِنَا وَأَعْطَانا سُؤْلَنَا،لأَنَّهُ هُوَ المُحْسِنُ المُتَفَضِّلُ،ذُو الرَّحمةِ الوَاسِعَةِ،وَالفَضْلِ العَظِيمِ .[1131]

وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّه وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (١٥) سورة فاطر.

يَا أَيُّها النَّاسُ أَنْتُم مُحْتَاجُونَ إِلى اللهِ تَعَالى فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ،وَهُوَ سُبْحَانَهُ غَنِيٌّ عَنْكُم،وَعَنْ عِبَادَتِكُمْ،فَكُلُّ نِعْمَةٍ بِكُمْ فَهِيَ مِنْهُ،فَلَهُ الحَمْدُ والشُّكرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .[1132]

يخاطب تعالى جميع الناس،ويخبرهم بحالهم ووصفهم،وأنهم فقراء إلى اللّه من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم،فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح،التي لولا إعداده إياهم [بها]،لما استعدوا لأي عمل كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة،فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور،لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم،ودفع المكاره،وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم،وتفريجه لكرباتهم،وإزالته لعسرهم،لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية،وأجناس التدبير.

فقراء إليه،في تألههم له،وحبهم له،وتعبدهم،وإخلاص العبادة له تعالى،فلو لم يوفقهم لذلك،لهلكوا،وفسدت أرواحهم،وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه،في تعليمهم ما لا يعلمون،وعملهم بما يصلحهم،فلولا تعليمه، لم يتعلموا،ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

[1130] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٤٨)(١١١٣٣) ١١١٥٠– صحيح

[1131] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٦٤٢)

[1132] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٥٥٦)

فهم فقراء بالذات إليه،بكل معنى،وبكل اعتبار،سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا،ولكن الموفق منهم،الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه،ويتضرع له،ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين،وأن يعينه على جميع أموره،ويستصحب هذا المعنى في كل وقت،فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه،الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.

{ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه،فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه،ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق،وذلك لكمال صفاته،وكونها كلها،صفات كمال،ونعوت وجلال.

ومن غناه تعالى،أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة،الحميد في ذاته،وأسمائه،لأنها حسنى،وأوصافه،لكونها عليا،وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة،وفي أوامره ونواهيه،فهو الحميد على ما فيه،وعلى ما منه،وهو الحميد في غناه [الغني في حمده].[١١٣٣]

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الدُّعَاءُ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ،وَعِمَادُ الدِّينِ،وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ " رواه الحاكم[١١٣٤].

يعني أنه يدافع البلاء ويعالجه كما يدافع عدوه بالسلاح وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه أو يكون أضعف منه فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد لكنه قد يخففه أو يتقاومان فيمنع كل منهما صاحبه فبين المصطفى ﷺبتنزيله الدعاء منزلة السلاح أن السلاح بضارب به لا بحده فقط فمتى كان السلاح تاماً لا آفة به والساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من الثلاثة تخلف التأثير فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح والداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه أو كان ثمة مانع من الإجابة لم يحصل التأثير[١١٣٥]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لِيَسْأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا،حَتَّى شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ." ابن حبان[١١٣٦].

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ،أَوْ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا،حَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ،وَحَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ."[١١٣٧]

لأن طلب أحقر الأشياء من أعظم العظماء أبلغ من طلب الشيء العظيم منه ومن ثم عبر بقوله ليسأل وكرره ليدل على أنه لا مانع ثم ولا راد لسائل ولأن في السؤال من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه

[١١٣٣] – تفسير السعدي – (١ / ٦٨٧)

[١١٣٤] – المستدرك للحاكم (١٨١٢) ضعيف

[١١٣٥] – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (٨ / ١٥٠)

[١١٣٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٧٦) (٨٩٤) حسن

[١١٣٧] – كشف الأستار – (٤ / ٣٧) (٣١٣٥) حسن– الشسع : أحد سيور النعل الذى يدخل بين الإصبعين

وجوده وكرمه وإعطائه المسؤول ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها فالحق سبحانه وتعالى جواد له الجود كله يحب أن يسأل ويطلب أن يرغب إليه فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق ما يسأله فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله.[١١٣٨]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ."[١١٣٩]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ: " إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ [١١٤٠]

خفض الصوت بالدعاء،وغضّ البصر وعدم رفعه إلى السماء.قال تعالى:{ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) } مريم.

الذكْر: له معانٍ متعددة،فالذكْر هو الإخبار بشيء ابتداءً،والحديث عن شيء لم يكُنْ لك به سابق معرفة،ومنه التذكير بشيء عرفته أولاً،ونريد أن تُذكِّرك به،كما في قوله تعالى:{ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ }[الذاريات: ٥٥].ويُطلَق الذكْر على القرآن:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر: ٩] وفي القرآن أفضل الذكر،وأصدق الأخبار والأحداث. كما يُطلق الذكر على كل كتاب سابق من عند الله،كما جاء في قوله تعالى:{ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ }[النحل: ٤٣].

والذكْر هو الصِّيت والرِّفْعة والشرف،كما في قوله تعالى:{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ }[الزخرف: ٤٤] وقوله تعالى:{ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ }[الأنبياء: ١٠] أي: فيه صِيتكم وشرفكم،ومن ذلك قولنا: فلان له ذِكْر في قومه.

ومن الذكْر ذِكْر الإنسان لربه بالطاعة والعبادة،وذكْر الله لعبده بالمثوبة والجزاء والرحمة ومن ذلك قوله تعالى:{ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ }[البقرة: ١٥٢].

فقوله تعالى: { ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ } [مريم: ٢] أي: هذا يا محمد خبر زكريا وقصته ورحمة الله به.

والرحمة: هي تجليّات الراحم على المرحوم بما يُديم له صلاحه لمهمته،إذن: فكلُّ راحم ولو من البشر،وكلُّ مرحوم ولو من البشر،ماذا يصنع؟ يعطى غيره شيئاً من النصائح تُعينه على أداء مهمته على أكمل وجه،فما بالك إنْ كانت الرحمة من الخالق الذي خلق الخلق؟ وما بالك إذا كانت رحمة الله لخير خَلْقه محمد؟

[١١٣٨] – فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ – (١٢ / ٣١)

[١١٣٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ١٩٣) (٢٩٩٨٢) صحيح

[١١٤٠] – المعجم الأوسط للطبراني – (٢١١٥) وصحيح الجامع (٤٣٧) صحيح

إنها رحمة عامة ورحمة شاملة؛ لأنه ﷺأشرف الأنبياء وأكرمهم وخاتمهم،فلا وَحْيَ ولا رسالة من بعده،ولا إكمال. إذن فهو أشرف الرسل الذين هم أشرف الخَلْق،ورحمة كل نبي تأخذ حظها من الحق سبحانه بمقدار مهمته،ومهمة محمد أكرم المهمات.

وكلمة (رَحْمَة) هنا مصدر يؤدي معنى فعله،فالمصدر مثل الفعل يحتاج إلى فاعل ومفعول،كما نقول: آلمني ضَرْب الرجل ولدَه،فمعنى: { رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ } [مريم: ٢] أي: رحم ربُّك عبده زكريا.

لذلك قال تعالى: { رَحْمَةِ رَبِّكَ } [مريم: ٢] لأنها أعلى أنواع الرحمة،وإن كان هنا يذكر رحمته تعالى بعبده زكريا،فقد خاطب محمدا ﷺبقوله:{ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }[الأنبياء: ١٠٧] فرحمة الله تعالى بمحمد ليست رحمة خاصة به،بل هي رحمة عامة لجميع العاملين،وهذه منزلة كبيرة عالية.

فالمراد من { ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ } [مريم: ٢] يعني هذا الذي يُتلَى عليك الآن يا محمد هو ذِكْر وحديث وخبر رحمة ربك التي هي أجلُّ الرحمات بعبده زكريا.

وسبق أن أوضحنا أن العبودية للخَلْق مهانة ومذلَّة،وهي كلمة بشعة لا تُقبل،أما العبودية لله تعالى فهي عِزٌّ وشرف،بل مُنتهَى العِزّ والشرف والكرامة،وعللنا ذلك بأن العبودية التي تسوء وتُحزِن هي عبودية العبد لسيد يأخذ خيره،أما العبودية لله تعالى فيأخذ العبد خير سيده.

لكن،ما نوع الرحمة التي تجلى الله تعالى بها حين أخبر رسوله ﷺبخبر عبده زكريا؟

قالوا: لأنها رحمة تتعلق بطلاقة القدرة في الكون،وطلاقة القدرة في أن الله تبارك وتعالى خلق للمسبِّبات أسباباً،ثم قال للأسباب: أنت لست فاعلة بذاتك،ولكن بإرادتي وقدرتي،فإذا أردتُك ألاَّ تفعلي أبطلْتُ عملك،وإذا كنت لا تنهضين بالخير وحدك فأنا أجعلك تنهضين به.

ومن ذلك ما حدث في قصة خليل الله إبراهيم حين ألقاه الكفار في النار،ولم يكن حظ الله بإطفاء النار عن إبراهيم،أو بجَعْل النار بَرْداً وسلاماً على إبراهيم أن يُنجي إبراهيم؛ لأنه كان من الممكن ألاَّ يُمكّنَ خصوم إبراهيم عليه السلام من القبض عليه،أو يُنزِل مطراً يُطفئ ما أوقدوه من نار،لكن ليست نكاية القوم في هذا،فلو أفلتَ إبراهيم من قبضتهم،أو نزل المطر فأطفأ النار لقالوا: لو كُنَّا تمكنّا منه لفعلنا كذا وكذا،ولو لم ينزل المطر لفعلنا به كذا وكذا.

إذن: شاءت إرادة الله أنْ تكيد هؤلاء،وأن تُظهِر لهم طلاقة القدرة الإلهية فتُمكّنهم من إبراهيم حتى يلقوه في النار فعلاً،ثم يأتي الأمر الأعلى من الخالق سبحانه للنار أن تتعطل فيها خاصية الإحراق:{ قُلْنَا يانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ }[الأنبياء: ٦٩].

وكذلك في قصة رحمة الله لعبده زكريا تعطينا دليلاً على طلاقة القدرة في مسألة الخَلْق،وليلفتنا إلى أن الخالق سبحانه جعل للكون أسباباً،فمَنْ أخذ بالأسباب يصل إلى المسبِّب،ولكن إياكم أنْ تُفتَنوا في الأسباب؛ لأن الخالق سبحانه قد يعطيكم بالأسباب،وقد يُلغيها نهائيا ويأتي بالمسبِّبات دون أسباب.

وقد تجلَّتْ طلاقة القدرة في قصة بَدْء الخَلْق،فنحن نعلم أن جمهرة الناس وتكاثرهم يتم عن طريق التزاوج بين رجل وامرأة،إلا أن طلاقة القدرة لا تتوقف عند هذه الأسباب والخالق سبحانه يُدير خلقه على كُلِّ أوجه الخَلْق،فيأتي آدم دون ذكر أو أنثى،ويخلق حواء من ذكر دون أنثى،ويخلق عيسى من أنثى بدون ذكر.

فالقدرة الإلهية ــ إذن ــ غير مُقيَّدة بالأسباب،وتظلّ طلاقة القدرة هذه في الخَلْق إلى أنْ تقومَ الساعة،فنرى الرجل والمرأة زوجين،لكن لا يتم بينهما الإنجاب وتتعطل فيهما الأسباب حتى لا نعتمد على الأسباب وننسى المسبِّب سبحانه،فهو القائل:{ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }[الشورى: ٤٩ــ٥٠].

وطلاقة القدرة في قصة زكريا عليه السلام تتجلى في أن الله تعالى استجاب لدعاء زكريا في أنْ يرزقَه الولد. قال تعالى: { ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ } [مريم: ٢]. أي: رحمه الله،لكن متى كانت هذه الرحمة؟

يقول الحق تبارك وتعالى: { إِذْ نَادَى رَبَّهُ } أي: في الوقت الذي نادى فيه ربه نداءً خفياً.

والنداء لَوْن من ألوان الأساليب الكلامية،والبلاغيون يقسمون الكلام إلى خبر،وهو أن تخبر عن شيء بكلام يحتمل الصدق أو الكذب. وإنشاء،وهو أنْ تطلب بكلامك شيئاً،والإنشاء قَوْلٌ لا يحتمل الصدق أو الكذب.

والنداء من الإنشاء؛ لأنك تريد أن تنشيء شيئاً من عندك،فلو قُلْت: يا محمد فأنت تريد أن تنشئ إقبالاً عليك،فالنداء ــ إذن ــ طلبُ الإقبال عليك،لكن هل يصح أن يكون النداء من الله تعالى بهذا المعنى؟ إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذي تريد أن تستدنية منك.

فكيف تنادى ربك ــ تبارك وتعالى ــ وهو أقرب إليك من حبل الوريد؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم؟ فإذا كان إقباله عليك موجوداً في كل وقت،فما الغرض من النداء هنا؟ نقول: الغرض من النداء: الدعاء.ووَصْف النداء هنا بأنه: { نِدَآءً خَفِيّاً } [مريم: ٣] لأنه ليس كنداء الخَلْق للخَلْق،يحتاج إلى رَفْع الصوت حتى يسمع،إنه نداء لله ــ تبارك وتعالى ــ الذى يستوي عنده السر والجهر،وهو القائل:{ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }[الملك: ١٣].

ومن أدب الدعاء أنْ ندعوَه سبحانه كما أمرنا:{ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً }[الأعراف: ٥٥].

وهو سبحانه{ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى }[طه: ٧] أي: وما هو أَخْفى من السر؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سِرّاً،علم أنه سيكون سراً.

لذلك،جعل الحق سبحانه أحسن الدعاء الدعاء الخفي؛ لأن الإنسان قد يدعو ربه بشيء،إنْ سمعه غيره ربما استنقصه،فجعل الدعاء خَفياً بين العبد وربه حتى لا يُفتضحَ أمره عند الناس.

أما الحق سبحانه فهو ستَّار يحب الستر حتى على العاصين،وكذلك ليدعو العبد رَبَّه بما يستحي أنْ يذكره أمام الناس،وليكون طليقاً في الدعاء فيدعو ربه بما يشاء؛ لأنه ربُّه ووليه الذي يفزع إليه. وإنْ كان الناس سيحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شئ،فإن الله تعالى يفرح بك أن سألته.لكن لماذا أخفى زكريا دعاءه؟

دعا زكريا ربه أنْ يرزقه الولد،ولكن كيف يتحقق هذا المطلب وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقر؟ فكأن الأسباب الموجودة جميعها مُعطَّلة عنده؛ لذلك توجه إلى الله بالدعاء: يا رب لا ملجأ لي إلا أنت فأنت وحدك القادر على خَرْق الناموس والقانون،وهذا مطلب من زكريا جاء في غير وقته.

أخفاه أيضا؛ لأنه طلب الولد في وجود أبناء عمومته الذين سيحملون منهجه من بعده،إلاّ أنه لم يأتمنهم على منهج الله؛ لأن ظاهر حركتهم في الحياة غير متسقة مع المنهج،فكيف يأمنهم على منهج الله وهم غير مؤتمنين على أنفسهم؟ فإذا دعا زكريا ربه أنْ يرزقه الولد ليرث النبوة من بعده،فسوف يغضب هؤلاء من دعاء زكريا ويعادونه؛ لذلك جاء دعاؤه خفياً يُسِرُّه بينه وبين ربه تعالى.

سؤال آخر تنبغي الإجابة عليه هنا: لماذا يطلب زكريا الولد في هذه السن المتأخرة،وبعد أن بلغ من الكبر عتياً،وأصبحت امرأته عاقراً؟

لقد أوضح زكريا عليه السلام العلة في ذلك في الآيات القادمة فقال:{ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ }[مريم: ٦].إذن: فالعِلَّة في طلب الولد دينية مَحْضة،لا يطلبه لمَغْنَم دنيوي،إنما شغفه بالولد أنه لم يأمن القوم من بعده على منهج الله وحمايته من الإفساد.

لذلك قوله: (يرثني) هنا لا يفهم منه ميراث المال كما يتصوره البعض؛ لأن الأنبياء لا يورثون،كما قال النبي ﷺ" نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة " وبذلك يخرج النبي من الدنيا دون أن ينتفع أحد من أقاربه بماله حتى الفقراء منهم.

فالمسألة مع الأنبياء خالصة كلها لوجه الله تعالى؛ لذلك قال بعدها:{ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ }[مريم: ٦] أي: النبوة التي تناقلوها. فلا يستقيم هنا أبداً أن نفهم الميراث على أنه ميراث المال أو متاع الدنيا الفاني.ومن ذلك قوله تعالى:{ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ }[النمل: ١٦] ففي أيِّ شئ ورثه؟ أورثه في

تركته؟ إذن: فما موقف إخوته الباقين؟ لا بد أنه ورثه في النبوة والملك،فالمسألة بعيدة كل البعد عن الميراث المادي.[١١٤١]

وعَنْ عَائِشَةَ { وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (١١٠) سورة الإسراء أُنْزِلَتْ فِى الدُّعَاءِ ". متفق عليه[١١٤٢].

وعَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ - رضى الله عنه - قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ-،فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا،فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « يَا أَيُّهَا النَّاسُ،ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا،إِنَّهُ مَعَكُمْ،إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ،تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ » متفق عليه[١١٤٣].

الإلحاح في الدعاء،وتكراره ثلاثا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ: " بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺيُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ عِنْدَ الْبَيْتِ وَقَدْ نَحَرُوا جَزُورًا بِالْأَمْسِ،قَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَذْهَبُ إِلَى سَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ،فَيَأْخُذُهُ،فَيَضَعُهُ عَلَى كَتِفَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺإِذَا سَجَدَ،فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ،فَأَخَذَهُ،فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ،وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ،فَاسْتَضْحَكُوا،وَجَعَلُوا بَعْضُهُمْ يُقْبِلُ عَلَى بَعْضٍ،وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ،لَوْ كَانَتْ لِي مَنْعَةٌ لَطَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،وَالنَّبِيُّ ﷺسَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ،حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ،فَجَاءَتْ وَهِيَ جَارِيَةٌ فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ،فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺصَلَاتَهُ،رَفَعَ صَوْتَهُ،ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ،وَكَانَ إِذَا دَعَا،دَعَا ثَلَاثًا،وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا،ثُمَّ قَالَ: " اللهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ " ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ،وَخَافُوا دَعْوَتَهُ ثُمَّ قَالَ: " اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ،وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ،وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ،وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ " وَذَكَرَ السَّابِعَ فَلَمْ أَحْفَظْهُ،وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺبِالْحَقِّ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ،ثُمَّ سُحِبُوا فِي الْقَلِيبِ،قَلِيبِ بَدْرٍ ".[١١٤٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيُعْجِبُهُ مِنَ الدُّعَاءِ الثَّلاَثُ،إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاَثًا،أَوْ سَأَلَ سَأَلَ ثَلاَثًا[١١٤٥].

[١١٤١] - تفسير الشعراوي - (/ ٢٢٣٦)

[١١٤٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٣٢٧) وصحيح مسلم- المكتر -(١٠٣٠)

وهناك سبب نزول آخر ،فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فِي قَوْلِهِ : {وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء] ، قَالَ : نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللهِ ﷺمُخْتَفٍ ، بِمَكَّةَ ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ ، رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا ، سَبُّوا الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ:{وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ} [الإسراء]، أَيْ : بِقِرَاءَتِكَ ، فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ ، فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ، {وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء] عَنْ أَصْحَابِكَ فَلاَ تُسْمِعُهُمْ {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} [الإسراء].صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٢٢) وصحيح مسلم- المكتر - (١٠٢٩) وصحيح ابن حبان - (٥ / ٩٩) (١٧٩٦)

[١١٤٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٩٩٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٧٠٣٧) -اربع : ارفق بنفسك واخفض صوتك

[١١٤٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٧٥٠) -السلى : الغشاء الذى يكون فيه جنين البهيمة

[١١٤٥] - مسند الشاشي ٣٣٥ - (١ / ٣٢٥) (٦٦٥) صحيح لغيره

الجزم بالدعاء،والثقة بالله،والعلم بأنه سبحانه يجيب الدعاء مهما كان عظيما أو صعبا،فهو القادر أن يجعل من كل هم فرجا،ومن كل ضيق مخرجا،ومن كل شدة ظفرا ونصرا.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- قَالَ « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِى إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ ».مالك[١١٤٦]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّه – ﷺ- قَالَ « لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى،اللَّهُمَّ ارْحَمْنِى،إِنْ شِئْتَ.لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ،فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ »[١١٤٧] ..

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ،فَإِنَّهُ لاَ يَتَعَاظَمُ عَلَى اللهِ شَيْءٌ. رواه ابن حبان[١١٤٨].

فذنوب العباد وإن عظمت فإن عفو الله ومغفرته أعظم منها وأعظم،فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته،فعن عَبْد اللهِ بْنِ مُحَمَّد بْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْد اللهِ،عَنْ أَبِيه،عَنْ جَدِّه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ: وَاذُنُوبَاهُ وَاذُنُوبَاهُ،فَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " قُلِ: اللَهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي،وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي "،فَقَالَهَا ثُمَّ قَالَ: " عُدْ "،فَعَادَ،قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " عُدْ "،فَعَادَ قَالَ: " قُمْ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ "[١١٤٩]

عدم التكلف في الدعاء،وترك السجع فيه،وتعلم المأثور منه في الكتاب والسنة.

فعَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أبو داود[١١٥٠].

افتتاح الدعاء بحمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله،والصلاة والسلام على نبيه ﷺواختتام الدعاء بمثل ذلك. حكى الطرطوشي رحمه الله عن أبي سليمان الداراني رضي الله عنه أنه قال:إذا سألت الله تعالى حاجة فابدأ بالصلاة على النبي ﷺثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما"

[١١٤٦] – موطأ مالك- المكتر – (٥٠٠) صحيح

[١١٤٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٣٩)

[١١٤٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٧٧) (٨٩٦) صحيح

[١١٤٩] – شعب الإيمان – (٩ / ٣٣١) (٦٧٢٤) فيه جهالة

[١١٥٠] – سنن أبي داود – المكتر – (١٤٨٤) صحيح

الجوامع : الأشياء التي تجمع الأشياء ، جمع جامعة ، أي : خصلة جامعة ، وألفاظ «جامعة» لمقاصد الحاجة ، أو جامعة للثناء على الله تعالى والسؤال.

وَقَالَ عَلِيّ الْقَارِيّ : وَهِيَ الَّتِي تَجْمَعُ الْأَغْرَاض الصَّالِحَة أَوْ تَجْمَعُ الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى وَآدَاب الْمَسْأَلَة . وَقَالَ الْمُظْهِر : هِيَ مَا لَفْظه قَلِيل وَمَعْنَاهُ كَثِير شَامِل لِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة نَحْو اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الْعَفْو وَالْعَافِيَة فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَة ، وَكَذَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَاف وَالْغِنَى ، وَنَحْو سُؤَال الْفَلَاح وَالنَّجَاح "عون المعبود – (٣ / ٤١٣)

وقال النووي رحمه الله: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء ثم الصلاة على رَسُوْل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قال وكذا يختم الدعاء بهما"[١١٥١].

عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْجَنْبِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺرَجُلاً يَدْعُو فِي صَلاَتِه،لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ،وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي،ثُمَّ عَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺرَجُلاً يُصَلِّي،فَمَجَّدَ اللهَ،وَحَمِدَهُ،وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ادْعُ تُجَبْ،وَسَلْ تُعْطَ." رواه أبو داود والنسائي[١١٥٢].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ،إِنَّ الرَّاكِبَ يَمْلَأُ قَدَحَهُ مَاءً ثُمَّ يَضَعُهُ،ثُمَّ يَأْخُذُ فِي مَعَالِيقِهِ حَتَّى إِذَا فَرَغَ جَاءَ إِلَى الْقَدَحِ،فَإِنْ كَانَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الشَّرَابِ شَرِبَ،وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الشَّرَابِ تَوَضَّأَ،فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الْوُضُوءِ أَهْرَاقَهُ،وَلَكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَفِي آخِرِ الدُّعَاءِ " البيهقي[١١٥٣].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،قَالَ: " كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ عَنِ السَّمَاءِ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ،وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ"[١١٥٤]

التأمين على دعاء النفس وعلى دعاء الغير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال:" إذا دعا أحدُكم فَلْيُؤَمِّنْ على دعاءِ نفسِهِ " رواه ابن عدي[١١٥٥].

وعَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفِهْرِيُّ وَكَانَ مُسْتَجَابًا أَنَّهُ أُمِّرَ عَلَى جَيْشٍ فَدَرَّبَ الدُّرُوبَ،فَلَمَّا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَالَ لِلنَّاسِ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:" لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ سَائِرُهُمْ إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ "،ثُمَّ إِنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ:اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَاجْعَلْ أُجُورَنَا أُجُورَ الشُّهَدَاءِ،فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ الْهِنْبَاطُ أَمِيرُ الْعَدُوِّ فَدَخَلَ عَلَى حَبِيبٍ سُرَادِقَهُ.قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ:" الْهِنْبَاطُ بِالرُّومِيَّةِ صَاحِبُ الْجَيْشِ " رواه الطبراني[١١٥٦].

تجنب الاعتداء في الدعاء،والحذر من الدعاء على النفس أو الأهل أو الولد أو أحد المخلوقات.

قال تعالى:{ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً (١١)} الإسراء.

[١١٥١] – سلاح المؤمن في الدعاء والذكر – (١ / ١١٦)

[١١٥٢] – سنن أبي داود – المكتز – (١٤٨٣) وسنن النسائي– المكتز –(١٢٩٢) صحيح

[١١٥٣] – أخرجه عَبْد بن حُمَيْد (١١٣٢) وشعب الإيمان – (٣ / ١٣٧)(١٤٧٦) ضعيف

[١١٥٤] – شعب الإيمان – (٣ / ١٣٦) (١٤٧٤) حسن موقوف ، ومثله لا يقال بالرأي

[١١٥٥] – أخرجه ابن عدى (١٠٧/٤ ، ترجمة ٩٥٤ طلحة بن عمرو الحضرمى) . وأخرجه أيضًا : الديلمى فى الفردوس (٣١٦/١ ، رقم ١٢٥٠) . قال المناوى (٣٤٣/١) : إسناده ضعيف .

[١١٥٦] – الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبَرَانِيِّ (٣٤٥٨) حسن

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَجَلَةِ الإِنْسَانِ،وَدُعَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ بِالشَّرِّ حِينَ الغَضَبِ،كَمَا يُسَارِعُ إِلَى الدُّعَاءِ فِي الخَيْرِ،فَلَوِ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ لأَهْلَكَهُ وَأَهْلَكَ أَهْلَهُ.وَالَّذِي يَحْمِلُ الإِنْسَانَ عَلَى ذلِكَ هُوَ قَلَقُهُ،وَعَجَلَتُهُ،وَقِلَّةُ صَبْرِهِ .[١١٥٧]

وقال عز وجل: {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (١١) سورة يونس.

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ وَلُطْفِهِ بِعِبَادِهِ،وَيَقُولُ إِنَّهُ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ بِالشَّرِّ فِي حَالِ ضَجَرِهِمْ وَغَضَبِهِمْ،لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لاَ يُرِيدُونَ ذَلِكَ،فَلِذَلِكَ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ لُطْفاً مِنْهُ،وَرَحْمَةً بِهِمْ .

أَمَّا إِذَا دَعَوا لأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَةِ فَإِنَّهُ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ.وَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَوِ اسْتَجَابَ لَهُمْ فِي كُلِّ دَعْوَةٍ تَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ لأَهْلَكَهُمْ.وَيَتْرُكُ اللهُ تَعَالَى الذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ،وَلاَ يَرْجُونَ لِقَاءَهُ فِي الآخِرَةِ،سَادِرِينَ فِي غَيِّهِمْ،مُسْتَمِرِّينَ فِي طُغْيَانِهِمْ،مُتَحَيِّرِينَ لاَ يَهْتَدُونَ إِلَى الخُرُوجِ مِمَّا هُمْ فِيهِ،حَتَّى يَجِيءَ اليَوْمُ الذي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ .

(وَقَدْ يَكُونُ المَعْنَى:لَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَجِّلُ لِلنَّاسِ إِجَابَةَ دُعَائِهِمْ وَاسْتِعْجَالِهِمْ فِي الشَّرِّ فِيمَا فِيهِ مَضَرَّتُهُمْ،فِي النَّفْسِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ - كَمَا اسْتَعْجَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ رَسُولَ اللهِ بِالعَذَابِ الذي أَنْذَرَهُمْ بِهِ - كَاسْتِعْجَالِهِمْ بِالخَيْرِ الذي يَطْلُبُونَهُ بِدُعَائِهِمْ اللهَ،لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ قَبْلَ وَقْتِهِ الطَّبِيعِيِّ المُحَدَّدِ لَهُمْ،كَمَا أَهْلَكَ الذينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ،وَاسْتَعْجَلُوا بِالعَذَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ) .[١١٥٨]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ،وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ،وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ،فَدَنَا عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ،فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ،ثُمَّ بَعَثَهُ،فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ،فَقَالَ:شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ ؟ قَالَ:أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:انْزِلْ عَنْهُ،فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ،لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ،وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ،وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ،لاَ تُوَافِقُوا مِنَ السَّاعَةِ فَيُسْتَجِيبَ لَكُمْ."[١١٥٩]

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،قَالَتْ:دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَى أَبِي سَلَمَةَ،وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ وَقَالَ:إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ،تَبِعَهُ الْبَصَرُ،فَصَاحَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ،فَقَالَ:لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ،فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا تَقُولُونَ،ثُمَّ قَالَ:اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ،وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمُقَرَّبِينَ،وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ،وَاغْفِرْ لَهُ وَلَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ،وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ.[١١٦٠]

[١١٥٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٠٤١)

[١١٥٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٧٦)

[١١٥٩] - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٥٢) (٥٧٤٢) وصحيح مسلم- المكثر - (٧٧٠٥) مطولا

[١١٦٠] - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٥١٥) (٧٠٤١) وصحيح مسلم- المكثر - (٢١٦٩) -الغابر : الباقى

بجنب استبطاء الإجابة،واليأس والقنوط من قضاء حاجته،ثم استصغار شأن الدعاء،وعدم الاهتمام به،ثم تركه بعد ذلك.

عَنْ جَابِرٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوَكَّلٌ بِحَاجَاتِ الْعِبَادِ،فَإِذَا دَعَاهُ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ لَهُ: يَا جِبْرِيلُ،احْبِسْ حَاجَةَ عَبْدِي هَذَا،فَإِنِّي أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ صَوْتَهُ،وَإِذَا دَعَاهُ عَبْدُهُ الْكَافِرُ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اقْضِ حَاجَةَ عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْغَضُهُ وَأَبْغَضُ صَوْتَهُ "[١١٦١].

وعن ثَابِتَ،قَالَ: " أَخَذَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ ابْنَ أَخِي صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ فَحَبَسَهُ فِي السِّجْنِ،فَلَمْ يَدَعْ صَفْوَانُ أَحَدًا مِنَ الْوُجُوهِ إِلَّا تَجَمَّلَ بِهِ عَلَيْهِ،فَلَمْ يَرَ لِحَاجَتِهِ نَجَاحًا،فَبَاتَ فِي مُصَلَّاهُ فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ،فَقَالَ: قُمْ يَا صَفْوَانُ فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهَا،قَالَ: فَقَامَ فَزِعًا،فَتَوَضَّأَ،ثُمَّ صَلَّى،ثُمَّ دَعَا،فَإِذَا بِابْنِ أَخِيهِ يَضْرِبُ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ: أَنَا فُلَانٌ،- يَعْنِي ابْنَ أَخِيهِ - فَقَالَ: وَأَيُّ هَذِهِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ: انْتَبَهَ الْأَمِيرُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَدَعَا بِالنِّيرَانِ وَالشُّرَطِ وفُتِحَتْ أَبْوَابُ السُّجُونِ وَنُودِيَ: أَيْنَ ابْنُ أَخِي صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ؟ أَخْرِجُوهُ،فَإِنِّي قَدْ مُنِعْتُ النَّوْمَ مُنْذُ اللَّيْلَةِ "[١١٦٢]

وعن يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ ،قَالَ: " عِيلَ صَبْرِي،وَضَاقَ صَدْرِي،وَاشْتَدَّتْ فَاقَتِي إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَعَظُمَ رَجَائِي لِرَحْمَتِكَ،أَلْحَحْتُ فِي الدُّعَاءِ اضْطِرَارًا وَأَنْتَ تُجِيبُنِي إِذَا شِئْتَ اخْتِيَارًا،أَمَا تَرْحَمُنِي مُحْتَاجًا إِلَيْكَ وَمُعْتَمِدًا فِي حَاجَتِي عَلَيْكَ،لَيْسَ لِي إِلَهٌ سِوَاكَ فَأَلْتَجِئُ إِلَيْهِ،وَلَا لَكَ شَرِيكٌ فَأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ بِنُورِ جَلَالِ وَجْهِكَ،أَسْأَلُكَ إِلَّا عَجَّلْتَ فَرَجِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ "[١١٦٣]

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ،قَالَ:" كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ،فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ جُلَسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَاعْتَنَقَهُ،وَقَبَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جَبِينَ صَاحِبِهِ مَوْضِعَ السُّجُودِ،وَالنَّبِيُّ ﷺيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا مُبْتَسِمًا،فَقَالَ تَمِيمٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،مَا تَقُولُ فِي الِاعْتِنَاقِ لِلْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نَعَمْ يَا تَمِيمُ،إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا الْتَقَيَا،فَتَصَافَحَا،وَسَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ،وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ هَذَانِ تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُمَا عَنْهُمَا،كَمَا تَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ يَا تَمِيمُ،بَيْنَمَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ،يَرْعَى غَنَمًا لَهُ فِي جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِذْ هُوَ بِصَوْتِ رَجُلٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ وَيُمَجِّدُهُ،فَذَهَلَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ غَنَمِهِ،وَقَصَدَ الصَّوْتَ،فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ طُوَالٍ يُسَمَّى:أَهْلَثُ الْعَابِدُ،طُولُهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا،فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ،وَقَالَ لَهُ:يَا أَهْلَثُ،بَعْدَ أَنْ عَرَفَ اسْمَهُ،هَلْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِكَ غَيْرُكَ ؟ قَالَ:لَا،قَالَ:فَمَنْ رَبُّكَ ؟ قَالَ:رَبُّ السَّمَاءِ،قَالَ:فَمَنْ رَبُّ السَّمَاءِ ؟ قَالَ:رَبُّ السَّمَاءِ اللَّهُ،قَالَ:مَا دِينُكَ ؟ قَالَ:الْإِسْلَامُ،قَالَ:فَأَيْنَ قِبْلَتُكَ ؟ قَالَ:فَأَوْمَى بِيَدِهِ نَحْوَ بَيْتِ اللَّهِ

[١١٦١] - شعب الإيمان - (١٢ / ٣٧٠) (٩٥٦١ و٩٥٦٢) وبغية الباحث (٩٦٦/٢ ، رقم ١٠٦٨) موصولا ومرسلاً والصواب المرسل

[١١٦٢] - شعب الإيمان - (١٢ / ٣٧٠) (٩٥٦٣) صحيح

[١١٦٣] - شعب الإيمان - (١٢ / ٣٧١) (٩٥٦٤)

الْحَرَامِ،فَسُرَّ إِبْرَاهِيمُ بِذَلِكَ،فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:فَأَيْنَ مَسْكَنُكَ ؟ فَقَالَ:فِي جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ:فَأُحِبُّ أَنْ أَرَاهُ،قَالَ:لَنْ تَسْتَطِيعَ،قَالَ:وَلِمَ ؟ قَالَ:إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ،بَعِيدًا غَوْرُهُ،كَثِيرًا مَاؤُهُ،قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:فَأَيْنَ مَمْشَاكَ ؟ قَالَ:عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:فَإِنَّ الَّذِي ذَلَّلَهُ لَكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُسَخِّرَهُ لِي،فَمَضِيَا يَمْشِيَانِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى بَيْتِ أَهْلَثَ،فَإِذَا قِبْلَتُهُ،قِبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ،فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:أَيُّ يَوْمٍ أَشَدُّ عَلَى النَّاسِ يَا أَهْلَثُ ؟ قَالَ:يَوْمُ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ،فَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ،وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ،قَالَ إِبْرَاهِيمُ:صَدَقْتَ يَا أَهْلَثُ إِنَّهُ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ،إِلَّا مَنْ هَوَّنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ،قَالَ إِبْرَاهِيمُ:يَا أَهْلَثُ،ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُهَوِّنَ عَلَيْنَا هَوْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ،قَالَ أَهْلَثُ:هَذَا إِلَيْكَ،يَرْحَمُكَ اللَّهُ،إِنَّ لِي عَشَرَ سِنِينَ،أَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَمْ أَرْ لَهَا إِجَابَةً،قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ:يَا أَهْلَثُ،إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا،وَكَانَ دَعَّاءً،فَدَعَا:يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:صَوْتٌ أُحِبُّهُ لَا أُنْكِرُهُ،امْكُثُوا لِقَضَاءِ حَاجَةِ عَبْدِي،وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ غَيْرَ دَعَّاءٍ،فَدَعَا،يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:صَوْتٌ أَبْغَضُهُ،وَأُنْكِرُهُ،اقْضُوا حَاجَةَ عَبْدِي،وَمَا كَانَ مِنْ دُعَاءِهِ،قَالَ:بَيْنَا أَنَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي رَأَيْتُ،رَأَيْتُ وَجْهًا عَلَيْهِ ذُؤَابَتَانِ تَضْرِبَانِ خُضْرَةً يَرْعَى غَنَمًا حِسَانًا،وَبَقَرًا سِمَانًا،فَلَا أَدْرِي أَيُّ الْأَشْيَاءِ أَحْسَنَ،الْغُلَامُ أَمْ رَعِيَّتُهُ فَإِذَا هُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ،وَيَحْمَدُهُ،وَيُهَلِّلُهُ،وَيُكَبِّرُهُ،وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ،فَدَنَوْتُ مِنْهُ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ،قَالَ أَهْلَثُ:فَقُلْتُ:يَا غُلَامُ،لِمَنْ هَذِهِ الْبَقَرَةُ وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ:لِإِبْرَاهِيمَ،قَالَ:وَمَنْ إِبْرَاهِيمُ ؟ قَالَ:إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ،قُلْتُ:وَمَا أَنْتَ مِنْهُ ؟ قَالَ:ابْنُ ابْنِهِ،وَهُوَ جَدِّي فَأَنَا مُبْتَهِلٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِنْ كَانَ لَهُ فِي الْأَرْضِ خَلِيلٌ أَنْ يُرِينَهُ قَبْلَ الْمَوْتِ قَالَ:فَتَبَسَّمَ إِبْرَاهِيمُ،ثُمَّ قَالَ:يَا أَهْلَثُ،أَنَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ،وَالْخَلِيلُ:هُوَ الصَّدِيقُ،فَقَامَ أَهْلَثُ قَائِمًا يَبْكِي،فَاعْتَنَقَ إِبْرَاهِيمَ،وَقَبَّلَ مَوْضِعَ السُّجُودِ،عِنْدَ ذَلِكَ شَهَقَ أَهْلَثُ شَهْقَةً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا،وَتَوَلَّى إِبْرَاهِيمُ أَهْلَثَ حَتَّى أَجَنَّهُ فِي حُفْرَتِهِ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ وَلَدِهِ " [١١٦٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ،أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ،مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ،قِيلَ:يَا رَسُولَ اللهِ،كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ ؟ قَالَ:يَقُولُ:قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي،فَيَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ،فَيَتْرُكُ الدُّعَاءَ. رواه مسلم[١١٦٥].

ترصّد الأوقات المباركة والأزمان الكريمة،واعتنام المواسم والحالات الشريفة والأمكنة الطاهرة المقدسة،للتضرّع والدعاء،كأوقات السحر،والجمع،ورمضان،وعشر ذي الحجة،ويوم عرفة،وبعد

[١١٦٤] – فُنُونُ الْعَجَائِبِ لِأَبِي سَعِيدٍ النَّقَّاشِ(٩١) فيه مجاهيل

[١١٦٥] – صحيح مسلم- المكثر – (٧١١٢) وصحيح ابن حبان – (٣ / ١٦٣) (٨٨١)

قطيعة رحم : القطيعة الهجر والصد والرحم الأقارب والأهلون ، والمراد : أن لا يصل أهله ويبرهم ويحسن إليهم.

فيستحسر : الاستحسار : الاستنكاف عن السؤال ، وأصله من حسر الطرف. إذا كَلّ وضعف نظره. يعني : أن الداعي إذا تأخرت إجابته تضجر ومل ، فترك الدعاء واستنكف.

الصلوات،وعند الإفطار،وفي السجود.. وحالات رقة القلب وإقباله على الله تعالى:وفي المسجد الحرام والمسجد النبوي وبيوت الله..

قال تعالى:{ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)} الذاريات.

{ وَبِالأسْحَارِ } التي هي قبيل الفجر { هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الله تعالى،فمدوا صلاتهم إلى السحر،ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل،يستغفرون الله تعالى،استغفار المذنب لذنبه،وللاستغفار بالأسحار،فضيلة وخصيصة،ليست لغيره،كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ }[١١٦٦]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:يَنْزِلُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلاَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ:مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ ؟. " متفق عليه[١١٦٧] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ:مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي أَسْتَجِيبُ لَهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَرْزِقُنِي أَرْزُقُهُ ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرُ لَهُ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ.[١١٦٨]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالاَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ،نَزَلَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ:هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ.[١١٦٩]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:"تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ،وَيُسْتَجَابُ الدُّعَاءُ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ: عِنْدَ الْتِقَاءِ الصُّفُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَعِنْدَ نُزُولِ الْغَيْثِ،وَعِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلاةِ،وَعِنْدَ رُؤْيَةِ الْكَعْبَةِ". رواه الطبراني[١١٧٠] .

[١١٦٦] – تفسير السعدي – (١ / ٨٠٨)

[١١٦٧] – صحيح البخارى- المكتر – (١١٤٥) وصحيح مسلم- المكتر – (١٨٠٨)

صحيح ابن حبان – (٣ / ٢٠٠)(٩٢٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : صِفَاتُ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ لاَ تُكَيَّفُ ، وَلاَ تُقَاسُ إِلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ مُتَكَلِّمٌ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ بِأَسْنَانٍ وَلَهَوَاتٍ وَلِسَانٍ وَشَفَةٍ كَالْمَخْلُوقِينَ ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَاسَ كَلاَمُهُ إِلَى كَلاَمِنَا ، لأَنَّ كَلاَمَ الْمَخْلُوقِينَ لاَ يُوجَدُ إِلاَّ بِآلاَتٍ ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلاَ يَتَكَلَّمُ كَمَا شَاءَ بِلاَ آلَةٍ ، كَذَلِكَ يَنْزِلُ بِلاَ آلَةٍ ، وَلاَ تَحَرُّكٍ ، وَلاَ انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ ، فَكَمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يُقَالَ : اللَّهُ يُبْصِرُ كَبَصَرِنَا بِالأَشْفَارِ وَالْحَدَقِ وَالْبَيَاضِ ، بَلْ يُبْصِرُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلاَ آلَةٍ ، وَيَسْمَعُ مِنْ غَيْرِ أُذُنَيْنِ ، وَسِمَاخَيْنِ ، وَالْتِوَاءٍ ، وَغَضَارِيفَ فِيهَا ، بَلْ يَسْمَعُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلاَ آلَةٍ ، وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلاَ آلَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقَاسَ نُزُولُهُ إِلَى نُزُولِ الْمَخْلُوقِينَ ، كَمَا يُكَيَّفُ نُزُولُهُمْ ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ مِنْ أَنْ تُشَبَّهَ صِفَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. صحيح ابن حبان – (٣ / ٢٠١)

[١١٦٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٩٩) (٩١٩) صحيح

[١١٦٩] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٢٠٢) (٩٢١) صحيح

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- :« ثِنْتَانِ لاَ تُرَدَّانِ أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ».[١١٧١]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: سَاعَتَانِ لاَ تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ،حِينَ تُقَامُ الصَّلاَةُ وَفِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ.[١١٧٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ أَبِى أَوْفَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّه حَاجَةٌ أَوْ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِى آدَمَ فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنِ الْوُضُوءَ ثُمَّ لْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ لْيُثْنِ عَلَى اللَّه وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- ثُمَّ لْيَقُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ سُبْحَانَ اللَّه رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لاَ تَدَعْ لِى ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَهُ وَلاَ هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَهُ وَلاَ حَاجَةً هِىَ لَكَ رِضًا إِلاَّ قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ».[١١٧٣]

وعَنْ مَالِك بْنِ دِينَارٍ،قَالَ:دَخَلْتُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ لِي:أَلَا أُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ حَسَنٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؟ قُلْتُ:بَلَى حَدِّثْنِي،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو بُرْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةٌ فَلْيَدْعُ بِهَا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ)) .[١١٧٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ،فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ. " رواه مسلم[١١٧٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ:الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ،وَالإِمَامُ الْعَادِلُ،وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ." ابن حبان[١١٧٦]

وعن سَعْدَ الطَّائِيَّ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو الْمُدِلَّةِ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا،وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ،وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا،وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ،فَقَالَ:لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ بِأَكُفِّكُمْ،وَلَوْ أَنَّكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ،وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ

[١١٧٠] – المعجم الكبير للطبراني – (٧ / ١٨٦)(٧٦١٥) والسنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٣ / ٣٦٠)(٦٦٩١) ضعيف

[١١٧١] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٣ / ٣٦٠) (٦٦٨٩) حسن

[١١٧٢] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٦٠) (١٧٦٤) صحيح

[١١٧٣] – سنن الترمذى- المكتر – (٤٨١) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَفِى إِسْنَادِهِ مَقَالٌ. قلت : هو ضعيف

مُوجبات رحمتكَ : ما يوجبُ الرحمةَ من الأعمال الصالحة والطاعات.

عزائم مغفرتك : عزائم المغفرة : الأسباب التي يعزمُ له بها الغفران ويُحقِّقُهُ.

[١١٧٤] – أخرجه ابن عساكر (٥/٤١٥) ومسند المقلين من الأمراء والسلاطين – (١ / ٢٢)(٦) ضعيف

[١١٧٥] – صحيح مسلم- المكتر – (١١١١) وصحيح ابن حبان – (٥ / ٢٥٤) (١٩٢٨)

[١١٧٦] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٢١٥) (٣٤٢٨) حسن

يَغْفِرَ لَهُمْ،قَالَ:قُلْنَا:يَا رَسُولَ اللهِ،حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ:لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ،وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ،وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ أَوِ الْيَاقُوتُ،وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ،مَنْ يَدْخُلْهَا يَنْعَمْ،فَلاَ يَبْؤُسُ،وَيَخْلُدْ لاَ يَمُوتُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ،وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ،ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ:الإِمَامُ الْعَادِلُ،وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ،وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ،وَيَقُولُ الرَّبُّ:وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ." ابن حبان[١١٧٧]

الإكثار من الدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعالى في أوقات اليسر والرخاء،ليستجيب الله تعالى له في أوقات العسر والشدة والضراء.

قال تعالى: { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) } [الأنبياء:٨٩،٩٠]

واذكر – أيها الرسول – قصة عبد الله زكريا حين دعا ربه أن يرزقه الذرية لما كَبِرت سنُّه قائلا رب لا تتركني وحيدًا لا عقب لي،هب لي وارثًا يقوم بأمر الدين في الناس من بعدي،وأنت خير الباقين وخير مَن خلفني بخير.فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى،وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا،إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير،ويدعوننا راغبين فيما عندنا،خائفين من عقوبتنا،وكانوا لنا خاضعين متواضعين.[١١٧٨]

أقول لمن يُعاني من العقم وعدم الإنجاب وضاقتْ به أسباب الدنيا،وطرق باب الأطباء أن يلجأ إلى الله بما لجأ به زكريا – عليه السلام – وأهله { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠] خذوها (روشتة) ربانية،ولن تتخلف عنكم الاستجابة بإذن الله.لكن،لماذا هذه الصفة بالذات: { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.. } [الأنبياء: ٩٠]؟

قالوا: لأنك تلاحظ أن أصحاب العُقْم وعدم الإنجاب غالباً ما يكونون بُخَلاء مُمْسِكين،فليس عندهم ما يُشجِّعهم على الإنفاق،فيستكثرون أن يُخرجوا شيئاً لفقير؛ لأنه ليس ولده.فإذا ما سارع إلى الإنفاق وسارع في الخيرات بشتى أنواعها،فقد تحدَّى الطبيعة وسار ضدها في هذه المسألة،وربما يميل هؤلاء الذين ابتلاهم الله بالعُقْم إلى الحقد على الآخرين،أو يحملون ضغينة لمن ينجب،فإذا طرحوا هذا الحقد ونظروا لأولاد الآخرين على أنهم أولادهم،فعطفوا عليهم وسارعوا في الخيرات،ثم توجَّهوا إلى الله بالدعاء رَغَباً ورَهَباً،فإن الله تعالى وهو المكوِّن الأعلى يخرق لهم النواميس والقوانين،ويرزقهم الولد من حيث لا يحتسبون.

[١١٧٧] – صحيح ابن حبان – (١٦ / ٣٩٦) (٧٣٨٧) حسن – الغمام : السحاب ، واحده : غمامة.

[١١٧٨] – التفسير الميسر – (٦ / ٥)

ومعنى: { وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠] يعني: راضين بقدرنا فيهم،راضين بالعُقْم على أنه ابتلاء وقضاء،ولا يُرفع القضاء عن العبد حتى يرضى به،فلا ينبغي للمؤمن أنْ يتمرَّد على قدر الله،ومن الخشوع التطامن لمقادير الخَلْق في الناس.[١١٧٩]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِى الرَّخَاءِ ». رواه الترمذي[١١٨٠] .

وقال الشعراني رحمه الله:" أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ) أن نحسن ظننا في ربنا،وأنه يجيب دعاءنا ولا نترك الدعاء أبدا استنادا إلى السوابق،فإن في ذلك تعطيلا للأوامر الشرعية،ولو تأمل العبد وجد نفس دعائه من الأمور السوابق،ونحن نعلم من ربنا جل وعلا أنه يحب من عبده إظهار الفاقة والحاجة،ويثيب عبده على ذلك سواء أعطاه أو منعه،وأكثر من يخل بهذا العمل العهد من سلك الطريق بغير شيخ،فيترك الوسائل كلها ويقول: إن كان سبق لي قضاء هذه الحاجة فلا حاجة للدعاء،وإن لم يقسم لي قضاء تلك الحاجة فلا فائدة في الدعاء،وقد مكثت أنا في هذا المقام نحو شهر ثم أنقذني الله منه على يد شيخي الشيخ محمد الشناوي رحمه الله،وفي القرآن العظيم: {قُلْ مَايَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ}. فأخبر أن العبد من أدبه مع الله أن يدعوه في كل شدة ولا يعوِّل على السوابق،فإن العبد لا يعلمها نفيا ولا إثباتا،وقد دعت الأكابر من الأنبياء والأولياء ربهم سبحانه وتعالى و لم ينظروا إلى السوابق. {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} والله يتولى هداك."[١١٨١]

تجنّب الحرام في المطعم أو الملبس أو المسكن أو المشرب،فإن الله سبحانه وتعالى طيب ولا يقبل إلا طيبا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ،إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا،وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،فَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} (٥١) سورة المؤمنون،وَقَالَ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١٧٢) سورة البقرة،ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ،ثُمَّ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ:يَا رَبِّ،يَا رَبِّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ،فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ. " رواه مسلم[١١٨٢]

[١١٧٩] – تفسير الشعراوي – (/ ٢٥٥٥)

[١١٨٠] – مسند أبي يعلى الموصلي(٦٣٩٦-٦٣٩٧) وسنن الترمذى- المكتر – (٣٧١٠) والصحيحة (٥٩٣) والدعاطب (٤٤ و ٤٥) وعلل (٢٠١٠) وصحيح الجامع (٦٢٩٠) صحيح لغيره

الشدائد : جمع شديدة : وهي كل ما يمر بالإنسان من مصائب الدنيا.

الرخاء : السعة في العيش وطيبه ، وهو ضد الشدة.

[١١٨١] – لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية – (١ / ٣١٩)

[١١٨٢] -صحيح مسلم- المكتر – (٢٣٩٣) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٢٦٣)(٨٣٤٨) ٨٣٣٠-

سؤال الله تعالى ودعاؤه بأسمائه الحسنى،والثناء عليه وتمجيده بصفاته العليا.

قال تعالى: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعراف

وَلله،دُونَ غَيْرِه،جَمِيعُ الأَسْمَاءِ الدَّالَّة عَلَى أَحْسَنِ المَعَانِي،وَأَكْمَلِ الصِّفَات،فَاذْكُرُوهُ وَنَادُوهُ بِهَا،إِمَّا لِلْثَنَاءِ عَلَيْه،وَإِمَّا لِسُؤَالِه العَوْنَ وَالمَغْفِرَةَ،وَمَا أَنْتُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْه.وَادْعُوهُ يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ،وَاتْرُكُوا جَمِيعَ الذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِه بِالمَيْلِ فِي أَلْفَاظِهَا،أَوْ مَعَانِيهَا عَنْ نَهْجِ الحَقِّ،مِنْ تَحْرِيفٍ أَوْ تَأْوِيلٍ أَوْ شِرْكٍ أَوْ تَكْذِيبٍ،أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ،أَوْ مَا يَنْفِي وَصْفَها بِالحُسْنَى،لأَنَّ هَؤُلاَءِ المُلْحِدِينَ سَيُجْزَوْنَ جَزَاءً وِفَاقاً عَلَى أَعْمَالِهِمْ،وَتَنْزِل بِهِم العُقُوبَةُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ.فَاجْتَنِبُوا إِلْحَادَهُمْ فِي أَسْمَاءِ اللهِ لِكَيْلا يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ .[١١٨٣]

وقال سبحانه: {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (١١٠) سورة الإسراء

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاَءِ المُشْرِكِينَ المُنْكِرِينَ صِفَةَ الرَّحْمَنِ لله عَزَّ وَجَلَّ،المُعَارِضِينَ تَسْمِيَتَهُ بِالرَّحْمَنِ:لاَ فَرْقَ بَيْنَ دُعَائِكُمْ لَهُ بِاسْمِ اللهِ،أَوْ بِاسْمِ الرَّحْمَنِ،فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذُو الأَسْمَاءِ الحُسْنَى .وَلاَ تَجْهَرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ بِصَلاَتِكَ،وَلاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ بِالقُرْآنِ فَيَسْمَعُكَ المُشْرِكُونَ،فَيَسُبُّوا القُرْآنَ.وَلَا تُخَافِتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ،فَلاَ تُسْمِعَهُمُ القُرآنَ،لِيَأْخُذُوا عَنْكَ،وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً وَسَطاً .[١١٨٤]

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ « أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ » رواه الترمذي[١١٨٥].

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ،قَالَ:مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَسْتَفْتِحُ دُعَاءً إِلاَّ اسْتَفْتَحَهُ:بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ،الأَعْلَى الْوَهَّابِ " رواه الحاكم[١١٨٦].

وعن إِيَاسِ بِ سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: قَلَّمَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَسْتَفْتِحُ بِدُعَاءٍ إِلا سَمِعْتُهُ:"يَسْتَفْتِحُ بِسُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى الْوَهَّابِ" [١١٨٧].

ممَّا يُستفاد من الحديث:أنَّ من أسماء الله الطيِّب، ومعناه المنَزَّه عن النقائص، وأنَّ من صفاته الطيب؛ لأنَّ أسماء الله كلَّها مشتقَّة، وتدلُّ على صفات مشتقَّة منها. -أنَّ على المسلم أن يأتي بالطيب من الأعمال والمكاسب.-أنَّ الصدقة لا تُقبل إلاَّ من مال حلال- تفضُّل الله على عباده بالنِّعم، وأمْرهم بأن يأكلوا من الطيبات.- أنَّ أكل الحرام من أسباب عدم قبول الدعاء.-أنَّ من أسباب قبول الدعاء السفر، وكون الداعي أشعث أغبر.-أنَّ من أسباب قبوله أيضاً رفع اليدين بالدعاء.-أنَّ من أسبابه أيضاً التوسل بالأسماء.-أنَّ من أسبابه الإلحاح على الله فيه.فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين - (١ / ٥٥)

[١١٨٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٣٥)

[١١٨٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٤٠)

[١١٨٥] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٨٦٨) والمعجم الكبير للطبراني - (٤ / ٤٥٤)(٤٤٦٠) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٤٥) (١٧٥٩٦) ١٧٧٣٩ من طرق صحيح لغيره

ألظوا : الزموا واثبتوا وألحوا بذلك

[١١٨٦] - المستدرك للحاكم (١٨٣٥) والإتحاف ٥/٤٠ و٧٥ حسن لغيره

وعَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:مَرَّ النَّبِيُّ ﷺبرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ.فَقَالَ:قَدْ سَأَلْتَ الْبَلاَءَ فَسَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ قَالَ:وَمَرَّ برَجُلٍ يَقُولُ:يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.قَالَ:قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ،وَمَرَّ برَجُلٍ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ.قَالَ:يَا ابْنَ آدَمَ أَتَدْرِي مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ ؟ قَالَ:دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا أَرْجُو بِهَا الْخَيْرَ.قَالَ:فَإِنَّ تَمَامَ النِّعْمَةِ فَوْزٌ مِنَ النَّارِ،وَدُخُولُ الْجَنَّةِ."[١١٨٨]

وعَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ،قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺبرَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي هَدَانِي إِلى الإِسْلَامِ،وَجَعَلَنِي مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " شَكَرْتَ عَظِيمًا "،وَمُرَّ برَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،فَقَالَ: " قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ "[١١٨٩]

الإكثار من الدعاء لأهله وأرحامه وإخوانه وجيرانه وأصدقائه ولمن أوصاه بالدعاء لينال مثل ما دعا به دعوة من الملك.

قال تعالى حكاية عن سيدنا موسى: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (١٥١) سورة الأعراف.

لَمَّا تَحَقَّقَ مُوسَى مِنْ بَرَاءَةِ هارُونَ،وَأَنَّهُ قَامَ بِوَاجِبِهِ كَامِلاً نَحْوَ قَوْمِهِ،دَعَا رَبَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا فَرَطَ مِنْهُ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ،فِيهِما غِلْظَةٌ وَجَفَاءٌ،بِحَقِّ أَخِيهِ،وَأَنْ يَغْفِرَ لأَخِيهِ مَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَّرَ فِيهِ مِنْ نَهيِ القَوْمِ عَنْ فِعْلِ مَا فَعَلُوهُ،مِنْ عِبَادَةِ العِجْلِ،وَأَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي رَحْمَتِهِ التِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ،وَأَنْ يَغْمُرَهُما بِجُودِهِ وَفَضْلِهِ،فَهُوَ تَعَالَى أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ جَمِيعاً بِعِبَادِهِ .[١١٩٠]

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ،وَكَانَ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ،قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَلَمْ أَلْقَهُ،وَلَقِيتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: تُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ ؟،قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ،قَالَتْ: فَادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ،فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ: " دُعَاءُ الْمُسْلِمِ يُسْتَجَابُ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ،عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ،مَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ إِلاَّ قَالَ: آمِينَ،وَلَكَ بِمِثْلٍ ".قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لِي مِثْلَ ذَلِكَ.أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١١٩١] .

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلاَّ،قَالَ الْمَلَكُ:وَلَكَ بِمِثْلٍ،وَلَكَ بِمِثْلٍ "[١١٩٢]

مختارات من أدعية القرآن الكريم

سورة الفاتحة.

[١١٨٧] – المعجم الكبير للطبراني – (٦ / ١١٦) (٦١٣٠) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٥ / ٦٥٩)(١٦٥٤٨) ١٦٦٦٣ حسن لغيره

[١١٨٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٣٥٠)(٢٢٠١٧) ٢٢٣٦٧– حسن

[١١٨٩] – شعب الإيمان – (٣ / ٨٦) (١٤١٩) صحيح مرسل

[١١٩٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١١٠٦)

[١١٩١] – صحيح مسلم– المكتر – (٧١٠٥) و شعب الإيمان – (١١ / ٣٥١) (٨٦٤٣)

[١١٩٢] – صحيح مسلم– المكتر – (٧١٠٣) وصحيح ابن حبان – (٣ / ٢٦٩) (٩٨٩)

٢-{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)} البقرة.
٣-{رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)} البقرة.
٤-{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)} آل عمران.
٥-{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)} آل عمران.
٦-{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء (٤٠)} إبراهيم.
٧-{رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً (٨٠)} الإسراء.
٨-{رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً (١٠)} الكهف.
٩-{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)} طه.
١٠-{رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً (١١٤)} طه.
١١-{لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)} الأنبياء.
١٢-{رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨))}الأنبياء.
١٣-{رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩)} المؤمنون.
١٤-{رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً (٦٥) إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٦٦)} الفرقان.
١٥-{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤)} الفرقان.
١٦-{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)} النمل.
١٧-{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)} الزمر.
١٨-{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١٠)} الحشر.
١٩-{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} نوح ٢٨.

المعوذتان.

عَنْ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى،وَالتُّقَى،وَالْعَفَافَ،وَالْغِنَى." مسلم[١١٩٣] .

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَانِ الْحُبُلِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ:إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا،بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَانِ،كَقَلْبٍ وَاحِدٍ،يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ.ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ،مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ،صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ." مسلم[١١٩٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:يَقُولُ الرَّجُلُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ،ثُمَّ يَسْكُتُ،فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ:إِلَّا بَلَاءً فِيهِ عَلَاءٌ "[١١٩٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ،وَدَرْكِ الشَّقَاءِ،وَسُوءِ الْقَضَاءِ،وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ.[١١٩٦] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقُولُ :اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي،وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي،وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي،وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ،وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ." مسلم[١١٩٧]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: " اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ،وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ،وَمِنْ فَجْأَةِ نِقْمَتِكَ،وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ وَغَضَبِكَ ".رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١١٩٨]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ،وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ،وَالْجُبْنِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ،وَشَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.[١١٩٩]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَدْعُو،يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ،وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ،وَالْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ،وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ،وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ،وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ،وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ،وَالْجُنُونِ،وَالْبَرَصِ وَالْجُذَامِ،وَسَيِّيءِ الأَسْقَامِ.[١٢٠٠]

[١١٩٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٧٩) وصحيح ابن حبان – (٣ / ١٨٢)(٩٠٠)

[١١٩٤] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٩٢١)

[١١٩٥] – الْأَدَبُ الْمُفْرَدِ لِلْبُخَارِيِّ (٧٥١) صحيح

[١١٩٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٤٧) وصحيح ابن حبان – (٣ / ٢٩٥) (١٠١٦)

[١١٩٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٧٨)

عصمة أمري : العصمة : ما يعتصم به. أي : يستمسك ويتقوى به في أموره كلها ، لئلا يدخل عليها الخلل.-معادي : المعاد : إما موضع العود ، أو مصدر ، والمراد به : ما يعود إليه يوم القيامة.

[١١٩٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٧١٢٠) وشعب الإيمان – (٦ / ٣٠١) (٤٢٢٤)

[١١٩٩] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٨٢٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٧٠٤٨) وصحيح ابن حبان – (٣ / ٢٨٩) (١٠٠٩)

[١٢٠٠] – صحيح ابن حبان – (٣ / ٣٠٠) (١٠٢٣) صحيح

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا ».[١٢٠١]

وعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ عَنْ عَمِّهِ قَالَ كَانَ النَّبِىُّ -ﷺ- يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ »[١٢٠٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاة:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ الْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَوَارَ مِنَ النَّارِ،اللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ ذَنْبًا إِلاَّ غَفَرْتَه،وَلا هَمًّا إِلاَّ فَرَّجْتَه،وَلا حَاجَةً إِلاَّ قَضَيْتَهَا.[١٢٠٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ،وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ،وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ،وَنَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ،وَمِنَ الْجُوعِ،فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ،وَمِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ،وَمِنَ الْكَسَلِ،وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ،وَمِنَ الْهَرَمِ،وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ،وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ،وَعَذَابِ الْقَبْرِ،وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ،اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ،اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ،وَمُنْجِيَاتِ أَمْرِكَ،وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ،وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ،وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ "[١٢٠٤]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ،وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ،وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ،اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي،وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ،قَالَ:وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ،قَالَ:كَانَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ." الترمذي [١٢٠٥]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ،أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ:احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ،فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺسَرِيعًا،فَثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلاَتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ.قَالَ:كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ.ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا.فَقَالَ:إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ،فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلاَتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ،فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ:لاَ أَدْرِي يَا رَبِّ،قَالَ:يَا مُحَمَّدُ فِيمَ

[١٢٠١] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٨١)

[١٢٠٢] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٩٤٠) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. ، قلت ك هو صحيح

[١٢٠٣] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٠ / ٣٣٢) (٣٠١٤٧) صحيح موقوف

[١٢٠٤] – المستدرك للحاكم (١٩٥٧) حسن لغيره

[١٢٠٥] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٨٢٨) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ:لاَ أَدْرِي رَبِّ،قَالَ:يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ:لاَ أَدْرِي يا رَبِّ،فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِه بَيْنَ صَدْرِي فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ:فِي الْكَفَّارَاتِ.قَالَ:وَمَا الْكَفَّارَاتُ ؟ قُلْتُ:نَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ،وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ،وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ.قَالَ:وَمَا الدَّرَجَاتُ ؟ قُلْتُ:إِطْعَامُ الطَّعَامِ،وَلِينُ الْكَلاَمِ،وَالصَّلاَةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ.قَالَ:سَلْ.قُلْتُ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ،وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ،وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي،وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ،وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا." [١٢٠٦]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ،سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ:كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺالْوَحْيُ يُسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ،فَمَكَثْنَا سَاعَةً،فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ،فَقَالَ:اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا،وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا،وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا،وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا،وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا ثُمَّ قَالَ:لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ،مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} حَتَّى خَتَمَ الْعَشْرَ آيَاتٍ."[١٢٠٧].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُورًا،وَاجْعَلْنِي صَبُورًا،وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيرًا،وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرًا."[١٢٠٨].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ؛ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺلَا يَكَادُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ ؛ إِلَّا دَعَا بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ:« اللهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ،وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ إِلَى رَحْمَتِكَ،وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا،وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،وَاجْعَلْ ذَلِكَ الْوَارِثَ مِنَّا،وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا،وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا،وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا،وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا »[١٢٠٩].

وعَنْ عَلِيٍّ،قَالَ:ما مِنْ كَلِمَاتٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَنْ يَقُولَهُنَّ الْعَبْدُ:اللَّهُمَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ اللَّهُمَّ لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاكَ،اللَّهُمَّ لاَ أُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا،اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي،إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ.[١٢١٠]

[١٢٠٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٣٧٧)(٢٢١٠٩) ٢٢٤٦٠– وصحيح الجامع (٥٩) صحيح لغيره

[١٢٠٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ١٤٧)(٢٢٣) صحيح

[١٢٠٨] – كشف الأستار – (٤ / ٦١) (٣١٩٨) فيه ضعف

[١٢٠٩] – المجالسة وجواهر العلم – (٣ / ١٠١)(٧٢٥) وصحيح الجامع (١٢٦٨) والدعا طب (١٩١١) ومب١٤٤(٤٣١) وسنن الترمذى– المكتر – (٣٨٤١) صحيح لغيره

[١٢١٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٠ / ٣٢٨) (٣٠١٣٦) صحيح موقوف

وعَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى،وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى،اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى هَزْلِى وَجِدِّى وَخَطَاىَ وَعَمْدِى،وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى » [١٢١١]

[١٢١١] - صحيح البخارى- المكتز - (٦٣٩٩) وصحيح مسلم- المكتز - (٧٠٧٦)

-٢٩-آداب الجمعة

يوم الجمعة يوم عظيم عند الله تعالى،أفرد في القرآن الكريم سورة سميت "سورة الجمعة" بينت أحكام صلاة الجمعة كأهم ما في هذا اليوم المبارك،وتوالت الأحاديث النبوية الشريفة تشرح قدر الجمعة،ووظائف المسلم فيه.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِى عَبْدُ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا ».[١٢١٢]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ،أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ:أَخْبِرْنَا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَاذَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ ؟ قَالَ:فِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ:فِيهِ خُلِقَ آدَمُ،وَفِيهِ هَبَطَ آدَمُ،وَفِيهِ تُوُفِّيَ آدَمُ،وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ عَبْدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْثَمًا،أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ،وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ،وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ حَجَرٍ إِلاَّ وَهُوَ يُشْفِقُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ"[١٢١٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّهُ قَالَ:خَرَجْتُ إِلَى الطُّورِ،فَلَقِيتُ كَعْبَ الأَحْبَارِ،فَجَلَسْتُ مَعَهُ،فَحَدَّثَنِي عَنِ التَّوْرَاةِ،وَحَدَّثْتُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَكَانَ فِيمَا حَدَّثْتُهُ،أَنْ قُلْتُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ،فِيهِ خُلِقَ آدَمُ،وَفِيهِ أُهْبِطَ،وَفِيهِ مَاتَ،وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ،وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ،وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،مِنْ حِينِ تُصْبِحُ،حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ،شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلاَّ الْجِنَّ،وَالإِنْسَ،وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ،وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ قَالَ كَعْبٌ:ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ فَقُلْتُ:بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ،قَالَ:فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ،فَقَالَ:صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:فَلَقِيتُ بَصْرَةَ بْنَ أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ،فَقَالَ:مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقُلْتُ:مِنَ الطُّورِ،فَقَالَ:لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:لاَ تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ:إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا،وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ،أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - شَكَّ أَيُّهُمَا -. قَالَ:قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ،فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبِ الأَحْبَارِ،وَمَا حَدَّثَتْهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ،فَقُلْتُ لَهُ:قَالَ كَعْبٌ:وَذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ،فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ:كَذَبَ كَعْبٌ،قُلْتُ:ثُمَّ قَرَأَ التَّوْرَاةَ،فَقَالَ:بَلْ هِيَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ،فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ:صَدَقَ كَعْبٌ،ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ:قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ ؟ قَالَ:ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:فَقُلْتُ لَهُ:فَأَخْبِرْنِي بِهَا وَلاَ تَضِنَّنَّ عَلَيَّ،فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ:هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:وَكَيْفَ تَكُونُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي،وَتِلْكَ

[١٢١٢] - صحيح مسلم- المكتز - (٢٠١٣)

[١٢١٣] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٧٢)(٢٢٤٥٧) ٢٢٨٢٤- صحيح لغيره

سَاعَةٌ لاَ يُصَلَّى فِيهَا،فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ:أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ جَلَسَ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ فَهُوَ فِي صَلاَةٍ،حَتَّى يُصَلِّيَهَا،قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:بَلَى،قَالَ:فَهُوَ ذَاكَ."[١٢١٤]

وقد خصّ الله المسلمين بهذا اليوم وجعله عيدهم الأسبوعي،وفرض فيه صلاة الجمعة،وخطبتها وأمر المسلمين بالسعي إليها جمعا لقلوبهم،وتوحيدا لكلمتهم،وتعليما لجاهلهم،وتنبيها لغافلهم،وردا لشاردهم،بعد أسبوع كامل من العمل والإكتساب،كما حرّم فيه الاشتغال بأمور الدنيا،وبكل صارف عن التوجه إلى صلاة الجمعة عند الدعوة إليها.

فإذا سلمت الجمعة كانت كفارة لما سبقها خلال أيام الأسبوع،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لَمَّا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ[١٢١٥].

وقد ورد الوعيد الشديد على ترك الجمعة،فعَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمْرِيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاَثًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ،فَهُوَ مُنَافِقٌ."[١٢١٦]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى.[١٢١٧]

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ »[١٢١٨].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،وَابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ:لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ،أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ،وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ."[١٢١٩]

وقد أتى على بعض الناس زمن،غفلوا عن واجباتهم الإسلامية،ومنها حقوق يوم الجمعة،فحسبوه يوم الراحة الأسبوعية،ويوم العطلة بعد العمل ينطلقون فيه إلى الملاعب والمنتزهات،وبأيديهم أدوات اللهو واللغو واللعب والغفلات،وصنوف الأطعمة والأشربة والملذات،في يوم جاء فيه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،جَاءَ جِبْرِيلُ فِي كَفِّهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ،فَقَالَ:" مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ:هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ،وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلُ،وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ،وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ،أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ،وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ،وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ،فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ

[١٢١٤] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٧) (٢٧٧٢) صحيح

[١٢١٥] – صحيح مسلم- المكتز – (٥٧٢)وصحيح ابن حبان – (٦ / ١٧٦) (٢٤١٨) -تغشى : ترتكب

[١٢١٦] – صحيح ابن حبان – (١ / ٤٩١) (٢٥٨) صحيح

[١٢١٧] – مسند أبي يعلى الموصلي (٢٧١٢) صحيح

[١٢١٨] – صحيح مسلم- المكتز – (٢٠٣٩) -الودع : التَّرك

[١٢١٩] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٢٥) (٢٧٨٥) صحيح

نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ،فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّه،وَحَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوَاهِرِ،وَجَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا،وَجَاءَ أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ غُرَفِهِمْ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ،وَهُوَ كَثِيبٌ أَبْيَضُ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ،ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ:أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي،وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي،وَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي،فَسَلُونِي،فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا،فَيَقُولُ:رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي،وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي،فَسَلُونِي،فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا،فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا،ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ،وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ،إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ،وَهِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ،مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا،مُتَدَلِّيَةٌ،فِيهَا ثِمَارُهَا،فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا،فَلَيْسَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَشْوَقَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرَامَتِه،وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ "[١٢٢٠] .

ولقد أخبرنا سبحانه أنه حرم العمل على اليهود يوم السبت،وأمرهم بالتفرغ لعبادته،فعملوا الحيل،استهزاء بأمر الله تعالى واعتداء على حدوده،فغضب عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة والخنازير.

قال تعالى: { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) }[الأعراف:١٦٣-١٦٦]

اسْأَلْ يَا مُحَمَّدُ،هَؤُلاءِ اليَهُودَ الذِينَ بِحَضْرَتِكَ عَنْ قِصَّةِ أَصْحَابِهِم الذِينَ خَالَفُوا أَمْرَ رَبِّهِمْ،فَأَصَابَهُمْ بِنَقْمَتِه عَلَى اعْتِدَائِهِمْ وَاحْتِيَالِهِمْ فِي مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَ رَبِّهِمْ وَحَذِّرْهُمْ مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِأَصْحَابِهِمْ،أَصْحَابِ القَرِيَةِ التِي كَانَتْ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ (وَهِيَ أَيْلَةُ أَوْ العَقَبَةُ اليَوْمَ)،فَقَدْ كَانَ اليَهُودُ فِيهَا يَعْتَدُونَ عَلَى حُرْمَةِ السَّبْتِ،وَيَتَجَاوَزُونَ حُكْمَ اللهِ الذِي يُحَرِّمُ عَلَيهِم الصَّيْدَ فِيه،فَقَدْ كَانَت الأَسْمَاكُ (حِيتَانُهُمْ) تَأتِيهِمْ ظَاهِرَةً عَلَى سَطْحِ المَاءِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الذِي كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ،فَلاَ يَصِيدُونَ فِيه،أَمَّا فِي اليَوْمِ الذِي لا يَسْبِتُونَ،وَلاَ يُعَظِّمُونَ حُرْمَةَ السَّبْتِ،فَكَانَت الحِيتَانُ لا تَظْهَرُ لَهُمْ،وَكَانَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً مِنَ اللهِ لَهُمْ،فَكَانَ اليَهُودُ المُعْتَدُونَ يَنْصِبُونَ الشِّبَاكَ لِلأَسْمَاكِ لِتَقَعَ فِيهَا،وَيَتْرُكُونَهَا فِي الشِّبَاكِ حَتَّى يَنْتَهِيَ السَّبْتُ فَيَأخُذُوهَا،فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ انْتِهَاكاً لِمَحَارِمِ اللهِ التِي فَرَضَهَا عَلَيْهِمْ،وَمِنْهَا تَعْظِيمُ حُرْمَةِ السَّبْتِ.فَكَانَ تَصَرُّفُهُمْ هذا احْتِيالاً يُخْفِي نِيَّتَهُمْ فِي الاعْتِدَاءِ عَلَى السَّبْتِ،وَفِسْقاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ .

[١٢٢٠] – الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبَرَانِيِّ (٢١٦٥) وكشف الأستار – (٤ / ١٩٤)(٣٥١٩) ومسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار – (١٤ / ٦٨) (٧٥٢٧) حسن

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أنَّ أَهْلَ هَذِهِ القَرْيَةِ صَارُوا ثَلاثَ فِرَقٍ:
- فِرْقَةٍ ارْتَكَبَتِ الْمُحَرَّمَ،وَاحْتَالَتْ فِي صَيْدِ السَّمكِ .
- فِرْقَةٍ نَهَتِ الْمُتَجَاوِزِينَ عَنْ فِعْلِهِمْ هَذا وَاعْتَزَلَتْهُمْ .
- فِرْقَةٍ سَكَتَتْ فَلَمْ تَفْعَلْ شَيْئاً وَلَمْ تَنْهَ،وَلَكِنَّهَا قَالَتْ لِلْفِرْقَةِ الْمُنْكِرَةِ:لِمَ تَنْهَوْنَ قَوْماً تَعْلَمُونَ أنَّ اللهَ مُهْلِكُهُمْ لاسْتِحقَاقِهِمْ عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ؟ فَلاَ فَائِدَةَ مِنْ نَهْيِكُمْ إيَّاهُمْ.فَرَدَّتْ عَلَيهِمْ الفِرْقَةُ النَّاهِيَةُ قَائِلَةً:إنَّ اللهَ أمَرَنَا بِأنْ نَأمُرَ بِالمَعْرُوفِ،وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ،وَنَحْنُ نُذَكِّرُهُمْ لِنَقُومَ بِأمْرِ اللهِ أوَّلاً (مَعْذِرَةً إلى رَبِّكُمْ)،ثُمَّ إنَّنا نَرْجُو أنْ يَنْتَهِيَ هَؤُلاءِ الْمُتَجَاوِزُونَ حُدُودَ اللهِ عَنْ غَيِّهِمْ،وَيَعُودُوا إلى الصَّوابِ،لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الاعْتِدَاءَ الذي اقْتَرَفُوهُ.فَلَمْ يَهْتَمَّ هَؤُلاءِ بِأمْرِ اللهِ،وَلاَ بِتَذْكِيرِ إخْوانِهِمْ،فَجَاءَ أَمْرُ اللهِ فَأخَذَهُمْ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ (بِئِيسٍ) بِسَبَبِ فِسْقِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ،وَنَجّى اللهُ تَعَالَى الذِينَ قَامُوا مِنْهُمْ بِأمْرِهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ .[١٢٢١]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمُ لَنَا وَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى » رواه مسلم[١٢٢٢].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ،فَهَدَانَا اللَّهُ،فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ،الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ »[١٢٢٣]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:اخْتَلَفَ إِلَيْهِ رَجُلٌ شَهْرًا يَسْأَلُهُ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ،وَلاَ يَشْهَدُ جُمُعَةً،وَلاَ جَمَاعَةً،مَات ؟قَالَ:فِي النَّارِ.[١٢٢٤].

وهذه باقة من الآداب الإسلامية والتي هي بعض من حقوق هذا اليوم الكريم:

الاستعداد للجمعة من يوم الخميس،بغسل ثيابه وإعداد طيبه،وتفريغ قلبه من الشواغل الدنيوية،والاشتغال بالتوبة والاستغفار،والذكر والتسبيح من عشية يوم الخميس،والعزم على التكبير إلى المسجد،ويستحسن قيام ما تيسر من ليلة الجمعة بالصلاة وقراءة القرآن.

قال بعض السلف: أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس[١٢٢٥].

[١٢٢١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١١٨)

[١٢٢٢] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٠١٧)

بيد أهم : البيد بمعنى غير ، تقول : هو كثير المال ، بيد أنه بخيل ،أي : غير أنه بخيل.

[١٢٢٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٨٧٦)

[١٢٢٤] - مصنف ابن أبي شيبة - (١ / ٣٤٦) (٣٤٩٤) فيه ضعف

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنْ لاَ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ وَالْجُمُعَةَ رَغْبَةً عَنْهَا وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا وَتَهَاوُنًا بِهَا.

الابتداء بالغتسال بعد صلاة فجر يوم الجمعة مع الجماعة،ويمتد وقت الغسل حتى النداء.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ – رضى الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ « غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ » رواه البخاري[١٢٢٦]. المراد بالمحتلم: البالغ.

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ ». رواه الترمذي[١٢٢٧].

وعن أَوْسَ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ،وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ،وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ،فَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ،أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا."[١٢٢٨].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ »[١٢٢٩]

النظافة العامة بحلق الشعر وقص الأظافر والسواك،والتطيب ولبس أحسن الثياب.

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِىِّ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ– « لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ،وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ،أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ،فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ،ثُمَّ يُصَلِّى مَا كُتِبَ لَهُ،ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ،إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى » رواه البخاري[١٢٣٠].

التبكير إلى الصلاة،ساعيا إليها بالسكينة والوقار،والتواضع والخشوع،ناويا إجابة أمر الله سبحانه والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه،وليغتنم ثواب الصف الأول،ولا يكونن مع دينه أقل همة من أصحاب الدنيا إذ يبكرون إلى أسواقهم.

[١٢٢٥] – إحياء علوم الدين – (١ / ١٨٩)

[١٢٢٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٨٧٩)

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْغُسْلَ لِلْجُمُعَةِ مَطْلُوبٌ شَرْعًا، وَاخْتَلَفُوا فِي حُكْمِهِ ، وَفِي وَقْتِهِ ، وَفِي أَنَّهُ لِلْيَوْمِ أَوْ لِلصَّلاَةِ .فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ سُنَّةٌ ،وَذَهَبَ بَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ الزَّوَائِدِ ،وَحُكِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رِوَايَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ وَاجِبٌ "الموسوعة الفقهية الكويتية – (٤٥ / ٣٠٤)

[١٢٢٧] – سنن الترمذى– المكتر – (٤٩٩) صحيح

وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ –ﷺ– وَمَنْ بَعْدَهُمُ اخْتَارُوا الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَأَوْا أَنْ يُجْزِئَ الْوُضُوءُ مِنَ الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. قَالَ الشَّافِعِيُّ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ –ﷺ– بِالْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنَّهُ عَلَى الاخْتِيَارِ لاَ عَلَى الْوُجُوبِ حَدِيثُ عُمَرَ حَيْثُ قَالَ لِعُثْمَانَ وَالْوُضُوءَ أَيْضًا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– أَمَرَ بِالْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَلَوْ عَلِمَا أَنَّ أَمْرَهُ عَلَى الْوُجُوبِ لاَ عَلَى الاخْتِيَارِ لَمْ يَتْرُكْ عُمَرُ عُثْمَانَ حَتَّى يَرُدَّهُ وَيَقُولَ لَهُ ارْجِعْ فَاغْتَسِلْ وَلَمَا خَفِيَ عَلَى عُثْمَانَ ذَلِكَ مَعَ عِلْمِهِ وَلَكِنْ دَلَّ فِى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ فَضْلٌ مِنْ غَيْرِ وُجُوبٍ يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ فِى ذَلِكَ.

[١٢٢٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (٢ / ٩٣) (٥٠٢٨) صحيح

[١٢٢٩] – صحيح البخارى– المكتر – (٨٧٧)

[١٢٣٠] – صحيح البخارى– المكتر – (٨٨٣)

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّـهِ وَذَرُوا الْبَيْـعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٩) سورة الجمعة.

يَحُثُّ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمنِينَ عَلَى تَرْكِ البَيْعِ وَالشِّرَاءِ،وَعَلَى السَّعْيِ بِسَكِينَةٍ وَوِقَارٍ إِلَى الْمَسَاجِدِ،حِينَما يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ الظُّهْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمْعَةِ،للاسْتِمَاعِ إِلَى مَوَاعِظِ الْخُطَبَاءِ،وَلأَدَاءِ الصَّلاَةِ مَعَ الجَمَاعَةِ.وَذَلِكَ السَّعْيُ إِلَى الصَّلاَةِ خَيْرٌ لِلمُؤْمنِينَ وَأَبْقَى مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ،هَذَا إِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُونَ مِنْ ذَوِي العِلْمِ الصَّحِيحِ بِمَا يَدِرُّ وَيَنْفُعُ .[١٢٣١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ،ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً،وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ،فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً،وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا،وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ،فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً،وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ،فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً،فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ." متفق عليه[١٢٣٢].

الدخول إلى المسجد مراعيا آدابه،مجتنبا تخطي رقاب الناس،أو المرور بين أيديهم،إلا أن يرى فرجة فيأوي إليها،ويجلس حيث ينتهي الصف،ولا يفرق بين اثنين ليجلس بينهما،ويتقرب إلى الخطيب ما أمكنه ليستمع إليه.

وعَنْ عَبَّادٍ الْأَسَدِيِّ،أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: بَيْنَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخْطُبُنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ،وَزَيْدُ بْنُ صُوحَانَ خَلْفِي،إِذْ رَأَى رَجُلًا يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ،حَتَّى دَنَا فَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ،فَغَضِبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[١٢٣١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠٦٤)

[١٢٣٢] – صحيح البخارى- المكتز – (٨٨١) وصحيح مسلم- المكتز – (٢٠٠١) وصحيح ابن حبان – (٧ / ١٣) (٢٧٧٥)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ بَيَانٌ وَاضِحٌ بِأَنَّ اسْمَ الرَّوَاحِ يَقَعُ عَلَى جَمِيعِ سَاعَاتِ النَّهَارِ ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّوَاحَ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ الزَّوَالِ.

راح في الساعة الأولى : قال الخطابي : قال مالك بن أنس : الرواح لا يكون إلا بعد الزوال ، فحينئذ لا تكون هذه الساعات التي عددها النبي -ﷺ- في الحديث إلا في ساعة واحدة من يوم الجمعة ، وهي بعد الزوال، كقولك : قعدت عندك ساعة ، إنا تريد جزءا من الزمان ، وإن لم تكن ساعة من النهار حقيقة التي هي جزء من أربعة وعشرين جزءا ، قال : وقيل : معناه : أنه أراد بالرواح : المضي إلى الجمعة بعد طلوع الشمس وما بعدها إلى [ما] بعد الزوال ، فإن الصلاة ،وإن كانت لاتصلى إلا بعد الزوال ، فإنه قد جعل القصد إليها رواحا ، وزعم بعضهم : أن الرائح :هو الخارج عن أهله ، وكل من خرج في وقت من الأوقات فقد راح ،وعلى هذا يقولون : إذا أرادوا الرحيل أي وقت كان في ليل أو نهار : الرواح الرواح ، و الأصل في الرواح الأول ، وإن جاز هذا المعنى فعلى المجاز.

قرب بدنة : البدنة : مايهدى إلى بيت الله الحرام من الإبل والبقر وقيل :من الإبل خاصة ، أي :كأنما أهدى ذلك إلى الله عز وجل ، وأما جعله الدجاجة والبيضة من الهدي وليسا بهدي إجماعا ، فإنما حمله على ماقبله تشبيها به وأعطاه حكمه مجازا ، وإلا فالهدي لايكون إلا بقرة أو بدنة ، والشاة فيها خلاف.

كبش أقرن : له قرنان.

المهجر : هو الذي يمشى إلى الصلاة في أول وقتها.

الجزور : البعير ،ويقع على الذكر والأنثى.جامع الأصول في أحاديث الرسول – (٩ / ٤٢٦)

غَضَبًا شَدِيدًا،حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ،ثُمَّ جَاءَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى دَنَا،فَقَالَ: " غَلَبَتْنَا هَذِهِ الْحَمْرَاءُ عَلَى وَجْهِكَ،فَغَضِبَ عَلِيٌّ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ،ثُمَّ قَالَ: " مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَذِهِ الضَّيَاطِرَةِ،يَتَضَجَّعُونَ عَلَى فُرُشِهِمْ،وَيَرُوحُ أَقْوَامٌ إِلَى ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَيَأْمُرُونِي أَنْ أَطْرُدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ،وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ،وَبَرَأَ النَّسَمَةَ،لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " لَيَضْرِبُنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدْءًا " فَضَرَبَ زَيْدٌ عَلَى مَنْكِبِيَّ،ثُمَّ قَالَ: لَيُظْهِرَنَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْعَرَبِ الْيَوْمَ أَمْرًا كَانَ يَكْتُمُهُ ".[١٢٣٣]

وعَنِ الْحَسَنِ،قَالَ:بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺيَخْطُبُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،حَتَّى جَلَسَ قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ،قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا فُلاَنُ،أَمَا جَمَّعْتَ ؟ قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَمَا رَأَيْتَنِي ؟ قَالَ:قَدْ رَأَيْتُك آنَيْتَ وَآذَيْتَ."[١٢٣٤]

الاستماع والإنصات للخطبة،والانتباه واليقظة لما فيها من العلم والحكمة،وتفريغ القلب من الشواغل لما يرد من الموعظة والذكرى،والعزم على العمل بما سمع من أحكام الدين الحنيف. ولا يتكلم حتى مع من يريد أن ينبهه إلى وجوب الإنصات وإنما يشير له ليكف عن كلامه،ولا يجيب مسلما،ولا يشمّت عاطسا..

قال تعالى: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (١١) سورة الجمعة.

إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئًا من لهو الدنيا وزينتها تفرَّقوا إليها،وتركوك -أيها النبي- قائمًا على المنبر تخطب،قل لهم-أيها النبي-: ما عند الله من الثواب والنعيم أنفع لكم من اللهو ومن التجارة،والله- وحده- خير مَن رزق وأعطى،فاطلبوا منه،واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.[١٢٣٥]

وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،وَالإِمَامُ يَخْطُبُ:أَنْصِتْ،فَقَدْ لَغَا.[١٢٣٦]

[١٢٣٣] – شرح مشكل الآثار – (٩ / ١٥٧)(٣٥٣١) صحيح

الضياطرة : يُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْأَسْوَاقَ بِلَا مَالٍ مَعَهُمْ ، يُحْضَرُ بِهِ الْأَسْوَاقُ ، وَيُنْتَفَعُ بِهِ فِي حُضُورِهَا ، وَكَانَ مَنْ يَحْضُرُهَا كَذَلِكَ كَمَنْ لَمْ يَحْضُرْهَا ، فَمِثْلُهُ مَنْ يَحْضُرُ غَيْرَهَا بِلَا مَنْفَعَةٍ فِي حُضُورِهِ لِمَا يُحْضِرُهُ ، وَالْوَاحِدُ مِنَ الضَّيَاطِرَةِ ضَيْطَارٌ .

[١٢٣٤] – مصنف ابن أبي شيبة – (٢ / ١٤٤) (٥٥١٥) صحيح مرسل

[١٢٣٥] – التفسير الميسر – (١٠ / ١٣٧)

[١٢٣٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٦٤٧)(١٠١٢٨) ١٠١٣٢– و سنن الترمذى- المكتر – (٥١٤) صحيح

قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالْعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهُوا لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ وَقَالُوا إِنْ تَكَلَّمَ غَيْرُهُ فَلاَ يُنْكِرْ عَلَيْهِ إِلاَّ بِالإِشَارَةِ.وَاخْتَلَفُوا فِى رَدِّ السَّلاَمِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَرَخَّصَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِى رَدِّ السَّلاَمِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ. وَكَرِهَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ التَّابِعِينَ وَغَيْرِهِمْ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ.

وعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَنْصِتْ،وَالإِمَام يَخْطُبُ،فَقَدْ لَغَا.[١٢٣٧]

تجنب العبث باليدين أو بالسجاد أو بالسبحة أثناء الخطبة فهو من اللغو،وتجنب التغافل عن الخطبة والانشغال بغيرها أو النوم خلالها فإنه يذهب ثوابها.

يكره الاحتباء أثناء الخطبة لأنه يجلب النوم ويفوت استماع الخطبة ومدعاة لانتقاض الوضوء.

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- نَهَى عَنْ الْحَبْوَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أبو داود والترمذي[١٢٣٨].

صلاة أربع ركعات قبل الصلاة وأربع ركعات بعدها. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا. رواه مسلم[١٢٣٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَالَ:إِذَا صَلَّيْتَ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَصَلِّ أَرْبَعًا.وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ."[١٢٤٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُصَلِّيًا بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا.[١٢٤١]

الإكثار يوم الجمعة من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ. فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ،وَفِيهِ قُبِضَ،وَفِيهِ النَّفْخَةُ،وَفِيهِ الصَّعْقَةُ،فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ،فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ،قَالُوا:وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَامَنَا." ابن حبان[١٢٤٢]

وعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،فِيهِ خُلِقَ آدَمَ،وَفِيهِ النَّفْخَةُ،وَفِيهِ الصَّعْقَةُ،فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ،فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ،فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللهِ،كَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ يَعْنِي بَلِيتَ،فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ.[١٢٤٣]

[١٢٣٧] – مصنف ابن أبي شيبة – (٢ / ١٢٤) (٥٣٣٧) صحيح لغيره

[١٢٣٨] – سنن أبي داود – المكتز – (١١١٢) وسنن الترمذى– المكتز – (٥١٦) حسن

الحبوة : أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها

وَقَدْ كَرِهَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْحَبْوَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ وَرَخَّصَ فِى ذَلِكَ بَعْضُهُمْ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ لاَ يَرَيَانِ بِالْحَبْوَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ بَأْسًا.

[١٢٣٩] – صحيح مسلم– المكتز – (٢٠٧٣) وصحيح ابن حبان – (٦ / ٢٢٩) (٢٤٧٨)

[١٢٤٠] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٢٢٩) (٢٤٧٩) صحيح

[١٢٤١] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٢٣٠) (٢٤٨٠) صحيح

[١٢٤٢] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٩١) (٩١٠) صحيح

[١٢٤٣] – مصنف ابن أبي شيبة – (٢ / ٥١٦) (٨٧٨٩) صحيح

الانتشار في الأرض بعد الصلاة،قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (١٠) سورة الجمعة

فَإِذَا أَدَّيْتُمُ الصَّلاَةَ فَتَفَرَّقُوا لِمُبَاشَرَةِ مَصَالِحِكُمْ الدُّنْيَوِيَّةِ،وَاسْأَلُوا اللهَ الرِّزْقَ الحَلاَلَ،واذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً أَثْنَاءَ بَيْعِكُمْ وَشِرَائِكُمْ،وَلاَ تَتْرُكُوا الدُّنْيَا تَشْغَلُكُمْ عَمَّا يَنْفَعُكُمْ فِي الآخِرَةِ،لَعَلَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تُفْلِحُونَ،وَتَفُوزُونَ بِرِضَا اللهِ،وَحُسْنِ ثَوَابِهِ .[١٢٤٤]

وعَن عَبدِ اللهِ بْنِ بُسرٍ الحُبرَانِي. قَالَ:رَأَيتُ عبد اللهِ بْنَ بُسرٍ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ،ﷺ،إِذَا صَلَّى الجُمُعَةَ،خَرَجَ مِنَ الْمَسجِدِ قَدرًا طَوِيلاً،ثُم رَجَعَ إِلَى الْمَسجِدِ،فَيُصَلِّي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يصَلي،فَقُلْتُ لَهُ،يَرحَمُكَ اللهُ،لأيِّ شَيءٍ تَصْنَعُ هَذَ ؟ قَالَ:لأني رَأَيْتُ سَيدَ الْمُسلِمِينَ،ﷺ،هَكَذَا يَصْنَعُ،يَعْنِي النبِي،ﷺ،وَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ:(فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأرضِ،وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ.[١٢٤٥]

هذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي. التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض،من عمل وكد ونشاط وكسب. وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر. وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى. وذكر اللّه لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش،والشعور باللّه فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة. ولكنه - مع هذا - لا بد من فترة للذكر الخالص،والانقطاع الكامل،والتجرد الممحض. كما توحي هاتان الآيتان.

وكَانَ عَرَّاكُ بْنُ مَالِك،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انصرف،فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ،فَقَالَ:"اللَّهُمَّ،أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ وَصَلَّيْتُ فَرِيضَتَكَ،وَانْتَشَرْتُ كَمَا أَمَرْتَنِي فَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ،وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ"(رواه ابن أبي حاتم)[١٢٤٦] .. وهذه الصورة تمثل لنا كيف كان يأخذ الأمر جدا،في بساطة تامة،فهو أمر للتنفيذ فور سماعه بحرفيته وبحقيقته كذلك![١٢٤٧]

الإكثار من قراءة القرآن وخصوصا سورة الكهف،وقد تقدم فضيلة قراءتها يوم الجمعة.

الإكثار من ذكر الله تعالى،وعموم العبادات الأخرى كالصلوات والصدقات والدعوة إلى الله،وجعل يوم الجمعة عملا يدخره في رصيده لحساب يوم الحساب.

عَنْ مُحَمَّدِ بن مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :"إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٌ،فَتَعَرَّضُوا لَهُ،لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا،فَلا تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا" رواه الطبراني[١٢٤٨] .

[١٢٤٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٦٥)

[١٢٤٥] - أخرجه ابن خُزيمة (١٨٧٨) والمسند الجامع - (٨ / ٢٩٦)(٥٧٠٤) حسن

[١٢٤٦] - تفسير ابن أبي حاتم - (١٢ / ٣١٣) بلا سند

[١٢٤٧] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٥٧٠)

[١٢٤٨] - المعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ١٢٥) (١٥٨٦١) والإتحاف ٢٨٠/٣ و٣٧/٩ والصحيحة (١٨٩٠) والدعاطب (٢٦و٢٧) صحيح لغيره

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " تَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ اللَّه فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ ؛ فَإِنَّ لِلَّـهِ نَفَحَـاتٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ فَلَنْ تَشْقُوا بَعْدَهَا أَبَدًا "[١٢٤٩]

ترقب الساعة المباركة التي أشار إليها النبي ﷺبأنها لا ترد فيها دعوة،وذلك بالانشغال يـوم الجمعـة بأصناف القربات،والتزود من التقوى والنوافل والأذكار والدعوات..

أَمَّا سَاعَةُ الْجُمُعَةِ فَقَال الشَّوْكَانِيُّ:تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ بِأَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لاَ يَسْأَل الْعَبْدُ فِيهَا رَبَّهُ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ..

وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُحَدِّثُونَ فِي تَعْيِينِ السَّاعَةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ قَوْلاً عَدَّدَهَا الشَّوْكَانِيُّ وَنُقِل عَنِ الْمُحِبِّ الطَّبَرِيِّ أَنَّهُ قَال:أَصَحُّ الأَْحَادِيثِ فِي تَعْيِينِهَا حَدِيثُ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّـهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺيَقُول فِي سَاعَةِ الْجُمُعَةِ:هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِْمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ[١٢٥٠]، وَاخْتَارَ ذَلِكَ النَّوَوِيُّ أَيْضًا[١٢٥١]

وقد قيل إنها مبهمة في جميع اليوم حكمة من الله تعالى ليعكف الداعي على مراقبتها ويجتهد في الدعاء في جميع اليوم كما قيل في ليلة القدر والصلاة الوسطى والاسم الأعظم وساعة الإجابة في الليل وهذا القول ضعيف لتعيين وقتها والتصريح به في الأحاديث المتقدمة والله أعلم[١٢٥٢]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه – ﷺ– ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ « فيه سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ،وَهْوَ قَائِمٌ يُصَلِّى،يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ».وَأَشَارَ بِيَدِه يُقَلِّلُهَا.رواه البخاري[١٢٥٣] .

يكره السفر يوم الجمعة إن استطاع تأجيله إلا لمضطر،حتى تقضي صلاة الجمعة.

فعن ابْنِ عُمَرَ أنه– رجلاً – وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ:" لَا تَرُحْ حَتَّى تُجَمِّـعَ ثُمَّ تُسَافِرَ إِنْ شِئْتَ "[١٢٥٤]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:" إِذَا أَدْرَكْتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا تَخْرُجْ حَتَّى تُصَلِّيَ الْجُمُعَةَ "[١٢٥٥]

[١٢٤٩] – الْكُنَى وَالْأَسْمَاءُ لِلدُّولَابِيِّ (١٣٤٧) صحيح لغيره

[١٢٥٠] – صحيح مسلم– المكتر – (٢٠١٢)

[١٢٥١] – الفتوحات الربانية ٣ / ١٣١ ، ٤ / ٢٢٨ و نيل الأوطار (٣ / ٢٥٧ – ٢٦١) و الموسوعة الفقهيـة الكويتيـة – (٣٩ / ٢٢٣)

[١٢٥٢] – سلاح المؤمن في الدعاء والذكر – (١ / ١٥٢) و فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٣ / ٣٨١٨) رقـم الفتـوى ١٦٧٨٦ ساعة الإجابة يوم الجمعة وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم – (١٤ / ٢٠٢) تحديد ساعة الإجابة يوم الجمعة

[١٢٥٣] – صحيح البخارى– المكتر – (٩٣٥)

[١٢٥٤] – الْأَوْسَطُ لِابْنِ الْمُنْذِرِ (١٦٩٤) ضعيف

[١٢٥٥] – الْأَوْسَطُ لِابْنِ الْمُنْذِرِ (١٦٩٥) صحيح

وعَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:أَبْصَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلاً عَلَيْهِ هَيْئَةُ السَّفَرِ فَسَمِعَهُ يَقُولُ:لَوْلاَ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ لَخَرَجْتُ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:اخْرُجْ فَإِنَّ الْجُمُعَةَ لاَ تَحْبِسُ عَنْ سَفَرٍ."[١٢٥٦]

وعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ،عَنْ أَبِيهِ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى رَجُلًا يُرِيدُ السَّفَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ،فَقَالَ عُمَرُ:" إِنَّ الصَّلَاةَ لَا تَحْبِسُ عَنْ سَفَرٍ " [١٢٥٧]

وَرَوَيَتْ أَخْبَارٌ عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ،وَمُجَاهِدٍ،وَغَيْرِهِمَا تَدُلُّ عَلَى كَرَاهِيَةِ الْخُرُوجِ فِي الْأَسْفَارِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ:قَلَّ مَا خَرَجَ رَجُلٌ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَّا رَأَى مَا يَكْرَهُ،فَلَوْ نَظَرْتَ كَذَلِكَ وَجَدْتَهُ كَذَلِكَ.وَكَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ:وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ السَّفَرَ لَمْ أُحِبَّ لَهُ فِي الِاخْتِيَارِ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْفَجْرِ،وَلَهُ أَنْ يُسَافِرَ قَبْلَ الْفَجْرِ،وَقَالَ:إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ فَلَا يُسَافِرْ أَحَدٌ حَتَّى يُصَلِّيَ الْجُمُعَةَ،وَسُئِلَ الْأَوْزَاعِيُّ،عَنْ مُسَافِرٍ سَمِعَ أَذَانَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ أَسْرَجَ دَابَّتَهُ وَحَمَلَ ثِقَلَهُ قَالَ:فَلْيَمْضِ،وَقِيلَ لِأَحْمَدَ:تُسَافِرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ:مَا يُعْجِبُنِي،وَكَذَلِكَ قَالَ إِسْحَاقُ فِي تِجَارَةٍ وَغَيْرِهَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ:لَا أَعْلَمُ خَبَرًا ثَابِتًا يَمْنَعُ مِنَ السَّفَرِ أَوَّلَ نَهَارِ الْجُمُعَةِ إِلَى أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ،وَيُنَادِيَ الْمُنَادِي،فَإِذَا نَادَى الْمُنَادِي وَجَبَ السَّعْيُ إِلَى الْجُمُعَةِ عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ،وَلَمْ يَسَعْهُ الْخُرُوجُ عَنْ فَرْضٍ لَزِمَهُ،فَلَوْ أَبْقَى الْخُرُوجَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلَى أَنْ يَمْضِيَ الْوَقْتُ كَانَ حَسَنًا،وَقَدْ رُوِّينَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺخَبَرًا يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ الْخُرُوجِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَا لَمْ يَحْضُرِ الْوَقْتُ " فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺوَجَّهَ عَبْدَ اللَّه بْنَ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيَّ،وَجَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِب،وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ،فَتَخَلَّفَ عَبْدُ اللَّه بْنُ رَوَاحَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: مَا خَلَّفَكَ ؟ قَالَ:الْجُمُعَةُ يَا رَسُولَ اللَّه،أُجَمِّعُ ثُمَّ أَرُوحُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّه أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،فَرَاحَ مُنْطَلِقًا " [١٢٥٨]

يكره إفراد يوم الجمعة بصوم النفل. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ - ﷺ- يَقُولُ « لاَ يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ،إِلاَّ يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ »[١٢٥٩] ..

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ: لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِ،وَلا تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ،إِلا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ.[١٢٦٠]

[١٢٥٦] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٣ / ١٨٧)(٥٨٦٢) صحيح

[١٢٥٧] – الْأَوْسَطُ لِابْنِ الْمُنْذِرِ (١٦٩٢) صحيح

[١٢٥٨] – المعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٨٠)(١١٩١٣) والْأَوْسَطُ لِابْنِ الْمُنْذِرِ (١٦٩٦) صحيح

[١٢٥٩] – صحيح البخارى- المكتر – (١٩٨٥)

[١٢٦٠] – مسند أبي عوانة (٢٣٤٦) صحيح

-٣٠-آداب العيدين

سمي العيد بهذا الاسم لعوده بالخير والغبطة والسرور على أهله بعد قيامهم بواجب دؤوب يتكرر كل مدة من الزمن،أو احتفالا بذكرى غالية على نفوسهم،أو حصولهم على غاية عزيزة على قلوبهم.

وللمسلمين عيدان أساسيان هما: عيد الفطر وعيد الأضحى،الأول بعد أداء فريضة الصوم في شهر رمضان ويكون يوم الفطر الأول من شوال يوم فرح وسعادة وحبور للصائمين إذ وفقهم الله لطاعته،ومنحهم شهادة التقوى بما قدموه من صيام وقيام،ومخالفة لشهوات النفس وحظوظها وأهوائها،فعَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّات،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تعالى: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِه،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ،لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ:إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِه،وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ بِصَوْمِه. متفق عليه[١٢٦١].

والثاني بعد أدء فريضة الحج،ويكون يوم النحر اليوم العاشر من ذي الحجة يوم احتفال وبهجة وسرور للحجاج بما أنعم الله عليهم من أداء النسك،وتلبية أمر الله،وإكرام الله لهم بالمغفرة والرضوان،وفتح صفحة نقية من صفحات العمر،ولكافة المسلمين فرحا بما يسر الله تعالى لحجاج بيته من أداء فريضتهم،وتذكرا لعهد التضحية والفداء بالروح والنفس والمال والولد طاعة لله وامتثالا لأمره،والذي كان بطله أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام: { رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) } [الصافات:١٠٠ - ١١١].

وَلَمَّا هَاجَرَ مِنْ أَرْضِه سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ ذُرِّيةً مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الذِينَ يُعِينُونَهُ عَلَى القِيَامِ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ وَيَتْولَّونَهَا بَعْدَهُ.فَبَشَّرَهُ اللهُ تَعَالَى بِمَولُودٍ لَهُ يَبْلُغُ الحُلُمَ،وَيَكُونُ حَلِيماً - وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى أَصَحِّ الأَقْوَالِ .فَلَمَّا كَبُرَ وَتَرَعْرَعَ،وَصَارَ يَذْهَبُ مَعَ أَبِيه،وَيَسْعَى فِي أَشْغَالِه،وَقَضَاءِ حَوَائِجِه قَالَ لَهُ أَبُوهُ:يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَمَا رَأْيُكَ؟ وَقَدْ قَصَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ لِيَعْلَمَ صَبْرَهُ،وَمَا يَرَاهُ فِيمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الابْتِلاَءِ،وَلِيوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى الذَّبْحِ اكْتِسَابا لِلمَثُوبَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى .

[١٢٦١] -صحيح البخارى- المكتز - (١٩٠٤) وصحيح مسلم- المكتز - (٢٧٦٣) وصحيح ابن حبان - (٨ / ٢١٠) (٣٤٢٣)

فَرَدَّ إِسْمَاعِيلُ عَلَى أَبِيهِ قَائِلاً:يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ،وَسَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الابْتِلاَءِ،وَعَلَى قَضَاءِ اللهِ .

فَلَمَّا اسْتَسْلَمَا وَانْقَادَا لأَمْرِ اللهِ،وَفَوَّضَا إِلَيْهِ سُبْحَانَه الأَمْرَ فِي قَضَائِه وَقَدَرِه،أَكَبَّ إِبْرَاهِيمُ ابنَهُ عَلَى جَبْهَتِه (تَلَّهُ لِلْجَبِينِ)،حَتَّى لاَ يَرَى وَجْهَهُ فَيُشْفِقَ عَلَيْه،وَيَضْعُفَ عَنْ إِنْفَاذِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى .وَعَلِمَ اللهُ تَعَالَى صِدْقَ إِبْرَاهِيمَ وَابْنِه فِي الاخْتِبَارِ،فَنَادَى اللهُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ ذَلِكَ.وَقَالَ:يَا إِبْرَاهِيمُ لَقَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا بِعَزْمِكَ عَلَى ذَبْحِ ابْنِكَ إِطَاعَةً لأَمْرِ رَبِّكَ،فَحَصَلَ المَقْصُودُ .وَهَكَذَا يَجْزِي اللهُ المُحْسِنِينَ المُطِيعِينَ،فَيَصْرِفُ عَنْهُمُ المَكَائِدَ والشَّدَائِدَ،وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ فَرَجاً وَمَخْرَجاً .

وَهَذَا الابْتِلاَءُ الذي ابْتَلَيْنَا بِه إِبْرَاهِيمَ وَابْنَهُ لَهُوَ الابْتِلاَءُ الذي أَبَانَ جَوْهَرَ إِيْمَانِهِمَا وَيَقِينِهِمَا بِرَبِّ العَالَمِينَ،إِذْ أَمَرَهُ رَبُّهُ بِذَبْحِ ابْنِه فَسَارَعَ هُوَ وابْنُهُ إِلَى ذَلِكَ مُسْتَسْلِمَيْنِ،خَاضِعَيْنِ مُنْقَادَيْنِ لأَمْرِ رَبِّهِمَا .

وَفَدَى اللهُ تَعَالَى إِسْمَاعِيلَ بِكَبْشٍ سَمِينٍ ضَخْمٍ قَامَ إِبْرَاهِيمُ بِذَبْحِه بَدَلاً مِنْ ذَبْحِ ابْنِه.وَتَرَكَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذِكْراً حَسَناً عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا،وَجَعَلَهُ مُحَبَّباً لِلنَّاسِ جَمِيعاً.وَقَالَ اللهُ تعالى: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ فِي المَلاَئِكَةِ وَالإِنْسِ والجِنِّ .وَيَجْزِي اللهُ تَعَالَى المُحْسِنِينَ الصَّابِرِينَ مِنْ عِبَادِه مِثْلَ هَذَا الجَزَاءِ الحَسَنِ .[١٢٦٢]

ولقد شرع النبي ﷺهذين العيدين لأمته،فعن أَنَسَ بْنِ مَالِك،قَالَ:قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺالْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ ؟ قَالُوا:كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا:يَوْمَ الْفِطْرِ،وَيَوْمَ النَّحْرِ." أحمد[١٢٦٣].

والعيد يوم شكر لله على ما أنعم من فضله،وما وفق من طاعته،ويوم راحة نفسية بعد أداء الفريضة،ويوم مكافأة إلهية كريمة ليعرف المسلم قدر ما قدم،وقيمة ما عمل،وتشجيعا له على متابعة أمر الله،والسير على منهجه حتى يلقى يوم عيده الأكبر بلقاء وجه ربه الكريم..

ولقد أباح الإسلام أيام العيد إظهار الفرح،والأخذ من الطيبات،والراحة والاستجمام من عناء العمل،وشيئا من اللهو المباح الذي يكون كإعادة شحن لقوى النفس،ومحطة لمواصلة الطريق على صراط الله المستقيم.

وللعيد آداب إسلامية على المسلم أن لا يتجاوزها،وأعرافا عليه ألا يتعداها،فيطلق للنفس العنان لتستبيح ما حرم الله،ولتفسد أياما قضاها في الطاعة والعبادة من أجل شهوة رخيصة،وهوى متبع. قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} (٣٣) سورة محمد.

[١٢٦٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٧٦٧)

[١٢٦٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٦٤٠) (١٣٦٢٢) ١٣٦٥٧– صحيح

يَأمُرُ اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ بإطاعَةِ اللهِ،وَإطَاعَةِ رَسُولِهِ فيما يأمُرانهمْ بِهِ،وَفيما يَنْهَيانهمْ عَنْهُ،وَيَنْهَاهُمْ عَنْ إبْطَالِ أَعْمَالِهِم الحَسَنة،بارتكَابِ المَعَاصِي،وَفِعْلِ الكَبَائِرِ والنِّفَاقِ،وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأعْمَالِ التي تُبْطِلُ الحَسَنَاتِ وَتُذْهِبُها [١٢٦٤].

ومن هذه الآداب نذكر ما يلي:

آداب عيد الفطر:

قيام ليلة العيد بأنواع العبادات والقربات،من ذكر لله وصلاة وتسبيح وقراءة للقرآن..

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَنْ قَامَ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ مُحْتَسِبًا لِلَّهِ،لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ[١٢٦٥].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ "" مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ الْفِطْرِ وَلَيْلَةَ الْأَضْحَى لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ " رواه الطبراني[١٢٦٦].

وفي الموسوعة الفقهية:" ويُنْدَبُ إِحْيَاءُ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ (الْفِطْرِ،وَالأَضْحَى) بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ "[١٢٦٧]

وفيها أيضاً:" اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّهُ يُنْدَبُ قِيَامُ لَيْلَتَيِ الْعِيدَيْنِ "[١٢٦٨]

[١٢٦٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٤٥٧)

[١٢٦٥] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٢ / ٦٥٨) (١٧٨٢) والإتحاف ٤١٠/٣ و٢٠٦/٥ حسن لغيره

وفي سنده بقية بن الوليد عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أبي أمامة :وأعله الألباني في الضعيفة به(٥٢١) وقال:بقية سيء التدليس ، فإنه يروي عن الكذابين عن الثقات ثم يسقطهم من بينه وبين الثقات ويدلس عنهم فلا يبعد أن يكون شيخه الذي أسقطه في هذا الحديث من أولئك الكذابين ... اهـ واعتبره موضوعاً .

أقول : من راجع ترجمة بقية في التهذيب وجد ما يلي الأكثر على توثيقه بقوة والثاني أنه ثقة وحجة فيما رواه عن أهل بلده وهذا ما أكده ابن عدي كذلك وهذا منها فهو يرويه عن شيخه ثور الحمصي فينبغي أن يقبل هذا الحديث وهو الذي لازمه مدة طويلة فلا حاجة لأن يدلس عنه وإنما يكون التدليس عن شيخ سمع منه شيئاً قليلاً .. راجع التهذيب ٤٧٣/١٠ - ٤٧٨

وقال ابن عدي بعد ترجمته المطولة : " إذا روى عن الشاميين فهو ثبت ، وإذا روى عن المجهولين فالعهدة منهم لامنه،وإذا روى عن غير الشاميين فربما وهم عليهم،وربما كان الوهم من الراوي عنه،وبقية صاحب حديث ، ومن علامة صاحب الحديث أنه يروي عن الكبار والصغار،ويروي عنه الكبار من الناس وهذه صورة بقية ا هـ ٧٢/٢ - ٨٠

فلله درك يا ابن عدي .

علماً أنّ إحياء أية ليلة مندوب إليه بشكل عام ،والإحياء يكون بالإكثار من الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن والاستماع لموعظة ونحو ذلك، ولا سيما إذا لاحظنا هذه الأيام كيف أنّ الكفار يحيون ليلي أعيادهم بالمعاصي والمنكرات ،فإذا خالفهم المسلمون وأحيوا ليلتي العيدين بطاعة الله تعالى كان خيراً لهم " موسوعة السنة النبوية - (٨ / ٤٧٩)(١٦٠٧١)

[١٢٦٦] - المعجم الأوسط للطبراني - (١٦٣) حسن لغيره

[١٢٦٧] - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢ / ٢٣٥) والمجموع ٤ / ٤٥ ، وشرح المنهاج ٢ / ١٢٧ ، وابن عابدين ١ / ٤٦٠ ، ومراقي الفلاح ص ٣١٨ ، وكشف المخدرات ص ٨٦ ، والبحر الرائق ٢ / ٢٥٦ ط الأولى بالمطبعة العلمية ، وحاشية الرهوني ١ / ١٨١ طبع بولاق ١٣٠٦ ، والمغني ١ / ١٥٩ والفقه الإسلامي وأدلته - (٢ / ٥٣٧)

[١٢٦٨] - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٤ / ١٢٣) ومراقي الفلاح بحاشية الطحطاوي ص٢١٨ ، وابن عابدين ١ / ٤٦٠ ، والمجموع ٤ / ٤٥ ، وشرح المنهاج ٢ / ١٧٢ ، الشرح الصغير ١ / ٥٢٧ ، وكشف المخدرات ص٨٦ .

وَيُسْتَحَبُّ إِحْيَاءُ لَيْلَتَيِ الْعِيدِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذِكْرٍ وَصَلاَةٍ وَتِلاَوَةٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَسْبِيحٍ وَاسْتِغْفَارٍ ..[١٢٦٩]

الاغتسال والسواك والتطيب والتزين ولبس أحسن الثياب وأجملها.

الإكثارمن التكبير عند الفجر.قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١٨٥) سورة البقرة.

شهر رمضان الذي ابتدأ الله فيه إنزال القرآن في ليلة القدر؛ هداية للناس إلى الحق،فيه أوضح الدلائل على هدى الله،وعلى الفارق بين الحق والباطل. فمن حضر منكم الشهر وكان صحيحًا مقيمًا فليصم نهاره. ويُرخَّص للمريض والمسافر في الفطر،ثم يقضيان عدد تلك الأيام. يريد الله تعالى بكم اليسر والسهولة في شرائعه،ولا يريد بكم العسر والمشقة،ولتكملوا عدة الصيام شهرًا،ولتختموا الصيام بتكبير الله في عيد الفطر،ولتعظموه على هدايته لكم،ولكي تشكروا له على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق والتيسير.[١٢٧٠]

إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة،وينبغي التكبير في إخراجها احتياطا،ويجوز أول رمضان.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِىَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِىَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ." رواه أبو داود[١٢٧١].

حِكْمَةُ مَشْرُوعِيَّةِ زَكَاةِ الْفِطْرِ الرِّفْقُ بِالْفُقَرَاءِ بِإِغْنَائِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ،وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ فِي يَوْمٍ يُسَرُّ الْمُسْلِمُونَ بِقُدُومِ الْعِيدِ عَلَيْهِمْ،وَتَطْهِيرُ مَنْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ شَهْرِ الصَّوْمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ[١٢٧٢]

[١٢٦٩] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٣١ / ١١٥) والفقه على المذاهب الأربعة – (١ / ٥٢٩)

[١٢٧٠] – التفسير الميسر – (١ / ١٩٩)

[١٢٧١] – سنن أبي داود – المكتز – (١٦١١) صحيح

الرفث : الفحش من الكلام أو الجماع وقيل هو اسم لكل ما يريده الرجل من المرأة

[١٢٧٢] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٣ / ٣٣٦)

ذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّهُ لاَ يَجُوزُ دَفْعُ الْقِيمَةِ ، لأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ بِذَلِكَ ، وَلأَنَّ الْقِيمَةَ فِي حُقُوقِ النَّاسِ لاَ تَجُوزُ إِلاَّ عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمْ ، وَلَيْسَ لِصَدَقَةِ الْفِطْرِ مَالِكٌ مُعَيَّنٌ حَتَّى يَجُوزَ رِضَاهُ أَوْ إِبْرَاؤُهُ .

وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ دَفْعُ الْقِيمَةِ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ ، بَل هُوَ أَوْلَى لِيَتَيَسَّرَ لِلْفَقِيرِ أَنْ يَشْتَرِيَ أَيَّ شَيْءٍ يُرِيدُهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ ؛ لأَنَّهُ قَدْ لاَ يَكُونُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحُبُوبِ بَل هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَلاَبِسَ ، أَوْ لَحْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِعْطَاؤُهُ الْحُبُوبَ ، يَضْطَرُّهُ إِلَى أَنْ يَطُوفَ بِالشَّوَارِعِ لِيَجِدَ مَنْ يَشْتَرِي مِنْهُ الْحُبُوبَ ، وَقَدْ يَبِيعُهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ أَقَل مِنْ قِيمَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ ، هَذَا كُلُّهُ فِي حَالَةِ الْيُسْرِ ، وَوُجُودِ

الإكثار من الصدقات والمبرات،وجبر خواطر الفقراء واليتامى والأرامل والمساكين.

إظهار البشاشة والفرح والسرور،الفرح بطاعة الله،والبشاشة في وجوه المؤمنين.

التبكير في التوجه إلى صلاة العيد في المسجد،ويستحب الذهاب إليه ماشيا من طريق،والعودة اليه ماشيا من طريق آخر ليشهد له الطريقان ومن فيهما من ملائكة الله التي تملأ الطرقات في هذا اليوم الكريم.

عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ قَالَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِيًا وَأَنْ تَأْكُلَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ."[١٢٧٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ،إِذَا خَرَجَ إِلَى الْعِيدَيْنِ رَجَعَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ." ابن حبان[١٢٧٤]

تناول شيئا من الطعام قبل الذهاب إلى صلاة الفطر ويستحب أن يكون حلوا كالتمر.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ .وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا.رواه البخاري[١٢٧٥].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُفْطِرُ عَلَى تَمَرَاتٍ،ثُمَّ يَغْدُو." ابن حبان[١٢٧٦]

وعن عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَنَسٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،يَقُولُ:مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،يَوْمَ فِطْرٍ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ ثَلاَثًا،أَوْ خَمْسًا،أَوْ سَبْعًا." ابن حبان[١٢٧٧]

شهود صلاة عيد الفطر،للرجال والنساء،ويستحب تأخيرها لأجل إخراج صدقة الفطر لمن لم يخرجها،وحضور خطبة العيد والإستماع إلى توجيهاتها ووصاياها.

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ،قَالَتْ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،يُخْرِجُ الْعَوَاتِقَ،وَذَوَاتِ الْخُدُورِ،وَالْحُيَّضَ يَوْمَ الْعِيدِ،فَأَمَّا الْحُيَّضُ،فَيَعْتَزِلْنَ الْمُصَلَّى،وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ،فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ:فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِإِحْدَانَا جِلْبَابٌ ؟ قَالَ:لِتُعِرْهَا جِلْبَابِهَا." ابن حبان[١٢٧٨]

الْحُبُوب بِكَثْرَةٍ فِي الأَسْوَاقِ ، أَمَّا فِي حَالَةِ الشِّدَّةِ وَقِلَّةِ الْحُبُوبِ فِي الأَسْوَاقِ ، فَدَفْعُ الْعَيْنِ أَوْلَى مِنَ الْقِيمَةِ مُرَاعَاةً لِمَصْلَحَةِ الْفَقِيرِ."الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٣ / ٣٤٤)

[١٢٧٣] - سنن الترمذى- المكتر - (٥٣٣) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ إِلَى الْعِيدِ مَاشِيًا وَأَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ لِصَلاَةِ الْفِطْرِ. قَالَ أَبُو عِيسَى وَيُسْتَحَبُّ أَنْ لاَ يَرْكَبَ إِلاَّ مِنْ عُذْرٍ.

[١٢٧٤] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٥٥) (٢٨١٥) صحيح

[١٢٧٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٩٥٣)

[١٢٧٦] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٥٣) (٢٨١٣) صحيح

[١٢٧٧] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٥٤) (٢٨١٤) صحيح

[١٢٧٨] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٥٧) (٢٨١٧) صحيح

وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ،قَالَتْ:أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺأَنْ نُخْرِجَهُنَّ يَوْمَ الْفِطْرِ،وَيَوْمَ الأَضْحَى،- يَعْنِي:أَبْكَارَ الْعَوَاتِقِ،وَذَوَاتِ الْخُدُورِ،وَالْحُيَّضَ -،فَقُلْتُ:أَرَأَيْتَ إِحْدَاهُنَّ لاَ يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ ؟ قَالَ:فَتُلْبِسُهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا." ابن حبان[١٢٧٩]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ،قَالَ:سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ،وَقِيلَ لَهُ:أَشَهِدْتَ الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺيَوْمَ الْعِيدِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،وَلَوْلاَ مَكَانِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ مَعَهُ مِنَ الصِّغَرِ،خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ،فَصَلَّى،ثُمَّ خَطَبَ،ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ،فَوَعَظَهُنَّ،وَذَكَّرَهُنَّ،وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ،فَرَأَيْتُهُنَّ يَرْمِينَ بِأَيْدِيهِنَّ،وَيَقْذِفْنَهُ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ،ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَبِلاَلٌ إِلَى بَيْتِهِ.[١٢٨٠]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ- أَوْ قَالَ عَطَاءٌ،أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ -،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺخَرَجَ يَوْمَ فِطْرٍ فِي أَصْحَابِهِ،فَصَلَّى،ثُمَّ خَطَبَ،ثُمَّ أَتَى النِّسَاءَ فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ،فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ.[١٢٨١]

استحباب قراءة بعض السور في العيدين،فعَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ:مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقْرَأُ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى ؟ قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَقْرَأُ بِ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ،وَاقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ.[١٢٨٢]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ:بِ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى،وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ.[١٢٨٣]

وعَنْ حَبِيبِ بْنِ سَالِمٍ،مَوْلَى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَقْرَأُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الْجُمُعَةِ بِ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى،وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ،فَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ،قَرَأَ بِهِمَا جَمِيعًا فِي الْجُمُعَةِ وَالْعِيدِ.[١٢٨٤]

السلام على الأهل والإخوة والأصدقاء والجيران والمعارف وجميع المسلمين بعد الصلاة،قائلا: تقبل الله طاعتكم،وكل عام وأنتم بخير.[١٢٨٥]

زيارة الأرحام،والعلماء،والأصدقاء بحسب آداب الزيارة.

زيادة الطاعات،والإكثار من أعمال البر والخير،وتجنب المعاصي والذنوب،والملاهي المحرمة،التي تقسي القلب وتصد عن ذكر الله وتلهي عن الصلاة.قال الله تعالى:{ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)} الحج.

[١٢٧٩] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٥٦) (٢٨١٦) صحيح

[١٢٨٠] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٦٣) (٢٨٢٣) صحيح

[١٢٨١] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٦٤) (٢٨٢٤) صحيح

[١٢٨٢] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٦٠) (٢٨٢٠) صحيح

[١٢٨٣] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٦١) (٢٨٢١) صحيح

[١٢٨٤] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٦٢) (٢٨٢٢) صحيح

[١٢٨٥] – فتاوى واستشارات الإسلام اليوم – (٦ / ١٩٨) –شعائر العيد

آداب عيد الأضحى:

أداب عيد الأضحى هي نفس آداب عيد الفطر إلا في الملاحظات التالية:

التكبير بعد الصلوات الخمس من فجر يوم عرفة وحتى عصر اليوم الثالث من أيام التشريق.

قال تعالى:{ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ} الحج ٢٨.

لأن كل أعمال الحج مصحوبة بذكر الله وتلبيته،فَمَا من عمل يُؤدِّيه الحاجّ إلا ويقول: لبيك اللهم لبيك. وتظل التلبية شاغله ودَيْدنه إلى أنْ يرمي جمرة العقبة،ومعنى " لبيك اللهم لبيك " أن مشاغل الدنيا تطلبني،وأنت طلبتني لأداء فَرْضك عليَّ،فأنا أُلبِّيك أنت أولاً؛ لأنك خالقي وخالق كل ما يشغلني ويأخذني منك.والأيام المعلومات هي: أيام التشريق.[١٢٨٦]

وقال:{ وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} البقرة ٢٠٣.

الأَيَّامُ المَعْدُودَاتُ هِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ (يَوْمُ النَّحْرِ وَثَلاَثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَهُ - وَهِيَ أَيَّامُ رَمْيِ الجِمَارِ) فَكَبِّرُوا اللهَ بَعْدَ صَلَوَاتِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ[١٢٨٧]

تعجيل صلاة عيد الأضحى من أجل ذبح الأضاحي كما ورد في الحديث. فعن يَزِيدَ بْنَ خُمَيْرٍ الرَّحَبِيِّ قَالَ:خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُسْرٍ صَاحِبُ النَّبِيِّ -ﷺ- مَعَ النَّاسِ يَوْمَ عِيدِ فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى فَأَنْكَرَ إِبْطَاءَ الإِمَامِ وَقَالَ:إِنَّا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- قَدْ فَرَغْنَا سَاعَتَنَا هَذِهِ وَذَلِكَ حِينَ التَّسْبِيحِ.[١٢٨٨]

وعَنِ الْبَرَاءِ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ سَارِيَةِ الْمَسْجِدِ،فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَوْضِعِهَا،قَالَ:خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺفَقَالَ:إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ،ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ،فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا،وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لأَهْلِهِ،لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ،قَالَ:وَذَبَحَ خَالِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي ذَبَحْتُ،وَعِنْدِي جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ،قَالَ:اجْعَلْهَا مَكَانَهَا،وَلاَ تُجْزِئُ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ."[١٢٨٩]

وعن أَبِي الْحُوَيْرِثِ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَهُوَ بِنَجْرَانَ :« عَجِّلِ الأَضْحَى وَأَخِّرِ الْفِطْرَ وَذَكِّرِ النَّاسَ ».. أخرجه الشافعي[١٢٩٠].

وعن الشَّافِعِيِّ أَخْبَرَنَا الثِّقَةُ أَنَّ الْحَسَنَ كَانَ يَقُولُ:إِنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- كَانَ يَغْدُو إِلَى الأَضْحَى وَالْفِطْرِ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فَتَتَامُّ طُلُوعُهَا.[١٢٩١]

[١٢٨٦] - تفسير الشعراوي - (/ ٢٦٠٥)

[١٢٨٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٠)

[١٢٨٨] - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ٢٨٢) (٦٣٦٨) وسنن أبي داود - المكتر - (١١٣٧) صحيح

[١٢٨٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٩٦٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٥١٨٥) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٢٨)(٥٩٠٧)

الجَذعة : ما استكمل سنة و لم يدخل فى الثانية

[١٢٩٠] - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ٢٨٢)(٦٣٦٩) وقال : هَذَا مُرْسَلٌ وَقَدْ طَلَبْتُهُ فِى سَائِرِ الرِّوَايَاتِ بِكِتَابِهِ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَلَمْ أَجِدْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.قلت : وفيه إبراهيم بن أبي يحيى متروك

عدم تناول الطعام قبل أداء صلاة الأضحى. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيه،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،كَانَ لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ،وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ النَّحْرِ حَتَّى يَنْحَرَ." ابن حبان[١٢٩٢]

الحث على الأضحية للمستطيع،ويرجع في شروطها إلى كتب الفقه. ويسن أن لا يحلق صاحبها ولا يأخذ من اظفاره من بداية ذي الحجة حتى يذبح.فعن سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ قال: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺتَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الْحِجَّةِ،فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ " رواه مسلم[١٢٩٣].

توزيع الأضحية ثلث لنفسه وعياله،وثلث لأرحامه وأقاربه وأصدقائه،وثلث للفقراء والمساكين.

قال تعالى:{ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} الكوثر.

إنا أعطيناك -أيها النبي- الخير الكثير في الدنيا والآخرة،ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة الذي حافتاه خيام اللؤلؤ المجوَّف،وطينه المسك.فأخلص لربك صلاتك كلها،واذبح ذبيحتك له وعلى اسمه وحده.إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور،هو المنقطع أثره،المقطوع من كل خير.[١٢٩٤]

عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ خَرَجَ النَّبِىُّ - ﷺ- يَوْمَ أَضْحًى إِلَى الْبَقِيعِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ،ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَقَالَ « إِنَّ أَوَّلَ نُسُكِنَا فِى يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نَبْدَأَ بِالصَّلاَةِ،ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ،فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَافَقَ سُنَّتَنَا،وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ شَىْءٌ عَجَّلَهُ لأَهْلِهِ،لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِى شَىْءٍ ».فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،إِنِّى ذَبَحْتُ وَعِنْدِى جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ.قَالَ « اذْبَحْهَا،وَلاَ تَفِى عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ » رواه البخاري[١٢٩٥].

وفي الموسوعة الفقهية:" ذَهَبَ الْفُقَهَاءُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ مَسْنُونَاتِ الأُضْحِيَّةِ أَنْ يَأْكُلَ الْمُضَحِّي مِنْ لَحْمِ أُضْحِيَّتِهِ وَيُطْعِمَ وَيَدَّخِرَ،وَالأَفْضَلِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِالثُّلُثِ وَيَتَّخِذَ الثُّلُثَ ضِيَافَةً لأَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَيَدَّخِرَ الثُّلُثَ ."[١٢٩٦]

وفيها أيضاً:" وَالأَفْضَلِ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِالثُّلُثِ،وَيَتَّخِذَ الثُّلُثَ ضِيَافَةً لأَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ،وَيَدَّخِرَ الثُّلُثَ،وَلَهُ أَنْ يَهَبَ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ،وَقَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صِفَةِ أُضْحِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺقَال:" وَيُطْعِمُ أَهْلَ بَيْتِهِ الثُّلُثَ،وَيُطْعِمُ فُقَرَاءَ جِيرَانِهِ الثُّلُثَ،وَيَتَصَدَّقُ عَلَى السُّؤَالِ بِالثُّلُثِ " .[١٢٩٧]

[١٢٩١] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٣ / ٢٨٢) (٦٣٧٠) وَهَذَا أَيْضًا مُرْسَلٌ وَشَاهِدُهُ عَمَلُ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ أَوْ بِمَا يَقْرُبُ مِنْهُ مُؤَخَّرًا عَنْهُ.قلت : وفيه مع إرساله جهالة

[١٢٩٢] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٥٢) (٢٨١٢) صحيح

[١٢٩٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٢٣٦)

[١٢٩٤] – التفسير الميسر – (١١ / ٧٨)

[١٢٩٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٩٧٦) -الجَذعة : ما استكمل سنة و لم يدخل فى الثانية

[١٢٩٦] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٣٥ / ٢١٠)

[١٢٩٧] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٥ / ١٠٢) والمغني (١١ / ١٠٩ ط المنار)

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ خَالَهُ أَبَا بُرْدَةَ بْنَ نِيَارٍ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يَذْبَحَ النَّبِىُّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا يَوْمٌ اللَّحْمُ فِيهِ مَكْرُوهٌ وَإِنِّى عَجَّلْتُ نَسِيكَتِى لأُطْعِمَ أَهْلِى وَجِيرَانِى وَأَهْلَ دَارِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَعِدْ نُسُكًا ». فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِى عَنَاقَ لَبَنٍ هِىَ خَيْرٌ مِنْ شَاتَىْ لَحْمٍ. فَقَالَ « هِىَ خَيْرُ نَسِيكَتَيْكَ وَلاَ تَجْزِى جَذَعَةٌ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ ».[١٢٩٨]

ويجوز الادخار من لحم الأضحية،فعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺنَتَزَوَّدُ لَحْمَ الأَضْحَى إِلَى الْمَدِينَةِ."[١٢٩٩]

وعن ثَوْبَانَ،قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَصْلِحْ لَحْمَ هَذِهِ الْأُضْحِيَّةِ،فَأَصْلَحْتُهُ،فَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى بَلَغَ الْمَدِينَةَ.[١٣٠٠]

وعَنْ يَزِيدَ،مَوْلَى سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ،أَنَّ امْرَأَتَهُ أُمَّ سُلَيْمٍ،سَأَلَتْ عَائِشَةَ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ فَقَالَتْ:قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ غَزْوَةٍ،فَدَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ،فَقَرَّبْتُ لَهُ لَحْمًا مِنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ،فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ،حَتَّى سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كُلْهُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ،إِلَى ذِي الْحِجَّةِ.[١٣٠١]

وعَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ ». رواه مسلم [١٣٠٢].

صيغة التكبير: الله أكبر الله أكبر لا اله إلا الله،الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:يُكَبِّرُ مِنْ غَدَاةِ عَرَفَةَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّفْرِ لاَ يُكَبِّرُ فِى الْمَغْرِبِ:اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى مَا هَدَانَا."[١٣٠٣]

[١٢٩٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٥١٨٢)

الجَذعة : ما استكمل سنة و لم يدخل فى الثانية –العناق : الأنثى من ولد المعز أتى عليها أربعة أشهر

[١٢٩٩] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٢٥٤) (٥٩٣١) صحيح

[١٣٠٠] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٢٥٥) (٥٩٣٢) صحيح

[١٣٠١] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٢٥٦) (٥٩٣٣) صحيح

[١٣٠٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٢٧٣٣)

[١٣٠٣] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٣ / ٣١٥) (٦٥٠٤) صحيح

وانظر : تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام – (١ / ٢٣١) والموسوعة الفقهية الكويتية – (١٣ / ٢١٥) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب – (١ / ٣٦١٤) سؤال رقم ٣٦٦٢٧- التكبير المطلق والمقيد (فضله ووقته وصفته) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب – (١ / ٤٨٢١) سؤال رقم ٤٩٠١٤- أحكام العيد والسنن التي فيه وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٣ / ٤٩٧٩) رقم الفتوى ١٨٤٣٥ يكبر الناس في العيد فرادى وجماعات والأذكار للنووي – (١ / ١٩٦)

-٣١-آداب الصيام

الصيام ركن من أركان الإسلام،وهو عبادة قديمة قدم الرسالات السماوية،لما فيه من فوائد روحية ونفسية وصحية،ولما فيه من خير عميم،وفصل كريم،على الفرد والمجتمع.. وقد كتب الله سبحانه الصيام على الأمم السابقة،ثم بلغ به مرتبة الكمال بفرضه على الأمم المحمدية سالكا بهم درجة الإرتقاء في منازل الإيمان والتقوى..قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)} البقرة.

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّوْمِ تَهْذِيباً لِنُفُوسِهِمْ،وَقَالَ تعالى: إِنَّهُ أَوْجَبَ الصَّوْمَ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ،لِذلِكَ فَإِنَّهُ يُوجِبُهُ عَلَى الْمُسلِمِينَ،وَقَدْ فَرَضَ اللهُ الصَّوْمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُعِدَّهُمْ لِتَقْوَى اللهِ،بِتَرْكِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ الْمَيْسُورَةِ امتِثالاً لأَمْرِهِ،وَاحتِسَاباً لِلأَجْرِ عِنْدَهُ،فَتُرَبَّى بِذلِكَ العَزِيمَةُ وَالإِرَادَةُ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ .[١٣٠٤]

وقد ارتبطت فرضية الصيام بزمن معين وهو شهر رمضان المبارك،وأبرز ما في شهر رمضان من أحداث خالدة تنزل القرآن الكريم،الدستور الإلهي الخالد،الهادي من الضلال،والعاصم من الانحراف،والمنجي من الزيغ،والنور التام في الظلمة،والسعادة الكاملة للبشرية في هذه الدنيا ويوم القيامة،وتنزل القرآن الكريم في القلوب الواعية،والأفهام الناضجة ونقله من الصحائف والسطور،إلى العقول والصدور،ثم إلى الامتثال والسلوك،يحتاج إلى تدريب وتأهيل،والصيام وسيلة من وسائل هذا التدريب والتأهيل. قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١٨٥) سورة البقرة.

وكلُّ العبادات المفروضة عبارة عن عمل معيّن،وله ثواب معين،إلا عبادة الصيام،فهي ليست بعمل وإنما هي ترك العمل،ولذلك فقد اقترن ثوابه بالعطاء الإلهي المباشر. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ،إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِى،وَأَنَا أَجْزِى بِهِ،وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ »[١٣٠٥].

وعَنْ أَبِى صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– « قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ،فَإِنَّهُ لِى،وَأَنَا أَجْزِى به.وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ،وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ،فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ،فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ،أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ.وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ

[١٣٠٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٩٠)

[١٣٠٥] – صحيح البخارى– المكتز – (٥٩٢٧)

لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ،لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ،وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » متفق عليه [١٣٠٦]

وإذا كان الصيام ترك لأعمال مباحة،وهي المفطرات،فالأولى ترك الأعمال المكروهة أو المحرمة كاللغو والرفث والهزل والكذب والغيبة والنميمة والفطر إلى المحرمات وسماع المعازف والقينات وصرف الوقت في الملاهي والمنكرات. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ،فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. رواه البخاري[١٣٠٧]

والصيام رحلة روحية مباركة،ومدرسة صحية مثلى،تعين الجسم على التخلص من سمومه وفضلاته،وتعلمه الحمية الصحية،والتوازن الغذائي الأفضل إلى جانب الفوائد الأخلاقية والروحية كالتعود على الصبر والاحتمال،ومخالفة النفس،وكسر الشهوة،واحترام النظام،والتزام الجماعة،والإحسان إلى الفقراء،ومواساة المساكين،وتقدير النعمة،والتخلص من البطر،وصفاء القلب،وتطهير الروح،والانشغال بلذة العبادة،والتزود من ذكر الله تعالى والاعتكاف وتلاوة القرآن الكريم..

إنه وصية رسول الله ﷺ،دواء مزيد،وشفاء أكيد،ووصفة نبوية ليس لها نظير. فعَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ. قَالَ « عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ ».[١٣٠٨]

[١٣٠٦] – صحيح البخارى- المكتز – (١٩٠٤) وصحيح مسلم- المكتز – (٢٧٦٢)

ولخلوف : خلف فم والصائم يخل خلوفا : إذا تغيرت ريحه من ترك الأكل والشرب ، والخلفة منه.

يرفث : الرفث : كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة ، وقيل : والتصريح بذكر الجماع ، وهو الحرام في الحج على المحرم ، فأما الرفث في الكلام إذا لم يخاطب به امرأة ،فلا يحرم عليه ، ولكن يستحب له تركه.

يصخب : الصخب : الضجة والجلبة.–

الصوم لي وأنا أجزي به : إنما خص الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل وإن كانت العبادات كلها له ، وجزاؤها منه ، لأن جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله عز وجل ، من صلاة ، وحج ،وصدقة، وأتبتل واعتكاف ودعاء وقربان وهدي ، وغير ذلك من أنواع العبادات ،قد عبد المشركون بها آلهتهم ، وكانوا يتخذونه من دون الله ندادا ، ولم يسمع أن طائفة من طوائف المشركين وفي الأزمان المتقادمة عبدت آلهتها بالصوم ، ولاتقربت إليها به ، ولا دانتها به ، ولا عرف الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع ، فذلك قال الله عز وجل : «الصوم لي» أي : لم يشاركني فيه أحد ، ولا عبد به غيري ، فأنا حينئذ أجزي به على قدر اختصاصه بي ، وأنا أتولى الجزاء عليه بنفسي ، لا أكله إلى أحد (غيري) من ملك مقرب أو غيره ، وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث وجوها من التأويل ، لاتدابي هذا القول ولا تقاربة ،إذ ما من قول منها رإلا وباقي العبادات تشاركه فيه وهذا القول أخبرني به الأمير مجاهد الدين أبو منصور قايماز بن عبد الله – أدام الله سعادته – وذكر أنه مما وقع له ابتكارا ،ولم يسمعه من أحد ، ولا وقف عليه في كتاب ، ولم أسمعه أنا من غيره ،ولقد أصاب فيما وقع له وأحسن ، وفقه الله بعرفانه.جامع الأصول في أحاديث الرسول – (٩ / ٤٥٣)

[١٣٠٧] – صحيح البخارى- المكتز – (١٩٠٣) وصحيح ابن حبان – (٨ / ٢٥٧) (٣٤٨٠)

[١٣٠٨] – سنن النسائي- المكتز – (٢٢٣٣) صحيح

وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ:بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّه -ﷺ- فِى سَرِيَّةٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ. ثُمَّ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه مُرْنِى بِأَمْرٍ يَنْفَعُنِى اللَّهُ بِه. قَالَ :« عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ ». قَالَ فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لاَ يُلْقَى إِلاَّ صَائِمًا هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَخَادِمُهُ،فَإِذَا رُئِىَ فِى دَارِهِ دُخَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ:اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ،ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّكَ أَمَرْتَنِى بِأَمْرٍ أَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ اللَّهُ لِى فِيهِ. فَمُرْنِى بِأَمْرٍ قَالَ :« اعْلَمْ أَنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ كَتَبَ لَكَ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حَطَّ عَنْكَ بِهَا سَيِّئَةً »[١٣٠٩].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ:أَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺجَيْشًا،فَأَتَيْتُهُ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ،قَالَ:اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ،فَغَزَوْنَا فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا،حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،قَالَ:ثُمَّ أَتَيْتُهُ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي أَتَيْتُكَ تَتْرَى ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ لِي بِالشَّهَادَةِ،فَقُلْتَ:اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ اللهِ،فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ،فَقَالَ:عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ،قَالَ:فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لاَ يُرَى فِي بَيْتِهِ الدُّخَانُ نَهَارًا إِلاَّ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ،فَإِذَا رَأَوَا الدُّخَانَ نَهَارًا عَرَفُوا أَنَّهُ قَد اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ."[١٣١٠]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ عِدْلَ لَهُ."[١٣١١]

وعَنْ أَبِي فَاطِمَةَ،قَالَ:قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ،أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ قَالَ:عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً. "[١٣١٢]

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ،أَنَّ أَبَا فَاطِمَةَ،حَدَّثَهُ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ،أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالصَّلاَةِ،فَإِنَّهَا لاَ مِثْلَ لَهَا قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ،فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ،فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ،قَالَ:عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً،وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً."[١٣١٣]

[١٣٠٩] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٤ / ٣٠١) (٨٧٤٣) صحيح

[١٣١٠] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٢١٢) (٣٤٢٥) صحيح

[١٣١١] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٢١٣) (٣٤٢٦) صحيح

[١٣١٢] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (١ / ١٢٦) (١٩٨) صحيح

[١٣١٣] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (٤ / ٣٥٢) (٣٥٣٢) حسن

وعَنْ سَعِيد بْنِ أَبِي هِنْد،أَنَّ مُطَرِّفًا مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ حَدَّثَهُ:أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ دَعَا بِلَبَنٍ لِيَسْقِيَهُ،فَقَالَ مُطَرِّفٌ:إِنِّي صَائِمٌ،فَقَالَ عُثْمَانُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:الصِّيَامُ جُنَّةٌ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ،وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:صِيَامٌ حَسَنٌ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ.[١٣١٤]

وهذه جملة من آداب الصيام:

إذا رأى المسلم هلال رمضان يدعو عند رؤيته بدعاء الرسول ﷺ،فعَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا رَأَى الْهِلاَلَ،قَالَ:اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالإِيمَانِ،وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ،رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.[١٣١٥]

وعَنْ قَتَادَةَ،أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا رَأَى الْهِلاَلَ،قَالَ:هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ،هِلاَلُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ،هِلاَلُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ،آمَنْت بِالَّذِي خَلَقَك ثَلاَثًا،الْحَمْدُ لِلَّهِ ذَهَبَ هِلاَلِ كَذَا وَكَذَا،وَجَاءَ بِهِلاَلِ كَذَا وَكَذَا.[١٣١٦]

وكَانَ الْحَسَنَ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْهِلاَلَ:اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ شَهْرَ بَرَكَةٍ وَنُورٍ وَأَجْرٍ وَمُعَافَاةٍ اللَّهُمَّ إِنَّك قَاسِمٌ بَيْنَ عِبَادٍ مِنْ عِبَادِكَ فِيهِ خَيْرًا فَاقْسِمْ لَنَا فِيهِ مِنْ خَيْرِ مَا تَقْسِمُ لِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ. "[١٣١٧]

الاستعداد للصوم بتبيت النية. فعَنْ حَفْصَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ ».[١٣١٨].

وعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ :« مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَلاَ صِيَامَ لَهُ ».[١٣١٩]

والنية فرض وتكون ليلا لكل يوم من رمضان والنذر والقضاء والكفارة وأكملها أن ينوي صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم.

ابتغاء وجه الله تعالى والإخلاص له في الصوم،وطلب مغفرته ورضوانه.قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) سورة البينة.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا يَصُومُ عَبْدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ وَجْهَهُ سَبْعِينَ خَرِيفًا مِنَ النَّارِ ."[١٣٢٠]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَصُومُ عَبْدٌ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلاَّ بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا.[١٣٢١]

[١٣١٤] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٤١١) (٣٦٤٩) صحيح

[١٣١٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٤٤٥)(١٣٩٧) حسن لغيره

[١٣١٦] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٣٥٨) (٣٠٣٦٨) صحيح مرسل

[١٣١٧] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٥ / ٣٥٨) (٣٠٣٦٩) صحيح مقطوع

[١٣١٨] – سنن النسائي- المكتر – (٢٣٤٦) صحيح – يُبَيِّت التَّبْيِيتُ : أن ينوي الصيام من الليل.

[١٣١٩] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٤ / ٢٠٣) (٨١٦٦) صحيح

[١٣٢٠] – مسند أبي عوانة (٢٢٥٩) صحيح

الخَرِيف : الزَّمَانُ المَعْرُوفُ من فصول السَّنَة ما بين الصَّيف والشتاء ويطلق على العام كله

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ – رضى الله عنه – قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ – ﷺ- يَقُولُ « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا »[١٣٢٢].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ مائَة عَامٍ.[١٣٢٣]

وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ،وَمَنْ صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيرَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ "[١٣٢٤]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَجْمَعُ اللَّهُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانَ جَهَنَّمَ،وَمَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ،حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ،وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ،بَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ النَّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْتَعْجِلِ،وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللهِ،خَتَمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ،لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،لَوْنُهَا مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ،وَرِيحُهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ،يَعْرِفُهُ بِهَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ،يَقُولُونَ:فُلاَنٌ عَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ،وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ."[١٣٢٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا،غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ."[١٣٢٦].

وعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ- قَالَ « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ».[١٣٢٧]

التقوي على الصوم بالقيام إلى السحور. فعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَسَحَّرُوا،فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةٌ. رواه البخاري ومسلم[١٣٢٨].

[١٣٢١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٦٩)(١١٢١٠) ١١٢٢٨– صحيح

[١٣٢٢] – وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ – رضى الله عنه – قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ – ﷺ – يَقُولُ « مَنْ صَامَ يَوْمًا فِى سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » .

[١٣٢٣] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (١ / ١٧١) (٢٩٠) صحيح لغيره

[١٣٢٤] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (١ / ٢٨١) (٤٩٠) صحيح لغيره

[١٣٢٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٨٨٥)(٢٧٥٠٣) ٢٨٠٥٢– فيه انقطاع

[١٣٢٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٨) وصحيح ابن حبان – (٨ / ٢١٩) (٣٤٣٢)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : إِيمَانًا ، يُرِيدُ بِهِ : إِيمَانًا بِفَرْضِهِ ، وَاحْتِسَابًا يُرِيدُ بِهِ : مُخْلِصًا فِيهِ.

[١٣٢٧] – صحيح مسلم– المكتر – (١٨١٧)

[١٣٢٨] – صحيح البخارى– المكتر – (١٩٢٣) وصحيح مسلم– المكتر – (٢٦٠٣)

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " عَلَيْكُمْ بِهَذَا السُّحُورِ،فَإِنَّمَا هُوَ الْغَدَاءُ الْمُبَارَكُ "[١٣٢٩].وسبب البركة: أنه يقوي الصائم،وينشطه،ويهون عليه الصيام.

ويستحب تأخير السحور ليزود الصائم بالطاقة والحيوية والنشاط.

فعَنْ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ - رضى الله عنه - قَالَ تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاَةِ. قُلْتُ كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا قَالَ خَمْسِينَ آيَةً. رواه مسلم[١٣٣٠].

اعتنام وقت السحر بالصلاة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن. قال تعالى: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (٧٩) سورة الإسراء

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺبقيَامِ اللَّيْلِ مُصَلِّياً،زِيَادَةً عَنِ الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ (نَافِلَةً).وَقَدْ خُصَّ الرَّسُولُ بهذا الأَمْرِ.ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِأَنْ يَتْلُوَ القُرآنَ فِي اللَّيْلِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ مِنَ النَّوْمِ لِلصَّلاَةِ .[١٣٣١]

تعجيل الإفطار عند التأكد من دخول الوقت،ليستعيد الجسم نشاطه تقويا على القيام. فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ. متفق عليه[١٣٣٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ،إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ.[١٣٣٣]

الدعاء عند الإفطار بما ورد عن النبي ﷺ. فعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً مَا تُرَدُّ "،قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ يَقُولُ عِنْدَ فِطْرِهِ: " اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي "[١٣٣٤]

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ مُلَيْكَةَ،قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:" لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ مَا تُرَدُّ " قَالَ:وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ عِنْدَ فِطْرِهِ:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ،أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي "[١٣٣٥]

فعَنْ مَرْوَانُ بْنَ سَالِمٍ الْمُقَفَّعُ قَالَ رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِذَا أَفْطَرَ قَالَ ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.. رواه أبو داود[١٣٣٦].

[١٣٢٩] - شرح مشكل الآثار - (١٤ / ١٢٥) (٥٥٠٤) حسن

[١٣٣٠] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٦٠٦)

[١٣٣١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢١٠٩)

[١٣٣٢] - صحيح البخارى- المكتر - (١٩٥٧) وصحيح مسلم- المكتر -(٢٦٠٨) وصحيح ابن حبان - (٨ / ٢٧٣) (٣٥٠٢)

[١٣٣٣] - صحيح ابن حبان - (٨ / ٢٧٣) (٣٥٠٣) صحيح

[١٣٣٤] - شعب الإيمان - (٥ / ٤٠٧) (٣٦٢١) صحيح

[١٣٣٥] - فَضَائِلُ الْأَوْقَاتِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٤٠) صحيح

[١٣٣٦] - سنن أبي داود - المكتر - (٢٣٥٩) حسن

وعَنْ أَبِي زُهْرَةَ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا صَامَ،ثُمَّ أَفْطَرَ،قَالَ:اللَّهُمَّ لَكَ صُمْت وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْت،قَالَ:وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ يَقُولُ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْت،وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْت.[١٣٣٧]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ،قَالَ:أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ،وَنَزَلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ.[١٣٣٨]

الإفطار على تمرات أو سائل حلو،أو على الماء عند فقدهما ولا يكثر من ذلك،ثم يصلي المغرب،ثم يعود إلى تناول الطعام بعد الصلاة. فعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَطُّ صَلَّى صَلاَةَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يُفْطِرَ،وَلَوْ عَلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ."[١٣٣٩]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ وَجَدَ تَمْرًا فَلْيُفْطِرْ عَلَيْهِ،وَمَنْ لاَ فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ"[١٣٤٠]

وعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلْيُفْطِرْ عَلَى التَّمْرِ،فَإِنْ لَمْ يَجِدِ التَّمْرَ فَعَلَى الْمَاءِ،فَإِنَّهُ الْمَاءُ طَهُورٌ "[١٣٤١]

وفي الحديث دليل على أنه يستحب الفطر قبل صلاة المغرب بهذه الكيفية،فإذا صلى تناول حاجته من الطعام بعد ذلك،إلا إذا كان الطعام موجودا،فإنه يبدأ به،عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ أَخْبَرَنِى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ :« إِذَا قَدِمَ الْعَشَاءُ فَابْدَؤُا بِالْعَشَاءِ قَبْلَ أَنْ تُصَلُّوا صَلاَةَ الْمَغْرِبِ وَلاَ تَعْجَلُوا عَنْ عَشَائِكُمْ ». رواه البخاري ومسلم[١٣٤٢].

الاعتدال في الطعام والشراب،وتجنب البطنة والتخمة،والإقلال من أصناف الأطعمة ما أمكن،لئلا يضيع على نفسه فائدة الصوم الصحية. قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣١) سورة الأعراف

السواك قبل الإفطار وبعده وأثناء الصيام.فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَدَوِىِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:مَا أُحْصِى وَلاَ أَعُدُّ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَتَسَوَّكَ وَهُوَ صَائِمٌ..

قَالَ أَبُو عِيسَى:وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لاَ يَرَوْنَ بِالسِّوَاكِ لِلصَّائِمِ بَأْسًا إِلاَّ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهُوا السِّوَاكَ لِلصَّائِمِ بِالْعُودِ الرَّطْبِ وَكَرِهُوا لَهُ السِّوَاكَ آخِرَ النَّهَارِ وَلَمْ يَرَ الشَّافِعِىُّ بِالسِّوَاكِ بَأْسًا أَوَّلَ النَّهَارِ وَلاَ آخِرَهُ وَكَرِهَ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ السِّوَاكَ آخِرَ النَّهَارِ.[١٣٤٣]

[١٣٣٧] – مصنف ابن أبي شيبة – (٦ / ٣٣٠) (٩٨٣٧) صحيح مرسل

[١٣٣٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (٦ / ٣٣٠) (٩٨٣٨) والدعاء للطبراني –العلمية – (١ / ٢٨٦) (٩١٨) صحيح

[١٣٣٩] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٢٧٤) (٣٥٠٤) صحيح

[١٣٤٠] – المستدرك للحاكم(١٥٧٤) صحيح

[١٣٤١] – المستدرك للحاكم(١٥٧٥) صحيح لغيره

[١٣٤٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٧٢) وصحيح مسلم- المكتر – (١٢٧٠)

[١٣٤٣] – سنن الترمذى- المكتر – (٧٢٩) حسن

الإستزادة من فعل الخيرات،وأداء العبادات،والإكثار من الإنفاق والمبرات،فهو في رمضان أكثر تأكيدا وأعظم أجرا.. وخاصة تلاوة القرآن ومدارسته. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺأَجْوَدَ النَّاسِ،وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ،وَحِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ،وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ،فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ،فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺحِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. رواه البخاري[١٣٤٤].

كف النفس عمّا يتنافى مع حقيقة الصيام من المحارم والآثام وإطلاق الجوارح في المعاصي والذنوب كالغيبة والنميمة والكذب والغش والفحش وسوء الخلق والاضرار بالناس والنظر إلى المحرمات.

قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر،وكم من مفطر صائم،والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب،والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه للمحرمات.[١٣٤٥]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ وَالشَّرْبِ فَقَطْ. إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ. فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ:إِنِّى صَائِمٌ »[١٣٤٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ،وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ"[١٣٤٧].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ،وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ.[١٣٤٨]

وعَنْ عُبَيْدٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا وَأَنَّ رَجُلاً قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَاهُنَا امْرَأَتَيْنِ قَدْ صَامَتَا،وَإِنَّهُمَا قَدْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا مِنَ الْعَطَشِ،فَأَعْرَضَ عَنْهُ،أَوْ سَكَتَ،ثُمَّ عَادَ،وَأُرَاهُ قَالَ:بِالْهَاجِرَةِ،قَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،إِنَّهُمَا وَاللَّهِ قَدْ مَاتَتَا،أَوْ كَادَتَا أَنْ تَمُوتَا قَالَ:ادْعُهُمَا قَالَ:فَجَاءَتَا،قَالَ:فَجِيءَ بِقَدَحٍ،أَوْ عُسٍّ فَقَالَ لِإِحْدَاهُمَا:قِيئِي فَقَاءَتْ قَيْحًا،أَوْ دَمًا وَصَدِيدًا وَلَحْمًا حَتَّى قَاءَتْ نِصْفَ الْقَدَحِ،ثُمَّ قَالَ لِلأُخْرَى:قِيئِي فَقَاءَتْ مِنْ قَيْحٍ وَدَمٍ وَصَدِيدٍ وَلَحْمٍ عَبِيطٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى مَلأَتِ الْقَدَحَ،ثُمَّ قَالَ:إِنَّ هَاتَيْنِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا،وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا،جَلَسَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الأُخْرَى،فَجَعَلَتَا يَأْكُلاَنِ لُحُومَ النَّاسِ." رواه أحمد[١٣٤٩].

[١٣٤٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٦) وصحيح ابن حبان – (١٤ / ٢٨٥) (٦٣٧٠)

[١٣٤٥] – إحياء علوم الدين – (١ / ٢٤٦)

[١٣٤٦] – السنن الكبرى للبيهقي – حيدر آباد – (٤ / ٢٧٠) (٨٥٧١) وصحيح الجامع (٥٣٧٦) صحيح لغيره

[١٣٤٧] – صحيح ابن خزيمة (٣ / ١٥١) صحيح

[١٣٤٨] – المعجم الكبير للطبراني – (١١ / ١٤) (١٣٢٣٢) صحيح لغيره

[١٣٤٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٨٠٥)(٢٣٦٥٣) ٢٤٠٥٣- فيه جهالة

تجنب المزاح والضحك وإضاعة الوقت. "إنّ الله جعل شهرَ رمضان مضمارًا لخلقه،يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته،فسبَق قومٌ ففازوا،وتخلَّف آخرون فخابوا. فالعَجَب مِنَ اللاّعب الضّاحك في اليومِ الذي يفوز فيه المحسِنون ويخسَر فيه المبطِلون" أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك[١٣٥٠]

دعوة الأرحام والجيران والمقربين لتناول طعام الإفطار استزادة في طلب الخير والرحمة والأجر من الله تعالى .

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا،كَانَ لَهُ،أَوْ كُتِبَ لَهُ،مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ،مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا،وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ،كَانَ لَهُ،أَوْ كُتِبَ لَهُ،مِثْلُ أَجْرِ الْغَازِي فِي أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْغَازِي شَيْئًا.[١٣٥١].

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ مِنْ حَلاَلٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ فِي سَاعَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ ﷺلَيْلَةَ الْقَدْرِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ،مَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ رُزِقَ دُمُوعًا وَرِقَّةً قَالَ سَلْمَانُ:إِنْ كَانَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى قُوتِهِ،قَالَ:عَلَى كِسْرَةِ خُبْزٍ أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ كَانَ لَهُ هَذَا."[١٣٥٢].

من الأدب أن لا يجاهر المسلم ـــ المرخص له بالإفطار ـــ في إفطاره إحتراما لشعور الصائمين ولكي لا يشجع المستهترين من المفطرين بالمجاهرة في إفطارهم بحجة أو بغير حجة.

الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان. عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَيْقَظَ أَهْلَهُ،وأَحْيَى اللَّيْلَ،وَشَدَّ الْمِئْزَرَ.[١٣٥٣]

وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ.[١٣٥٤]

وقَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَجْتَهِدُ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِى غَيْرِهِ[١٣٥٥].

[١٣٥٠] - إحياء علوم الدين - (١ / ٢٤٦) ولطائف المعارف - (١ / ١٨٠) وموسوعة خطب المنبر - (١ / ٣٥٤٨)

[١٣٥١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٢٥٨) (٢١٦٧٦) ٢٢٠١٦- صحيح

[١٣٥٢] - مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار - (٦ / ٤٦٩)(٢٥٠١) ضعيف

[١٣٥٣] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥) (٣٢١) صحيح

[١٣٥٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٨٤٤)

[١٣٥٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٨٤٥)

استحباب طلب ليلة القدر وقيامها فليلة القدر أفضل ليالي السنة لقوله تعالى:{ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)} القدر.

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،ثُمَّ مُفَصَّلاً بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ.وَمَا الذِي تَعْلَمُهُ أَنْتَ عَنْ فَضْلِهَا،وَعُلُوِّ قَدْرِهَا،فَذَلِكَ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ.فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ مُبَارَكَةٌ بَدَأَ فِيهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ لِيَبْدَأَ عَهْدُ النُّبُوَّةِ وَالنُّورِ وَالْهُدَى،وَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مِنْ أَشْهُرِ الجَاهِلِيَّةِ،التِي كَانَ النَّاسُ يَتَخَبَّطُونَ فِيهَا فِي ظَلاَمِ الشِّرْكِ وَالوَثَنِيَّةِ،تَنَزَّلَت المَلاَئِكَةُ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،وَتَمَثَّلَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،مُبَلِّغاً لِلْوَحْيِ،وَكَانَ هَذَا التَّجَلِّي بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى .وَهِيَ لَيْلَةٌ كُلُّهَا سَلاَمٌ وَأَمْنٌ وَخَيْرٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللهِ،وَأَهْلِ طَاعَتِهِ،مِنْ مَبْدَئِهَا إِلَى نِهَايَتِهَا فِي مَطْلَعِ الفَجْرِ [١٣٥٦].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ،وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »رواه البخاري[١٣٥٧].

وعَنِ الزُّهْرِيِّ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَرَجَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ،فَصَلَّى النَّاسُ،فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ،فَكَثُرَ النَّاسُ،فَخَرَجَ عَلَيْهِمُ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ فَصَلَّى،فَصَلُّوْا بِصَلاَتِهِ،فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ،فَخَرَجَ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ،فَصَلَّى فَصَلُّوْا بِصَلاَتِهِ،فَأَصْبَحَ النَّاسُ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ،فَكَثُرَ النَّاسُ حَتَّى عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ،فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ،فَطَفِقَ النَّاسُ يَقُولُونَ:الصَّلاَةَ،فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ حَتَّى خَرَجَ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ،فَلَمَّا قَضَى صَلاَةَ الْفَجْرِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ،ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ،فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمُ اللَّيْلَةَ،وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاَةُ اللَّيْلِ،فَتَعْجِزُوا عَنْ ذَلِكَ،وَكَانَ يُرَغِّبُهُمْ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ،يَقُولُ:مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا،غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ قَالَ:فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ،ثُمَّ كَذَلِكَ كَانَ فِي خِلاَفَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدْرٍ مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ،حَتَّى جَمَعَهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،فَقَامَ بِهِمْ فِي رَمَضَانَ،وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ فِي رَمَضَانَ."[١٣٥٨]

[١٣٥٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٦٠٠٣)

[١٣٥٧] – صحيح البخارى- المكتر – (١٩٠١)

[١٣٥٨] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٢٨٤) (٢٥٤٣) صحيح

وعن ابْنِ بُرَيْدَةَ،قَالَ:قَالَتْ عَائِشَةُ:يَا نَبِيَّ اللهِ،أَرَأَيْتَ إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ،مَا أَقُولُ ؟ قَالَ:تَقُولِينَ:اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ،فَاعْفُ عَنِّي. رواه أحمد[١٣٥٩] .

الاعتكاف في رمضان خاصة في العشر الأخير.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ،عَنْ أَبِيه،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنِ اعْتَكَفَ عَشْرًا فِي رَمَضَانَ كَانَ كَحَجَّتَيْنِ وَعُمْرَتَيْنِ ".رواه البيهقي[١٣٦٠] .

وعَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – زَوْجِ النَّبِىِّ – ﷺ– أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ– كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ،ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِه[١٣٦١] .

آداء زكاة الفطر وهي واجبة على كل فرد من المسلمين صغيرا وكبيرا،ذكرا وأنثى،وتصح من أول شهر رمضان فهي تجبر ما وقع أثناء الصيام من زلات وهفوات،وسبب لقبول الصيام ورفعه إلى مرتبة الرضا،ويتذكر فيها الفقراء والمحتاجين من الأرحام والجيران والمقربين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ فَرَضَ رَسُولُ اللَّه –ﷺ– زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِىَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِىَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ. رواه أبو داود[١٣٦٢] .

بلوغ أعلى درجات الصوم،بالتشبه بالملائكة الكرام،الذين لا يأكلون ولا يشربون،ولا يشتغلون إلا بعبادة ربهم وامتثال أوامره،والقربة من جنابه الكريم. قال بعض العلماء: للصوم ثلاث درجات: أولها،كف البطن والفرج عن المفطرات،وثانيها: كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام،وثالثها: صوم القلب عن الأخلاق الدنيئة والأفكار الدنيوية،وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية.[١٣٦٣]وبذلك يتحقق الحديث الشريف.عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ،إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِى،وَأَنَا أَجْزِى بِهِ،وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ » رواه البخاري[١٣٦٤] .

قالَ العلامة الإمام ابن القيم رحمه الله: حبسُ النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات وتعديلُ قوّتها الشهوانيّة لتستعدَّ لطلَب ما فيه غايةُ سعادتها ونعيمها ولقَبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبديّة،ويكسِر الجوعُ والظّمَأ من حِدّتها وسَورتها ويذكِّرها بحالِ الأكبادِ الجائعة من المساكين،وتُضيَّق

[١٣٥٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٣٢٢)(٢٥٣٨٤) ٢٥٨٩٨– صحيح

[١٣٦٠] – شعب الإيمان – (٥ / ٤٣٦) (٣٦٨٠) إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ

[١٣٦١] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٠٢٦) وصحيح مسلم– المكتر –(٢٨٤١)

[١٣٦٢] – سنن أبي داود – المكتر – (١٦١١) حسن

الرفث : الفحش من الكلام أو الجماع وقيل هو اسم لكل ما يريده الرجل من المرأة

[١٣٦٣] – إحياء علوم الدين – (١ / ٢٤٥) وموسوعة خطب المنبر – (١ / ١٢٠٩)

[١٣٦٤] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٩٢٧)

مجارِي الشيطان من العبدِ بتضييق مجاري الطّعام والشّراب،وتُحبَس قوَى الأعضاء عن استرسَالها لحكمِ الطبيعة فيها يضرُّها في معاشِها ومعادِها،ويُسكَّن كلّ عضوٍ منها وكلّ قوّةٍ عن جماحه وتُلجَم بلجامه،فهو لِجام المتّقين وجُنّة المحارِبين ورياضة الأبرارِ والمقرَّبين،وهو لربّ العالمين من بين سائِر الأعمال؛ فإنّ الصائمَ إنما يترُك شهوتَه وطعامَه وشرابه من أجلِ معبودِه،فهو تركُ محبوباتِ النّفس وتلذُّذاتها إيثارًا لمحبّة الله ومرضاته،وهو سِرّ بين العبدِ وربّه لا يطَّلع عليه سواه،والعِبادُ قد يطّلِعون منه على تركِ المفطّرات الظّاهرة،وأمّا كونه ترك طعامَه وشرابَه وشهوتَه من أجلِ معبودِه فهو أمرٌ لا يطَّلع عليه بشرٌ،وتلك حقيقةُ الصوم "[١٣٦٥]

[١٣٦٥] – موسوعة خطب المنبر – (١ / ٣٤٩٧)

-٣٢-آداب الزكاة والصدقات

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة،وقد اقترنت بإقامة الصلاة في أكثر مواضعها التي ذكرت في القرآن الكريم.قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (٢٧٧) سورة البقرة.

يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ،الْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ،وَعَامِلِي الصَّالِحَاتِ وَالْمُزَكِّينَ،وَيُخْبِرُ عَنْهُمْ أَنَّهُ يَحْفَظُ لَهُمْ أَجْرَهُمْ،وَأَنَّهُمْ لاَ خَوْفَ عَلَيهِمْ،وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنيا .[١٣٦٦]

ولئن كانت الصلاة هي العبادة الروحية التي تقام بأركان الجسد،فإن الزكاة عبادة روحية أيضا ولكنها تؤدَّى من حرّ الأموال.

وقد بيّن الفقهاء شرووطها ونصابها وتوزيعها بما يكفل كفاية الفقراء من أموال الأغنياء فيما لو قام الأغنياء بأدائها كاملة غير منقوصة[١٣٦٧].

ولئن حث الإسلام أتباعه على إقامة أركان الإسلام ومنها أداء الزكاة،فإنما يحثهم على العمل الشريف،والسعي الحلال الذي يجمعون منه الأموال ليتمكنوا من القيام بهذا الركن على أفضل الوجوه.. وبمعنى آخر فإن الإسلام يحث أتباعه على محاربة الفقر،والسعي نحو الغنى،ولكنه الغنى المصحوب بالإنفاق والعطاء والسخاء...

وقد أمر الإسلام بالصدقة فضلا عن الزكاة،وحفز الهمم للإنفاق في وجوه البر والخير،وجعل الأسلوب في ذلك بعث كوامن النفس للتخلص من البخل،بمخاطبة الغني أنه إنما يقرض ربه من ماله،والله أغنى الأغنياء،وأكرم الأكرمين،فكيف سيرد له دينه،ويوفيه أجره.قال تعالى: {إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (١٧) سورة التغابن.

مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ مَالٍ فِي طَاعَةِ اللهِ،وَتَقَرُّباً إِليه،فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَعُدُّ ذَلِكَ الإِنْفَاقَ مُقَدَّماً إِلَيه تَعَالَى،وَهُوَ يُخْلِفُهُ وَيَرُدُّهُ إِلَى الْمُنْفِقِينَ - أَضْعَافاً كَثِيرَةً - الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِها إِلَى سَبْعمِئَةِ ضِعْفٍ - وَيَمْحُو عَنْكُمْ بِها سَيِّئَاتِكُمْ،وَيَسْتُرُهَا عَلَيْكُمْ،وَاللهُ شكُورٌ يَجْزِي عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ،وَهُوَ كَثِيرُ الْحِلْمِ وَالْمَغْفِرَةِ،يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ،وَلاَ يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ عِبَادَهُ عَلَى الذُّنُوبِ وَالأَخْطَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ وَيَرْجِعُونَ مُسْتَغْفِرِينَ .[١٣٦٨]

[١٣٦٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٥)

[١٣٦٧] - انظر كتاب فقه الزكاة للقرضاوي

[١٣٦٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٩٤)

وهدد من يبخل بهذا الأسلوب الالهي البيلغ المؤثر: {هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (٣٨) سورة محمد ٣٨.

إِنَّكُمْ يَا أَيُّها الْمُسْلِمُونَ تُدعونَ إلى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَفِي سَبِيلِ مُجَاهَدَةِ أَعْدَائِه،وَفِي سَبِيلِ نَصْرِ دِينِه.وَمَنَ الْمُؤمنينَ مَنْ يَبْخلُ بالإِنْفَاقِ فِي هذا السَّبِيلِ،وَمَنْ يَبْخلْ فَإِنَّما يضُرُّ نَفْسَهُ بِذَلِكَ،لأَنَّهُ يحرمُها ثَوابَ اللهِ،وَيَحْرِمُها مِنْ رِضْوَانِ اللهِ،وَاللهُ غَنِيٌّ عَنِ العِبَادِ،وَعَنْ أَمْوالِهِم وَعَنْ جَهَادِهِمْ،وَهُمُ الفُقَراءُ إلى فَضْلِه وإِحْسَانِه،وَإِنما حَثَّهُمْ عَلَى الجِهادِ وَالبَذْلِ لِيَنَالوا الأَجْرَ وَالمَثوْبَةَ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالى لَهُم:إِنَّهُم إِنْ كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ،وَعَنِ اتِّبَاعِ شَرْعِه فإِنه قادِرٌ عَلى إِهْلاَكِهِمْ،وَعَلى الإِتْيَانِ بِقَومٍ آخرينَ يُؤمِنُونَ باللهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لأَوامِرِه،وَيَعْمَلُونَ بشَرائِعِه،وَلاَ يَكُونُونَ أَمْثَالَ مَنْ أَهْلَكَهُمْ فِي البَخْلِ وَالتَّبَاطُؤِ عَنِ الجِهَادِ .[١٣٦٩]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَانِعُ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ[١٣٧٠].

وقال تعالى مهددا ماني الزكاة:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)} [التوبة:٣٤،٣٥]

يُحَذِّرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمنينَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ،وَعُبَّادِ الضَّلاَلَةِ،وَيَقُولُ:إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ،اليَهُودِ وَالنَّصَارَى،يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ،بصُوَرٍ وَطَرَائِقَ مُخْتَلِفَةٍ،وَيَسْتَغِلُّونَ رِئَاسَتَهُمُ الدِّينِيَّةَ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ،وَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ اسْتَمَرُّوا عَلَى ضَلاَلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،طَمَعاً فِي أَنْ تَبْقَى لَهُمْ تِلْكَ الرِئَاسَاتُ،وَأَخَذُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ وَيَصْرِفُونَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الإِسْلاَمِ،وَهُوَ دِينُ الحَقِّ،وَيُلْبِسُونَ الحَقَّ بالبَاطِلِ،وَيُمَوِّهُونَ عَلَى أَتْبَاعِهِمْ مِنَ الجَهَلَةِ أَنَّهُمْ إِنَّما يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ،وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لَوْ أَقَرُّوا بِصِدْقِ مُحَمَّدٍ،وَصِحَّةِ دِينِه،لَتَوَجَّبَ عَلَيْهِمْ مُتَابعَتُهُ،فَيَبْطُلُ حُكْمُهُمْ،وَتَزُولُ مَكَانَتُهُم،وَتَنْقَطِعُ مَوَارِدُهُمْ،وَمَصَادِرُ رِزْقِهِم العَرِيضَةُ .

وَفِي الحَقِيقَةِ إِنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ،وَيَوْمَ القِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ،وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى مَنْ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ (أَيْ يُكَدِّسُونَ الأَمْوَالَ)،وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ،وَفِي الجِهَادِ لِنُصْرَةِ دِينِ اللهِ،وَفِي الإِحْسَانِ إِلَى عِبَادِه وَمَصَالِحِهِمْ،وَيُبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

[١٣٦٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٤٦٢)

[١٣٧٠] – المعجم الصغير للطبراني – (٢ / ١٤٥)(٩٣٥) وصحيح الجامع (٥٨٠٧) حسن لغيره

قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:المَقْصُودُ بِالكَنْزِ هُوَ المَالُ الَّذي لاَ تُـؤدَّى زَكَاتُـهُ.وَقَـالَ عُمَـرُ بْـنُ الخَطَّاب،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:أَيُّ مَالٍ أَدَّيْتَ زَكَاتَهُ،فَلَيْسَ بِكَنْزٍ،وَإِنْ كَانَ مَدْفُوناً فِي الأَرْضِ،وَأَيُّ مَالٍ لَـمْ تُؤدَّ زَكَاتَهُ هُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِه صَاحِبُهُ،وَإِنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ .

يَقُولُ تعالى: إِنَّ المَالَ الذي لَمْ تُؤدَّ زَكَاتُهُ سَيُحْمَى عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،وَتُكْوَى بِـهِ جِبَـاهُ أَصْحَابِهِ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ،وَسَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيتاً وَتَقْرِيعاً:هَذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَلَمْ تُؤَدُّوا مِنْهُ حَقَّ اللهِ،وَهَذَا مَا حَبَّأْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا طَعْمَهُ الآنَ عَذَاباً أَلِيماً .[١٣٧١]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ- « مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً،فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَـهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ،لَهُ زَبِيبَتَان،يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْه – يَعْنِى شِدْقَيْه – ثُـمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ،أَنَا كَنْزُكَ » ثُمَّ تَلاَ {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِه هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُـونَ خَبِيرٌ} (١٨٠) سورة آل عمران.[١٣٧٢]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ أَبَا صَالِحٍ ذَكْوَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّه –ﷺ- « مَـا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَـارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَـوْمٍ كَـانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ». قِيلَ يَـا رَسُولَ اللَّه فَالإِبِلُ قَالَ « وَلاَ صَاحِبُ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَـا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ قَالَ « وَلاَ صَاحِبُ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَـيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ وَلاَ عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَـا رُدَّ عَلَيْـهِ أُخْرَاهَا فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه فَالْخَيْلُ قَالَ « الْخَيْلُ ثَلاَثَةٌ هِىَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ وَهِىَ لِرَجُلٍ سِـتْرٌ وَهِـىَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ فَأَمَّا الَّتِى هِىَ لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِىَ لَهُ وِزْرٌ وَأَمَّـا الَّتِى هِىَ لَهُ سِتْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ اللَّه ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّه فِى ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا فَهِىَ لَهُ سِـتْرٌ وَأَمَّا الَّتِى هِىَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ اللَّه لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فِى مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَـا وَأَبْوَالِهَـا

[١٣٧١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٢٧٠)

[١٣٧٢] – صحيح البخارى– المكتر – (١٤٠٣)

حَسَنَاتٌ وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْحُمُرُ قَالَ « مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِى الْحُمُرِ شَىْءٌ إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) الزلزلة »[١٣٧٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:"مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي حَقَّهَا،إلا جُعِلَتْ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ ثُمَّ أُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ،فَتُكْوَى بِهَا جَبْهَتُهُ وَظَهْرُهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ،حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ،فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِمَّا إِلَى النَّارِ،وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لا يُؤَدِّي حَقَّهَا،وَمِنْ حَقِّهَا حِلابُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا،إلا أُتِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلا وَاحِدًا،فَيُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ،تَطَأُهُ بِأَخْفَافِهَا،وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا،كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ،وَمَا مِنْ صَاحِبِ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي حَقَّهَا،إلا أُتِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،ثُمَّ يُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ،لَيْسَ فِيهَا عَضْبَاءُ وَلا مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ،فَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا،فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ،كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ آخِرُهَا مَرَّ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ،فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ"[١٣٧٤]

جبينه وجنبه وظهره:إنما خص هذه الأعضاء بالذكر من بين سائر الأعضاء ؛ لأن السائل متى تعرض للطلب من البخيل،أول ما يبدو منه من آثار الكراهية والمنع،أنه يُقَطِّب في وجهه،ويكلح ويجمع أساريره فيتجعد جبينه،ثم إن كرر الطلب ناء بجانبه عنه،ومال عن جهته،وتركه جانبا،فإن استمر الطلب ولاه ظهره،واستقبل جهة أخرى،وهي النهاية في الرد،والغاية في المنع الدال على كراهيته للعطاء والبذل،وهذا دأب مانعي البر والإحسان،وعادة البخلاء بالرفد والعطاء،فلذلك خص هذه الأعضاء بالكي.

يوم وردها:أي يوم ترد الماء،فيسقي من لبنها من حضره من المحتاجين إليه،وهذا على سبيل الندب والفضل،لا الوجوب.

بقاع قرقر:القاع:[المكان] المستوي من الأرض،الواسع،والقرقر:الأملس.

عقصاء:العقصاء:الشاة الملتوية القرنين،وإنما ذكرها لأن العقصاء لا تؤلم بنطحها،كما يؤلم غير العقصاء.

[١٣٧٣] – صحيح مسلم- المكتز – (٢٣٣٧)

الجلحاء : التي لا قرن لها –استنت : جرت وعدت –الشَّرف : الشوط

العضباء : التي انكسر قرنها أو أذنها –العقصاء : ملتوية القرنين

القرقر : المكان المستوى –المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير تخلى فيه الدواب تسرح مختلطة كيف شاءت –النواء : العداوة

[١٣٧٤] – المعجم الكبير للطبراني – (٢٠ / ٢٧) (١٢٦٨) حسن

جلحاء:الجلحاء :الشاة التي لا قرن لها.

عضباء:العضباء:الشاة المكسورة القرن.

بأظلافها:الظلف للشاة كالحافر للفرس.

وزر:الوزر:الثقل والإثم.

طيلها:الطيل والطول:الحبل.

فاستنت:الاستنان :الجري.

شرفا:الشرف:الشوط والمدَى.

تغنيّا:استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس.

في ظهورها:أما حق ظهورها:فهو أن يحمل عليها منقطعا،ويشهد له قوله في موضع آخر:«وأن يفقر ظهرها» وأما حق «رقابها» فقيل:أراد به الإحسان إليها. وقيل:أراد به الحمل عليها،فعبر بالرقبة عن الذات.

نواء:النواء:المعاداة،يقال:ناوأت الرجل مناوأة،أي:عاديته.

الفاذة:النادرة الواحدة،والفذ:الواحد.

يعار:اليعار:صوت الشاة،وقد يعرت الشاة تيعر يعارا بالضم.

رغاء:الرغاء للإبل كاليعار للشاة.

شجاعا أقرع:الشجاع:الحية،والأقرع:صفته بطول العمر،ذلك أنه لطول عمره قد امَّرق شعرُ رأسه،فهو أخبث له وأشد شرّا.

زبيبتان:الزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين. يقال:تكلم فلان حتى زبب شدقاه،أي:خرج الزبد عليهما،ومنها الحية ذو الزبيبتين. وقيل:هما النكتتان السوداوان فوق عينيه.

بلهزمتيه:اللهزمتان:عظمان ناتئان في اللحيين تحت الأذنين،ويقال:هما مُضيغتان عليتان تحتهما.

أشَرا:الأشر:البطر.

بذخا:البذخ بفتح الذال:التطاول والفخر.

الثلة:[بفتح الثاء] الجماعة الكثيرة من الضأن،قال الجوهري:ولا يقال للمعزى الكثيرة:ثلة،ولكن حيلة – بفتح الحاء – فإذا اجتمعت الضأن والمعزى وكثرتا،قيل لهما:ثلة،والجمع ثِلل،مثل بدرة وبدر.

تمنح الغزيرة:المنحة:العطية،والغزيرة:الكثيرة اللبن والدر. والمنيحة:الناقة أو الشاة تعار لينتفع بلبنها وتعاد.

وتفقر الظهر:إفقار الظهر:إعارته ليركب،والفقار:خرزات الظهر.

وتطرق الفحل:إطراق الفحل:إعارته للضراب،طرق الفحل الناقة:إذا ضربها.

نجدها:النجدة:الشدة.

ورسلها:والرسل – بالكسر – الهينة والتأني. قال الجوهري:يقال:افعل كذا وكذا على رسلك – بالكسر – أي اتئد فيه،كما يقال:على هينتك. قال:ومنه الحديث «إلا من أعطى في نجدتها ورسلها» يريد:الشدة والرخاء. يقول:يعطي وهي سمان حسان يشتد على مالكها إخراجها،فتلك نجدتها،ويعطي في «رسلها» وهي مهازيل مقاربة. وقال الأزهري نحوه،وهذا لفظه:المعنى:إلا من أعطى في إبله ما يشق عليها عطاؤه،فيكون نجدة عليه،أي:شدة،أو يعطي ما يهون عليه عطاؤه منها،فيعطي في رسلها وهي مهازيل مقاربة. وقال:إلى ما يعطي مستهينا به على رسله. قال الأزهري:وقال بعضهم:في رسلها:أي بطيب نفس منه. قال:والرسل في غير هذا:اللبن.

قلت:ويجوز أن يكون المعني بالشدة والرخاء غير هذا التقدير،فيريد بالشدة:القحط والجدب،وأنه إذا أخرج حقها في سنة الجدب والضيق كان ذلك شاقّا،لأنه إجحاف به وتضييق على نفسه،ويريد بالرخاء: السعة والخصب،وحينئذ يسهل عليه إخراج حقها،لكثرة ما يبقى له،ويكون المراد بالرسل:اللبن،وإنما سماه يسيرا ؛ لأن اللبن يكثر بسبب الخصب،ولذلك قيل:«يا رسول الله،وما نجدتها ورسلها ؟» قال:عسرها ويسرها،فهذا الرجل يعطي حقها في حال الجدب والضيق،وهو المراد [بالعسر،وفي حال الخصب والسعة،وهو المراد] باليسر،،والله أعلم.

كأغذ ما كانت:أغذ:أسرع،والإغذاذ:الإسراع في السير.

وأبشره:البشارة:الحسن والجمال،ورجل بشير،أي:جميل،وامرأة بشيرة [أي:جميلة]،وفلان أبشر من فلان،وقد ذكرنا أن قوله:«كأغذ ما كانت» من الإغذاذ،ورأيت الخطابي قد ذكر الحديث قال: فتأتي كأكثر ما كانت وأعده وأبشره،ولم يذكر لها غريبا ولا شرحا،فلو كانت من الإغذاذ لشرحها كعادته،وتركُ شرحها يوهم أنها بالعين بالمهملة من العدد،أي:أكثر عددا،فلذلك لم يشرحها،والله أعلم.[١٣٧٥]

وليس للإنسان من هذه الدنيا إلا أكلة أو لبسة يفنيها ويبليها ولا يبقى له إلا ما ادّخره عند ربه.

فعن شَدَّادَ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ،يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا ابْنَ آدَمَ،إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ،وَإِنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ،وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ،وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ،وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى " رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ[١٣٧٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،فَذَكَرَ حَدِيثًا،ثُمَّ قَالَ:وَلَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺأَمَرَ أَنْ تُذْبَحَ شَاةٌ فَيَقْسِمَهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ،قَالَ:فَذَبَحْتُهَا فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ،وَرَفَعْتُ الذِّرَاعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،كَانَ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ،فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺقَالَتْ عَائِشَةُ:مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلا الذِّرَاعُ،قَالَ:كُلُّهَا بَقِيَ إِلا الذِّرَاعَ."[١٣٧٧]

[١٣٧٥] – جامع الأصول في أحاديث الرسول – (٤ / ٥٦١)

[١٣٧٦] – صحيح مسلم– المكثر – (٢٤٣٥)

[١٣٧٧] – كشف الأستار – (١ / ٤٤٦) (٩٤٢) صحيح

وعن قَتَادَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ مُطَرِّفًا،يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺوَهُوَ يَقْرَأُ:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر:]،قَالَ:يَقُولُ ابْنُ آدَمَ:مَا لِي مَا لِي،وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ،أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ،أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ.[١٣٧٨]

وعَنْ مُوَرِّقٍ الْعِجْلِيِّ،قَالَ:قرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: {أَلْهَاكُمَ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمَ الْمَقَابِرَ} قَالَ:فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ،أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ،أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ.[١٣٧٩]

وهذه جملة من آداب الزكاة:

إخراج الزكاة خالصة لوجه الله واحتساب الصدقات عند الله وحده ورجاء ثوابه ومرضاته.

قال تعالى:{ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١) } الليل ١٧-٢١.

وَهَذِهِ سَيَنْجُو مِنَ العَذَابِ فِيهَا الإِنْسَانُ المُؤْمِنُ التَّقِيُّ الصَّالِحُ،الذِي خَافَ رَبَّهُ،وَخَشَعَتْ نَفْسُهُ لَهُ.الذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وُجُوهِ البِرِّ وَالخَيْرِ طَالِباً بِذَلِكَ طَهَارَةَ نَفْسِهِ،وَالفَوْزَ بِرِضْوَانِ رَبِّهِ .وَهُوَ لاَ يَبْذُلُ مَالَهُ رَدًّا لِجَمِيلٍ أُسْلِفَ إِلَيهِ وَأُسْدِيَ .وَإِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ إِنْفَاقِ المَالِ،ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ،وَطَلَباً لِمَثُوبَتِهِ وَحْدَهُ.(وَهَذِهِ الآيَةِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) .وَلَسَوْفَ يُرضِي اللهُ بِثَوَابِهِ العَظِيمِ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِ .[١٣٨٠]

العلم بأن الزكاة حق مفروض للفقير،والتيقن بأن المال مال الله،آتاه الله إياه،فهو مؤتمن عليه،ومستخلف فيه،فهو عبد لله ينفذ أوامر سيده فيما أعطاه،والله يجزيه الأجر الكبير على ذلك.

قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} (٧) سورة الحديد

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالإِيْمَانِ بِهِ،وَبِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ،عَلَى الوَجْهِ الأَكْمَلِ،وَيَحثُّهُمْ عَلَى الإِنْفَاقِ فِي أَوْجُهِ الطَّاعَاتِ،مِنَ المَالِ الذِي أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ،وَجَعَلَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ عَلَى سَبِيلِ الأَمَانَةِ أَوِ الإِعَارَةِ،لأَنَّ هَذَا المَالَ كَانَ مِنْ قَبْلُ،فِي أَيدِي أُنَاسٍ آخَرِينَ،فَصَارَ إِلَيْهِمْ،ثُمَّ يَمُوتُونَ هُمْ وَيَتْرُكُونَهُ فَيَخْلُفُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ .وَيُرَغِّبُ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ فِي الإِنْفَاقِ فِي أَوْجُهِ الطَّاعَاتِ،فَيَقُولُ لَهُمْ:إِنَّ الذِينَ آمَنُوا وَأَنْفَقُوا فِي أَوْجُهِ الخَيْرِ وَالبِرِّ سَيَجْزِيهِمْ رَبُّهُمْ جَزَاءً حَسَناً،وَسَيُؤْتِيهِمْ أَجْراً كَبِيراً .[١٣٨١]

وقال سبحانه: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا

[١٣٧٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٦٠٩) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٤٧٥) (٧٠١)

[١٣٧٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (١٣ / ٢٢٩) (٣٥٤٨٠) صحيح لغيره

[١٣٨٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٩٥٢)

[١٣٨١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٩٦١)

فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّـهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٣٣) سورة النور

أي: من ابتغى وطلب منكم الكتابة،وأن يشتري نفسه،من عبيد وإماء،فأجيبوه إلى ما طلب،وكاتبوه،{ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ } أي: في الطالبين للكتابة { خَيْرًا } أي: قدرة على التكسب،وصلاحا في دينه،لأن في الكتابة تحصيل المصلحتين،مصلحة العتق والحرية،ومصلحة العوض الذي يبذله في فداء نفسه. وربما جد واجتهد،وأدرك لسيده في مدة الكتابة من المال ما لا يحصل في رقه،فلا يكون ضرر على السيد في كتابته،مع حصول عظيم المنفعة للعبد،فلذلك أمر الله بالكتابة على هذا الوجه أمر إيجاب،كما هو الظاهر،أو أمر استحباب على القول الآخر،وأمر بمعاونتهم على كتابتهم،لكونهم محتاجين لذلك،بسبب أنهم لا مال لهم،فقال: { وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } يدخل في ذلك أمر سيده الذي كاتبه،أن يعطيه من كتابته أو يسقط عنه منها،وأمر الناس بمعونتهم.

ولهذا جعل الله للمكاتبين قسطا من الزكاة،ورغب في إعطائه بقوله: { مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ } أي: فكما أن المال مال الله،وإنما الذي بأيديكم عطية من الله لكم ومحض منه،فأحسنوا لعباد الله،كما أحسن الله إليكم.

ومفهوم الآية الكريمة،أن العبد إذا لم يطلب الكتابة،لا يؤمر سيده أن يبتدئ بكتابته،وأنه إذا لم يعلم منه خيرا،بأن علم منه عكسه،إما أنه يعلم أنه لا كسب له،فيكون بسبب ذلك كلا على الناس،ضائعا،وإما أن يخاف إذا أعتق،وصار في حرية نفسه،أن يتمكن من الفساد،فهذا لا يؤمر بكتابته،بل ينهى عن ذلك لما فيه من المحذور المذكور.

ثم قال تعالى: { وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ } أي: إماءكم { عَلَى الْبِغَاءِ } أي: أن تكون زانية { إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا } لأنه لا يتصور إكراهها إلا بهذه الحال،وأما إذا لم ترد تحصنا فإنها تكون بغيا،يجب على سيدها منعها من ذلك،وإنما هذا نهى لما كانوا يستعملونه في الجاهلية،من كون السيد يجبر أمته على البغاء،ليأخذ منها أجرة ذلك،ولهذا قال: { لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } فلا يليق بكم أن تكون إماؤكم خيرا منكم،وأعف عن الزنا،وأنتم تفعلون بهن ذلك،لأجل عرض الحياة،متاع قليل يعرض ثم يزول.

فكسبكم التراهة،والنظافة،والمروءة -بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها- أفضل من كسبكم العرض القليل،الذي يكسبكم الرذالة والخسة.

ثم دعا من جرى منه الإكراه إلى التوبة،فقال: { وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ } فليتب إلى الله،وليقلع عما صدر منه مما يغضبه،فإذا فعل ذلك،غفر الله ذنوبه،ورحمه كما رحم نفسه بفكاكها من العذاب،وكما رحم أمته بعدم إكراهها على ما يضرها.[١٣٨٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاَثَةٌ:مَا أَكَلَ فَأَفْنَى،أَوْ مَا أَعْطَى فَأَبْقَى،أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى،وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ. رواه مسلم[١٣٨٣] .

وعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي الآخِرَةِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ بِقَدْرِ الَّذِي يَسَعُ فُقَرَاءَهُمْ،وَلَنْ تُجْهَدَ الْفُقَرَاءُ إِذَا جَاعُوا وَعَرُوا إِلَّابِمَا يُضَيِّعُ،يَصْنَعُ،أَغْنِيَاؤُهُمْ،أَلا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِسَابًا شَدِيدًا،ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " رواه الطبراني[١٣٨٤] .

العلم بأن إخراج الزكاة من المال طهرة للمسلم من البخل والشح وتزكية وتنقية المال من الحرام.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩) سورة الحشر.

أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَنْصَارِ مُبيِّناً فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ،حِينَ جَعَلَ اللهُ الفَيءَ لإِخْوَانِهِم المُهَاجِرِينَ دُونَهُمْ،فَقَالَ تعالى: والذِينَ سَكَنُوا دَارَ الهِجْرَةِ قَبْلَ المُهَاجِرِينَ،وَآمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ،يُحِبُّونَ المُهَاجِرِينَ،وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُمْ الخَيْرَ،كَمَا يَتَمَنَّوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ،وَقَدْ أَسْكَنُوا المُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ،وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضِ نِسَائِه لِلْمُهَاجِرِينَ.وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَنُفُوسُهُمْ طَيِّبَةٌ،وَأَعْيُنُهُمْ قَرِيرَةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ،لاَ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَداً لِلْمُهَاجِرِينَ.وَلاَ ضِيقاً بِهِمْ لِمَا فَضَّلَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ المَنْزِلَةِ والشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ والرُّتْبَةِ،وَلِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَغْنَمِ بَنِي النَّضِيرِ دُونَهُمْ .وَهُمْ يُقَدِّمُونَ أَهْلَ الحَاجَةِ مِنَ المُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ،وَيَبْدَؤُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ[١٣٨٥] .

قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٠٣) سورة التوبة

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺبِأَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَمْوَالِ الذِينَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ،صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ البُخْلِ،وَالطَّمَعِ،وَالقَسْوَةِ عَلَى الفُقَرَاءِ،وَتُزَكِّي بِهَا أَنْفُسَهُمْ،وَتَرْفَعُهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الأَبْرَارِ بِفِعْلِ الخَيْرَاتِ حَتَّى يَكُونُوا أَهْلاً لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.ثُمَّ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِأَنْ يَدْعُوَ لَهُمْ،وَيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ (وَصَلِّ

[١٣٨٢] – تفسير السعدي – (١ / ٥٦٧)

[١٣٨٣] – صحيح مسلم– المكتر – (٧٦١١) وصحيح ابن حبان – (٨ / ٣٦) (٣٢٤٤)

[١٣٨٤] – المعجم الصغير للطبراني – (١ / ٢٧٥) (٤٥٣) حسن – يجهر : أي بالسؤال أو السرقة

[١٣٨٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠١٣)

عَلَيْهِمْ)،لأنَّ صَلاَةَ الرَّسُولِ رَحْمَةٌ بِهِمْ،وَرَاحَةٌ لأَنْفُسِهِمْ،وَاللهُ سَمِيعٌ لاعْتِرَافِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ،وَسَمِيعٌ لِدُعَاءِ الرَّسُولِ لَهُمْ،عَلِيمٌ بِإِخْلاَصِهِمْ فِي تَوْبَتِهِمْ،وَنَدَمِهِمْ مِن هَذِهِ الذُّنُوبِ .[١٣٨٦]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ :« مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ مَالاً قَطُّ إِلاَّ أَهْلَكَتْهُ ». قَالَ (عروة): يَكُونُ قَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ فِى مَالِكَ صَدَقَةٌ فَلاَ تُخْرِجُهَا،فَيُهْلِكُ الْحَرَامُ الْحَلاَلَ. [١٣٨٧] .

العلم بأن إخراج الزكاة لا ينقص المال بل يزيده. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،وَلاَ زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا،وَلاَ تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ. رواه مسلم[١٣٨٨] .

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « مَا بَقِىَ مِنْهَا ». قَالَتْ مَا بَقِىَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ « بَقِىَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا ». رواه الترمذي[١٣٨٩] .

حساب الزكاة بدقة حسب النسب المخصصة لكل نوع منها،متبعا القواعد الفقهية الشرعية،ولا يصح تقديرها على وجه التقريب. قال تعالى:{ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) }المعارج.

وَالذِينَ يَجْعَلُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَصِيباً مُعَيَّناً يُنْفِقُونَهُ تَقَرُّباً مِنَ اللهِ،وَطَلَباً لِمَرْضَاتِهِ.يُنْفِقُونَهُ عَلَى ذَوِي الحَاجَاتِ والبَائِسِينَ الذِينَ يَسْأَلُونَهُمُ العَوْنَ .[١٣٩٠]

وهي الزكاة على وجه التخصيص والصدقات المعلومة القدر .. وهي حق في أموال المؤمنين .. أو لعل المعنى أشمل من هذا وأكبر. وهو أنهم يجعلون في أموالهم نصيبا معلوما يشعرون أنه حق للسائل والمحروم. وفي هذا تخلص من الشح واستعلاء على الحرص! كما أن فيه شعورا بواجب الواجد تجاه المحروم،في هذه الأمة المتضامنة المتكافلة .. والسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل ولا يعبر عن حاجته فيحرم. أو لعله الذي نزلت به النوازل فحرم وعف عن السؤال. والشعور بأن للمحتاجين والمحرومين حقا في الأموال هو شعور بفضل اللّه من جهة،وبآصرة الإنسانية من جهة،فوق ما فيه من تحرر شعوري من ربقة الحرص والشح. وهو في الوقت ذاته ضمانة اجتماعية لتكافل الأمة كلها وتعاونها. فهي فريضة ذات دلالات شتى،في عالم الضمير وعالم الواقع سواء .. وذكرها هنا فوق أنه يرسم خطا في ملامح النفس المؤمنة فهو حلقة من حلقات العلاج للشح والحرص في السورة.[١٣٩١]

إخراج الزكاة عند حلول موعدها دون تسويف أو تأخير.

الإنفاق من أطيب ماله،وأنفسه عنده،وأحبه إليه ومن مال حلال لا شبهة فيه ولا معصية ولا حرام.

[١٣٨٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٣٣٩)

[١٣٨٧] – مسند الحميدي – المكتر – (٢٥٢) صحيح

[١٣٨٨] – صحيح مسلم– المكتر – (٦٧٥٧) وصحيح ابن حبان – (٨ / ٤٠) (٣٢٤٨)

[١٣٨٩] – سنن الترمذى– المكتر – (٢٦٥٨) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

[١٣٩٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٢٧٧)

[١٣٩١] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٦٩٩)

قال تعالى: {لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (٩٢) سورة آل عمران

لَنْ تَنَالُوا يَا أَيُّها المُؤْمِنُونَ الخَيْرَ وَالجَنَّةَ حَتَّى تُنْفِقُوا فِي سَبيلِ اللهِ مِنْ أحَبِّ أمْوالِكُم إليَكُمْ،وَاللهُ يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ يُنْفِقُهُ العَبْدُ فِي سَبيلِ مَرْضَاةِ رَبِّه .[١٣٩٢]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِك،يَقُولُ:كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالاً،وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِه إِلَيْه بَيْرَحَاءُ،وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِد،وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب،قَالَ أَنَسٌ:فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران]،قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِه:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران]،وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ،فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّه أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ،فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ،بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ،وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا،وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ،فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ:أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِه وَبَنِي عَمِّه.[١٣٩٣]

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } (٢٦٧) سورة البقرة

يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِالإِنْفَاقِ مِنْ أَطْيَبِ المَالِ وَأَجْوَدِه،وَيَنْهَاهُمْ عَنِ التَّصَدُّقِ بِأَرْذَلِ المَالِ وَأَخَسِّه.لأَنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً.وَيَقُولُ لَهُمْ لاَ تَقْصُدُوا المَالَ الخَبِيثَ لِتُنْفِقُوا مِنْهُ،وَهَذا المَالُ الخَبِيثُ لَو أَنَّهُ أُعْطِيَ إِلَيْكُمْ لَمَا أَخَذْتُمُوهُ،إِلاَّ عَنْ إِغْمَاضٍ وَحَيَاءٍ.وَلْيَعْلَمِ المُؤْمِنُونَ أَنَّ اللهَ وَإِنْ أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَاتِ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَعَنْ صَدَقَاتِهِمْ،وَهُوَ إِنَّمَا يَحُثُّهُمْ عَلَى التَّصَدُّقِ وَالإِنْفَاقِ لِيسَاوِيَ بَيْنَ الغَنِيِّ وَالفَقِيرِ،وَاللهُ حَمِيدٌ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِه وَأَقْوَالِه وَشَرْعِه وَقَدَرِه "[١٣٩٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: مَا تَصَدَّقَ عَبْدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ طَيِّبًا،وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ طَيِّبٌ إِلاَّ كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ،فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ وَفَصِيلَهُ،حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ أَوِ التَّمْرَةَ لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ.[١٣٩٥]

[١٣٩٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٨٥)

[١٣٩٣] – صحيح البخارى– المكتر – (١٤٦١) وصحيح مسلم– المكتر – (٢٣٦٢) وصحيح ابن حبان – (٨ / ١٢٩) (٣٣٤٠)

[١٣٩٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٤)

[١٣٩٥] – صحيح البخارى– المكتر – (١٤١٠) وصحيح ابن حبان – (١ / ٥٠٤) (٢٧٠) –الفلو : المُهْر الصغير إذا فطم

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ - وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ - إِلاَّ كَانَ اللَّهُ يَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ.[١٣٩٦]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ،وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ،وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ،وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدْخُلُهَا،وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ،قَالَ أَنَسٌ:فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ :لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ اللَّهَ،تَبَارَكَ وَتَعَالَى،يَقُولُ :لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)،وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ،وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلهِ،أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ،فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ،قَالَ:فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَخٍ،ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ،ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ،وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ،وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ،فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ:أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ،وَبَنِي عَمِّهِ. رواه البخاري ومسلم [١٣٩٧].

الحرص على صدقة السر،فهي أبعد عن الرياء وأحصن لكرامة الفقير وصون كرامته.

قال تعالى: {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (٢٧١) سورة البقرة.

إِنْ أَظْهَرْتُمُ الصَّدَقَاتِ فَلا بَأْسَ فِي ذَلِكَ،وَإِنْ أَسْرَرْتُمُ الصَّدَقَاتِ فَذَلِكَ أَفْضَلُ لأَنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الرِّيَاءِ،إِلاَّ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَى الإِظْهَارِ مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ،من اقْتِداءِ النَّاسِ بِهِ،فَيَكُونُ الإِظْهَارُ أَفْضَلَ.وَيُجَازِي اللهُ عِبَادَهُ الْمُخْلِصِينَ الْمُتَصَدِّقِينَ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ بِتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِهِمْ،واللهُ لاَ يَخْفَى عَلَيهِ شَيءٌ مِنْ ذَلِكَ،وَسَيَجْزِيهِمْ بِهِ [١٣٩٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ،وَشَابٌّ نَشَأَ فِى عِبَادَةِ رَبِّهِ،وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِى الْمَسَاجِدِ،وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِى اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ،وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ.وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ،وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ».رواه البخاري ومسلم[١٣٩٩].

ولا بأس بالجهر بها إن كان هناك ثمة حاجة،فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،عَلَيْهِمُ الصُّوفُ،فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ،قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ،فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ،فَأَبْطَؤُوا عَنْهُ،حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ،قَالَ:ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ،ثُمَّ

[١٣٩٦] - صحيح ابن حبان - (٨ / ١١٠) (٣٣١٦) صحيح

[١٣٩٧] - صحيح البخارى- المكتر - (١٤٦١) وصحيح مسلم- المكتر -(٢٣٦٢)

[١٣٩٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٨)

[١٣٩٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٦٠) وصحيح مسلم- المكتر -(٢٤٢٧)

جَاءَ آخَرُ،ثُمَّ تَتَابَعُوا،حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً،فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ،كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا،وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً،فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ،كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا،وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.[١٤٠٠]

تجنب المنة على الفقير،أو تذكيره بجميله عليه أو تكليفه بأي عمل مقابل صدقته ولو كانت الدعاء له.

قال تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) } [البقرة:٢٦٢ - ٢٦٤]

يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى الذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ إِنْفَاقَهُم مَنّاً عَلَى النَّاسِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ،وَلاَ يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ مَكْرُوهاً أَوْ أَذًى يُحْبِطُونَ بِهِ مَا أَسْلَفُوهُ مِنَ الإِحْسَانِ،فَهَؤلاءِ ثَوَابُهُمْ عَلَى اللهِ لا عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ،وَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوالِ يَوْمِ القِيَامَةِ،وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيا مِنَ الأَوْلادِ وَالأَمْوالِ،وَلا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الحَيَاةِ وَزِينَتِها،لأَنَّهُمْ صَارُوا إِلى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا فِيهِ .

كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ،وَرَدٌّ جَمِيلٌ عَلَى سَائِلٍ،وَدُعَاءٌ لِمُسْلِمٍ،وَعَفْوٌ وَمَغْفِرَةٌ عَنْ ظُلْمٍ لَحِقَ بِالْمُؤْمِنِ،خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يُتبِعُها الإِنْسَانُ بِإِيذاءِ مَنْ تَصَدَّقَ عَلَيهِ،وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ،حَلِيمٌ يَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ،وَيَصْفَحُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ .

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ المَنَّ وَالأَذَى يُبْطِلانِ الفَائِدَةَ المَقْصُودَةَ مِنْ إِعْطَاءِ الصَّدَقَاتِ،كَمَا يُبْطِلُهَا إِعْطَاءُ الصَّدَقَةِ لِلتَّبَاهِي وَالمُرَاءَاةِ أَمَامَ النَّاسِ بِها،كَمَنْ يَتَصَدَّقُ مُتَظَاهِراً بِأَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ اللهِ،وَتَخْفِيفَ بُؤْسِ المُحْتَاجِينَ.وَهُوَ إِنَّمَا يُرِيدُ مَدْحَ النَّاسِ،وَالاشْتِهَارَ بَيْنَهُمْ بِأَنَّهُ مِنَ المُحْسِنِينَ.وَهؤُلاءِ المُرَاؤُونَ مَثَلُ أَعْمَالِهِم مَثَلُ تُرابٍ عَلَى حَجَرٍ أَمْلَسَ،فَهَطَلَ مَطَرٌ فَغَسَلَ الحَجَرَ،وَلَمْ يَتْرُكْ عَلَيهِ شَيئاً مِنْ ذلِكَ التُّرابِ،وَأَصْبَحَ الحَجَرُ صَلْداً لا تُرَابَ عَلَيهِ.وَكَذَلِكَ يَذْهَبُ عَمَلَ المُرائِينَ وَلا يَبْقَى مِنْهُ شَيءٌ،فَلا يَنْتَفِعُونَ بِشَيءٍ مِنْ عَمَلِهِمْ عِنْدَ اللهِ،وَإِنْ ظَهَرَ أَنَّ لَهُم أَعْمَالاً حَسَنَةً،وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ المُنَافِقِينَ المُرَائِينَ،إِلى الخَيْرِ والرَّشَادِ.[١٤٠١]

وعَنْ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ وَلاَ مَنَّانٌ وَلاَ بَخِيلٌ »[١٤٠٢].

[١٤٠٠] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٩٧٥) الورق : الفضة

[١٤٠١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٦٩)

[١٤٠٢] - سنن الترمذى- المكتر - (٢٠٩٠) حسن -الخب : المخادع الذى يسعى بين الناس بالفساد

تقديم الأقرباء والأرحام في الصدقة والإنفاق إن كانوا بحاجة إليهما فالأقربون أولى بالمعروف.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٧٥) سورة الأنفال

يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الذينَ يَتَّبِعُونَ الْمُؤْمِنينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِيمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ،وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللهِ،يَكُونُونَ مَعَ السَّابِقِينَ فِي الآخِرَةِ.وَذَوُو الأَرْحَامِ مِنَ الأَقَارِبِ جَمِيعاً لَهُمْ وَلاَيَةُ القَرَابَةِ،وَبَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي الْمَوَدَّةِ وَالْمَالِ وَالنُّصْرَةِ كَمَا شَرَعَ اللهُ،وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيءٍ فِي هَذَا الوُجُودِ[١٤٠٣] .

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ.[١٤٠٤].

وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه - ﷺ- عَنِ الصَّدَقَاتِ:أَيُّهَا أَفْضَلُ ؟ قَالَ:" عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ[١٤٠٥]

وعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَانِ:صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ.[١٤٠٦].

البحث عن الفقراء الأخفياء والأتقياء،أصحاب العيال الصالحين المستورين المتعففين،فهم أولى الناس بالصدقة.

قال تعالى: {لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (٢٧٣) سورة البقرة

اجْعَلُوا مَا تُنْفِقُونَ لِلَّذِينَ ذَكَرَ اللهُ صِفَاتِهِم الخَمْسَ،التِي هِيَ أَجَلُّ الأَوْصَافِ قَدْراً،وَهِيَ:(الإِحْصَارُ،وَالعَجْزُ عَنِ الكَسْبِ،وَالتَّعَفُّفُ،وَمَعْرِفَتُهُمْ بِسِيمَاهُمْ،وَعَدَمُ سُؤَالِهِمْ شَيئاً مِمَّا فِي أَيدِي النَّاسِ).وَهؤُلاءِ هُمُ الفُقَرَاءُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الذينَ انْقَطَعُوا للهِ وَرَسُولِه،وَسَكَنُوا المَدِينَةَ،وَلَيسَ لَهُمْ وَسِيلَةُ عَيْشٍ يُنْفِقُونَ مِنْها عَلَى أَنْفُسِهِمْ،وَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَفَراً لِلْبَحْثِ عَنِ الرِّزْقِ،وَيَحْسَبُهُمْ مَنْ لاَ يَعْرِفُهُمْ،وَلا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ حَالِهِمْ،أَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ مِنْ تَعَفُّفِهِمْ فِي لِبَاسِهِمْ وَحَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ،وَتَعْرِفُهُمْ بِمَا يَظْهَرُ لِذَوِي

[١٤٠٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٢٣٦)

[١٤٠٤] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٧٧٢)(٢٣٥٣٠) ٢٣٩٢٧– والمعجم الكبير للطبراني – (٤ / ٢٣٦) (٣٩٤٥) صحيح لغيره

ومعنى الكاشح أنه الذي يضمر عداوته في كشحه وهو خصره يعني أن أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم المضمر العداوة في باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه و سلم وتصل من قطعك

[١٤٠٥] – المعجم الكبير للطبراني – (٤ / ١٨٨) (٣٨٢٦) صحيح لغيره

[١٤٠٦] – صحيح ابن حبان – (٨ / ١٣٣) (٣٣٤٤) صحيح لغيره

الأَلْبَابِ مِنْ صِفَاتِهِمْ:لاَ يُلحُّونَ فِي المَسْأَلَةِ،وَلاَ يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ مَا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ.وَجَمِيعُ مَا تُنْفِقُونَهُ مِنْ خَيرٍ فَإِنَّ اللهُ عَالِمٌ بِهِ،وَسَيَجْزِيكُمْ عَلَيهِ أَوْفَى الجَزَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ[١٤٠٧] .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ،قَالَ:لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا،وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ.[١٤٠٨] .

وقَال ابْنُ تَيْمِيَّةَ:يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَحَرَّى بِزَكَاتِهِ الْمُسْتَحِقِّينَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ الْمُتَّبِعِينَ لِلشَّرِيعَةِ،فَمَنْ أَظْهَرَ بِدْعَةً أَوْ فُجُورًا فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ بِالْهَجْرِ وَغَيْرِهِ وَالاسْتِتَابَةَ فَكَيْفَ يُعَانُ عَلَى ذَلِكَ ؟،وَقَال:مَنْ كَانَ لاَ يُصَلِّي يُؤْمَرُ بِالصَّلاَةِ،فَإِنْ قَال:أَنَا أُصَلِّي،أُعْطِيَ،وَإِلاَّ لَمْ يُعْطَ،وَمُرَادُهُ أَنَّهُ يُعْطَى مَا لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا بِالنِّفَاقِ "[١٤٠٩]

الإنفاق على الفقراء بوجه طلق مستبشر،وبنفس راضية متواضعة،وتجنب رؤية النفس أن لها فضلا على أحد،بل إن الفضل للفقير إن قبل منك صدقتك فقد خلَّصك من رذيلة الشح،وأخذ منك ما هو طهرة لك وقربة عند الله سبحانه وتعالى .

اعتنام الأوقات المباركة،والمناسبات والأعياد والجمعات لإدخال السرور على قلوب الفقراء،فما عبد الله سبحانه بأحب من جبر الخواطر وقضاء الحوائج.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وعَنِ الشَّعْبِيِّ،قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ،وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ،وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ "[١٤١٠] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ،ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ،فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَنِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ،ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى ارْتَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا،فَقَالَ: " فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١٤١١]

الإنفاق مما يجد ولو كان قليلا،وتجنب استصغار الصدقة،فالقليل منها يدفع الشرّ الكثير ويثيب الله عليها بالكثير.قال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} (٧) سورة الزلزلة.

[١٤٠٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٨٠)

[١٤٠٨] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٣١٤) (٥٥٤) صحيح

[١٤٠٩] – مجموع الفتاوى الكبرى ٢٤ / ٢٧٨ ، ٢٥ / ٨٧ – ٨٩ . الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٣ / ٣٢٨)

[١٤١٠] -شعب الإيمان – (٥ / ٦١) (٣٠٩٨) والعلل(٢٠٠٧) وصحح وقفه والإتحاف ١٧٤/٤ و ٢٣٨/٥ حسن لغيره

الرحيق : من أسماء الخمر.–والمختوم : الذي لم يبتذل لأجل ختامه.

[١٤١١] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٤٦٦) وشعب الإيمان – (٥ / ٦٣)

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- النَّارَ فَأَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ ». ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ». رواه البخاري ومسلم[١٤١٢].

وعَنْ عَائِشَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ لَيُرَبِّي لأَحَدِكُمُ التَّمْرَةَ وَاللُّقْمَةَ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ.[١٤١٣].

الشكر والدعاء لمن أسدى إلينا معروفا ولمن أدّى حق الله في ماله.قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٠٣) سورة التوبة

ففي هذه الآية،دلالة على وجوب الزكاة،في جميع الأموال،وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة،فإنها أموال تنمى ويكتسب بها،فمن العدل أن يواسى منها الفقراء،بأداء ما أوجب اللّه فيها من الزكاة.

وما عدا أموال التجارة،فإن كان المال ينمى،كالحبوب،والثمار،والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل،فإنها تجب فيها الزكاة،وإلا لم تجب فيها،لأنها إذا كانت للقنية، لم تكن بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة،مالا يتمول،ويطلب منه المقاصد المالية،وإنما صرف عن المالية بالقنية ونحوها.

وفيها: أن العبد لا يمكنه أن يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله،وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها،لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها.

وفيها: استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه لمن أدى زكاته بالبركة،وأن ذلك ينبغي،أن يكون جهرا،بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه.ويؤخذ من المعنى،أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام اللين،والدعاء له،ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة،وسكون لقلبه. وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء،ونحو ذلك.[١٤١٤]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ ».[١٤١٥].

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ:جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا،فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ.[١٤١٦].

[١٤١٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٥٦٣) و صحيح مسلم- المكتر – (٢٣٩٦)

[١٤١٣] – صحيح ابن حبان – (٨ / ١١١) (٣٣١٧) صحيح

[١٤١٤] – تفسير السعدي – (١ / ٣٥٠)

[١٤١٥] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٨١٣) صحيح

[١٤١٦] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٢٠٢) (٣٤١٣) صحيح

-٣٣-آداب الحج والزيارة

الحج آخر أركان الإسلام،وهو عبادة روحية وجسدية ومالية،وهو رحلة يتحمل فيها المسلم ترك الوطن والتعرض للمشاق وبذل المال،وترك العيال،انقطاعا إلى الله،وهجرة إلى رضاه وعملا على تكفير ذنوبه وفتح صفحة جديدة من صفحات البر والإيمان.

إنها تلبية نداء لزيارة بيته المقدّس،حيث ذكريات بناء البيت،والتضحية والفداء ومواقف النبي ﷺوالمكان الذي انبعث منه صوت الحق ونبع منه ينبوع الإيمان.

قال تعالى:{ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)} الحج.

نَادِ النَّاسَ دَاعِياً إِيَّاهُم إلى الحَجِّ إِلَى هَذا البَيْتِ الذي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِه،يَأْتُوكَ مُشَاةً عَلَى أَرْجُلِهِمْ (رِجَالاً)،مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ،وَيَأْتُوكَ رَاكِينَ (رُكْبَاناً) عَلَى الخَيْلِ والجِمَالِ المُضَمَّرَةِ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بَعِيدٍ .

(وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ:إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ:يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَبْلِّغُ النَّاسَ وَصَوْتِي لاَ يَنْفُذُهُم؟ فَقَالَ اللهُ تعالى: نَادِ وَعَلَيْنَا البَلاَغُ،فَقَامَ فَنَادَى،يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُم اتَّخَذَ بَيْتً فَحُجُّوهُ.وَلِهَذَا يَرِدُّ مَنْ يَحُجُّ البَيْتَ عَلَى نِدَاءِ اللهِ قَائِلاً:(لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) .

ثُمَّ لِيُزِيلُوا مَا عَلِقَ بِهِمْ مَنَ الأَوْسَاخِ أَثْنَاءَ السَّفَرِ والإِحْرَامِ فَيْحْلِقُوا الشَّعْرَ،وَيُقَلِّمُوا الأَظَافِرَ،وَيُخَفِّفُوا شَعَرَ الوَجْهِ والرَّأسِ (لِيَقْضُوا تَفَثَهُم)،وَلْيَتَحَلَّلُوا مِنْ إِحْرَامِهِمْ وَلْيُوفُوا مَا نَذَرُوهُ مِنَ أَعْمَالِ البرِّ،وَلْيَطُوفُوا طَوافَ الوَدَاعِ بالبَيْتِ الحَرَامِ (البَيْتِ العَتِيقِ)،الذي هُوَ أَقْدَمُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْعِبَادَةِ .

ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم - ثُمَّ لْيُزِيلُوا بِالتَّحَلُّلِ مَا عَلِقَ بِهِمْ مِنْ أَوْسَاخٍ،أو ثُمَّ لْيُؤدُّوا مَنَاسِكَهُمْ .[١٤١٧]

في موسم الحج هذا انقطاع إلى العبادة بأنواعها المختلفة وصرف أكثر الأوقات بين صلاة وذكر وقراءة للقرآن وتهليل وتكبير وتحميد وتمجيد ودعاء وابتهال فيصفو القلب ويطمئن الفؤاد وينشرح الصدر وتجلى الهموم وتغسل الأدران وتقبل التوبة ويستجاب الدعاء.

ومن جمال الحج النظر إلى الكعبة المشرّفة بيت الله الحرام فإنه عبادة،فعَنْ مَكْحُولٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " خَمْسٌ مِنَ الْعِبَادَةِ " ذَكَرَ إِحْدَاهُنَّ قَالَ: " وَالنَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ "[١٤١٨]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: " النَّظَرُ إِلَى الْوَالِدِ عِبَادَةٌ،وَالنَّظَرُ إِلَى الْكَعْبَةِ عِبَادَةٌ،وَالنَّظَرُ فِي الْمُصْحَفِ عِبَادَةٌ،وَالنَّظَرُ إِلَى أَخِيكَ حُبًّا لَهُ فِي اللهِ عِبَادَةٌ "[١٤١٩]

[١٤١٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٥١٢)

[١٤١٨] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ٢٠٠) (٣٢٨) حسن مرسل

[١٤١٩] - شعب الإيمان - (١٠ / ٢٦٧) (٧٤٧٦) حسن

ورؤيته في صلاته قبلته التي يستقبلها كل يوم. فيرى أول بيت وضع للنـــاس للعبادة،ويتـــذكر أبانـــا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام وهما يرفعان القواعد من البيت،ويتذكر إنتشار الإسلام من مكة إلى أقطار الأرض فهي أم القرى.

وفي عرفات درس وتمرين على الإخلاص الكامل لله وحده في العمل والابتهال إليـــه بالـــدعاء فـــإن الاجتماع هناك يذكر بالمحشر والعرض الأكبر على الله تعالى يوم القيامة فيسمع هناك لغـــات مختلفـــة يضرعون بها إلى خالق الأرض والسموات وقلوبهم متجهة إلى بارئها بـــإخلاص وحـــب وتضـــرع وبكاء...

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَـــالَ:يَـــا رَسُـــولَ اللهِ،كَلِمَـــاتٌ أَسْـــأَلُ عَنْهُنَّ،قَالَ:اجْلِسْ،وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،كَلِمَاتٌ أَسْأَلُ عَنْهُنَّ،فَقَالَ ﷺ: سَـــبَقَكَ الأَنْصَارِيُّ،فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ:إِنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ،وَإِنَّ لِلْغَرِيبِ حَقًّا،فَابْدَأْ بِهِ،فَأَقْبَلَ عَلَـــى الثَّقَفِيِّ،فَقَـــالَ:إِنْ شِئْتَ أَجَبْتُكَ عَمَّا كُنْتَ تَسْأَلُ،وَإِنْ شِئْتَ سَأَلْتَنِي وَأُخْبِرْكَ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،بَلْ أَجِبْنِي عَمَّا كُنْـــتُ أَسْأَلُكَ،قَالَ:جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الرُّكُوعِ،وَالسُّجُودِ،وَالصَّلاَةِ،وَالصَّوْمِ،فَقَالَ:لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَـــا أَخْطَأْتَ مِمَّا كَانَ فِي نَفْسِي شَيْئًا،قَالَ:فَإِذَا رَكَعْتَ،فَضَعْ رَاحَتَيْكَ عَلَـــى رُكْبَتَيْـــكَ،ثُمَّ فَـــرِّجْ بَـــيْنَ أَصَابِعِكَ،ثُمَّ أَمْكُثْ حَتَّى يَأْخُذَ كُلُّ عُضْوٍ مَأْخَذَهُ،وَإِذَا سَجَدْتَ،فَمَكِّنْ جَبْهَتَكَ،وَلاَ تَنْقُرُ نَقْرًا،وَصَـــلِّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَآخِرَهُ،فَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،فَإِنْ أَنَا صَلَّيْتُ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ:فَأَنْتَ إِذًا مُصَلِّي،وَصُـــمْ مِـــنْ كُـــلِّ شَهْرٍ،ثَلاَثَ عَشْرَةَ،وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ،وَخَمْسَ عَشْرَةَ،فَقَامَ الثَّقَفِيُّ،ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الأَنْصَارِيِّ،فَقَالَ:إِنْ شِـــئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا جِئْتَ تَسْأَلُ،وَإِنْ شِئْتَ سَأَلْتَنِي فَأُخْبِرْكَ،فَقَالَ:لاَ يَا نَبِـــيَّ اللهِ،أَخْبَرَنِـــي عَمَّـــا جِئْـــتُ أَسْأَلُكَ،قَالَ:جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْحَاجِّ مَا لَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ ؟ وَمَا لَهُ حِينَ يَقُومُ بِعَرَفَاتٍ ؟ وَمَا لَهُ حِينَ يَرْمِي الْجِمَارَ ؟ وَمَا لَهُ حِينَ يَحْلِقُ رَأْسَهُ ؟ وَمَا لَهُ حِينَ يَقْضِي آخِرَ طَوَافِ بِالْبَيْتِ ؟ فَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأْتَ مِمَّا كَانَ فِي نَفْسِي شَيْئًا،قَالَ:فَإِنَّ لَهُ حِينَ يَخْرُجُ مِـــنْ بَيْتِـــهِ أَنَّ رَاحِلَتَهُ لاَ تَخْطُو خُطْوَةً إِلاَّ كُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ،أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ،فَإِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ،فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا،فَيَقُولُ:انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا،اشْهَدُوا أَنِّي قَـــدْ غَفَـــرْتُ لَهُـــمْ ذُنُوبَهُمْ،وَإِنْ كَانَ عَدَدَ قَطْرِ السَّمَاءِ وَرَمْلِ عَالِجٍ،وَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ لاَ يَدْرِي أَحَدٌ مَا لَهُ حَتَّى يُوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَإِذَا حَلَقَ رَأْسَهُ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَقَطَتْ مِنْ رَأْسِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَإِذَا قَضَى آخِرَ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.[١٤٢٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ مَلاَئِكَةَ أَهْلِ السَّمَاءِ،فَيَقُولُ:انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي هَؤُلاَءِ جَاؤُونِي شُعْثًا غُبْرًا.[١٤٢١]

[١٤٢٠] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٢٠٦) (١٨٨٧) حسن

[١٤٢١] – صحيح ابن حبان – (٩ / ١٦٣) (٣٨٥٢) صحيح

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ،قَالَ:فَقَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللهِ،هُنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ،قَالَ:هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِ اللهِ،وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ،فَيَقُولُ:انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاؤُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ يَرْجُونَ رَحْمَتِي،وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي،فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عِتْقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ.[١٤٢٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ،وَفْدُ اللهِ إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ،وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ.[١٤٢٣]

وعن عَمْرو بْنُ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ: " الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ إِنْ سَأَلُوا أُعْطُوا،وَإِنْ دَعَوْا أُجِيبُوا،وَإِنْ أَنْفَقُوا أُخْلِفَ لَهُمْ،وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ مَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ عَلَى نَشَزٍ،وَلَا أَهَلَّ مُهِلٌّ عَلَى شَرَفٍ مِنَ الْأَشْرَافِ إِلَّا أَهَلَّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَبَّرَ حَتَّى يَنْقَطِعَ بِهِ مُنْقَطِعُ التُّرَابِ "[١٤٢٤].

في رحلة الحج تجرد عن الوطن والأهل والمال فهو تمرين على سهولة فراق ذلك كله عند الموت فلا يصعب عليه،وتدريب على الزهد في الدنيا وأن لا يأخذ منها إلا قدر زاد الراكب وينفق في سبيل الله بسخاوة ونفس وطمأنينة فؤاد.

وفي موسم الحج دورة تدريبية لترك الرفث والفسوق والجدال فلا معاصي في الحج ولا مخاصمات وبذلك يعتادون بعده ترك المفاسد.

في الحج يلتقي المسلمون من أقطار الأرض في هذه البقعة المباركة فيتعارفون ويتآلفون وفيه يحصل التعاون والتناصر بينهم فهو أعظم مؤتمر عالمي على وجه الأرض،وفي الحج يتم التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي وفيه تتحقق المساواة بشكل عملي وتطبيقي فلا فرق بين رئيس ومرؤوس ولا غني ولا فقير،ولا كبير ولا صغير ولا أبيض ولا أسود فهم سواسية كأسنان المشط ولا كبرياء ولا عظمة فهم متواضعون لبعضهم ويؤثرون بعضهم بعضا ويساعد بعضهم بعضا.

وفي أثناء أعمال الحج يقوم الحاج بزيارة المصطفى ﷺ،زيارة أعظم إنسان في هذا الوجود فيقف المسلم مشدوها أمام هذه العظمة المتمثلة بهذا الرسول العظيم ويستعيد ذكرى سيرة هذا النبي وكيف بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وما تحمل في ذلك،ويكاد لا يصدق المسلم نفسه بأنه يقف هذا الموقف،فتغمر روحه أنوار المصطفى وروحانيته وكأنه يناجي رسول الله ﷺ ويحادثه وعينيه تهطل دموع الفرح والسرور والغبطة فإذا به ينطق " الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله" ﷺ.

[١٤٢٢] – صحيح ابن حبان – (٩ / ١٦٤) (٣٨٥٣) صحيح

[١٤٢٣] – سنن ابن ماجة– طبع مؤسسة الرسالة – (٤ / ١٣٩) (٢٨٩٢) حسن

[١٤٢٤] – شعب الإيمان – (٦ / ١٧) (٣٨٠٩) ضعيف

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ زَارَ قَبْرِى وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِى »[١٤٢٥].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ حَجَّ فَزَارَ قَبْرِي بَعْدَ وَفَاتِي كَانَ كَمَنْ زَارَنِي فِي حَيَاتِي "[١٤٢٦]

وعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ زَارَ قَبْرِي،أَوْ قَالَ:مَنْ زَارَنِي كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا،أَوْ شَهِيدًا وَمَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه أبو داود الطيالسي[١٤٢٧].

وقد أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ سَلَفًا وَخَلَفًا عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ زِيَارَةِ النَّبِيِّ ﷺ.وَقَدْ ذَهَبَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْفَتْوَى فِي الْمَذَاهِبِ إِلَى أَنَّهَا سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ،وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ:هِيَ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ،تَقْرُبُ مِنْ دَرَجَةِ الْوَاجِبَاتِ،وَهُوَ الْمُفْتَى بِهِ عِنْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ "[١٤٢٨]

وهذه جملة من آداب الحج والعمرة:

الاستعداد للحج بالتوبة الصادقة،والإقلاع عن الذنوب الظاهرة والباطنة ورد مظالم الناس،بالجسم والعرض والمال والتحلل منها،وطلب المسامحة من أهلها.

كتابة الوصية الواجبة على كل مسلم في كل وقت وهي في مثل حال السفر أشد وجوبا فلعله لا يرجع من سفره. وذلك بأن يكتب فيها حقوق الله التي لم يؤدها مثل الزكاة والصوم ونحوهما وحقوق الناس المالية وغيرها ويوصي ورثته بأدائها.

كما يوصي أهله بترك المعاصي والمحافظة على الصلاة وأوامر الله سبحانه والابتعادعن نواهيه.

الإنفاق من الكسب الحلال الطيب لإنفاذ رحلة الحج،وترك ما يلزم من نفقة لمن تلزمه نفقة خلال فترة غيابه.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: " كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يَحُجُّونَ وَلَا يَتَزَوَّدُونَ وَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ فَيَحُجُّونَ إِلَى مَكَّةَ،فَيَسْأَلُونَ النَّاسَ " فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: { وَتَزَوَّدُوا،فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [البقرة: ١٩٧] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ[١٤٢٩]

[١٤٢٥] – سنن الدارقطنى- المكتر – (٢٧٢٧) حسن لغيره

[١٤٢٦] – أخبار مكة للفاكهي – (٩٤٩) والمعجم الكبير للطبراني – (١١ / ٣٥)(١٣٣١٤ و١٣٣١٥) ضعيف

[١٤٢٧] – مسند الطيالسي – (٦٥) فيه جهالة

[١٤٢٨] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (٢٤ / ٨٣) و فتح القدير للكمال بن الهمام شرح الهداية مطبعة مصطفى محمد ٢ / ٣٣٦ ، ورد المحتار على الدر المختار لابن عابدين محمد أمين طبع إستانبول دار الطباعة العامرة ٢ / ٣٥٣ ، والشفا نسخة شرحه للقاري طبع إستانبول سنة ١٣١٦ ، ٢ / ١٤٩ ، والمجموع للنووي شرح المهذب للشيرازي مطبعة العاصمة بالقاهرة ٨ / ٢١٣ ، ٢١٤ – ٢١٥ ، والمغني لابن قدامة طبع دار المنار سنة ١٣٦٧ ، ٣ / ٢٥٦ ، والاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود الموصلي ، طبع مصطفى البابي الحلبي ١ / ١٧٣ ، ولباب المناسك للسندي وشرحه لعلي القاري طبع المطبعة الأميرية ص ٢٨٢ .

[١٤٢٩] – صحيح البخارى- المكتر – (١٥٢٣) وشعب الإيمان – (٢ / ٤١٦) (١١٥٣)

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(البيهقيُّ): " وَفِي هَذَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ زُوَّارَ بَيْتِهِ بِالتَّزَوُّدِ،وَقَالَ: { إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } يَعْنِي – وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ – فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا عَادَ عَلَى صَاحِبِهِ بِالتَّقْوَى " وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: " وَهُوَ أَلَّا يَتَوَكَّلَ عَلَى أَزْوَادِ النَّاسِ فَيُؤْذِيَهُمْ وَيُضَيِّقَ عَلَيْهِمْ،وَمَنْ دَخَلَ الْبَادِيَةَ بِلَا زَادٍ مُتَوَكِّلًا فَإِنَّمَا يَرْجُو أَنْ يُقَيِّضَ اللهُ مَنْ يُوَاسِيهِ مِنْ زَادِهِ،وَهَذَا عَيْنُ مَا أَشَارَتِ الْآيَةُ إِلَى الْمَنْعِ مِنْهُ،فَبَانَ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِاسْتِحْبَابِهِ،وَإِنَّمَا الْمُسْتَحَبُّ هُوَ التَّزَوُّدُ أَوِ الْجُلُوسُ إِذَا لَمْ يَكُنْ زَادٌ حَتَّى يَكُونَ "

التعجيل بالحج متى قدر عليه حسب القواعد الشرعية وتجنب تأجيله تهاونا بها. أو تكاسلا عنه.

قال تعالى:{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)} آل عمران.

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَفْرِضُ اللهُ تَعَالَى الحَجَّ عَلَى المُسْلِمِينَ،وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ أَحَدَ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ،وَأَصْبَحَ فَرْضاً عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ الحَجَّ مِنْ نَفَقَةٍ وَقُدْرَةٍ .

وَمَنْ جَحَدَ فَرِيضَةَ الحَجِّ فَقَدْ كَفَرَ وَاللهُ غَنِيٌّ عَنْهُ (وَقِيلَ المُرَادُ بِالكُفْرِ هُوَ جُحُودُ كَوْنِ البَيْتِ الحَرَامِ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِعِبَادَةِ النَّاسِ) .[١٤٣٠]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ ». رواه أبو داود[١٤٣١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،عَنِ الْفَضْلِ،أَوْ أَحَدِهِمَا عَنِ الآخَرِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ،فَلْيَتَعَجَّلْ،فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ،وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ،وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ."[١٤٣٢].

اختيار الصاحب الصالح،والرفيق الأمين،والدليل العالم بأحكام الحج،والمواقف والشعائر ذلك الصاحب الذي إن ذكر أعانه وإن نسي ذكَّره،والأفضل الذهاب مع العلماء العاملين فإذا منّ الله تعالى عليه بهذا الفضل فليتمسك به فإنه يعينه على مبارّ الحج ومكارم الأخلاق ويمنعه بعلمه وعمله من سوء ما يطرأ على المسافر من مساوئ الأخلاق والضجر ويعود بحجة مقبولة لا تنسى أبدا (إن شاء الله تعالى).

الرفق بالأصحاب،وتحسين الخلق لهم،ولين الجانب معهم،وبذل المراد لهم،والقيام على خدمتهم،والبشاشة والاستبشار عند رؤياهم،وترك اللغو والمماراة والجدال معهم،والإعراض والتغافل عن زلاتهم،وإيثارهم بالراحة والمال.

قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ} (١٩٧) سورة البقرة.

[١٤٣٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٠)

[١٤٣١] – سنن أبي داود – المكتر – (١٧٣٤) حسن

[١٤٣٢] – سنن ابن ماجة– طبع مؤسسة الرسالة – (٤ / ١٣٣) (٢٨٨٣) حسن

لأَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ لَدَى النَّاسِ هِيَ شَوَّال وَذُو القِعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ.فَلاَ يَنْبَغِي لأَحَـد أَنْ يُحرِمَ بِالحَجِّ إِلا فِي هذِهِ الشُّهُورِ.فَمَنْ أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ حَجّاً بِإِحْرَامِهِ – وَالفَرَضُ هُنا هُو الإِحْرَامُ – فَعَلَيهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الجِمَاعَ وَدَوَاعِيَهُ (الرَّفَثَ)،وَالمَعَاصِيَ (الفُسُـوقَ)،وَعَلَيـه أَنْ يَتَجَنَّـبَ الجِـدَالَ وَالمُخَاصَمَةَ وَالمُلاحَاةَ فِي الحَجِّ.وَيَحُثُّ اللهُ المُؤْمِنِينَ عَلَى فِعْـلِ الجَمِيـلِ،وَتَرْكِ الرَّفَـثِ والفُسُـوقِ وَالجِدَالِ،لِتَصْفُوَ نُفُوسُهُمْ،وَتَتَخَلَّى عَنِ الرَّذَائِلِ،وَتَتَحَلَّى بِالفَضَائِلِ.ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَـالِمٌ بِمَـا يَعْمَلُونَ،وَأَنَّهُ سَيَجْزِيهِمْ عَلَيهِ الجَزَاءَ الأَوْفَى يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ.الذِينَ يُرِيْدُونَ الحَجَّ بِالتَّزَوُّدِ لِلطَّرِيقِ لِكَي يَكُفُّوا وُجُوهَهُمْ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ،لأَنَّ أُناساً مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ وَغَيْرِهِمْ كَانُوا يَحُجُّونَ مِنْ غَيرِ زَادٍ.وَأَعْلَمَهُمُ اللهُ تَعَـالَى أَنَّ خَيْـرَ زَادِ المُـؤْمِنِ لِلآخِرَةِ هُوَ التَّقْوَى،وَفِعْلُ الجَمِيلِ.ثُمَّ حَذَّرَ اللهُ ذَوِي العُقُولِ وَالأَفْهَامِ مِنْ عِقَابِهِ وَنَكَالِهِ لِمَنْ خَالَفَ أَمْرَ رَبِّهِ .[١٤٣٣]

عَنْ قَتَادَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَهُمَا أَجْرًا أَشَـدُّهُمَا حُبًّـا لِصَاحِبِهِ " [١٤٣٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ،إِلاَّ كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَـدُّهُمَا حُبًّـا لِصَاحِبِهِ.[١٤٣٥]

ويسن للمسافرين معا أن يؤمِّروا أحدهم فذلك أولى إلى انتظام أمورهم وحسم خلافاتهم.فعَـنْ أَبِـى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « إِذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِى سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ ». رواه أبـو داود[١٤٣٦].

ويفضل لهم إذا باتوا في الخلاء أن يتناوبوا الحراسة.

تعلم مناسك الحج بشكل صحيح عند العلماء الأفاضل قبل السفر وحضور دورات تدريبية توضـح مناسك الحج بشكل تدريبي عملي واصطحاب كتاب بذلك حتى يحج بعلم وثقة ويعود مطمئن البال بأنه أدى الفريضة كما يحب الله ورسوله.[١٤٣٧]

صلاة ركعتين عندما يريد الخروج من مترله للسفر،فعَنِ الْمُطْعِمِ بْنِ الْمِقْدَامِ،قَالَ:قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: مَا خَلَفَ عَبْدٌ عَلَى أَهْلِه أَفْضَلَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُمَا عِنْدَهُمْ حِينَ يُرِيدُ سَفَرًا..[١٤٣٨]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺلا يَنْزِلُ مَنْزِلا إِلا وَدَّعَهُ بِرَكْعَتَيْنِ "[١٤٣٩]

[١٤٣٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٠٤)

[١٤٣٤] – شعب الإيمان – (١١ / ٣٤٣)(٨٦٣٠ –٨٦٣٢) صحيح مرسل

[١٤٣٥] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٣٢٥) (٥٦٦) حسن

[١٤٣٦] – سنن أبي داود – المكتز – (٢٦١٠) صحيح

[١٤٣٧] – لي كتاب فيه تفصيل أحكام الحج والعمرة وهو ((**الخلاصة في أحكام الحج والعمرة**)) يوجد في مكتبة صيد الفوائد وغيرها

[١٤٣٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (٢ / ٨١) (٤٩١٤) صحيح معضل ن المطعم بن المقدام لم يسمع من صحابي على الصحيح

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى.[١٤٤٠]

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ،قَالَ:رَأَيْتُ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ صَلَّى حِينَ أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى بَاجُمَيْرا فِي الْحُجْرَةِ ضُحًى رَكْعَتَيْنِ،وَصَلَّى مَعَهُ نَفَرٌ مِنْهُمَ الأَسْوَدُ بْنُ يَزِيدَ.[١٤٤١]

يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}،وفي الثانية: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[١٤٤٢].

وقال النووي:" وقال بعضهم:يقرأ في الأولى بعد الفاتحة (قل أعوذ برب الفلق) وفي الثانية (قل أعوذ برب الناس) فإذا سلم قرأ آية الكرسي "[١٤٤٣]

قلت:جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَفَاتِحَةَ حم الْمُؤْمِنِ (حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) [غافر:١ - ٣]،لَمْ يَرَ شَيْئاً يَكْرَهُهُ حَتَّى يُمْسِيَ،وَمَنْ قَرَأَهَا حِينَ يُمْسِي لَمْ يَرَ شَيْئاً يَكْرَهُهُ حَتَّى يُصْبِحَ ».[١٤٤٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ قَرَأَ حِينَ يُصْبِحُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ حُفِظَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ،وَإِنْ قَرَأَهَا حِينَ يُمْسِي حُفِظَ فِي لَيْلَتِهِ تِلْكَ حَتَّى يُصْبِحَ "[١٤٤٥]

ثم يدعو بحضور قلب وإخلاص،ومن أحسن ما يقول:اللهم بك أستعين،وعليك أتوكل،اللهم ذلل لي صعوبة أمري،وسهل علي مشقة سفري،وارزقني من الخير أكثر مما أطلب،واصرف عني كل شر،رب اشرح لي صدري،ويسر لي أمري،اللهم إني أستحفظك وأستودعك نفسي وديني وأهلي وأقاربي وكل ما أنعمت علي وعليهم به من آخرة ودنيا،فاحفظنا أجمعين من كل سوء يا كريم.[١٤٤٦]

ويفتتح دعاءه ويختمه بالتحميد لله تعالى،والصلاة والسلام على رسول الله ﷺوإذا نهض من جلوسه فليقل ما رويناه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:لَمْ يُرِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺسَفَرًا إِلَّا قَالَ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ جُلُوسِهِ:" اللَّهُمَّ بِكَ انْتَشَرْتُ،وَإِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ،وَبِكَ اعْتَصَمْتُ،أَنْتَ ثِقَتِي وَرَجَائِي،اللَّهُمَّ اكْفِنِي مَا أَهَمَّنِي وَمَا لَا

[١٤٣٩] - صحيح ابن خزيمة(٢ / ٢٣٢) والإتحاف ٤٠٧/٦ حسن لغيره

[١٤٤٠] - مصنف ابن أبي شيبة - (٢ / ٨١) (٤٩١٦) صحيح

[١٤٤١] - مصنف ابن أبي شيبة - (٢ / ٨١) (٤٩١٧) صحيح مقطوع

[١٤٤٢] - الأذكار للنووي - (١ / ٢١٦)

[١٤٤٣] - الأذكار للنووي - (١ / ٢١٦)

[١٤٤٤] - سنن الدارمى- المكتر - (٣٤٤٩) ضعيف

[١٤٤٥] شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٢٤٤و٢٢٤٥) ضعيف

[١٤٤٦] - الأذكار للنووي - (١ / ٢١٧)

أَهْتَمُّ بِهِ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي،اللَّهُمَّ زَوِّدْنِي التَّقْوَى،وَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَوَجِّهْنِي إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهْتُ " ثُمَّ يَخْرُجُ "[١٤٤٧].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" مَنْ خَرَجَ مَخْرَجًا فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ:بِسْمِ اللَّهِ،وَآمَنْتُ بِاللَّهِ،وَاعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ،وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ،عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ شَرِّ مَخْرَجِهِ "[١٤٤٨]

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ،يُرِيدُ سَفَرًا،أَوْ غَيْرَهُ،فَقَالَ حِينَ يَخْرُجُ:بِسْمِ اللهِ،آمَنْتُ بِاللَّهِ،اعْتَصَمْتُ بِاللَّهِ،تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ،إِلاَّ رُزِقَ خَيْرَ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ،وَصُرِفَ عَنْهُ شَرُّ ذَلِكَ الْمَخْرَجِ.[١٤٤٩]

توديع أهله وجيرانه وأصدقائه. فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا،فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ لَدَى دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ "[١٤٥٠]

والسنة أن يقول له من يودعه ما روي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:كَانَ أَبِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ إِذَا أَتَى الرَّجُلَ وَهُوَ يُرِيدُ السَّفَرَ،قَالَ لَهُ:ادْنُ حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُوَدِّعُنَا،فَيَقُولُ:أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ.[١٤٥١].

وعَنْ قَزَعَةَ،قَالَ:قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ:أُوَدِّعُكَ كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ،وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ.[١٤٥٢]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِى. قَالَ « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ». قَالَ زِدْنِى. قَالَ « وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ». قَالَ زِدْنِى بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى. قَالَ « وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ »[١٤٥٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ لَهُ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّى أُرِيدُ السَّفَرَ. فَقَالَ لَهُ :« مَتَى؟ ». قَالَ:غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ:فَأَتَاهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ :« فِى حِفْظِ اللَّهِ وَفِى كَنَفِهِ،زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى،وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ أَوْ أَيْنَمَا تَوَخَّيْتَ »[١٤٥٤]

[١٤٤٧] – تَهْذِيبُ الْآثَارِ لِلطَّبَرِيِّ (١٤٠٧) والسُّنَنُ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ(٩٦٨٨) ضعيف
هَكَذَا يَقُولُهُ الْعَوَّامُّ : " بِكَ انْتَشَرْتُ " وَأَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّحِيحُ " ابْتَسَرْتُ " يَعْنِي ابْتَدَأْتُ سَفَرِي

[١٤٤٨] – تَهْذِيبُ الْآثَارِ لِلطَّبَرِيِّ (١٤٠٨) والخطيب فى موضح أوهام الجمع والتفريق (٣٦٩/١) صحيح

[١٤٤٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٢١٨) (٤٧١) صحيح لغيره

[١٤٥٠] – مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ (٧٥٩) ضعيف جدا

[١٤٥١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٢٣٠)(٤٥٢٤) صحيح

[١٤٥٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٢٧٨) (٤٧٨١) صحيح

[١٤٥٣] -سنن الترمذى- المكتر – (٣٧٧٦) وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[١٤٥٤] – سنن الدارمى- المكتر – (٢٧٢٧) صحيح

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « مَنْ قَالَ - يَعْنِى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه - بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ. يُقَالُ لَهُ كُفِيتَ وَوُقِيتَ. وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ».[١٤٥٥].

يقول عند خروجه من بيته ما صح أن رسول الله ﷺكان يقول إذا خرج من بيته" فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه،فَقَالَ:بِسْمِ اللهِ،تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ،فَيُقَالُ لَهُ:حَسْبُكَ قَدْ كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ. فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ:كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ كُفِيَ وَهُدِيَ وَوُقِيَ[١٤٥٦].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه،قَالَ:بِسْمِ اللهِ،تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ،أَوْ نَضِلَّ،أَوْ نَظْلِمَ،أَوْ نُظْلَمَ،أَوْ نَجْهَلَ،أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا.[١٤٥٧]

ويستحب هذا الدعاء لكل خارج من بيته،ويستحب أن يتصدق بشيء عند خروجه وكذا بين يدي كل حاجة يريدها.[١٤٥٨]

يسمي الله إذا بدأ المسافر بركوب مركبته ويدعو بما ورد عن النبي ﷺ. فعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ،أَنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ أَخْبَرَهُ،أَنَّ عَلِيًّا الأَسَدِيَّ أَخْبَرَهُ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِه خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا،وَقَالَ:{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف]،اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى،وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى،اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا،وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ،اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ،وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ،وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ،وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ،فَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ،وَزَادَ فِيهِنَّ:آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ. رواه مسلم[١٤٥٩].

تجنب الشبع المفرط والزينة والترفه والتبسط في ألوان الأطعمة،فإن الحاج أشعث أغبر،وينبغي أن يستعمل الرفق وحسن الخلق مع جميع الناس وتجنب المخاصمة والمخاشنة ومزاحمة الناس في الطريق وموارد الماء ما أمكنه ويصون لسانه من الشتم والغيبة واللعن وجميع الألفاظ القبيحة وليلاحظ ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ،وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.[١٤٦٠].

وليرفق بالسائل له والضعيف ولا ينهر أحدا منهم ولا يوبخه على خروجه بلا زاد بل يواسيه بشيء مما تيسر فإن لم يفعل رده ردا جميلا ودعا له بالمعونة.

[١٤٥٥] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٧٥٤) صحيح

[١٤٥٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٠٤) (٨٢٢) صحيح

[١٤٥٧] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٦١٦)(٢٦٦١٦) ٢٧١٥١- صحيح

[١٤٥٨] – الفقه الإسلامي وأدلته – (٣ / ٦٩٨)

[١٤٥٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٣٣٣٩) وصحيح ابن حبان – (٦ / ٤١٣) (٢٦٩٦)

[١٤٦٠] – صحيح ابن حبان – (٩ / ٧) (٣٦٩٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٣٥٧ و٣٣٥٨)

التكبير أثناء الصعود والتسبيح أثناء الهبوط ويندرج ذلك على الصعود والهبوط في المطبات الهوائية في الطائرات. فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – قَالَ كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا،وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا" رواه البخاري[١٤٦١].

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ كُنَّا إِذَا سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا هَبَطْنَا سَبَّحْنَا.[١٤٦٢]

كما يسن الدعاء أثناء السفر،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ:دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ،وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ،وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ[١٤٦٣]..

وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ."[١٤٦٤]

يدعو بدعاء الرسول ﷺ كلما أراد دخول قرية. عَنْ أَبِي سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ،عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَؤُمُّ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ دَارِ أَبِي جُهَيْمٍ،وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: وَالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى إِنَّ صُهَيْبًا حَدَّثَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: " اللهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ،وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ،وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ،وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ،فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا،وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ".وَحَلَفَ كَعْبٌ: وَالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى لَإِنَّهَا كَانَتْ دَعَوَاتِ دَاوُدَ حِينَ يَرَى الْعَدُوَّ[١٤٦٥].

وعَن كَعْبٍ،أَنَّ صُهَيْبًا صَاحِبَ النَّبِيِّ ،ﷺ،حَدَّثَهُ ؛

أَنَّ النَّبِيَّ،ﷺ،لَمْ يَرَ قَرْيَةً،يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلاَّ قَالَ حِينَ يَرَاهَا:اللهمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ،وَمَا أَظْلَلْنَ،وَرَبَّ الأَرَضِينَ،وَمَا أَقْلَلْنَ،وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ،وَمَا أَضْلَلْنَ،وَرَبَّ الرِّيَاحِ،وَمَا ذَرَيْنَ،فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ،وَخَيرَ أَهْلِهَا،وَنَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا،وَشَرِّ مَا فِيهَا." رواه النسائي[١٤٦٦].

التأدب بآداب الإحرام وهي:

١- النظافة: وتتحقق بتقليم الأظافر،وقص الشارب،ونتف الإبط،وحلق العانة،والوضوء،أو الاعتسال،وهو أفضل،وتسريح اللحية،وشعر الرأس. عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:إِنَّ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَغْتَسِلَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ[١٤٦٧].

[١٤٦١] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٩٩٣)

[١٤٦٢] – سنن الدارقطنى- المكتر – (٢٥١٣) فيه انقطاع

[١٤٦٣] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٤١٦) (٢٦٩٩) صحيح

[١٤٦٤] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٦٥٨)(١٠١٩٦) ١٠١٩٩- صحيح

[١٤٦٥] – شرح مشكل الآثار – (٦ / ٣٥٤) (٢٥٢٩) صحيح

[١٤٦٦] – أخرجه النَّسائي في "الكبرى"(٨٧٧٦) والمسند الجامع – (٧ / ٧٨٦) (٥٤١٨) صحيح

[١٤٦٧] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٥ / ٣٣) (٩٢١٢) صحيح

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « أَنَّ النُّفَسَاءَ وَالْحَائِضَ تَغْتَسِلُ وَتُحْرِمُ وَتَقْضِى الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرَ ».[١٤٦٨]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النُّفَسَاءَ،وَالْحَائِضَ تَغْتَسِلُ وَتُحْرِمُ وَتَقْضِي الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا،غَيْرَ أَنْ لاَ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرَ." رواه أحمد[١٤٦٩].

ب- التجرد: من الثياب المخيطة ولبس ثوبي الإحرام،وهما رداء يلف النصف الأعلى من البدن،دون الرأس،وإزار يلف به النصف الأسفل منه.وينبغي أن يكونا أبيضين،فإن الأبيض أحب الثياب إلى الله تعالى،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ انْطَلَقَ النَّبِىُّ - ﷺ- مِنَ الْمَدِينَةِ،بَعْدَ مَا تَرَجَّلَ وَادَّهَنَ وَلَبِسَ إِزَارَهُ وَرِدَاءَهُ،هُوَ وَأَصْحَابُهُ،فَلَمْ يَنْهَ عَنْ شَىْءٍ مِنَ الأَرْدِيَةِ وَالأُزُرِ تُلْبَسُ إِلاَّ الْمُزَعْفَرَةَ الَّتِى تَرْدَعُ عَلَى الْجِلْدِ،فَأَصْبَحَ بِذِى الْحُلَيْفَةِ،رَكِبَ رَاحِلَتَهُ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الْبَيْدَاءِ،أَهَلَّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَقَلَّدَ بَدَنَتَهُ،وَذَلِكَ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِى الْقَعْدَةِ،فَقَدِمَ مَكَّةَ لأَرْبَعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِى الْحَجَّةِ،فَطَافَ بِالْبَيْتِ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ،وَلَمْ يَحِلَّ مِنْ أَجْلِ بُدْنِه لأَنَّهُ قَلَّدَهَا،ثُمَّ نَزَلَ بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَ الْحَجُونِ،وَهْوَ مُهِلٌّ بِالْحَجِّ،وَلَمْ يَقْرَبِ الْكَعْبَةَ بَعْدَ طَوَافِه بِهَا حَتَّى رَجَعَ مِنْ عَرَفَةَ،وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ،ثُمَّ يُقَصِّرُوا مِنْ رُءُوسِهِمْ ثُمَّ يَحِلُّوا،وَذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بَدَنَةٌ قَلَّدَهَا،وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ فَهِىَ لَهُ حَلاَلٌ،وَالطِّيبُ وَالثِّيَابُ " رواه البخاري[١٤٧٠].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ،فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ،وَإِنَّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدَ،يَجْلُو الْبَصَرَ،وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ."[١٤٧١]

ج- التطيب في البدن والثوب،وإن بقي أثره عليه بعد الإحرام.

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِى مَفْرِقِ النَّبِىِّ - ﷺ- وَهْوَ مُحْرِمٌ.رواه البخاري ومسلم[١٤٧٢].

وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - زَوْجِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَتْ كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- لإِحْرَامِهِ حِينَ يُحْرِمُ،وَلِحِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ.رواه البخاري ومسلم[١٤٧٣].

د- صلاة ركعتين: ينوي بهما سنة الإحرام،يقرأ في الأولى منهما بعد الفاتحة سورة الكافرون وفي الثانية سورة الإخلاص.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺيركع بذي الحليفة ركعتين" رواه مسلم.

[١٤٦٨] - سنن الترمذى- المكتر - (٩٦٠) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[١٤٦٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٩٠٨)(٣٤٣٥) حسن

[١٤٧٠] - صحيح البخارى- المكتر - (١٥٤٥) -تَرجل : سرح الشعر ونظفه وحسنه

[١٤٧١] - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٤٢) (٥٤٢٣) صحيح

[١٤٧٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٧١) وصحيح مسلم- المكتر - (٢٨٨٩) -الوبيص : البريق

[١٤٧٣] - صحيح البخارى- المكتر - (١٥٣٩) وصحيح مسلم- المكتر - (٢٨٨٣)

التأدب بآداب دخول مكة والبيت الحرام وهي:

الاغتسال.فعن عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ لِدُخُولِ مَكَّةَ[١٤٧٤].

أن يبادر إلى البيت بعد أن يدع أمتعته في مكان أمين ويدخل من باب بني شيبة ـــ باب السلام ـــ ويقول في خشوع وضراعة: (أَعُوذ بِاللَّه الْعَظِيم وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيم وَسُلْطَانه الْقَدِيم مِنَ الشَّيْطَان الرَّجِيم بِسْمِ اللَّه وَالْحَمْد لِلَّه اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آل مُحَمَّد وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَاب رَحْمَتك) وَفِي الْخُرُوج يَقُولهُ،لَكِنْ يَقُول:اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك مِنْ فَضْلك .[١٤٧٥]

ج- إذا وقع نظره على البيت،رفع يديه وقال: ما روي عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ فَرَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَكَبَّرَ وَقَالَ :« اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلاَمِ،اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيما وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ حَجَّهُ أَوِ اعْتَمَرَهُ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَبِرًّا ».[١٤٧٦]

وعَنْ مَكْحُولٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَمَّا رَأَى الْبَيْتَ،قَالَ:اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً،وَزِدْ مَنْ حَجَّهُ،أَوِ اعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْبِيرًا وَبِرًّا."[١٤٧٧]

وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ يَعْقُوبَ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ سَمِعْتُ مِنْ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ كَلِمَةً مَا بَقِىَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ سَمِعَهَا غَيْرِى سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْبَيْتَ:اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ فَحَيِّنَا رَبَّنَا بِالسَّلاَمِ."[١٤٧٨]

د- ثم يقصد إلى الحجر الأسود،فيقبله بدون صوت. فإن لم يتمكن استلمه بيده وقبله. فإن عجز عن ذلك،أشار إليه بيده. ثم يقف بحذائه ويشرع في الطواف ولا يصلي تحية المسجد،فإن تحيته الطواف به،إلا إذا كانت الصلاة المكتوبة مقامة فيصليها مع الإمام.لقوله ﷺ: « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ »[١٤٧٩].

وكذلك إذا خاف فوات الوقت،يبدأ به فيصليه.

[١٤٧٤] - عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ اغْتَسَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- لِدُخُولِهِ مَكَّةَ بِفَخٍّ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَيْرُ مَحْفُوظٍ. وَالصَّحِيحُ مَا رَوَى نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ لِدُخُولِ مَكَّةَ. وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ يُسْتَحَبُّ الاِغْتِسَالُ لِدُخُولِ مَكَّةَ. سنن الترمذى- المكتر - (٨٦٢)

[١٤٧٥] - هو ملفق من عدة أحاديث انظر : شرح النووي على مسلم - (٣ / ٣٣) والفقه الإسلامي وأدلته - (٣ / ٦٧٨) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٤ / ١١) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٠ / ٢٤٢) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب - (١ / ٣١٢٧) سؤال رقم ٣١٨١٩- صفة العمرة وفتاوى الإسلام سؤال وجواب - (١ / ٣١٣٠) سؤال رقم ٣١٨٢٢- صفة الحج وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ١٥٣٠) رقم الفتوى ٣٧٤١ من آداب وأحكام المساجد والأذكار للنووي - (١ / ٣١)

[١٤٧٦] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٥ / ٧٣) (٩٤٨١) فيه جهالة

[١٤٧٧] - مصنف ابن أبي شيبة - (٤ / ٩٧)(١٥٩٩٩) فيه جهالة

[١٤٧٨] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٥ / ٧٣) (٩٤٨٣) فيه جهالة

[١٤٧٩] - صحيح مسلم- المكتر - (١٦٧٨)

هـ- أن يستحضر عند رؤية الكعبة ما أمكنه من الخشوع والتذلل والخضوع فهذه عادة الصالحين وعباد الله العارفين لأن رؤية البيت تذكر وتشوق إلى رب البيت.

التأدب بآداب الطواف وسننه وهي:

أ- استقبال الحجر الأسود،عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل،ورفع اليدين: كرفعهما في الصلاة،واستلامه بهما بوضعهما عليه،وتقبيله بدون صوت،ووضع الخد عليه،إن أمكن ذلك،وإلا مسح بيده وقبلها،أو مسه بشيء معه وقبله،أو أشار بيده وقبلها في المكان الذي يقف فيه مقابل الحجر على خط البدء بالطواف.فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺالْحَجَرَ وَاسْتَلَمَهُ،ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْه عَلَيْه يَبْكِي طَوِيلا فَالْتَفَتَ،فَإِذَا عُمَرُ يَبْكِي،فَقَالَ:يَا عُمَرُ هَاهُنَا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ " رواه الحاكم[١٤٨٠].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَفْوَانَ أَوْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،قَالَ: " لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺمَكَّةَ قُلْتُ: لَأَلْبِسَنَّ ثِيَابِي وَلَأَنْظُرَنَّ كَيْفَ يَصْنَعُ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَكَانَتْ دَارِي عَلَى الطَّرِيقِ فَانْطَلَقْتُ فَوَافَقْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَدْ خَرَجَ مِنَ الْكَعْبَةِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ،وَقَدِ اسْتَلَمُوا الْبَيْتَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الْحَطِيمِ،وَقَدْ وَضَعُوا خُدُودَهُمْ عَلَى الْبَيْتِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺوَسَطُهُمْ هَكَذَا "[١٤٨١]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيه،قَالَ: طُفْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ فَلَمَّا جِئْنَا دُبُرَ الْكَعْبَةِ،قُلْتُ لَهُ: أَلَا تَتَعَوَّذُ ؟،قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ،ثُمَّ مَضَى حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وقَامَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ،فَوَضَعَ صَدْرَهُ وَوَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ وَكَفَّيْهِ،وَبَسَطَهُمَا بَسْطًا،ثُمَّ قَالَ: " هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺبِمَكَّةَ يَفْعَلُهُ "[١٤٨٢]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ،وَكَانَ يَقُولُ: " مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْبَابِ يُدْعَى الْمُلْتَزَمَ لَا يَلْزَمُ مَا بَيْنَهُمَا أَحَدٌ يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ "[١٤٨٣]

وعَنْ سَالِمٍ،عَنْ أَبِيه قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبَّلَ الرُّكْنَ ثُمَّ قَالَ: " أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ،وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ "[١٤٨٤]

وعَنْ جَعْفَرٍ،يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِه فِي اللَّفْظِ،قَالَ: رَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبَّادِ بْنِ جَعْفَرٍ يُقَبِّلُ الْحَجَرَ،ثُمَّ يَسْجُدُ عَلَيْه،ثُمَّ قَبَّلَهُ،ثُمَّ سَجَدَ عَلَيْه،ثُمَّ قَبَّلَهُ،ثُمَّ سَجَدَ عَلَيْه،فَقُلْتُ لَهُ،فَقَالَ: " رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَفْعَلُهُ "،وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ: إِنِّي رَأَيْتُ خَالَكَ يَفْعَلُهُ،فَسَأَلْتُهُ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: " رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَفْعَلُهُ وَيَقُولُ: " إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ،وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ

[١٤٨٠] - المستدرك للحاكم (١٦٧٠) ضعيف

[١٤٨١] - شعب الإيمان - (٥ / ٤٩١) (٣٧٦٦) حسن

[١٤٨٢] - شعب الإيمان - (٥ / ٤٩٢) (٣٧٦٧) فيه لين

[١٤٨٣] - شعب الإيمان - (٥ / ٤٩٢) (٣٧٦٩) ضعيف

[١٤٨٤] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ١٠٦) (٥٤) صحيح

اللهِ ﷺيَفْعَلُهُ بِكَ لَمْ أَفْعَلْ بِكَ مَا فَعَلْتُ " قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: قُلْتُ لِأَبِي عَاصِمٍ: مَنْ خَالُهُ ؟ قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا "[١٤٨٥]

وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبَّلَ الرُّكْنَ وَالْتَزَمَهُ،وَقَالَ: " رَأَيْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺبِكَ حَفِيًّا "[١٤٨٦]

وقَالَ أَبُو حَمَّاد:"رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ طَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ قَبَّلَ الْحَجَرَ،فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ طَوَافِه أَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ،ثُمَّ طَافَ الثَّانِيَةَ،فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحَجَرِ وَضَعَ خَدَّهُ عَلَيْه فَمَسَحَ،ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى أَثَرِ سُجُودِه،ثُمَّ أَمَرَّهُ عَلَى أَنْفِه وَشَفَتَيْه "[١٤٨٧]

وعَنْ مُحَمَّد قَالَ: " رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَوْمًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرَ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً،فَعَمَدَ إِلَى الرُّكْنِ فَقَبَّلَهُ ثُمَّ عَادَ فَقَبَّلَهُ "[١٤٨٨]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَكَبَّ عَلَى الرُّكْنِ،فَقَالَ:إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ،وَلَوْ لَمْ أَرَ حِبِّي ﷺقَبَّلَكَ وَاسْتَلَمَكَ،مَا اسْتَلَمْتُكَ وَلاَ قَبَّلْتُكَ،{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}. رواه أحمد[١٤٨٩].

ب- الاضطباع: وهو جعل وسط الرداء تحت الإبط الأيمن،وطرفيه على الكتف الأيسر.فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺوَأَصْحَابَهُ اعْتَمَرُوا مِنْ جِعِرَّانَةَ،فَاضْطَبَعُوا أَرْدِيَتَهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ. رواه أحمد[١٤٩٠].

ج- الرّمل: وهو الإسراع في المشي مع هز الكتفين وتقارب الخطى وقد شرع ذلك إظهار للقوة والنشاط. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺرَمَلَ مِنَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ إِلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ.[١٤٩١]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- إِذَا طَافَ الطَّوَافَ الأَوَّلَ خَبَّ ثَلاَثًا وَمَشَى أَرْبَعًا،وَكَانَ يَسْعَى بَطْنَ الْمَسِيلِ إِذَا طَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.فَقُلْتُ لِنَافِعٍ أَكَانَ عَبْدُ اللَّه يَمْشِي إِذَا بَلَغَ الرُّكْنَ الْيَمَانِىَ قَالَ لاَ.إِلاَّ أَنْ يُزَاحَمَ عَلَى الرُّكْنِ فَإِنَّهُ كَانَ لاَ يَدَعُهُ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ [١٤٩٢].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه - رضى الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّه -ﷺ- لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ مَشَى عَلَى يَمِينِه فَرَمَلَ ثَلاَثًا وَمَشَى أَرْبَعًا.[١٤٩٣]

[١٤٨٥] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ١١٢)(٧٦ و٧٧) إسناده صحيح

[١٤٨٦] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ١١٢) (٧٩) إسناده صحيح

[١٤٨٧] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ١١٣) (٨٠) صحيح

[١٤٨٨] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ١١٣) (٨١) إسناده صحيح

[١٤٨٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١١٦) (١٣١) صحيح

[١٤٩٠] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٨١)(٢٧٩٢) ٢٧٩٣- صحيح

[١٤٩١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٥٠٧) (٦٠٤٧) صحيح

[١٤٩٢] - صحيح البخارى- المكتر - (١٦٤٤) وصحيح مسلم- المكتر - (٣١٠٧) -خب : عدا عدوا

وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُعْتَمِرًا،وَقَدِمَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،فَقُلْتُ: أَيُّهُمَا أَبْدَأُ ؟ فَقُلْتُ: أَلْزَمُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ آتِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَأُسَلِّمُ عَلَيْهَا قَالَ: فَلَزِمْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَبَدَأَ عَبْدُ اللهِ فَاسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ أَخَذَ عَلَى يَمِينِهِ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا،ثُمَّ أَتَى الْمَقَامَ فَصَلَّى وَرَاءَهُ رَكْعَتَيْنِ،ثُمَّ عَادَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ،ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّفَا،فَقَامَ عَلَى صَدْعٍ فِيهِ فَأَهَلَّ،فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْإِهْلَالِ فِي هَذَا الْمَكَانِ قَالَ: " لَكِنِّي آمُرُكَ بِهِ،أَتَدْرِي مَا التَّلْبِيَةُ ؟ إِنَّمَا هِيَ اسْتِجَابَةٌ اسْتَجَابَ بِهَا مُوسَى لِرَبِّهِ " ثُمَّ هَبَطَ،فَلَمَّا أَتَى بَطْنَ الْوَادِي رَمَلَ وَقَالَ: " رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ "[١٤٩٤]

وهذا للرجال أما النساء فلا اضطباع عليهن لوجوب سترهن ولا رمل.

د- استلام الركن اليماني:

فعَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ،أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا رَأَيْتُكَ لَا تَمَسُّ مِنَ الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَّيْنِ فَقَالَ " رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَا يَمَسُّ مِنَ الْأَرْكَانِ إِلَّا الْيَمَانِيَّيْنِ "[١٤٩٥]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ مَا تَرَكْتُ اسْتِلاَمَ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ فِى شِدَّةٍ وَلاَ رَخَاءٍ،مُنْذُ رَأَيْتُ النَّبِىَّ - ﷺ- يَسْتَلِمُهُمَا.قُلْتُ لِنَافِعٍ أَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَمْشِى بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ قَالَ إِنَّمَا كَانَ يَمْشِى لِيَكُونَ أَيْسَرَ لاِسْتِلاَمِه" رواه البخاري ومسلم[١٤٩٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ:لَمْ أَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَمْسَحُ مِنَ الْبَيْتِ،إِلاَّ الرُّكْنَيْنِ الْيَمَانِيَّيْنِ.[١٤٩٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺطَافَ بِالْبَيْتِ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ.[١٤٩٨]

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺأَنِّي شَاكِيَةٌ فَقَالَ:طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ،وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ،قَالَتْ:فَفَعَلْتُ.[١٤٩٩]

وعَنْ أَبِى الطُّفَيْلِ قَالَ:حَجَّ مُعَاوِيَةُ فَجَعَلَ لاَ يَأْتِى عَلَى رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْبَيْتِ إِلاَّ اسْتَلَمَهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَسْتَلِمُ الْيَمَانِىَ وَالْحَجَرَ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:لَيْسَ مِنْ أَرْكَانِهِ مَهْجُورٌ.[١٥٠٠]

[١٤٩٣] - صحيح مسلم- المكتر - (٣٠١٢) -رمل : الرمل إسراع المشى مع تقارب الخطا

[١٤٩٤] - أخبار مكة للفاكهي - (٢ / ٢١٩) (١٣٩١) صحيح

[١٤٩٥] - شرح معاني الآثار - (٢ / ١٨٤) (٣٨٥٣) صحيح

[١٤٩٦] - صحيح البخارى- المكتر - (١٦٠٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٣١٢٣)

[١٤٩٧] - صحيح ابن حبان - (٩ / ١٣٦) (٣٨٢٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٣١٢٠)

[١٤٩٨] - صحيح ابن حبان - (٩ / ١٣٨) (٣٨٢٩) صحيح

[١٤٩٩] - صحيح ابن حبان - (٩ / ١٣٩) (٣٨٣٠) صحيح

[١٥٠٠] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٥ / ٧٦) (٩٥٠٨) صحيح

وعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ،قَالَ:كُنْتُ مَعَ مُعَاوِيَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَهُمَا يَطُوفَانِ حَوْلَ الْبَيْتِ،فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَيْنِ،وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ كُلَّهَا،فَقَالَ:ابْنُ عَبَّاسٍ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺلاَ يَسْتَلِمُ إِلاَّ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ:الْيَمَانِيَ وَالأَسْوَدَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ مَهْجُورٌ.[١٥٠١]

وعَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ أَنَّهُ قَالَ وَمَنْ يَتَّقِي شَيْئًا مِنَ الْبَيْتِ،وَكَانَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - إِنَّهُ لاَ يُسْتَلَمُ هَذَانِ الرُّكْنَانِ.فَقَالَ لَيْسَ شَىْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا،وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ - رضى الله عنهما - يَسْتَلِمُهُنَّ كُلَّهُنَّ .[١٥٠٢]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّهُ طَافَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بِالْبَيْتِ،فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ يَسْتَلِمُ الأَرْكَانَ كُلَّهَا،فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ:لِمَ تَسْتَلِمُ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ ؟ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺيَسْتَلِمُهُمَا،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْبَيْتِ مَهْجُورًا،فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:صَدَقْتَ.[١٥٠٣]

هـ- صلاة ركعتين بعد الطواف:

يسن للطائف صلاة ركعتين بعد كل طواف،عند مقام إبراهيم أو في أي مكان من المسجد.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺحِينَ قَدِمَ مَكَّةَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا،فَقَرَأَ { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة: ١٢٥] فَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ،ثُمَّ أَتَى الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ "[١٥٠٤].

[١٥٠١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٩٢٦) (٣٥٣٣) صحيح

[١٥٠٢] - صحيح البخارى- المكتر - (١٦٠٨) معلقاً ووصله مصنف عبد الرزاق (٨٩٤٨) والمعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٣٧) (١٠٤٨٦) صحيح

[١٥٠٣] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٧٩) (١٨٧٧) حسن

ورَوى ابن المُنذِر وغَيره استلام جَميع الأَركان أَيضًا عَن جابِر وأَنَس والحَسَن والحُسَين منَ الصَّحابَة.وعَن سُويد بن غَفَلَةَ منَ التّابِعينَ. وقَد يُشعِر ما تَقَدَّمَ في أَوائل الطَّهارَة من حَديث عُبَيد بن جُرَيجٍ أَنَّهُ قالَ لابن عُمَر " رَأَيتُك تَصنَع أَربَعًا لَم أَرَ أَحَدًا من أَصحابك يَصنَعها " فَذَكَرَ منها " ورَأَيتُك لا تَمَسّ منَ الأَركان إلاَّ اليَمانيَّين " الحَديث بأَنَّ الَّذينَ رَآهُم عُبَيد بن جُرَيجٍ منَ الصَّحابَة والتّابِعينَ كانُوا لا يَقتَصِرُونَ في الاستلام عَلَى الرُّكنَين اليَمانيَّين.

وقالَ بَعض أَهل العلم : اختصاص الرُّكنَين مُبَيَّن بالسُّنَّة ومُستَنَدُ التَّعميم القياس.وأَجابَ الشّافعيّ عَن قَول مَن قالَ لَيسَ شَيء منَ البَيت مَهجُورًا بأَنّا لَم نَدَّعِ استلامهما هَجرًا للبَيت ، وكَيفَ يَهجُرُهُ وهُو يَطُوف بِه ،ولَكنّا نَتَّبِع السُّنَّة فعلاً أَو تَركًا ، ولَو كانَ تَرك استلامهما هَجرًا لَهُما لَكانَ تَرك استلام ما بَينَ الأَركان هَجرًا لَها ولا قائل بِه."فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة - (٣ / ٤٧٤)

[١٥٠٤] - أخبار مكة للفاكهي - (١ / ٤٥٩) (١٠٠٨) وسنن الترمذى- المكتر - (٨٧٢) صحيح

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَبْدَأُ بِالصَّفَا قَبْلَ الْمَرْوَةِ فَإِنْ بَدَأَ بِالْمَرْوَةِ قَبْلَ الصَّفَا لَمْ يُجْزِهِ وَبَدَأَ بِالصَّفَا. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ حَتَّى رَجَعَ فَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ فَإِنْ ذَكَرَ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهَا رَجَعَ فَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ حَتَّى أَتَى بِلاَدَهُ أَجْزَأَهُ وَعَلَيْهِ دَمٌ. وَهُوَ قَوْلُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ تَرَكَ الطَّوَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى بِلاَدِهِ فَإِنَّهُ لاَ يُجْزِيهِ. وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ. قَالَ الطَّوَافُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَاجِبٌ لاَ يَجُوزُ الْحَجُّ إِلاَّ بِهِ.

والسنّة فيهما قراءة سورة الكافرون بعد الفاتحة في الركعة الأولى وسورة الإخلاص في الركعة الثانية،فعن جَعْفَر،حَدَّثَنِي أَبِي،قَالَ:أَتَيْنَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّه،فَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ،فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ،وَقَالَ:إِذَا فَرَغَ يُرِيدُ مِنَ الطَّوَافِ عَمَدَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ،فَصَلَّى خَلْفَهُ رَكْعَتَيْنِ،وَتَلا:وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى،قَالَ:أَيْ يَقْرَأُ فِيهَا بِالتَّوْحِيدِ،وَ قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ "[١٥٠٥]

وقَالَ جَابِرٌ:لَسْنَا نَنْوِي إِلاَّ الْحَجَّ،لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ،اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلاَثًا،وَمَشَى أَرْبَعًا،ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ،فَقَرَأَ {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة]،فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ،فَكَانَ أَبِي يَقُولُ:- وَلاَ أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ- إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ "[١٥٠٦]

التأدب بآداب الوقوف بعرفات وسننه:

الاغتسال للوقوف بعرفة. فعَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ يَغْتَسِلُ لِإِحْرَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ وَلِدُخُولِهِ مَكَّةَ وَلِوُقُوفِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ.[١٥٠٧]

المحافظة على الطهارة الكاملة،واستقبال القبلة والإكثار من الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء من أمر الدين والدنيا مع الخشية وحضور القلب ورفع اليدين.

قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ:كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺبِعَرَفَاتٍ،فَرَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو،فَمَالَتْ بِهِ نَاقَتُهُ،فَسَقَطَ خِطَامُهَا قَالَ:فَتَنَاوَلَ الْخِطَامَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَهُ الأُخْرَى."[١٥٠٨].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَالَ « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ». " رواه الترمذي[١٥٠٩].

البعد في جميع أعمال الحج عن إيذاء الناس في الزحمة أو دفعهم ويتلطف بمن يزاحمه ويلحظ بقلبه جلالة البقعة التي هو فيها والتي هو متوجه إليها ويلتمس عذر من زاحمه وما نزعت الرحمة إلا من قلب شقي. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ أُلْيُنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلاَةِ."[١٥١٠]

البعد أيضا عن الغضب أوالفحش في الكلام والسب والشتم واللعن والجدال والخصومات مع الآخرين لقول الله عز وجل:{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ

[١٥٠٥] – صحيح ابن خزيمة (٤ / ٧٦) وسنن أبي داود – المكتر – (١٩١١) صحيح

[١٥٠٦] – صحيح ابن حبان – (٩ / ٢٥٤)(٣٩٤٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٠٠٩)

[١٥٠٧] – موطأ مالك- المكتر – (٧١٠) صحيح

[١٥٠٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٢٩٨)(٢١٨٢١) ٢٢١٦٥- صحيح

[١٥٠٩] – سنن الترمذى- المكتر – (٣٩٣٤) وصحيح الجامع (٣٢٧٤) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ

[١٥١٠] – صحيح ابن حبان – (٥ / ٥٢) (١٧٥٦) صحيح

فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٧)} البقرة.

التذكر دائما بأنه في أعماله إنما يؤدي فرضا من فروض الله،يؤدى مرة في العمر فيتحمل المشاق ويصبر على الإيذاء ويوجه قلبه لله سبحانه ويستشعر بأن الله معه يراه ويراقبه ويلتمس الخشوع والإجلال والسكينة والطمأنينة ويكثر من التهليل والتكبير والتمجيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى .

ويشغل أوقاته بالدعاء وقراءة القرآن والذكر والبكاء والتضرع والتوبة وإخلاص العبودية لله ولا ينسى الدعاء للأقرباء والأرحام والأصدقاء ومن سألوه ولجميع المسلمين بالخير والسعادة والتوفيق وصالح أمورهم والعفو والعافية الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

التأدب بآداب زيارة النبي ﷺ:

أن يكثر من الصلاة والتسليم على النبي ﷺوهو في طريقه إلى المدينة وزيارة النبي ﷺ.

أن يغتسل قبل دخوله المسجد النبوي ويلبس أنظف ثيابه متطيبا بالطيب.

ج- دخول مسجد الرسول ﷺبالسكينة والوقار،فإذا وصل باب المسجد فليقدّم رجله اليمنى في الدخول قائلا:" أعوذ بالله العظيم،وبوجهه الكريم،وبسلطانه القديم،من الشيطان الرجيم،بسم الله والحمد لله،اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم،اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك"[١٥١١].

د- أن يأتي الروضة الشريفة،" وهي ما بين المنبر والقبر" فيصلي فيها بجنب المنبر تحية المسجد ركعتين،ويشكر الله تعالى بالثناء عليه على هذه النعمة.

هـ- يتجه إلى القبر الشريف مستقبلا جداره ومستدبرا القبلة فيسلم على رسول الله ﷺ،مستحضرا جلال موقفه ومنزلة من هو في حضرته قائلا بصوت خفيض:

السلام عليك يا رسول الله،السلام عليك يا نبي الله،السلام عليك يا خيرة الله،السلام عليك يا خير خلق الله،السلام عليك يا حبيب الله،السلام عليك يا سيد المرسلين،السلام عليك يا رسول رب العالمين،جزاك الله يا رسول الله أفضل ما حزى نبيا ورسولا عن أمته،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه،وأشهد أنك قد بلغت الرسالة،وأديت الأمانة،ونصحت الأمة،وجاهدت في الله حق جهاده[١٥١٢].

و- ثم يتأخر نحو ذراع إلى الجهة اليمنى فيسلم على سيدنا أبي بكر الصديق،ثم يتأخر أيضا نحو ذراع فيسلم على سيدنا الفاروق عمر رضي الله عنهما.

[١٥١١] - سنن أبي داود - المكتز - (٤٦٦) صحيح

[١٥١٢] - انظر : تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام - (١ / ٤٢١) والفقه الإسلامي وأدلته - (٣ / ٦٩٠) وفتاوى الإسلام سؤال وجواب - (١ / ٣٣٥٠) سؤال رقم ٣٤٤٦٤- زيارة المسجد النبوي

عَنْ نَافِعٍ:أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ.[١٥١٣]

ز- ثم يستقبل القبلة فيدعو لنفسه،ولأحبابه،ولإخوانه،وسائر المسلمين ثم ينصرف[١٥١٤].

ح- على الزائر أن لا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه.

وَقَال النَّوَوِيُّ فِي بَيَانِ آدَابِ زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

ثُمَّ يَرْجِعُ الزَّائِرُ إِلَى مَوْقِفِ قُبَالَةَ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَيَتَوَسَّلُ بِهِ وَيَسْتَشْفِعُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ،وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يَقُولُ- الزَّائِرُ- مَا حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ وَسَائِرُ أَصْحَابِنَا عَنِ الْعُتْبِيِّ مُسْتَحْسِنِينَ لَهُ قَالَ:كُنْت جَالِسًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺفَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ.سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا " (النساء:٦٤) وَقَدْ جِئْتُك مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِي مُسْتَشْفِعًا بِك إِلَى رَبِّي.ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ وَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ انصرف فَحَمَلَتْنِي عَيْنَايَ فَرَأَيْت النَّبِيَّ ﷺفِي النَّوْمِ فَقَالَ:" يَا عُتْبِيُّ الْحَقْ الْأَعْرَابِيَّ فَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ ".ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى رَأْسِ الْقَبْرِ فَيَقِفُ بَيْنَ الْأُسْطُوَانَةِ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُمَجِّدُهُ وَيَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا شَاءَ وَلِوَالِدَيْهِ،وَمَنْ شَاءَ مِنْ أَقَارِبِهِ وَمَشَايِخِهِ وَإِخْوَانِهِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ،ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الرَّوْضَةِ فَيُكْثِرُ فِيهَا مِنْ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ وَيَقِفُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ وَيَدْعُو.[١٥١٥]

التأدب بآداب الإقامة بالمدينة المنورة:

أن يصلي الصلوات الخمس بمسجد رسول الله ﷺ. وأن ينوي الاعتكاف فيه كلما دخله.أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد زيارة الرسول ﷺويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون،اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد،اللهم اغفر لنا ولهم. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ « السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا

[١٥١٣] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٥ / ٢٤٥) (١٠٥٧٠) صحيح

[١٥١٤] - إن كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر واستقباله ، مع مس القبر بيده.ويقول : وإلى هذا ذهب الشافعى والجمهور ، ونقل عن أبى حنيفة . قال ابن الهمام : وما نقل عنه أنه يستقبل القبلة مردود بما روى عن ابن عمر : من السنة أن يستقبل القبر المكرم ، ويجعل ظهره للقبلة ، وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة ، وقول الكرمانى : مذهبه خلافه ليس بشىء ، لأنه حى، ومن بأتى الحى إنما يتوجه إليه . وصرح النووى فى كتابه "الأذكار " فتاوى الأزهر - (٨ / ١٠٦) -زيارة قبر الرسول

[١٥١٥] - المجموع - (ج ٨ / ص ٢٧٤) ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج - (ج ٦ / ص ٩٧) والأذكار للنووي - (ج ١ / ص ٢٠٦) ورفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة - (ج ١ / ص ١٥) و(المغني:٣/٥٨٨- ٥٨٩) و(الشرح الكبير:٣/٤٩٤) وكشَّاف القناع (٢/٥١٤ ـ ٥١٥) وفي الإنصاف (٤/٥٣) كلهم وسكتوا عنها واحتجوا بها، وإن لم يصح سندها .

إِخْوَانَنَا ». قَالُوا أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَنْتُمْ أَصْحَابِى وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ ». فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَىْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِى كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلاَ هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا ».[١٥١٦]

ج- أن يزور قبور الشهداء بأحد ويبدأ بالسلام على عمّ رسول الله ﷺحمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء ثم يسلم على بقية الشهداء الأبرار ويدعو لهم قائلا: {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } (٢٤) سورة الرعد.

عن هَاشِمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيِّ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ يَقُولُ:أَخَذَنِي أَبِي بِالْمَدِينَةِ إِلَى زِيَارَةِ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَالشَّمْسِ،وَكُنْتُ أَمْشِي خَلْفَهُ،فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَقَابِرِ رَفَعَ صَوْتَهُ فَقَالَ:سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ،قَالَ:فَأُجِيبَ:وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:فَالْتَفَتَ أَبِي إِلَيَّ فَقَالَ:أَنْتَ الْمُجِيبُ يَا بُنَيَّ ؟ فَقُلْتُ:لَا،قَالَ:فَأَخَذَ بِيَدِي فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ،ثُمَّ أَعَادَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ،ثُمَّ جَعَلَ كُلَّمَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ يُرَدُّ عَلَيْهِ،حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،قَالَ:فَخَرَّ أَبِي سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "[١٥١٧]

د- أن يزور مسجد قباء وهو أول مسجد بني في الإسلام وهو المسجد الذي أسس على التقوى وتستحب زيارته والصلاة فيه استحبابا مؤكدا. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَأْتِى مَسْجِدَ قُبَاءٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا فَيُصَلِّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ فِى رِوَايَتِهِ قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ فَيُصَلِّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. رواه مسلم[١٥١٨].

هـ- أن يأتي سائر المشاهد بالمدينة وهي نحو ثلاثين موضعا يعرفها أهل المدينة فليقصد ما قدر عليه منها وكذا يأتي الآبار التي كان رسول الله ﷺيتوضأ منها ويغتسل ويشرب وهي سبع آبار.

و- أن يلاحظ بقلبه في مدة مقامه بالمدينة جلالتها وأنها البلدة التي اختارها الله تعالى لهجرة نبيه ﷺواستيطانه ومدفنه وليستحضر تردده ﷺفيها ومشيه في بقاعها.

التأدب بآداب الرجوع من سفر الحج وسننه.

ا- الاستعجال في العودة إلى أهله وولده إذا قضى المسافر حاجته وغرضه من سفره ليستأنف رعايته لهم وإشرفه على تربيتهم.

[١٥١٦] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٠٧)

بهم : جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذى لايخالط لونه لون سواه -الدهم : جمع أدهم وهو الأسود

[١٥١٧] - دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (١٢٠٦) فيه جهالة

[١٥١٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٣٤٥٦)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىﷺقَالَ:السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ،يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ،فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ،فَلْيُعَجِّلِ الرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ. " رواه البخاري ومسلم[١٥١٩] .

ب-الدعاء:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْغَزْوِ،أَوِ الْحَجِّ،أَوِ الْعُمْرَةِ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ثَلاثَ تَكْبِيرَاتٍ،ثُمَّ يَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ،وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،يُحْيِي وَيُمِيتُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،آيِبُونَ،تَائِبُونَ،عَابِدُونَ،سَائِحُونَ،لِرَبِّنَا حَامِدُونَ،صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ،وَنَصَرَ عَبْدَهُ،وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ."[١٥٢٠]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺكَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ،كَبَّرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ فِي الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ،ثُمَّ يَقُولُ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،لَهُ الْمُلْكُ،وَلَهُ الْحَمْدُ،وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ،سَاجِدُونَ،لِرَبِّنَا حَامِدُونَ،صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ،وَنَصَرَ عَبْدَهُ،وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ. رواه البخاري ومسلم[١٥٢١] .

ج- ترتيب العودة من السفر قدر الإمكان بحيث لا يصل إلى أهله في ساعة متأخرة من الليل بل يفضّل أن يدخل بيته في النهار وبعد أن يصلح شأنه.

فعَنِ الشَّعْبِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً » رواه البخاري[١٥٢٢] .

د- دخول أقرب مسجد إلى المدينة ويصلي فيه ركعتين.

فعَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ،أَحَدُ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ،أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَسَبَّحَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ،ثُمَّ سَلَّمَ فَجَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ فَيَأْتِيهِ النَّاسُ،فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ.[١٥٢٣] .

هـ- إحضار الهدايا لأهل بيته وأقربائه وأصحابه بقدر الإمكان من طعام أو متاع البلدة التي كان فيها،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَهَادُوا،تَحَابُّوا.[١٥٢٤]

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :" تَهَادَوْا تَحَابُّوْا نِعْمَ مِفْتَاحُ الحَاجَةِ الهَدِيةُ "[١٥٢٥]

و- وقوله إذا دخل بيته ما ورد عن النبي ﷺ.

[١٥١٩] - صحيح البخارى- المكتر - (١٨٠٤) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٠٧٠) وصحيح ابن حبان - (٦ / ٤٢٥) (٢٧٠٨)

[١٥٢٠] - مسند أبي عوانة (٢٩٠٥) صحيح

[١٥٢١] - صحيح البخارى- المكتر - (١٧٩٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٣٣٤٣) وصحيح ابن حبان - (٦ / ٤٢٤) (٢٧٠٧)

[١٥٢٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢٤٤) -يطرقوا : الطروق : أن يأتي الرجل المكان الذي يريده ليلا.

[١٥٢٣] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٤١٤)(١٥٧٧٢) ١٥٨٦٤- صحيح

[١٥٢٤] - الفوائد لتمام ٤١٤ - (٢ / ٣٤٧) (١٥٧٧) صحيح لغيره

[١٥٢٥] - الأمثال في الحديث - (٢٤٥) إسناده حسن

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ فِي سَفَرِهِ،قَالَ:اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ،اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الضِّبْنَةِ فِي السَّفَرِ،وَالْكَآبَةِ فِي الْمُنْقَلَبِ،اللَّهُمَّ اقْبِضْ لَنَا الأَرْضَ،وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ،فَإِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ،قَالَ:آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا سَاجِدُونَ،فَإِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ،قَالَ:تَوْبًا تَوْبًا،لِرَبِّنَا أَوْبًا،لاَ يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا[١٥٢٦]. أي أسألك توبة لا تترك إثما.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ،يعني مِنَ السَّفَرِ قَالَ:تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ،وَإِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِه،قَالَ:تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا لاَ يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا.[١٥٢٧]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَانَ يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الْجَيْشِ،أَوِ السَّرَايَا،أَوِ الْحَجِّ،أَوِ الْعُمْرَةِ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ،أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا،ثُمَّ قَالَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ،صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ،آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ،لِرَبِّنَا حَامِدُونَ.[١٥٢٨]

ز- قَال الإِمَامُ النَّوَوِيُّ:يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ رُجُوعِهِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ،فَهَذَا مِنْ عَلاَمَاتِ قَبُول الْحَجِّ،وَأَنْ يَكُونَ خَيْرُهُ آخِذًا فِي ازْدِيَادٍ[١٥٢٩].

ح- استقبال الزائرين على أحسن حال وهيئة مع البشاشة وحسن الضيافة والحديث حول مزايا الحج وفوائده وما يشعر به الحاج من طمأنينة وانشراح وزيادة في الإيمان مرغبا إياهم ومشوقا لهم ليعقدوا العزم على أداء هذه الفريضة ولا يتحدث أبدا عن المصاعب أو المتاعب التي لا بدّ أن يلاقيها كل مسافر حتى لا يثبط الهمة وحتى لا يحبط عمله وثوابه.

ط- يستحب لمن يسلم على القادم من الحج أن يدعو له.فعَنْ سَالِمٍ،عَنْ أَبِيه،قَالَ:جَاءَ غُلاَمٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:إِنِّي أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ الْحَجَّ " يَا غُلاَمُ،زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى،وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ،وَكَفَاكَ الْهَمَّ ".فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلاَمُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْه،فَقَالَ:" يَا غُلاَمُ،قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ،وَغَفَرَ ذَنْبَكَ،وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ " رواه ابن السني[١٥٣٠].

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " اللهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ " رواه البيهقي[١٥٣١].

[١٥٢٦] - صحيح ابن حبان - (٦ / ٤٣١) (٢٧١٦) صحيح

[١٥٢٧] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٠ / ٣٦٠) (٣٠٢٢٨) صحيح

[١٥٢٨] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٢ / ٥١٩) (٣٤٣١٦) صحيح

[١٥٢٩] - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٧ / ٨٤) والإيضاح ص ٥٦٤ - ٥٦٥

[١٥٣٠] - عَمَلُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِابْنِ السُّنِّيِّ(٥٠٥) حسن لغيره

[١٥٣١] - شعب الإيمان - (٦ / ٢٠) (٣٨١٧) حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ،وفي سنده شريك بن عبد الله النخعي وروايته عن أهل الكوفة مستقيمة وهذا منها فهو عن منصور فهو صحيح على شرط مسلم

-٣٤-آداب العمل والمعاش والبيع والشعار

الإسلام دين العمل،ولكنه العمل الصالح النافع،وإيمان بدون عمل تمنّ وإدعاء،وعمل بدون إيمان فسوق وعصيان.

قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} الكهف ١٠٧.

أَمَّا السُّعَدَاءُ فَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا جَاؤُوهُمْ بِهِ،وَعَمِلُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ التِي تُرْضِي اللهَ،وَهَؤُلاَءِ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ جَنَّاتٍ تَجْرِي فِيهَا الأَنْهَارِ،وَتَكُونُ مَنْزِلاً لَهُمْ .[١٥٣٢]

والرجولة في الإسلام،وكمال النضج فيه،أن يترل المسلم في ميادين الحياة مكافحا،وإلى أبواب الرزق ساعيا،ولكن قلبه معلق بالله،وفكره لا يغيب عن مراقبة الله وخشيته،والالتزام بحدوده والتقيد بأوامره.

قال تعالى:{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) سورة النور..

هَؤُلاء الرِّجَالُ،الذينَ يَعْمُرُونَ بُيُوتَ اللهِ،هُمُ رِجَالٌ أَصْحَابُ هِمَمٍ وَعَزَائِمَ لاَ يُلْهِيهِمْ شَيءٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ،وإِقَامِ الصَّلاَةِ:لاَ تِجَارَةٌ،وَلاَ بَيْعٌ،وَلاَ تَشْغَلُهُم الدُّنْيا وَزُخْرُفُهَا،وَزِينَتُها،وَمَلاذُّهَا،وَلاَ بَيْعُها،ولاَ رِبْحُها.. عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الذي عَنْدَ اللهِ خَيْرٌ لَهُمْ وأَنْفَعُ مِمَا بِأَيْدِيهِمْ،وَهُمْ يُقَدِّمُونَ طَاعَةَ رَبِّهِمْ وَمَحَبَّتَه عَلَى مُرَادِهِم وَمَحَبَّتِهِمْ،فَلاَ شَيءَ يُلْهِيهِم عَنْ أَنْ يُؤدُّوا الصَّلاَةَ فِي وَقْتِهَا،لأَنَّهُمْ يَخَافُونَ يَومَ القِيَامَةِ الذي تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَارُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ،وَعِظَمِ الهَوْلِ .

وَهَؤُلاَءِ هُمُ الذينُ يَتَقَبَّلُ اللهُ تَعَالَى حَسَنَاتِهِمْ،وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ،فَيُضَاعِفُ لَهُمُ الحَسَنَاتِ (وَيَزِيدُهُم مِنْ فَضْلِه)،وَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ،وَبِدُونَ تَحْدِيدٍ فَهُوَ الكَرِيمُ الجَوَادُ.[١٥٣٣]

وهو بذلك يضع حدا لمن يتخشعون أمام الناس في المساجد ركعا سجدا وقياما،فإذا عاملتهم بالأموال أو التجارات تبين أنهم أفاعٍ سامةٌ،أو عقاربُ مؤذيةٌ.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ،وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ » رواه البخاري[١٥٣٤] .

وإن نظام هذه الحياة،يتطلب السعيَ والعملَ،وحركةُ الأعمال فيها تتوقف على الجد والاجتهاد ولذلك كان من الواجب أن ينهض الإنسان للعمل مستشعرا بشعار الجد والنشاط،طارحا القعود والكسل وراءه ظهريا،حتى يقوم بما فرضته عليه الطبيعة وهي سنة الله في خلقه،ويعمل بما أوحته إليه القوانين

[١٥٣٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٢٤٧)

[١٥٣٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧١٠)

[١٥٣٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٣٨٧)

الشرعية،والعاقل لا يرضى لنفسه أن يكون كلًّا على غيره،وهو يعلم أن الرزق منوط بالسعي،وأن مصالح الحياة لا تتم إلا باشتراك الأفراد حتى يقوم كل واحد بعمل خاص له،وهناك تتبادل المنافع،وتدور رحى الأعمال،ويتم النظام على الوجه الأكمل.قال تعالى:{ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)} الجمعة.

والعمل على أنواع كثيرة فمنها ما له علاقة بالدين ومنها ما له علاقة بالدنيا فما له علاقة بالدين فهو العبادات وغيرها من الأعمال الصالحة المختلفة.

وما له علاقة بالدنيا من معاملة وبيع وشراء وتكسب وتجارة أو أي حرفة كانت فهو وإن كان بابا للرزق والسعي للتكسب والعيش والحصول على المال من أجل القيام بحاجات الإنسان الضرورية في حياته. فهو مع كل ذلك اعتبره الإسلام عملا مرتبطا بالدِّين بل حثّ الدِّينُ على العمل وجعل له الثواب العظيم.قال تعالى:{ وجعلنا النهار معاشا} النبأ ١١.

وَجَعَلَ اللهُ النَّهَارَ مُشْرِقاً بِالضِّيَاءِ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ،وَالسَّعْيِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالمَعَاشِ[١٥٣٥] .

وقال أيضا سبحانه وتعالى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)} الملك.

وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذي سَخَّرَ الأَرْضَ لِلْعِبَادِ،وَجَعَلَهَا مُذَلَّلَةً سَاكِنَةً،وَأَرْسَاهَا بِالجِبَالِ لِكَيْلاَ تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِمَنْ عَلَيهَا مِنَ الخَلاَئِقِ،وَأَخْرَجَ مِنْهَا المِيَاهَ،وَسَلَكَهَا فِي الأَرْضِ جَدَاوِلَ وَأَنْهَاراً،لِيَنْتَفِعَ بِهَا الخَلْقُ فِي الشُّرْبِ،وَفِي رَيِّ زُرُوعِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ،وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ سُبُلاً،فَسَافِرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَرْجَائِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ،وَتَرَدَّدُوا فِي أَرْجَائِهَا وَأَقَالِيمِهَا طَلَباً لِلرِّزْقِ وَالتِّجَارَةِ،وَكُلُوا مِمَّا أَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْهَا مِنَ الرِّزْقِ،وَإِلَى اللهِ مَرْجِعُ الأَمْرِ،وَإِليه يَصِيرُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً

والمَخْلُوقَاتُ تَسْعَى فِي الرِّزْقِ وَفْقَ الأَسْبَابِ اللاَزِمَةِ لَهُ وَلَكِنَّ سَعْيَهَا وَحْدَهُ لاَ يَكْفِي،وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهَا نفعاً إِلاَّ أَنْ يُيَسِّرَهُ اللهُ لَهَا،فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لاَ يُنَافِي التَّوَكُلَ[١٥٣٦] .

وعَنِ الْمِقْدَامِ – رضى الله عنه – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ،وَإِنَّ نَبِىَّ اللَّهِ دَاوُدَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ».رواه البخاري[١٥٣٧] .

قال يوسف بن الحسين:إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص والكسب فليس يجيء منه شيء .

[١٥٣٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٥٦٠)

[١٥٣٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١٣٤)

[١٥٣٧] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٠٧٢)

قال ابن الجوزي رحمه الله ردّا عليه: قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثا ونوح وزكريا نجارين وإدريس خياطا وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجرا.وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين.وقال نبينا ﷺ: "كنت أرعى غنما لأهل مكة بالقراريط" فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب.وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله عليهم بزازين.وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين،وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين،وكذلك أبو حنيفة.وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل وكان عثمان بن طلحة خياطا.وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب ."[١٥٣٨]

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ قِيلَ لِأَحْمَدَ:مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ جَلَسَ فِي بَيْتِه أَوْ مَسْجِده وَقَالَ:لَا أَعْمَلُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِي رِزْقِي ؟ فَقَالَ أَحْمَدُ:هَذَا رَجُلٌ جَهِلَ الْعِلْمَ أَمَا سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ{ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظل رُمْحِي وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي،مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ. }[١٥٣٩] وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِه،لَرَزَقَكُمُ اللَّهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ،تَغْدُو خِمَاصًا،وَتَعُودُ بِطَانًا.[١٥٤٠] وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّه ﷺيَتَّجِرُونَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَيَعْمَلُونَ فِي نَخْلِهِمْ،وَالْقُدْوَةُ بِهِمْ /وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ الْعِبَادَةُ عِنْدَنَا أَنْ تَصُفَّ قَدَمَيْك وَغَيْرُك يَتْعَبُ لَك وَلَكِنْ ابْدَأْ بِرَغِيفِك فَاحْرُزْهُمَا ثُمَّ تَعَبَّدْ[١٥٤١] .

وَرُوِيَ أَنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِه: يَا بُنَيَّ اسْتَعِنْ بِالْكَسْبِ الْحَلَالِ فَإِنَّهُ مَا افْتَقَرَ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَصَابَهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ:رِقَّةٌ فِي دِينِه وَضَعْفٌ فِي عَقْلِه وَذَهَابُ مُرُوءَتِه،وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِخْفَافُ النَّاسِ بِه "[١٥٤٢]

وإليكم بعض آداب هذا الموضوع:

١- حسن النية في التجارة،فلينو بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس،والقيام بكفاية العيال ليكون بذلك من جملة المجاهدين ولينو النصح للمسلمين.

[١٥٣٨] - تلبيس إبليس لابن الجوزي - (١ / ١٢٤) وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (١ / ١٨٣) وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (١ / ١٨٣)

[١٥٣٩] . مصنف ابن أبي شيبة - (١٢ / ٣٥١) (٣٣٦٨٧) صحيح

[١٥٤٠] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٥٠٩) (٧٣٠) صحيح

[١٥٤١] - حلية الأولياء - (٤ / ١٧٦)

[١٥٤٢] - الآداب الشرعية - (٣ / ٤٣٧)

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ،أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَرَأَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ،فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَهْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى تَفَاخُرًا وَتَكَاثُرًا فَفِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ "[١٥٤٣]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ فَعَجِبُوا مِنْ خَلْقِهِ،فَقَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺفَأَخْبَرُوهُ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِبْيَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَعُفَّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "[١٥٤٤].

٢- أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة،وسوق الآخرة المساجد فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته،فيواظب على الأوراد والأذكار والصلوات،فقد كان صالحوا السلف من التجار يجعلون أول النهار وآخره للآخرة ووسطه للتجارة،وإذا سمع أذان الظهر والعصر فينبغي أن يترك المعاش اشتغالا بأداء الفرائض. قال تعالى: {رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (٣٧) سورة النور.

٣- أن يلازم ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل وأن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة. فلا يكون أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه. عَنْ سَلْمَانَ،قَالَ:لاَ تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ،وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا،فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ،وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ.قَالَ:أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ،عَلَيْهِ السَّلاَمُ،أَتَى نَبِيَّ اللهِ ﷺ،وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ،قَالَ:فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ،ثُمَّ قَامَ،فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺلأُمِّ سَلَمَةَ:مَنْ هَذَا ؟ أَوْ كَمَا قَالَ،قَالَتْ:هَذَا دِحْيَةُ.قَالَ:فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ:ايْمُ اللَّهِ،مَا حَسِبْتُهُ إِلاَّ إِيَّاهُ،حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺيُخْبِرُ خَبَرَنَا،أَوْ كَمَا قَالَ.قَالَ:فَقُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ:مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ:مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ"[١٥٤٥]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ مِثْلُ الَّذِي يُقَاتِلُ عَنِ الْفَارِّينَ،وَذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ مِثْلُ الشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسَطِ الشَّجَرِ الَّذِي قَدْ تَحَاتَّ ورقه،يَعْنِي مِنَ الضَّرِيبِ قَالَ: يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ يَعْنِي بِالضَّرِيبِ الْبَرْدَ الشَّدِيدَ وَذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ يُغْفَرُ لَهُ بِعَدَدِ

[١٥٤٣] - المعجم الصغير للطبراني - (٢ / ١٤٨) (٩٤٠) صحيح

[١٥٤٤] - شعب الإيمان - (١١ / ١٥٩) (٨٣٣٧) حسن

[١٥٤٥] - صحيح مسلم- المكثر - (٦٤٦٩)

معركة الشيطان : المعركة والمعترك : موضع القتال ، والمراد : موطن الشيطان ومحله .

وقوله : وبها ينصب رايته : كناية عن قوة طمعه في إغوائهم؛ لأن الرايات في الحروب لا تنصب إلا مع قوة الطمع في الغلبة ، وإلا فهي مع اليأس من الغلبة تُحطُّ ولا تُرفع .

كُلِّ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِيٍّ قَالَ: فَالْفَصِيحُ بَنُو آدَمَ وَالْأَعْجَمِيُّ الْبَهَائِمُ وَذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ يُعَرِّفُهُ اللهُ مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ "[١٥٤٦]

وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: " مَنْ ذَكَرَ اللهَ فِي السُّوقِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ فَصِيحٍ فِيهَا،وَأَعْجَمِيٍّ " فَقَالَ الْمُبَارَكُ: الْفَصِيحُ الْإِنْسَانُ،وَالْأَعْجَمُ الْبَهِيمَةُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: كُلُّ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ فَهُوَ أَعْجَمُ مُسْتَعْجَمٌ "[١٥٤٧]

وقال أَبُو الْهِلَالِ:" مَثَلُ ذَاكِرِ اللَّهِ فِي السُّوقِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ بَيْنَ شَجَرٍ مَيِّتٍ " [١٥٤٨]

٤- أن يطلب الحلال ويجتنب الحرام ويتوقى مواقع الشبه ومواضع الريب،وطلب الحلال فرض على كل مسلم. فعَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ « الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ،وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ،فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ،وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى،يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ.أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى،أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِى أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ،أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ،وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ.أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ » رواه البخاري[١٥٤٩]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} (٥١) سورة المؤمنون

يَأْمُرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُرْسَلِينَ بِالْأَكْلِ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ،وَالْقِيَامِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ شُكْراً لِلهِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ،فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْحَلَالَ عَوْنٌ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ،وَالرُّسُلُ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ كَسْبِ أَيْدِيهِمْ،وَقَالَ لَهُم اللهُ تعالى: إِنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْمَلُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ وَقَدْ قَامَ الرُّسُلُ عَلَيْهِم السَّلاَمُ بِأَمْرِ اللهِ أَتَمَّ قِيَامٍ وَجَمَعُوا بَيْنَ كُلِّ خَيْرٍ قَوْلاً وَعَمَلاً وَدَلاَلَةً وَنُصْحاً .[١٥٥٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ،لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ،بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة: ١٧٢] " ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ،أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،يَا رَبُّ،يَا رَبُّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ،فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ" رواه مسلم[١٥٥١].

٥- البعد عن الاحتكار فهو حرام.

[١٥٤٦] - شعب الإيمان - (٢ / ٩٠) (٥٦١و٥٦٢) حسن

[١٥٤٧] - شعب الإيمان - (٢ / ٩٢) (٥٦٣) حسن

[١٥٤٨] - الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (١٩٥٣) صحيح

[١٥٤٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢)

[١٥٥٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٦٠٤)

[١٥٥١] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٣٩٣) وشعب الإيمان - (٧ / ٤٩١)(٥٣٥٣)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً،فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ تَعَالَى،وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ،وَأَيُّمَا أَهْلُ عَرْصَةٍ أَصْبَحَ فِيهِمُ امْرُؤٌ جَائِعٌ،فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللهِ تَعَالَى." رواه أحمد[١٥٥٢].

وعَنْ فَرُّوخَ،مَوْلَى عُثْمَانَ،أَنَّ عُمَرَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَرَأَى طَعَامًا مَنْثُورًا،فَقَالَ:مَا هَذَا الطَّعَامُ ؟ فَقَالُوا:طَعَامٌ جُلِبَ إِلَيْنَا،قَالَ:بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ،وَفِيمَنْ جَلَبَهُ،قِيلَ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ قَدِ احْتُكِرَ،قَالَ:وَمَنِ احْتَكَرَهُ ؟ قَالُوا:فَرُّوخُ مَوْلَى عُثْمَانَ،وَفُلانٌ مَوْلَى عُمَرَ،فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا فَدَعَاهُمَا،فَقَالَ:مَا حَمَلَكُمَا عَلَى احْتِكَارِ طَعَامِ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالاَ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،نَشْتَرِي بِأَمْوَالِنَا،وَنَبِيعُ،فَقَالَ عُمَرُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ،ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالإِفْلاسِ،أَوْ بِجُذَامٍ،فَقَالَ فَرُّوخُ:عِنْدَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،أُعَاهِدُ اللَّهَ،وَأُعَاهِدُكَ،أَنْ لاَ أَعُودَ فِي طَعَامٍ أَبَدًا،وَأَمَّا مَوْلَى عُمَرَ فَقَالَ:إِنَّمَا نَشْتَرِي بِأَمْوَالِنَا وَنَبِيعُ.قَالَ أَبُو يَحْيَى:فَلَقَدْ رَأَيْتُ مَوْلَى عُمَرَ مَجْذُومًا."[١٥٥٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً،يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ،فَهُوَ خَاطِئٌ."[١٥٥٤]

وعَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « لاَ يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ ». رواه مسلم.[١٥٥٥]،وخاطئ أي آثم.

والاحتكار هو أن يخفي التاجر ما يحتاج الناس إليه حاجة ضرورية ليتحكم بالسعر في الوقت المناسب كالمواد التموينية بشكل عام[١٥٥٦].

٦- البعد عن البيع عن طريق الغش لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ،فَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِيهَا،فَإِذَا فِيهِ بَلَلٌ،فَقَالَ:مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ قَالَ:أَصَابَتْهُ سَمَاءٌ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:فَهَلاَّ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ،حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ،مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا." رواه مسلم[١٥٥٧].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلاَّ بَيَّنَهُ لَهُ."[١٥٥٨]

[١٥٥٢] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٢٩٦)(٤٨٨٠) ضعيف

[١٥٥٣] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ١١٧) (١٣٥) ضعيف

[١٥٥٤] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣٢٥)(٨٦١٧) ٨٦٠٢- ضعيف

[١٥٥٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٢٠٧)

[١٥٥٦] - انظر التفاصيل في الفقه الإسلامي وأدلته - (٤ / ٢٣٧) والموسوعة الفقهية الكويتية - (٢ / ٩٠)

[١٥٥٧] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٩٥) وصحيح ابن حبان - (١١ / ٢٧٠) (٤٩٠٥)

السماء : المطر -الصبرة : الكومة المجموعة بلا كيل ولا وزن

[١٥٥٨] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٣ / ٣٥٥)(٢٢٤٦) صحيح

وقَالَ أَبُو سِبَاعٍ:اشْتَرَيْتُ نَاقَةً مِنْ دَارِ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ،فَلَمَّا خَرَجْتُ بِهَا،أَدْرَكَنَا وَاثِلَةُ وَهُوَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ،فَقَالَ:يَا عَبْدَ اللهِ،اشْتَرَيْتَ ؟ قُلْتُ:نَعَمْ،قَالَ:هَلْ بَيَّنَ لَكَ مَا فِيهَا ؟ قُلْتُ:وَمَا فِيهَا ؟ قَالَ:إِنَّهَا لَسَمِينَةٌ ظَاهِرَةُ الصِّحَّةِ،قَالَ:فَقَالَ:أَرَدْتَ بِهَا سَفَرًا،أَمْ أَرَدْتَ بِهَا لَحْمًا ؟ قُلْتُ:بَلْ أَرَدْتُ عَلَيْهَا الْحَجَّ،قَالَ:فَإِنَّ بِخُفِّهَا نَقْبًا،قَالَ:فَقَالَ صَاحِبُهَا:أَصْلَحَكَ اللَّهُ،مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا تُفْسِدُ عَلَيَّ ؟ قَالَ:إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ يَبِيعُ شَيْئًا أَلاَّ يُبَيِّنُ مَا فِيهِ،وَلاَ يَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ أَلاَّ يُبَيِّنَهُ."[١٥٥٩].

والغش هو إظهار الشيء على خلاف حقيقته دون علم المشتري به.

٧- تجنب حلف الإيمان لترويج البضاعة.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ،إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ،مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ " متفق عليه[١٥٦٠].

وعَنْ أَبِى قَتَادَةَ الأَنْصَارِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِى الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ ». رواه مسلم[١٥٦١].

ثم والذي يحلف وهو متيقن الكذب يكون حالفا بيمين الغموس.

واليمين الغموس: هو من الكبائر وسمي غموسا لأنه يغمس صاحبه في النار وليس له كفارة سوى التوبة الصادقة النصوح. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - قَالَ جَاءَ أَعْرَابِىٌّ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ».قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ».قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ « الْيَمِينُ الْغَمُوسُ ».قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ « الَّذِى يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ »[١٥٦٢].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَحْلِفُ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلاَّ كَانَتْ كَيَّةً فِي قَلْبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."[١٥٦٣]

٨- عدم التطفيف في الكيل والميزان وإتمام الكيل والميزان،وإرجاح الوزن زيادة في الاحتياط.

[١٥٥٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٤٩٦)(١٦٠١٣) ١٦١٠٩- و صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٧/٢-٣٣٨ حسن لغيره

[١٥٦٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٠٨٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٢٠٩)

يمحق : المحق : النقص ، ومنه قوله تعالى : {يمحق الله الربا ويُربي الصدقات } [البقرة: ٢٧٦] أي: ينقص هذا ويزيد هذه ، وقولـه: «مَمْحَقَةٌ ومنفقة» أي مظنة للمحق والنفاق ، ومجراة بهما.

[١٥٦١] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٢١٠)

[١٥٦٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٩٢٠)

[١٥٦٣] -صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٧٤) (٥٥٦٣) صحيح

قال تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (٣٥) سورة الإسراء.

وَالوَفَاءُ بِالْكَيْلِ وَالاسْتِقَامَةِ فِي الوَزْنِ هُمَا مِنْ أَمَانَاتِ التَّعَامُلِ،يَسْتَقِيمُ بِهِمَا التَّعَامُلُ فِي الجَمَاعَةِ،وَتَتَوَافَرُ بِهِمَا الثِّقَةُ فِي النُّفُوسِ،وَلِذلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَأْمُرُ المُؤْمِنِينَ بِإِيفَاءِ الكَيْلِ وَالمِيزَانِ وَإِتْمَامِهِمَا مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ وَلاَ تَطْفِيف،وَبِأَنْ يَزِنُوا بِمِيزَانٍ عَادِلٍ سَلِيمٍ مَضْبُوطٍ (المُسْتَقِيمِ) .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ الوَفَاءَ بِالعَهْدِ وَإِيفَاءِ الكَيْلِ وَالوَزْنِ خَيْرٌ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكْثِ بِالعَهْدِ،وَبَخْسِ النَّاسِ حَقَهُمْ فِي المَكْيَالِ وَالمِيزَانِ،وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمُنْقَلَباً فِي الآخِرَةِ .[١٥٦٤]

وقال تعالى:{ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) } [المطففين:١ - ٦].

المُطَفِّفُونَ هُم الذينَ يَبْخَسُونَ المَكْيَالَ وَالمِيزَانَ،إِمَّا بِالزِّيَادَةِ إِذَا اقْتَضَوا مِنَ النَّاسِ،وَإِمَّا بِالنُّقْصَانِ إِذَا قَضَوْهُمْ،وَسُمِّيَ عَمَلُهُمْ تَطْفِيفاً لأَنَّ مَا يَبْخسُونَهُ النَّاسَ شَيءٌ حَقيرٌ طَفيفٌ .

وَيَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺلَمَّا جَاء المَدِينَةَ وَجَدَهُمْ أَخْبَثَ النَّاسِ كَيْلاً،فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ فَحَسَّنُوا الكَيْلَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَيَتَهَدَّدُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ بِالهَلاَكِ وَالخِزْيِ،مَنْ يُطَفِّفُ فِي المَكْيَالِ وَالمِيزَانِ.وَفَسَّرَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ،وَالتِي تَلِيهَا،المَعْنَى المَقْصُودَ بِالمُطَفِّفِينَ فَقَالَ:هُمُ الذينَ إِذَا كَانَ المَالُ لِلنَّاسِ،وَأَرَادُوا أَنْ يَكِيلُوا مِنْهُ لأَنْفُسِهِمْ زَادُوا فِي المَكْيَالِ وَالمِيزَانِ،وَاسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ .

وَإِذَا كَانَ المَالُ لَهُمْ وَأَرَادُوا أَنْ يَكِيلُوا مِنْهُ لِلنَّاسِ أَوْ يَزِنُوا لَهُمْ،أَنْقَصُوا مِنْهُ،وَأَعْطَوْهُمْ أَقَلَّ مِنْ حَقِّهِمْ .

أَيَظُنُّ هَؤُلاَءِ أَنَّهُمْ لَنْ يُبْعَثُوا يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسَبُوا أَمَامَ اللهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟ فَهَذِهِ الأَفْعَالُ المُنْكَرَةُ لاَ تَصْدُرُ عَمَّنْ يَعْتَقِدُ بِوُجُودِ اللهِ،وَأَنَّ اللهَ سَيَجْمَعُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.أَيْ أَلاَ يَعْتَقِدُ هَؤُلاَءِ أَنَّهُمْ سَيُبْعَثُونَ فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الهَوْلِ - هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ - لِيُحَاسِبُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ؟ .وَفِي هَذَا اليَوْمِ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ،وَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدِي رَبِّهِمْ حُفَاةً عُرَاةً لِلْعَرْضِ وَالحِسَابِ،وَهُوَ يَوْمٌ شَدِيدُ الهَوْلِ عَلَى الكَافِرِينَ لِمَا يَرَوْنَهُ وَيَنْتَظِرُونَهُ مِنْ عَذَابٍ .[١٥٦٥]

وعَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ:جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ الْعَبْدِيُّ ثِيَابًا مِنْ هَجَرَ قَالَ:فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺفَسَاوَمَنَا فِي سَرَاوِيلَ،وَعِنْدَنَا وَزَّانُونَ يَزِنُونَ بِالأَجْرِ،فَقَالَ لِلْوَزَّانِ:زِنْ وَأَرْجِحْ."[١٥٦٦] .

[١٥٦٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٠٦٥)

[١٥٦٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٧٢٦)

[١٥٦٦] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٤٨٤)(١٩٠٩٨) ١٩٣٠٨- صحيح

٩- تجنب الثناء على البضاعة عند البيع ووصفها بما ليس فيها فهو كذب وتدليس وتمويه وخداع،وتجنب ذمها عند الشراء،والقيام بالتجارة بالصدق والحق والعدل والاستقامة والأمانة.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[١٥٦٧] .

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا،وَإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا،وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا،وَإِذَا اشْتَرُوا لَمْ يَذُمُّوا،وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا،وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا،وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا " [١٥٦٨] .

١٠- البعد عن النجش. فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ يَبِعِ الْمَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلاَ يَخْطُبِ الْمَرْءُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ وَلاَ تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ الأُخْرَى لِتَكْتَفِئَ مَا فِى إِنَائِهَا »[١٥٦٩]..

[١٥٦٧] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٣ / ٢٧٢) (٢١٣٩) حسن لغيره

[١٥٦٨] - الْآدَابِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٧٨٧) فيه انقطاع

[١٥٦٩] - صحيح مسلم- المكتر - (٣٥٢٥)

لا يبع بعضكم على بيع بعض وفيه قولان :

أحدهما : أن يشتري الرجل السلعة ويتم البيع ، و لم يفترق المتبايعان عن مقامهما ذلك ، فنهى النبي - ﷺ - أن يعرض رجلٌ آخر سلعةً أخرى على ذلك المشتري ، تشبه السلعة التي اشتراها ليبيعها له ، لما في ذلك من الإفساد على البائع الأول ، إذ لعله يرد للمشتري التي اشتراها أولاً ، ويميل إلى هذه ، وهما وإن كان لهما الخيار ما لم يتفرقا على هذا المذهب ، فهو نوع من الإفساد .

والقول الثاني : أن يكون المتبايعان يتساومان في السلعة ، ويتقارب الانعقاد ، و لم يبق إلا اشتراط النقد أو نحوه ، فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ، ويخرجها من يد المشتري الأول ، فذلك ممنوع عند المقاربة ، لما فيه من الإفساد ، ومباح أول العرض والمساومة .

هذا تأويل أصحاب الغريب ، وهو تأويل الفقهاء ، إلا أن لفظ الفقهاء هذا:

قالوا: إذا كان المتعاقدان في مجلس العقد ، فطلب طالب السلعة بأكثر من الثمن ليرِّغب البائع في فسخ العقد ، فهذا هو البيع على بيع الغير ، وهو محرَّم لأنه إضرار بالغير؛ ولكنه منعقد؛ لأن نفس البيع غير مقصود بالنهي ، فإنه لا خلل فيه ، وكذلك إذا رغب المشتري في الفسخ بعرض سلعة أجود منها بمثل ثمنها ، أو مثلها بدون ذلك الثمن ، فإنه مثله في النهي.

وأما السوم على سوم أخيك : فأن تطلب السلعة بزيادة على ما استقر الأمر عليه بين المتساومين قبل البيع ، وإنما يحرم على من بلغه الخبر فإن تحريمه خفي ، قد لا يعرفه .

لا تناجشوا : النجش في الأصل : المدح والإطراء ، والمراد به في الحديث الذي ورد النهي عنه: أنه يمدح السلعة ، ويزيد فيها وهو لا يريدها ليسمعه غيره فيزيده ، وهذا خداع محرم ، ولكن العقد صحيح من العاقدين ، والآثم غيرهما .وقيل: هو تنفير الناس عن الشيء إلى غيره .

حاضر لباد : الحاضر : المقيم في المدن والقرى ، والبادي : المقيم بالبادية ، والمنهي عنه: هو أن يأتيَ البدوي البلدة ، ومعه قوت يبغي التسارع إلى بيعه رخيصًا ، فيقول له الحاضر : اتركه عندي لأغالي في بيعه ، فهذا الصنيع محرم لما فيه من الإضرار بالغير ، والبيع إذا جرى مع المغالاة منعقد ، فهذا إذا كانت السلعة مما تعم الحاجة إليها ، فإن كانت سلعة لا تعم الحاجة إليها ، أو كثر بالبلد القوت ، واستغني عنه ، ففي التحريم تردد. يعوَّل في أحدهما على عموم ظاهر النهي وحَسم باب الضرر . وفي الثاني: على معنى الضرر

والنجش أن يكون هناك بائع ومشتري وبينهما سلعة معينة وقد أوضح البائع للمشتري الراغب في ثمنها فيأتي شخص آخر لا رغبة له في السلعة فيقول للبائع:" أنا أشتريها منك بثمن أكثر من الثمن المذكور" وقد قصد من ذلك تحريك رغبة المشتري الأول فيها.

١١- تجنب الجلوس في طريق المسلمين من أجل البيع أو الشراء فيضيّق عليهم وتجنب الخوض في الباطل والإثم والخصومات ورفع الصوت والصياح أو الشتم.

١٢- الرضا بالربح القليل وهذا يؤدي إلى محبة الناس وكثرة الزبائن وطيب المعاملة والبركة في الرزق.

١٣- تجنب البيع والشراء عن طريق السرقة والاغتصاب.عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ :« مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدْ شَرَكَ فِى عَارِهَا وَإِثْمِهَا ». رواه البيهقي[١٥٧٠].

١٤- تجنب التكسب عن طريق الربا والميسر.قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٧٥) سورة البقرة

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الإِنفَاقَ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَالتَّصَدُّقَ عَلَى عِبَادِهِ،وَإِخْرَاجَ الزَّكَاةِ،شَرَعَ فِي عَرْضِ حَالِ أَكِلِي الرِّبا،وَأَمْوالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ،وَأَنْوَاعِ الشُّبُهَاتِ،فَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ،يَوْمَ البَعْثِ وَالنُّشُورِ،فَقَالَ عَنْهُم:إِنَّهُم لاَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلاّ قِياماً مُنْكَراً،كَمَا يَقُومُ المَصْرُوعُ حَالَ صَرَعِهِ وَأَكْلُهُمُ الرِّبَا هَذا قائِمٌ عَلى اسْتِحلالِهِمْ لَهُ،وَجَعْلِهِ كَالبَيْعِ،فَيَقُولُونَ:كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الإِنْسَانُ سِلعَتَهُ التِي ثَمَنُهَا عَشَرَةُ دَراهِمَ عَلَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيهِ عِشْرِينَ دِرْهَماً بَعْدَ سَنَةٍ،فَالسَّبَبُ فِي رَأيِهِمْ وَاحِدٌ فِي كُلٍّ مِنَ الزِّيَادَتَيْنِ،وَهُوَ الأجَلُ .

هَذِهِ هِيَ حُجَّةُ آكِلِي الرِّبا وَهُمْ وَاهِمُونَ فِيمَا قَالُوهُ،وَقِيَاسُهُمْ فَاسِدٌ،لأنَّ البَيْعَ فِيهِ مَا يَقْتَضِي حِلَّهُ لأَنَّهُ يُلاحَظُ فِيهِ انْتِفاعُ المُشْتَرِي بِالشَّيْءِ انْتِفَاعاً حَقِيقِيّاً .

أَمَّا الرِّبا فَهُوَ إِعْطَاءُ الدَّراهِمِ وَالْمِثْلِيَّاتِ وَأَخْذُها مُضَاعَفَةً فِي وَقْتٍ آخَرَ.فَمَا يُؤخَذُ مِنَ المَدِينِ زِيَادَةً فِي رَأسِ المَالِ لاَ مُقَابِلَ لَهُ مِنْ عَيْنٍ وَلاَ عَمَلٍ.فَمَنْ بَلَغَهُ نَهْيُ اللهِ عَنِ الرِّبا،فَانْتَهى عَنِ الرِّبا فَلَهُ مَا سَلَفَ مِمَّا أَكَلَهُ مِنَ الرِّبا قَبْلَ التَّحْرِيمِ،وَمَا سَبَقَ لَهُ أَنْ أَخَذَهُ أَيَّامَ الجَاهِلِيَّةِ،وَأَمْرُه مَرْدُودٌ إِلى اللهِ.وَمَنْ عَادَ إِلى الرِّبا،بَعْدَ أَنْ بَلَغَهُ النَّهْيُ عَنْهُ،فَقَدِ اسْتَوْجَبَ العُقُوبَةَ مِنَ اللهِ،وَالخُلُودَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ .[١٥٧١]

[١٥٧٠] - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ٣٣٥)(١١١٤١) والإصابة ١٤٥/٢ وإسحاق(٤١٢و٤١٣) حسن لغيره

[١٥٧١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٢)

ولقوله تبارك وتعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩)} البقرة.

يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ،المُصَدِّقِينَ بِمَا أَمَرَهُمْ بِه،بِالتَّقْوى،فَيَقُولُ لَهُمْ:اتَّقُوا اللهَ وَاتْرُكُوا مَا لَكُمْ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّبا (أَيْ مَا يَزِيدُ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوالِكُمْ) إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقّاً بِمَا شَرَعَ اللهُ لَكُمْ مِنْ تَحْلِيلِ البَيْعِ،وَتَحْرِيمِ الرِّبا،وَغَيْرَ ذَلِكَ .

وَأَنْذَرَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ لاَ يَمْتَثِلُونَ لأَمْرِهِ مِنْ تَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا عِنْدَ النَّاسِ،بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه لِخُرُوجِهِمْ عَنِ الشَّرْعِ،وَعَدَمِ خَضُوعِهِمْ لَهُ،فَإِنْ تَابُوا فَلَهُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ بِدُونِ زِيَادَةٍ،لاَ يَظْلِمُونَ بِأَخْذِ زِيادَةٍ،وَلاَ يُظْلَمُونَ بِوَضْعِ شَيءٍ مِنْ رَأسِ المَالِ[١٥٧٢] .

ولما ورد عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِى جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيه أَنَّهُ اشْتَرَى غُلاَمًا حَجَّامًا فَقَالَ إِنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- نَهَى عَنْ ثَمَنِ الدَّمِ،وَثَمَنِ الْكَلْبِ،وَكَسْبِ الْبَغِىِّ،وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالْمُصَوِّرَ[١٥٧٣] .

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ.[١٥٧٤]

وعَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ،قَالَ:آكِلُ الرِّبَا وَمُوكِلُهُ وَكَاتِبُهُ وَشَاهِدَاهُ إِذَا عَلِمُوا بِه،وَالْوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ لِلْحُسْنِ،وَلاَوِي الصَّدَقَةِ،وَالْمُرْتَدُّ أَعْرَابِيًّا بَعْدَ هِجْرَتِه مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺيَوْمَ الْقِيَامَةِ.[١٥٧٥]

١٥- تجنب بيع الأشياء المحرمة لما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ،وَقَالَ:قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ،فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا،وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ."[١٥٧٦] .

وعلى هذا فإن بيع الخمر وكل محرم محرم في نظر الإسلام. فعَنِ ابْنِ وَعْلَةَ،أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَمَّا يُعْصَرُ مِنَ الْعِنَبِ،فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:أَهْدَى رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺرَاوِيَةَ خَمْرٍ،فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ،حَرَّمَ شُرْبَهَا،فَسَارَ الرَّجُلُ إِنْسَانًا إِلَى جَنْبِه،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺبِمَ سَارَرْتَهُ ؟ فَقَالَ:أَمَرْتُهُ أَنْ يَبِيعُهَا،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا،حَرَّمَ بَيْعَهَا فَفَتَحَ الْمَزَادَتَيْنِ حَتَّى ذَهَبَ مَا فِيهِمَا.[١٥٧٧]

[١٥٧٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٦)

[١٥٧٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٩٦٢)

[١٥٧٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٤١٧٧)

[١٥٧٥] - صحيح ابن حبان - (٨ / ٤٤) (٣٢٥٢) صحيح

[١٥٧٦] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣١٢) (٤٩٣٨) صحيح

[١٥٧٧] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣١٧) (٤٩٤٢) صحيح

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ،قَالَ:إِنِّي يَوْمَئِذٍ أَسْقِي أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً،قَالَ:فَأَمَرُونِي فَكَفَأْتُهَا وَكَفَأَ النَّاسُ آنِيَتَهُمْ بِمَا فِيهَا حَتَّى كَادَتِ السِّكَكُ تَمْتَنِعُ مِنْ رِيحِهَا،قَالَ أَنَسٌ:وَمَا خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الْبُسْرُ،وَالتَّمْرُ مَخْلُوطَيْنِ،فَجَاءَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَ:إِنَّهُ قَدْ كَانَ عِنْدِي مَالُ يَتِيمٍ،فَاشْتَرَيْتُ بِهِ خَمْرًا،أَفَتَرَى أَنْ أَبِيعَهُ،فَأَرُدَّ عَلَى الْيَتِيمِ مَالَهُ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ،فَبَاعُوهَا،وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا وَلَمْ يَأْذَنْ لِيَ،النَّبِيُّ ﷺفِي بَيْعِ الْخَمْرِ."[١٥٧٨]

١٦- عدم إعانة المشتري الظالم فإعانة التاجر للمشتري في الشر محرمة ويأثم منها التاجر ومثال ذلك التاجر الذي يبيع العنب أو التمر لمن يعلم أنه يتخذه خمرا. عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:" مَنْ حَبَسَ الْعِنَبَ أَيَّامَ الْقِطَافِ حَتَّى يَبِيعَهُ مِنْ يَهُودِيٍّ،أَوْ نَصْرَانِيٍّ،أَوْ مَنْ يَتَّخِذُهُ خَمْرًا،فَقَدْ تَقَحَّمَ النَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[١٥٧٩]

وعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: بِعْهُ عَصِيرًا مِمَّنْ يَتَّخِذُهُ طِلاَءً وَلاَ يَتَّخِذُهُ خَمْرًا.[١٥٨٠]

١٧- الإحسان في المعاملة وفي إستيفاء الثمن إما بالمسامحة أو بالمساهلة أو بالإهمال أو بالتأخير.

قال تعالى: {وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٢٨٠) سورة البقرة

فَإِنْ كَانَ المَدِينُ مُعْسِراً لاَ يَجِدُ وَفَاءَ دَيْنِه،فَإِنَّ اللهَ يَأمُرُ الدَّائِنَ بِنَظِرَتِه إلى حِينِ مَيْسَرَتِه،وَتَمَكُّنِه مِنْ دَفْعِ مَا عَلَيه.وَإِنْ تَصَدَّقَ الدَّائِنُ عَلَى المَدِينِ المُعْسِرِ بِشَيءٍ مِنْ رَأسِ المَالِ،أوْ بِرَأسِ المَالِ كُلِّه،فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ.وَقَدْ وَرَدَتْ أحَادِيثُ كَثِيرةٌ فِي الحَثِّ عَلَى تَنْفِيسِ كُرْبَةِ المَكْرُوبِ وَالتَّجَاوُزِ عَنِ المُعْسِرِ .[١٥٨١]

عن رَجُلٍ مِنْ بَلْعَدَوِيَّة،قَالَ:حَدَّثَنِي جَدِّي،قَالَ:انْطَلَقْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَنَزَلْتُ عِنْدَ الْوَادِي فَإِذَا رَجُلاَنِ بَيْنَهُمَا عَنْزٌ وَاحِدَةٌ،وَإِذَا الْمُشْتَرِي يَقُولُ لِلْبَائِعِ:أَحْسِنْ مُبَايَعَتِي،قَالَ:فَقُلْتُ فِي نَفْسِي هَذَا الْهَاشِمِيُّ الَّذِي أَضَلَّ النَّاسَ أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ:فَنَظَرْتُ،فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ،عَظِيمُ الْجَبْهَةِ،دَقِيقُ الأَنْفِ،دَقِيقُ الْحَاجِبَيْنِ،وَإِذَا مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى سُرَّتِهِ مِثْلُ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ شَعَرٌ أَسْوَدُ،وَإِذَا هُوَ بَيْنَ طِمْرَيْنِ،قَالَ:فَدَنَا مِنَّا،فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ،فَرُدُّوا عَلَيْهِ،فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ دَعَا الْمُشْتَرِي،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،قُلْ لَهُ يُحْسِنْ مُبَايَعَتِي،فَمَدَّ يَدَهُ وَقَالَ:أَمْوَالَكُمْ تَمْلِكُونَ،إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَطْلُبُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ ظَلَمْتُهُ فِي مَالٍ،وَلا دَمٍ،وَلا عِرْضٍ،إِلا بِحَقِّهِ،رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا سَهْلَ الْبَيْعِ،سَهْلَ الشِّرَاءِ،سَهْلَ الأَخْذِ،سَهْلَ الإِعْطَاءِ،سَهْلَ الْقَضَاءِ،سَهْلَ التَّقَاضِي،ثُمَّ مَضَى،فَقُلْتُ:وَاللَّهِ لأَقُصَنَّ هَذَا،فَإِنَّهُ حَسَنُ الْقَوْلِ

[١٥٧٨] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣٢٠) (٤٩٤٥) صحيح

[١٥٧٩] - المعجم الأوسط للطبراني - (٥٥١٥) وعلل (١١١٢) وجرجان ٢٤١ والشعب (٥٦١٨) والنيل ٥/١٥٤

وفي سنده عبد الكريم بن عبدالله السكري اتهمه أبوحاتم في العلل بالكذب ووثقه ابن حبان وروى عنه في صحيحه (٢٨٣٧) وحسن الحديث الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (٨١٧)

[١٥٨٠] - سنن النسائي- المكتر - (٥٧٣٢) صحيح -الطلاء : شراب يطبخ حتى يذهب ثلثاه ويسمى البعض الخمر طلاء

[١٥٨١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٨)

فَتَبِعْتُهُ،فَقُلْتُ:يَا مُحَمَّدُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بِجَمِيعِهِ،فَقَالَ:مَا تَشَاءُ ؟ فَقُلْتُ:أَنْتَ الَّذِي أَضْلَلْتَ النَّاسَ وَأَهْلَكْتَهُمْ وَصَدَدْتَهُمْ عَمَّا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُهُمْ ؟ قَالَ:ذَاكَ اللَّهُ،قُلْتُ:مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ؟ قَالَ:أَدْعُو عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ،قَالَ:مَا تَقُولُ ؟ قَالَ:أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ،وَتُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ،وَتَكْفُرُ بِاللاتِ وَالْعُزَّى،وَتُقِيمُ الصَّلاةَ،وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ،قَالَ:قُلْتُ:وَمَا الزَّكَاةُ ؟ قَالَ:يَرُدُّ غَنِيُّنَا عَلَى فَقِيرِنَا،قَالَ:قُلْتُ:نِعْمَ الشَّيْءُ تَدْعُو إِلَيْهِ،قَالَ:فَلَقَدْ كَانَ وَمَا فِي الأَرْضِ أَحَدٌ يَتَنَفَّسُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ،فَمَا بَرِحَ حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي،وَوَالِدِي،وَمِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ،قَالَ:فَقُلْتُ:قَدْ عَرَفْتُ،قَالَ:قَدْ عَرَفْتَ ؟ قُلْتُ:نَعَمْ،قَالَ:تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ،وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ،وَتُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيَّ ؟ قَالَ:قُلْتُ:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ،إِنِّي أَرِدُ مَاءً عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَأَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ،فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَتَّبِعُوكَ،قَالَ:نَعَمْ،فَادْعُهُمْ،فَأَسْلَمَ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَاءِ رِجَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ،فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺرَأْسَهُ"[١٥٨٢]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنهما – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– قَالَ « رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ،وَإِذَا اشْتَرَى،وَإِذَا اقْتَضَى ».رواه البخاري[١٥٨٣].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ،سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى،سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى،سَمْحًا إِذَا قَضَى.[١٥٨٤]

١٨– تجنب شراء شيء يساوم غيرنا لشرائه حتى ينتهي بشرائه أو بتركه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ.[١٥٨٥].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ،إِلاَّ بِإِذْنِهِ."[١٥٨٦]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».[١٥٨٧]

١٩– البعد عن ترويج النقود المزيفة،فقد ترد أحيانا إلى يد التاجر نقود مزيفة أو نقود قديمة انتهى التعامل بها أو نقود بلد آخر لا يتعامل بها في بلده،فيجب على التاجر في هذه الحالة أن لا يروج هذه النقود بإعطائها لشخص آخر وإلا كان ظالما لأنه أضرّ بغيره من المسلمين،وقال بعضهم: إنفاق درهم

[١٥٨٢] – مسند أبي يعلى الموصلي(٦٨٣٠) فيه جهالة

[١٥٨٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٠٧٦)

[١٥٨٤] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٢٦٧) (٤٩٠٣) صحيح

[١٥٨٥] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٣٣٩) (٤٩٦٥) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٨٨٤)

[١٥٨٦] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٣٣٩) (٤٩٦٦) صحيح

[١٥٨٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٠٦)

زيف أشد من سرقة مائة درهم،لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت،وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة،أو مائتي سنة..إلى أن يفنى ذلك الدرهم،ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته،وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه،والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر انقراضها"[١٥٨٨]

قال تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (١٢) سورة يس

إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة،ونكتب ما عملوا من الخير والشر،وآثارهم التي كانوا سببًا فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير،كالولد الصالح،والعلم النافع،والصدقة الجارية،ومن شر،كالشرك والعصيان،وكلَّ شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب،وإليه مرجعها،وهو اللوح المحفوظ. فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.[١٥٨٩]

٢٠- إقالة النادم: في بعض الأحيان قد يشتري أحدهم السلعة ثم يتضح له أنه في غير حاجة لها أو يرى أنه محتاج لثمنها فيندم على شرائه ويأتي إلى التاجر ليقيله (أي يقبل السلعة ويرد إليه ثمنها) فمن حسن المعاملة الشرعية أن يقبل التاجر السلعة من المشتري النادم وله من الله في هذا الفعل ثواب كثير كما يشير إلى ذلك حديث المصطفى ﷺ[١٥٩٠]. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ،أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[١٥٩١]..

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ،أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[١٥٩٢]

٢١- أن يتجنب العامل والموظف التأخر عن موعد العمل المتفق عليه واستغلال وقت العمل بكامله لصالح العمل وعدم إضاعة الوقت والانشغال بغير العمل،فهذا الوقت من حق صاحب العمل وإلا فإن الإضاعة للوقت والانشغال عن العمل المطلوب تجعل أجرة هذا الوقت موضع شبهة لأنه أخذ أجرة بدون عمل.

٢٢- أن يتجنب الموظف تأخير المعاملات وتأجيل أصحاب الحاجة ومماطلتهم والإسراع في أداء الأعمال وحل مشاكل الناس بوجه طلق وكلام حسن طيب لأنه يعمل في مضمار خدمة الناس وهذا عمله ولا يجوز له التصرف بما يؤذي الناس وتأخير حاجاتهم وإضاعة أوقاتهم والفرص لديهم.

[١٥٨٨] - إحياء علوم الدين - (١ / ٤٢٢)

[١٥٨٩] - التفسير الميسر - (٧ / ٤٧٦)

[١٥٩٠] - وانظر فتاوى يسألونك لعفانة١-١٢ - (١٠ / ١٦٣)

[١٥٩١] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٤٠٥) (٥٠٣٠) صحيح

[١٥٩٢] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٤٠٤) (٥٠٢٩) صحيح

وأختم هذا البحث بما قاله الشعراني رحمه الله:

(أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ أن نرغب إخواننا الذين لم يكثروا التعبد بعلم ولا غيره في التكسب بالبيع والشراء والزراعات وكل عمل يساعدهم على القوت بطريقه الشرعي على وجه الإخلاص لا على وجه التكاثر والمفاخرة بمطاعم الدنيا وملابسها وشهواتها،فإن من اكتسب الدنيا على وجه التكاثر والتفاخر،فمن لازمه تعدى الحدود الشرعية في الحل لأن الحلال في كل زمان لا يتحمل الإسراف.

وقد زار الحسن البصري أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز،فأخرج له عمر كسرة يابسة ونصف خيارة،وقال: كل يا حسن فإن هذا الزمان لا يتحمل الحلال فيه الإسراف اهـ،فلا ترى أحدا في سعة من الدنيا إلا وهو قليل الورع فيغش وينصب،ويبيع على المكاسين وأكلة الرشا وغيرهم،وأما إن طلب التوسع في الدنيا بغير طريق التكسب الشرعي وأقبل على العبادة فربما أكل بدينه،ووقع في الرياء والنفاق لمن يحسن إليه،وإن لم يكن مقبلا على العبادة سلق الناس بألسنة حداد إذا لم يعطوه ما طلب فالتكسب الشرعي أولى بكل حال.

وقد ورد أن الله تعالى علم آدم عليه السلام ألف حرفة،وقال له يا آدم قل لبنيك يكتسبون بهذه الحرف ولا يأكلون بدينهم.[١٥٩٣]

وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: قد تغير التكسب اليوم على كل فقير وفقيه لعدم من يتفقدهم بالبر والإحسان في هذا الزمان لقلة المكاسب،فقد صار التاجر اليوم يمكث الثلاثة أيام أو أكثر لا يستفتح،فكيف يفتقد غيره،وهو لم يعمل بقوت نفسه وعياله وضيوفه،فضلا عن المغارم التي عليه من كراء بيت وحانوت وعوائد للظلمة من غفراء ورسل محتسب ومشد التراب ومشد الفلوس،والذهب في الأسواق،فالتاجر في أغلب أيامه ينفق من رأس ماله أو مال غيره الذي هو عامل فيه،ومثل هذا لا يطالب أن يفتقد فقيرا ولا فقيها،لاسيما إن كان الفقير أو الفقيه غير مخلص في علمه وعبادته،وأما الفلاح فهو طول سنته في شقاء وتعب وكلف لقُصاد الكشاف والعمال والعرب والعشير وأتباعهم فلا يزال يقدم لهؤلاء كلما كان عنده من لبن وسمن ودجاج وغنم حتى أنه يبيع غزل امرأته لهم ثم آخر السنة يحملونه عاطل البلد زيادة على خراجه وربما رسموا على زرعه في الجرن فيطلب لأولاده منه طحينا فلا يمكنوه من ذلك فيا ليتهم جعلوه كغلمان الأمين الذين لهم عادة،ومعلوم أن القرى هي مادة الأمصار فجميع ما في الأمصار إنما يحمل من القرى،فوالله لقد صارت الرعية اليوم بأعمالهم السيئة ؛كأنهم في صحراء من نار أو كسمك كان في بركة فنزل عنه الماء،فصارت الكلاب والجوارح تفسخه بالنهار والذئاب والثعالب تفسخه بالليل،وما بقي يرجى عود

[١٥٩٣] – الدر المنثور للسيوطي –موافق للمطبوع – (١ / ٢٦٥)

الماء في البركة الذي هو كناية عن الرحمة لينغمر فيه السمك،ولا يعرف ما قلناه إلا الذين يلزمون بما لا يلزم ممن تقدم ذكرهم من السوقة والفلاحين.

وسمعت سيدي عليا الخواص يقول: غالب أهل النعم لا تعرف مقدارها إلا بالتحول كما حكي أن عبدا كان سيده يكرمه ويلبسه الثياب الحسنة ويأكل معه على السماط فتنكر عليه سيده يوما ونقمه فقال:بعني في سوق السلطان فاشتراه إنسان حاله أضيق من سيده،فخلع عنه ثيابه وألبسه خليقات وصار يطعمه من فضلة السماط،فقال سوق السلطان،فاشتراه إنسان حاله أضيق من الثاني فصار يأكل الدقيق ويطعمه النخالة فقال سوق السلطان فاشتراه إنسان يأكل النخالة ويجوعه،فقال سوق السلطان فاشتراه إنسان يجوع ويجوع العبد معه،واحتاج في ليلة إلى منارة يضع عليها المسرجة،فما وجد شيئا فأجلسه،ووضع المسرجة على رأسه إلى بكرة النهار،فقال سوق السلطان،فوجده فقير وهو خارج إلى السوق ممن كان يعرف حاله الأول،فذكر له قصته مع هؤلاء الذين اشتروه فقال له: إن سمعت مني رددتك إلى سيدك الأول،فقال: وماذا أصنع؟ قال:تعترف له بالنعمة،فاعترف فرجع فاشتراه سيده الأول،فما عرف هذا العبد مقدار النعمة إلا بتحويلها لاسيما من فتح عينه على النعمة من غير اكتساب كالجالسين في مثل جامع الأزهر أو الزوايا التي لها خبز وجوامك وليس عليهم مغارم فإن هؤلاء لا يعرفون ما الخلق فيه وربما بطر أحدهم النعمة التي هو فيها حتى صار يرد على الخادم والنقيب الخبز اليابس،فحول الله عنه النعمة ثم إنه يريد استرجاعها فلا يتيسر له ذلك أبدا.

فعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً فَمَسَحَهَا،فَقَالَ:" يَا عَائِشَةُ أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ أَهْلِ بَيْتٍ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ "[١٥٩٤].

وفي القرآن العظيم: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} (١١٢) سورة النحل ففهمنا من هذه الآية أن النعم لا تتحول عن صاحبها وهو شاكر لله تعالى أبدا..[١٥٩٥]

[١٥٩٤] – شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ(٤٣٨٠) ضعيف والمرفوع حسن لغيره

[١٥٩٥] – لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية – (١ / ٣٣١)

-٣٥-آداب الصلة

الإنسان بطبعه وغريزته ميال للاجتماع بالآخرين والتعاون معهم وإنشاء الصلاة الحميمة بهم وهذا ما شجعه الإسلام أيضا وقد أنشأ العلاقات الاجتماعية الحميمة والروابط الإيمانية القوية.

هذا وقد نظم الإسلام هذه العلاقات تنظيما دقيقا فقد حدد أنواع هذه الروابط وعدد الواجبات نحوها فجعل أول هذه الصلات مع أقرب الناس إلى الفرد مع الوالدين فأمر ببرهما وطاعتهما واحترامهما ثم انتقل إلى الصلة بالزوج فجعل الصلة بين الزوجين قائمة على الحب والاحترام المتبادل وأداء كل منهما لواجباته تجاه الآخر واحترام حقوقه،ثم انتقل إلى الصلة بالولد وجعلها قائمة على الرعاية والتربية الحسنة من قبل الوالدين مع العطف والمساواة بينهم ثم الصلة مع الأخوة فأمر الصغير باحترام الكبير وأمر الكبير برحمة الصغير والعطف عليه كذلك عمق الصلة بالأقارب والأرحام وأمر بصلتهم وزيارتهم وتقديم المساعدة لهم. والأقربون أولى بالمعروف.

كذلك امتدت الصلة إلى الأصدقاء والأصحاب فنظم العلاقة معهم وحدد الواجبات تجاههم وكذلك حدد العلاقة مع الجيران بالاحترام والتعاون والمساعدة وإبعاد الأذى والضرر عنهم.

ووسع الصلة حتى امتدت إلى هذا المجتمع الواسع فنظم هذه الصلة وحدد الواجبات تجاه هذا المجتمع وعناصره وجعل التعاون وأداء الحقوق والواجبات والعمل على رفعة هذا المجتمع أساس هذه الصلة بل امتدت الصلة بالدولة والأمة ونظم هذه العلاقة على أساس العمل على الطاعة والاحترام والتقيد بالنظام والدفاع عن الحرمات ومحبة جميع أفراده،وأفرد هذه الأمة والتعاون معهم جميعا على رفع مكانة هذه الأمة والافتخار بها قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (١١٠) سورة آل عمران

إذا مواضيع الصلة كثيرة وقد مرّ بعضها معنا وفي موضوع هذا الأدب "

آداب الصلة:

أـ بالرحم،ب ـ بالجار،ج ـ بالمريض،دـ بالميت. "التعزية".

ا-آداب صلة الرحم:

إن الرحم على وجهين عامة وخاصة،فالرحم العامة رحم الدِّين ويجب مواصلتها بملازمة الأيمان والمحبة لأهله ونصرتهم والنصيحة لهم وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملاتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم وتكفينهم ودفنهم وغير ذلك من الحقوق مترتبة لهم،وهذا هو الأدب مع الرحم العامة،وأما القرابة والرحم الخاصة فإن الإسلام قد قد وضع لها آدابا خاصة فوق ما سبق من نفقة وتفقد أحوالهم وترك التغافل عنهم في أوقات

حاجتهم والأدب معهم يكون بصلتهم بإيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر حسب الطاقة وتتمثل في قوله تعالى :{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} (٢١) سورة الرعد

وهذه خلاصتها :

زيارة الأرحام باستمرار،وتفقد أحوالهم،وإدخال السرور عليهم ابتغاء مرضاة الله تعالى .

قال تعالى:{وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا} (٢٦) سورة الإسراء

وأحسِنْ إلى كل مَن له صلة قرابة بك،وأعطه حقه من الإحسان والبر،وأعط المسكين المحتاج والمسافر المنقطع عن أهله وماله،ولا تنفق مالك في غير طاعة الله،أو على وجه الإسراف والتبذير.[١٥٩٦]

وقال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (١) سورة النساء

يا أيها الناس خافوا الله والتزموا أوامره،واجتنبوا نواهيه؛ فهو الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام،وخلق منها زوجها وهي حواء،ونشر منهما في أنحاء الأرض رجالا كثيرًا ونساء كثيرات،وراقبوا الله الذي يَسْأل به بعضكم بعضًا،واحذروا أن تقطعوا أرحامكم. إن الله مراقب لجميع أحوالكم.[١٥٩٧]

عَنْ عَلِيٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ،وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ،وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ،فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" رواه أحمد[١٥٩٨]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ،وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ،فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ،وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ.[١٥٩٩]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ،وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ،فَلْيَتَّقِ اللَّهَ،وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ.[١٦٠٠]

وعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ،أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ،أَخْبَرَهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ،فَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُنْجِينِي مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ:فَنَظَرَ إِلَى وُجُوهِ أَصْحَابِهِ

[١٥٩٦] – التفسير الميسر – (٥ / ٢٠)

[١٥٩٧] – التفسير الميسر – (٢ / ١)

[١٥٩٨] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٤٠٠) (١٢١٣) حسن

[١٥٩٩] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٦٧٩)(١٣٨١١) ١٣٨٤٧– صحيح لغيره

[١٦٠٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٩٨٦) وصحيح مسلم- المكتر –(٦٦٨٨) وصحيح ابن حبان – (٢ / ١٨٢) (٤٣٩) –الأثر : الأجل –ينسأ : يؤخر

وَكَفَّ عَنْ نَاقَتِه وَقَالَ:لَقَدْ وُفِّقَ،أَوْ هُدِيَ،لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا،وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ،وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعِ النَّاقَةَ."[١٦٠١]

تجنب قطيعة الرحم والانشغال عن برها وصلتها بمتاع الدنيا وتحصيل الأموال.

قال تعالى:{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٢) سورة محمد

فلعلكم إن أعرضتم عن كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺأن تعصوا الله في الأرض،فتكفروا به وتسفكوا الدماء وتُقَطِّعوا أرحامكم.[١٦٠٢]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِه،قَالَتِ الرَّحِمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ.قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ.وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ.قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ.قَالَ فَهْوَ لَكِ ».قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ).رواه البخاري ومسلم[١٦٠٣].

وعَنِ الزُّهْرِىِّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ ». رواه مسلم[١٦٠٤].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ،وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي،فَمَنْ وَصَلَهَا،وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا،بَتَتُّهُ.[١٦٠٥].

صلة الرحم بالقيام بنصيحتهم وإرشاد صالهم،وهداية شاردهم،وتذكير غافلهم ودعوة معرضهم إلى الله وعبادته وأداء الفرائض واجتناب المعاصي.قال تعال: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (٢١٤) سورة الشعراء

يَأمُرُ اللهُ تَعالى رَسُولَهُ ﷺبِأَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الأَدْنَيْنَ لَهُ،وأَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّهُ لا يَنْفَعُ أحَداً مِنْهُمْ يَوْمَ القِيامةِ إلا إِيمانُهُ بربِّه،وعَمَلُه الصَّالِحُ .[١٦٠٦]

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ،وَأَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ،قَالَ:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺحِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء]،قَالَ:يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا،يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا،يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي

[١٦٠١] – صحيح مسلم- المكتر – (١١٣) و صحيح ابن حبان – (٢ / ١٨٠) (٤٣٧)

[١٦٠٢] – التفسير الميسر – (٩ / ١٨١)

[١٦٠٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٩٨٧) وصحيح مسلم-المكتر –(٦٦٨٢)

[١٦٠٤] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٦٨٥)

[١٦٠٥] – صحيح ابن حبان – (٢ / ١٨٦) (٤٤٣) صحيح

[١٦٠٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٠٢٨)

عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا،يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا،يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا.[١٦٠٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:] جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺقُرَيْشًا،فقَالَ:يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ،أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ مِثْلَ ذَلِكَ،وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِثْلَ ذَلِكَ،ثُمَّ،قَالَ:يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ،أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ،فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا،إِلاَّ أَنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا.[١٦٠٨]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ:وَهُنَّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ،خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَتَّى أَتَى الصَّفَا،فَصَعِدَ عَلَيْهَا،ثُمَّ نَادَى:يَا صَبَاحَاهُ،فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَبَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ،وَبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ،فَقَالَ ﷺ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،يَا بَنِي فِهْرٍ،يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ،يَا بَنِي،يَا بَنِي أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَصَدَّقْتُمُونِي ؟ قَالُوا:نَعَمْ،قَالَ:فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ،فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ:تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ،أَمَا دَعَوْتُمُونَا إِلاَّ لِهَذَا،ثُمَّ قَامَ،فَنَزَلَتْ:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ} [المسد]،وَقَدْ تَبَّ،وَقَالُوا:مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا.[١٦٠٩]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤] (وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)،قَالَ: وَهِيَ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللهِ،خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَتَّى أَتَى الصَّفَا فَصَعِدَ عَلَيْهِ ثُمَّ نَادَى: " يَا صَاحِبَاهُ " قَالَ: فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ﷺ،فَبَيْنَ رَجُلٍ يَجِيءُ وَبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ،فَقَالَ ﷺ: " يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،يَا بَنِي قُصَيٍّ،يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ،يَا بَنِي،يَا بَنِي،أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ الْجَبَالِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ،أَصَدَّقْتُمُونِي ؟ " قَالُوا: نَعَمْ،قَالَ ﷺ: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ،مَا دَعَوْتُمُونَا إِلَّا لِهَذَا قَالَ: فَنَزَلَتْ: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } [المسد: ١][١٦١٠]

صلة الرحم بالتصدق عليهم إن كانوا فقراء ومن تصدق على أقاربه كان ثوابه عند الله عظيما لأن له أجر الصلة وأجر الصدقة.عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،يَقُولُ:كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالاً،وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءُ،وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ،وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ،قَالَ أَنَسٌ:فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران]،قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ

[١٦٠٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٧٥٣) وصحيح مسلم- المكتر –(٥٢٥) وصحيح ابن حبان – (١٤ / ٤٨٦)(٦٥٤٩)

[١٦٠٨] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٤١٢) (٦٤٦) صحيح

[١٦٠٩] – صحيح ابن حبان – (١٤ / ٤٨٧) (٦٥٥٠) صحيح

[١٦١٠] – أخبار مكة للفاكهي – (٢ / ٢١٣)(١٣٧٩) صحيح

فِي كِتَابِهِ:{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران]،وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ،فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ،فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ شِئْتَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ،بَخٍ ذَاكَ مَالٌ رَابِحٌ،وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا،وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ،فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ:أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. رواه البخاري[١٦١١] .

تجنب مقابلة السيئة بمثلها،والقطعية بمثلها،أو انتظار زيارتهم ردا على كل زيارة.قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} (٢١) سورة الرعد

وَهَؤُلاَءِ الْمُؤْمِنُونَ الْمُهْتَدُونَ يَصِلُونَ الأَرْحَامَ التِي أَمَرَ اللهُ بِوَصْلِهَا،وَيُحْسِنُونَ إِلَى الأَقْرِبَاءِ وَالفُقَرَاءِ،وَيُعَامِلُونَهُمْ بِالمَودَّةِ وَالحُسْنَى،وَيَبْذُلُونَ المَعْرُوفَ،وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فِيمَا يَأْتُونَ،وَيُرَاقِبُونَهُ فِي ذَلِكَ،وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ،وَعَدَمِ الصَّفْحِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ .[١٦١٢]

ولقد بين ﷺأن الأدب مع الأقارب وذوي الأرحام واجب حتى ولو كانوا هم من لا يستحقون ذلك وبين أن ذلك من أسباب نصر الله لصاحبه،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَجُلاً،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ،وَيَقْطَعُونِي،وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ،وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ،لَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ،وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ،مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ. رواه مسلم[١٦١٣] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ،فَلاَ يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ. [١٦١٤] .

وَعَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ:كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ جَالِسًا بَعْدَ الصُّبْحِ فِي حَلْقَةٍ،قَالَ:" أُنْشِدُ اللَّهَ قَاطِعَ رَحِمٍ لَمَا قَامَ عَنَّا ؛ فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُوَ رَبَّنَا،وَإِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُرْتَجَةٌ دُونَ قَاطِعِ رَحِمٍ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[١٦١٥]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍوعَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ،وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِى إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا ».رواه البخاري[١٦١٦] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ،حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ،فَقَالَ: مَهْ،فَقَالَتْ: هَذَا مَكَانُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ: نَعَمْ،أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ،وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى،قَالَ: فَذَاكَ لَكِ "،ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ،وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

[١٦١١] – صحيح البخارى- المكتر – (١٤٦١) وصحيح ابن حبان – (٨ / ١٢٩) (٣٣٤٠)

[١٦١٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٧٢٩)

[١٦١٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٦٨٩) وصحيح ابن حبان – (٢ / ١٩٦) (٤٥١)

الظهير : المعين الدافع لأذاهم –الملّ : الرماد الحار الذى يحمى ليدفن فيه الطعام لينضج

[١٦١٤] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٦٧٣)(١٠٢٧٢) ١٠٢٧٧- حسن

[١٦١٥] – المعجم الكبير للطبراني – (٨ / ٦٩)(٨٧٠٥) فيه انقطاع

[١٦١٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٩٩١)

اللهُ،فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد: ٢٣] " رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ[١٦١٧]

تجنب الخلوة بأجنبية أو مصافحتها أثناء زيارة الأرحام كبنات الخال وبنات الخالة،وبنات العم وبنات العمة،والالتزام بآداب الزيارة من غض البصر،وحفظ اللسان.

قال تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النور

يَأْمُرُ اللهُ عِبَادَه الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَغُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِم،فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ وَقَعَ البَصَرُ عَلَى مُحَرِّمٍ عَلَيْهِمْ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَعَلى الْمُؤْمِن أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ بَصَرَهُ سَرِيعاً،كَمَا يَأْمُرُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِفْظِ فُرُوجِهم عَنِ الزِّنَى،وبِحِفْظِها مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهَا،فَذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَزْكَى لِدِينِهِم[١٦١٨]

.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَمٍ ».فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَتِى خَرَجَتْ حَاجَّةً وَاكْتُتِبْتُ فِى غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا.قَالَ « ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ ».رواه البخاري[١٦١٩].

وعَنْ أَبِي الْخَيْرِ،أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَدْخُلُوا عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ:أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ. رواه البخاري ومسلم[١٦٢٠].

الحمو: قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه وقريب الزوجة كذلك.

وتكون الصلة لذوي الأرحام بالمال والزيارة وعيادة المريض وإجابة الدعوة والتهنئة بما يسر والتعزية في المصائب وسداد الدين أو المساعدة في سداده وتمريض المريض،وذلك لأن الرحم لها حق زائد على

[١٦١٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٩٨٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٦٨٢) وشعب الإيمان - (١٠ / ٣١٩) (٧٥٥٨)
قَوْلُهُ: " فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ " مَعْنَاهُ: اسْتَجَارَتْ بِاللهِ، واعْتَصَمَتْ بِه، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: تَعَلَّقْتُ بِظِلِّ جَنَاحِه، أَي اعْتَصَمْتُ بِـه، وَقِيلَ: الْحِقْوُ: لِلْإِزَارِ، وَإِزَارُ اللهِ عَزَّ جَلَّ عِزُّهُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالْعِزِّ، فَاسْتَعَاذَتِ الرَّحِمُ بِعِزِّ اللهِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، وَلَاذَتْ بِه، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْعَرْشُ، فَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْخَبَرِ أَنَّهُ قَالَ: الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ "

[١٦١٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٧٠٣)

[١٦١٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢٣٣)

[١٦٢٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢٣٢) وصحيح مسلم- المكتر -(٥٨٠٣) وصحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٠١) (٥٥٨٨)
قَالَ النَّوَوِيّ : الْمُرَاد فِي الْحَدِيث أَقَارِب الزَّوْج غَيْر آبَائِه وَأَبْنَائِه ، لِأَنَّهُمْ مَحَارِم لِلزَّوْجَةِ يَجُوز لَهُمْ الْخَلْوَة بِهَا وَلَا يُوصَفُونَ بِالْمَوْتِ . قَالَ وَإِنَّمَا الْمُرَاد الْأَخ وَابْن الْأَخ وَالْعَمّ وَابْن الْعَمّ وَابْن الْأُخْت وَنَحْوهمْ مِمَّا يَحِلّ لَهَا تَزْوِيجه لَوْ لَمْ تَكُنْ مُتَزَوِّجَة ، وَجَرَتْ الْعَادَة بِالتَّسَاهُلِ فِيهِ فَيَخْلُو الْأَخ بِامْرَأَةِ أَخِيهِ فَشَبَّهَهُ بِالْمَوْتِ وَهُوَ أَوْلَى بِالْمَنْعِ مِنْ الْأَجْنَبِيّ اهـ عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة - (١ / ٢٣٢)

حقوق عامة المسلمين،فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَسْرَعُ الْخَيْرِ ثَوَابًا الْبِرُّ،وَصِلَةُ الرَّحِمِ،وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً،الْبَغْيُ،وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ.[١٦٢١]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:" لَا تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ "[١٦٢٢]

ولقد لفت الإسلام نظر أتباعه إلى حسن الأدب مع الأهل والأقربين وذوي الأرحام فأوجب الإحسان إليهم وعدم نسيانهم من الخير حتى عند قسمة التركات والمواريث إذا لم يكن لهم نصيب عند استغراق الورثة للتركة فعلينا أن نعطيهم من المال،بل إن الإسلام قد جعل لهم الوصية مفروضة يقول سبحانه (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) [البقرة:١٨٠،١٨١])،ويقول سبحانه: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا } (٨) سورة النساء،وقد جعلهم القرآن الكريم أحق الناس بالمعروف والإحسان قبل غيرهم فقال سبحانه: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا} (٣٦) سورة النساء.

كما جاء الحث على إعطائهم حقوقهم في قوله تعالى: {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٣٨) سورة الروم،وحتى إذا لم يجد الإنسان ما يعطيهم فلا أقل من أن يمنيهم بالخير ويردهم بما يؤملون به الفضل الذي يرجوه من الله فيقول تعالى: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا} (٢٨) سورة الإسراء

وعَنْ زَيْنَبَ،امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ "،قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ،وَإِنِّي أُنْفِقُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حِجْرِي،وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَأْتِه فَاسْأَلْهُ،فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِينِي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ،قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ: بَلِ ائْتِيه أَنْتِ،قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ وَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺحَاجَتُهَا حَاجَتِي،قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺقَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ،قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ،فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺفَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَلِأَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا ؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ،قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ

[١٦٢١] – سنن ابن ماجة– طبع مؤسسة الرسالة – (٥ / ٢٩٧) (٤٢١٢) ضعيف جدا

[١٦٢٢] – التَّرْغِيبُ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَثَوَابُ ذَلِكَ لِابْنِ شَاهِينَ(٥٧١) حسن لغيره

ﷺفَسَأَلَهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ هُمَا ؟ " قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ،وَزَيْنَبُ،قَالَ: " أَيُّ الزَّيَانِبِ ؟ " قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: " لَهُمَا أَجْرَانِ،أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ "[١٦٢٣]

وفي هذا دليل على مكانة الإحسان لذوي الأرحام،إن الأقربين هم أولى الناس بمعروفك وقد أوصى رسول الله ﷺهم خير تأدبا معهم وجعل الصدقة لهم تعادل صدقتين لغيرهم فعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ،وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَانِ:صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ.[١٦٢٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-:" وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَحِمَ الْيَتِيمَ،وَلَانَ لَهُ فِي الْكَلَامِ،وَرَحِمَ يُتْمَهُ وَضَعْفَهُ،وَلَمْ يَتَطَاوَلْ عَلَى جَارِهِ بِفَضْلِ مَا آتَاهُ اللَّهُ " وَقَالَ:" يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ،وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَدَقَةً مِنْ رَجُلٍ،وَلَهُ قَرَابَةٌ مُحْتَاجُونَ إِلَى صِلَتِهِ وَيَصْرِفُهَا إِلَى غَيْرِهِمْ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ [١٦٢٥]

وهذا من أدب الإسلام مع الأقارب من حيث برهم ومواساتهم والإحسان إليهم ومسح دموعهم ومؤاساة جراحاتهم وتفريج كرباتهم وإدخال السعادة عليهم: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} (٦) سورة الأحزاب وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ:" إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ،وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ،وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ وَتَنْفِي الْفَقْرَ،وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،فَإِنَّهُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ [تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ] دَاءً أَدْنَاهَا الْهَمُّ،".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ.[١٦٢٦]

ولقد بين سبحانه وتعالى أن الإعراض عند ذوي الأرحام إنما هو من إساءة الأدب معهم وهو قرين الفاسدين في الأرض إذ يقول سبحانه:(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) [محمد:٢٢،٢٣]) وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-:" إِنَّ اللَّهَ لَيُعَمِّرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ،وَيُثْمِرُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ،وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُنْذُ خَلَقَهُمْ بُغْضًا لَهُمْ ".قِيلَ:وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ:" بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ [١٦٢٧]

[١٦٢٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٢٣٦٥) و شعب الإيمان – (٥ / ١٠٠) (٣١٥٢)

[١٦٢٤] – صحيح ابن حبان – (٨ / ١٣٣) (٣٣٤٤) صحيح لغيره

[١٦٢٥] – المعجم الأوسط للطبراني – (٩٠٧٣) ضعيف

[١٦٢٦] – المعجم الأوسط للطبراني – (٩٥٦) والصحيحة (١٩٠٨) حسن لغيره

[١٦٢٧] – المعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٢٣٤)(١٢٢٩١) حسن

وهي من الأسباب التي ترد عمل صاحبها حين يعرض عمله على الله كل خميس وليلة الجمعة،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ،فَلَا يُرْفَعُ فِيهَا قَاطِعُ رَحِمٍ "[١٦٢٨]

فلنحرص على الأدب مع أقاربنا وذي أرحامنا حتى نكون أهلا لمرضاة الله ورضوانه وعفوه وإحسانه.

ب –آداب الجار:

ابتداء الجار بالسلام إذا لقيه،مع السؤال عن حاله،والبشاشة في وجهه.عيادته في مرضه،والمسارعة إلى إسعافه عند الحاجة أو الاستدعاء.تعزيته عند إصابته بمصيبة،أو حلول كارثة به،أو وفاة عزيز عليه،وفتح بيته لذلك إن استدعى الأمر والقيام معه في عزائه،وإعانته على شدائده ونوائبه.مشاركته في فرحه،وتهنئته عند حلوله ومحبة الخير له،والسرور لسروره.الصفح عن زلاته وسقطاته،والتغاضي عن تقصيره وسيئاته،ومعاتبته برفق وأدب على هفواته.التلطف في معاملة أبنائه،والإحسان إليهم،والرفق بهم ونصيحتهم بالمعروف.غض البصر عن أهله،وتجنب متابعة أسراره،والحفاظ على حرمته،وملاحظة داره عند غيبته.غض الصوت تجنبا لمضايقته. وخفض صوت المذياع والرائي خصوصا في أوقات راحته.تجنب إيذائه بتضييق الطريق عليه،أو طرح الأقذار قرب داره،أو التجاوز على حدوده أو التطاول عليه في البنيان فتنحجب عنه الشمس والهواء.

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِى كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ،فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ – رضى الله عنها – فَقَالَتْ يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ،فَإِنَّ النَّبِىَّ – ﷺ– قَالَ « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ ».رواه البخاري ومسلم[١٦٢٩].

وعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ– قَالَ « وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ،وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ،وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ».قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِى لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ ».رواه البخاري[١٦٣٠]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ »[١٦٣١].

بذل النصيحة له،والإخلاص في مشوراته وإرشاده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

تحمل الأذى منه،والصبر على جفائه،وإعراضه. وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ.[١٦٣٢]

[١٦٢٨] – شعب الإيمان – (١٠ / ٣٤٠) (٧٥٩٣) صحيح لغيره

[١٦٢٩] – صحيح البخارى– المكتز – (٢٤٥٣) وصحيح مسلم– المكتز –(٤٢٢٢)

[١٦٣٠] – صحيح البخارى– المكتز – (٦٠١٦)

[١٦٣١] – صحيح مسلم– المكتز – (١٨١) –البوائق : الغوائل والشرور واحدها بائقة

[١٦٣٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٥ / ٩٠٥)(١٧٣٧٢) ١٧٥٠٧– حسن

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَجُلٌ:يَا رَسُولَ اللَّه،إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي،فَقَالَ:" انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ "،فَانْطَلَقَ فَأَخْرِجَ مَتَاعَهُ،فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْه،فَقَالُوا:مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ:لِي جَارٌ يُؤْذِينِي،فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:" انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ "،فَجَعَلُوا يَقُولُونَ:اللَّهُمَّ الْعَنْهُ،اللَّهُمَّ أَخْزِه.فَبَلَغَهُ،فَأَتَاهُ فَقَالَ:ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ،فَوَاللَّه لَا أُؤْذِيكَ "[١٦٣٣]

وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ:شَكَا رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺجَارَهُ،فَقَالَ:" احْمِلْ مَتَاعَكَ فَضَعْهُ عَلَى الطَّرِيقِ،فَمَنْ مَرَّ بِه يَلْعَنُهُ "،فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِه يَلْعَنُهُ،فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ:" إِنَّ لَعْنَةَ اللَّه فَوْقَ لَعْنَتِهِمْ "،ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي شَكَا:" كُفِيتَ " أَوْ نَحْوَهُ "[١٦٣٤]

بذل المعروف له،وإعانته بالنفس والمال،وإهداؤه من طعام داره،وفاكهته،وتلبيته في قضاء حوائجه.

قال الله تعالى: {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا} (٣٦) سورة النساء

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِعِبَادَتِه وَحْدَهُ،وَبِعَدَمِ الإِشْرَاكِ بِه،وَبِالعَمَلِ بِمَا أَمَرَ بِه،ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بِالإِحْسَانِ إِلَى الوَّالِدَينِ،فَقَدْ جَعَلَهُمَا اللهُ سَبباً لِخُرُوجِ الإِنْسَانِ مِن العَدَمِ.ثُمَّ أَمَرَ بِالإِحْسَانِ إِلَى ذَوِي القُرْبَى،مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ،ثُمَّ أَمَرَ بِالإِحْسَانِ إِلى اليَتَامَى الذِينَ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ،وَمَنْ يُنْفِقُونَ عَلَيْهِمْ،ثُمَّ بِالإِحْسَانِ إِلَى المَسَاكِينِ (وَهُمُ المُحْتَاجُونَ الذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَنْ يَقُومُ بِكِفَايَتِهِمْ)،فَأَمَرَ اللهُ بِمُسَاعَدَتِهِمْ بِمَا تَتِمُّ بِه كِفَايَتُهُمْ.ثُمَّ أَمَرَ بِالإِحْسَانِ إِلى الجَارِ الجَنْبِ،وَهُوَ الجَارِ الذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ،كَمَا أَمَرَ تَعَالَى بِالإِحْسَانِ إِلَى الصَّاحِبِ بِالجَنْبِ،وَهُوَ الرَّفِيقُ الصَّالِحُ فِي الحِلِّ وَالسَّفَرِ،وَابْنِ السَّبِيلِ وَهُوَ الضَّيْفُ عَابِرُ السَّبِيلِ مَارًّا بِكَ فِي سَفَرٍ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ بِالإِحْسَانِ إِلَيْه.كَمَا أَمَرَ اللهُ النَّاسَ بِالإِحْسَانِ إِلى الأَرِقَّاءِ الذِين تَحْتَ أَيْدِيهِمْ .ثُمَّ أَضَافَ تَعَالَى إِلى ذَلِكَ،أَنَّهُ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فِي نَفْسِه،مُعْجَباً مُتَكَبِّراً فَخُوراً عَلَى النَّاسِ،يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ،فَهُوَ فِي نَفْسِه كَبِيرٌ وَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَقِيرٌ .[١٦٣٥]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضى الله عنهما – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ– « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ ».رواه البخاري ومسلم[١٦٣٦].

وعَنْ أَبِى شُرَيْحٍ الْخُزَاعِىِّ أَنَّ النَّبِىَّ –ﷺ– قَالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ ».[١٦٣٧]

[١٦٣٣] – الْأَدَبُ الْمُفْرَد لِلْبُخَارِيِّ (١٢٤) حسن

[١٦٣٤] – الْأَدَبُ الْمُفْرَد لِلْبُخَارِيِّ(١٢٥) صحيح

[١٦٣٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٢٩)

[١٦٣٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٠١٥) وصحيح مسلم– المكتر –(٦٨٥٤)

وعَنْ مُجَاهد،وَسِيَاقُ الْحَديث لأَبِي عُبَيْد اللَّه قَالَ:" كُنْتُ عنْدَ عَبْد اللَّه بْن عَمْـــرو وَغُلَامُـــهُ يَسْـــلُخُ شَاةً،فَقَالَ:يَا غُلَامُ،إِذَا سَلَخْتَ فَابْدَأْ بجَارِنَا الْيَهُودِيِّ حَتَّى قَالَ ذَلكَ مرَارًا،فَقَالُوا لَهُ:كَمْ تَقُولُ هَـــذَا ؟ فَقَالَ:إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَمْ يَزَلْ يُوصينَا بالْجَار حَتَّى خَشينَا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ "[١٦٣٨]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاَثٍ:اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ مُجَدَّعِ الأَطْرَافِ،وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَـــةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا،ثُمَّ انْظُرْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانَكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ،وَصَـــلِّ الصَّـــلاَةَ لِوَقْتِهَا،فَـــإِنْ وَجَدْتَ الإِمَامَ قَدْ صَلَّى فَقَدْ أَحْرَزْتَ صَلاَتَكَ،وَإِلاَّ فَهِيَ نَافِلَةٌ. رواه مسلم[١٦٣٩].

إعطاء كل جار حقوقه التي يستحقها،عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيـــهِ،عَنْ جَـــدِّهِ،أَنَّ رَسُـــولَ اللَّـــهِ ﷺقَالَ:مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ دُونَ جَارِهِ مَخَافَةً عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِمُؤْمِنٍ،وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ،أَتَدْرُونَ مَا حَقُّ الْجَارِ ؟ إِنِ اسْتَعَانَكَ أَعَنْتَهُ،وَإِنِ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ،وَإِنِ افْتَقَـــرَ عُـــدْتَ عَلَيْهِ،وَإِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ،وَإِنْ مَاتَ شَهِدْتَ جَنَازَتَهُ،وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَـــهُ،وَلاَ تَسْتَطِيلَ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ،فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلاَّ بِإِذْنِهِ،وَإِذَا شَرَيْتَ فَاكِهَةً فَاهْدِ لَهُ،فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَـــا سِرًّا،وَلاَ يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ،وَلاَ تُؤْذِهِ بِقِتَارِ قِدْرِكَ إِلاَّ أَنْ تَغْرِفَ لَـــهُ مِنْهَـــا فَمَـــا زَالَ يُوصِيهِمْ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ،ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: الْجِيرَانُ ثَلاَثَةٌ،فَمِنْهُمْ مَنْ لَـــهُ ثَـــلاَثُ حُقُوقٍ،وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقَّانِ،وَمِنْهُمْ مَنْ لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ،فَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلاَثُ حُقُـــوقٍ فَالْجَـــارُ الْمُسْـــلِمُ الْقَرِيبُ،لَهُ حَقُّ الإِسْلاَمِ وَحَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الْقَرَابَةِ،وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَالْجَارُ الْمُسْلِمُ،لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ وَحَقُّ الإِسْلاَمِ،وَأَمَّا الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَالْجَارُ الْكَافِرُ،لَهُ حَقُّ الْجِوَارِ قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّه أَنُعْطِيهِمْ مِـــنْ لُحُومِ النُّسُكِ ؟ فَقَالَ:لاَ تُعْطِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ نُسُكِ الْمُسْلِمِينَ.[١٦٤٠]

وعَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،إِنَّ لِى جَارَيْنِ،فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِى قَـــالَ « إِلَـــى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا ».رواه البخاري[١٦٤١].

جـــ –آداب عيادة المريض:

المبادرة إلى زيارته في أول المرض.

عن الْأَعْمَشَ،قَالَ: " كُنَّا نَقْعُدُ فِي الْمَجْلِسِ،فَإِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلْنَا عَنْهُ،فَإِنْ كَـــانَ مَرِيضًـــا عُدْنَاهُ " [١٦٤٢]

[١٦٣٧] – صحيح مسلم- المكتر – (١٨٥)

[١٦٣٨] – مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ (٢٠٤) حسن

[١٦٣٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٨٥٦) وصحيح ابن حبان – (٤ / ٦٢٢) (١٧١٨)

[١٦٤٠] – مسند الشاميين (٢٤٣٠و٢٤٥٨) حسن لغيره

[١٦٤١] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٢٥٩)

[١٦٤٢] – شعب الإيمان – (١١ / ٤٣٠) صحيح

تكرار الزيارة كل يومين أو ثلاثة لمؤانسته وإدخال السرور على قلبه فلقد سميت زيارة المريض (عيادة) من العودة للزيارة وتكرارها.

عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِى خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ قَالَ « جَنَاهَا ». رواه مسلم[١٦٤٣].

الدعاء للمريض عند قعوده عنده. عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ،يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ « اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ،اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِى،لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ،شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا » رواه البخاري[١٦٤٤]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ ». رواه أبو داود[١٦٤٥].

تجنب تهويل المرض،وكثرة السؤال عنه،وذكر أحد توفي في مثل مرضه. فعن ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ،فَقَالَ النَّاسُ:يَا أَبَا حَسَنٍ،كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ:أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ:أَلاَ تَرَى أَنْتَ ؟ وَاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺسَيُتَوَفَّى فِي وَجَعِهِ هَذَا،إِنِّي أَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ،فَاذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ ؟ فَإِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا كَلَّمْنَاهُ،فَأَوْصَى بِنَا،فَقَالَ عَلِيٌّ:وَاللَّهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ اللهِ ﷺفَمَنَعَنَاهَا،لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ أَبَدًا،فَوَاللَّهِ لاَ أَسْأَلُهُ أَبَدًا." رواه البخاري[١٦٤٦].

تبشير المريض،وتطبيب نفسه بالشفاء،وبث روح الثقة في نفسه،ورفع حالته المعنوية،وإدخال السرور على قلبه وتذكيره بثواب الرضا عن الله والصبر على بلائه.

قال تعالى:{وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} (٨٠) سورة الشعراء

وإذَا ألَمَّ بِي مَرَضٌ فَرَبِّي هوَ الذي يَشْفِينِي مِنَ المَرضِ،ولا يقْدِرُ عَلى شِفَائي غيرُهُ،بِما يُقَدِّرُهُ مِن الأَسْبَابِ المُوصِلَةِ إليه .[١٦٤٧]

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِى أَجَلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا وَيُطَيِّبُ نَفْسَهُ ». رواه الترمذي[١٦٤٨].

[١٦٤٣] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧١٩) -الخرفة : أى اجتناء ثمر الجنة

[١٦٤٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٧٤٣)

[١٦٤٥] - سنن أبي داود - المكتر - (٣١٠٨) صحيح

[١٦٤٦] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٨٩)(٢٣٧٤) وصحيح البخارى- المكتر - (٤٤٤٧ و٦٢٦٦)

[١٦٤٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٨٩٤)

[١٦٤٨] - سنن الترمذى- المكتر - (٢٢٣١) ضعيف

فنَفِّسُوا له : نفَّستُ عن المريض : إذا منيته طول الأجل ، وسألت الله أن يطيل له عمره.

إظهار شفقته،وعرض خدمته،وعدم التكلم إلا بخير. فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- « إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ ». قَالَتْ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ قَالَ « قُولِى اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى وَلَهُ وَأَعْقِبْنِى مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً ». قَالَتْ فَقُلْتُ فَأَعْقَبَنِى اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِى مِنْهُ مُحَمَّدًا -ﷺ-.[١٦٤٩]

غض البصر عن عورات المريض أو ما يتعلق بحاجاته وأدويته الخاصة.

خفة الجلسة وتجنب القعود لفترة طويلة إلا إذت رغب المريض وأنس بذلك،حرصا على راحته.

طلب الدعاء من المريض،بعد الدعاء له،فإن المريض يكون في حالة قرب والتجاء إلى الله. فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب،قَالَ:قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَى مَرِيضٍ،فَمُرْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَكَ ؛ فَإِنَّ دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ الْمَلاَئِكَةِ[١٦٥٠].

ترغيب المريض بأن يصبر على قضاء الله وأن لا يلج ويستبطئ الشفاء فيدعو على نفسه بالموت. فعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْب،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِك يُحَدِّثُ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ،فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ:أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي،وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي. رواه البخاري ومسلم[١٦٥١].

وعَنِ ابْنِ شِهَاب،عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ،إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا،وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ.[١٦٥٢]

توصية أهل المريض والذين يقومون بخدمته بحسن معاملته والصبر على ما يصدر منه من أقوال وأفعال.

د-آداب الصلة بالميت "التعزية":

[١٦٤٩] - صحيح مسلم- المكتر - (٢١٦٨) -أعقب : بدل وعوض

[١٦٥٠] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٢ / ٤٣٥)(١٤٤١)

إسناد صحيح لكنه منقطع ميمون بن مهران لم يسمع من عمر . وله شاهد غير قوي الشعب (٦٢١٤) وأعله ابن حجر في التهذيب بعلة خفية وهي أن كثير بن هشام رواه عن عيسى بن إبراهيم الهاشمي عن جعفر بن برقان.. وعيسى متروك وتابعه الشيخ ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في الضعيفة (١٠٠٤)

أقول : ما قالاه مجرد احتمال لكن سند ابن ماجه ثنا جعفر بن مسافر ثني كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن عمر . وجعفر صدوق كما في الكاشف (٨١١) وقد روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم وهو يرويه عن شيخه كثير بصيغة التحديث وكثير يرويه عن جعفر بصيغة التحديث و لم يوصف أحد منهم بالتدليس ، كما أن كثير بن هشام مجمع على ثقته وهو من أروى الناس عن جعفر بن برقان كما في التهذيب فلم لا تكون الرواية الثانية التي فيها عيسى بن إبراهيم وهم من راويها وغلط ! ولاسيما أن جعفر بن مسافر من شيوخ ابن ماجه المباشرين . ومن هنا فإن المنذري والبوصيري والنووي وغيرهم أعلوه فقط بالإنقطاع . كما أن الحافظ ابن حجر حسنه في الفتح وأعله بالإنقطاع وهذا هو الراجح لأن الفتح مؤلف بعد التهذيب بكثير وهو من الكتب التي رضى عنها .. الفيض (٥٩٥) فالحديث حسن لغيره

[١٦٥١] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٦٧١) وصحيح مسلم- المكتر -(٦٩٩٠) صحيح ابن حبان - (٣ / ٢٤٨) (٩٦٨)

[١٦٥٢] - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٦٧) (٣٠٠٠) صحيح

الدعاء للميت عند العلم بموته. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: " الْمَـوْتُ فَزَعٌ،فَإِذَا بَلَغَ أَحَدَكُمْ وَفَاةُ أَخِيهِ فَلْيَقُلْ:إِنَّا لِلَّهِ،وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُـونَ،اللَّهُمَّ اكْتُبْـهُ عِنْدَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ،وَاخْلُفْهُ فِي أَهْلِهِ فِي الْغَابِرِينَ،وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ،وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ " رواه ابن السني[١٦٥٣].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ عَلَى الْمَيِّتِ،اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَحْيَائِنَا وَأَمْوَاتِنَا الْمُسْـلِمِينَ اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَاجْعَلْ قُلُـوبَهُمْ عَلَى قُلُوبِ خِيَارِهِمَ،اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ ذَنْبَهُ،وَأَلْحِقْهُ بِنَبِيِّهِ مُحَمَدٍ ﷺ، اللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِـي الْمُهْتَدِينَ،وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ،وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ،وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ رَبَّ الْعَـالَمِينَ،اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ،وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ.[١٦٥٤]

الصلاة على الميت واتباع الجنازة حتى يفرغ من دفنها. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَـنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا،ثُمَّ يَقْعُدُ حَتَّى يُوضَعَ فِي قَبْرِهِ فَإِنَّهُ يَرْجِـعُ وَلَـهُ قِيرَاطَانِ مِنَ الأَجْرِ وَهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ،وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ يُوضَعَ فِي الْقَبْرِ،فَلَهُ قِيرَاطٌ. رواه البخاري[١٦٥٥].

الموعظة عند القبر أثناء الدفن والدعاء للميت بعد ردم التراب. فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِـي طَالِـبٍ:أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ،كَانَ فِي جِنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا،فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ،فَقَالَ:مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَـدْ كُتِـبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ،فَقَالَ رَجُلٌ:أَلاَ نَتَّكِلُ ؟ فَقَالَ:اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ:{فَأَمَّا مَـنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:]. رواه البخاري[١٦٥٦].

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَـالَ « اسْـتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ ». رواه أبو داود[١٦٥٧].

وعَنْ عُثْمَانَ،قَالَ:وَقَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَى قَبْرِ رَجُلٍ وَهُوَ يُدْفَنُ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ:اسْتَغْفِرُوا لأَخِـيكُمْ وَسَلُوا اللَّهَ لَهُ بِالثَّبَاتِ ؛ فَإِنَّهُ يُسْأَلُ الآنَ.[١٦٥٨]

[١٦٥٣] – عَمَلُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِابْنِ السُّنِّيِّ (٥٦٠) والمعجم الكبير للطبراني – (١٠ / ٢٠٦) (١٢٢٩٩) حسن

عِلِّيُّون : اسم للسماء السابعة، وقيل : هو اسمٌ لديوَان الملائكة الحَفَظَة، تُرْفَع إليه أعمالُ الصالحين من العباد، وقيل : أراد أعْلَى الأمْكِنَة وأشْرَفَ المرَاتب من اللّه في الدار الآخرة. – الغابرين : الباقين – الفِتْنة : الامْتِحانُ والاخْتِبار

[١٦٥٤] – مصنف ابن أبي شيبة – (٣ / ٢٩٣) (١١٤٨٠) حسن

[١٦٥٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٤٧) وصحيح ابن حبان – (٧ / ٣٥٠) (٣٠٨٠)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ ﷺ: وَهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ يُرِيدُ بِهِ أَحَدَهُمَا.

[١٦٥٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٤٩٤٦) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٤٥) (٣٣٤)

[١٦٥٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٢٢٣) صحيح

جاء في الموسوعة الفقهية [١٦٥٩]: "قَال الطَّحْطَاوِيُّ:إِذَا فَرَغُوا مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ يُسْتَحَبُّ الْجُلُوسُ (الْمُكْثُ) عِنْدَ قَبْرِهِ بِقَدْرِ مَا يُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهُ،(فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَال:إِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا،ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْل قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ،وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُل رَبِّي)[١٦٦٠] يَتْلُونَ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ لِلْمَيِّتِ.وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى الْقَبْرِ بَعْدَ الدَّفْنِ أَوَّل سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَخَاتِمَتَهَا.[١٦٦١]

مساعدة أهل المتوفى بتقديم ما يمكن من الخدمات أثناء تجهيز الميت وخروجه ودفنه والمساعدة في إعداد الطعام لأهل الفقيد لأنهم في وضع لا يساعدهم على تحضير الطعام والانشغال به.فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ ». رواه أبو داود [١٦٦٢]

المبادرة إلى التعزية مع إظهار الحزن والتأسف لمن يواسيهم ويعزيهم ومع الترحم على الميت وتعداد مآثره. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ». رواه الترمذي [١٦٦٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِئِهِمْ." [١٦٦٤]

وعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ- « لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا » [١٦٦٥] .

التلفظ بالمأثور من الكلام والانتباه إلى تجنب الزلل فيه والتجاوز إلى ألفاظ لا تليق بالمسلم ويمكن أَنْ يَقُولَ:أَعْظَمُ اللَّهُ أَجْرَك وَأَحْسَنَ عَزَاك،وَغَفَرَ لِمَيِّتِك[١٦٦٦] .

وَاسْتَحَبَّ بَعْضُ أَهْل الْعِلْمِ:أَنْ يَقُول:إِنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ،وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ،فَبِاللَّهِ فَثِقُوا،وَإِيَّاهُ فَارْجُوا،فَإِنَّمَا الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابُ،وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ "[١٦٦٧]

بذل النصيحة لأهل الميت بالصبر والسلوان،وتذكيرهم بثواب الله،وتقبل قضائه وقدره،وبأجر المحتسب الصابر ومنعهم من لطم الخدود،وشق الجيوب،والصراخ والنحيب،وذلك بالموعظة الحسنة.

[١٦٥٨] – مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار – (٢ / ٩١) (٤٤٥) صحيح

[١٦٥٩] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (ج ١٦ / ص ٤٢)

[١٦٦٠] – أخرجه مسلم (٣٣٦) .

[١٦٦١] – انظر المعجم الكبير للطبراني – (ج ١٤ / ص ١٠٨)(١٥٨٣٣) والقراءة على القبور(١) وهو حسن موقوف ، ورفعه الطبراني

[١٦٦٢] - سنن أبي داود – المكتر – (٣١٣٤) صحيح لغيره

[١٦٦٣] – سنن الترمذى– المكتر – (١٠٩٤) حسن

[١٦٦٤] – صحيح ابن حبان – (٧ / ٢٩٠) (٣٠٢٠) صحيح

[١٦٦٥] – صحيح البخارى– المكتر – (١٣٩٣) –أفضوا : وصلوا

[١٦٦٦] – الفتاوى الكبري لابن تيمية – (٣ / ٤٣٠) و الفقه الإسلامي وأدلته – (٢ / ٦٨٤)

[١٦٦٧] – الموسوعة الفقهية الكويتية – (١٢ / ٢٨٩) و المستدرك للحاكم (٤٣٩١و٤٣٩٢) فيه ضعف

قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) } [البقرة:١٥٥ - ١٥٧].

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بِشَيءٍ) مِنْ الخَوْفِ والجُوعِ،وَبِذَهَابِ بَعْضِ المَالِ،وَبِمَوتِ بَعْضِ الأَصْحَابِ وَالأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ،وَبِنَقْصِ غِلاَلِ المَزَارِعِ...فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ أَثَابَهُ،وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ .

أَمَّا الصَّابِرُونَ الذِينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالبُشْرَى فَهُمُ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ،وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا،وَتَمَسَّكُوا بِقَولِهِمْ:إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ،أَيْ إِنَّهُم عَبِيدُ اللهِ وَمُلْكُهُ،وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِليهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ.يُثنِي اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّابِرِينَ،وَيُخْبِرُ بَأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ،وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ،وَأَنَّهُمْ هُمُ المُهْتَدُونَ إِلى طَرِيقِ الخَيْرِ،وَإِلى الحَقِّ والصَّوابِ،وَأَنَّهُمُ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذِ الجَزَعُ عَلَيهِمْ .[١٦٦٨]

فلا بد من تربية النفوس بالبلاء،ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد،وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .. لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة،كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف. والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى. فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين. وكلما تألموا في سبيلها،وكلما بذلوا من أجلها .. كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها. كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها .. إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم:لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرا مما يبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء،ولا صبروا عليه .. وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها،مقدرين لها،مندفعين إليها .. وعندئذ يجيء نصر اللّه والفتح ويدخل الناس في دين اللّه أفواجا ..

ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى. فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد. والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون،والران عن القلوب.

وأهم من هذا كله،أو القاعدة لهذا كله .. الالتجاء إلى اللّه وحده حين تهتز الأسناد كلها،وتتوارى الأوهام وهي شتى،ويخلو القلب إلى اللّه وحده. لا يجد سندا إلا سنده. وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات،وتتفتح البصيرة،وينجلي الأفق على مد البصر .. لا شيء إلا اللّه .. لا قوة إلا قوته .. لا

[١٦٦٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٦٢)

حول إلا حوله .. لا إرادة إلا إرادته .. لا ملجأ إلا إليه .. وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح ..

والنص القرآني هنا يصل بالنفس إلى هذه النقطة على الأفق :«وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا:إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» ..

إنا للّه .. كلنا .. كل ما فينا .. كل كياننا وذاتيتنا .. للّه .. وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير .. التسليم .. التسليم المطلق .. تسليم الالتجاء الأخير المنبثق من الالتقاء وجها لوجه بالحقيقة الوحيدة،وبالتصور الصحيح.

هؤلاء هم الصابرون .. الذين يبلغهم الرسول الكريم بالبشرى من المنعم الجليل ..

وهؤلاء هم الذين يعلن المنعم الجليل مكانهم عنده جزاء الصبر الجميل:«أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ،وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» ..صلوات من ربهم .. يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه .. وهو مقام كريم .. ورحمة .. وشهادة من اللّه بأنهم هم المهتدون ..وكل أمر من هذه هائل عظيم ..[١٦٦٩]

وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،فَجَاءَ رَسُولُ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِه،فقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَرْسَلَتْ إِلَيْكَ ابْنَتُكَ أَنْ تَأْتِيَهَا،فَإِنَّ صَبِيًّا لَهَا فِي الْمَوْتِ،فقَالَ:ائْتِهَا فَقُلْ لَهَا:إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ،وَلَهُ مَا أَعْطَى،وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى،فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ،قَالَ:فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَجَعَ،فقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّهَا تُقْسِمُ عَلَيْكَ إِلاَّ جِئْتَهَا،فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَقُمْنَا مَعَهُ رَهْطٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَخَلْنَا،فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ،وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ فِي صَدْرِهِ،فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ،فقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ:مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ،وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ." متفق عليه [١٦٧٠].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ- « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ،وَشَقَّ الْجُيُوبَ،وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ » [١٦٧١].

ترك الابتسام عند التعزية وتجنب الضحك أو اللغو بباطل الكلام أو قلة الاكتراث فكلها من علامات قسوة القلب،ومن لم يتعظ بالموت لم يتعظ بشيء. فعن أبي الدَّرْدَاءِ أنه كَانَ إِذَا رَأَى الْجَنَازَةَ قَالَ:اغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ،وَرُوحِي فَإِنَّا غَادُونَ،مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَغَفْلَةٌ سَرِيعَةٌ،كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا،يَذْهَبُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ،وَيَبْقَى الآخِرُ لاَ حُلْمَ لَهُ."[١٦٧٢]

[١٦٦٩] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (١ / ١٤٥)

[١٦٧٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٣٧٧) وصحيح مسلم- المكتر – (٢١٧٤) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٢٠٨) (٤٦١)

[١٦٧١] – صحيح البخارى- المكتر – (١٢٩٤)

[١٦٧٢] – الزهد أبي داود ٢٧٥ – (١ / ٢٢٢) (٢٦١) حسن موقوف

الغدو : السير والذهاب والتبكير أول النهار – الرواح : نقيض الصباح وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل –الغدو : السير والذهاب والتبكير أول النهار والمراد أننا نلحق بنفس المصير في وقته المحتوم

التعزية خلال ثلاثة أيام،لا زيادة عليها،إلا لمسافر،فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى هَالِكٍ أَكْثَرِ مِنْ ثَلاَثٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ،فَإِنَّهَا تَحُدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.[١٦٧٣]

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ،أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ الثَّلاَثِ،قَالَتْ زَيْنَبُ:دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ،فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ،أَوْ غَيْرُهُ،فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً،ثُمَّ مَسَّتْ بِهِ بَطْنَهَا،ثُمَّ قَالَتْ:وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.[١٦٧٤]

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ،أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ الثَّلاَثِ،قَالَتْ زَيْنَبُ:دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ،فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ،أَوْ غَيْرُهُ،فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً،ثُمَّ مَسَّتْ بِهِ بَطْنَهَا،ثُمَّ قَالَتْ:وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.

وَقَالَتْ زَيْنَبُ:دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ فَدَعَتْ بِطِيبٍ،فَمَسَّتْ مِنْهُ،ثُمَّ قَالَتْ:وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ:لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثَ لَيَالٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.

قَالَتْ زَيْنَبُ:وَسَمِعْتُ أُمِّي أُمَّ سَلَمَةَ تَقُولُ:جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ ابْنَتِي تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدِ اشْتَكَتْ عَيْنَاهَا فَنُكَحِّلُهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ،مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا،كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ:لاَ،إِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ،وَقَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرْمِي بِالْبَعْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ.[١٦٧٥]

وعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ،فَإِنَّهَا تَحُدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا،لاَ تَكْتَحِلُ،وَلاَ تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا،إِلاَّ ثَوْبَ عَصْبٍ،وَلاَ تَمَسُّ طِيبًا إِلاَّ عِنْدَ أَدْنَى طُهْرِهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ مِنْ مَحِيضِهَا نُبْذَةَ قُسْطٍ وَأَظْفَارٍ.[١٦٧٦]

يستحب قراءة القرآن والدعاء للميت عند حضور الجنازة وعند التعزية.

[١٦٧٣] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ١٣٧) (٤٣٠١) صحيح

[١٦٧٤] – صحيح البخارى- المكتر – (١٢٨٠) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٨٠٢) وصحيح ابن حبان – (١٠ / ١٤٠) (٤٣٠٤)

[١٦٧٥] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ١٤٠) (٤٣٠٤) صحيح

[١٦٧٦] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ١٤٢) (٤٣٠٥) صحيح

ذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِلْمَيِّتِ وَإِهْدَاءِ ثَوَابِهَا لَهُ،قَال ابْنُ عَابِدِينَ نَقْلاً عَنِ الْبَدَائِعِ:وَلاَ فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْمَجْعُول لَهُ مَيِّتًا أَوْ حَيًّا،وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لاَ فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَنْوِيَ بِهِ عِنْدَ الْفِعْلِ لِلْغَيْرِ أَوْ يَفْعَلَهُ لِنَفْسِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَجْعَل ثَوَابَهُ لِغَيْرِهِ .

وَقَال الإِمَامُ أَحْمَدُ:الْمَيِّتُ يَصِل إِلَيْهِ كُل شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ،لِلنُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيهِ ؛ وَلأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ فِي كُل مِصْرٍ وَيَقْرَءُونَ يُهْدُونَ لِمَوْتَاهُمْ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ فَكَانَ إِجْمَاعًا،قَالَهُ الْبُهُوتِيُّ مِنَ الْحَنَابِلَةِ [١٦٧٧] .

وَذَهَبَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ إِلَى كَرَاهَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ لِلْمَيِّتِ وَعَدَمِ وُصُولِ ثَوَابِهَا إِلَيْهِ،لَكِنِ الْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ لاَ بَأْسَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ وَجَعْل الثَّوَابِ لِلْمَيِّتِ وَيَحْصُل لَهُ الأَجْرُ .

قَال الدُّسُوقِيُّ:فِي آخِرِ نَوَازِل ابْنِ رُشْدٍ فِي السُّؤَال عَنْ قَوْلِه تعالى: { وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى } (سورة النجم / ٣٩)،قَال:وَإِنْ قَرَأَ الرَّجُل وَأَهْدَى ثَوَابَ قِرَاءَتِهِ لِلْمَيِّتِ جَازَ ذَلِكَ وَحَصَل لِلْمَيِّتِ أَجْرُهُ .

وَقَال ابْنُ هِلاَل:الَّذِي أَفْتَى بِهِ ابْنُ رُشْدٍ وَذَهَبَ إِلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّتِنَا الأَنْدَلُسِيِّينَ أَنَّ الْمَيِّتَ يَنْتَفِعُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيَصِل إِلَيْهِ نَفْعُهُ وَيَحْصُل لَهُ أَجْرُهُ إِذَا وَهَبَ الْقَارِئُ ثَوَابَهُ لَهُ،وَبِهِ جَرَى عَمَل الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا،وَوَقَفُوا عَلَى ذَلِكَ أَوْقَافًا،وَاسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ مُنْذُ أَزْمِنَةٍ سَالِفَةٍ[١٦٧٨]

وَالْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ لاَ يَصِل ثَوَابُ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْمَيِّتِ .

وَذَهَبَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ إِلَى وُصُول ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ لِلْمَيِّتِ .قَال سُلَيْمَانُ الْجَمَل:ثَوَابُ الْقِرَاءَةِ - لِلْقَارِئِ،وَيَحْصُل مِثْلُهُ أَيْضًا لِلْمَيِّتِ لَكِنْ إِنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِ،أَوْ بِنِيَّتِهِ،أَوْ يَجْعَل ثَوَابَهَا لَهُ بَعْدَ فَرَاغِهَا عَلَى الْمُعْتَمَدِ فِي ذَلِكَ .وَصَرَّحُوا بِأَنَّهُ لَوْ سَقَطَ ثَوَابُ الْقَارِئِ لِمُسْقِطٍ كَأَنْ غَلَبَ الْبَاعِثُ الدُّنْيَوِيُّ كَقِرَاءَتِهِ بِأُجْرَةٍ فَإِنَّهُ لاَ يَسْقُطُ مِثْلُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَيِّتِ .

وَنَصُّوا عَلَى أَنَّهُ لَوِ اسْتُؤْجِرَ لِلْقِرَاءَةِ لِلْمَيِّتِ وَلَمْ يَنْوِهِ وَلاَ دَعَا لَهُ بَعْدَهَا وَلاَ قَرَأَ لَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ لَمْ يَبْرَأْ مِنْ وَاجِبِ الإِجَارَةِ[١٦٧٩]

قال الشافعي[١٦٨٠]:

إني معزيك لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين

فما المعزى بباق بعد ميته ولا المعزي ولو عاش إلى حين.

هـ- الأدب مع الكافر :

[١٦٧٧] - حاشية ابن عابدين على الدر المختار ١ / ٦٠٥ ، وكشاف القناع ٢ / ١٤٧ ، الإنصاف ٢ / ٥٥٨ - ٥٦٠ .

[١٦٧٨] - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١ / ٤٢٣ .

[١٦٧٩] - نهاية المحتاج ٦ / ٩٣ ، وحاشية القليوبي وعميرة ٣ / ١٧٥ - ١٧٦ ، وحاشية الجمل على شرح المنهج ٤ / ٦٧ ، ٦٨ .الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٣ / ٦٠)

[١٦٨٠] - الأذكار للنووي - (١ / ١٥١) والكبائر - (١ / ٧٣) وكتاب تسلية أهل المصائب - (١ / ٤٦)

يعتقد المسلمُ أن سائر الملل والأديان باطلةٌ،وأن أصحابها كفارٌ إلا الدين الإسلامي الحنيف،فإنه الدينُ الحقُّ،وإلا أصحابه فإنهم المؤمنون المسلمون،وذلك لقول الله تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (١٩) سورة آل عمران

إن الدين الذي ارتضاه الله لخلقه وأرسل به رسله،ولا يَقْبَل غيره هو الإسلام،وهو الانقياد لله وحده بالطاعة والاستسلام له بالعبودية،واتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد ﷺ،الذي لا يقبل الله من أحد بعد بعثته دينًا سوى الإسلام الذي أُرسل به. وما وقع الخلاف بين أهل الكتاب من اليهود والنصارى،فتفرقوا شيعًا وأحزابًا إلا من بعد ما قامت الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب؛ بغيًا وحسدًا طلبًا للدنيا. ومن يجحد آيات الله المنزلة وآياته الدالة على ربوبيته وألوهيته،فإن الله سريع الحساب،وسيجزيهم بما كانوا يعملون.[١٦٨١]

وقوله تعالى:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) سورة آل عمران

ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة،والعبودية،ولرسوله النبي الخاتم محمد ﷺبالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهرًا وباطنًا،فلن يُقبل منه ذلك،وهو في الآخرة من الخاسرين الذين بخسوا أنفسهم حظوظها.[١٦٨٢]

وقوله تعالى:{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ..} (٣) سورة المائدة

اليوم أكملت لكم دينكم دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة،وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان،ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه،ولا تفارقوه،وقوموا به شكرا لربكم،واحمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها.

فبهذه الأخبار الإلهية الصادقة علم المسلمُ أن سائر الأديان التي قبل الإسلام قد نسخت بالإسلام،وأن الإسلام هو دين البشرية العامُّ،فلم يقبل الله من أحد ديناً غيره،ولا يرضى بشرع سواه،ومن هنا كان المسلم يرى أن كل من لم يدن لله تعالى بالإسلام فهو كافر،ويلتزم حياله بالآداب التالية :

١- عدم إقراره على الكفر،وعدم الرضاء به ؛ إذ الرضا بالكفر كفرٌ.قال تعالى:{إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (٧) سورة الزمر

[١٦٨١] - التفسير الميسر - (١ / ٣١٨)

[١٦٨٢] - التفسير الميسر - (١ / ٣٨٤)

٢- بغضه ببغض الله تعالى له؛إذ الحب في الله والبغض في الله،وما دام الله سبحانه أبغضه لكفره به،فالمسلم يبغض الكافر ببغض الله تعالى له.فعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا عَبْدَ اللهِ،أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " الْوَلَايَةُ فِي اللهِ،الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ،يَا عَبْدَ اللهِ، "[١٦٨٣]

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:أَتَدْرُونَ أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ ؟ قُلْنَا:الصَّلاَةُ قَالَ:الصَّلاَةُ حَسَنَةٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ قُلْنَا:الصِّيَامُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى ذَكَرْنَا الْجِهَادَ،فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحَبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ."[١٦٨٤]

٣-عدم موالالته ومودته لقوله تعالى:{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) سورة المجادلة

لاَّ تَجِدُ قَوْماً يَجْمَعُونَ بَيْنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ،وَبَينَ مُوَادَّةِ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِه،لأَنَّ المُؤْمِنِينَ حَقّاً لاَ يُوَالُونَ الكَافِرِينَ،وَلَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ الكَافِرُونَ هُمْ أَهْلَهُمْ،وَأَقْرِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ الذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيهِمْ،وَالمُؤْمِنُونَ الذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنْ مُوَادَّةِ الكَافِرِينَ،وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ،هُمُ الذِينَ ثَبَّتَ اللهُ الإِيْمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ،وَزَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى،وَقَوَّاهُمْ بِطُمَأْنِينَةِ القَلْبِ،وَالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ { وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ }،وَسَيُدْخِلُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ،وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً،رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِه،فَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّاتِ،وَرَضُوا بِمَا آتَاهُم اللهُ عَنْهُمْ،وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِه،فَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّاتِ،وَرَضُوا بِمَا آتَاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِه،وَبِمَا عَوَّضَهُمْ بِهِ لاِسْخَاطِهِم الأَقَارِبَ وَالأَبْنَاءَ.وَهَؤُلاَءِ هُم أَنْصَارُ اللهِ،وَجُنْدُهُ،وَحِزْبُهُ،وَأَهْلُ كَرَامَتِه،وَهُمْ أَهْلُ الفَلاَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .[١٦٨٥]

٤- إنصافه والعدل معه وإسداء الخير له إن لم يكن محارباً لقوله تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٨) سورة الممتحنة

إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْهَاكُمْ عَنِ الإِحْسَانِ إِلَى الكُفَّارِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ،وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ،وَلَمْ يُعَاوِنُوا فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنْهَا،وَلاَ يَمْنَعُكُمْ مِنْ إِكْرَامِهِمْ،وَمَنْحِهِمْ صِلَتَكُمْ،لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ أَهْلَ البِرِّ وَالتَّوَاصُلِ .

[١٦٨٣] - شعب الإيمان - (١٢ / ٧٣)(٩٠٦٤) صحيح لغيره

[١٦٨٤] - مسند الطيالسي - (٢ / ١١٠) (٧٨٣) حسن لغيره

[١٦٨٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٠٤)

٥- يرحمه بالرحمة العامة،كإطعامه إن جاع،وسقيه إن عطش،ومداواته إن مرض،وكإنقاذه من هلكة،وتجنيبه الأذى،فعَنْ عَبْدِ اللهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:ارْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ.[١٦٨٦]
وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ،ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ .."[١٦٨٧]

٦- عدم أذيته في ماله أو دمه أو عرضه إن كان غير محارب،ولا محرض عليها،فعَنْ أَبِي ذَرٍّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ:يَا عِبَادِي،إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلاَ تَظَّالَمُوا .."[١٦٨٨]
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[١٦٨٩].

٧- جواز الإهداء له وقبول هديته،وأكل طعامه إن كان كتابيا (يهوديًّا أو نصرانيًّا) لقوله تعالى :{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٥) سورة المائدة
ومن تمام نعمة الله عليكم اليوم -أيها المؤمنون- أن أَحَلَّ لكم الحلال الطيب،وذبائحُ اليهود والنصارى -إن ذكَّوها حَسَبَ شرعهم- حلال لكم وذبائحكم حلال لهم. وأَحَلَّ لكم -أيها المؤمنون- نكاح المحصنات،وهُنَّ الحرائر من النساء المؤمنات،العفيفات عن الزنى،وكذلك نكاحَ الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهُنَّ مهورهن،وكنتم أعفَّاء غير مرتكبين للزنى،ولا متخذي عشيقات،وأمنتم من التأثر بدينهن. ومن يجحد شرائع الإيمان فقد بطل عمله،وهو يوم القيامة من الخاسرين.[١٦٩٠]
وعَنْ عَائِشَةَ:أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ،عَنْ أُمٍّ لَهَا مُشْرِكَةٍ،قَالَتْ:جَاءَتْنِي رَاغِبَةً رَاهِبَةً،أَصِلُهَا ؟ قَالَ:نَعَمْ."[١٦٩١]

[١٦٨٦] - مسند الطيالسي - (١ / ٢٦٢)(٣٣٣) صحيح
[١٦٨٧] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٥٩٢)(٦٤٩٤) صحيح لغيره
[١٦٨٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧٣٧) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٣٨٥) (٦١٩)
[١٦٨٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٤٤٧)وصحيح مسلم- المكتر -(٦٧٤٢)
[١٦٩٠] - التفسير الميسر - (٢ / ١٧٩)
قلت : هذا اليوم غير موجود فإباحة الزواج من الكتابية كان في العهد المدني بل في آخره ، ووسط المجتمع الإسلامي ، فليس لها تأثير على الأولاد ولا على الزوج ، وأما اليوم فلا ، حتى تتحقق الشروط ، وتتوفر الدواعي ...
[١٦٩١] - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٩٨) (٤٥٣) صحيح

وعن هِشَامَ بْنِ عُرْوَةَ أَخْبَرَنِى أَبِى أَخْبَرَتْنِى أَسْمَاءُ ابْنَةُ أَبِى بَكْرٍ - رضى الله عنهما - قَالَتْ أَتَتْنِى أُمِّى رَاغِبَةً فِى عَهْدِ النَّبِىِّ - ﷺ - فَسَأَلْتُ النَّبِىَّ - ﷺ - آصِلُهَا قَالَ « نَعَمْ ».قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٨) سورة الممتحنة[١٦٩٢].

٨- عدم إنكاحه المؤمنة،وجواز نكاح الكتابيات وسط المجتمع الإسلامي إن كان هناك ثمة جاحة لذلك وأمنت الفتنة الأولاد،قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١٠) سورة الممتحنة

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام،فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن،الله أعلم بحقيقة إيمانهن،فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبينات،فلا تردُّوهن إلى أزواجهن الكافرين،فالنساء المؤمنات لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار،ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات،وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور،ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهنَّ مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات،واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم،وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم،ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء،حكيم في أقواله وأفعاله.[١٦٩٣]

وقال تعالى:{وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٢٢١) سورة البقرة

ولا تتزوجوا -أيها المسلمون- المشركات عابدات الأوثان،حتى يدخلن في الإسلام. واعلموا أن امرأة مملوكة لا مال لها ولا حسب،مؤمنةً بالله،خير من امرأة مشركة،وإن أعجبتكم المشركة الحرة. ولا تُزَوِّجوا نساءكم المؤمنات -إماء أو حرائر- للمشركين حتى يؤمنوا بالله ورسوله. واعلموا أن عبدًا مؤمنًا مع فقره،خير من مشرك،وإن أعجبكم المشرك. أولئك المتصفون بالشرك رجالا ونساءً يدعون

[١٦٩٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٩٧٨)

[١٦٩٣] - التفسير الميسر - (١٠ / ١١٠)

كل مَن يعاشرهم إلى ما يؤدي به إلى النار،والله سبحانه يدعو عباده إلى دينه الحق المؤدي بهم إلى الجنة ومغفرة ذنوبهم بإذنه،ويبين آياته وأحكامه للناس؛ لكي يتذكروا،فيعتبروا.[١٦٩٤]

٩- تشميته إذا عطس وحمد الله،بأن يقول له:يهديكم الله ويصلح بالكم،فعَنْ أَبِي مُوسَى،قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺرَجَاءَ أَنْ يَقُولَ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ،وَكَانَ يَقُولُ: " يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ " [١٦٩٥]

وأما المسلم إذا عطس وحمد الله،فنقول له بما ورد عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّه.وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ ».[١٦٩٦]

١٠- لا يبدأه بالسلام،وإن سلَّم رد عليه بقوله:وعليكم،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،أَنَّ يَهُودِيًّا سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ السَّامُ عَلَيْكَ قَالَ:رُدُّوهُ عَلَيَّ.قَالَ:أَقُلْتَ:السَّامُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ:نَعَمْ.فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا:وَعَلَيْكَ."[١٦٩٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا:وَعَلَيْكُمْ.[١٦٩٨]

١١- يضطره عند المرور به إلى أضيق الطريق،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَبْدَؤُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالسَّلاَمِ،وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ،فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِه.[١٦٩٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:لاَ تُبَادِرُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِالسَّلاَمِ،فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ،فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِه.[١٧٠٠]

وعن سُهَيْلَ بْنِ أَبِي صَالِحٍ،قَالَ:خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى الشَّامِ،فَكَانَ أَهْلُ الشَّامِ يَمُرُّونَ بِأَهْلِ الصَّوَامِعِ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ،فَسَمِعْتُ أَبِي،يَقُولُ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:لاَ تَبْدَؤُوهُمْ بِالسَّلاَمِ،وَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِه."[١٧٠١]

١٢-مخالفته وعدم التشبه به فيما ليس بضروري كإعفاء اللحية إذا كان هو يحلقها،وصبغها إذا كان هو لا يصبغها،وكذا مخالفته في اللباس من عمة وطربوش ونحوه،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ

[١٦٩٤] - التفسير الميسر - (١ / ٢٣٤)

[١٦٩٥] - شعب الإيمان - (١١ / ٥٠٣) (٨٩٠٨) صحيح

[١٦٩٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٢٢٤)

[١٦٩٧] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٣٦٢)(١٢٤٢٧) ١٢٤٥٤- صحيح

[١٦٩٨] - سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة - (٤ / ٦٥١)(٣٦٩٧) صحيح

[١٦٩٩] - صحيح مسلم- المكتر - (٥٧٨٩) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٤) (٥٠١)

[١٧٠٠] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٣) (٥٠٠) صحيح

[١٧٠١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣١٣)(٨٥٦١) ٨٥٤٢- صحيح

اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: " بُعِثْتُ بالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لِيُعْبَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ وَجُعِـلَ رِزْقِي تَحْتَ رُمْحِي وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَنِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ "[١٧٠٢]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحفُّوا الشَّوَارِبَ " فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا حَجَّ أَوِ اعْتَمَرَ،قَبَضَ عَلَى لِحْيَتِه فَمَا فَضَلَ أَخَذَهُ " [١٧٠٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَ يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ.[١٧٠٤]

يعني خضاب اللحية أو شعر الرأس بصفرة أو حمرة،لأن الصبغ بالسواد قد نهى عنه رسول الله ﷺ،فعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ،وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَثُغَامَةٍ بَيْضَاءَ،فَقَالَ:رَسُـولُ اللهِ ﷺ: غَيِّـرُوا رَأْسَهُ وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ.[١٧٠٥]

[١٧٠٢] – شرح مشكل الآثار – (١ / ٢١٣) (٢٣١) صحيح

[١٧٠٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٨٩٢) وصحيح مسلم- المكتر –(٦٢٥) وشعب الإيمان – (٨ / ٤١٤) (٦٠١٥)

[١٧٠٤] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٤٦٢) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٦٣٢) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٢٨٤) (٥٤٧٠)

[١٧٠٥] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٦٣١) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٢٨٥) (٥٤٧١)

الثغامة : نبت أبيض الزهر والثمر يشبَّه به الشيب

-٣٦-آداب الصحبة

اهتمَّ الإسلام بالصحبة اهتماما بالغا،لما لها من شأن كبير،وأمر خطير،فأمر بالتزام الصادقين،قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ،وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِه وَوَاجِبَاتِه،وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيه،وَاصْدقوا وَالزَمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ،وَتَنْجُوا مِنَ المَهَالِكِ،وَيَجْعَلُ اللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجاً .[١٧٠٦]

وحض على صحبة العابدين قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٢٨) سورة الكهف

واصبر نفسك -أيها النبي- مع أصحابك من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربهم وحده،ويدعونه في الصباح والمساء،يريدون بذلك وجهه،واجلس معهم وخالطهم،ولا تصرف نظرك عنهم إلى غيرهم من الكفار لإرادة التمتع بزينة الحياة الدنيا،ولا تُطِعْ من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا،وآثَرَ هواه على طاعة مولاه،وصار أمره في جميع أعماله ضياعًا وهلاكًا.[١٧٠٧]

ورغب باتباع طريق المنيبين،قال سبحانه:{ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} لقمان ١٥.

واتَّبِعْ فِي أُمُورِ الدِّينِ سَبِيلَ الذينَ أَخْلَصُوا العِبَادَةَ للهِ مِنَ المُؤْمِنينَ،وأَنَابُوا إليه بدونِ وَهَنٍ وَلاَ تَرَدُّدٍ

ونهى عن صحبة الظالمين،فرب صحبة ساعة كشفت صاحبها إلى قيام الساعة،وأعقبته ندما لا ينتهي،قال تعالى:{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) } [الفرقان:٢٧ - ٢٩] الفرقان

وَيَنْدَمُ فِي ذَلِكَ اليومِ الظَّالِمُونَ الكَافِرُونَ،الذين تَرَكُوا طَرِيقَ الرَّسُولِ،وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِه مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الحَقِّ المُبِينِ،وَيَعَضُّونَ عَلَى أَيْدِيهِمْ نَدَماً عَلَى مَا فَرَّطُوا فِي جَنْبِ اللهِ،وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا اتَّبَعْنَا طَرِيقَ الرَّسُولِ المُوصِلِ إِلى الجَنَّةِ،وَلَكِنَّ النَّدَمَ لاَ يَنْفَعُهُمْ حِيْنَئِذٍ .وَيَقُولَ الظَالِمُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ مُتَحَسِّراً:يَا خَسَارَهُ وَيَا هَلاَكَهُ،وَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً وَصَدِيقاً (وَيَذْكُرُ اسمَ من أَضَلَّهُ وَصَرَفَهُ عَنِ الحَقِّ والهُدَى)،وَيَتَمَّنى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْه،وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِه .

لَقَدْ أَضْلَّنِي هَذَا الصَّدِيقُ عَنِ الإِيْمَانِ بِالقُرْآنِ بَعْدَ بُلُوغِه إِلَيَّ،وَمَنَّانِي بِالنَّصْرِ والفَلاَحِ،وَمِنْ عَادَةِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُمَنِّي وَيَعِدَ،وَيُمَنِّي كَذِباً وَغُرُوراً،وَأَنْ يَخْذُلَ الإِنْسَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَيَتْرِكَهُ لِمَصِيرِه،وَيَقُولَ

[١٧٠٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٥٥)

[١٧٠٧] - التفسير الميسر - (٥ / ١٣١)

لأَوْلِيَائِه:{ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحق وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ.}(وَقِيلَ بَلْ إِنَّ المَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ:أَنَّ الشَّيْطَانَ يُخَذِّلُ الإِنْسَانَ عَنِ الحَقِّ،وَيَصْرِفُهُ عَنْهُ،وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي البَاطِلِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ)[١٧٠٨]

وجعل كل صحبة لا تجتمع أواصرها على تقوى الله تعالى فمصيرها إلى عداوة محققة،قال سبحانه: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (٦٧) سورة الزخرف.

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ صَدَقَةٍ وَصُحْبَةٍ فِي الدُّنْيَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَى عَدَاوَةٍ إِلاَّ مَا كَانَ مِنْهَا فِي اللهِ،أَوْ فِي سَبِيلِ اللهِ،فَإِنَّهَا تَبْقَى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ دَائِمَةً بِدَوَامِ اللهِ تَعَالَى .[١٧٠٩]

ولا عجب فالصاحب ما هو إلا معلم لصاحبه من حيث لا يشعر،تنطبع صفاته في نفس صاحبه،وتنتقل أخلاقه إلى أخلاقه،وتسري معاملاته إلى معاملاته،بتأثير القرب،وعن طريق الحب،فلا يلبث إلا وهو نسخة عن صاحبه تتردد على لسانه كلماته،وتظهر في أعماله تصرفاته من حيث لا يدري،ولذلك فقد حذر الله تعالى من صحبة من قال فيهم: {فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (٢٩) سورة النجم.

فَأَعْرِضْ عَنْ مِثْلِ هؤُلاءِ الذينَ أَعْرَضُوا عَنِ القُرآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الحَقِّ والهُدَى،وَجَعَلُوا هَمَّهُمُ الدُّنيا وَمَا فِيها مِنْ مُتَعٍ وَمَلَذَّاتٍ،وَاهْجُرْهُمْ وَلاَ تَهْتَمَّ بِمَصِيرِهِمْ .[١٧١٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ "[١٧١١]

وقال بعضهم[١٧١٢]:

وصاحب تقيا عالما تنتفع به فصحبة أهل الخير ترجى وتطلبُ

وإياك والفساد لا تصحبنّهم فصحبتهم تعدي وذاك مجرب

واحذر مؤاخاة الدنيء لأنه يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ

واختر صديقك واصطفيه تفاخرا إن القرين إلى المقارن ينسب

وإذا كان المرء ينتقي من أطيب الطعام والشراب لبطنه،ويحرص على صحة جسمه فيتقي ما يسبب مرضها وضعفها،فأولى به أن ينتقي لروحه وقلبه وأخلاقه من يغذيها بأحسن الصفات،وأجمل الآداب،وأكمل العادات،وأكرم الأخلاق،ويتقي مرضى النفوس،ويتجنب ضعيفي الإيمان خوفا على

[١٧٠٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٦٤)

[١٧٠٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٢٧١)

[١٧١٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٦٩٢)

[١٧١١] – شعب الإيمان – (١٢ / ٤٤) (٨٩٩٠) صحيح – خليله : الخليل : الصديق ، الخلة – بالضم – الصداقة

[١٧١٢] – فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٩ / ٧٤١٦) وموسوعة خطب المنبر – (١ / ١٩٥٤) وموسوعة خطب المنبر – الإصدار الثاني – (١ / ١٨٧٥)

دينه،وضنا على أخلاقه،أن يصيبها ما أصابهم،فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِىٌّ »..رواه أبو داود والترمذي[١٧١٣].

وعن بُدَيْلَ بْنِ وَرْقَاءَ قَالَ:قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:" عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَكُنْ فِي اكْتِسَابِهِمْ،فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ،وَعِزَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ " [١٧١٤]

ولئن كان أشرف لقب في الإسلام هو لقب (الصحابي)،وهو من لقي النبي ﷺوآمن به،وتشرَّف بصحبته،فإن الصحابة يتفاوتون فيما بينهم في الفضل بمقدار صدق صحبتهم للنبي ﷺوعمق محبتهم له،وشدة إخلاصهم في خدمته،وقد حصل على النصيب الأوفى من هذه الأفضلية من قال الله تعالى في حقه:{ {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٤٠) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺفَإِنَّ اللهَ نَاصِرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافِيهِ،كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ حِينَ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَكَّةَ حِينَ هَاجَرَ،فَخَرَجَ مِنْهَا هَارِباً بِصُحْبَةِ صَدِيقِهِ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ،فَلَجَأَ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ،وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمَا حَتَّى وَقَفُوا بِبَابِ الغَارِ،فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكرٍ جَزِعاً:لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا.فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنِينَتَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَى رَسُولِه،وَأَيَّدَهُ بِالمَلاَئِكَةِ تَحْفَظُهُ وَتَحْمِيه (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)،وَجَعَلَ كَلِمَةَ الشِّرْكِ وَأَهْلَهُ السُّفْلَى،وَجَعَلَ كَلِمَةَ الإِيمَانِ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) هِيَ الْعُلْيَا،وَاللهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ وَانْتِصَارِهِ،وَهُوَ مَنِيعُ الْجَانِبِ لاَ يُضَامُ،وَهُوَ حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ .[١٧١٥]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ،فَقَالَ:إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ،فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ،فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ،وَقَالَ:فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا،فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺهُوَ الْمُخَيَّرُ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا به فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصَحِبْتِهِ أَبُو بَكْرٍ،وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً،وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ لاَ يَبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ."[١٧١٦]

وكان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بفضل هذه الصحبة المشرفة،الخليفة الأول لسيد النبيين ﷺ.

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺهذا المثل في أهمية الصحبة وما لها من تأثير عظيم على مصير صاحبها فعن أَبِى مُوسَى - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ

[١٧١٣] - سنن أبي داود - المكتر - (٤٨٣٤) وسنن الترمذى- المكتر - (٢٥٧٤) حسن

[١٧١٤] - مَسَاوِئُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ (٦٥٨) حسن موقوف - البلاء : الاختبار بالخير ليَتَبَيَّن الشُّكر، وبالشَّر ليظْهر الصَّبْر

[١٧١٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٢٧٦)

[١٧١٦] - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٢٧٧) (٦٨٦١) صحيح

السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ،وَكِيرِ الْحَدَّادِ،لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ،أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ،وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ».متفق عليه[١٧١٧] .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شِهَابٍ،قَالَ:قَالَ عُمَرُ:لاَ تَعْتَرِضْ فِيمَا لاَ يَعْنِيكَ،وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ،وَاحْتَفِظْ مِنْ خَلِيلِكَ إِلاَّ الأَمِينَ،فَإِنَّ الأَمِينَ لاَ يُعَادِلُهُ شَيْءٌ،لاَ تَصْحَبَ الْفَاجِرَ فَيُعَلِّمُكَ مِنْ فُجُورِهِ،وَلاَ تُفْشِ إِلَيْهِ بِسِرِّكَ،وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ[١٧١٨] .

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ،قَالَ: كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: " أَنْ ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ مَا يَغْلِبُكَ،وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهُ فِي الْخَيْرِ مَحْمَلًا،وَمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهَمِ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ،وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ فِي يَدَيْهِ،وَمَا كَافَأْتَ مَنْ عَصَى اللهَ فِيكَ بِمِثْلِ أَنْ تُطِيعَ اللهَ فِيهِ،وَعَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ،فَكَثِّرْ فِي اكْتِسَابِهِمْ،فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخَاءِ،وَعُدَّةٌ عِنْدَ عَظِيمِ الْبَلَاءِ،وَلَا تَهَاوَنْ بِالْحَلِفِ فَيُهِينَكَ اللهُ،وَلَا تَسْأَلَنَّ عَمَّا لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَكُونَ،وَلَا تَضَعْ حَدِيثَكَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيهِ،وَعَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَإِنْ قَتَلَكَ الصِّدْقُ،وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ،وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ إِلَّا الْأَمِينَ،وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ،وَشَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ "[١٧١٩]

ويؤكد لنا الواقع العملي المنظور أنه من صحب الأبرار الصالحين صار منهم،ومن التزم الذاكرين ثوى في قلبه ذكرهم،ومن لصق بالعلماء انتقل إليه نور العلم والإيمان،وامتد هذا النفخ إلى يوم القيامة،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺإِلَى الصَّلَاةِ،فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ،قَالَ:أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ سَاعَتِهِ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ:أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ:مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ شَيْءٍ،وَلاَ صَلاَةٍ،وَلاَ صِيَامٍ،أَوْ قَالَ:مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ عَمَلٍ،إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ،أَوْ قَالَ:أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ:فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسْلاَمِ مِثْلَ فَرَحِهِمْ بِهَذَا.[١٧٢٠]

كما أنه لم يصبح سارقا إلا من صاحب السارقين،و لم يشرب التبغ أو يحتس الخمر إلا من سهر مع المدمنين،و لم يتقلب شقيا إلا من صادق الأشقياء المجرمين قال الشاعر:

عدوى الشقي إلى السعيد سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

[١٧١٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٢١٠١) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٨٦٠)

الكير : منفاخ الحداد ، وكوره : المبني من الطين للنار. -يحذيك : يعطيك ، من الحذية ، والحذيا : العطية.

[١٧١٨] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ٣٨٤) (٢٦٠٤١) وشعب الإيمان – (١٢ / ٤٧)(٨٩٩٥) حسن لغيره

[١٧١٩] – شعب الإيمان – (١٠ / ٥٦٠) (٧٩٩٢) فيه جهالة

[١٧٢٠] – صحيح ابن حبان – (١ / ٣٠٨) (١٠٥) صحيح

ولا يمكن للمؤمن أن يأنس بأهل الغفلة والبطالة والعصيان،أو يميل قلبه إلى مخالطتهم،أو يتخذهم أصحابا وخلانا يجتمعون على مائدة واحدة،وفي مجلس سمر واحد،ولو كانوا أقرب الأقرباء إليه.

قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) سورة المجادلة.

لاَّ تَجِدُ قَوْماً يَجْمَعُونَ بَيْنَ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ،وَبَينَ مُوَادَّةِ أَعْدَاءِ اللهِ وَأَعْدَاءِ رَسُولِه،لأَنَّ المُؤْمِنِينَ حَقّاً لاَ يُوَالُونَ الكَافِرِينَ،وَلَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ الكَافِرُونَ هُمْ أَهْلَهُمْ،وَأَقْرِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ الذِينَ هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيهِمْ،وَالمُؤْمِنُونَ الذِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنْ مُوَادَّةِ الكَافِرِينَ،وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَاءَهُمْ وَعَشِيرَتَهُمْ،هُمُ الذِينَ ثَبَّتَ اللهُ الإِيْمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ،وَزَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى،وَقَوَّاهُمْ بِطُمَأْنِينَةِ القَلْبِ،وَالثَّبَاتِ عَلَى الحَقِّ { وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ }،وَسَيُدْخِلُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ،وَيَبْقَوْنَ فِيهَا خَالِدِينَ أَبَداً،رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ،وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِه،فَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّاتِ،وَرَضُوا بِمَا آتَاهُم اللهُ عَنْهُمْ،وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِه،فَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّاتِ،وَرَضُوا بِمَا آتَاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِه،وَبِمَا عَوَّضَهُمْ بِهِ لإِسْخَاطِهِم الأَقَارِبَ وَالأَبْنَاءَ.وَهَؤُلاَءِ هُم أَنْصَارُ اللهِ،وَجُنْدُهُ،وَحِزْبُهُ،وَأَهْلُ كَرَامَتِه،وَهُمْ أَهْلُ الفَلاَحِ وَالسَّعَادَةِ وَالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ [١٧٢١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ». [١٧٢٢].

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ [١٧٢٣]: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لِرَجُلٍ،وَكَرِهَ لَهُ صُحْبَةَ أَحْمَقَ فَقَالَ لَهُ :

لَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ يَغْشَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَلِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

[١٧٢١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠٠٤)

[١٧٢٢] – صحيح مسلم– المكتر – (٦٨٧٦)

[١٧٢٣] – الْعُزْلَةُ لِلْخَطَّابِيِّ (١١٥) وجامع الأحاديث – (٣١ / ١٨١) (٣٤٠٤٠) وآداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي – (١ / ١٣)(٧) حسن

وإذا كان للصحبة هذا الاهتمام،فإن لكل من المتصاحبين آداباً وواجبات،كل تجاه صاحبه،وهي أشد اهتماما،لتدوم عرى هذه الصحبة،وتؤتي ثمارها من رضوان الله في الدارين..

ومنها نذكر ما يلي:

انتقاء الصاحب واختياره قبل مصاحبته،ممن توافر فيه الشروط التالية:

العقل الحصيف.الدين الصحيح.الأخلاق الحميدة.

قال لقمان الحكيم لابنه: يَا بُنَيَّ جَالِسِ الْعُلَمَاءَ وَزَاحِمْهُمْ بِرُكْبَتَيْكَ،فَإِنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحْيِي اللَّهُ الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ.[١٧٢٤] .

تجنب صحبة الجهلة والفسقة،والأراذل والحمقى،فالصاحب ساحب،ومن جالس جانس.

قال أحدهم[١٧٢٥]: لا تصحب خمسة:

الكذاب: فإنك منه على غرور،وهو مثل السراب يقرب منك البعيد،ويبعد منك القريب.

والأحمق: فإنك لست منه على شيء،يريد أن ينفعك فيضربك.

والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة.

والفاسق: فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها،قيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها.

وقد ورد: لا تصحب من لا ينهضك حاله،ولا يدلك على الله مقاله[١٧٢٦].

الإخلاص في صحبة من تصاحب لوجه الله تعالى،دون النظر إلى غاية دنيوية،أو مصلحة عاجلة،والصحبة لوجه الله تعالى هي أن تصاحبه لعلمه أو حسن خلقه أو صلاحه أو قربه من الله ومحبته لرسول الله ﷺ.قال تعالى:{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الكهف ٢٨.

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا،وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ،وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِى النَّارِ »[١٧٢٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي،يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي. رواه مسلم[١٧٢٨].

[١٧٢٤] - موطأ مالك- المكتر - (١٨٥٩) بلاغاً

[١٧٢٥] - إحياء علوم الدين - (٢ / ٢٠)

[١٧٢٦] - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (١٤ / ١٨١) وإيقاظ الهمم شرح متن الحكم - (١ / ٥٧) وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية - (٦ / ١٢٢)

[١٧٢٧] - صحيح البخارى- المكتر - (١٦)

[١٧٢٨] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣٤) (٥٧٤) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٧١٣)

إخبار صاحبه بمحبته له في الله،ليكون تواصلهما أكبر وارتباطهما أشد وإخلاصهما أعمق..

قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩) سورة الحشر

فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ - وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ - عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ ». رواه أبو داود[١٧٢٩].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،إِذْ مَرَّ رَجُلٌ،فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ،قَالَ:هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَاكَ ؟ قَالَ:لاَ،قَالَ:قُمْ أَعْلِمْهُ،فَقَامَ إِلَيْهِ،فَقَالَ:يَا هَذَا،وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ،قَالَ:أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ.[١٧٣٠].

التعارف قبل الصحبة،والسؤال عن اسم صاحبه وعمله ومسكنه،وما يتبع ذلك من أصول التعارف.

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: رَآنِي النَّبِيُّ ﷺوَأَنَا أَلْتَفِتُ،فَقَالَ: " مَا لَكَ تَلْتَفِتُ ؟ "،قُلْتُ: آخَيْتُ رَجُلًا،قَالَ: " إِذَا أَحْبَبْتَ رَجُلًا فَاسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ،وَاسْمِ أَبِيهِ،فَإِنْ كَانَ غَائِبًا حَفِظْتَهُ،وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا فَعُدْهُ،وَإِنْ مَاتَ شَهِدْتَهُ " البيهقي[١٧٣١] .

وعَن يَزِيدَ بْنِ نَعَامَةَ الضَّبِّيِّ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا آخَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيَسْأَلْهُ،عَنِ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمَّنْ هُوَ،فَإِنَّهُ أَوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ.[١٧٣٢].

اعتبار صاحبه كنفسه في محبة إيصال الخير له،والحرص على ما ينفعه،وبذل الغالي والنفيس من أجله.

وقد كان مضر بن عيسى وسليمان يقولان: من أحبّ رجلاً ثم قصر في حقه فهو كاذب في حبه،وكان أبو سليمان الداراني يقول: هو صادق في حبه مفرط في حقّه،ثم قال: لو أنّ الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له،وقال: إني لألقم الأخ من إخواني اللقمة فأجد طعمها في حلقي،وأعلم أنّ إطعام الطعام والإنفاق على الإخوان مضاعف على الصدقات وعلى العطاء للأجانب،بمنزلة تضعيف الثواب في الأهل والقرابات.[١٧٣٣]

[١٧٢٩] - سنن أبي داود - المكتر - (٥١٢٦) صحيح

[١٧٣٠] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣٠) (٥٧١) صحيح

[١٧٣١] - شعب الإيمان - (١١ / ٣٢٩) (٨٦٠٧) ضعيف جدا

[١٧٣٢] - مصنف ابن أبي شيبة - (٩ / ١٠٦) (٢٧١٧٥) حسن

لكن رجح الأئمة أن يزيد هذا تابعي انظر الإصابة ٦٦٣/٣ ت (٩٣١٧) وفي سنده: سعيد بن سلمان: روى عنه واحد ووثقه ابن حبان وقال الذهبي في الكاشف (١٩١٨) وثق والتهذيب ٤١/٤

[١٧٣٣] - قوت القلوب - (٢ / ١٩٢)

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه[١٧٣٤].

الإكثار من التواصل والتناصح والتباذل والتزاور في سبيل الله. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى،قَالَ:فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا،فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ،قَالَ:أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ:أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ،فقَالَ لَهُ:هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ:لاَ،غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللهِ،قَالَ:فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ،إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. رواه مسلم[١٧٣٥].

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْعَيْذِيِّ أَوِ الْخَوْلاَنِيِّ قَالَ:جَلَسْتُ مَجْلِسًا فِيهِ عِشْرُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،وَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ حَدِيثُ السِّنِّ،حَسَنُ الْوَجْهِ،أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ،أَغَرُّ الثَّنَايَا،فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ،فَقَالَ قَوْلاً انْتَهَوْا إِلَى قَوْلِهِ،فَإِذَا هُوَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ،جِئْتُ فَإِذَا هُوَ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ،قَالَ:فَحَذَفَ مِنْ صَلاَتِهِ،ثُمَّ احْتَبَى،فَسَكَتَ،قَالَ:فَقُلْتُ:وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ مِنْ جَلاَلِ اللهِ،قَالَ:أَللَّهِ ؟ قَالَ:قُلْتُ:أَللَّهِ.قَالَ:فَإِنَّ مِنَ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ،فِيمَا أَحْسَبُ أَنَّهُ قَالَ،فِي ظِلِّ اللهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ،إِلاَّ ظِلُّهُ،ثُمَّ لَيْسَ فِي بَقِيَّتِهِ شَكٌّ،يَعْنِي:فِي بَقِيَّةِ الْحَدِيثِ،يُوضَعُ لَهُمْ كَرَاسِي مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَجْلِسِهِمْ مِنَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ،قَالَ:فَحَدَّثْتُهُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ،فَقَالَ:لاَ أُحَدِّثُكَ إِلاَّ مَا سَمِعْتُ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ،وَحَقَتْ مَحَبَّتِي للمتزاورين فِي،وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ،وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَصَافِينَ فِيَّ الْمُتَوَاصِلِينَ.[١٧٣٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِى اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً ». رواه الترمذي[١٧٣٧].

الإسراع في المعونة بالنفس والمال،لتفريج الهم،وتنفيس الكرب،ولو كان في ذلك إيثار على النفس.

قال تعالى: { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } (٩) سورة الحشر

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ

[١٧٣٤] - صحيح البخارى- المكتر - (١٣) وصحيح مسلم- المكتر - (١٧٩)

[١٧٣٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧١٤) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣١) (٥٧٢) - المدرجة : الطريق -ترب : تحفظ وتراعى وتربى

[١٧٣٦] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٤٦)(٢٢٠٠٢) ٢٢٣٥٢- صحيح

[١٧٣٧] - سنن الترمذى- المكتر - (٢١٣٩) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

اللَّه وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ». رواه مسلم[١٧٣٨].

الاعتدال في المحبة،والاقتصاد في المديح،والإنصاف في المعاملة،والتوسط في المعاشرة،والالتزام بالشرع في المخالطة. فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " يَا أَسْلَمُ لَا يَكُنْ حُبُّكَ كَلَفًا وَلَا بُغْضُكَ تَلَفًا "،قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ: " إِذَا أَحْبَبْتَ فَلَا تَكْلَفْ كَمَا يَكْلَفُ الصَّبِيُّ بِالشَّيْءِ يُحِبُّهُ،وَإِذَا أَبْغَضْتَ فَلَا تَبْغَضْ بُغْضًا تُحِبُّ أَنْ تُتْلِفَ صَاحِبَكَ أَوْ تُهْلِكَ "[١٧٣٩]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أُرَاهُ رَفَعَهُ قَالَ « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا ».[١٧٤٠]

تبادل الهدايا والأعطيات؛ في المواسم والمناسبات،والابتداء في ذلك على قدر الإمكان. فإن الهدية تزيد في المحبة،وتزيل ما في الصدر من عداوة وبغضاء. فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ :« تَهَادَوْا تَحَابُّوا ».[١٧٤١].

الابتداء بالسلام والمصافحة كلما تجدد اللقاء،مع بشاشة الوجه،وطيب الكلام. فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ». رواه أبو داود[١٧٤٢].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ،فَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً،فَأَكْثِرْ مَاءَهَا،وَاغْرِفْ لِجِيرَانِكَ مِنْهَا.[١٧٤٣]

تجنب السخرية والغيبة والحسد والبغضاء والظن السوء،والتماس الأعذار له في كل أمر لم يجر حسب مراده.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) }سورة الحجرات

[١٧٣٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٠٢٨)

[١٧٣٩] – شعب الإيمان – (٨ / ٥١٨) (٦١٧٣) صحيح – والكلف شدة التعلق بالشيء،والتلف: الإهمال.

[١٧٤٠] – سنن الترمذى- المكتر – (٢١٢٨) و مصنف ابن أبي شيبة – (١٤ / ١٠٢) (٣٧٠٢٦) صحيح لغيره

[١٧٤١] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتر – (٦ / ١٦٩)(١٢٢٩٧) صحيح

« تَهَادَوْا تَحَابُّوا ». بِالتَّشْدِيدِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَإِذَا قَالَ بِالتَّخْفِيفِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُحَابَاةِ.

[١٧٤٢] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٤) صحيح

[١٧٤٣] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٢٨٢) (٥٢٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٨٥٧)

يَنْهَى اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ عن السُّخرية مِنْ إخْوانهم المُؤْمنينَ،وَالاستهزاء بهِمْ،وَاسْتصْغَار شأنهم،فَقَدْ يَكُونُ المُسْتَهزَأ به أكْرَمَ عنْدَ اللهِ منَ السَّاخرِ منهُ،وَالمُحتقر لهُ،فَيَظْلمُ نَفْسَه بتَحْقير مَنْ وَقَّرَهُ اللهُ .

كَمَا نَهى تَعَالى النِّساءَ المُؤْمنَاتِ عَنْ أنْ يَسْخَرْنَ منْ أخَواتهنَّ المُؤْمنَات،فَقَدْ تَكُونُ المُسْتَهزأ بها أكرَمَ عنْدَ اللهِ منَ السَّاخرة منْها.كَما أمَرَ اللهُ المُؤْمنينَ بألاَّ يَغْتَابَ بَعْضُهُم بَعْضاً،وَبأنْ لاَ يَعيبَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،وَبأنْ لا يَطْعَنَ بَعْضهُمْ في بَعْضٍ.وَاعْتَبَرَ تَعَالى لَمْزَ الإنسَان أخَاهُ كَلمْزه نَفْسَهُ،وَطَعنَهُ أخَاه كَطَعْنه في نَفْسه،لأنَّ المُسْلمينَ جسَدٌ وَاحدٌ إنِ اشتَكَى منْهُ عُضْوٌ تَدَاعى لَهُ سَائرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ وَالحمى.كَما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وأمرُ اللهِ تَعَالى المُؤْمنينَ بأنْ لاَ يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضاً بلَقَبٍ يَسُوؤُهُ أو يَكْرَهُهُ،كَأنْ يَقُولَ مُسْلمٌ لأخيه المُسْلم:يا فَاجرُ،أوْ يَا غَادرُ أو يَا عَدُوَّ اللهِ أو يَا مُنَافقُ.. .

وَبئْسَتِ الصِّفَةُ،وَبئْسَ الاسْمُ للْمُؤْمنينَ أنْ يُذكَرُوا بالفُسُوق بَعْدَ دُخُولهمْ في الإيمَان.وَمَن لم يَتُبْ منْ نَبْزه أخَاهُ المُؤمنَ بلَقَبٍ يَكْرَهُهُ،وَمَنْ لَمْ يَتُبْ منْ لَمْزه إخْوَتَهُ،وَمنْ سُخْريَته منْهُم.. فأولئكَ هُمُ الظَّالمونَ الذينَ ظَلَمُوا أنفُسَهم فَأكْسَبُوها عقَابَ اللهِ بعصْيَانهم إيَّاهُ .

يَنْهى اللهُ تَعَالى عبَادَهُ المُؤْمنينَ عَن الظَّنِّ السَّيِّء بإخوانهمْ المُؤْمنينَ،لأنَّ ظَنَّ المُؤْمنِ السَّوْءَ إثْمٌ،لأنَّ اللهَ نَهَى عَنْ فعْله،فَإذا فَعَلَهُ فَهُوَ آثمٌ .

ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ عَنْ أن يَتَجَسَّسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ،كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ أنْ يَتَتَبَّعَ بَعْضُهُم عَوْرَاتِ بَعْضٍ،وَعَنْ أنْ يَبْحَث الوَاحدُ منْهُمْ عَنْ سَرَائرِ أخيه،وَهُوَ يَبْتَغي بذلكَ فَضْحَهُ،وَكَشْفَ عُيُوبه .

ثُمَّ نَهاهم عَنْ أنْ يَغْتَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،وَعَنْ أنْ يَذْكُرَ أحَدُهُمْ أخَاهُ بما يَكْرَهُ في دينه وَدُنْيَاهُ وَخَلْقه وَخُلُقه وَأهله وَمَاله وَزَوْجه وَوَلَده.. (كَما عَرَّفَ رَسُولُ اللهِ الاغتيَابَ) .

وَشَبَّه تَعَالى اغْتيَابَ المُؤْمنِ لأخيه المؤمنِ بأكْله لَحمَهُ بَعْدَ موته،وَقَالَ للمُؤمنينَ إنَّهم إذا كَانَ أحَدُهُمْ يَكْرَهُ أكْلَ لَحْمِ أخيه بَعْدَ مَوته،وَإذا كَانَتْ نَفْسُهُ تَعَافُ ذَلكَ فَعَلَيهمْ أنْ يَكْرَهُوا أنْ يَغْتَابُوهُ في حَيَاته .

وَلِلْغيبَة ثَلاثَةُ وُجُوه:

الغيبَةُ – وَهيَ أنْ يَقُولَ الإنسَانُ في أخيه مَا هُوَ فيه ممَّا يَكْرَهُهُ .

الإفْكُ – أنْ يَقُولَ فيه مَا بَلَغَهُ عَنْهُ ممَّا يَكْرَهُهُ .

البُهْتَانُ – أنْ يَقُولُ فيه مَا لَيسَ فيه ممّا يَكْرَهُهُ .

ثُمَ حَثَّ اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ عَلى تَقْوى اللهِ،وَعَلَى تَرْكِ الغيبَة،وَمُرَاقَبته تَعَالى في السِّرِّ والعَلنِ،فإذا تَابُوا وانتَهَوا واستَغْفَروا رَبَّهم عَمّا فَرَطَ مِنْهُم،اسْتَجَابَ لَهُم رَبُّهُمْ،فَتَابَ عَلَيهِمْ،لأنَّه تَعَالى كَثيرُ التَّوْبِ عَلَى عِبَادِه،كَثيرُ الرَّحمةِ بهِمْ .[١٧٤٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَديث،وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ تَنَافَسُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَكُونُوا عِبَادًا للَّهِ إِخْوَانًا.[١٧٤٥]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ». رواه مسلم[١٧٤٦].

تجنب إفشاء سر ائتمنه عليه صاحبه مهما كانت الأسباب،وَفِي مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: لَا تَصْحَبْ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَنْ يَكْتُمُ سرَّكَ،وَيَسْتُرُ عَيْبَك،وَيَكُونُ مَعَك فِي النَّوَائِبِ وَيُؤْثِرُك فِي الرَّغَائِبِ،وَيَنْشُرُ حَسَنَتَك،وَيَطْوِي سَيِّئَتَك فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَلَا تَصْحَبْ إلَّا نَفْسَك "[١٧٤٧].

أداء حقوق الصحبة،وهي كثيرة يضيق المجال لذكرها مع شواهدها،ونكتفي بعرض بعضها كما جمعها كثير من السلف الصالح:

عَنْ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْحَجَبِيِّ،قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ،أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " ثَلَاثٌ يُصْفِينَ لَكَ وُدَّ مِنْ أَخِيكَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ،وَتُوسِعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ،وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ "[١٧٤٨].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب،قَالَ:مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ للتُّهْمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ به الظَّنَّ،وَمَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَت الْخِيَرَةُ فِي يَدِه،وَضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِه حَتَّى يَأْتِيَكَ منْهُ مَا يَغْلِبُكَ،وَمَا كَافَأْتَ مَنْ عَصَى اللَّهَ فيكَ مِثْلَ أَنْ تُطِيعَ اللَّهَ فيه،وَعَلَيْكَ بِصَالِحِ الإِخْوَانِ،أَكْثِرِ اكْتِسَابَهُمْ فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ،وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلاَءِ،وَلاَ تَسَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ حَتَّى يَكُونَ،فَإِنَّ فِي مَا كَانَ شُغْلاً عَنْ مَا لَمْ يَكُنْ،وَلاَ يَكُنْ كَلاَمُكَ بَدْلَةً إِلاَّ عِنْدَ مَنْ يَشْتَهِيه وَيَتَّخِذُهُ غَنِيمَةً،وَلاَ تَسْتَعِنْ عَلَى حَاجَتِكَ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ نَجَاحَهَا،وَلاَ تَسْتَشِرْ إِلاَّ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ،وَلاَ تَصْحَبِ الْفَاجِرَ فَتَعَلَّمَ مِنْ فُجُورِه،وَتَخَشَّعْ عِنْدَ الْقُبُورِ ."[١٧٤٩]

[١٧٤٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٥٠٢)

[١٧٤٥] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٥٠٠) (٥٦٨٧) وصحيح البخارى- المكتر –(٥١٤٣)

[١٧٤٦] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٠٦)

[١٧٤٧] – إحياء علوم الدين – (٢ / ١٩) وقوت القلوب – (٢ / ١٩٤) و بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية – (٤ / ١٣٢) و(٦ / ١٢١)

[١٧٤٨] – شعب الإيمان – (١١ / ١٩٦) (٨٣٩٧) حسن

[١٧٤٩] – الزهد أبي داود ٢٧٥ – (١ / ٩٨) (٨٩) حسن

ومن حقوق أخيك: الإيثار بالمال،والإعانة بالنفس،وكتمان السر،وستر العيوب،والشكر على المعروف،والإعانة على الإحسان،والنصح عند الإساءة،والحفظ بظهر الغيب إذا غاب عنك،والمحبة الخالصة لله تعالى،وعدم إيذائه بقول أو فعل،وأن يتواضع له،ولا يتكبر عليه،ويعفو عنه،عَنْ عِكْرِمَةَ،قَالَ:قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِيُوسُفَ:" يَا يُوسُفُ،بِعَفْوِكَ عَنْ إِخْوَتِكَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ فِي الذَّاكِرِينَ "[١٧٥٠] قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات

وقال سبحانه: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٢١٥) سورة الشعراء.

يَأْمُرُ اللهُ تَعالى رسُولَه محمداً ﷺ،بأنْ يُلِينَ جَانِبَهُ لِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ عِبادِ اللهِ المُؤمنينَ،وأَنْ يَتَرَفَّقَ بِهِمْ،فَذَلِكَ أَدْعَى لإِخْلاصِهِمْ للرّسُولِ،ولِزِيَادَةِ مَحَبَّتِه[١٧٥١] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا،وشبك بين أصابعه" متفق عليه.

وعن أبي هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه – ﷺ- يَقُولُ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلاَمِ،وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ،وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ،وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ،وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ » متفق عليه[١٧٥٢] .

وعدم هجره إلا لسبب ديني،فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا،وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ.[١٧٥٣] .

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ،هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ،وَهْوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ،زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،لأُمِّهَا،أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ،أَوْ عَطَاءٍ،أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ:وَاللهِ،لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ،أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا،فَقَالَتْ:أَهُوَ قَالَ هَذَا ؟ قَالُوا:نَعَمْ،قَالَتْ:هُوَ لِلهِ عَلَيَّ نَذْرٌ،أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا،فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا،حِينَ طَالَتِ الْهِجْرَةُ،فَقَالَتْ:لاَ وَاللهِ،لاَ أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَدًا،وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي،فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ،كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ،وَعَبْدَ الرَّحْمَانِ ابْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ،وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ،وَقَالَ لَهُمَا:أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ،لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ،فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذُرَ قَطِيعَتِي،فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ،وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ،مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا،حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ،فَقَالاَ:السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،أَنَدْخُلُ ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ:ادْخُلُوا،قَالُوا:كُلُّنَا ؟ قَالَتْ:نَعَمِ،ادْخُلُوا كُلُّكُمْ،وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ،فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ،فَاعْتَنَقَ

[١٧٥٠] – مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ (٣٤٧) ضعيف

[١٧٥١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٠٢٩)

[١٧٥٢] – صحيح البخارى- المكتر – (١٢٤٠) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٧٧٧)

[١٧٥٣] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٨٤) (٥٦٦٩) وصحيح البخارى- المكتر –(٦٢٣٧) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٦٩٧)

عَائِشَةَ،وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي،وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ،وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ مَا كَلَّمَتْهُ،وَقَبِلَتْ مِنْهُ،وَيَقُولاَنِ:إِنَّ النَّبِيَّ ﷺنَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الْهِجْرَةِ.فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ،طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي،وَتَقُولُ:إِنِّي نَذَرْتُ،وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ،فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ،وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً،وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي،حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا."[١٧٥٤]

[١٧٥٤] – صحيح البخارى- المكتز – (٦٠٧٣ و ٦٠٧٤ و ٦٠٧٥)

-٣٧-آداب السلام

يبحث العالم اليوم عن السلام كأقصى ما يتمناه الإنسان،وغاية ما ترجوه البشرية،في حين نجد أن الإسلام منذ أربعة عشر قرنا قد مجد السلام وكرمه،ثم حققه ونشره،بعد أن غرسه في قلب كل مسلم وعلى لسانه وفي كل أعماله.

قدَّس السلام فجعله اسما من أسماء الله الحسنى التي أمر الله تعالى الناس أن يدعوه بها: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢٣) سورة الحشر.

هُوَ اللهُ المَالِكُ لِجَمِيعِ مَا فِي الوُجُودِ،المُتَصَرِّفُ فِيهِ تَصَرُّفاً مُطْلَقاً،وَالمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ،الذِي أَمَّنَ خَلْقَهُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ،وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِم الذِي قَهَرَ كُلَّ شَيءٍ،وَغَلَبَهُ لِعَظَمَتِه وَجَبَرُوتِه،فَلاَ تَلِيقُ الكِبْرِيَاءُ إِلاَّ لَهُ،تَنَزَّهَ اسْمُهُ عَمَّا يَقُولُهُ المُشْرِكُونَ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ وَالشَّرِيكِ فَهُوَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ .[١٧٥٥]

والسلام هو تحية أبي البشر هدية زفتها له الملائكة الأبرار،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَطُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا،فَلَمَّا خَلْقَهُ قَالَ:اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ،وَهُمْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ،فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. قَالَ:فَذَهَبَ فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ،فَزَادُوهُ:وَرَحْمَةُ اللهِ. قَالَ:فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا. فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ.[١٧٥٦] .

[١٧٥٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٢٧)

[١٧٥٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٣٢٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٧٣٤٢) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٣)(٦١٦٢)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : هَذَا الْخَبَرُ تَعَلَّقَ بِهِ مَنْ لَمْ يُحْكِمْ صِنَاعَةَ الْعِلْمِ وَأَحَذَ يُشَنِّعُ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَنْتَحِلُونَ السُّنَنَ ، وَيَذُبُّونَ عَنْهَا ، وَيَقْمَعُونَ مَنْ خَالَفَهَا بِأَنْ قَالَ : لَيْسَتْ تَخْلُو هَذِهِ الْهَاءُ مِنْ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى اللهِ أَوْ إِلَى آدَمَ ، فَإِنْ نُسِبَتْ إِلَى اللهِ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا ، إِذْ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، وَإِنْ نُسِبَتْ إِلَى آدَمَ تَعَرَّى الْخَبَرُ عَنِ الْفَائِدَةِ ، لأَنَّهُ لاَ شَكَّ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خُلِقَ عَلَى صُورَتِهِ لاَ عَلَى صُورَةِ غَيْرِهِ.

وَلَوْ تَمَلَّقَ قَائِلُ هَذَا إِلَى بَارِئِهِ فِي الْخَلْوَةِ ، وَسَأَلَهُ التَّوْفِيقَ لإِصَابَةِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ لِلطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فِي لُزُومِ سُنَنِ الْمُصْطَفَى ﷺلَكَانَ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْقَدْحِ فِي مُنْتَحِلِي السُّنَنِ بِمَا يَجْهَلُ مَعْنَاهُ ، وَلَيْسَ جَهْلُ الإِنْسَانِ بِالشَّيْءِ دَالاً عَلَى نَفْيِ الْحَقِّ عَنْهُ لِجَهْلِهِ بِهِ.

وَنَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ أَخْبَارَ الْمُصْطَفَى ﷺإِذَا صَحَّتْ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ لاَ تَتَضَادُّ ، وَلاَ تَتَهَاتَرُ ، وَلاَ تَنْسَخُ الْقُرْآنَ بَلْ لِكُلِّ خَبَرٍ مَعْنًى مَعْلُومٌ يُعْلَمُ ، وَفَصْلٌ صَحِيحٌ يُعْقَلُ ، يَعْقِلُهُ الْعَالِمُونَ.

فَمَعْنَى الْخَبَرِ عِنْدَنَا بِقَوْلِهِ ﷺ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ : إِبَانَةُ فَضْلِ آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى آدَمَ ، وَالْفَائِدَةُ مِنْ رُجُوعِ الْهَاءِ إِلَى آدَمَ دُونَ إِضَافَتِهَا إِلَى الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلاَ - جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ - أَنَّهُ جَلَّ وَعَلاَ جَعَلَ سَبَبَ الْخَلْقِ الَّذِي هُوَ الْمُتَحَرِّكُ النَّامِي بِذَاتِهِ اجْتِمَاعَ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى ، ثُمَّ زَوَالَ الْمَاءِ عَنْ قَرَارِ الذَّكَرِ إِلَى رَحِمِ الأُنْثَى ، ثُمَّ تَغَيُّرَ ذَلِكَ إِلَى الْعَلَقَةِ بَعْدَ مُدَّةٍ ، ثُمَّ إِلَى الْمُضْغَةِ ، ثُمَّ إِلَى الصُّورَةِ ، ثُمَّ إِلَى الْوَقْتِ الْمَمْدُودِ فِيهِ ، ثُمَّ الْخُرُوجِ مِنْ قَرَارِهِ ، ثُمَّ الرَّضَاعِ ، ثُمَّ الْفِطَامِ ، ثُمَّ الْمَرَاتِبِ الأُخَرِ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا إِلَى حُلُولِ الْمَنِيَّةِ بِهِ. هَذَا وَصْفُ الْمُتَحَرِّكِ النَّامِي بِذَاتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلْقِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ عَلَيْهَا ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ تَقْدُمُهُ اجْتِمَاعُ الذَّكَرِ وَالأُنْثَى ، أَوْ زَوَالُ الْمَاءِ ، أَوْ قَرَارُهُ ، أَوْ تَغْيِيرُ

ولما جاءت الملائكة سيدنا إبراهيم عليه السلام تبشره بإسحاق قدمت بين يديها عند الدخول تحية السلام:{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) } [الذاريات:٢٤ - ٢٥]

يَعُودُ تَعَالى لِيُذَكِّرَ رَسُولَهُ الكَرِيمَ ﷺبِقَصَصِ الأنبياءِ الكِرَامِ مَعَ أقوامِهم،وَمَا لَقوهُ من تَكْذيبٍ وَإيذاءٍ فَثَبَتُوا عَلى ما أصَابَهُمْ،وَتَابَعُوا أَدَاءَ مَهَمَّتِهِم التي كَلَّفَهُمْ بها رَبُّهُمْ،،بِعَزْمٍ وَصَبْرٍ فَنَصَرَهُمُ اللهُ،وَدَمَّرَ أَقْوَامَهُمْ .

وَفي هَذهِ القَصَصِ تَثْبيتٌ لِقَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ،وَتَسْلِيَةٌ لَهُ،وَتَحْذيرٌ للكَافِرِينَ مِنْ عَذابِ اللهِ وَعِقَابِه،وَلفتٌ لأنْظارِهِمْ إلى أنَّ سُنَّةَ اللهِ قَدْ مَضَتْ في نَصْرِ الرُّسُلِ،وَتَدْمِيرِ الكُفْرِ وَأَهْلِه،وَليسَ لِسُنةِ اللهِ تَبْديلٌ،وَلا تَحْويلٌ .

وَيَبْدَأ اللهُ تَعَالى بِقصَّةِ إبراهيمَ،عليه السَّلامُ،حينَما جَاءَهُ ضُيُوفٌ مُكَرَّمونَ مِنَ الملائكةِ الأطْهَارِ .وَقَدْ دَخَلَ هَؤُلاءِ الأضْيَافُ عَلَى إبراهيمَ،عَليه السَّلامُ،فَحَيَّوْهُ بالسَّلامِ،فَرَدَّ تَحيَّتَهُمْ بأحْسَنَ مِنْها.وَقَدْ جَاءَهُ الرُّسُلُ في هَيْئةِ شُبَّانٍ صِبَاحِ الوُجُوهِ،عَلَيهِم المَهَابَةُ،فأَنْكَرَ وُجُودَ مِثْلِهِمْ في المَنْطَقَةِ .[١٧٥٧]

وأمر الله تعالى عباده بالسلام على النبي ﷺفقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٥٦) سورة الأحزاب

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ المُؤْمنينَ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحمَّدٍ ﷺفي المَلإِ الأَعْلَى،وَأَنَّ المَلائكَةَ تَسْتَغفرُ لَهُ،ثَمَّ أَمَرَ اللهُ عِبَادَهُ بالصَّلاةِ والسَّلامِ عَلى نَبِيِّهِ ﷺلِيَجْتَمِعَ لَهُ الثَّنَاءُ عَلَيهِ مِنْ أَهْلِ العَالَمَيْنِ:العُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ .[١٧٥٨]

وكما أن الله تبارك وتعالى كرر في ثنايا كتابه الكريم السلام على الأنبياء والمرسلين تكريما لأعمالهم،وتخليدا لذكراهم وتعريفا بفضلهم: {سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ} (٧٩) سورة الصافات،{سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (١٠٩) سورة الصافات ١٠٩،{سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ } (١٢٠) سورة الصافات،{سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} (١٣٠) سورة الصافات،وعن سيدنا يحيى عليه السلام يقول: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} (١٥) سورة مريم،ويقول على لسان سيدنا عيسى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (٣٣) سورة مريم

الْمَاءِ عَلَقَةً أَوْ مُضْغَةً ، أَوْ تَحْسِيمُهُ بَعْدَهُ ، فَأَبَانَ اللَّهُ بِهَذَا فَضْلَهُ عَلَى سَائِرِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ خَلْقِه ، بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نُطْفَةً فَعَلَقَةً ، وَلاَ عَلَقَةً فَمُضْغَةً ، وَلاَ مُضْغَةً فَرَضِيعًا ، وَلاَ رَضِيعًا فَفَطِيمًا ، وَلاَ فَطِيمًا فَشَابًّا كَمَا كَانَتْ هَذِهِ حَالَةُ غَيْرِهِ ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ حَشْوِيَّةٌ يَرْوُونَ مَا لاَ يَعْقِلُونَ وَيَحْتَجُّونَ بِمَا لاَ يَدْرُونَ.

[١٧٥٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٧٨)

[١٧٥٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٧٠)

والإسلام هو دين السلام قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (٢٠٨) سورة البقرة

يا أيها الذين آمنوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا وبالإسلام دينًا،ادخلوا في جميع شرائع الإسلام،عاملين بجميع أحكامه،ولا تتركوا منها شيئًا،ولا تتبعوا طرق الشيطان فيما يدعوكم إليه من المعاصي. إنه لكم عدو ظاهر العداوة فاحذروه.[١٧٥٩]

وأول مفاهيم هذه الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم للّه،في ذوات أنفسهم،وفي الصغير والكبير من أمرهم. أن يستسلموا الاستسلام الذي لا تبقى بعده بقية ناشزة من تصور أو شعور،ومن نية أو عمل،ومن رغبة أو رهبة،لا تخضع للّه ولا ترضى بحكمه وقضاه. استسلام الطاعة الواثقة المطمئنة الراضية. الاستسلام لليد التي تقود خطاهم وهم واثقون أنها تريد بهم الخير والنصح والرشاد وهم مطمئنون إلى الطريق والمصير،في الدنيا والآخرة سواء.

وتوجيه هذه الدعوة إلى الذين آمنوا إذ ذاك تشي بأنه كانت هنالك نفوس ما تزال يثور فيها بعض التردد في الطاعة المطلقة في السر والعلن. وهو أمر طبيعي أن يوجد في الجماعة إلى جانب النفوس المطمئنة الواثقة الراضية .. وهي دعوة توجه في كل حين للذين آمنوا ليخلصوا ويتجردوا وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريد اللّه بهم،وما يقودهم إليه نبيهم ودينهم،في غير ما تلجلج ولا تردد ولا تلفت.

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام. عالم كله ثقة واطمئنان،وكله رضى واستقرار. لا حيرة ولا قلق،ولا شرود ولا ضلال. سلام مع النفس والضمير. سلام مع العقل والمنطق. سلام مع الناس والأحياء. سلام مع الوجود كله ومع كل موجود. سلام يرف في حنايا السريرة.

وسلام يظلل الحياة والمجتمع. سلام في الأرض وسلام في السماء.

وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره للّه ربه،ونصاعة هذا التصور وبساطته ..

إنه إله واحد. يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه فلا تتفرق به السبل،ولا تتعدد به القبل ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك – كما كان في الوثنية والجاهلية – إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة وفي نصاعة وفي وضوح.

وهو إله قوي قادر عزيز قاهر .. فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود.

[١٧٥٩] – التفسير الميسر – (١ / ٢٢٢)

وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح. و لم يعد يخاف أحدا أو يخاف شيئا،وهو يعبد اللّه القوي القادر العزيز القاهر. و لم يعد يخشى فوت شيء. ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء.
وهو إله عادل حكيم،فقوته وقدرته ضمان من الظلم،وضمان من الهوى،وضمان من البخس. وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات النزوات والشهوات. ومن ثم يأوي المسلم من إلهه إلى ركن شديد،ينال فيه العدل والرعاية والأمان.
وهو رب رحيم ودود. منعم وهاب. غافر الذنب وقابل التوب. يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.
فالمسلم في كنفه آمن آنس،سالم غانم،مرحوم إذا ضعف،مغفور له متى تاب ..
وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه،وما يطمئن روحه،وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام
كذلك يفيض السلام على قلب المسلم من صحة تصور العلاقة بين العبد والرب. وبين الخالق والكون.
وبين الكون والإنسان .. فاللّه خلق هذا الكون بالحق وخلق كل شيء فيه بقدر وحكمة. وهذا الإنسان مخلوق قصدا،وغير متروك سدى،ومهيأ له كل الظروف الكونية المناسبة لوجوده،ومسخر له ما في الأرض جميعا.
وهو كريم على اللّه،وهو خليفته في أرضه. واللّه معينه على هذه الخلافة. والكون من حوله صديق مأنوس،تتجاوب روحه مع روحه،حين يتجه كلاهما إلى اللّه ربه. وهو مدعو إلى هذا المهرجان الإلهي المقام في السماوات والأرض ليتملاه ويأنس به. وهو مدعو للتعاطف مع كل شيء ومع كل حي في هذا الوجود الكبير،الذي يعج بالأصدقاء المدعوين مثله إلى ذلك المهرجان! والذين يؤلفون كلهم هذا المهرجان! والعقيدة التي تقف صاحبها أمام النبتة الصغيرة،وهي توحي إليه أن له أجرا حين يرويها من عطش،وحين يعينها على النماء،وحين يزيل من طريقها العقبات .. هي عقيدة جميلة فوق أنها عقيدة كريمة. عقيدة تسكب في روحه السلام وتطلقه يعانق الوجود كله ويعانق كل موجود ويشيع من حوله الأمن والرفق،والحب والسلام.
والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه ونفي القلق والسخط والقنوط .. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة .. إن الحساب الختامي هناك والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب. فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه. ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس،فسوف يوفاه بميزان اللّه. ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد،فالعدل لا بد واقع. وما اللّه يريد ظلما للعباد.

والاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات.

بلا تحرج ولا حياء. فهناك الآخرة فيها عطاء،وفيها غناء،وفيها عوض عما يفوت. وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة وأن يخلع التجمل على حركات المتسابقين وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود! ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنساني هي العبادة،وأنه مخلوق ليعبد اللّه .. من شأنها – ولا شك – أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء. ترفع شعوره وضميره،وترفع نشاطه وعمله،وتنظف وسائله وأدواته. فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه وهو يريد العبادة بالخلافة في الأرض وتحقيق منهج اللّه فيها. فأولى به ألا يغدر ولا يفجر وأولى به ألا يغش ولا يخدع وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ولا وسيلة خسيسة. وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل،وألا يعتسف الطريق،وألا يركب الصعب من الأمور. فهو بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب في حدود الطاقة ..

ومن شأن هذا كله ألا تثور في نفسه المخاوف والمطامع،وألا يستبد به القلق في أية مرحلة من مراحل الطريق.

فهو يعبد في كل خطوة وهو يحقق غاية وجوده في كل خطرة،وهو يرتقي صعدا إلى اللّه في كل نشاط وفي كل مجال.

وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر اللّه،في طاعة اللّه،لتحقيق إرادة اللّه .. وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق وبلا قنوط من عون اللّه ومدده وبلا خوف من ضلال القصد أو ضياع الجزاء .. ومن ثم يحس بالسلام في روحه حتى وهو يقاتل أعداء اللّه وأعداءه. فهو إنما يقاتل للّه،وفي سبيل اللّه،ولإعلاء كلمة اللّه ولا يقاتل لجاه أو مغنم أو نزوة أو عرض ما من أعراض هذه الحياة.

كذلك شعوره بأنه يمضي على سنة اللّه مع هذا الكون كله. قانونه قانونه،ووجهته وجهته. فلا صدام ولا خصام،ولا تبديد للجهد ولا بعثرة للطاقة. وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته،وتهتدي بالنور الذي يهتدي به،وتتجه إلى اللّه وهو معها يتجه إلى اللّه.

والتكاليف التي يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة. لا تتجاوز الطاقة ولا تتجاهل طبيعة الإنسان وتركيبه ولا تهمل طاقة واحدة من طاقاته لا تطلقها للعمل والبناء والنماء ولا تنسى حاجة واحدة من حاجات تكوينه الجثماني والروحي لا تلبيها في يسر وفي سماحة وفي رخاء .. ومن ثم لا يحار ولا يقلق في مواجهة تكاليفه. يحمل منها ما يطيق حمله،ويمضي في الطريق إلى اللّه في طمأنينة وروح وسلام.

والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني،في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة،والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال .. كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام.
هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب،تختلف درجة صفائه،ولكنه يظل في جملته خيرا من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر،وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية! هذا المجتمع الذي تربطه آصرة واحدة - آصرة العقيدة - حيث تذوب فيها الأجناس والأوطان،واللغات والألوان،وسائر هذه الأواصر العرضية التي لا علاقة لها بجوهر الإنسان ..
هذا المجتمع الذي يسمع اللّه يقول له:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات .. والذي يرى صورته في قول رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».[١٧٦٠] ..
هذا المجتمع الذي من آدابه:{وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (٨٦) سورة النساء.. {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (١٨) سورة لقمان.. {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (٣٤) سورة فصلت.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات.. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات ..
هذا المجتمع الذي من ضماناته:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (٦) سورة الحجرات .. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧) سورة النور .. وقول رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا

[١٧٦٠] - - صحيح مسلم- المكثر - (٦٧٠٦)

وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ « بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».[١٧٦١] ..

ثم هذا المجتمع النظيف العفيف الذي لا تشيع فيه الفاحشة ولا يتبجح فيه الإغراء،ولا تروج فيه الفتنة،ولا ينتشر فيه التبرج،ولا تتلفت فيه الأعين على العورات،ولا ترف فيه الشهوات على الحرمات،ولا ينطلق فيه سعار الجنس وعرامة اللحم والدم كما تنطلق في المجتمعات الجاهلية قديما وحديثا .. هذا المجتمع الذي تحكمه التوجيهات الربانية الكثيرة،والذي يسمع اللّه - سبحانه - يقول:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (١٩) سورة النور .. {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} (٢) سورة النور.. {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٤) سورة النور .. {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النور.. {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور

والذي يخاطب فيه نساء النبي - أطهر نساء الأرض في أطهر بيت في أطهر بيئة في أطهر زمان {يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)} سورة الأحزاب..

وفي مثل هذا المجتمع تأمن الزوجة على زوجها،ويأمن الزوج على زوجته،ويأمن الأولياء على حرماتهم وأعراضهم،ويأمن الجميع على أعصابهم وقلوبهم. حيث لا تقع العيون على المفاتن،ولا تقود العيون القلوب إلى المحارم. فإما الخيانة المتبادلة حينذاك وإما الرغائب المكبوتة وأمراض النفوس وقلق

[١٧٦١] - - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧٥١)

الأعصاب .. بينما المجتمع المسلم النظيف العفيف آمن ساكن،ترف عليه أجنحة السلم والطهر والأمان! وأخيرا إنه ذلك المجتمع الذي يكفل لكل قادر عملا ورزقا،ولكل عاجز ضمانة للعيش الكريم،ولكل راغب في العفة والحصانة زوجة صالحة،والذي يعتبر أهل كل حي مسؤولين مسؤولية جنائية لومات فيهم جائع حتى ليرى بعض فقهاء الإسلام تغريمهم بالدية.

والمجتمع الذي تكفل فيه حريات الناس وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم بحكم التشريع،بعد كفالتها بالتوجيه الرباني المطاع. فلا يؤخذ واحد فيه بالظنة،ولا يتسور على أحد بيته،ولا يتجسس على أحد فيه متجسس،ولا يذهب فيه دم هدرا والقصاص حاضر ولا يضيع فيه على أحد ماله سرقة أو نهبا والحدود حاضرة.

المجتمع الذي يقوم على الشورى والنصح والتعاون. كما يقوم على المساواة والعدالة الصارمة التي يشعر معها كل أحد أن حقه منوط بحكم شريعة اللّه لا بإرادة حاكم،ولا هوى حاشية،ولا قرابة كبير.

وفي النهاية المجتمع الوحيد بين سائر المجتمعات البشرية،الذي لا يخضع البشر فيه للبشر. إنما يخضعون حاكمين ومحكومين للّه ولشريعته وينفذون حاكمين ومحكومين حكم اللّه وشريعته. فيقف الجميع على قدم المساواة الحقيقية أمام اللّه رب العالمين وأحكم الحاكمين،في طمأنينة وفي ثقة وفي يقين ..

هذه كلها بعض معاني السلم الذي تشير إليه الآية وتدعو الذين آمنوا للدخول فيه كافة. ليسلموا أنفسهم كلها للّه فلا يعود لهم منها شيء،ولا يعود لنفوسهم من ذاتها حظ إنما تعود كلها للّه في طواعية وفي انقياد وفي تسليم ..

ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان،في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام،أو التي عرفته ثم تنكرت له،وارتدت إلى الجاهلية،تحت عنوان من شتى العنوانات في جميع الأزمان .. هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري،وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو «السويد». حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام. وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي وإعانات المرض التي تصرف نقدا والعلاج المجاني في المستشفيات. وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان،مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت .. وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب ..

ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان باللّه؟

إنه شعب مهدد بالانقراض،فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق الثروات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب .. ثم الانتحار ..والحال كهذا في أمريكا .. والحال أشنع من هذا في روسيا ..

إنها الشقوة النكدة المكتوبة على كل قلب يخلو من بشاشة الإيمان وطمأنينة العقيدة. فلا يذوق طعم السلم الذي يدعى المؤمنون ليدخلوا فيه كافة،ولينعموا فيه بالأمن والظل والراحة والقرار:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً .. وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ. إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» ..

ولما دعا اللّه الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة ... حذرهم أن يتبعوا خطوات الشيطان. فإنه ليس هناك إلا اتجاهان اثنان. إما الدخول في السلم كافة،وإما اتباع خطوات الشيطان. إما هدى وإما ضلال. إما إسلام وإما جاهلية. إما طريق اللّه وإما طريق الشيطان. وإما هدى اللّه وإما غواية الشيطان .. وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه،فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.

إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها،أو يخلط واحدا منها بواحد .. كلا! إنه من لا يدخل في السلم بكليته،ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة اللّه وشريعته،ومن لا يتجرد من كل تصور آخر ومن كل منهج آخر ومن كل شرع آخر .. إن هذا في سبيل الشيطان،سائر على خطوات الشيطان ..

ليس هنالك حل وسط،ولا منهج بين بين،ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك! إنما هناك حق وباطل. هدى وضلال. إسلام وجاهلية. منهج اللّه أو غواية الشيطان. واللّه يدعو المؤمنين في الأولى إلى الدخول في السلم كافة ويحذرهم في الثانية من اتباع خطوات الشيطان. ويستجيش ضمائرهم ومشاعرهم،ويستثير مخاوفهم بتذكير هم بعداوة الشيطان لهم،تلك العداوة الواضحة البينة،التي لا ينساها إلا غافل.والغفلة لا تكون مع الإيمان.

ثم يخوفهم عاقبة الزلل بعد البيان:«فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْكُمُ الْبَيِّناتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ..

وتذكيرهم بأن اللّه «عَزِيزٌ» يحمل التلويح بالقوة والقدرة والغلبة،وأنهم يتعرضون لقوة اللّه حين يخالفون عن توجيهه .. وتذكير هم بأنه «حَكِيمٌ» .. فيه إيحاء بأن ما اختاره لهم هو الخير،وما نهاهم

هو الشر،وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه .. فالتعقيب بشطريه يحمل معنى التهديد والتحذير في المقام ..[١٧٦٢]

والسلام كلمة مقدسة يكررها المسلم في كل صلاة عدة مرات،ثم يختم صلاته بقوله" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وهو خير ما في الإسلام فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ ؟ قَالَ:تُطْعِمُ الطَّعَامَ،وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ،وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ. "[١٧٦٣].

وجعله سببا مفضيا إلى المحبة،فالإيمان فدخول الجنة،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا،وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا،أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ[١٧٦٤].

وليلة القدر التي نزل فيها القرآن العظيم هدى ورحمة للعالمين وصفها الله تعالى بأنها {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} (٥) سورة القدر.

وَهِيَ لَيْلَةٌ كُلُّهَا سَلاَمٌ وَأَمْنٌ وَخَيْرٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللهِ،وَأَهْلِ طَاعَتِهِ،مِنْ مَبْدَئِهَا إِلَى نِهَايَتِهَا فِي مَطْلَعِ الفَجْرِ[١٧٦٥].

وأمر نبيه ﷺ أن يعامل معارضيه وخصومه قائلا: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (٨٩) سورة الزخرف.

فَأَعْرِضْ عَنْ هَؤَلاَءِ المُعَانِدِينَ بَعْدَ أَنْ أَبْلَغْتَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ،وَلاَ تُجِبْهُمْ بِمِثْلِ مَا يُخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنَ الكَلاَمِ السَّيِءِ وَلَكِنْ تَأَلَّفْهُمْ،وَاصْفَحْ عَنْهُمْ قَولاً وَفِعْلاً،فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ أَنَّ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ هِيَ الخُسْرَانُ المُبِينُ .[١٧٦٦]

كما جعل تحية أهل الجنة حين يلقون ربهم {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} (٤٤) سورة الأحزاب ٤٤.

وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُحَيَّوْنَ بِالسَّلاَمِ،وَهُنَاكَ ثَلاَثَةُ أَقْوالٍ حَوْلَ مَنِ الذي يُحَيِّيهِمْ بالسَّلام:

- يَقُولُ أَحَدُ هذه الأَقْوَالِ:إِنَّ اللهَ تَعَالى هُوَ الذي يُحَيِّيهِمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ بالسَّلامِ،لِقَوْلِه تَعَالى فِي آيةٍ أُخْرَى:{ سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ } - وَيَقُولُ الآخَرُ:إِنَّ المَلاَئِكَةَ الكِرَامَ هُمُ الذِينَ يُحَيُّونَهُمْ بالسَّلامِ،إِذا دَخُلُوا الجَنَّةَ كَمَا قَالَ تَعَالى:{ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ } - وَالقَولُ الآخَرُ يَقُولُ:إِنَّهُمْ هُمُ الذِينَ يُحَيِّي بَعْضُهُمْ بَعْضاً بالسَّلامِ،يَوْمَ يَلْقَوْنَ رَبَّهُمْ فِي

[١٧٦٢] - فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١ / ٢٠٦)

[١٧٦٣] - صحيح البخارى- المكتر - (١٢) وصحيح مسلم- المكتر - (١٦٩) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٨) (٥٠٥)

[١٧٦٤] - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٢٠٣)

[١٧٦٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٠٠٧)

[١٧٦٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٢٩٣)

الدَّارِ الآخِرَةِ،كَمَا قَالَ تَعَالى:{ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهم وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ } وَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِي الجَنَّة ثَواباً عَظِيماً عَلَى إِيمَانِهِمْ وَعَمَلِهِمُ الصَّالِحِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا .[١٧٦٧]

وعندما تتلقاهم الملائكة {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (٧٣) سورة الزمر،وكذلك ينعم عليهم المولى عز وجل بخطابه الإلهي: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} (٣٤) سورة ق.

وأخيرا فقد شرع الإسلام السلام تحية بين المسلمين وحض على إفشائه والإكثار من ترداده،كلما لقي المسلم فردا أو جماعة،عرفهم أم لم يعرفهم كما سبق في الحديث الشريف،وجعل ذلك أحد الطرق الموصلة إلى الجنة،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ:لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الْمَدِينَةَ اسْتَشْرَفَهُ النَّاسُ فَقَالُوا:قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ:فَخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ فَلَمَّا رَأَيْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ،فَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ :« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ،وَصِلُوا الأَرْحَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ،تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ »[١٧٦٨]..

وقد بلغ من محبة السلف الصالح لبذل السلام هذه الحادثة الغريبة فعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ أُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ،أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ،قَالَ:فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ،لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى سَقَاطٍ،وَلَا صَاحِبِ بِيعَةٍ،وَلَا مِسْكِينٍ،وَلَا أَحَدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ،قَالَ الطُّفَيْلُ:فَجِئْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَوْمًا فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ،فَقُلْتُ لَهُ:وَمَا تَصْنَعُ فِي السُّوقِ ؟ وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى الْبَيِّعِ،وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ،وَلَا تَسُومُ بِهَا،وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ ؟ قَالَ:وَأَقُولُ اجْلِسْ بِنَا هَاهُنَا نَتَحَدَّثُ،قَالَ فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ:" يَا أَبَا بَطْنٍ – وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ – إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ،نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَا ". رواه مالك في الموطأ[١٧٦٩].

وإذا كان للسلام هذه الأهمية في الإسلام،فإن له آدابا كثيرة على المسلم أن يراعيها في معرفة أحكامه،وكيفية إلقائه،وغير ذلك من الآداب الكريمة التي لا تترك نقيرا ولا فتيلا ولا قطميرا:

الالتزام بصيغة السلام الواردة عن النبي ﷺ،فيقول: السلام عليكم ويمكنه أن يزيد ورحمة الله وبركاته،أما ردُّ السلام فيكون على الفور وبالصيغة التالية وعليكم السلام،والأفضل أن يزيد ورحمة الله وبركاته،ولئن كان إلقاء السلام سنة فإن رده واجبا يأثم تاركه.

قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (٨٦) سورة النساء.

[١٧٦٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٤٥٨)

[١٧٦٨] – سنن الدارمى– المكتر – (٢٦٨٨) صحيح

[١٧٦٩] – موطأ مالك– المكتر – (١٧٦٤) صحيح –السقاط : بائع المتاع الردىء

وَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ،فَرُدُّوا السَّلاَمَ عَلَيْهِ بِأَفْضَلَ مِنْهُ،أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ (فَإِذَا قَالَ لَكُمْ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ فَرُدُّوا عَلَيه قَائلِينَ:وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ).فَالزِّيَادَةُ مَنْدُوبَةٌ،وَالْمُمَاثَلَةُ مَفْرُوضَةٌ .وَاللهُ مُحَاسِبٌ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ،وَاللهُ تَعَالَى رَقِيبٌ عَلَيْكُمْ فِي مُرَاعَاةِ الصِّلَةِ بَيْنَكُمْ بِالتَّحِيَّةِ،وَيُحَاسِبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ .[١٧٧٠]

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ -ﷺ- فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « عَشْرٌ ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّه. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ « عِشْرُونَ ». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ فَقَالَ « ثَلاَثُونَ ». رواه أبو داود[١٧٧١]

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ،فَقُلْتُ:وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،تَرَى مَا لاَ نَرَى يَا رَسُولَ اللهِ. متفق عليه[١٧٧٢].

أن يأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا،وأن يقصد من سلامه امتثال أمر الله تعالى ورسوله،وعقد وشائج المحبة والأمان والاطمئنان بين المسلمين.

فعن الْبَرَاءَ بْنِ عَازِبٍ – رضى الله عنهما – قَالَ أَمَرَنَا النَّبِىُّ – ﷺ- بِسَبْعٍ،وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ.فَذَكَرَ عِيَادَةَ الْمَرِيضِ،وَاتِّبَاعَ الْجَنَائِزِ،وَتَشْمِيتَ الْعَاطِسِ،وَرَدَّ السَّلاَمِ،وَنَصْرَ الْمَظْلُومِ،وَإِجَابَةَ الدَّاعِى،وَإِبْرَارَ الْمُقْسِمِ ".[١٧٧٣]

أن يبدأ بالسلام قبل الكلام إذا أتى أحدا في بيته،أو لقي أحدا في الطريق،وأن يختم مجلسه أو كلامه بالسلام أيضا.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧) سورة النور

يُؤَدِّبُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَأْمُرُهُم بِأَلاَّ يَدْخُلُوا بُيوتاً غَيْرَ بُيُوتِهِمْ حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا قَبْلَ الدُّخُولِ (يَسْتَأنِسُوا)،وَيُسَلِّمُوا بَعْدَ الاستئذان،وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَأْذِنُوا ثَلاثَ مَرَّات،فَإِذَا أُذِنَ لَهُمْ دَخُلُوا وَإِلاَّ انصرفوا،فَالاستئذان خَيْرٌ لِلْمُسْتَأذِنِ وَلأَهْلِ البَيْتِ،فالبيْتُ سَكَنٌ يَفِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ فَتَسْكُنُ أَرْوَاحُهُمْ،وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ وَحُرَمَاتِهِم،وَيُلْقُونَ عَنْهُمْ أَعْبَاءَ الحِرْصِ والحَذَرِ المُرْهِقَةِ لِلنُّفُوسِ والأَعْصَابِ،والبُيُوتُ لاَ تَكُونُ كَذَلِكَ إِلاَّ تَكُونُ حَرَمَاً آمِناً لاَ يَسْتَبِيحُهُ أَحَدٌ إِلاَّ بِعِلمِ أَهْلِهِ وإِذْنِهِمْ فِي

[١٧٧٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٧٩)

[١٧٧١] – سنن أبي داود – المكتر – (٥١٩٧) صحيح

[١٧٧٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٢١٧) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٤٥٧) وصحيح ابن حبان – (١٦ / ١١) (٧٠٩٨)

[١٧٧٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٤٤٥)

الوَقتِ الذي يُرِيدُونَ هُمْ.(وَكَانُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ يَدْخُلُونَ بِدُونِ اسْتِئْذَان) ثُمَّ يَقُولُونَ لَقَدْ دَخَلْنَا)[١٧٧٤]

.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ ». رواه أبو داود[١٧٧٥].

وعَنْ جُنْدُب،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا لَقِيَ أَصْحَابَهُ لَمْ يُصَافِحْهُمْ حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ. رواه الطبراني[١٧٧٦].

وعَنْ قَتَادَةَ،قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " إِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِه،فَإِذَا خَرَجْتُمْ فَأَوْدِعُوا أَهْلَهُ بِسَلَامٍ "رواه البيهقي[١٧٧٧].

السلام على أهل بيته كلما دخل البيت أو خرج منه. عَنْ سَعِيد بْنِ الْمُسَيَّب قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِك قَالَ قَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَا بُنَىَّ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ ». رواه الترمذي[١٧٧٨].

التجرؤ على ابتداء السلام وإلقائه على الآخرين،لا انتظار الناس لتلقي عليه السلام. وذلك ليكتسب الأجر الكبير الذي ينتظر من يبدأ غيره بالسلام.فعَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلاَنِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ فَقَالَ « أَوْلاَهُمَا بِاللَّهِ ». رواه الترمذي[١٧٧٩].

يستحب أن يكرر المسلم السلام على أخيه المسلم كلما تقرر لقاؤه به ولو كان الفاصل زمنا يسيرا.

فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ إِذَا لَقِىَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا." أبو داود[١٧٨٠].

يستحب إذا أتى قوما وهم جمع كثير أن يسلِّم عليهم ثلاثا حتى يبلغهم جميعا. فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ،وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا"[١٧٨١]

يسلم الماشي على الواقف،والراكب على الماشي،والصغير على الكبير،والواحد على الجماعة،والقليل على الكثير،وهكذا..

[١٧٧٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٠٠)

[١٧٧٥] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٠) صحيح لغيره

[١٧٧٦] – المعجم الكبير للطبراني – (٢ / ٢٤١) (١٧٠٠) فيه جهالة

[١٧٧٧] – شعب الإيمان – (١١ / ٢٣١) (٨٤٥٩) صحيح مرسل

[١٧٧٨] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٩١٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

[١٧٧٩] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٩١٠) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[١٧٨٠] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢٠٢) صحيح موقوفا ومرفوعاً

[١٧٨١] – صحيح البخارى- المكتر – (٩٥)

فعَنْ ثَابِت مَوْلَى عَبْد الرَّحْمَان بْن زَيْد،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي،وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِد،وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِير. متفق عليه[١٧٨٢].

وعَنْ زَيْد بْن أَسْلَمَ: يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺقَالَ: " يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي،وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِد،وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِير،وَالصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِير،وَإِذَا مَرَّ الْقَوْمُ فَسَلَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَجْزَأَ عَنْهُمْ،وَإِذَا رَدَّ عَنِ الْآخَرِينَ وَاحِدٌ أَجْزَأَ عَنْهُمْ "[١٧٨٣]

إذا قدم جماعة على فرد أجزأ أن يسلم أحدهم نيابة عنه،وإذا قدم أحد على جماعة فسلم عليهم أجزأ أن يرد أحدهم عليه نيابة عنهم. فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِب رضى الله عنه – قَالَ أَبُو دَاوُدَ رَفَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ – قَالَ « يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ ».رواه أبو داود[١٧٨٤].

يستحب خفض الصوت بالسلام ليلا،أو إذا أتى قوما بينهم نيام. فعَنِ الْمِقْدَاد قَالَ أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِى وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه –ﷺ– فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا فَأَتَيْنَا النَّبِىَّ –ﷺ– فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِه فَإِذَا ثَلاَثَةُ أَعْنُزٍ فَقَالَ النَّبِىُّ –ﷺ– « احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا ». قَالَ فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ وَنَرْفَعُ لِلنَّبِىِّ –ﷺ– نَصِيبَهُ – قَالَ – فَيَجِىءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ – قَالَ – ثُمَّ يَأْتِى الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّى ثُمَّ يَأْتِى شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ فَأَتَانِى الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِى فَقَالَ مُحَمَّدٌ يَأْتِى الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِه حَاجَةٌ إِلَى هَذِه الْجُرْعَةِ فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِى بَطْنِى وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ – قَالَ – نَدَّمَنِى الشَّيْطَانُ فَقَالَ وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّد فَيَجِىءُ فَلاَ يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ. وَعَلَىَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَىَّ خَرَجَ رَأْسِى وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِى خَرَجَ قَدَمَاىَ وَجَعَلَ لاَ يَجِيئُنِى النَّوْمُ وَأَمَّا صَاحِبَاىَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ – قَالَ – فَجَاءَ النَّبِىُّ –ﷺ– فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ فَلَمْ يَجِدْ فِيه شَيْئًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقُلْتُ الآنَ يَدْعُو عَلَىَّ فَأَهْلِكُ.

فَقَالَ « اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِى وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِى ». قَالَ فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَىَّ وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّه –ﷺ– فَإِذَا هِىَ حَافِلَةٌ وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لآلِ مُحَمَّد –ﷺ– مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيه – قَالَ – فَحَلَبْتُ فِيه حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّه –ﷺ– فَقَالَ « أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ ». قَالَ قُلْتُ يَا

[١٧٨٢] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٢٣٢) وصحيح مسلم– المكتر – (٥٧٧٢)

[١٧٨٣] – شعب الإيمان – (١١ / ٢٦٨)(٨٥٢٦) صحيح مرسل

[١٧٨٤] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٢) صحيح

رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِى فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ. فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِى فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قَدْ رَوِىَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ - قَالَ - فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِى كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا. فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « مَا هَذِهِ إِلاَّ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ أَفَلاَ كُنْتَ آذَنْتَنِى فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا ». قَالَ فَقُلْتُ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُبَالِى إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ. رواه مسلم[١٧٨٥].

يستحب أن يسلم على نفسه إذا دخل بيته وكان خاليا قائلا:" السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين".

قال الله تعالى:{ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (٦١) سورة النور

فإذا دخلتم بيوتًا مسكونة أو غير مسكونة فليسلِّم بعضكم على بعض بتحية الإسلام،وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين،إذا لم يوجد أحد،وهذه التحية شرعها الله،وهي مباركة تُنْمي المودة والمحبة،طيبة محبوبة للسامع،وبمثل هذا التبيين يبيِّن الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها،وتعملوا بها.

يسنُّ السلام على الصبيان إذا مر بهم،مما يستجلب محبتهم،ويقوي شخصيتهم،ويمهد لنصحهم وتعليمهم،وينفي الكبر عن الذي ألقى السلام،كما يستحب إلقاء السلام على الفقراء والمساكين.

فعَنْ أَنَسٍ،أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ،ثُمَّ حَدَّثَنَا: " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺمَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ".رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[١٧٨٦].

وفي رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ[١٧٨٧].

تستحب المصافحة مع السلام،دون الانحناء أو العناق أو التقبيل.فعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ». رواه أبو داود[١٧٨٨].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِى لَهُ قَالَ « لاَ ». قَالَ أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ قَالَ « لاَ ».قَالَ أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ قَالَ « نَعَمْ ».. رواه الترمذي[١٧٨٩].

تستحب استصحاب بشاشة الوجه،ولين الجانب،وحرارة اللقاء،أثناء إلقاء السلام أو رده.

[١٧٨٥] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٤٨٣) –الحافلة : كثيرة اللبن –وغلت : دخلت وتمكنت

[١٧٨٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٢٤٧) وشعب الإيمان – (١١ / ٢٥٤)(٨٥٠٣)

[١٧٨٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٧٩١)

[١٧٨٨] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٤) صحيح

[١٧٨٩] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٩٤٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

فعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِىَ النَّبِىُّ -ﷺ- « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ». رواه مسلم[١٧٩٠].

يكره ألقاء السلام على من يبول،وعلى النائم،وعلى المصلي أو المتوضئ حتى ينتهيا،كما يكره السلام على تالي القرآن والمنشغل بالذكر أو الدعاء لئلا يشغلهم عن عبادتهم برد السلام،كما يكره السلام على المؤذن والخطيب والمدرس.[١٧٩١]

عدم السلام على الكفار:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « لاَ تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِى طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ ». أخرجه مسلم[١٧٩٢]

وعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَرَّ يَهُودِىٌّ بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ السَّامُ عَلَيْكَ.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « وَعَلَيْكَ ».فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ قَالَ السَّامُ عَلَيْكَ ».قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَقْتُلُهُ قَالَ « لاَ،إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ »[١٧٩٣].

من مر بمجلس فيه كفار ومسلمون سلم وقصد المسلمين:

عَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- رَكِبَ حِمَارًا عَلَيْهِ إِكَافٌ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أُسَامَةَ وَهُوَ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِى بَنِى الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَذَاكَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ وَفِى الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا.

فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِىُّ -ﷺ- ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَيُّهَا الْمَرْءُ لاَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلاَ تُؤْذِنَا فِى مَجَالِسِنَا وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ مِنَّا فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ اغْشَنَا فِى مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَتَوَاثَبُوا فَلَمْ يَزَلِ النَّبِىُّ -ﷺ- يُخَفِّضُهُمْ ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ

[١٧٩٠] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٨٥٧)

[١٧٩١] – انظر : الفقه الإسلامي وأدلته – (٤ / ٢٣٢) والموسوعة الفقهية الكويتية – (٤٣ / ٣٧٤) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة – (٥ / ٨١٩٨) رقم الفتوى ٣٩١٤٩ أحوال يكره فيها البدء بالسلام وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم – (١٥ / ٦٥) السلام على المنشغل بتلاوة القرآن والآداب الشرعية – (١ / ٤١٥) وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – (١ / ٤٣٢)

[١٧٩٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٧٨٩)

[١٧٩٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٩٢٦)

حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ « أَىْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَاب - يُرِيدُ عَبْدَ اللَّه بْنَ أُبَىٍّ - قَالَ كَذَا وَكَذَا ». قَالَ اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّه وَاصْفَحْ فَوَاللَّه لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذى أَعْطَاكَ وَلَقَد اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذه الْبُحَيْرَة أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَة فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلكَ بِالْحَقِّ الَّذى أَعْطَاكَهُ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ به مَا رَأَيْتَ. فَعَفَا عَنْهُ النَّبِىُّ -ﷺ-.[١٧٩٤]

ما يقول من التحايا بعد السلام ورده

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ،قَالَ:كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ،فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ،فَقَالَ:إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ الْوَفْدُ،أَوْ مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا:رَبِيعَةُ،قَالَ:مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ،إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ،وَإِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلاَّ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ،فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا،وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ. قَالَ:فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ،وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ:أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ،وَقَالَ:هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ؟ قَالُوا:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ،وَإِقَامُ الصَّلاَةِ،وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ،وَصَوْمُ رَمَضَانَ،وَأَنْ تُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ،وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ،وَالْمُزَفَّتِ. قَالَ شُعْبَةُ:وَرُبَّمَا قَالَ:وَالنَّقِيرِ،وَرُبَّمَا قَالَ:الْمُقَيَّرِ،وَقَالَ:احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ.[١٧٩٥]

وعَنْ أَبِى النَّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّه أَنَّ أَبَا مُرَّةَ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِى طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ هَانِئٍ بِنْتَ أَبِى طَالِبٍ تَقُولُ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّه - ﷺ- عَامَ الْفَتْحِ،فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ،وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ قَالَتْ فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَقَالَ « مَنْ هَذه ».فَقُلْتُ أَنَا أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِى طَالِبٍ.فَقَالَ « مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِئٍ ».فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِه،قَامَ فَصَلَّى ثَمَانِىَ رَكَعَات،مُلْتَحفًا فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ،فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه،زَعَمَ ابْنُ أُمِّى أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً قَدْ أَجَرْتُهُ فُلاَنَ بْنَ هُبَيْرَةَ.فَقَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ ».قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ وَذَاكَ ضُحًى[١٧٩٦].

تأنيس القادم،وسؤاله عن اسمه ليترل مترلته: عَنْ أَبِي جَمْرَةَ،قَالَ:كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ،فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ،فَقَالَ:إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ الْوَفْدُ،أَوْ مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا:رَبِيعَةُ،قَالَ:مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى "[١٧٩٧]

[١٧٩٤] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٧٦٠)

شرق : غص به و لم يسيغه والمراد أنه حسد النبى -العجاجة : ما ارتفع من غبار حوافرها -الإكاف : البرذعة

[١٧٩٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٣) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٩٥)(١٧٢)

الحنتم : جرار مدهونة خضر تسرع الشدة فيها لأجل دهنها -الدباء : القرع كانوا ينتبذون فيه -المزفت : الإناء المطلى بالزفت -المقير : ما طلى بالقار وهو نبت يحرق إذا يبس تطلى به السفن وغيرها -النقير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينتبذ فيه

[١٧٩٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٥٧) وصحيح مسلم- المكتر - (١٧٠٢)

[١٧٩٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٨٧) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٩٥) (١٧٢)

السلام على الصبيان والنساء عند أمن الفتنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضى الله عنه أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ كَانَ النَّبِىُّ – ﷺ- يَفْعَلُهُ.[١٧٩٨]

وعَنِ ابْنِ أَبِى حُسَيْنٍ سَمِعَهُ مِنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ يَقُولُ أَخْبَرَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ مَرَّ عَلَيْنَا النَّبِىُّ -ﷺ- فِى نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا.[١٧٩٩]

عدم الابتداء بـــ: عليك السلام،عَنْ أَبِى جُرَىٍّ الْهُجَيْمِىِّ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِىَّ -ﷺ- فَقُلْتُ عَلَيْكَ السَّلاَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ « لاَ تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلاَمُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ الْمَوْتَى ».[١٨٠٠]

القيام للقادم إكراماً له، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ – رضى الله عنه – قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ – هُوَ ابْنُ مُعَاذٍ – بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ-،وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ،فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ،فَلَمَّا دَنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ».فَجَاءَ فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ- فَقَالَ لَهُ « إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ».قَالَ فَإِنِّى أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ،وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ.قَالَ « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ »[١٨٠١].

وعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلاًّ – بِرَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِى مَجْلِسِهِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِى مَجْلِسِهَا.[١٨٠٢]

[١٧٩٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٢٤٧)

[١٧٩٩] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢٠٦) صحيح لغيره

[١٨٠٠] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١١) صحيح

[١٨٠١] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٠٤٣)

[١٨٠٢] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٩) صحيح

-٣٨-آداب الاستئذان

الاستئذان أدب رفيع،يدل على حياء صاحبه وشهامته،وتربيته وعفته،وتزاهة نفسه وتكريمها عن رؤية ما لا يحب أن يراه عليه الناس،أو سماع حديث لا يحل له أن يسترقه دون معرفة المتحادثين،أو الدخول على قوم وإيقاعهم بالمفاجأة والإحراج.

والاستئذان هو طلب الأذن،ويكون لدخول بيت،أو الانضمام إلى مجلس،أو الخروج منه،أو التصرف في متاع غيره،أو إبداء رأي في مجتمعات الناس،أو سماع حديثهم.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِت:أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ:" يَا رَسُولَ اللَّه،إِنِّي أَكُونُ فِي مَنْزِلِي عَلَى الْحَالِ الَّتِي لَا أُحِبُّ أَنْ يَرَانِيَ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ،وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يَدْخُلُ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ؟ قَالَ:فَنَزَلَتْ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧) سورة النور"[١٨٠٣]

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذنوا أهلها في الدخول وتسلموا عليهم وصيغة ذلك من السنة: السلام عليكم أأدخل؟ ذلكم الاستئذان خير لكم ؛ لعلكم تتذكرون- بفعلكم له- أوامر الله،فتطيعوه.[١٨٠٤]

ولا يخفى ما في هذه الآية من معنى الاستئناس،الذي هو أبلغ من الاستئذان،إذ هو بالإضافة إلى ما فيه من معنى طلب الإذن،فيه معرفة أنس أهل البيت،واستعدادهم لاستقباله،ورضاهم عن دخوله عليهم.

ومع تقدم الحضارة،وصناعة البيوت المغلقة،والأبواب المحكمة،فما زال هناك من يدخل بيته دون سلام،أو يغشى غرفة غيره،أو يقتحم مجلسه دون إعلام أو استئذان.

وإذا ما تعود الغلام منذ نعومة أظافره أن يستأذن على والديه كما أمر الله تعالى،نشأ على هذه العادة الحميدة،وهي ملكة في نفسه وطبع كريم،يقدره عليه الناس ويحبونه،ويثقون في أمانته وكرامته.

وهذه طائفة من آداب الاستئذان التي جاء بها ديننا الحنيف قبل أن يعرف الناس،أصول الأعراف وفن المعاملات،وحسن التصرف واللباقة في البيوت والمجتمعات..

يجب الاستئذان لدخول بيت الناس،والاستئناس لمعرفة أنس أهل البيت بالدخول عليهم،فيأنس الداخل إلى إذنهم،ويأنسون إلى استئذانه.قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٧) سورة النور

يجب قرن الاستئذان بالسلام،بل تقديمه عليه،لأن السلام قبل الكلام.

[١٨٠٣] - جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (٢٣٦٧٥) ضعيف

[١٨٠٤] - التفسير الميسر - (٦ / ٢٣١)

عن عَمْرَو بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ أَنَّ كَلَدَةَ بْنَ الْحَنْبَلِ،أَخْبَرَهُ،أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ بَعَثَهُ فِي الْفَتْحِ بِلَبَنٍ وَجَدَايَةٍ وَضَغَابِيسَ وَالنَّبِيُّ ﷺعَلَى الْوَادِي قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ،وَلَمْ استأذن،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ،أَأَدْخُلُ بَعْدَمَا أَسْلِمْ ؟ "[١٨٠٥] ..

وعَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِى عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِىِّ -ﷺ- وَهُوَ فِى بَيْتٍ فَقَالَ أَلِجُ فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- لِخَادِمِه « اخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمْهُ الاِسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ ». فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَأَدْخُلُ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِىُّ -ﷺ- فَدَخَلَ. رواه أبو داود[١٨٠٦].

وعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- وَهُوَ فِى مَشْرُبَةٍ لَهُ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَيَدْخُلُ عُمَرُ. [١٨٠٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ قَالَ:لَا يُؤْذَنُ لَهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ". رواه البخاري في الأدب[١٨٠٨].

ينبغي على مَن قرع الباب مستأذنا أن يقف بجانب الباب الذي لا يظهر منه البيت عند فتحه،وظهره للباب،وعليه أن يغض بصره ما استطاع. فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺوَمَعَهُ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ،فَقَالَ:لَوْ أَعْلَمُكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ عَيْنَكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ."[١٨٠٩]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَنَّ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ،أَخْبَرَهُ أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ جُحْرٍ فِي بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،وَمَعَ رَسُولِ اللهِ مِدْرًى يَحُكُّ بِهَا رَأْسَهُ،فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺقَالَ:لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ،إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ. متفق عليه[١٨١٠].

وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُسْرٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ « السَّلاَمُ عَلَيْكُمُ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ». وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ سُتُورٌ. رواه أبو داود[١٨١١]

يشمل الأمر بالاستئذان النساء كما يشمل الرجال،لأنه شرع لئلا يطلع أحد على أحد على ما يطو الناس في بيوتهم مما لا يحبون أن يطلع عليه أحد،إلى جانب عدم النظر إلى ما لا يحل له أن ينظر إليه.

[١٨٠٥] - شعب الإيمان - (١١ / ٢١٣) (٨٤٢٨) صحيح

[١٨٠٦] - سنن أبي داود - المكتر - (٥١٧٩) صحيح

[١٨٠٧] - سنن أبي داود - المكتر - (٥٢٠٣) صحيح - المشربة : الغرفة العالية

[١٨٠٨] - الْأَدَبُ الْمُفْرَدِ لِلْبُخَارِيِّ (١١٠٦) صحيح

[١٨٠٩] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٧٧)(٢٢٨٠٢) ٢٣١٨٨- صحيح

[١٨١٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٢٤١) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٧٦٤) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٣٤٨) (٦٠٠١) - المدرى : مشط له أسنان يسيرة

[١٨١١] - سنن أبي داود - المكتر - (٥١٨٨) صحيح

فعن أُمِّ إِيَاسٍ، قَالَتْ:"كُنْتُ فِي أَرْبَعِ نِسْوَةٍ نَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: نَدْخُلُ؟ فَقَالَتْ: لا، فَقُلْتُ لِصَاحِبَتِكُنَّ: نَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَتِ: السَّلامُ عَلَيكُمْ، أَنَدْخُلُ؟ فَقَالَتْ: ادْخُلُوا، ثُمَّ قَالَتْ: " {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) }سورة النـــــور" [١٨١٢]

والمستأذن يستأذن ثلاث مرات فإن أُذن له وإلا رجع. وقد قيل: إن أهل البيت بالأولى يستنصتون،وبالثانية يستصلحون،وبالثالثة يأذنون أو يردُّون،لكن قال أهل العلم: لا يزيد على ثلاثٍ إذا سُمع صوته وإلا زاد حتى يعلم أو يظن أنه سُمع.[١٨١٣].

وقال تعالى: {فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} (٢٨) سورة النـــــور

فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا فِي هَذَهِ البُيُوتِ أَحَداً يَأْذَنُ لَهُمْ بِالدُّخُولِ إِلَيْهَا،كَانَ عَلَيْهِمْ أَلاَّ يَدْخُلُوهَا،وَإِذَا كَانَ أَهْلُ البَيْتِ فِيهِ،وَلَمْ يَأْذَنُوا بِالدُّخُولِ،كَانَ عَلَى الزَّائِرِ الانْصِرَافُ،وَلَيْسَ لَهُ الدُّخُولُ،وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْضَبَ،أو يَسْتَشْعِرَ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الإِسَاءَةَ إِلَيْهِ،أو النُّفْرَةَ مِنْهُ،فَلِلنَّاسِ،أَسْرَارُهم وَأَعْذَارُهُم وَيَجِبُ أَنْ يُتْرَكَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ حَقُّ تَقْدِيرِ ظُرُوفِهِمْ.وَاللهُ هُوَ المُطَّلِعُ عَلَى خَفَايَا القُلُوبِ،وهُوَ العَلِيمُ بِالدَّوافِعِ .[١٨١٤]

وعن بُسْرَ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ،سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ،يَقُولُ:كُنَّا فِي مَجْلِسٍ عِنْدَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،فَأَتَى أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ بعَصًا حَتَّى وَقَفَ،فَقَالَ:أَنْشُدُكُمْ باللَّهِ،هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:الاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ،فَإِنْ أُذِنَ لَكَ،وَإِلاَّ فَارْجِعْ ؟ قَالَ أُبَيٌّ:وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ:اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمْسِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي،فَرَجَعْتُ،ثُمَّ جِئْتُهُ،فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ،فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي جِئْتُهُ أَمْسِ،فَسَلَّمْتُ ثَلاَثًا،ثُمَّ انْصَرَفْتُ،فَقَالَ:قَدْ سَمِعْنَاكَ وَنَحْنُ حِينَئِذٍ عَلَى شُغْلٍ،فَلَوِ اسْتَأْذَنْتَ حَتَّى يُؤْذَنَ لَكَ ؟ قَالَ:اسْتَأْذَنْتُ كَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:فَوَاللَّهِ لَأُوجِعَنَّ ظَهْرَكَ أَوْ لَتَأْتِيَنِّي بِمَنْ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا،قَالَ:فَقَالَ أُبَيٌّ:وَاللَّهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَحْدَثُنَا سِنًّا،قُمْ يَا أَبَا سَعِيدٍ،فَقُمْتُ حَتَّى أَتَيْتُ عُمَرَ فَقُلْتُ:قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ هَذَا."[١٨١٥]

ينبغي عند استعلام صاحب البيت عن المستأذن أن يذكر اسمه،ويكره أن يقول (أنا) لعدم كفايتها في معرفة قائلها. عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ،قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا،قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفِي دَيْنٍ عَلَى أَبِي،فَدَقَقْتُ الْبَابَ،فَقَالَ: " مَنْ ذَا ؟ "،فَقُلْتُ: أَنَا،فَقَالَ: " أَنَا أَنَا " كَأَنَّهُ كَرِهَهُ.رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [١٨١٦] .

[١٨١٢] – تفسير ابن أبي حاتم – (١٠ / ٩٧) (١٥١٨٨) فيه جهالة

[١٨١٣] – موسوعة خطب المنبر – (١ / ٤٥)

[١٨١٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٠١)

[١٨١٥] – صحيح مسلم– المكتر – (٥٧٥٣) وصحيح ابن حبان – (١٣ / ١٢٧)(٥٨١٠)

[١٨١٦] – صحيح البخارى– المكتر – (٦٢٥٠)

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ – رضى الله عنه – قَالَ خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِى فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- يَمْشِى وَحْدَهُ،وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ – قَالَ – فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِىَ مَعَهُ أَحَدٌ – قَالَ – فَجَعَلْتُ أَمْشِى فِى ظِلِّ الْقَمَرِ فَالْتَفَتَ فَرَآنِى فَقَالَ « مَنْ هَذَا ».قُلْتُ أَبُو ذَرٍّ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ ». متفق عليه[١٨١٧].

وعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ،أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺحَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِه،قَالَ:بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ:فِي الْحِجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ،فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي:مَا يَعْنِي بِهِ ؟ قَالَ:مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي،ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءًا إِيمَانًا وَحِكْمَةً،فَغُسِلَ قَلْبِي،ثُمَّ حُشِيَ،ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ،فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ:هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ ؟ قَالَ أَنَسٌ:نَعَمْ،يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ،فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا،فَاسْتَفْتَحَ،فَقِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا فِيهَا آدَمُ،فَقَالَ:هَذَا أَبُوكَ آدَمُ،فَسَلِّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا خَالَةٍ،قَالَ:هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى،فَسَلِّمَ عَلَيْهِمَا،فَسَلَّمْتُ،فَرَدَّا ثُمَّ قَالاَ:مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ،قَالَ:هَذَا يُوسُفُ،فَسَلِّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ. قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:أَوَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ،قَالَ هَذَا إِدْرِيسُ،فَسَلِّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ،قَالَ:هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ،قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:أَوَ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا مُوسَى،قَالَ:هَذَا مُوسَى،فَسَلِّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ السَّلاَمَ،ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ

[١٨١٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٤٤٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٢٣٥٢)

الصَّالِحِ،فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى،قِيلَ لَهُ:مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَ:أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ،فَاسْتَفْتَحَ،قِيلَ:مَنْ هَذَا ؟ قَالَ:جِبْرِيلُ قِيلَ:وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:مُحَمَّدٌ ﷺ،قِيلَ:وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قِيلَ:مَرْحَبًا بِهِ،فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ،فَفُتِحَ،فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ،قَالَ:هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ،فَسَلَّمَ عَلَيْهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،فَرَدَّ السَّلاَمَ ثُمَّ قَالَ:مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ،وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى،فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ،وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ،قَالَ:هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى،وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ،نَهْرَانِ بَاطِنَانِ،وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ،فَقُلْتُ:مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ:أَمَّا الْبَاطِنَانِ،فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ،وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ،فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ. ثُمَّ رُفِعَ لِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. قَالَ قَتَادَةُ:وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ رَأَى الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ،وَيَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ،ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ،ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ:ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ،وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ،وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ،فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ،فَقَالَ:هَذِهِ الْفِطْرَةُ،أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ. ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلاَةُ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى،فَقَالَ:بِمَ أُمِرْتَ ؟ قَالَ:أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ،قَالَ:إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ،وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ،وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ،فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ،فَرَجَعْتُ،فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ،فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ،فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ،فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،فَقَالَ مِثْلَهُ،فَرَجَعْتُ،فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى،فَقَالَ:بِمَ أُمِرْتَ ؟ قَالَ:أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،قَالَ:إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ،وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ،وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ،فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ،قَالَ:قُلْتُ:سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ،لَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ،فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ:أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي،وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي."[١٨١٨]

يطلب الاستئذان بين الأهل في الدار الواحدة،عند إرادة الدخول على غرفة أحدهم،حتى مع أقرب الأقربين إليه،كأمه وأبيه..

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:أَسْتَأْذِنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ :« نَعَمْ ». فَقَالَ:إِنِّى مَعَهَا فِى الْبَيْتِ فَقَالَ :« اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا ». فَقَالَ الرَّجُلُ:إِنِّى خَادِمُهَا فَقَالَ :« أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً ». قَالَ:لاَ قَالَ :« فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا ».[١٨١٩].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي ؟ قَالَ:نَعَمْ،أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً."[١٨٢٠]

[١٨١٨] – صحيح البخارى- المكتز – (٣٢٠٧) وصحيح مسلم- المكتز – (٤٣٤) وصحيح ابن حبان – (١ / ٢٣٦) (٤٨)

[١٨١٩] – السنن الكبرى للبيهقي- المكتز – (٧ / ٩٧)(١٣٩٤٢) صحيح مرسل

تعليم الأطفال الذين لم يبلغوا سن التكليف أن يستأنسوا في أوقات ثلاثة: وقت الفجر،وهو وقت النوم أو التهيؤ لصلاة الفجر،ووقت الظهيرة،وهو وقت القيلولة والراحة والتخفف من الثياب،ووقت العشاء،وهو وقت الخلود إلى النوم،وكلها أوقات فيها مظنة التكشف،ومحبة الخلوة،وهذا التعليم من باب التأديب والتعويد،حتى إذا بلغوا سن المراهقة والرشد استأنسوا في جميع الأوقات.

عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، قوله:" " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " بَلَغَنَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ وَامْرَأَتَهُ أَسْمَاءَ بِنْتَ مُرْشِدَةَ صَنَعَا لِلنَّبِيِّ ﷺطَعَامًا فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقْبَحَ هَذَا ! إِنَّهُ لَيَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ غُلامُهُمَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " فِي الْعَبِيدِ وَالإِمَاءِ". [١٨٢١]

ينبغي للمرأة أن تتعفف في ثيابها،وتلتزم الحشمة والكمال والأدب في مظهرها في مترلها،أمام أولادها وإخوتها ومحارمها لأن الله ستير يحب الستر والعفة والحياء.

قال تعالى: {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٦٠) سورة النور

والنِّسَاءُ الطَّاعِنَاتُ فِي السنِّ اللاَّتِي يَئِسْنَ مِنَ الوَلَدِ،وَلَمْ يَبْقَ لَهُنَّ تَطَلُّعٌ إِلَى التَّزَوُّجِ،فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ مَا عَلَى غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ فِي الحَجرِ والتَّسَتُّرِ،وَلا حَرَجَ عَلَيْهِنَّ فِي أَنْ يَخْلَعْنَ ثِيَابَهُنَّ الخَارِجِيَّةَ عَلَى أَنْ لاَ تَنْكَشِفَ عَوْرَاتُهُنَّ،وَلا يَنْكشِفْنَ عَنْ زِينَةٍ،وَخَيْرٌ لَهُنَّ أَنْ يَبْقَيْنَ كَاسِيات بِثِيَابِهِنَّ الخَارِجِيَّةِ الفَضْفَاضَةِ،وَسَمَّى تَعَالَى مِنْهُنَّ ذَلِكَ اسْتِعْفَافاً،أَيْ يَفْعَلْنَهُ طَلَباً لِلعِفَّةِ،وإِيثَاراً لَهَا لِمَا بَيْنَ التَّبُّرجِ والفِتْنَةِ مِنْ صِلَةٍ،وَبَيْنَ التَّحَجُّبِ والتَّسَتُّرِ وَالعِفَّةِ مِنْ صِلَةٍ،وَخَيْرُ سَبِيلٍ إِلى العِفَّةِ تَقْلِيلُ فُرَصِ الغَوَايَةِ،والخَيْلُولَةِ بَيْنَ اللِّسَانُ،وَيَطِّلِعُ بَيْنَ أَسْبَابِ الإِثَارَةِ وَبَيْنَ النُّفُوسِ.واللهُ تَعَالَى يَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ اللِّسَانُ،وَيَطِّلِعُ عَلَى مَا يُوَسْوِسُ فِي الجَنَانِ ويُجَازِي عَلَى ذَلِكَ.وَالأَمْرُ كُلُّهُ أَمْرُ نِيَّةٍ وَحَسَاسِيَّةٍ فِي الضَّمِيرِ .[١٨٢٢]

وقال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور

[١٨٢٠] – مصنف ابن أبي شيبة – (٤ / ٣٩٨) (١٧٨٩٠) صحيح مرسل

[١٨٢١] – تفسير ابن أبي حاتم – (١٠ / ٢٠١) (١٥٥٩١) معضل

[١٨٢٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٧٣٣)

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات،ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله،ولا يُظهرن زينتهن للرجال،بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلُبْسها،إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها،وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن،ولا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهن ؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها،كالوجه،والعنق،واليدين،والساعدين يباح رؤيته لآبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نسائهن المسلمات دون الكافرات،أو ما ملكن مِنَ العبيد،أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء،مثل البُلْه الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب،أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء،ولم توجد فيهم الشهوة بعد،ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن لِيُسْمِعْن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه،وارجعوا- أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة،واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.[١٨٢٣]

[١٨٢٣] - التفسير الميسر - (٦ / ٢٣٥)

-٣٩-آداب المجلس

لا بد للإنسان في حياته اليومية من مخالطة الناس ومعاملتهم،ومجالستهم في مجالس عامة أو خاصة،ومن خلال هذه المجالس يمكن الحكم على المتجالسين،وبما ينفضُّون عن مجلسهم من نتائج وثمرات يمكن الاعتداد بهذا المجلس والافتخار بحضوره،أو الإعراض عنه وتجنب خطره وفساده.

والمجالس مجتمعات يحضرها أناس من جميع الطبقات،ويتكلم فيها رجال من كافة المستويات،منهم الغث ومنهم السمين ومنهم المصلح ومنهم المفسد،والمسلم من يستطيع أن يدير دفة المجلس لما فيه من خير المتجالسين في دينهم ودنياهم،ولما فيه رضى الله ورسوله،فإن لم يستطع فالإعراض عن ذلك المجلس هو محض الخير وعين الصواب.قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} (١٤٠) سورة النساء

وقد كان الأنبياء والمصلحون يغشون مجالس الناس فيقعدون معهم بتواضع وإخلاص،يأمرونهم بالمعروف،وينهونهم عن المنكر،ويذكرونهم بما يصلحهم،ويعظونهم بالحكمة والموعظة الحسنة،ويرغبونهم بالتقوى والعمل الصالح،ويرهبونهم من الكفر والإثم والمعصية والعدوان.

ولا ينبغي للعالم أو المرشد أن يجالس قوما يخوضون في باطلهم،ويرتكبون الذنوب والآثام،غافلين عن الله،ساهين عن عقابه وانتقامه،مغترين بحلمه وإمهاله،إلا كما يجالس الطبيب المريض،والعالم المعلم الغافل الجاهل،بمقدار الحاجة وبما يحقق الدعوة والإصلاح،كما لا ينبغي للمسلم أن يجلس مجلسا تنتهك فيه حرمات الله،وتدور فيه كؤوس اللهو واللغو والمنكرات،يشاركهم فيها أكلهم وشربهم،وضحكهم وبطالتهم،غير مبال بما يتزل على مجلسهم هذا من غضب الله ومقته..

عَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْمَعَاصِي،نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ،فَلَمْ يَنْتَهُوا،فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ،قَالَ يَزِيدُ:أَحْسِبُهُ قَالَ:وَأَسْوَاقِهِمْ،وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ،فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ،وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ،وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺمُتَّكِئًا،فَجَلَسَ،فَقَالَ:لاَ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،حَتَّى تَأْطُرُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا."[١٨٢٤].

واليوم قل أن نرى مجلسا يذكر فيه الله والدار الآخرة،بعد أن عمت مجالس الغفلة والمنكرات،وفشت مجالس الغيبة والنميمة والطعن في الأعراض،والانغماس في المحرمات.

[١٨٢٤] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٤٧)(٣٧١٣) حسن

ورب مجلس يقعده المرء مع قوم أشقياء،يصنع لنفسه فيه حلة من الشقاء تلازمه إلى يوم القيامة.. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً،وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً،وَمَا أَوَى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً[١٨٢٥].

ورب مجلس علم أو ذكر أو نصيحة يرتع فيها الإنسان في روضة من رياض الجنة فلا يخرج منها إلى يوم القيامة.. فعَنِ الأَغَرِّ،قَالَ:أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،وَأَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ،إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ،وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.[١٨٢٦]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا يَجْتَمِعُ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ اللهِ إِلَّا قِيلَ لَهُمْ: قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ،فَقَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ " [١٨٢٧]

هذا في الحديث عن أنواع المجالس،أما ما يتعلق بآدابها ففيها تنعكس جميع آداب المسلم الاجتماعية،وتتجلى براعته في لفت أنظار الناس،وانتزاع إعجابهم،واكتساب قلوبهم،وذلك بحسن أدبه،وكرم معشره،ودماثة خلقه،ولين جانبه،وطيب كلامه،وبشاشة وجهه.

وقد نبهنا الله تعالى إلى شيء من هذه الآداب في كتابه العزيز،فأمر بالتوسع والتفسح في المجالس للقادمين إليها،وإكرامهم وإيثارهم والإحسان إليهم.

أخرج ابن جرير عَنْ قَتَادَةَ،قَوْلُهُ:ي{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة،كَانُوا إِذَا رَأَوْا مَنْ جَاءَهُمْ مُقْبِلًا ضَنُّوا بِمَجْلِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُفْسِحَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ "[١٨٢٨]

وهذه باقة من الآداب الخاصة بالمجالس:

السلام عند الدخول إلى المجلس،وعند الخروج منه.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَلِّمْ،فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ،فَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ،فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ[١٨٢٩].

[١٨٢٥] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٣٣) (٨٥٣) صحيح

[١٨٢٦] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٣٦) (٨٥٥) صحيح

[١٨٢٧] – معرفة الصحابة لأبي نعيم – (٣ / ١٣١١) (٣٢٩٠) حسن

[١٨٢٨] – جَامِعُ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلطَّبَرِيِّ (٣١٢٥٨) صحيح مرسل

[١٨٢٩] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٢٤٧) (٤٩٤) صحيح

الجلوس حيث ينتهي المجلس،ولو انتهى به إلى مكان متواضع وتجنب تخطي الرقاب للوصول إلى صدر المجلس. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ:كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- جَلَسْنَا حَيْثُ نَنْتَهِى.[١٨٣٠]

وعَنْ أَبِى وَاقِدٍ اللَّيْثِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِى الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ،إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ،فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- وَذَهَبَ وَاحِدٌ،قَالَ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِى الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا،وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ،وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا،فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ،فَآوَاهُ اللَّهُ،وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا،فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ،وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ،فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ »[١٨٣١] .

تجنب الجلوس في مكان أحد بعد إبعاده عنه ولو كان طفلا صغيرا أو رجلا فقيرا.

تجنب الجلوس بين اثنين جلسا مع بعضهما قبله إلا إذا فسحا له بينهما. عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا[١٨٣٢] .

تجنب الجلوس في وسط الحلقة في مجلس حلق فيه الناس على شكل دائري. عَنْ أَبِى مِجْلَزٍ أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ وَسْطَ حَلْقَةٍ فَقَالَ حُذَيْفَةُ مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ أَوْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ -ﷺ- - مَنْ قَعَدَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ.[١٨٣٣]

تجنب إشغال المكان الذي قام منه صاحبه إذا علم أنه سيعود إليه،والإفساح له في مجلسه إذا عاد إليه. عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :« إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ كَانَ فِيهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ »[١٨٣٤] .

تجنب تهامس اثنين وتناجيهما مع بعضهما في مجلس لا يضم سوى ثلاثة أشخاص لئلا يظن بهم ظن السوء،أو يحزن لانشغالهم عنه وتركه وحيدا. إلا إذا أذن لهم بذلك. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ »[١٨٣٥] .

تجنب تنقيص أحد أو الاستهزاء به في المجلس،أو الاستهتار بالحاضرين أو الجلوس على غير هيئة الأدب بينهم كالاستلقاء وهم جلوس أو القعود في مكان مرتفع وهم على الأرض أو مد الأرجل.

تجنب الاحتباء وتشبيك الأصابع وفرقعتها،والعبث بالخاتم،وتخليل الأسنان،وإدخال اليد في الأنف،وكثرة التمطي والتثاؤب.

[١٨٣٠] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٣ / ٢٣١) (٦١٠١) صحيح

[١٨٣١] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٦)

[١٨٣٢] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٧٠١) (٦٩٩٩) صحيح

[١٨٣٣] - سنن الترمذى- المكتر - (٢٩٧٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

[١٨٣٤] - السنن الكبرى للبيهقي- المكتر - (٣ / ٢٣٣) (٦١١٣) صحيح

[١٨٣٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٢٨٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٨٢٣)

التيامن في الدخول إلى المجلس والخروج منه وشغل الأماكن بالجلوس،وإخلائها بعد المجلس،وفي توزيع الماء أو الطعام،حيث يبدأ بسيد المجلس ثم الأيمن فالأيمن. عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ،فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ،وَقَالَ:الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ.[١٨٣٦]

المحافظة على نظافة المجلس،وحضوره بثياب نظيفة،ومظهر حسن،متعطرا،متسوكا،مرجلا شعره،مقلما أظافره هادئا وقورا.

تجنب إفشاء أسرار المجالس،وما ائتمنه عليه أصحابها،فذلك من الخيانة.

تجنب نقل أحاديث المجالس وتبليغها على وجه الإفساد ونشر العداوة والبغضاء.

تجنب مجالس اللهو واللغو والحرام وهدر الأوقات،ونهش الأعراض،وغمط الناس وهمزهم وغيبتهم،أو مجالس المراء والجدال والكفر والإلحاد والباطل. أو مجالس الغناء والمعازف أو مجالس الاختلاط وإثارة الغرائز والشهوات.

أداء حق المجلس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتذكير بالطاعات والصالحات والصدقات.

الإصغاء إلى الكلام الحسن ممن يحدث،دون طلب إعادته،والبعد عن المضاحك والمهازل،وتجنب التصنع والقطع والتكلف والتبذل.

إنهاء المجلس بقراءة سورة العصر والتواصي بها والتذكير بمعناها الجامع لكل خير. عَنْ أَبِي مَدِينَةَ الدَّارِمِيِّ،وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ،قَالَ: كَانَ الرَّجُلانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ"إِذَا الْتَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ: وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ،ثُمَّ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ"[١٨٣٧]

وعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ،قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَّافًا قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ،فَقَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺلَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ وَلَا يُوَطِّنُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا،وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ وَلَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ،ومَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ،قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عنده فِي الْحَقِّ سَوَاءً،مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ،وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ،وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ مُتَعَادِلِينَ،يتَفَاضلونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ،وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحُوطُونَ – أَوْ قَالَ: يَحْفَظُونَ – فِيهِ الْغَرِيبَ "،قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي جَلَسَاتِهِ ؟ قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺدَائِمَ الْبِشْرِ،سَهْلَ الْخُلُقِ،لَيِّنَ الْجَانِبِ،لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ،يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُوئِسُ مِنْهُ وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِ،قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: المراء،والإكثار،وما لا يعينه،وترك الناس

[١٨٣٦] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ١٥٠) (٥٣٣٣) صحيح

[١٨٣٧] – المعجم الكبير للطبراني – (٢٠ / ٧٠) (١٣٦٦) حسن

من ثلاث كَانَ لَا يُذَمُّ أَحَدًا وَلَا يُعَيِّرُهُ وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فيمَا رَجَا ثَوَابَهُ،إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رؤسِهُمُ الطَّيْرُ،وإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا،وَلَا يَتَنَازَعُونُ عِنْدَهُ بِشَيْءٍ مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ،حَدِيثُهُمْ عنده حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ،يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ،ويَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسأَلَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ،وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إلا مِنْ مُكَافِئٍ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ "[١٨٣٨]

[١٨٣٨] – شعب الإيمان – (٣ / ٢٤) (١٣٦٢) فيه جهالة

-٤٠-آداب النزهات

وهي نوع محبَّب إلى النفس. وكما أن فيها ترويحًا كبيرًا وإنعاشًا للنفس فهي فرصة سانحة لأن يتأمّل المسلمُ ملكوتَ السموات والأرض،{أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (١٨٥) سورة الأعراف.

وثمةَ توجيهات مهمّة للخارجين لهذه الرحلات البرية فمنها:

١- إخلاص النية في ترويح القلب،وإراحة الجسم للتقوِّي على طاعة الله تعالى،والعودة لتنفيذ أوامر الله بهمة أعلى،وعزيمة أقوى.

٢- أنه يجب عليهم الحرصُ على الاستيقاظ لصلاة الفجر،فإن الغالب على من يخرج إلى مثل هذه الأماكن السهرُ الطويل الذي يفوِّتُ عليهم أداءها في وقتها. وعليهم معرفة دخول الوقت والحرص على الصلاة في وقتها،لما صح عنه عندما سئل عن أفضل الأعمال،فعن أبي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قال:حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ - ﷺ- أَىُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ « الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا ».قَالَ ثُمَّ أَىٌّ قَالَ « ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ».قَالَ ثُمَّ أَىٌّ قَالَ « الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ».قَالَ حَدَّثَنِى بِهِنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِى .[١٨٣٩]

ومما يبشَّر به من خرج للبر أن في محافظته على الصلاة في ترحاله أجرًا عظيمًا،فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ وَحْدَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً،وَإِنْ صَلاَّهَا بِأَرْضٍ فَلاَةٍ فَأَتَمَّ وُضُوءَهَا وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ صَلاَتُهُ خَمْسِينَ دَرَجَةً."[١٨٤٠].

وكذا الأذان في الفلاة فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِىِّ ثُمَّ الْمَازِنِىِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِىَّ قَالَ لَهُ « إِنِّى أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ،فَإِذَا كُنْتَ فِى غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ،فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَىْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ-رواه البخاري.[١٨٤١]

ومن المسائل المهمة التأكد من القبلة والاجتهاد في ذلك،فإن اجتهد وصلّى وتحرّى القبلة فصلاته صحيحة،ولو اكتشف بعد الانتهاء من الصلاة أنه صلّى إلى غير القبلة فلا يعيد وصلاته صحيحة.

[١٨٣٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢٧)

[١٨٤٠] - مصنف ابن أبي شيبة - (٢ / ٤٧٩) (٨٤٧٦) صحيح

[١٨٤١] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٠٩)

٣- ومما ينبغي مراعاته في البر عدم تقذير الأماكن التي يرتادها الناس من ظلّ أو عشب، عَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ الْبَرَازَ فِى الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ ». رواه أبو داود[١٨٤٢]

ويقاس على ذلك رمي مخلّفات الأكل الورقية والبلاستيكية. وأقبح منه ما تفعله بعض النساء من رمي حفائظ الأطفال. وما أحسن إحراق هذه المخلفات قبل الارتحال من المكان ليسلم من أذاها من أتاها من إنسان أو حيوان.

٤- ومن تلك الآداب عدم إيذاء الناس،وخصوصًا ما يقع من بعض الشباب ـــ هداهم الله ـــ من التفحيط والتطعيس والمرور أمام النساء في البر والتعرّض لهن فجأة،والله يقول: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} (٥٨) سورة الأحزاب.

والذَينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنينَ وَالمُؤْمِنَات،بِأَنْ يَنْسبُوا إِليهِمْ أَعْمَالاً لَمْ يَعْمَلُوهَا عَلى سَبيلِ العَيْبِ والتَّنَقُّصِ،فَإِنَّهُمْ يَكُونُونَ قَدِ اجْتَرحُوا كَذباً فَظِيعاً،وَذَنباً عَظِيماً وَاضِحاً،فَالذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ،وَالذِينَ يُؤْذُونَ الرَّسُولَ يُؤْذُونَ اللهَ [١٨٤٣].

وعَنْ حُذَيْفَةَ بن أُسَيْدٍ،أَنّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:" مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ ".[١٨٤٤]

٥- وعلى المرأة المسلمة إذا خرجت للبر الاحتشام وحفظ حيائها ومراقبة ربها وعدم تبرجها بحضرة الرجال الأجانب،فالحجاب لا يرتبط بمكان أو زمان معين؛ بل هو أمرٌ من الله سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (٥٩) سورة الأحزاب

٦- ومن الآداب ذِكْرُ الدعاء عند النزول وتعويد الأطفال عليه،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ لَدَغَتْ عَقْرَبٌ رَجُلاً فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ فَقِيلَ لِلنَّبِىِّ -ﷺ- إِنَّ فُلاَنًا لَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فَلَمْ يَنَمْ لَيْلَتَهُ. فَقَالَ « أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ حِينَ أَمْسَى أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ - مَا ضَرَّهُ لَدْغُ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ ».[١٨٤٥]

،لكن هذا الدعاء لا يعني تركَ الأخذ بالأسباب الواقية من الأذى،ومن أخذ الأسباب عند المبيت والنزول أن يحذر الأماكن الخطرة كأماكن جريان السيول،وأما الذين يخاطرون بالذهاب لمواقع تنقطع فيها أسباب النجاة أو تَقِلُّ فهم آثمون.[١٨٤٦]

٧- السمع والطاعة للمشرف على الرحلة أو النزهة بشكل كامل ومطلق.

[١٨٤٢] - سنن أبي داود - المكتر - (٢٦) صحيح لغيره -الموارد : المجارى والطرق إلى الماء واحدها مورد

[١٨٤٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٧٢)

[١٨٤٤] - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٢٩٦) (٢٩٧٨) حسن

[١٨٤٥] - سنن ابن ماجه- المكتر - (٣٦٤٧) صحيح

[١٨٤٦] - انظر موسوعة خطب المنبر - الإصدار الثاني - (١ / ٥٥٨٠)

٨- التقيد التام،والالتزام المطلق ببرنامج الرحلة ومواقيت حركاته،وخطوات تنقلها.

٩- تجنب الابتعاد عن الركب،وترك الجماعة لأي سبب كان إلا بإذن من المشرف.

١٠- التحلي بالأخلاق الحسنة الخاصة بالمعاملات،كالصدق والأمانة والإيثار،والصبر والحلم والتواضع،وطلاقة الوجه،ولين الكلام.

١١- اعتنام الوقت بالتفكير في بديع صنع الله،وذكر الله تعالى،وأداء فرائض الله والمحافظة عليها،وسرد الأحاديث المعينة والممتعة لجميع الحاضرين. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ،شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ،وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ،وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ،وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ "[١٨٤٧]

وعَنْ مُعَاذ،قَالَ:كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَقَالَ:يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ ؟ قَالَ:قُلْتُ:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.قَالَ:أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا قَالَ:فَهَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ ؟ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.قَالَ:لاَ يُعَذِّبُهُمْ."[١٨٤٨]

١٢- المسارعة إلى الخدمة،والمشاركة في إعداد متطلبات الرحلة وتحضير لوازمها.

١٣- تجنب الاختلاط،والابتعاد عن الممنوعات والمحرمات،والحرص على راحة الأصدقاء.

[١٨٤٧] - شعب الإيمان - (١٢ / ٤٧٦) (٩٧٦٧) صحيح

[١٨٤٨] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٤٢)(٢١٩٩١) ٢٢٣٤١- وصحيح البخارى- المكتر - (٧٣٧٣) وصحيح مسلم- المكتر - (١٥٤)

-٤١ - آداب اللقاء

البدء بالسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ،قَالُوا:مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:إِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ،وَإِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ،وَإِذَا اسْتَنْصَحَ نَصَحَهُ،وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ يُشَمِّتُهُ،وَإِذَا مَرِضَ عَادَهُ،وَإِذَا مَاتَ صَحِبَهُ. أخرجه مسلم[١٨٤٩].

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعُمَ الْمَعَافِرِيُّ،عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ضَمَّهُمْ وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ مَرْسًى فِي الْبَحْرِ،فَلَمَّا حَضَرَ غَدَاؤُنَا أَرْسَلْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ وَإِلَى أَهْلِ مَرْكَبِهِ،فَقَالَ: دَعَوْتُمُونِي وَأَنَا صَائِمٌ فَكَانَ مِنَ الْحَقِّ عَلَيَّ أَنْ أُجِيبَكُمْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: " لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ ستٌّ خِصَالٍ:يُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ،وَإِذَا لَقِيَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ،وَإِذَا عَطَسَ أَنْ يُشَمِّتَهُ أَوْ عَطِشَ أَنْ يَسْقِيَهُ وَإِذَا مَرِضَ أَنْ يَعُودَهُ،وَإِذَا مَاتَ أَنْ يَحْضُرَهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَ نَصَحَهُ "[١٨٥٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا،وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا،أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ "[١٨٥١]

المصافحة عند اللقاء:

ع عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا ». أخرجه أبو داود [١٨٥٢]

عدم مصافحة المرأة التي لا تحل له:

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - زَوْجَ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَتْ كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى النَّبِىِّ - ﷺ- يَمْتَحِنُهُنَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (١٠) سورة الممتحنة،قَالَتْ عَائِشَةُ فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ،فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ

[١٨٤٩] -صحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٧) (٢٤٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٧٧٨)

[١٨٥٠] - شرح مشكل الآثار - (٢ / ٨) (٥٣١) حسن

[١٨٥١] - شعب الإيمان - (١١ / ١٨٠) (٨٣٧١) صحيح

[١٨٥٢] - سنن أبي داود - المكتر - (٥٢١٤) صحيح

- ﷺ- « انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ »،لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ،غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالْكَلاَمِ،وَاللَّهِ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- عَلَى النِّسَاءِ إِلاَّ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ « قَدْ بَايَعْتُكُنَّ ».كَلاَمًا .[١٨٥٣]

وعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ،أَنَّهَا قَالَتْ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفِي نِسْوَةٍ يُبَايِعْنَهُ،فَقُلْنَ:نُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا،وَلاَ نَسْرِقَ،وَلاَ نَزْنِيَ،وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا،وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا،وَلاَ نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ،قَالَتْ:فَقُلْتُ:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا،هَلُمَّ نُبَايِعْكَ يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنِّي لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ،إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ،أَوْ مِثْلَ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ.[١٨٥٤]

عدم النظر إلى المرأة التي لا تحل له:

قال الله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النـــــور

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ:كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ،فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ،فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجَّ عَنْهُ قَالَ:نَعَمْ،وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.[١٨٥٥]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رضى الله عنه قَالَ وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِعَرَفَةَ فَقَالَ « هَذِهِ عَرَفَةُ وَهَذَا هُوَ الْمَوْقِفُ وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ». ثُمَّ أَفَاضَ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ عَلَى هَيْئَتِهِ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ يَمِينًا وَشِمَالاً يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ ». ثُمَّ أَتَى جَمْعًا فَصَلَّى بِهِمُ الصَّلاَتَيْنِ جَمِيعًا فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى قُزَحَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَقَالَ « هَذَا قُزَحُ وَهُوَ الْمَوْقِفُ وَجَمْعٌ كُلُّهَا مَوْقِفٌ ». ثُمَّ أَفَاضَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَادِى مُحَسِّرٍ فَقَرَعَ نَاقَتَهُ فَخَبَّتْ حَتَّى جَاوَزَ الْوَادِىَ فَوَقَفَ وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ ثُمَّ أَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا ثُمَّ أَتَى الْمَنْحَرَ فَقَالَ « هَذَا الْمَنْحَرُ وَمِنًى كُلُّهَا مَنْحَرٌ ». وَاسْتَفْتَتْهُ جَارِيَةٌ شَابَّةٌ مِنْ خَثْعَمٍ فَقَالَتْ إِنَّ أَبِى شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِى الْحَجِّ أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ قَالَ « حُجِّى عَنْ أَبِيكِ ». قَالَ وَلَوَى عُنُقَ الْفَضْلِ فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ قَالَ « رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا ». ثُمَّ أَتَاهُ

[١٨٥٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٢٨٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٩٤١)

[١٨٥٤] - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤١٧) (٤٥٥٣) صحيح

[١٨٥٥] - صحيح ابن حبان - (٩ / ٣٠١) (٣٩٨٩) وصحيح البخارى- المكتر - (١٥١٣) وصحيح مسلم- المكتر - (٣٣١٥)

رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى أَفَضْتُ قَبْلَ أَنْ أَحْلِقَ.قَالَ « احْلِقْ أَوْ قَصِّرْ وَلاَ حَرَجَ ». قَالَ وَجَاءَ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِىَ. قَالَ « ارْمِ وَلاَ حَرَجَ ». قَالَ ثُمَّ أَتَى الْبَيْتَ فَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ فَقَالَ « يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَنْهُ لَنَزَعْتُ »[١٨٥٦].

عدم نظر المرأة إلى الرجال الأجانب:

قال الله تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النـــــور

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،أَنَّ نَبْهَانَ،حَدَّثَهُ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺوَمَيْمُونَةُ،قَالَتْ:فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ أَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ،فَدَخَلَ عَلَيْهِ،وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرَ بِالْحِجَابِ،قَالَتْ:فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: احْتَجِبَا مِنْهُ فَقَالَتَا:يَا رَسُولَ اللهِ:أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى فَمَا يُبْصِرُنَا وَلاَ يَعْرِفُنَا،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺأَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ ؟.[١٨٥٧]

عدم الخلوة بالمرأة التي لا تحل له:

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ،فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا وَانْطَلَقَتِ امْرَأَتِي حَاجَةً،فَقَالَ:انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ.[١٨٥٨]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ بِالْجَابِيَةِ،فَقَالَ:قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺمَقَامِي فِيكُمْ،فَقَالَ:اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خَيْرًا،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ،ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا،فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ بَحْبَحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ،وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ،لاَ يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ،فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا،وَمَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ

[١٨٥٦] – سنن الترمذى- المكتر – (٨٩٤) قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ
وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ رَأَوْا أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِعَرَفَةَ فِى وَقْتِ الظُّهْرِ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ فِى رَحْلِهِ وَلَمْ يَشْهَدِ الصَّلاَةَ مَعَ الإِمَامِ إِنْ شَاءَ جَمَعَ هُوَ بَيْنَ الصَّلاَتَيْنِ مِثْلَ مَا صَنَعَ الإِمَامُ.
خب : عدا عدوا –قرع : ضرب بالسوط

[١٨٥٧] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٣٨٩) (٥٥٧٦) حسن صحيح

[١٨٥٨] – صحيح مسلم- المكتر – (٣٣٣٦) وصحيح ابن حبان – (٩ / ٧٣) (٣٧٥٧)

سَيِّئَتُهُ،فَهُوَ مُؤْمِنٌ."[1859]

القيام للقادم إكراماً له:

فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّ أَهْلَ قُرَيْظَةَ لَمَّا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِىُّ -ﷺ- فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ أَقْمَرَ فَقَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ». أَوْ « إِلَى خَيْرِكُمْ ».فَجَاءَ حَتَّى قَعَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-.[1860]

وعَنْ أَبِيهِ،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ: كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺبِالْغَدَوَاتِ فَإِذَا قَامَ إِلَى بَيْتِهِ لَمْ نَزَلْ قِيَامًا حَتَّى يَدْخُلَ بَيْتَهُ "[1861]

قال الطحاوي:فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ،وَأَنْتُمْ تَرْوُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺمَا يُخَالِفُهَا،عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ،قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ،يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَجِمَّ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ "

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَنَا غَيْرُ مُخَالِفٍ لِلْأَحَادِيثِ الْأُوَلِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا فِي هَذَا الْبَابِ ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الْأُوَلَ الَّتِي رَوَيْنَاهَا فِي هَذَا الْبَابِ فِيهَا إِطْلَاقُ رَسُولِ اللهِ ﷺقِيَامَ الرِّجَالِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ بِاخْتِيَارِ الْقَائِمِينَ لِذَلِكَ لَا بِذِكْرِ مَحَبَّةِ الَّذِينَ قَامُوا لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْهُمْ،وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ الْمَحَبَّةُ مِنَ الَّذِي يُقَامُ لَهُ لِذَلِكَ مِمَّنْ يَقُومُهُ لَهُ،فَتَصْحِيحُ هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ أَنْ تَكُونَ الْأَحَادِيثُ الْأُوَلُ عَلَى مَا لَا مَحَبَّةَ فِيهِ لِمَنْ يُقَامُ لَهُ،وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لِمَنْ يُقَامُ لَهُ بِذَلِكَ الْقِيَامِ،فَبَانَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مُحْتَمِلٌ لِمَا حَمَلْنَاهُ عَلَيْهِ مِمَّا ذَكَرْنَا،فَلَمْ يَبِنْ بِحَمْدِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ تَضَادٌّ لِجِنْسٍ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ لِلْجِنْسِ الْآخَرِ مِنْهُمَا،وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ: " لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا لَهُ لِمَا يَعْلَمُوا مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ " قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَدْ دَلَّ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺإِنَّمَا كَانُوا يَتْرُكُونَ الْقِيَامَ لَهُ ﷺلِعِلْمِهِمْ بِكَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ مِنْهُمْ وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَوْلَا كَرَاهَتُهُ لِذَلِكَ مِنْهُمْ لَقَامُوا لَهُ وَقَدْ تَكُونُ كَرَاهَتُهُ لِذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوَاضُعِ مِنْهُ ﷺلِذَلِكَ ؛ لَا لِأَنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَهُ،وَكَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ وَقَدْ أَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَقَامَ بِمَحْضَرِهِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عِنْدَ نُزُولِ تَوْبَتِهِ مُهَنِّئًا لَهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَنْهَهُ عَنْهُ

[1859] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ١١٠) (١١٤) صحيح

[1860] – سنن أبي داود – المكتر – (٥٢١٧) صحيح

[1861] – شرح مشكل الآثار – (٣ / ١٥٤)(١١٢٤) حسن

وعَنْ أَبِي مِجْلَزٍ،قَالَ: دَخَلَ مُعَاوِيَةُ بَيْتًا فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَثَبَتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ أَوْزَنَهُمَا،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: اجْلِسْ يَا ابْنَ عَامِرٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْرُوهَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ هُوَ الْمَحَبَّةُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ لِذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ،وَقَدْ تَكُونُ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْقِيَامِ إِلَيْهِمْ،وَقَدْ تَكُونُ بِلَا قِيَامٍ إِلَيْهِمْ،فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْكَرَاهَةَ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَحَبَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا لِلْقِيَامِ الَّذِي لَا مَحَبَّةَ مَعَهُ [١٨٦٢]

عدم الانحناء أو السجود عند اللقاء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ أَيَنْحَنِى لَهُ قَالَ « لاَ ». قَالَ أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ قَالَ « لاَ ».قَالَ أَفَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ قَالَ « نَعَمْ »[١٨٦٣].

طلاقة الوجه عند اللقاء:

عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِىَ النَّبِىُّ -ﷺ- « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ». أخرجه مسلم [١٨٦٤]

[١٨٦٢] – شرح مشكل الآثار – (٣ / ١٥٤)(١١٢٥)

[١٨٦٣] – سنن الترمذى– المكتر – (٢٩٤٧) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[١٨٦٤] – صحيح مسلم– المكتر – (٦٨٥٧)

-٤٢- آداب الزيارة

فضل الزيارة في الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى،قَالَ:فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا،فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ،قَالَ:أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ:أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ،فَقَالَ لَهُ:هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ:لاَ،غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللهِ،قَالَ:فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ،إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. أخرجه مسلم[١٨٦٥]

وعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ،أَنَّهُ قَالَ:دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا،وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ،إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ،أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ،وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ،فَسَأَلْتُ عَنْهُ،فَقِيلَ:هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ،هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ،وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي،قَالَ:فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ،ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ،فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ:وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلَّهِ،فَقَالَ:آللَّهُ ؟ قُلْتُ:آللَّهُ،فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَذَبَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ:أَبْشِرْ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ،وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ،وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ.[١٨٦٦]

الإكثار من الزيارة لأهل الخير:

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَىَّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ،وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– طَرَفَىِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،ثُمَّ بَدَا لأَبِى بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ،فَكَانَ يُصَلِّى فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ،فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ،وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ،فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " أخرجه البخاري [١٨٦٧]

وعَنِ الزُّهْرِىِّ قَالَ أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَىَّ قَطُّ،إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ،وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– طَرَفَىِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،فَلَمَّا ابْتُلِىَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ،حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ – وَهْوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ – فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِى قَوْمِى فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِى الأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّى.قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ،فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ،وَتَصِلُ

[١٨٦٥] -صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣١) (٥٧٢) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٧١٤)

فأرصد الله له على مدرجته : أرصدت على طريق فلان قوما : إذا وكلتهم بحفظه ، والمدرجة : الطريق.

[١٨٦٦] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣٥) (٥٧٥) صحيح

[١٨٦٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٦)

الرَّحِمَ،وَتَحْمِلُ الْكَلَّ،وَتَقْرِى الضَّيْفَ،وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ.فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ،فَرَجَعَ مَعَ أَبِى بَكْرٍ،فَطَافَ فِى أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ،فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ،وَلاَ يُخْرَجُ،أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ،وَيَصِلُ الرَّحِمَ،وَيَحْمِلُ الْكَلَّ،وَيَقْرِى الضَّيْفَ،وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ وَقَالُوا لاِبْنِ الدَّغِنَةِ مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِى دَارِهِ،فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ،وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ،وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ،فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا.قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لأَبِى بَكْرٍ،فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِى دَارِهِ،وَلاَ يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلاَةِ وَلاَ الْقِرَاءَةِ فِى غَيْرِ دَارِهِ،ثُمَّ بَدَا لأَبِى بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ،وَبَرَزَ فَكَانَ يُصَلِّى فِيهِ،وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ،فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ،يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ،فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ،فَقَالُوا لَهُ إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِى دَارِهِ،وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ،فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ،وَأَعْلَنَ الصَّلاَةَ وَالْقِرَاءَةَ،وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا،فَأْتِه فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِى دَارِهِ فَعَلَ،وَإِنْ أَبَى إِلاَّ أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ،فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ،وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لأَبِى بَكْرٍ الاِسْتِعْلاَنَ.قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ،فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِى عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ،فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَىَّ ذِمَّتِى،فَإِنِّى لاَ أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّى أُخْفِرْتُ فِى رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ.قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنِّى أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ،وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ.وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ،رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ ».وَهُمَا الْحَرَّتَانِ،فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ-،وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ،وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّى أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِى ».قَالَ أَبُو بَكْرٍ هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِى أَنْتَ قَالَ « نَعَمْ ».فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [١٨٦٨].

الطلب من العلماء وأهل الخير الإكثار من الزيارة:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- لِجِبْرِيلَ « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا فَنَزَلَتْ {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ

[١٨٦٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٢٩٧)

نخفر : ننقض العهد -المعدوم : الشيء المعدوم الذى لا يجدونه أو الفقير الذى صار كالمعدوم -يتقصف : يزدحم -تكسب : تعطى المال للفقير

نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم.أخرجه البخاري[١٨٦٩]

فَالْمَلاَئِكَةُ الكِرَامُ لاَ تَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِإِذْنِ رَبِّهِم الَّذِي لَهُ أَمْرُ الدُّنْيَا (مَا بَيْنَ أَيْدِينَا)،وَلَهُ أَمْرُ الآخِرَةِ (وَمَا خَلْفَنَا)،وَمَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَلاَ يَنْسَى اللهُ شَيْئاً،وَلاَ تَطْرَأُ عَلَيْهِ غَفْلَةٌ سُبْحَانَهُ،وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ إِنْ كَانَ قَدْ أَخَّرَ الوَحْيَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺفِي بَعْضِ الأَحْيَانِ،فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْرِفُهَا هُوَ [١٨٧٠].

لا يؤم الزائر صاحب الدار ولا يجلس على فراشه إلا بإذنه:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَؤُمُّ الْقَوْمُ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ،فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً،فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا وَلاَ يَؤُمُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي بَيْتِهِ وَلاَ فِي فُسْطَاطِهِ وَلاَ يَقْعُدُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ." أخرجه مسلم[١٨٧١]

احتفاء صاحب المنزل بمن زاره:

قال الله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) } [الذاريات:٢٤ - ٣٠]

هل أتاك -أيها الرسول- حديث ضيف إبراهيم الذين أكرمهم- وكانوا من الملائكة الكرام- حين دخلوا عليه في بيته،فحيَّوه قائلين له: سلامًا،فردَّ عليهم التحية قائلا سلام عليكم،أنتم قوم غرباء لا نعرفكم.فعَدَلَ ومال خفية إلى أهله،فعمد إلى عجل سمين فذبحه،وشواه بالنار،ثم وضعه أمامهم،وتلَّطف في دعوتهم إلى الطعام قائلا ألا تأكلون؟

فلما رآهم لا يأكلون أحسَّ في نفسه خوفًا منهم،قالوا له: لا تَخَفْ إنا رسل الله،وبشروه بأن زوجته "سَارَةَ" ستلد له ولدًا،سيكون من أهل العلم بالله وبدينه،وهو إسحاق عليه السلام.فلما سمعت زوجة إبراهيم مقالة هؤلاء الملائكة بالبشارة أقبلت نحوهم في صيحة،فلطمت وجهها تعجبًا من هذا الأمر،وقالت: كيف ألد وأنا عجوز عقيم لا ألد،قالت لها ملائكة الله: هكذا قال ربك كما أخبرناك،وهو القادر على ذلك،فلا عجب من قدرته. إنه سبحانه وتعالى هو الحكيم الذي يضع

[١٨٦٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٣١)

[١٨٧٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣١٤)

[١٨٧١] - صحيح ابن حبان - (٥ / ٥١٦) (٢١٤٤) وصحيح مسلم- المكتر - (١٥٦٦)

التكرمة : الفراش والبساط الخاص بصاحب المنزل

الأشياء مواضعها،العليم بمصالح عباده.[١٨٧٢]

أن يطعم الزائر مما يقدم له:

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺزَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُمْ " أخرجه البخاري[١٨٧٣]

التعريض أو القيام من صاحب المترل إذا أطال الزوار الجلوس:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ لَمَّا تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ دَعَا الْقَوْمَ،فَطَعِمُوا ثُمَّ جَلَسُوا يَتَحَدَّثُونَ وَإِذَا هُوَ كَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِلْقِيَامِ فَلَمْ يَقُومُوا،فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَامَ،فَلَمَّا قَامَ قَامَ مَنْ قَامَ،وَقَعَدَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ فَجَاءَ النَّبِىُّ - ﷺ- لِيَدْخُلَ فَإِذَا الْقَوْمُ جُلُوسٌ ثُمَّ إِنَّهُمْ قَامُوا،فَانْطَلَقْتُ فَجِئْتُ فَأَخْبَرْتُ النَّبِىَّ - ﷺ- أَنَّهُمْ قَدِ انْطَلَقُوا،فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ،فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ فَأَلْقَى الْحِجَابَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} (٥٣) سورة الأحزاب[١٨٧٤]

يَا أَيُّها المُؤمنُونَ لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﷺإِلاَّ أَنْ تُدْعَوْا إلى طعام تَطْعَمُونَهُ غَيْرَ مُنْتَظِرِينَ إِدْرَاكَ نُضْجِه،(أَي إذا دُعِيتُم إلى طَعَامٍ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللهِ فَلا تَدْخُلُوا إلا إِذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ تَمَّ نُضْجُهُ وإِعْدَادُهُ) وَلكِنْ إِذا دَعَاكُمُ النَّبِيُّ إِلى الدُّخُولِ فَادخُلُوا،فَإِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ فَانصَرِفُوا،وَلا تَمْكُثُوا فيه لِتَبَادُلِ الحَدِيثِ،فَذَلِكَ اللُّبْثُ،بَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ،كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ،وَيُثْقِلُ عَلَيه وَعَلى أَهْلِه،وَلكِنَّهُ كَانَ يَسْتَحْيِي مِنْ أَنْ يَقُولَ لَكُمْ ذَلِكَ،وَأَنْ يَدْعُوَكُمْ إِلى الانْصِرَافِ،وَاللهُ الذي يُرِيدُ أَنْ يُحْسِنَ تَربِيتَكم وَتَأْدِيبكُمْ،يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لَكُمُ الحَقَّ لتَعمَلُوا به،فَإِذا طَعِمْتُم فِي بَيتِ النَّبِيِّ ﷺفَاخْرُجُوا،وَلاَ تَقْعُدُوا لِلْحَدِيثِ.وَإِذا طَلَبْتُم مِنْ أَزواجِ النَّبِيِّ وَنِسَاءِ المُؤمِنِينَ شَيئاً تَتَمَتَّعُونَ بِه،مِنْ مَاعُونٍ،وَغيرِه،فَاطْلُبُوهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُنَّ.وَذلِكَ الدُّخُولُ بَعْدَ الاسْتِئذَانِ،وَعَدَمُ البَقَاءِ بَعْدَ الطَّعَامِ للاسْتِئْنَاسِ بِالحَدِيثِ،وَسُؤالُ نِسَاءِ النَّبِيِّ المَتَاعَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.. كُلُّ ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ وَقُلُوبِ النِّسَاءِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ،وَأَبْعَدُ عَنْ الرِّيبِ والشُّكُوكِ،وَلاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فَعْلاً فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ

[١٨٧٢] - التفسير الميسر - (٩ / ٢٩٠)

[١٨٧٣] - صحيح ابن حبان - (٦ / ٨٤) (٢٣٠٩) وصحيح البخارى- المكتر - (٦٠٨٠)

[١٨٧٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٩١)

يُؤْذِيهِ وَيُزْعِجُهُ،وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُؤْذُوهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالتَّزَوُّجِ بِنِسَائِهِ.فَإِيذَاءُ النَّبِيِّ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ لاَ يُقَدِّرُ قَدْرَهُ إِلاَّ اللهُ تَعَالى .[١٨٧٥]

زيارة العالم والكبير لوجهاء القوم:

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِى عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَىَّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ،وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- طَرَفَىِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً،ثُمَّ بَدَا لأَبِى بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ،فَكَانَ يُصَلِّى فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ،فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ،وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ،فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .أخرجه البخاري [١٨٧٦]

وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَى إِكَافٍ عَلَى قَطِيفَةٍ فَدَكِيَّةٍ،وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَسَارَ حَتَّى مَرَّ بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ ابْنُ سَلُولَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ،وَفِى الْمَجْلِسِ أَخْلاَطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ،وَفِى الْمَجْلِسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ،فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ،قَالَ لاَ تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا فَسَلَّمَ النَّبِىُّ - ﷺ- وَوَقَفَ وَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّهُ لاَ أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا،فَلاَ تُؤْذِنَا بِهِ فِى مَجْلِسِنَا،وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ.قَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا بِهِ فِى مَجَالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ فَلَمْ يَزَلِ النَّبِىُّ - ﷺ- حَتَّى سَكَتُوا فَرَكِبَ النَّبِىُّ - ﷺ- دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ لَهُ « أَىْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ».يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَىٍّ.قَالَ سَعْدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ فَلَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ وَلَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ فَلَمَّا رَدَّ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِى أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ،فَذَلِكَ الَّذِى فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ .[١٨٧٧]

زيارة العالم والكبير بيوت الفقراء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺزَارَ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُمْ "[١٨٧٨]

[١٨٧٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٦٧)

[١٨٧٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٦)

[١٨٧٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٦٦٣)

شرق : غص به و لم يسيغه والمراد أنه حسد النبى -العجاجة : ما ارتفع من غبار حوافرها -الإكاف : البرذعة

[١٨٧٨] - صحيح ابن حبان - (٦ / ٨٤) (٢٣٠٩) صحيح

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– زَارَ أَهْلَ بَيْتٍ فِى الأَنْصَارِ فَطَعِمَ عِنْدَهُمْ طَعَامًا،فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَمَرَ بِمَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ،فَنُضِحَ لَهُ عَلَى بِسَاطٍ،فَصَلَّى عَلَيْهِ،وَدَعَا لَهُمْ.أخرجه البخاري[١٨٧٩]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ جَدَّتَهُ مُلَيْكَةَ دَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– لِطَعَامٍ صَنَعَتْهُ،فَأَكَلَ مِنْهُ فَقَالَ « قُومُوا فَلأُصَلِّىَ بِكُمْ ».فَقُمْتُ إِلَى حَصِيرٍ لَنَا قَدِ اسْوَدَّ مِنْ طُولِ مَا لُبِسَ،فَنَضَحْتُهُ بِمَاءٍ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– وَالْيَتِيمُ مَعِى،وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا،فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ.متفق عليه[١٨٨٠]

[١٨٧٩] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠٨٠)

[١٨٨٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٨٦٠) وصحيح مسلم- المكتر – (١٥٣٣) -لبس : استعمل

-٤٣ - آداب الضيافة

فضل الضيافة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلاَ يُؤْذِي جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ." متفق عليه[١٨٨١]

إكرام الضيوف من سنن المرسلين:

١- قال الله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)} [الذاريات:٢٤ - ٢٧]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺأَجْوَدَ النَّاسِ،وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ،وَحِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ،وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ،فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ،فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺحِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.[١٨٨٢]

حكم الضيافة:

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ».متفق عليه[١٨٨٣]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رضى الله عنه - أَنَّهُ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلاَ يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى،فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِى لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا،فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِى يَنْبَغِى لَهُمْ » [١٨٨٤]

الترحيب بالضيوف والثناء عليهم بما فيهم:

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ،قَالَ:كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ،فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَسْأَلُهُ عَنْ نَبِيذِ الْجَرِّ،فَقَالَ:إِنَّ

[١٨٨١] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٥٩) (٥٠٦) وصحيح البخارى- المكتر - (٦٠١٨)وصحيح مسلم- المكتر - (١٨٢)

[١٨٨٢] - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٢٨٥) (٦٣٧٠) وصحيح البخارى- المكتر - (٦)

[١٨٨٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٦١٣٦) وصحيح مسلم- المكتر - (١٨٢)

[١٨٨٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٦١٣٧) -يقرى : يكرم الضيف ويقوم بحق ضيافته

وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنِ الْوَفْدُ،أَوْ مَنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا:رَبِيعَةُ،قَالَ:مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خزَايَا وَلاَ نَدَامَى "[١٨٨٥]

المبادرة في إكرام الضيف:

قال الله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)} [الذاريات:٢٤ - ٢٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَوْمًا،فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ،وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،فَقَالَ:"مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا؟"،قَالا: الْجُوعُ،قَالَ:"وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخْرَجَنِي إِلا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا،قُومُوا"،فَقَامُوا مَعَهُ وَأَتَى رَجُلا مِنَ الأَنْصَارِ،فَإِذَا الأَنْصَارِيُّ لَيْسَ ثَمَّ،وَإِذَا هُوَ بِالْمَرْأَةِ،فَقَالَ لَهَا:"أَيْنَ فُلانٌ؟"،قَالَتِ: انْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ،فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ وَعَلَيْهِ قِرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ،فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺوَصَاحِبَيْهِ،قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ،مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَكْرَمُ مِنْ أَضْيَافِنَا،قَالَ: فَعَلَّقَ الْقِرْبَةَ وَقَطَعَ لَهُمْ عَذْقًا فِيهِ بُسْرٌ وَرُطَبٌ وَتَمْرٌ،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"لَوِ انْتَقَيْتَ؟"،قَالَ: تَخَيَّرُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أَعْيُنِكُمْ،قَالَ: وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ"،فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا،فَلَمَّا فَرَغُوا،قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ:"لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ مِنْ هَذَا النَّعِيمِ". [١٨٨٦]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ،وَأَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- قَالَ « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ،وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ ».وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاَثَةٍ فَانْطَلَقَ النَّبِىُّ - ﷺ- بِعَشَرَةٍ،قَالَ فَهْوَ أَنَا وَأَبِى وَأُمِّى،فَلاَ أَدْرِى قَالَ وَامْرَأَتِى وَخَادِمٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ.وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِىِّ - ﷺ- ثُمَّ لَبِثَ حَيْثُ صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ،ثُمَّ رَجَعَ فَلَبِثَ حَتَّى تَعَشَّى النَّبِىُّ - ﷺ- فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ،قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ وَمَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ - أَوْ قَالَتْ ضَيْفِكَ - قَالَ أَوَمَا عَشَّيْتِيهِمْ قَالَتْ أَبَوْا حَتَّى تَجِىءَ،قَدْ عُرِضُوا فَأَبَوْا.قَالَ فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ فَقَالَ يَا غُنْثَرُ،فَجَدَّعَ وَسَبَّ،وَقَالَ كُلُوا لاَ هَنِيئًا.فَقَالَ وَاللَّهِ لاَ أَطْعَمُهُ أَبَدًا،وَايْمُ اللَّهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلاَّ رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا.قَالَ يَعْنِى حَتَّى شَبِعُوا وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ،فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَإِذَا هِىَ كَمَا هِىَ أَوْ أَكْثَرُ مِنْهَا.فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ يَا أُخْتَ بَنِى فِرَاسٍ مَا هَذَا قَالَتْ لاَ وَقُرَّةِ عَيْنِى لَهِىَ الآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاَثِ مَرَّاتٍ.فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ

[١٨٨٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٣) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٩٥) (١٧٢)

[١٨٨٦] - المعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ١٥٧) (١٥٩١٤) صحيح

الشَّيْطَانِ – يَعْنِي يَمِينَهُ – ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً،ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ – ﷺ– فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ،وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ،فَمَضَى الأَجَلُ،فَفَرَّقَنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً،مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ،اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ،أَوْ كَمَا قَالَ."[١٨٨٧]

إكرام الضيف بما تيسر:

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} (٦٩) سورة هود

وَجَاءَ المَلائِكَةُ،رُسُلُ اللهِ،إِلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،يُبَشِّرُونَهُ بِولاَدَةِ ابْنِهِ إِسْحَاقَ،فَقَالُوا لَهُ:نُسَلِّمُ عَلَيكَ سَلاماً فَقَالَ:وَعَلَيكم سَلاَمٌ.فَذَهَبَ سَرِيعاً فَأَتَاهُمْ بِعِجْلٍ مِنَ البَقَرِ مَشْوِيٍّ (حَنِيذٍ) وَهُوَ مَا يُوجِبُهُ عَلَيهِ حَقُّ الضِّيَافَةِ لِلنَّازِلِينَ عَلَيهِ [١٨٨٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:إِنِّي مَجْهُودٌ،فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ،فَقَالَتْ:وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا،مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ،ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ،حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ،فَقَالَ:مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ،فَقَالَ:أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ،فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ،فَقَالَ لامْرَأَتِهِ:هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟ قَالَتْ:لاَ،إِلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي،قَالَ:فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ،فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَضِيئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ،فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ قَوْمِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ،قَالَ:فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ،فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ.[١٨٨٩]

ما يقول الضيف إذا تبعه من لم يُدْع:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ،قَالَ:كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو شُعَيْبٍ،وَكَانَ لَهُ غُلاَمٌ لَحَّامٌ،فَرَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺفَعَرَفَ فِي وَجْهِهِ الْجُوعَ،فَقَالَ لِغُلاَمِهِ:اصْنَعْ لَنَا طَعَامًا لِخَمْسَةٍ،فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺخَامِسَ خَمْسَةٍ،قَالَ:فَصَنَعَ ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺخَامِسَ خَمْسَةٍ وَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ،فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا،فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ قَالَ:بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ[١٨٩٠].

أين يجلس الضيف؟:

[١٨٨٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠٢) – جَدع : دعا بقطع الأنف –الغنثر : الثقيل الوخم

[١٨٨٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٥٤٣)

[١٨٨٩] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٩٥) (٥٢٨٦) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٤٨٠)

[١٨٩٠] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٤٢٩) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ١١٢) (٥٣٠٠) –اللحام : بائع اللحم

عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأَنْصَارِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِى الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِى السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً فَإِنْ كَانُوا فِى الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِى سُلْطَانِهِ وَلاَ يَقْعُدْ فِى بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ». قَالَ الأَشَجُّ فِى رِوَايَتِهِ مَكَانَ سِلْمًا سِنًّا. أخرجه مسلم[١٨٩١]

توقير العلماء والكبار:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا،يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة،وإذا طلب منكم- أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا،يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم،ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان،والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها،وهو مجازيكم عليها. وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم،ورفع درجاتهم.[١٨٩٢]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِىَّ - ﷺ- قَالَ « أَرَانِى أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ،فَجَاءَنِى رَجُلاَنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ،فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا،فَقِيلَ لِى كَبِّرْ.فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا » [١٨٩٣].

تقديم الأكبر ثم من هو على يمين الأكبر:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ - رضى الله عنه - قَالَ أُتِىَ النَّبِىُّ - ﷺ- بِقَدَحٍ فَشَرِبَ مِنْهُ،وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ،وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ فَقَالَ « يَا غُلاَمُ أَتَأْذَنُ لِى أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ ».قَالَ مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِفَضْلِى مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ.فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ .[١٨٩٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ: " قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺالْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ،وَأُمَّهَاتِي كُنَّ يَحْثُثْنَنِي عَلَى خِدْمَتِهِ،فَدَخَلَ عَلَيْنَا دَارَنَا فَحَلَبْنَا لَهُ مِنْ شَاةٍ دَاجِنٍ وَشِيبَ لَهُ مِن بِئْرٍ فِي الدَّارِ،فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَسَارِهِ وَأَعْرَابِيٌّ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَرُ نَاحِيَةً،فَقَالَ عُمَرُ: نَاوِلْ أَبَا بَكْرٍ،فَنَاوَلَ

[١٨٩١] - صحيح مسلم- المكتر - (١٥٦٤) -السلم : الإسلام -التكرمة : الفراش والبساط الخاص بصاحب المترل

[١٨٩٢] - التفسير الميسر - (١٠ / ٦٤)

[١٨٩٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٤٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٠٧١)

[١٨٩٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٣٥١)

الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ " متفق عليه[١٨٩٥]

خفض الصوت وغض البصر:

قال الله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (١٩) سورة لقمان

وقال الله تعالى:{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (٣٠) سورة النـــــور

خدمة صاحب المنزل لضيوفه:

قال الله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)} [الذاريات:٢٤ - ٢٧]

وعَنْ سَهْلٍ قَالَ لَمَّا عَرَّسَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِىُّ دَعَا النَّبِىَّ - ﷺ- وَأَصْحَابَهُ،فَمَا صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا وَلاَ قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ إِلاَّ امْرَأَتُهُ أُمُّ أُسَيْدٍ،بَلَّتْ تَمَرَاتٍ فِى تَوْرٍ مِنْ حِجَارَةٍ مِنَ اللَّيْلِ،فَلَمَّا فَرَغَ النَّبِىُّ - ﷺ- مِنَ الطَّعَامِ أَمَاثَتْهُ لَهُ فَسَقَتْهُ،تُتْحِفُهُ بِذَلِكَ .[١٨٩٦]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ أَبَا أُسَيْدٍ صَاحِبَ النَّبِىِّ - ﷺ- أَعْرَسَ فَدَعَا النَّبِىَّ - ﷺ- لِعُرْسِه،فَكَانَتِ الْعَرُوسُ خَادِمَهُمْ.فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ هَلْ تَدْرُونَ مَا سَقَتْهُ قَالَ أَنْقَعَتْ لَهُ تَمْرًا فِى تَوْرٍ مِنَ اللَّيْلِ،حَتَّى أَصْبَحَ عَلَيْهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ [١٨٩٧].

وفي الحديث جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه،ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة ومراعاة ما يجب عليها من الستر،وجواز استخدام الرجل امرأته في مثل ذلك،وشرب ما لا يسكر في الوليمة،وفيه جواز إيثار كبير القوم في الوليمة بشيء دون من معه[١٨٩٨]

مدة الضيافة:

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتَ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ

[١٨٩٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٥٧١) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٤١١) وشعب الإيمان - (٨ / ١٥٧)(٥٦٣٣) - شبت : خلطت

[١٨٩٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٥١٨٢) -التور : إناء صغير من نحاس أو حجارة -أماث : حلل فى الماء

[١٨٩٧] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٦٨٥)

[١٨٩٨] - فتح الباري لابن حجر - (٩ / ٢٥١)

ضَيْفَهُ،جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ،وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ،فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ،وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ[١٨٩٩].

عدم التكلف للضيف وغيره:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُـــهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ. أخرجه البخاري[١٩٠٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " طَعَامُ الِاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ،وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ " متفق عليه[١٩٠١]

وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ،قَالَ:سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ،يَقُولُ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الِاثْنَيْنِ،وَطَعَامُ الِاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ،وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ. أخرجه مسلم[١٩٠٢]

دعاء الضيف إذا طعم:

عَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُسْرٍ،قَالَ:نَزَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺعَلَى أَبِي،قَالَ:فَقَرَّبْنَا إِلَيْه طَعَامًا وَوَطْبَةً،فَأَكَلَ مِنْهَا،ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ فَكَانَ يَأْكُلُهُ وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْه،وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ،ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِه،قَالَ:فَقَالَ أَبِي:وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِه،ادْعُ اللَّهَ لَنَا،فَقَالَ:" اللَّهُمَّ،بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ،وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ " أخرجه مسلم[١٩٠٣]

الانصراف بعد الفراغ من الطعام:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا} (٥٣) سورة الأحزاب

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه،ولكن إذا دعيتم فادخلوا،فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن

[١٨٩٩] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠١٩) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٩٧) (٥٢٨٧)

[١٩٠٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٢٩٣)

[١٩٠١] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٣٩٢) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٤٨٨)

[١٩٠٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٤٨٩) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٢) (٥٢٣٧)

[١٩٠٣] – صَحِيحُ مُسْلِمٍ (٥٤٤٩)

انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي،فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له،والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتم نساء رسول الله ﷺحاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء،وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة،وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله،ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبدًا؛ لأنهن أمهاتكم،ولا يحلُّ للرجل أن يتزوج أمَّه،إنَّ أذاكم رسول الله ﷺونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله.(وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر،واجتنبت ما نهى الله عنه منه).[١٩٠٤]

إجابة دعوة الكافر لمصلحة ما لم يكن منكر:

قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٥) سورة المائدة

من تمام نعمة الله عليكم اليوم -أيها المؤمنون- أن أَحَلَّ لكم الحلال الطيب،وذبائحُ اليهود والنصارى -إن ذكَّوها حَسَبَ شرعهم- حلال لكم وذبائحكم حلال لهم. وأَحَلَّ لكم -أيها المؤمنون- نكاح المحصنات،وهُنَّ الحرائر من النساء المؤمنات،العفيفات عن الزنى،وكذلك نكاحَ الحرائر العفيفات من اليهود والنصارى إذا أعطيتموهُنَّ مهورهن،وكنتم أعِفَّاء غير مرتكبين للزنى،ولا متخذي عشيقات،وأمِنتم من التأثر بدينهن. ومن يجحد شرائع الإيمان فقد بطل عمله،وهو يوم القيامة من الخاسرين.[١٩٠٥]

وعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ يَهُودِيًّا دَعَا النَّبِيَّ ﷺإِلَى خُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ،فَأَجَابَهُ. أخرجه أحمد[١٩٠٦]

وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا يَذُمَّ طَعَامًا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،كَانَ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ،فَأَرَادَهُ،أَوِ اشْتَهَاهُ أَكَلَ،وَإِنْ لَمْ يُرِدْهُ تَرَكَهُ.

[١٩٠٤] - التفسير الميسر - (٧ / ٣٦١)

[١٩٠٥] - التفسير الميسر - (٢ / ١٧٩)

قلت : ولا يخفى أن هذا وسط المجتمع الذي يحكمه الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة وليس كحالنا اليوم ، فكيف بمن يتزوج بالكفارة في بلاد الكفر ؟؟؟!!!

[١٩٠٦] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٤٣)(١٣٢٠١) ١٣٢٣٣- صحيح

الإهالة : ما أذيب من الشحم ، وقيل : الشحم والزيت ، وقيل : كل دهن اؤتدم به إهالة- السّنِخة : المتَغَيِّرة الرِّيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،كَانَ إِذَا قَرَّبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ إِنَّ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ،وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِهِ تَرَكَهُ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،كَانَ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ،وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،إِنْ أَعْجَبَهُ أَكَلَهُ،وَإِنْ لَمْ يُعْجِبْهُ تَرَكَهُ.

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺطَعَامًا قَطُّ،إِنْ اشْتَهَى شَيْئًا أَكَلَهُ،وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِ تَرَكَهُ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺعَابَ طَعَامًا قَطُّ،كَانَ إِذَا اشْتَهَى أَكَلَهُ،وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِ سَكَتَ ".[١٩٠٧]

وأن يأكل مما يليه،فعن عُمَرَ بْنِ أَبِى سَلَمَةَ قال:كُنْتُ غُلاَمًا فِى حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- وَكَانَتْ يَدِى تَطِيشُ فِى الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- :« يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ،وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ».فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِى بَعْدُ [١٩٠٨].

[١٩٠٧] - مسند أبي عوانة (٦٨١٢ -٦٨١٩) صحيح

[١٩٠٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٣٧٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٣٨٨)

-٤٤ - آداب المعاشرات

فضل حسن الخلق:

قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم

وإنك -أيها الرسول- لعلى خلق عظيم،وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له يأتمر بأمره،وينتهي عما ينهى عنه.

إن إطاقة محمد - ﷺ- لتلقي هذه الكلمة،من هذا المصدر،وهو ثابت،لا ينسحق تحت ضغطها الهائل - ولو أنها ثناء - ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب .. تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن .. هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل.ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة،وعلى لسان أصحابه روايات منوعة كثيرة. وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر. أعظم بصدورها عن العلي الكبير.وأعظم بتلقي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير،وبقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا. لا يتكبر على العباد،ولا ينتفخ،ولا يتعاظم،وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير! واللّه أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان إلا محمد - ﷺ- بعظمة نفسه هذه - من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى. فيكون كفئا لها،كما يكون صورة حية منها.إن هذه الرسالة من الكمال والجمال،والعظمة والشمول،والصدق والحق،بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه اللّه هذا الثناء. فتطيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء. في تماسك وفي توازن،وفي طمأنينة.طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم. ثم يتلقى - بعد ذلك - عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته،بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة. ويعلن هذه كما يعلن تلك،لا يكتم من هذه شيئا ولا تلك .. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم. والعبد الطائع. والمبلغ الأمين.إن حقيقة هذه النفس من حقيقة هذه الرسالة. وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة. وإن الحقيقة المحمدية كالحقيقة الإسلامية لأبعد من مدى أي مجهر يملكه بشر. وقصارى ما يملكه راصد لعظمة هذه الحقيقة المزدوجة أن يراها ولا يحدد مداها. وأن يشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدد هذا المسار! ومرة أخرى أجد نفسي مشدودا للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقي رسول اللّه - ﷺ- لهذه الكلمة من ربه،وهو ثابت راسخ متوازن مطمئن الكيان .. لقد كان - وهو بشر - يثني على أحد أصحابه،فيهتز كيان صاحبه هذا وأصحابه من وقع هذا الثناء العظيم. وهو بشر وصاحبه يعلم أنه بشر. وأصحابه يدركون أنه بشر.

إنه نبي نعم. ولكن في الدائرة المعلومة الحدود. دائرة البشرية ذات الحدود .. فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من اللّه. وهو يعلم من هو اللّه. هو بخاصة يعلم من هو اللّه! هو يعلم منه ما لا يعلمه سواه. ثم يصطبر ويتماسك ويتلقى ويسير ... إنه أمر فوق كل تصور وفوق كل تقدير!!! إنه محمد – وحده – هو الذي يرقى إلى هذا الأفق من العظمة .. إنه محمد – وحده – هو الذي يبلغ قمة الكمال الإنساني المجانس لنفخة اللّه في الكيان الإنساني. إنه محمد – وحده – هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية حتى لتتمثل في شخصه حية،تمشي على الأرض في إهاب إنسان .. إنه محمد – وحده الذي علم اللّه منه أنه أهل لهذا المقام. واللّه أعلم حيث يجعل رسالته – وأعلن في هذه أنه على خلق عظيم. وأعلن في الأخرى أنه – جل شأنه وتقدست ذاته وصفاته،يصلي عليه هو وملائكته «إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ».

وهو – جل شأنه – وحده القادر على أن يهب عبدا من عباده ذلك الفضل العظيم ..

ثم إن لهذه اللفتة دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان اللّه وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية كأصالة الحقيقة المحمدية.

والناظر في هذه العقيدة،كالناظر في سيرة رسولها،يجد العنصر الأخلاقي بارزا أصيلا فيها،تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء .. الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد،ومطابقة القول للفعل،ومطابقتهما معا للنية والضمير والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل،والاعتداء على الحرمات والأعراض،وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور .. والتشريعات في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك،وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع. وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء.

والرسول الكريم يقول:«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .. فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل.

وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم. وتقوم سيرته الشخصية مثالا حيا وصفحة نقية،وصورة رفيعة،تستحق من اللّه أن يقول عنها في كتابه الخالد:«وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» .. فيمجد بهذا الثناء نبيه – ﷺ– كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم،ويشد به الأرض إلى السماء،ويعلق به قلوب الراغبين إليه – سبحانه – وهو يدلهم على ما يحب ويرضى من الخلق القويم.وهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذ في أخلاقية الإسلام. فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة،ولا من اعتبارات أرضية إطلاقا وهي لا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجيل. إنما تستمد من السماء وتعتمد على

السماء. تستمد من هتاف السماء للأرض لكي تتطلع إلى الأفق.

وتستمد من صفات اللّه المطلقة ليحققها البشر في حدود الطاقة،كي يحققوا إنسانيتهم العليا،وكي يصبحوا أهلا لتكريم اللّه لهم واستخلافهم في الأرض وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى:«فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» .. ومن ثم فهي غير مقيدة ولا محدودة بحدود من أي اعتبارات قائمة في الأرض إنما هي طليقة ترتفع إلى أقصى ما يطيقه البشر،لأنها تتطلع إلى تحقيق صفات اللّه الطليقة من كل حد ومن كل قيد.

ثم إنها ليست فضائل مفردة:صدق. وأمانة. وعدل. ورحمة. وبر .... إنما هي منهج متكامل،تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعا،وتنتهي في خاتمة المطاف إلى اللّه. لا إلى أي اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة! وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها واستقامتها واطرادها وثباتها في محمد - ﷺ- وتمثلت في ثناء اللّه العظيم،وقوله:«وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ..[١٩٠٩]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضى الله عنهما - قَالَ لَمْ يَكُنِ النَّبِىُّ - ﷺ- فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا »[١٩١٠].

حسن المعاشرة والعمل الصالح:

١قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٧١) سورة التوبة

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ،وَمَوَدَّةٌ،وَتَعَاوُنٌ،وَتَرَاحُمٌ،وَيَتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ التِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ:فَيَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ وَيَفْعَلُونَ الخَيْرَ،وَيَأْمُرُونَ بِه،وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ،وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا،وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا،وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ،وَيَتْرُكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ.وَالْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَاللهُ عَزِيزُ الجَانِبِ،يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ،وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ،فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ،وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ[١٩١١].

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِىَّ - ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ قَالَ «

[١٩٠٩] - فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٥٦)

[١٩١٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٥٥٩)

[١٩١١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٠٧)

وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا » .قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلاَّ أَنِّى أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.قَالَ « إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ».فَقُلْنَا وَنَحْنُ كَذَلِكَ.قَالَ « نَعَمْ ».فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا»[١٩١٢].

الإحسان في كل شيء:

قال الله تعالى: {وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٩٥) سورة البقرة

بَذَلَ الأَنْصَارُ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَنُصْرَةِ دِينِهِ،وَآوَوا الْمُهَاجِرِينَ وَسَاعَدُوهُمْ،فَلَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلامَ،وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ،قَالَ بَعْضُ الأَنْصَارِ لِبَعْضٍ:لَوْ أَنَّهُمْ أَقْبَلُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحُوهَا.فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هذِهِ الآيَةَ.وَفِيهَا يُبَيِّنُ اللهُ لَهُمْ أَنَّ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ،وَإِصْلاَحَهَا،وَتَرْكَ الغَزْوِ وَالجِهَادِ وَالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ...فِيهِ التَّهْلُكَةُ.فَعَادُوا إِلَى الجِهَادِ،وَإِلَى إِنْفَاقِ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَإِعْلاَءِ كَلِمَتِهِ،وَفِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ.وَأَخْبَرَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ تَرْكَ الجِهَادِ،وَتَرْكَ الإِنْفَاقِ فِيهِ هَلاَكٌ وَدَمَارٌ لِمَنْ لَزِمَهُ وَاعْتَادَهُ،فَإِذَا بَخِلَ الْمُؤْمِنُونَ،وَقَعَدُوا عَنِ الجِهَادِ رَكِبَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ،فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَلْقَوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .ثُمَّ أَمَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يُحْسِنُوا كُلَّ أَعْمَالِهِمْ،وَأَنْ يُجَوِّدُوهَا،وَيَدْخُلُ فِي ذلِكَ التَّطَوُّعُ بِالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللهِ لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ .[١٩١٣]

وقال الله تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٥٦) سورة الأعراف

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالنِّظَامِ،وَبِمَا هَدَى النَّاسَ إِلَيهِ مِنْ حُسْنِ اسْتِغْلاَلِهَا،وَالانْتِفَاعِ بِخَيْرَاتِهَا،وَبِمَا سَخَّرَهُ لَهُمْ مِنْهَا .وَيَشْمَلُ الإِفْسَادُ كُلَّ مَا أَفْسَدَ العُقُولَ وَالعَقَائِدَ،وَالآدَابَ الشَّخْصِيَّةَ وَالمَعَايِشَ وَالمَرَافِقَ مِنْ زِرَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَصِنَاعَةٍ.. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِدُعَائِهِ خَوْفاً مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ شَدِيدِ العِقَابِ،وَطَمَعاً بِمَا عِنْدَهُ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ،فَرَحْمَةُ اللهِ مُرْصَدَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ الذِي يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ .[١٩١٤]

وقال الله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٦) سورة يونس

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الذِينَ يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ اللهِ،وَيُحْسِنُونَ العَمَلَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا،سَيَكُونُ جَزَاؤُهُمُ الحُسْنَى مِنَ اللهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ (وَهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ)،وَسَيُضَاعِفُ اللهُ لَهُمْ ثَوَابَ

[١٩١٢] – صحيح البخارى- المكتز – (٦١٦٧)

[١٩١٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٠٢)

[١٩١٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٠١١)

أَعْمَالِهِمْ (وَزِيَادَةٌ)،وَسَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ،وَسَيُعْطِيهِمْ مَا لاَ عَيْنَ رَأَتْ،وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ،وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .وَلاَ يَغْشَى وُجُوهَهُمْ قَتَامٌ أَسْوَدُ،مِمَّا يَعْتَرِي وُجُوهَ الكَفَرَةِ،مِنَ القَتَرَةِ وَالغَبَرَةِ،وَلاَ يَلْحَقُ بِالمُؤْمِنِينَ صَغَارٌ وَلاَ هَوَانٌ وَلاَ ذِلَّةٌ .وَقَالَ اللهُ تَعَالَى يَصِفُ المُؤْمِنِينَ فِي آيَةٍ أُخْرَى { فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليوم وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً.} لاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ - لاَ يَغْشَى وُجُوهَهُمْ وَلاَ يَعْلُوهَا .[١٩١٥]

اختيار الرفيق والجليس الصالح:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ،وَرَاقِبُوهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِه وَوَاجِبَاتِه،وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيه،وَاصْدقوا وَالزَمُوا الصِّدْقَ تَكُونُوا أَهْلَهُ،وَتَنْجُوا مِنَ المَهَالِك،وَيَجْعَلُ اللهُ لَكُمْ فَرَجاً مِنْ أُمُورِكُمْ وَمَخْرَجاً[١٩١٦] .

وعَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً ».[١٩١٧]

حسن البشاشة واللين:

عَنْ عَقِيلِ بْنِ طَلْحَةَ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَبُو جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيُّ،قَالَ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللَّهُ بِهِ،فَقَالَ:لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي،وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ،وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ،فَإِنَّهُ مِنَ الْمَخِيلَةِ،وَلاَ يُحِبُّهَا اللَّهُ وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ،فَلاَ تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ،فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ،وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ.[١٩١٨]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا،وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ،فَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً،فَأَكْثِرْ مَاءَهَا،وَاغْرِفْ لِجِيرَانِكَ مِنْهَا.[١٩١٩]

[١٩١٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٩١)

[١٩١٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٥٥)

[١٩١٧] - صحيح مسلم- المكثر - (٦٨٦٠)

الكير : منفاخ الحداد ، وكوره : المبني من الطين للنار. -يحذيك : يعطيك ، من الحذية ، والحذيا : العطية.

[١٩١٨] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨١) (٥٢٢) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الأَمْرُ بِتَرْكِ اسْتِحْقَارِ الْمَعْرُوفِ أَمْرٌ قُصِدَ بِهِ الإِرْشَادُ وَالزَّجْرُ عَنْ إِسْبَالِ الإِزَارِ زَجْرُ حَتْمٍ لِعِلَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَهِيَ الْخُيَلاَءُ ، فَمَتَى عُدِمَتِ الْخُيَلاَءُ ، لَمْ يَكُنْ بِإِسْبَالِ الإِزَارِ بَأْسٌ وَالزَّجْرُ عَنِ الشَّتِيمَةِ إِذَا شُوتِمَ الْمَرْءُ ، زَجْرٌ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَقَبْلَهُ ، وَبَعْدَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُشْتَمْ.

[١٩١٩] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨٢)(٥٢٣) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٨٥٧)

التواضع وعدم التكبر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،وَلاَ زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا،وَلاَ تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ. أخرجه مسلم [١٩٢٠]

وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِى بَنِى مُجَاشِعٍ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ:إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ». أخرجه مسلم[١٩٢١]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَىَّ أَنْ تَوَاضَعُوا وَلاَ يَبْغِى بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ». [١٩٢٢]

الصدق وعدم الكذب:

عَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ،وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا،وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ،وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا. متفق عليه [١٩٢٣]

المودة والرحمة وسلامة الصدر:

قال الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٢٩) سورة الفتح

إن مُحمداً ﷺرَسُولُ اللهِ حَقّاً وَصِدْقاً،بلاَ شَكٍّ وَلاَ رَيب،وَإِنَّ أصْحَابَهُ يَتَّصِفُونَ بالصِّفَاتِ الجَمِيلةِ الحَسَنةِ،فَهُمْ أشِدَّاءُ غِلاَظُ القُلُوبِ عَلَى الكُفارِ،وَهُمْ رُحَماءُ مُتَوَادُّونَ فيما بَيْنَهم يَرَاهُم النَّاظِرُ إليهِمْ دَائِبينَ عَلَى أدَاءِ الصَّلاةِ،مُخْلِصينَ فيها للهِ،مُحْتَسِبينَ أجْرَهَا عِنْدَ اللهِ،يَبْتَغُونَ بِصَلاتِهِمْ رِضَا اللهِ وَرِضْوَانَهُ،تَتْرُكُ نُفُوسُهُمُ المُطْمَئِنَّةُ أَثَراً عَلَى وُجُوهِهِمْ،فَهِي هَادِئَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ مَسْتَبْشِرَةٌ،وَهَذِه هِيَ صِفَاتُ المُؤمنينَ المُخْلِصينَ في التوراةِ.وَجَاءَ وَصْفُهُمْ في الإنجيلِ أَنَّ أتْبَاعَ مُحَمَّدٍ سَيَكُونُونَ قَليلينَ ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيكْثُرُونَ وَيَسْتَغْلظُونَ كَزَرْعٍ أخْرَجَ أخْرَجَ مُحَمَّدٍ سَيَكُونُونَ قَليلينَ ثُمَّ يَزْدَادُونَ وَيَكْثُرُونَ وَيَسْتَغْلظُونَ كَزَرْعٍ أخْرَجَ فُروعَهُ (شَطْأَهُ) التي تَتَفَرَّعُ مِنْهُ عَلَى جَوَانِبِهِ،فَيَقْوى وَيَتَحَوَّلُ من الدِّقَّةِ إلى

[١٩٢٠] – صحيح ابن حبان – (٨ / ٤٠)(٣٢٤٨) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٧٥٧)

[١٩٢١] – صحيح مسلم- المكتر – (٧٣٨٩)

[١٩٢٢] – سنن ابن ماجه- المكتر – (٤٣٥٤) صحيح

[١٩٢٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠٩٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٨٠٣) وصحيح ابن حبان – (١ / ٥٠٩)(٢٧٤)

الغِلْظَة،وَيَسْتَقيمُ عَلَى أصُولِهِ فَيُعْجَبُ بِهِ الزَّراعِ لِخِصْبِهِ،وَقُوَّتِه،وَحُسْنِ مَظْهَرِه،وَقَدْ نَمَّاهُمُ اللهُ وأكْثَرَ عَدَدَهُم لِيَغِيظَ بِهِم الكُفَّارَ،وَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنينَ باللهِ وَرَسُولِه،العَامِلينَ للصَّالِحَات،بأن يَغْفِرَ لَهُمْ ذُنُوبَهمْ،وَأنْ يُجْزِلَ لَهُمُ الأجْرَ والعَطَاءَ،وبأنْ يُدْخِلَهُمْ جَنَّاتِه،وَاللهُ لاَ يُخْلِفَ وَعْدَهُ أبداً .[١٩٢٤]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »[١٩٢٥].

وعَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ،يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ».وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ .[١٩٢٦]

كظم الغيظ والعفو عن الزلات:

قال الله تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) } [آل عمران:١٣٣ - ١٣٦]

وَيَنْدُبُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ إلَى القِيَامِ بالأعْمالِ الصَّالِحَة،وَإلى المُسَارَعَةِ فِي فِعْلِ الخَيْرَات،لِيَنَالُوا مَغْفِرَةَ اللهِ وَرِضْوَانَهُ،وَجَنَّتَهُ الوَاسِعَةَ العَرِيضَةَ التي أعَدَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ المُتَّقِينَ،الذينَ يَمْتَثِلُونَ أمْرَهُ .

يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ صِفَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ:إنَّهُمُ الذينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ مَرْضَاةِ اللهِ،فِي الرَّخَاءِ (السَّرَاءِ)،وَفِي الشِّدَّةِ (الضَرَّاءِ)،وَفِي الصِّحَّةِ وَالمَرَضِ،وَفِي جَمِيعِ الأحْوَالِ،لاَ يَشْغَلُهُمْ أمْرٌ عَنْ طَاعَةِ اللهِ،وَالإنْفَاقِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِه،وَإنَّهُمْ يَكْتُمُونَ غَيْظَهُمْ إذَا ثَارَ،وَيَعْفُونَ عَمَّنْ أسَاءَ إلَيهِمْ.وَاللهُ يُحِبُّ الذينَ يَتَفَضَّلُونَ عَلَى عِبَادِهِ البَائِسِينَ،وَيُوَاسُونَهُمْ شُكْراً للهِ عَلَى جَزِيلِ نِعَمِه عَلَيْهِمْ.وَمِنْ صِفَاتِ أهْلِ الجَنَّةِ أنَّهُمْ إذَا صَدَرَ عَنْهُمْ فِعْلَ قَبِيحٌ يَتَعَدَّى أثرُهُ إلَى غَيْرِهِمْ (كَغِيبَةِ إنْسَانٍ)،أو صَدَرَ عَنْهُمْ ذَنْبٌ يَكُونُ مُقْتَصِراً عَلَيْهِمْ (كَشُرْبِ خَمْرٍ وَنَحْوِهِ)،ذَكَرُوا اللهَ تَعَالَى وَوَعِيدَهُ،وَعَظَمَتَهُ وَجَلاَلَهُ،فَرَجَعُوا إلَى اللهِ تَائِبِينَ،طَالِبِينَ مَغْفِرَتَهُ،وَلَمْ يُقِيمُوا عَلى القَبِيحِ مِنْ غَيْرِ اسْتِغْفَارٍ،لِعِلْمِهِمْ أنَّ اللهَ هُوَ الذي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً،وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى الذَّنْبِ،لأنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ مَنْ

[١٩٢٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٤٩١)

[١٩٢٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧٥١)

[١٩٢٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٨١) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٧٥٠)

تَابَ إِلَى اللهِ،تَابَ اللهُ عَلَيه،وَغَفَرَ لَهُ .[١٩٢٧]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذ،عَنْ أَبِيه،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ "[١٩٢٨]

التعاون على البر والتقوى:

قال الله تعالى: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٢) سورة المائدة

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ،قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺبِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةُ،كَانَ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺعَنْ شَيْءٍ،فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ،وَالْإِثْمِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ،وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ،وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " أخرجه مسلم[١٩٢٩]

بذل النصيحة:

قال هود ﷺ لقومه: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ(٦٨)} سورة الأعراف

قَالَ جُمْهُورُ السَّادَةِ مِنْ قَوْمِهِ (المَلأُ):إِنَّنَا نَرَاكَ فِي ضَلالٍ وَفَسَادِ رَأْيٍ (فِي سَفَاهَةٍ)،إِذْ تَدْعُونَا إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ،وَالإِقْبَالِ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ،وَإِنَّنَا نَظُنُّ أَنَّكَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاكَ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا رَسُولاً.فَقَالَ لَهُمْ:إِنَّنِي لَسْتُ سَفِيهاً ضَالاً عَنِ الحَقِّ وَالصَّوَابِ،وَلاَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ،كَمَا تَزْعُمُونَ،وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ إِلَيْكُمْ،وَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالحَقِّ وَالهُدَى مِنَ اللهِ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيءٍ،فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَخَالِقُهُ وَمَالِكُهُ .وَمَهَمَّتِي هِيَ مَهَمَّةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ الذِينَ جَاؤُوا قَبْلِي وَهِيَ إِبْلاغُ رِسَالَةِ اللهِ إِلى عِبَادِهِ،وَإِسْدَاءُ النُّصْحِ إِلِيهِم،وَأَنَا صَادِقٌ فِي نُصْحِي لَكُمْ،أَمِينٌ فِي إِبْلاَغِكُمْ مَا أَمَرَنِي رَبِّي بِإِبْلاَغِهِ إِلَيْكُمْ .[١٩٣٠]

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:الدِّينُ النَّصِيحَةُ،ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،قَالُوا:لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:لِلَّهِ،وَلِكِتَابِهِ،وَلِرَسُولِهِ،وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ،أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ،وَعَامَّتِهِمْ. أخرجه مسلم [١٩٣١]

[١٩٢٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٢٦)

[١٩٢٨] – شعب الإيمان – (١٠ / ٥٣٦) (٧٩٥٠) حسن – كظم غيظا : كظم الغيظ : تجرعه وترك المقابلة عليه.

[١٩٢٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٦٨١) وشعب الإيمان – (١٠ / ٣٦٢)(٧٦٢٨)

[١٩٣٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٠٢١)

[١٩٣١] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٤٣٥)(٤٥٧٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٢٠٥)

وعَنْ جَرِيرٍ قَالَ:بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَقَالَ:فَلَقَّنَنِي فَقَالَ:فِيمَا اسْتَطَعْتَ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفق عليه[١٩٣٢]

الإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: {لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١١٤) سورة النساء

لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِمَا يَتَنَاجَى بِهِ هَؤُلاءِ الذِينَ يُسِرُّونَ الحَدِيثَ،مِنْ جَمَاعَةِ ابْنِ أَبْيَرق،الذِينَ أَرَادُوا مُسَاعَدَتَهُ عَلَى اتِّهَامِ اليَهُودِيِّ وَبَهْتِهِ،وَمَنْ مَاثَلَهُمْ مِنَ النَّاسِ،وَلَنْ يَكُونَ الخَيْرُ فِي نَجْوَى النَّاسِ،إلاَّ إذَا تَنَاوَلَتْ أحَادِيثُهُمْ ذِكْرَ اللهِ،أَوْ أَمْراً بِصَدَقَةٍ،أَوْ أَمْراً بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهْيّاً عَنْ مُنْكَرٍ،أَوْ سَعْياً فِي إِصْلاَحِ ذَاتِ البَيْنِ بَيْنَ أَنَاسٍ مُخْتَلِفِينَ مُتَخَاصِمِينَ.وَمَنْ يَفْعَلْ هَذِهِ الأَعْمَالَ الثَّلاَثَةَ،ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَرْضَاتِهِ لاَ يَبْغِي ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِ اللهِ،فَسَوْفَ يُثِيبُهُ اللهُ ثَوَاباً جَزِيلاً .[١٩٣٣]

وعن مُحَمَّدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ الْمَكِّيِّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ نَعُودُهُ فِي دَارِ الْعَطَّارِينَ،فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ الْمَخْزُومِيُّ يَعُودُهُ،فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ الْحَدِيثُ الَّذِي كُنْتَ حَدَّثْتَنِيهِ،عَنْ أُمِّ صَالِحٍ ارْدُدْهُ عَلَيَّ،فَقَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ صَالِحٍ بِنْتُ صَالِحٍ،عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ،عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ،أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ،أَوْ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "،فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: " مَا أَشَدُّ هَذَا الْحَدِيثَ ".فَقَالَ سُفْيَانُ: " وَمَا شِدَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ،إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيَّكُمْ ﷺ: أَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ } [النساء: ١١٤] إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ أَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا } [النبأ: ٣٨] فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.أَوَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: { وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

قال العلماء : النصيحة لله إخلاص الاعتقاد في الوحدانية ، ووصفه بصفات الألوهية ، وتنزيهه عن النقائص والرغبة في محابّه والبعد من مساخطه. والنصيحة لرسوله : التصديق بنبوته ، والتزام طاعته في أمره ونهيه ، وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه ، وتوقيره ، ومحبته ومحبة آل بيته ، وتعظيمه وتعظيم سنته ، وإحياؤها بعد موته بالبحث عنها ، والتفقه فيها والذب عنها ونشرها والدعاء إليها ، والتخلق بأخلاقه الكريمة ﷺ. وكذا النصح لكتاب الله : قراءته والتفقه فيه ، والذب عنه وتعليمه وإكرامه والتخلق به. والنصح لأئمة المسلمين : ترك الخروج عليهم ، إرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوه من أمور المسلمين ، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم. والنصح للعامة : ترك معاداتهم ، وإرشادهم وحب الصالحين منهم ، والدعاء لجميعهم وإرادة الخير لكافتهم.تفسير القرطبي ـــ موافق للمطبوع - (٨ / ٢٢٧)

[١٩٣٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٧٢٠٤) وصحيح مسلم- المكتر - (٢١٠)

[١٩٣٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٠٧)

الصَّالِحَاتِ،وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر: ٢] فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ "[١٩٣٤]

وقال الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} سورة الحجرات

وإِذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَصلِحُوا - يا أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ - بَينَهما بالعَدْلِ،وذَلِكَ بالدَّعْوةِ إِلى حُكْمِ اللهِ،وَالرِّضَا بِمَا فيه،فإذا أَبَتْ إِحْدَى هَاتِينِ الطَّائِفَتَينِ الإِجَابَةَ إِلى حُكْمِ اللهِ،وَتَجَاوَزَتْ حُدُودَ العَدْلِ،وأَجَابتِ الاخْرى،فَقَاتِلُوا التِي تَعْتَدِي وَتأبى الإِجَابَةَ إِلى حُكْمُ اللهِ،حَتَّى تَرْجِعَ إِليهِ وَتَخْضَعَ لَهُ،فَإِنْ رَجَعَت الطَّائِفَةُ البَاغِيةُ إِلى الرِّضا بِحُكْمِ اللهِ،فَأَصْلِحُوا بَينَهما بالعَدْلِ،وَاعْدِلُوا فِي حُكْمِكُم فإِنَّ اللهَ يُحبُّ العَادِلِينَ،وَيَجزِيهِم أَحْسَنَ الجَزَاءِ.الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الدِّينِ،فأَصْلِحُوا بَينَ الأَخَوينِ الْمُتَقَاتِلَينِ،أو الطَّائِفَتَينِ الْمُتَقَاتِلَتَينِ كَما تُصْلِحُونَ بين الأَخَوينِ منَ النَّسَبِ،وَاتْقُوا اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُم لَعَل اللهَ يَرْحَمُكُم وَيَصْفَحُ عَمَا سَلَفَ مِنْكُم مِنْ ذُنُوبٍ وَهَفَواتٍ .[١٩٣٥]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:أَلاَ أُخْبِرُكُمْ،بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ،وَالْقِيَامِ ؟ قَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ،وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ.[١٩٣٦]

حسن الظن بالمؤمنين:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرًا من ظن السوء بالمؤمنين؛ إن بعض ذلك الظن إثم،ولا تُفتِّشوا عن عورات المسلمين،ولا يقل بعضكم في بعضٍ بظهر الغيب ما يكره. أيحب أحدكم أكل لحم أخيه وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك،فاكرهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين،رحيم بهم.[١٩٣٧]

وقال الله تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}

[١٩٣٤] - شعب الإيمان - (٧ / ٣٠)(٤٦٠٣) فيه جهالة

[١٩٣٥] أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٠٠)

[١٩٣٦] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٤٨٩) (٥٠٩٢) صحيح

[١٩٣٧] - التفسير الميسر - (٩ / ٢٣٣)

يُؤَدِّبُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا،حَينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الإِفْكِ،فَقَالَ تَعَالَى:هَلاَّ إِذْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْقَوْلَ الذي رُمِيَتْ بِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ،فَقُسْتُمْ ذَلِكَ الْكَلاَمَ عَلَى أَنْفُسِكُم،فَإِذَا كَانَ لاَ يَلِيقُ بِكُمْ،فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُ،بِالأَحْرَى وَالأَوْلَى .وَقَالَ تَعَالَى:هَلاَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ الْخَيْرَ،فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلُهُ وَأَوْلَى بِهِ،وَهَلاَّ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ هَذَا كَذِبٌ ظَاهِرٌ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ،فَإِنَّ الذي وَقَعَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا يُرِيبُ،وَذَلِكَ أَنَّ عَائِشَةَ جَاءَتْ رَاكِبَةً جَهْرَةً عَلَى رَاحِلَةِ صِفْوَانِ بنِ الْمُعَطِّلِ السلمِي،فِي وَقْتِ الظَهِيرَةِ،والجَيْشُ بِكَامِلِهِ يُشَاهِدُ ذَلِكَ،وَرَسُولُ اللهِ مَعَهُمْ،فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْفِي كُلَّ شُبْهَةٍ وَشَكٍّ،وَلَوْ كَانَ فِي الأَمْرِ مَا يُرْتَابُ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا جَهْرَةً[١٩٣٨] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ تَنَافَسُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا. متفق عليه[١٩٣٩]

الحب في الله:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي،يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي. أخرجه مسلم[١٩٤٠]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا عَبْدَ اللهِ،أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: " الْوَلَايَةُ فِي اللهِ،الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ،يَا عَبْدَ اللهِ،أَتَدْرِي أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟ " قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ: " فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسَ أَعْلَمُهُمْ بِالْحَقِّ إِذَا اخْتَلَفَ النَّاسُ،وَإِنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ،وَإِنْ كَانَ يَزْحَفُ عَلَى سِتَّةٍ "[١٩٤١]

وعَنِ الْبَرَاءِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوْثَقُ عُرَى الإِسْلامِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ.[١٩٤٢]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- « أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِى فِى هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ فِى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَإِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ

[١٩٣٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٦٨٥)

[١٩٣٩] – صحيح البخارى- المكتر – (٥١٤٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٧٠١) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٥٠٠)(٥٦٨٧)

[١٩٤٠] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧١٣) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٣٣٤) (٥٧٤)

[١٩٤١] – شعب الإيمان – (١٢ / ٧٣) (٩٠٦٤) حسن

[١٩٤٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (١١ / ٤١) (٣١٠٥٩) صحيح لغيره

». أخرجه مسلم[١٩٤٣]

إخبار المؤمن أخاه بمحبته له:

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ،فَلْيُعْلِمْهُ.[١٩٤٤]

حفظ الأمانات:

قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا.وَأَدَاءِ الأَمَانَاتِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الأَمَانَاتِ الوَاجِبَةِ عَلَى الإِنْسَانِ:مِنْ حُقُوقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (مِنْ صَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ...) وَمِنْ حُقُوقِ العِبَادِ (كَالوَدَائِعِ وَغَيرَ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْتَمَنُ الإِنْسَانُ عَلَيهِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ بِيَدِ أَصْحَابِهَا وَثَائِقَ وَبَيِّنَاتٍ عَلَيهَا).هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي عُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،فَقَدْ كَانَتْ لَهُ حِجَابَةُ الكَعْبَةِ.وَلَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺطَافَ الرَّسُولُ ﷺبِالكَعْبَةِ،ثُمَّ دَعَا بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،وَأَخَذَ مِنْهُ مُفْتَاحَ الكَعْبَةِ وَدَخَلَها.فَجَاءَهُ العَبَّاسُ (وَقِيلَ بَلْ جَاءَهُ عَلِي) فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،اجْمَعْ لَنَا حَجَابَةَ الكَعْبَةِ مَعَ السِّقَايَةِ.فَدَعَا رَسُولَ اللهِ بِعُثْمَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَدَفَعَ إِلَيهِ المُفْتَاحَ،وَخَرَجَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ .وَيَأْمُرُ اللهُ المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَحْكُمُوا بَيْنَ النَّاسِ بِالعَدْلِ،وَأَنْ يَكُونَ العَدْلُ عَاماً لِلْبَرِّ وَالفَاجِرِ،وَلِكُلِّ أَحَدٍ،وَأَنْ لاَ يَمْنَعَهُمْ مِنْ إِقَامَةِ العَدْلِ حِقْدٌ أَوْ كَرَاهِيَةٌ أَوْ عَدَاوَةٌ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ،وَيَعِظُ بِهِ المُؤْمِنِينَ،هُوَ الشَّرْعُ الكَامِلُ،وَفِيهِ خَيْرُهُمْ،وَاللهُ سَمِيعٌ لأَقْوَالِ العِبَادِ،بَصِيرٌ بِأَفْعَالِهِمْ،فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّ .[١٩٤٥]

وقال تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (٨) سورة المؤمنون

وَالذينَ إِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا أَمَانَاتِهم،بَلْ يُؤَدُّونَها إِلى أَهْلِهَا،وإِذَا عَاهَدُوا أو عَاقَدُوا أَوْفُوا بِذَلِكَ،وَلَمْ يَخُونُوا وَلَمْ يَغْدُرُوا،وَبقوا مُحَافِظِينَ عَلَى عُهُودِهِمْ وأَمَانَاتِهِمْ وعُقُودِهِمْ .[١٩٤٦]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ،وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ.[١٩٤٧]

حفظ السر:

[١٩٤٣] – صحيح مسلم- المكتز – (٦٧١٤) -المدرجة : الطريق -ترب : تحفظ وتراعى وتربى

[١٩٤٤] – صحيح ابن حبان – (٢ / ٣٢٩) (٥٧٠) صحيح

[١٩٤٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٥١)

[١٩٤٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٥٦١)

[١٩٤٧] – مسند الشاميين ٣٦٠ – (٢ / ٢٥١) (١٢٨٤) صحيح

عَنْ سُلَيمَانَ التَّيْمِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ؛أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺسِرًّا،فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ،وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ[١٩٤٨]..

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ الْعَبَّاسُ لابْنِه عَبْدِ اللهِ بن عباس:يَا بُنَيَّ،إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُقَرِّبُك،وَيَسْتَشِيرُك مَعَ أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺوَيَخْلُو بِكَ،فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلاَثًا:اتَّقِ اللَّهَ لاَ يُجَرِّبَنَّ عَلَيْك كَذْبَةً،وَلاَ تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا،وَلاَ تُغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا،قَالَ:فَقُلْت لابْنِ عَبَّاسٍ:يَا أَبَا عَبَّاسٍ،كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ،قَالَ:وَمِنْ عَشَرَةِ آلاَفٍ."[١٩٤٩]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ لِي أَبِي:" أَيْ بُنَيَّ،إِنِّي أَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ وَيُقَرِّبُكَ وَيَسْتَشِيرُكَ مَعَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَاحْفَظْ عَنِّي ثَلَاثَ خِصَالٍ:اتَّقِ اللَّهَ لَا يُجَرِّبَنَّ عَلَيْكَ كَذْبَةً،وَلَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا،وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ".قَالَ عَامِرٌ:فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ:كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ،قَالَ:كُلُّ وَاحِدَةٍ خَيْرٌ مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ "[١٩٥٠]

خدمة أهل العلم والفضل:

عَنْ أَنَسٍ،قَالَ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺعَشْرَ سِنِينَ،فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ،وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ:لِمَ صَنَعْتَهُ ؟ وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ:لِمَ تَرَكْتَهُ ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا،وَلاَ مَسِسْتُ خَزًّا قَطُّ،وَلاَ حَرِيرًا،وَلاَ شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ،وَلاَ شَمَمْتُ مِسْكًا قَطُّ،وَلاَ عِطْرًا،كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.[١٩٥١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ،فَوَضَعْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺطَهُورًا،فَقَالَ:مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ قَالَتْ مَيْمُونَةُ:عَبْدُ اللهِ،فَقَالَ ﷺ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ.[١٩٥٢]

الإيثار ومواساة المحتاجين:

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩) سورة الحشر

أَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الأَنْصَارِ مُبِيِّناً فَضْلَهُمْ وَشَرَفَهُمْ وَكَرَمَهُمْ،حِينَ جَعَلَ اللهُ الفَيءَ لِإِخْوَانِهِم المُهَاجِرِينَ دُونَهُمْ،فَقَالَ تَعَالَى:والذِينَ سَكَنُوا دَارَ الهِجْرَةِ قَبْلَ المُهَاجِرِينَ،وَآمَنُوا قَبْلَ كَثِيرٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ،يُحِبُّونَ

[١٩٤٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٢٨٩)

[١٩٤٩] – مصنف ابن أبي شيبة – (٨ / ٣٨٤) (٢٦٠٤٠) حسن

[١٩٥٠] – حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ (١١٦٠) حسن

[١٩٥١] – سنن الترمذى- المكتر – (٢١٤٧) صحيح

[١٩٥٢] – صحيح البخارى- المكتر – (١٤٣) وصحيح ابن حبان – (١٥ / ٥٣١) (٧٠٥٥)

الْمُهَاجِرِينَ،وَيَتَمَنَّوْنَ لَهُمْ الخَيْرَ،كَمَا يَتَمَنَّوْنَهُ لأَنْفُسِهِمْ،وَقَدْ أَسْكَنُوا الْمُهَاجِرِينَ فِي دُورِهِمْ،وَأَشْرَكُوهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ حَتَّى نَزَلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضِ نِسَائِه لِلْمُهَاجِرِينَ.وَقَدْ فَعَلُوا ذَلِكَ وَنُفُوسُهُمْ طَيِّبَةٌ،وَأَعْيُنُهُمْ قَرِيرَةٌ بِمَا يَفْعَلُونَ،لاَ يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَسَداً لِلْمُهَاجِرِينَ.وَلاَ ضِيقاً بِهِمْ لِمَا فَضَّلَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ والشَّرَفِ وَالتَّقْدِيمِ فِي الذِّكْرِ والرُّتْبَةِ،وَلِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ مَغْنَمِ بَنِي النَّضِيرِ دُونَهُمْ .وَهُمْ يُقَدِّمُونَ أَهْلَ الحَاجَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ،وَيَبْدَؤُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ .وَمَنْ سَلِمَ مِنْ آفَةِ الحِرْصِ عَلَى الْمَالِ وَالبُخْلِ،فَقَدْ فَازَ وَأَفْلَحَ[١٩٥٣] .

وقال الله تعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (٢٧٤) سورة البقرة

يَمْدَحُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يُنْفِقُونَ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ وَالأَحْوَالِ،فِي السِّرِّ وَالعَلاَنِيَةِ،وَهُمْ لاَ يَبْتَغُونَ مِنْ وَرَاءِ إِنْفَاقِهِمْ إلا مَرْضَاةَ اللهِ فَهَؤُلاءِ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عَنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَلا يَخَافُونَ هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ،وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوا مِنْ لَذَائِذِ الدُّنيا .[١٩٥٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا،نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا،سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ،وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ،وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ،إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ،وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ،وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ،وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ،وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ،لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ. أخرجه مسلم[١٩٥٥]

الصبر في جميع الأحوال:

قال الله تعالى: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) } [العصر:١-٣].

أقسم تعالى بالعصر،الذي هو الليل والنهار،محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر،والخاسر ضد الرابح.والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارًا مطلقًا،كحال من خسر الدنيا والآخرة،وفاته النعيم،واستحق الجحيم.

وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض،ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان،إلا من اتصف

[١٩٥٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٠١٣)

[١٩٥٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٨١)

[١٩٥٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٦٨)(٧٤٢٧) ٧٤٢١– وصحيح مسلم– المكتر – (٧٠٢٨)

بأربع صفات:

الإيمان بما أمر الله بالإيمان به،ولا يكون الإيمان بدون العلم،فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح،وهذا شامل لأفعال الخير كلها،الظاهرة والباطنة،المتعلقة بحق الله وحق عباده،الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق،الذي هو الإيمان والعمل الصالح،أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك،ويحثه عليه،ويرغبه فيه.والتواصي بالصبر على طاعة الله،وعن معصية الله،وعلى أقدار الله المؤلمة.فبالأمرين الأولين،يكمل الإنسان نفسه،وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره،وبتكميل الأمور الأربعة،يكون الإنسان قد سلم من الخسار،وفاز بالربح [العظيم].[١٩٥٦]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١٥٣) سورة البقرة

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ أَنَّ خَيْرَ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِمْ،وَالدِّفَاعَ عَنْهُ،وَعَلَى سَائِرِ مَا يَشُقُّ عَلَيهِمْ مِنْ مَصَائِبِ الحَيَاةِ هُوَ التَّحَلِّي بِالصَّبْرِ،وَتَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى احتِمَالِ المَكَارِهِ،وَأَدَاءِ الصَّلاَةِ وَإِقَامَتِهَا حَقَّ إِقَامَتِهَا.فَالصَّبْرِ أَشَدُّ الأَعْمَالِ البَاطِنَةِ عَلَى النَّفْسِ،وَالصَّلاَةُ أَشَدُّ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ عَلَى البَدَنِ،وَاللهُ نَاصِرُ الصَّابِرِينَ،وَمُجِيبٌ لِدُعَائِهِمْ .[١٩٥٧]

وقال الله تعالى: { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) }[البقرة:١٥٥ - ١٥٧]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بِشَيءٍ) مِنْ الخَوْفِ والجُوعِ،وَبِذَهَابِ بَعْضِ المَالِ،وَبِمَوتِ بَعْضِ الأَصْحَابِ وَالأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ،وَبِنَقْصِ غِلاَلِ المَزَارِعِ...فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ أَثَابَهُ،وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ.أَمَّا الصَّابِرُونَ الذِينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالبُشْرَى فَهُمُ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ،وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا،وَتَمَسَّكُوا بِقَولِهِمْ:إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ،أَيْ إِنَّهُم عَبِيدُ اللهِ وَمُلْكُهُ،وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِليهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ .يُثنِي اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّابِرِينَ،وَيُخْبِرُ بَأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ،وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ،وَأَنَّهُمْ هُمُ المُهْتَدُونَ إِلى طَرِيقِ الخَيْرِ،وَإِلى الحَقِّ والصَّوابِ،وَأَنَّهُمُ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذِ الجَزَعُ عَلَيهِمْ [١٩٥٨].

[١٩٥٦] – تفسير السعدي – (١ / ٩٣٤)

[١٩٥٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٦٠)

[١٩٥٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٦٢)

عدم المنّ على الناس:

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (٢٦٢) سورة البقرة

يَمْدَحُ الله تَعَالَى الذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ اللهِ،وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِه ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ إِنْفَاقَهُم مَنّاً عَلَى النَّاسِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ،وَلاَ يَفْعَلُونَ مَعَ مَنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ مَكْرُوهاً أَوْ أَذًى يُحْبِطُونَ بِه مَا أَسْلَفُوهُ مِنَ الإِحْسَانِ،فَهَؤلاءِ ثَوَابُهُمْ عَلَى اللهِ لا عَلَى أَحَدٍ سِوَاهُ،وَلا خَوْفٌ عَلَيهِمْ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوالِ يَوْمِ القِيَامَةِ،وَلا يَحْزَنُونَ عَلَى مَا خَلَّفُوهُ فِي الدُّنْيا مِنَ الأَوْلادِ وَالأَمْوالِ،وَلا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ الحَيَاةِ وَزِينَتِها،لأَنَّهُمْ صَارُوا إِلى خَيْرٍ مِمَّا كَانُوا فِيه .[١٩٥٩]

وعَنْ أَبِى ذَرٍّ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ثَلاَثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ ». أخرجه مسلم[١٩٦٠]

عدم الفخر والخيلاء:

قال الله تعالى:{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)} [لقمان:١٨-١٩].

وَلاَ تُعْرِضْ بِوجَهِكَ عَنِ النَّاسِ كِبْراً واسْتِعْلاءً،ولكِنْ أَقبِلْ عَليهِمْ بِوَجْهِكَ كُلِّه إذا كَلَّمْتَهُم،مُسْتَبْشِراً مُتَهَلِّلاً مِنْ غير كِبْرٍ وَلاَ عُتُوٍّ،وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مُتَبَخْتِراً،مُعْجَباً بِنَفْسِكَ كالجَبَّارِينَ الطُّغَاةِ المُتَكَبِّرِينَ (مَرَحاً)،بَلِ امْشِ هَوْناً مِشْيَةَ المُتَواضِعِينَ للهِ،فَيُحِبَّكَ اللهُ،ويُحِبَّكَ خَلْقُهُ،واللهُ تَعَالَى لا يُحِبُّ المُعْجَبَ بِنَفْسِه (المُخْتَالَ) الفَخُورَ عَلى غَيْرِه.وَامشِ مُقْتَصِداً فِي مَشْيِكَ،عَدْلاً وَسَطاً بَيْنَ البَطِيءِ المُتَثَبِّطِ،والسَّرِيعِ المُفْرِطِ،وَلا تُبَالِغْ فِي الكَلامِ،وَلا تَرْفَعَ صَوْتَكَ فِيمَا لا فَائِدَةَ مِنْهُ،وَحِينَما لاَ تَكُونَ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلى رَفْعِ الصَّوتِ،فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْقَرَ لِلمُتَكَلِّمِ،وأَبْسَطَ لِنَفْسِ السَّامِعِ.ثُمَّ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه مُنَفِّراً إِيَّاهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِه حِينَما لاَ يَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةً لِذلِك:إِنَّ الحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِندَ النَّهِيقِ،ولكِنَّ الصَّوْتَ الذِي يَصْدُرُ عَنْهُ قَبِيحٌ مُنْكَرٌ،فَلاَ يَلِيقُ بِالإِنسَانِ العَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الحِمَارِ .[١٩٦١]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِى فِى بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ

[١٩٥٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٦٩)

[١٩٦٠] - صحيح مسلم- المكتز - (٣٠٦)

[١٩٦١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣٦٨)

فَخَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »[١٩٦٢].

- **اجتناب الغيبة والنميمة:**

١- قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟». قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ،وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». أخرجه مسلم[١٩٦٣].

اجتناب السخرية والتنابز بالألقاب:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيرًا من الهازئين،ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات؛ عسى أن يكون المهزوء به منهنَّ خيرًا من الهازئات،ولا يَعِبْ بعضكم بعضًا،ولا يَدْعُ بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب،بئس الصفة والاسم الفسوق،وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب،بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه،ومن لم يتب من هذه السخرية واللمز والتنابز والفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي.[١٩٦٤]

وقال الله تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} (١٤٠) سورة النساء

وقد نزل عليكم -أيها المؤمنون- في كتاب ربكم أنه إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها فلا تجلسوا مع الكافرين والمستهزئين،إلا إذا أخذوا في حديث غير حديث الكفر والاستهزاء بآيات الله. إنكم إذا جالستموهم،وهم على ما هم عليه،فأنتم مثلهم؛ لأنكم رضيتم بكفرهم

[١٩٦٢] - صحيح مسلم- المكتز - (٥٥٨٨) -يتجلجل : يتحرك مع جلبة فى حركته

([١٩٦٣]) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

[١٩٦٤] - التفسير الميسر - (٩ / ٢٣٢)

واستهزائهم،والراضي بالمعصية كالفاعل لها. إن الله تعالى جامع المنافقين والكافرين في نار جهنم جميعًا،يلْقَون فيها سوء العذاب.[١٩٦٥]

وقال تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٦٨) سورة الأنعام

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِسُونَ إِلى النَّبِيِّ ﷺيُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ،فَإِذَا سَمِعُوا اسْتَهْزَؤُوا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ إِذَا اسْتَهْزَؤُوا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ فَحَذِرُوا،وَقَالُوا لاَ تَسْتَهْزِئُوا فَيَقُومُ.وَالْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الآيَةِ الرَّسُولُ ﷺوَالْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ الْمُنْزَلَةِ،مِنَ الكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ،وَأَهْلَ الأَهْوَاءِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ،وَأَنْ لاَ يَجْلِسَ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ غَيْرَ حَدِيثِ الكُفْرِ وَالاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللهِ أَوْ تَأْوِيلِهَا بِالبَاطِلِ مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ،وَإِذَا أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ،أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ،هَذَا النَّهْيَ،وَقَعَدْتَ مَعَهُمْ،وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ،ثُمَّ ذَكَرْتَ فَقُمْ عَنْهُمْ،وَلاَ تَقْعُدْ مَعَ هؤُلاَءِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ،وَالاسْتِهْزَاءِ بِهَا .[١٩٦٦]

اجتناب التحاسد والتباغض والتهاجر:

قال الله تعالى: { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)} [النساء:٥٤،٥٥]

إِنَّ هَؤُلاَءِ يُرِيدُونَ أَنْ يَضِيقَ فَضْلُ اللهِ بِعِبَادِهِ،وَلاَ يُحِبُّونَ أَنْ يَكُونَ لأُمَّةٍ فَضْلٌ أَكْثَرُ مِمَّا لَهُمْ أَوْ مِثْلُهُمْ،لِمَا اسْتَحْوذَ عَلَيْهِمْ مِنَ الغُرُورِ بِنَسَبِهِمْ،وَتَقَالِيدِهِمْ،مَعَ سُوءِ حَالِهِمْ.وَإِنَّ حَسَدَهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ،عَلَى مَا رَزَقَهُ اللهُ مِنَ النُّبُوَّةِ العَظِيمَةِ،هُوَ الذِي مَنَعَهُمْ مِنَ التَّصْدِيقِ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ،لأَنَّهُ مِنَ العَرَبِ،وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ .وَإِنْ يَحْسُدُوا مُحَمَّداً عَلَى مَا أُوتِيَ،فَقَدْ أَخْطَؤُوا إِذْ أَنَّ مَا أَتَى اللهُ مُحَمَّداً لَيْس بِدْعاً مِنَ اللهِ،فَقَدْ آتَى اللهُ هَذا آلَ إِبْرَاهِيمَ،وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ،فَلِمَاذَا يَعْجَبُونَ مِمَّا آتَى اللهُ مُحَمَّداً،وَلَمْ يَعْجَبُوا مِمَّا آتَى آلَ إِبْرَاهِيمَ؟

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ فَرِيقٌ،مِنْ أَقْوَامِ هَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءِ،بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ،وَكَفَرَ فَرِيقٌ وَسَعَى فِي الأَرْضِ يُفْسِدَ فِيهَا،وَيَصُدُّ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ،وَعَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ،وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ،وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتُبَ اللهِ وَرُسُلَهُ[١٩٦٧] .

[١٩٦٥] – التفسير الميسر – (٢ / ١٣٨)

[١٩٦٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٨٥٨)

[١٩٦٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٤٧)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:لاَ تَبَاغَضُوا،وَلاَ تَحَاسَدُوا،وَلاَ تَدَابَرُوا،وَكُونُوا عِبَادًا لِلَّهِ إِخْوَانًا،وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ. متفق عليه [١٩٦٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ،فَيُغْفَرُ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ الْمُتَهَاجِرَيْنِ،يَقُولُ:رُدُّوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.. أخرجه مسلم [١٩٦٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ،فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،إِلاَّ رَجُلاً كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ،فَيُقَالُ:أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا. [١٩٧٠]

[١٩٦٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠٦٥) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٦٩٠) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٧٦) (٥٦٦٠)

[١٩٦٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٠٩) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٨٠) (٥٦٦٣) -أنظروا : أخروا وأمهلوا

[١٩٧٠] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٨٢)(٥٦٦٦) صحيح

-٤٥ - آداب الرؤيا

فضل الرؤيا الصالحة:

عَنِ الزُّهْرِىِّ حَدَّثَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ « لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ ».قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ».أخرجه البخاري[١٩٧١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ »[١٩٧٢] .

أقسام الرؤيا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ،لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ،وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا،أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا،وَالرُّؤْيَا جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ.[١٩٧٣] .

وعن مُحَمَّدَ بْنُ سِيرِينَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ،وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ.» قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَقُولُ هَذِهِ قَالَ وَكَانَ يُقَالُ الرُّؤْيَا ثَلاَثٌ حَدِيثُ النَّفْسِ،وَتَخْوِيفُ الشَّيْطَانِ،وَبُشْرَى مِنَ اللَّهِ،فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلاَ يَقُصُّهُ عَلَى أَحَدٍ،وَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ.قَالَ وَكَانَ يُكْرَهُ الْغُلُّ فِى النَّوْمِ،وَكَانَ يُعْجِبُهُمُ الْقَيْدُ،وَيُقَالُ الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ.متفق عليه[١٩٧٤]

عدم الكذب في حكاية الرؤيا:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ،كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ،وَلَنْ يَفْعَلَ،وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ،صُبَّ فِى أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً،عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا،وَلَيْسَ بِنَافِخٍ »[١٩٧٥] .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- قَالَ « مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِىَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ ».أخرجه

[١٩٧١] -صحيح البخارى- المكتر - (٦٩٩٠)

[١٩٧٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٩٨٣)

[١٩٧٣] - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٠٤)(٦٠٤٠) صحيح

[١٩٧٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٧٠١٧) وصحيح مسلم- المكتر -(٦٠٤٢)

الغل : القيد فى العنق وهو يفسر فى الرؤيا بتحمل دين أو مظالم

[١٩٧٥] - صحيح البخارى- المكتر - (٧٠٤٢) -الآنك : الرصاص الخالص

البخاري[١٩٧٦]

عدم الإخبار بتلعب الشيطان به في المنام:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ فِى الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِى قُطِعَ. قَالَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ -ﷺ- وَقَالَ « إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِى مَنَامِهِ فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ ». أخرجه مسلم[١٩٧٧]

أنسب الأوقات في حكاية الرؤيا وتعبيرها:

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا »[١٩٧٨].

وعن سَمُرَةَ بْنُ جُنْدَبٍ - رضى الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ « هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا ».قَالَ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ،وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ « إِنَّهُ أَتَانِى اللَّيْلَةَ آتِيَانِ،وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِى،وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِى انْطَلِقْ.وَإِنِّى انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا،وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ،وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ،وَإِذَا هُوَ يَهْوِى بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ،فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا،فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ،فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ،ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ،فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى.قَالَ قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقْ - قَالَ - فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ،وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ،وَإِذَا هُوَ يَأْتِى أَحَدَ شِقَّىْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ،وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ - قَالَ وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ فَيَشُقُّ - قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ،فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ،فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ،ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الأُولَى.قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقْ.فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ - قَالَ - فَاطَّلَعْنَا فِيهِ،فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ،وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ،فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا - قَالَ - قُلْتُ لَهُمَا مَا هَؤُلاَءِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقِ انْطَلِقْ.قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ،وَإِذَا فِى النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ،وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً،وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ،ثُمَّ يَأْتِى ذَلِكَ الَّذِى قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ،ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ،كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ

[١٩٧٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٧٠٤٣) -(أفرى الفرى) أكذب الكذبات ، والفرية : الكذب ، والجمع : الفرى.

[١٩٧٧] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٠٦٤)

[١٩٧٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٠٧٦)

فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا – قَالَ – قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقِ انْطَلِقْ.قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلاً مَرْآةً،وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا – قَالَ – قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقِ انْطَلِقْ.فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ،وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَىِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِى السَّمَاءِ،وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ – قَالَ – قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا مَا هَؤُلاَءِ قَالَ قَالاَ لِى انْطَلِقِ انْطَلِقْ.– قَالَ – فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ.– قَالَ – قَالاَ لِى ارْقَ فِيهَا.قَالَ فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ،فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا،فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ،وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ – قَالَ – قَالاَ لَهُمُ اذْهَبُوا فَقَعُوا فِى ذَلِكَ النَّهَرِ.قَالَ وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِى كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِى الْبَيَاضِ،فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ،ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ،فَصَارُوا فِى أَحْسَنِ صُورَةٍ – قَالَ – قَالاَ لِى هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ،وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ.قَالَ فَسَمَا بَصَرِى صُعُدًا،فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ – قَالَ – قَالاَ هَذَاكَ مَنْزِلُكَ.قَالَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا،ذَرَانِى فَأَدْخُلَهُ.قَالاَ أَمَّا الآنَ فَلاَ وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.قَالَ قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّى قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا،فَمَا هَذَا الَّذِى رَأَيْتُ قَالَ قَالاَ لِى أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ،أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ،فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ،وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ،وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ،وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ،فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ،وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِى.وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِى النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ،فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا،وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِى عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا،فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ،وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِى فِى الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ – ﷺ– وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ».قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– « وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ.وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا،فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا،تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ »[١٩٧٩] .

ابتعثاني:الابتعاث:افتعال من البعث،وهو الإنباه والإثارة من النوم.

يهوي:الهوي:الوقوع من العلو إلى السفل.

فيثلغ:الثلغ:الشدخ،وقيل:هو أن يضرب الشيء اللين بالشيء الصلب حتى ينشدخ.

فيتدهده:التدهده:التدحرج،ويروى:«يتدهدى» بياء،وهو مثله.

[١٩٧٩] – صحيح البخارى– المكتر – (٧٠٤٧)

بكلوب:الكلوب:حديدة معوجة الرأس.

فيشرشر:يشرشر:يقطع ويشق.

لغط: اللغط:الضجة والجلبة.

ضوضوا:الضوضاة [والضوضاء]:أصوات الناس وغلبتهم،يقال منه:ضوضوا بلا همز.

فغر فاه:إذا فتحه. كريه المرآة فلان كريه المرآة،أي:قبيح المنظر،يقال:امرأة حسنة المرآة والمرأى،أي:حسنة المنظر،وفلان حسن في مرآة العين،أي:في المنظر،ووزنها في الأصل:مفعلة.

يحشها حش النار يحشها:إذا أوقدها.

معتمة أي:طويلة النبات،يقال:اعتم النبت:إذا طال.

نور النور بفتح النون:الزهر.

ظهري يقال:قعدت بين ظهري القوم وظهرا نيهم،أي:بينهم،وقد تقدم شرح ذلك مستقصى في حرف الهمزة.

دوحة الدوح:الشجر العظام.

المحض من كل شيء:الخالص منه،وهو اللبن الخالص،كأنه سمي بالصفة،ثم استعمل في الصفاء،فقيل:عربي محض،أي:خالص،ونحو ذلك.

جنة عدن عدن بالمكان:إذا أقام به وثبت،يعني:جنة إقامة

صعدا يقال:نما النبت صعدا:أي:ازداد طولا،يريد:ارتفع بصره إلى فوق.

الربابة السحابة،وجمعها:رباب،وتكون بيضاء وسوداء،والمراد بها في الحديث:البيضاء.[١٩٨٠]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:أَصْدَقُ الرُّؤْيَا بِالأَسْحَارِ.[١٩٨١]

ما يقول ويفعل إذا رأى في منامه ما يحب أو يكره:

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ،قَالَ:لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي،حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ:وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي،حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ :الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللهِ،فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ،فَلاَ

[١٩٨٠] – جامع الأصول في أحاديث الرسول – (٢ / ٥٣٥)

[١٩٨١] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٤٠٦)(٦٠٤١) حسن

واعتبره ابن عدي مما تفرد به دراج أبي السمح عن أبي الهثيم عن أبي سعيد .

قلت : لكن صححه ابن حبان والحاكم والذهبي وسكت عليه الحافظ ابن حجر في الفتح و مجرد تفرد دراج به لا يضر إذا لم يخالف الثقات ، ولا نعلم حديثا يعارضه بل هناك نصوص قرآنية وحديثية تبين فضيلة الأسحار ...

يُحَدِّثْ بِهِ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ،وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ،فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا،وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ،وَلْيَتْفِلْ ثَلاَثًا،وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا،فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ.[١٩٨٢].

وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا،فَإِنَّهَا مِنَ اللَّهِ،فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا،وَلْيُحَدِّثْ بِهَا،وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ،فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ الشَّيْطَانِ،فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا،وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ،فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ » أخرجه البخاري[١٩٨٣].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ ». قَالَ « وَأُحِبُّ الْقَيْدَ وَأَكْرَهُ الْغُلَّ وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِى الدِّينِ ».فَلاَ أَدْرِى هُوَ فِى الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ.[١٩٨٤]

الاستبشار برؤية النبي ﷺ في المنام:

عَنِ الزُّهْرِىِّ حَدَّثَنِى أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِىَّ - ﷺ- يَقُولُ « مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَسَيَرَانِى فِى الْيَقَظَةِ،وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِى ». متفق عليه[١٩٨٥]

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « مَنْ رَآنِى فِى النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِى إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِى صُورَتِى ». وَقَالَ « إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يُخْبِرْ أَحَدًا بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِى الْمَنَامِ ». أخرجه مسلم[١٩٨٦]

قالَ القاضِي أَبُو بَكر بن العَرَبِيّ:رُؤيَة النَّبِيّ ﷺبصِفَتِه المَعلُومَة إدراك عَلَى الحَقِيقَة،ورُؤيَته عَلَى غَير صِفَته إدراك لِلمِثالِ،فَإنَّ الصَّواب أَنَّ الأَنبياء لا تُغَيِّرهُم الأَرض،ويَكُون إدراك الذّات الكَرِيمَة حَقِيقَة وإدراك الصِّفات إدراك المَثَل.

قالَ وشَذَّ بَعض القَدَرِيَّة فَقالَ:الرُّؤيا لا حَقِيقَة لَها أَصلاً وشَذَّ بَعض الصّالِحِينَ فَزَعَمَ أَنَّها تَقَع بِعَينَي الرَّأس حَقِيقَة،وقالَ بَعض المُتَكَلِّمِينَ:هِيَ مُدرَكَة بِعَينَينِ فِي القَلب قالَ.

وقَوله:"فَسَيَرانِي " مَعناهُ فَسَيَرَى تَفسِير ما رَأَى لأَنَّهُ حَقّ وغَيب أُلقِيَ فِيهِ،وقِيلَ مَعناهُ فَسَيَرانِي فِي

[١٩٨٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٠٤٤)

[١٩٨٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٠٤٥)

[١٩٨٤] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٠٤٢)

الغل : القيد فى العنق وهو يفسر فى الرؤيا بتحمل دين أو مظالم

[١٩٨٥] – صحيح البخارى- المكتر –(٦٩٩٣) وصحيح مسلم- المكتر –(٦٠٥٧)

[١٩٨٦] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٠٦٠)

القِيامَة،ولا فائدَة فِي هَذا التَّخصِيص.

وأَمّا قَولُه:"فَكَأَنَّما رَآني " فَهُو تَشبِيه ومَعناهُ أَنَّهُ لَو رَآهُ فِي اليَقَظَة لَطابَقَ ما رَآهُ فِي المَنام فَيَكُون الأَوَّل حَقًّا وحَقِيقَة والثّانِي حَقًّا وتَمثِيلاً،قالَ:وهَذا كُلّه إذا رَآهُ عَلَى صُورَته المَعرُوفَة:فَإن رَآهُ عَلَى خِلاف صِفَته فَهِيَ أَمثال،فَإن رَآهُ مُقبِلاً عَلَيه مَثَلاً فَهُو خَير لِلرّائِي وفِيه وعَلَى العَكس فَبالعَكس.

وقالَ النَّوويّ قالَ عِياض:يَحتَمِل أَن يَكُون المُراد بِقَولِه فَقَد رَآني أَو فَقَد رَأَى الحَقّ أَنَّ مَن رَآهُ عَلَى صُورَته فِي حَياته كانَت رُؤياهُ حَقًّا،ومَن رَآهُ عَلَى غَير صُورَته كانَت رُؤيا تَأوِيل.

وتَعَقَّبَهُ فَقالَ:هَذا ضَعِيف بَل الصَّحِيح أَنَّهُ يَراهُ حَقِيقَة سَواء كانَت عَلَى صِفَته المَعرُوفَة أَو غَيرها انتَهَى.

ولَم يَظهَر لِي مِن كَلام القاضِي ما يُنافِي ذَلِكَ،بَل ظاهِر قَوله أَنَّهُ يَراهُ حَقِيقَة فِي الحالَين.لَكِن فِي الأُولَى تَكُون الرُّؤيا مِمّا لا يَحتاج إِلَى تَعبِير والثّانِيَة مِمّا يَحتاج إِلَى التَّعبِير.

قالَ القُرطُبِيّ:اُختُلِفَ فِي مَعنَى الحَدِيث فَقالَ قَوم هُو عَلَى ظاهِره فَمَن رَآهُ فِي النَّوم رَأَى حَقِيقَته كَمَن رَآهُ فِي اليَقَظَة سَواء،قالَ وهَذا قَول يُدرَك فَسادُهُ بِأَوائِل العُقُول،ويَلزَم عَلَيه أَن لا يَراهُ أَحَد إِلاَّ عَلَى صُورَته الَّتِي ماتَ عَلَيها وأَن لا يَراهُ رائِيان فِي آنٍ واحِد فِي مَكانَين وأَن يَحيا الآن ويَخرُج مِن قَبره ويَمشِي فِي الأَسواق ويُخاطِب النّاس ويُخاطِبُوهُ ويَلزَم مِن ذَلِكَ أَن يَخلُو قَبرُهُ مِن جَسَده فَلا يَبقَى مِن قَبره فِيه شَيء فَيُزار مُجَرَّد القَبر ويُسَلَّم عَلَى غائِب لأَنَّهُ جائِز أَن يُرَى فِي اللَّيل والنَّهار مَعَ اتِّصال الأَوقات عَلَى حَقِيقَته فِي غَير قَبره،وهَذِه جَهالات لا يَلتَزِم بِها مَن لَهُ أَدنَى مُسكَة مِن عَقل.

وقالَت طائِفَة:مَعناهُ أَنَّ مَن رَآهُ رَآهُ عَلَى صُورَته الَّتِي كانَ عَلَيها،ويَلزَم مِنهُ أَنَّ مَن رَآهُ عَلَى غَير صِفَته أَن تَكُون رُؤياهُ مِنَ الأَضغاث،ومِن المَعلُوم أَنَّهُ يُرَى فِي النَّوم عَلَى حالَة تُخالِف حالَته فِي الدُّنيا مِنَ الأَحوال اللاَّئِقَة بِه وتَقَع تِلكَ الرُّؤيا حَقًّا كَما لَو رُئِيَ مَلَكًا دارًا بِجسمِه مَثَلاً فَإِنَّهُ يَدُلّ عَلَى امتِلاء تِلكَ الدّار بِالخَيرِ،ولَو تَمَكَّنَ الشَّيطان مِنَ التَّمثِيل بِشَيءٍ مِمّا كانَ عَلَيه أَو يُنسَب إِلَيه لَعارَضَ عُمُومَ قَولِه:"فَإِنَّ الشَّيطان لا يَتَمَثَّل بِي " فالأَولَى أَن تُنَزَّه رُؤياهُ وكَذا رُؤيا شَيء مِنهُ أَو مِمّا يُنسَب إِلَيه عَن ذَلِكَ،فَهُو أَبلَغُ فِي الحُرمَة وأَلَيقُ بِالعِصمَة كَما عُصِمَ مِنَ الشَّيطان فِي يَقَظَته.

قالَ:والصَّحِيح فِي تَأوِيل هَذا الحَدِيث أَنَّ مَقصُوده أَنَّ رُؤيَته فِي كُلّ حالَة لَيسَت باطِلَة ولا أَضغاثًا بَل هِيَ حَقّ فِي نَفسها ولَو رُئِيَ عَلَى غَير صُورَته فَتَصَوُّر تِلكَ الصُّورَة لَيسَ مِنَ الشَّيطان بَل هُو مِن قِبَل الله وقالَ وهَذا قَول القاضِي أَبِي بَكر بن الطَّيِّب وغَيره،ويُؤَيِّدهُ قَولُه:"فَقَد رَأَى الحَقّ" أَي رَأَى الحَقّ الَّذِي قَصَدَ إِعلام الرّائِي بِه فَإِن كانَت عَلَى ظاهِرها وإِلاَّ سَعَى فِي تَأوِيلها ولا يُهمِل أَمرها لأَنَّها إِمّا بُشرَى بِخَيرٍ أَو إِنذار مِن شَرّ إِمّا لِيُخِيفَ الرّائِي وإِمّا لِيَترَجِر عَنهُ وإِمّا لِيُنَبِّه عَلَى حُكم يَقَع لَهُ فِي دِينه أَو دُنياهُ.

وقالَ ابن بَطّال قَولُه:"فَسَيَراني فِي اليَقَظَة " يُريد تَصديق تِلكَ الرُّؤيا فِي اليَقَظَة وصِحَّتها وخُرُوجها عَلَى الحَقّ،ولَيسَ المُراد أَنَّهُ يَراهُ فِي الآخِرَة لأَنَّهُ سَيَراهُ يَوم القِيامَة فِي اليَقَظَة فَتَراهُ جَمِيع أُمَّته مَن رَآهُ فِي النَّوم ومَن لَم يَرَهُ مِنهُم.

وقالَ ابن التِّين:المُراد مَن آمَنَ بِهِ فِي حَياته ولَم يَرَهُ لِكَونِه حِينَئِذٍ غائِبًا عَنهُ فَيَكُون بِهَذا مُبَشِّرًا لِكُلِّ مَن آمَنَ بِهِ ولَم يَرَهُ أَنَّهُ لا بُدّ أَن يَراهُ فِي اليَقَظَة قَبل مَوته قالَهُ القَزّاز،وقالَ المازِرِيّ:إِن كانَ المَحفُوظ " فَكَأَنَّما رَآني فِي اليَقَظَة" فَمَعناهُ ظاهِر وإِن كانَ المَحفُوظ " فَسَيَراني فِي اليَقَظَة " احتَمَلَ أَن يَكُون أَرادَ أَهل عَصره مِمَّن يُهاجِر إِلَيهِ فَإِنَّهُ إِذا رَآهُ فِي المَنام جُعِلَ عَلامَة عَلَى أَنَّهُ يَراهُ بَعد ذَلِكَ فِي اليَقَظَة وأَوحَى الله بِذَلِكَ إِلَيهِ ﷺ.

وقالَ القاضِي:وقِيلَ مَعناهُ سَيَرَى تَأوِيل تِلكَ الرُّؤيا فِي اليَقَظَة وصِحَّتها،وقِيلَ مَعنَى الرُّؤيا فِي اليَقَظَة أَنَّهُ سَيَراهُ فِي الآخِرَة وتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ فِي الآخِرَة يَراهُ جَمِيع أُمَّته مَن رَآهُ فِي المَنام ومَن لَم يَرَهُ يَعنِي فَلا يَبقَى لِخُصُوصِ رُؤيَته فِي المَنام مَزِيَّة،وأَجابَ القاضِي عِياض بِاحتِمالِ أَن تَكُون رُؤياهُ لَهُ فِي النَّوم عَلَى الصِّفَة الَّتِي عُرِفَ بِها ووُصِفَ عَلَيها مُوجِبَة لِتَكرِمَتِه فِي الآخِرَة وأَن يَراهُ رُؤيَة خاصَّة مِنَ القُرب مِنهُ والشَّفاعَة لَهُ بِعُلُوِّ الدَّرَجَة ونَحو ذَلِكَ مِنَ الخُصُوصِيّات،قالَ:ولا يَبعُد أَن يُعاقِب الله بَعض المُذنِبِينَ فِي القِيامَة بِمَنعِ رُؤيَة نَبِيّه ﷺمُدَّة.

وحَمَلَهُ ابن أَبِي جَمرَة عَلَى مَحمَل آخَر فَذَكَرَ عَن ابن عَبّاس أَو غَيره أَنَّهُ رَأَى النَّبِيّ ﷺفِي النَّوم فَبَقِيَ بَعد أَن استَيقَظَ مُتَفَكِّرًا فِي هَذا الحَدِيث فَدَخَلَ عَلَى بَعض أُمَّهات المُؤمِنِينَ ولَعَلَّها خالَته مَيمُونَة فَأَخرَجَت لَهُ المِرآة الَّتِي كانَت لِلنَّبِيِّ ﷺفَنَظَرَ فِيها فَرَأَى صُورَة النَّبِيّ ﷺولَم يَرَ صُورَة نَفسه.

ونُقِلَ عَن جَماعَة مِنَ الصّالِحِينَ أَنَّهُم رَأَوا النَّبِيّ ﷺفِي المَنام ثُمَّ رَأَوهُ بَعد ذَلِكَ فِي اليَقَظَة وسَأَلُوهُ عَن أَشياء كانُوا مِنها مُتَخَوِّفِينَ فَأَرشَدَهُم إِلَى طَرِيق تَفرِيجِها فَجاءَ الأَمر كَذَلِكَ.

قُلت:وهَذا مُشكِل جِدًّا ولَو حُمِلَ عَلَى ظاهِره لَكانَ هَؤُلاءِ صَحابَةً ولأَمكَنَ بَقاء الصُّحبَة إِلَى يَوم القِيامَة،ويُعَكِّر عَلَيهِ أَنَّ جَمعًا جَمًّا رَأَوهُ فِي المَنام ثُمَّ لَم يَذكُر واحِدٌ مِنهُم أَنَّهُ رَآهُ فِي اليَقَظَة وخَبَر الصّادِق لا يَتَخَلَّف،وقَد اشتَدَّ إِنكار القُرطُبِيّ عَلَى مَن قالَ مَن رَآهُ فِي المَنام فَقَد رَأَى حَقِيقَته ثُمَّ يَراها كَذَلِكَ فِي اليَقَظَة كَما تَقَدَّمَ قَرِيبًا،وقَد تَفَطَّنَ ابن أَبِي جَمرَة لِهَذا فَأَحالَ بِما قالَ عَلَى كَرامات الأَولِياء فَإِن يَكُن كَذَلِكَ تَعَيَّنَ العُدُول عَن العُمُوم فِي كُلّ راءٍ،ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عامّ فِي أَهل التَّوفِيق وأَمّا غَيرهم فَعَلَى الاحتِمال،فَإِنَّ خَرقَ العادَة قَد يَقَع لِلزِّنديقِ بِطَرِيقِ الإِملاء والإِغواء كَما يَقَع لِلصِّدِّيقِ بِطَرِيقِ الكَرامَة والإِكرام،وإِنَّما تَحصُل التَّفرِقَة بَينهما بِاتِّباعِ الكِتاب والسُّنَّة انتَهَى.

والحاصِل مِنَ الأَجوِبَة ستَّة :

أَحَدها أَنَّهُ عَلَى التَّشبيه والتَّمثيل،ودَلَّ عَلَيه قَوله فِي الرِّوايَة الأُخرَى " فَكَأَنَّما رَآني فِي اليَقَظَة.

ثانيها أَنَّ مَعناها سَيَرَى فِي اليَقَظَة تَأويلها بِطَرِيقِ الحَقِيقَة أَو التَّعبير،

ثالثها أَنَّهُ خاصّ بِأَهلِ عَصره مِمَّن آمَنَ بِه قَبل أَن يَراهُ

رابعها أَنَّهُ يَراهُ فِي المِرآة الَّتِي كانَت لَهُ إِن أَمكَنَهُ ذَلكَ،وهَذا مِن أَبعَدِ المَحامِل.

خامِسها أَنَّهُ يَراهُ يَوم القِيامَة بِمَزِيدِ خُصُوصِيَّة لا مُطلَق مَن يَراهُ حِينَئذٍ مِمَّن لَم يَرَهُ فِي المَنام.

سادِسها أَنَّهُ يَراهُ فِي الدُّنيا حَقِيقَة ويُخاطِبهُ،وفِيه ما تَقَدَّمَ مِنَ الإِشكال.

وقالَ القُرطُبِيّ:قَد تَقَرَّرَ أَنَّ الَّذي يُرَى فِي المَنام أَمثِلَةٌ لِلمَرئِيّات لا أَنفُسُها،غَير أَنَّ تِلكَ الأَمثِلَة تارَة تَقَع مُطابِقَة وتارَة يَقَع مَعناها،فَمِن الأَوَّل رُؤياهُ ﷺعائشَة وفِيه " فَإِذا هِيَ أَنت " فَأَخبَرَ أَنَّهُ رَأَى فِي اليَقَظَة ما رَآهُ فِي نَومه بِعَينِه ومِن الثّانِي رُؤيا البَقَر الَّتِي تُنحَر والمَقصُود بِالثّانِي التَّنبيه عَلَى مَعانِي تِلكَ الأُمُور.

ومِن فَوائِد رُؤيَته ﷺتَسكِين شَوق الرّائِي لِكَونِه صادِقًا فِي مَحَبَّته لِيَعمَل عَلَى مُشاهَدَته،وإِلَى ذَلِكَ الإِشارَة بِقَولِه:"فَسَيَرانِي فِي اليَقَظَة" أَي مَن رَآني رُؤيَة مُعَظِّم لِحُرمَتِي ومُشتاق إِلَى مُشاهَدَتِي وصَلَ إِلَى رُؤيَة مَحبُوبه وظَفِرَ بِكُلِّ مَطلُوبه،قالَ:ويَجُوز أَن يَكُون مَقصُود تِلكَ الرُّؤيا مَعنَى صُورَته وهُو دِينه وشَرِيعَته،فَيُعَبِّر بِحَسَبِ ما يَراهُ الرّائِي مِن زِيادَة ونُقصان أَو إِساءَة وإِحسان.

قُلت:وهَذا جَواب سابِع والَّذِي قَبله لَم يَظهَر لِي فَإِن ظَهَرَ فَهُو ثامِن."[١٩٨٧]

[١٩٨٧] – فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة – (١٢ / ٣٨٤)

-٤٦ - آداب عشرة النساء

تعليم النساء أمور دينهن:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم

يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِه،اعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى،وَاتَّقُوا مَعْصَيَتَهُ،وَأَمُرُوا أَهْلَكُمْ بِالذّكْرِ والتَّقْوَى،وَعَلِّمُوهُمْ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَيهِمْ،وَمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ،وَأَمُرُوهُمْ بِطَاعَةِ اللهِ لِتُنقذُوهُمْ وَأَنْفُسَكُمْ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ،التِي يَكُونُ وَقُودُهَا النَّاسُ مِنَ الكَفَرَةِ،وَالحِجَارَةُ،وَتَقُومُ عَلَيهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ عَلَى أَهْلِ النَّارِ،أَشِدَّاءُ عَلَيهِمْ،لاَ يُخَالِفُونَ رَبَّهُمْ فِي أَمْرٍ بِهِ،وَيُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ .[١٩٨٨]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (٥٩) سورة الأحزاب

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى رَسُولَه ﷺبِأَنْ يَأْمُرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتِه والنِّسَاءَ المُؤْمِنَات،بِأَنْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ،وَأَن يُغَطِّينَ وُجُوهَهُنَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِنَّ،وَأَنْ يُغَطِّينَ ثَغْرَةَ نُحُورِهِنَّ بِالجَلابيب التِي يُدْنِينَهَا عَلَيهِنَّ.وَالغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّسَتُّرُ،وَأَن يُعْرَفْنَ بِأَنَّهُنَّ حَرَائِرُ فَلا يُؤْذِيهِنَّ أَحَدٌ،وَلا يَتَعَرَّضُ لَهُنَّ فَاسِقٌ بِأَذى وَلا رِيبَةٍ،وَرَبُّكُمْ غَفَّارٌ لِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ صَدرَ مِنَ الإِخْلاَلِ بِالسِّتْرِ،كَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِمَنِ امْتَثَلَ أَمْرَهُ،وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَصَّرَ فِي مُرَاقَبَتِه فِي أُمُورِ التَّسَتُّرِ[١٩٨٩]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ- فِى نَفَرٍ مِنْ قَوْمِى فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً،وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا،فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى أَهَالِينَا قَالَ « ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَصَلُّوا،فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ »[١٩٩٠] ..

الرفق بالنساء:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ: " يَا عَائِشَةُ،إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ،وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ،وَلَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ "[١٩٩١]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ

[١٩٨٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١١٣)

[١٩٨٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٧٣)

[١٩٩٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٢٨)

[١٩٩١] - صحيح البخارى- المكتر -(٦٩٢٧) وصحيح مسلم- المكتر -(٦٧٦٦)

بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَىْءٍ فِى الضِّلَعِ أَعْلاَهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا »[١٩٩٢].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِىَ مِنْهَا آخَرَ ». أوْ قال: «غَيْـــرَهُ». أخرجه مسلم [١٩٩٣]

وعَنْ أَنَسٍ – رضى الله عنه – أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ- كَانَ فِى سَفَرٍ،وَكَانَ غُلاَمٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ،فَقَالَ النَّبِىُّ – ﷺ- « رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ،سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ ».قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ يَعْنِى النِّسَاءَ [١٩٩٤].

وعن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِخَادِمِهِ:" أَنَجَشَةُ،رِفْقًا قَوْدًا بِالْقَوَارِيرِ " يَعْنِي النِّسَاءَ "[١٩٩٥]

الإحسان إلى النساء:

قال الله تعالى: { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٢٨) سورة البقرة

إِنَّ لِلْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ مِنَ الحُقُوقِ مِثْلَ مَا لَهُ عَلَيهَا مِنْهَا،فَلْيُؤَدِّ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ بِالمَعْرُوفِ،وَلِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ دَرَجَةٌ هِيَ الرِّئاسَةُ،وَالقِيَامُ عَلى المَصَالِحِ،كَمَا فَسَّرتْها الآيةُ:{ الرجال قَوَّامُونَ عَلَى النسآء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ } وَفَسَّرَ بَعْضُهُمْ (وَلِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ دَرَجَةٌ) بِأَنَّها حَقُّ الرَجُلِ فِي رَدِّ المُطَلَّقَةِ إلى عِصْمَتِهِ فِي فَتْرَةِ العِدَّةُ،وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الحَقَّ فِي يَدِ الرَّجُلِ لأَنَّهُ هُوَ الذي طَلَّقَ.وَاللهُ عَزِيزٌ فِي انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ،حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَتدْبِيرِهِ [١٩٩٦].

وقال الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} (٣٤) سورة النساء

مِنْ شَأْنِ الرَّجُلِ أنْ يَقُومَ عَلَى المَرْأَةِ بِالحِمَايَةِ وَالرِّعَايَةِ،وَلِذَلِكَ فَرَضَ اللهُ تَعَالَى الجِهَادَ عَلَى الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ وَالجِهَادُ مِن أخَصِّ شُؤُونِ الحِمَايَةِ.وَقَدْ فَضَّلَ اللهُ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ فِي الخِلْقَةِ،وَأَعْطَاهُمْ مَا لَمْ

[١٩٩٢] – صحيح مسلم- المكتز – (٣٧٢٠)

[١٩٩٣] – صحيح مسلم- المكتز – (٣٧٢١) -يَفرك : يبغض

[١٩٩٤] – صحيح البخارى- المكتز – (٦٢١٠)

[١٩٩٥] – مُسْنَدُ الْحُمَيْدِيِّ (١١٥٧) صحيح

[١٩٩٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٣٥)

يُعْطَ النِّسَاءُ مِنَ الحَوْلِ وَالقُوَّة،كَمَا فَضّلَهُمْ بِالقُدْرَةِ عَلَى الإِنْفَاقِ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ أَمْوالِهِمْ،فَإِنَّ فِي المُهُورِ تَعْوِيضاً لِلنِّسَاءِ،وَمُكَافَأَةً لَهُنَّ عَلَى الدُّخُولِ تَحْتَ رِئَاسَةِ الرَّجُلِ،وَقَبُولِ القِيَامَةِ عَلَيْهِنَّ.وَالقِيَامَةُ تَعْنِي الإِرْشَادَ وَالمُرَاقَبَةَ فِي تَنْفِيذِ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ،وَمُلاَحَظَةَ أَعْمَالِهِنَّ،وَمِنْ ذَلِكَ حِفْظُ المَنْزِلِ،وَعَدَمِ مُفَارَقَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنٍ،وَالانْصِرَافَ إِلى وَظِيفَتِهِنَّ الفِطْرِيَّةِ مِنْ حَمْلٍ وَرَضَاعٍ وَتَرْبِيَّةٍ.وَالنِّسَاءُ الصَّالِحَاتُ مُطِيعَاتٌ لأَزْوَاجِهِنَّ،حَافِظَاتٌ لِمَا يَجْرِي بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِنَّ فِي خِلْوَاتِهِمْ،لاَ يُطْلِعْنَ عَلَيهِ أَحَداً،وَيَحْفَظْنَّ أَنْفُسَهُنَّ مِنْ أَيْدِي العَابِثِينَ،وَعَلَيْهِنَّ أَنْ يَحْفَظْنَّ أَمْوَالَ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الضَيَاعِ،وَهَذا الصِنْفُ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ لِلرِّجَالِ عَلَيهِنَّ سُلْطَانُ التَّأديب.أَمَّا اللَّوَاتِي تَخْشَوْنَ مِنْهُنَّ أَنْ لاَ يَقُمْنَ بِحَقِّ الزَّوْجِيَّةِ عَلَى الوَجْهِ الذي تَرْضَونَ،فَعَلَى الرِّجَالِ مُعَامَلَتُهُنَّ،مُبْتَدِئِينَ بِالوَعْظِ وَالإِرْشَادِ،وَالتَّذْكِيرِ بِوَاجِبَاتِهِنَّ،فَقَدْ يَكْفِي ذَلِكَ،فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ،فَجَرِّبُوا الهَجْرَ فِي المَضْجَعِ،وَالإِعْرَاضِ عَنْهُنَّ،فَقَدْ يُفِيدُهُنَّ ذَلِكَ فَيَفِئْنَ إِلى الصَّوَابِ.وَإِذَا لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَجَرِّبُوا الضَّرْبَ غَيْرَ المُبَرِّحِ وَغَيْرَ المُؤْذِي،وَهَذا لاَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِلاَّ إِذَا يَئِسَ الرَّجُلُ مِنْ رُجُوعِ المَرْأَةِ عَنْ نُشُوزِهَا إِلاَّ بِهِ .وَإِذَا أَطَاعَتِ المَرْأَةُ زَوْجَهَا فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْهَا،مِمَّا أَبَاحَهُ اللهُ لَهُ مِنْها،فَلاَ سَبِيلَ لَهُ عَلَيْها،وَلَيْسَ لَهُ ضَرْبَهَا،وَلاَ هُجْرَانَها،وَلاَ إِسَاءَةُ مُعَامَلَتِهَا .وَيُهَدِّدُ اللهُ تَعَالَى الرِّجَالَ إِذا بَغَوْا عَلَى النِّسَاءِ بَغْيِرِ سَبَبٍ،وَيُعْلِمُهُمْ بِأَنَّهُ وَلِيُّهُنَّ،وَأَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ يَبْغِي عَلَيْهِنَّ .[١٩٩٧]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خَيْرُكُمْ خَيْرَكُمْ لأَهْلِهِ،وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي. وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي،وَإِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ. [١٩٩٨]

حسن المعاشرة بين الزوجين:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} (١٩) سورة النساء

كَانَ النَّاسُ قَبْلَ الإِسْلاَمِ يَجْعَلُونَ النِّسَاءَ كَالمَتَاعِ فَإِذا مَاتَ الرَّجُلُ كَانَ أَوْلِياؤُهُ أَحَقُّ بِامْرَأَتِهِ يَتَزَوَّجُونَها بِدُونِ مَهْرٍ وَلاَ رِضاً مِنْهَا،وَكَأَنَّهَا شَيءٌ مِنْ مِيرَاثِ الرَّجُلِ المُتَوَفَّى،فَإِنْ شَاءَ بَعْضُهُمْ تَزَوَّجَها،وَإِنْ شَاؤُوا زَوَّجُوهَا،وَإِنْ شَاؤُوا لَمْ يُزَوِّجُوهَا،فَكَانُوا أَحَقَّ بِها مِنْ أَهْلِها،فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ لِإِبْطَالِ هَذا التَّعَامُلِ الجَائِرِ .

[١٩٩٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٢٧)

[١٩٩٨] – صحيح ابن حبان – (٩ / ٤٨٥)(٤١٧٧) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ ﷺ: فَدَعُوهُ يَعْنِي : لاَ تَذْكُرُوهُ إِلاَّ بِخَيْرٍ

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ بِعَدَمِ الإِضْرَارِ بِالْمَرْأَةِ،وَبِعَدَمِ مُضَايَقَتِهَا (عَضْلِهَا) فِي العِشْرَةِ لِتَتْرُكَ لِلرَجُلِ مَا دَفَعَهُ لَها مِنْ مَهْرٍ،أوْ بَعْضِ حُقُوقِهَا عَلَيهِ،أَوْ شَيْئاً مِنْ حُقُوقِهَا فِي المِيْرَاثِ،عَلى سَبِيلِ القَهْرِ وَالإِضْرَارِ .أمَّا إذَا زَنَت المَرْأَةُ فَكَانَ لِلرَّجُلِ أنْ يَسْتَرْجِعَ مِنْهَا الصَّدَاقَ الذي دَفَعَهُ إلَيها،وَأنْ يُضَاجِرَهَا حتَّى تَتْرُكَهُ (أيْ أنَّ لَهُ عَضْلَهَا فِي هَذِهِ الحَالَةِ).أمَّا فِي غَيْرِ حَالَةِ الزِّنَى فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الرِّجَالَ بِمُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ بِالمَعْرُوفِ،أيْ مَعَ طِيبِ قَوْلٍ،وَحُسْنِ فِعْلٍ،حَتَّى وَلَوْ كَرِهُوهُنَّ،فَقَدْ يَكْرَهُ الإِنسَانُ شَيْئاً وَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً،كَأنْ تَلِدَ لَهُ المَرْأةُ وَلَداً يَنْبُغُ أو يَسُودُ،أوْ يَكُونُ ذَا شَأنٍ أوْ أنْ يَنْصَلِحَ حَالُها فَتَكُونَ سَبباً فِي سَعَادَتِه [١٩٩٩].

عَنْ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِىِّ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ فَقُلْتُ مَا تَقُولُ فِى نِسَائِنَا قَالَ « أَطْعِمُوهُنَّ مِمَّا تَأْكُلُونَ وَاكْسُوهُنَّ مِمَّا تَكْتَسُونَ وَلاَ تَضْرِبُوهُنَّ وَلاَ تُقَبِّحُوهُنَّ ». أخرجه أبو داود[٢٠٠٠].

وعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،فَقَالَ:أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ،فَضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ،فَسَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَلاَ تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلاَّ أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ،فَنَزَلَ بِهَا حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ،أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ،فَرُحِلَتْ لَهُ،فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي،فَخَطَبَ النَّاسُ،ثُمَّ قَالَ:إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا،فِي شَهْرِكُمْ هَذَا،فِي بَلَدِكُمْ هَذَا،أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ،وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ،وَأَنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ - كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ - فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ،فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ،وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ،وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ،فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ،وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ،كِتَابَ اللهِ،وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي،فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا:نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ،فَأَدَّيْتَ،وَنَصَحْتَ،فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ:اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،ثُمَّ أَذَّنَ،ثُمَّ أَقَامَ،فَصَلَّى الظُّهْرَ،ثُمَّ أَقَامَ،فَصَلَّى الْعَصْرَ،وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.". أخرجه مسلم[٢٠٠١]

ملاطفة الزوجة وملاعبتها:

عَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ،فَقَالَ

[١٩٩٩] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١٢)

[٢٠٠٠] - سنن أبي داود - المكتز - (٢١٤٦) صحيح

[٢٠٠١] - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣١٠)(١٤٥٧) وصحيح مسلم- المكتز - (٣٠٠٩)

لِلنَّاسِ:تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا،ثُمَّ قَالَ لِي:تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ،فَسَكَتَ عَنِّي،حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ،خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ،فَقَالَ لِلنَّاسِ:تَقَدَّمُوا فَتَقَدَّمُوا،ثُمَّ قَالَ:تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ فَسَابَقْتُهُ،فَسَبَقَنِي،فَجَعَلَ يَضْحَكُ،وَهُوَ يَقُولُ:هَذِهِ بِتِلْكَ. " أخرجه أحمد[٢٠٠٢]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ.فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ.وَحَوَّلَ وَجْهَهُ.فَدَخَلَ ابُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي.وَقَالَ:مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَاقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالَ:دَعْهُمَا.فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا.وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ.فَإِمَّا سَالْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ. وَإِمَّا قَالَ:تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ ؟ فَقُلْتُ:نَعَمْ.فَاقَامَنِي وَرَاءَهُ.خَدِّي عَلَى خَدِّهِ.وَهُوَ يَقُولُ:دُونَكُمْ يَابَنِي ارْفَدَةَ.حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ:حَسْبُكِ ؟ قُلْتُ:نَعَمْ.قَالَ:فَاذْهَبِي.". متفق عليه[٢٠٠٣]

العدل بين الزوجات:

قال الله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} (٣) سورة النساء

فَإِنْ خِفْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْ لاَ تَعْدِلُوا مَعَ الزَّوْجَةِ اليَتِيْمَةِ،وَأَنْ تَأْكُلُوا مَالَهَا،فَاعْدِلُوا عَنِ الزَّوَاجِ بِهَا إِلَى الزَّوَاجِ بِغَيْرِهَا،فَإِذَا كَانَ فِي حِجْرِ أَحَدِكُمْ يَتِيمَةٌ وَخَافَ أَنْ لاَ يُعْطِيهَا مَهْرٌ مِثْلِهَا،فَعَلَيْهِ أَنَ يَعْدِلَ إِلَى الزَّوَاجِ بِغَيْرِهَا،فَإِنَّ النِسَاءَ كَثِيرَاتٍ،وَلَم يُضَيِّقُ اللهُ عَلَى النَّاسِ،إِذْ أَبَاحَ لَهُمْ الزَّوَاجَ بِاثْنَتَيْنِ وَثَلاَثٍ وَأَرْبَعٍ.فَإِنْ خِفْتُمْ،فِي حَالِ تَعَدُّدِ الزَّوْجَاتِ عِنْدَكُمْ،أَنْ لاَ تَعْدِلُوا بَيْنَهُنَّ فِي المُعَامَلَةِ،فَاقْتَصِرُوا عَلَى الزَّوَاجِ بِوَاحِدَةٍ،وَعَلَى الجَوَارِي السَّرَارِي (لأَنَّهُ لاَ وُجُوبَ لِلْعَدْلِ بَيْنَهُنَّ،وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُسْتَحَباً) وَالاقْتِصَارُ عَلَى الزَّوَاجِ بِوَاحِدَةٍ فِيهِ ضَمَانٌ مِنْ عَدَمِ الجُوْرِ وَالظُّلْمِ.(وَقِيلَ إِنَّ مَعْنَى – ذَلِكَ أَدْنَى أَلاّ تَعُولُوا – هُوَ أَنْ لاَ تَفْتَقِرُوا) (وَالعَدْلُ يَكُون فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ طَاقَةِ الإِنْسَانِ كَالتَّسْوِيَةِ فِي المَأْكَلِ وَالمَلْبَسِ وَالمَسْكَنِ وَغَيْرِهِ.. أَمَّا مَا لاَ يَدْخُلُ فِي وُسْعِهِ مِنْ مَيْلِ القَلْبِ إِلَى وَاحِدَةٍ دُونَ الأُخْرَى فَلاَ يُكَلِّفُ الإِنْسَانَ بِالعَدْلِ فِيهِ)[٢٠٠٤] .

وقال الله تعالى: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم

[٢٠٠٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٥٢٤) (٢٦٢٧٧) ٢٦٨٠٧– صحيح

[٢٠٠٣] – صحيح البخارى– المكتر – (٩٤٩ و٩٥٠) وصحيح مسلم– المكتر – (٢١٠٢)

الدرق : جمع درقة وهى الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب

[٢٠٠٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٩٦)

بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى} (٦) سورة الطلاق

وَأَسْكِنُوا النِّسَاءَ الْمُطَلَّقَاتِ فِي الْمَوْضِعِ الذي تَسْكُنُونَ فيه،عَلَى مِقْدَارِ حَالِكُمْ،فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا إِلاَّ حُجْرَةً بِجَانِبِ حُجرَتِكُمْ فَأَسْكِنُوهُنَّ فيها.. (لأَنَّ السُّكْنَى نَوْعٌ مِنَ النَّفَقَةِ وَهِي وَاجِبَةٌ عَلَى الأَزْوَاجِ).وَلاَ تُضَاجِرُوهُنَّ،وَلاَ تُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فِي السُّكْنَى،بِشَغْلِ الْمَكَانِ،أَوْ بِإِسْكَانِ غَيرِهِنَّ مَعَهُنَّ مِمَّنْ لاَ يُحْبِبْنَ السُّكْنَى مَعَهُ،لِتُلْجِئُوهُنَّ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ مَسَاكِنِهِنَّ.وَإِذَا كَانَتِ الْمُطَلَّقَةُ ذَاتَ حَمْلٍ فَعَلَى الزَوْجِ،أَوْ وَلِيِّهِ،أَنْ يُنْفِقَ عَلَيهَا حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا .فإذا وأَرْضَعَتِ الْمُطَلَّقَةُ وَلِيدها الذي وَضَعَتْهُ،وَهِيَ طَالِقٌ،قَدْ بَانَتْ بِانْقِضَاءِ عَدَتِهَا،فَلَهَا أَنْ تُرَضِعَ الوَلَدَ لَها عَلَى الزَّوْجِ أَجْرُ إِرْضَاعِهِ (أَجْرُ مِثْلِهَا).وَتَتَّفِقُ الْمُطَلَّقَةُ مَعَ وَالِدِ الطِّفْلِ أَوْ وَلِيِّهِ عَلَى مِقْدَارِهِ.وَلَهَا أَنْ لاَ تُرْضِعَهُ فَيَقُومُ الوَالِدُ بِتَكْلِيفِ أُخْرَى بِإِرْضَاعِهِ.وَيَحُثُّ اللهُ تَعَالَى الآبَاءَ والأُمَّهَاتِ عَلَى التَّشَاوُرِ والتَّفَاهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ،فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤُونِ الأَوْلاَدِ،وَفِيمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ.كَمَا يَحُثُّهُمْ عَلَى أَلاَّ يَجْعَلُوا المَالَ عَقَبَةً فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلوَلَدِ،فَلاَ يَكُونُ مِنَ الأَزْوَاجِ مُمَاكَسَةٌ،وَلاَ يَكُونُ مِنَ الأُمَّهَاتِ مُعَاسَرَةٌ وَإِحْرَاجٌ لِلآبَاءِ .أَمَّا إِذَا ضَيَّقَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ لِلأَبِ أَنْ يَسْتَرْضِعَ امْرَأَةً أُخْرَى،فَإِنْ رَضِيتِ الأُمُّ بِمِثْلِ مَا اسْتُؤْجِرَتْ بِهِ الأَجْنَبِيَّةُ كَانَتْ أَحَقَّ بِإِرْضَاعِ طِفْلِهَا مِنَ الأَجْنَبِيَّةِ .[٢٠٠٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ،فَمَالَ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى،جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ."[٢٠٠٦]

عدم إفشاء الأسرار الزوجية:

قال الله تعالى: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ } (٣) سورة التحريم

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى زَوْجِهِ حَفْصَةَ حَدِيثاً فَقَالَ لَهَا:إِنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ العَسَلَ عِنْدَ زَوْجَتِهِ زَيْنَبَ،وَقَالَ لَنْ أَعُودَ إِلَى شُرْبِهِ وَقَدْ حَلَفْتُ،فَلاَ تُخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَداً.فَلَمَّا أَخْبَرَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ بِالحَدِيثِ الذي اسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيهِ.وَأَطْلَعَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا فَعَلَتْهُ حَفْصَةُ مِنْ إِفْشَائِهَا مَا اسْتَكْتَمَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ أَخْبَرَ حَفْصَةَ بِبَعْضِ الحَدِيثِ الذي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ كُنْتُ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ)،وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ بَعْضِ الحَدِيثِ الذي أَفْشَتْهُ (وَهُوَ قَوْلُهُ وَقَدْ حَلَفْتُ فَلاَ تُخْبِرِي أَحَداً)،فَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ تَكَرُّماً مِنْهُ لِكَيْلا يَزِيدَ فِي خَجَلِهَا مِنْهُ .فَلَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ حَفصَةَ بِمَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَينَ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ أَخْبَرَكَ بِهَذَا؟ وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّ عَائِشَةَ قَدْ فَضَحَتْهَا وَنَقَلَتِ الحَدِيثَ إِلَى الرَّسُولِ.فَقَالَ لَهَا

[٢٠٠٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١٠١)

[٢٠٠٦] – صحيح ابن حبان – (١٠ / ٧) (٤٢٠٧) صحيح

النَّبِيُّ:أَخْبَرَنِي بِهِ رَبِّي العلِيمُ بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى،وَالخَبِيرُ بِكُلِّ مَا فِي الوُجُودِ .[٢٠٠٧]

الصبر والتغاضي عن الزلات:

عَنْ أَنَسٍ – رضى الله عنه – أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ– كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ،فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا،فَكَسَرَتِ الْقَصْعَةَ،فَضَمَّهَا،وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ وَقَالَ « كُلُوا ».وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا،فَدَفَعَ الْقَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ " أخرجه البخاري[٢٠٠٨].

وعَنْ جَسْرَةَ بِنْتِ دِجَاجَةَ قَالَتْ قَالَتْ عَائِشَةُ رضى الله عنها مَا رَأَيْتُ صَانِعًا طَعَامًا مِثْلَ صَفِيَّةَ صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– طَعَامًا فَبَعَثَتْ بِهِ فَأَخَذَنِى أَفْكَلٌ فَكَسَرْتُ الإِنَاءَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ مَا صَنَعْتُ قَالَ « إِنَاءٌ مِثْلُ إِنَاءٍ وَطَعَامٌ مِثْلُ طَعَامٍ ».[٢٠٠٩]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ – ﷺ– عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ،فَضَرَبَتِ الَّتِى النَّبِيُّ – ﷺ– فِى بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ،فَجَمَعَ النَّبِيُّ – ﷺ– فِلَقَ الصَّحْفَةِ،ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِى كَانَ فِى الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ « غَارَتْ أُمُّكُمْ »،ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِىَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا،فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِى كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا،وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِى بَيْتِ الَّتِى كَسَرَتْ[٢٠١٠].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ،فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ،وَإِنَّ أَعْوَجَ شَىْءٍ فِى الضِّلَعِ أَعْلاَهُ،فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ،وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ،فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » متفق عليه[٢٠١١]

التبكير بالنوم مع الأهل:

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ– كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا "[٢٠١٢].

وعظ الأهل وحثهم على الخير:

قال الله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى }

[٢٠٠٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١١٠)

[٢٠٠٨] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٤٨١)

[٢٠٠٩] – سنن أبي داود – المكتر – (٣٥٧٠) حسن – الأفكل : الرعدة

[٢٠١٠] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٢٢٥)

[٢٠١١] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٣٣١) وصحيح مسلم– المكتر – (٣٧٢٠)

[٢٠١٢] – صحيح البخارى– المكتر – (٥٦٨)

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِإِقَامَةِ الصَّلاَةِ فِي أَوْقَاتِهَا،لِتُنْقِذَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ،وَاصْبِرْ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأَدِّهَا كَامِلَةً حَقَّ أَدَائِهَا،فَالوَعْظُ بِالفِعْلِ أَشَدُّ أَثَراً مِنْهُ بِالقَوْلِ.وَإِذَا أَقَمْتَ الصَّلاَةَ أَتَاكَ الرِّزْقُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَحْتَسِبْ،وَلَمْ تُكَلَّفْ أَنْتَ رِزْقَ نَفْسِكَ.وَكَانَ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَزِعُوا إِلَى الصَّلاَةِ .[٢٠١٣]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ « قُومِى فَأَوْتِرِى يَا عَائِشَةُ ». أخرجه مسلم[٢٠١٤].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتِ اسْتَيْقَظَ النَّبِىُّ - ﷺ- ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ،فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِى الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِى الآخِرَةِ » .. أخرجه البخاري[٢٠١٥]

ما يفعله الزوجان إذا تنازعا:

قال الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا} (٣٤) سورة النساء .

الرجال قوَّامون على توجيه النساء ورعايتهن،بما خصهم الله به من خصائص القِوامَة والتفضيل،وبما أعطوهن من المهور والنفقات. فالصالحات المستقيمات على شرع الله منهن،مطيعات لله تعالى ولأزواجهن،حافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن بما ائتمنَّ عليه بحفظ الله وتوفيقه،واللاتي تخشون منهن ترفُّعهن عن طاعتكم،فانصحوهن بالكلمة الطيبة،فإن لم تثمر معهن الكلمة الطيبة،فاهجروهن في الفراش،ولا تقربوهن،فإن لم يؤثر فعل الهِجْران فيهن،فاضربوهن ضربًا لا ضرر فيه،فإن أطعنكم فاحذروا ظلمهن،فإن الله العليَّ الكبير وليُّهن،وهو منتقم ممَّن ظلمهنَّ وبغى عليهن.[٢٠١٦]

وقال الله تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)}

[٢٠١٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٤١)

[٢٠١٤] – صحيح مسلم- المكتر – (١٧٦٨)

[٢٠١٥] – صحيح البخارى- المكتر – (١١٥)

[٢٠١٦] – التفسير الميسر – (٢ / ٣٤)

[فصلت:٣٤،٣٥].

وَلاَ تَتَسَاوَى الحَسَنَةُ التي يَرْضَى اللهُ بهَا،وَيُثِبُ عَلَيْها،مَعَ السَّيئة التي يَكْرَهُهَا اللهُ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهَا،فَادْفَعْ سَفَاهَةَ السُّفَهَاءِ،وَجَهَالَةَ الجُهَلاَءِ بالطَّرِيقَةِ الحُسْنَى،فَقَابِلْ إِسَاءَتَهُمْ بالإِحْسَانِ إِلَيهِمْ،وَقَابِلِ الذَّنْبَ بالعَفْوِ،فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلاَقِهِمْ،وَقَابَلْتَ سَفَاهَتَهُمْ بِرَحَابَةِ صَدْرٍ اسْتَحْيَوْا مِنْ ذَمِيمِ أَخْلاَقِهِمْ،وَتَرَكُوا قَبِيحَ أَفْعَالِهِمْ .وَانْقَلَبُوا مِنَ العَدَاوَةِ إِلَى المَحَبَّةِ.وَلاَ يَقْبَلُ هَذِهِ الوَصِيَّةَ وَيَعْمَلُ بِهَا إِلاَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ،لأَنَّ الصَّبْرَ يَشُقُّ عَلَى النُّفُوسِ،وَيَصْعبُ احْتِمَالُهُ فِي مَجْرَى العَادَةِ،وَلاَ يَتَقَبَّلُهَا إِلاَّ ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ[٢٠١٧] .

استخدام الروائح الطيبة،واجتناب الروائح الخبيثة:

عَنْ عَائِشَةَ.قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺيُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ،فَكَانَ اذَا صَلَّى الْعَصْرَ،دَارَ عَلَى نِسَائِهِ،فَيَدْنُو مِنْهُنَّ ،فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا اكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ،فَسَالْتُ عَنْ ذَلِكَ،فَقِيلَ لِي: اهْدَتْ لَهَا امْرَاةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ،فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّه ﷺمِنْهُ شَرْبَةً.فَقُلْتُ: امَا وَاللَّه لَنَحْتَالَنَّ لَهُ،فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ.وَقُلْتُ: اذَا دَخَلَ عَلَيْكِ فَانَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ،فَقُولِي: لَهُ يَا رَسُولَ اللَّه اكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ فَانَّهُ سَيَقُولُ لَكِ:لا.فَقُولِي لَهُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهﷺيَشْتَدُّ عَلَيْهِ انْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ) فَانَّهُ سَيَقُولُ لَكِ:سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ.فَقُولِي لَهُ:جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ،وَسَاقُولُ ذَلِكَ لَهُ،وَقُولِيهِ انْتِ يَا صَفِيَّةُ،فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَوْدَةَ،قالت:تَقُولُ سَوْدَةُ: وَالَّذِي لا الَهَ الا هُوَ،لَقَدْ كِدْتُ انْ ابَادِئَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي،وَانَّهُ لَعَلَى الْبَابِ،فَرَقا مِنْكِ،فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّه ﷺقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه اكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قال:لا.قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ ؟ قال:سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ.قَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ،فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ،ثُمَّ دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فَقَالَتْ بِمِثْلِ ذَلِكَ،فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّه الا اسْقِيكَ مِنْهُ قال:لا حَاجَةَ لِي بِهِ.قَالَتْ:تَقُولُ سَوْدَةُ:سُبْحَانَ اللَّه وَاللَّه لَقَدْ حَرَمْنَاهُ.قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا:اسْكُتِي." متفق عليه[٢٠١٨].

وعَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ صَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّه –ﷺ– بُرْدَةً سَوْدَاءَ فَلَبِسَهَا فَلَمَّا عَرَقَ فِيهَا وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ فَقَذَفَهَا.قَالَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَكَانَ تُعْجِبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ." أخرجه أبو داود[٢٠١٩]

[٢٠١٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤١٣١)

[٢٠١٨] – صحيح البخـــارى- المكـــتر – (٥٤٣١ ، ٥٢١٦ ، ٥٢٦٧ ، ٥٢٦٨ ، ٥٥٩٩ ، ٥٦١٤ ، ٥٦٨٢ ، ٦٦٩١ ، ٦٩٧٢)
وصحيح مسلم- المكتر – (٣٧٥٢)
جرست : أكلت –العرفط : شجر له صمغ حلو يسمى المغافير –العكة : قربة صغيرة تتخذ وعاء للسمن أو العسل وهى بالسمن أخص –المغافير : جمع مغفور وهو صمغ حلو له رائحة كريهة –الفَرق : الخوف والفزع

[٢٠١٩] – سنن أبي داود – المكتر – (٤٠٧٦) صحيح

التسمية قبل الوطء:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ– « لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِىَ أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ،اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ،وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا،فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِى ذَلِكَ،لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا » متفق عليه[٢٠٢٠].

الأحوال التي تُــمنع فيها النساء من الطيب:

عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ – قَالَتْ كُنَّا نُنْهَى أَنْ نُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا،وَلاَ نَكْتَحِلَ وَلاَ نَتَطَيَّبَ وَلاَ نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلاَّ ثَوْبَ عَصْبٍ،وَقَدْ رُخِّصَ لَنَا عِنْدَ الطُّهْرِ إِذَا اغْتَسَلَتْ إِحْدَانَا مِنْ مَحِيضِهَا فِى نُبْذَةٍ مِنْ كُسْتِ أَظْفَارٍ،وَكُنَّا نُنْهَى عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ"متفق عليه[٢٠٢١].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– « أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ ». أخرجه مسلم[٢٠٢٢]

صفة القَسْم بين الزوجات:

عَنْ أَنَسٍ،قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺتِسْعُ نِسْوَةٍ،فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لاَ يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الأُولَى إِلاَّ فِي تِسْعٍ،فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا،فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ،فَجَاءَتْ زَيْنَبُ،فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا،فَقَالَتْ:هَذِهِ زَيْنَبُ،فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺيَدَهُ،فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى اسْتَخَبَتَا،وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ،فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ،فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا،فَقَالَ:اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَى الصَّلاَةِ،وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ،فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ،فَقَالَتْ عَائِشَةُ:الآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺصَلاَتَهُ،فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ،فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺصَلاَتَهُ،أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ،فَقَالَ لَهَا قَوْلاً شَدِيدًا،وَقَالَ:أَتَصْنَعِينَ هَذَا ؟.. أخرجه مسلم[٢٠٢٣].

[٢٠٢٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٨٨) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٦٠٦)

[٢٠٢١] – صحيح البخارى- المكتر – (٣١٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٣٨١٥)

الأظفار : نبات عطرى يشبه الأظفار –العصب : برود يمنية –الكست : البخور –النبذة : القطعة اليسيرة من الشىء

[٢٠٢٢] – صحيح مسلم- المكتر – (١٠٢٦)

[٢٠٢٣] – صحيح مسلم- المكتر – (٣٧٠١)

-٤٧ - آداب الكلام

شكر نعمة الكلام:

قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} (٢٢) سورة الروم

ومِنْ آياتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ العَظِيمَةِ،أَنَّهُ تَعَالى خَلقَ السَّماوَاتِ في ارْتِفَاعِهَا واتِّسَاعِها،وَخَلَقَ فيها النُّجُومَ والكَواكِبَ،وَخَلقَ الأَرضَ وَمَا فِيها مِنْ بِحَارٍ وَمياهٍ ومخلُوقَاتٍ وَنَبَاتَاتٍ وجبَالٍ،وجَعَلَ أَلسِنَةَ البَشَرِ مُخْتَلِفَةً مُتَمَايِزَةً،كَما جَعَلَ ألوانَ البَشَرِ مُخْتلفةً،وإن تَشَابهُوا جَميعاً في الخُطُوطِ الكُبرى مِنْ مَلاَمِحِهِم،وَفي ذَلك آياتٌ تَدُلُّ عَلى عَظَمَةِ الخَالِقِ لأُولِي العِلْمِ الذينَ يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا خَلَقَ اللهُ .[٢٠٢٤]

أحسن الكلام:

قال الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (٢٣) سورة الزمر .

اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ قُرْآناً يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً (مَثَانِيَ)،وَيَتَرَدَّدُ فِيهِ القَوْلُ،مَعَ المَوَاعِظِ والأَحْكَامِ لِيَفْهَمَ النَّاسُ مَا أَرَادَ رَبُّهُمْ تَعَالَى،وَإِذَا تُلِيَتْ مَعَهُ آيَاتُ العَذَابِ والعِقَابِ اقْشَعَرَّتْ لَهَا جُلُودُ الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ،وَوَجِلَتْ لَهَا قُلُوبُهُمْ،وَإِذَا تُلِيَتْ آيَاتُ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ والثَّوَابِ تَلِينُ قُلُوبُهُمْ،وَتَطْمَئِنُّ نُفُوسُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ.وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللهُ،وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،وَمَنْ أَضَلَّهُ اللهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيُعْرِضُ عَنِ الحَقِّ فَلَيْسَ لَهُ مَنْ يَهْدِيهِ مِنْ دُونِ اللهِ .[٢٠٢٥]

وقال الله تعالى: { وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر:١٧،١٨]

والذينَ اجْتَنَبُوا عِبَادَةَ الأَصْنَامِ،واتِّبَاعَ الشَّيَاطِينِ،وَأَقْبَلُوا عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُعْرِضِينَ عَمّا سِوَاهُ،يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ بالثَّوَابِ العَظِيمِ حِينَ المَوْتِ،وَحِينَ يَلْقَونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الحِسَابِ،وَهَؤُلاَءِ الذينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ،وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ،وَسَمِعُوا القَوْلَ فَاتَّبَعُوا أَحْسَنَهُ وَأَوْلاَهُ بالقَبُولِ.. هَؤُلاَءِ يُبَشِّرُهُمْ

[٢٠٢٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٣١٣)

[٢٠٢٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٦٠)

رَبُّهُمْ بالنَّعِيمِ المُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،وَأولَئِكَ هُمُ الذِينَ وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِلرَّشَادِ وَالصَّوَابِ،وَأولَئِكَ هُمْ أَصْحَابُ العُقُولِ والأَفْهَامِ السَّلِيمَةِ .[٢٠٢٦]

الإكثار من ذكر الله والصلاة على نبيه ﷺ:

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} [الأحزاب:٤١ - ٤٢]

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ مِنْ عِبَادِهِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ،فَهُوَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ عَلَيهِمْ،لِمَا لَهُمْ فِي ذِكْرِ اللهِ مِنْ عَظِيمِ الثَّوابِ.وَيَأْمُرُهُمْ تَعَالى أَيضاً بِتَنْزِيهِهِ عَمَّا لاَ يَلِيقُ بَيْنَ طَرَفَيِ النَّهَارِ:فِي البُكُورِ عِنْدَ القِيامِ مِنَ النَّومِ،وَوَقْتِ الأَصِيلِ،وَقْتِ الانْتِهَاءِ مِنَ العَمَلِ اليَومِيِّ،فَيَكُونُ الذِّكْرُ فِي الصَّبَاحِ شُكْراً للهِ عَلى بَعْثِ الإِنسْانِ مِنْ رُقَادِهِ،وَفِي المَسَاءِ شُكْراً لَهُ عَلى تَوفِيقِهِ لأَداءِ العَمَلِ،والقِيَامِ بالسَّعِي لِلْحُصُولِ عَلَى الرِّزْقِ .[٢٠٢٧]

وقال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٥٦) سورة الأحزاب

هذا فيه تنبيه على كمال رسول اللّه ﷺ،ورفعة درجته،وعلو مترلته عند اللّه وعند خلقه،ورفع ذكره. و { إِنَّ اللَّهَ } تعالى { وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ } عليه،أي: يثني اللّه عليه بين الملائكة،وفي الملأ الأعلى،لمحبته تعالى له،وتثني عليه الملائكة المقربون،ويدعون له ويتضرعون. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } اقتداء باللّه وملائكته،وجزاء له على بعض حقوقه عليكم،وتكميلا لإيمانكم،وتعظيمًا له ﷺ،ومحبة وإكرامًا،وزيادة في حسناتكم،وتكفيرًا من سيئاتكم وأفضل هيئات الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام،ما علم به أصحابه: "اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد،وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات،وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[٢٠٢٨]

وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،عَنْ أَبِيه،عَنْ جَدِّه،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا فَلْيُكْثِرْ عبد مِنْ ذَلِكَ،أَوْ لِيُقِلِلْ "[٢٠٢٩]

[٢٠٢٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٥٤)

[٢٠٢٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٥٥)

[٢٠٢٨] - تفسير السعدي - (١ / ٦٧١)

[٢٠٢٩] - شعب الإيمان - (٣ / ١٢٧)(١٤٥٩) صحيح

وعَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ ».[٢٠٣٠]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ،قَالَ: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا ذَهَبَ رُبْعُ اللَّيْلِ قَامَ،فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ،اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ "فَقَالَ لَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْهَا ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ "،قَالَ: الرُّبْعُ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ،وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ "،قَالَ: النِّصْفُ ؟ قَالَ " مَا شِئْتَ،وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ "،قَالَ: ثُلُثَيْنِ ؟ قَالَ: " مَا شِئْتَ،وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ "،قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَجْعَلُهَا كُلَّهَا لَكَ ؟ قَالَ: " إِذًا تُكْفَى أَهَمَّكَ،وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ " " وهَذَا لَفْظُ حَدِيثِ أَبِي عَبْدِ اللهِ،وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ عَبْدَانَ فِي رِوَايَتِهِ الرُّبُعَ وَالثُّلُثَيْنِ،وَقَالَ فِي آخِرِهِ،قُلْتُ: أَجْعَلُ دُعَائِي كُلَّهُ صَلَاةً عَلَيْكَ ؟ قَالَ: " إِذًا يَكْفِيكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ وَيَغْفِرُ لَكَ "[٢٠٣١]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ رَبَّهُمْ،وَيُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ،إِنْ شَاءَ آخَذَهُمْ بِهِ،وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ. أخرجه أحمد[٢٠٣٢]

أفضل الكلام مع الناس:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (٦٧) سورة المائدة

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺبِأَنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَيْهِ لِيُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ،وَقَدِ امْتَثَلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لأَمْرِ رَبِّهِ .وَيَقُولُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: فَإِذَا لَمْ تَقُمْ بِمَا أُمِرْتَ بِهِ لاَ تَكُونُ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَةَ رَبِّكَ.ثُمَّ يَقُولُ اللهُ لِرَسُولِهِ:لاَ تَخَفْ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ بِأَذًى،فَأَنْتَ فِي حِفْظِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ،وَهُوَ يَمْنَعُكَ مِنْهُمْ،وَيَحْفَظُكَ وَيُؤَيِّدُكَ بِنَصْرِهِ.وَاللهُ هُوَ الذِي يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ،وَهُوَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ إِلَى الطَّرِيقِ السَّوِيِّ[٢٠٣٣].

وقال الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (٣٣) سورة فصلت .

[٢٠٣٠] – سنن النسائي- المكتر – (١٣٠٥) صحيح

[٢٠٣١] – شعب الإيمان – (٣ / ٨٥)(١٤١٨) حسن

[٢٠٣٢] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٣٣) (٨٥٣) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٦٧٤) (١٠٢٧٧) ١٠٢٨٢- صحيح

[٢٠٣٣] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٧٣٧)

لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه،وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة،وَفْق ما جاء عن رسول الله محمد ﷺ.[٢٠٣٤]

وقال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} (٧٩) سورة آل عمران

مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ آتَاهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ أنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللهِ،وَلَكِنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ لِلنَّاسِ:اعْبُدُوا اللهَ،وَكُونُوا أهْلَ عِبَادَةٍ للهِ وَتَقْوىً (رَبَّانِيِّينَ)،وَكُونُوا فُقَهَاءَ تَفْهَمُونَ شَرَائِعَ دِينِهِ،وَتَحْفَظُونَها،وَتَدْرُسُونَ كُتُبَهُ وَتَعْمَلُونَ بِهَا .[٢٠٣٥]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا.أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَىْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ».. أخرجه مسلم[٢٠٣٦].

حفظ اللسان عن الباطل:

قال الله تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (٣٦) سورة الإسراء .

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى العِبَادَ عَنِ القَوْلِ بِلاَ عِلْمٍ،وَبُدُونِ تَثَبُّتٍ،فَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنِ الحَدِيثِ فِي أَمْرٍ عَلَى الظَّنِّ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّوَهُّمِ.وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ:لاَ تَشْهَدْ إِلاَّ بِمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ،وَسَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ،وَوَعَاهُ قَلْبُكَ .[٢٠٣٧]

وقال الله تعالى:{ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)} [النحل:١١٦ - ١١٧]

وَلاَ تَقُولُوا عَنْ شَيءٍ هَذَا حَرَامٌ،وَهَذا حَلاَلٌ،إِذَا لَمْ يَأْتِكُمْ حِلُّهُ وَتَحْرِيمُهُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ،فَالَّذِي يُحَلِّلُ وَيُحَرِّمُ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ.(وَيَدْخُلُ فِي هَذا ابْتِدَاعِ بِدْعَةٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ شَرْعِيٌّ،أَوْ تَحْلِيلُ شَيءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللهُ،أَوْ تَحْرِيمُ شَيءٍ مِمَّا أَحَلَّهُ اللهُ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ وَالهَوَى) .ثُمَّ يَتَوَعَّدُ اللهُ تَعَالَى الذِينَ يَفْتَرُونَ

[٢٠٣٤] – التفسير الميسر – (٨ / ٤٠٢)

[٢٠٣٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٧٣)

[٢٠٣٦] – صحيح مسلم- المكتز – (٢٠٣)

[٢٠٣٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٠٦٦)

الكَذِبَ عَلَى اللهِ،وَيَقُولُ عَنْهُمْ:إِنَّهُمْ لاَ يُفْلِحُونَ فِي الدُّنْيَا،وَلاَ فِي الآخِرَةِ .[٢٠٣٨]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات .

يَنْهى اللهُ تَعَالى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَن الظَّنِّ السَّيِّء بإخوانِهِمْ الْمُؤْمِنِينَ،لأنَّ ظَنَّ الْمُؤْمِنِ السَّوْءَ إِثْمٌ،لأنَّ اللهَ نَهَى عَنْ فِعْلِه،فَإذا فَعَلَهُ فَهُوَ آثِمٌ .ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أن يَتَجَسَّسَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ،كَمَا نَهَاهُمْ عَنْ أنْ يَتَتَبَّعَ بَعْضُهُم عَوْرَاتِ بَعْضٍ،وَعَنْ أنْ يَبْحَث الوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ سَرَائِرِ أخِيهِ،وَهُوَ يَبْتَغِي بِذلِكَ فَضْحَهُ،وَكَشْفَ عُيُوبِه .

ثُمَّ نَهَاهم عَنْ أنْ يَغْتَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً،وَعَنْ أنْ يَذْكُرَ أحَدُهُمْ أخَاهُ بما يَكْرَهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَخَلْقِهِ وَخُلُقِه وَأهلِهِ وَمَالِهِ وَزَوْجِهِ وَوَلَدِه.. (كما عَرَّفَ رَسُولُ اللهِ الاغْتِيَابَ) .

(وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بلِسَانِهِ وَلَم يَدْخُلِ الإِيمانُ قَلْبَهُ:لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ،وَلاَ تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِم فإنَّ مَنِ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ،وَمَنْ يَتَتَبَّعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي عُقْرِ بَيْتِهِ ") .

وَشَبَّه تَعَالى اغْتِيَابَ الْمُؤْمِنِ لأخِيهِ المؤمِنِ بأكْلِه لَحمَهُ بَعْدَ موتِه،وَقَالَ لِلمُؤمِنِينَ إنَّهم إذا كَانَ أَحَدُهُمْ يَكْرَهُ أكْلَ لَحْمِ أخِيهِ بَعْدَ مَوتِه،وَإذا كَانَتْ نَفْسُهُ تَعَافُ ذَلِكَ فَعَلَيهِمْ أنْ يَكْرَهُوا أنْ يَغْتَابُوهُ فِي حَيَاتِهِ .

وَلِلْغِيبَةِ ثَلاثَةُ وُجُوهٍ:

الغِيبَةُ – وَهِيَ أنْ يَقُولَ الإِنسَانُ فِي أخِيهِ مَا هُوَ فيه مِمَّا يَكْرَهُهُ .

الإِفْكُ – أنْ يَقُولَ فِيهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ .

البُهْتَانُ – أنْ يَقُولُ فيهِ مَا لَيسَ فيه مِمّا يَكْرَهُهُ .

ثُمَ حَثَّ اللهُ تَعَالى الْمُؤْمِنِينَ عَلى تَقْوى اللهِ،وَعَلَى تَرْكِ الغِيبَةِ،وَمُرَاقَبَتِه تَعَالى فِي السِّرِّ والعَلنِ،فإذا تَابُوا وانتَهَوا واستَغْفَروا رَبَّهم عَمّا فَرَطَ مِنْهُم،اسْتَجَابَ لَهُم رَبُّهُمْ،فَتَابَ عَلَيهِمْ،لأنَّه تَعَالى كَثِيرُ التَّوْبِ عَلَى عِبَادِه،كَثِيرُ الرَّحمةِ بِهِمْ .[٢٠٣٩]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ– قَالَ « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً،يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ،وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ »

[٢٠٣٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٠١٧)

[٢٠٣٩] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٥٠٣)

[٢٠٤٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،قَالَ:ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ،قَالَ:أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ:فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ،وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ.. أخرجه مسلم[٢٠٤١]

وعَنْ حُذَيْفَةَ،أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنُمُّ الْحَدِيثَ،فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [٢٠٤٢]

الصدق وعدم الكذب:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ،وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا،وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ،وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا ". متفق عليه[٢٠٤٣]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ،وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا،وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ،وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا."[٢٠٤٤]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا ».[٢٠٤٥]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ،وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » متفق عليه[٢٠٤٦]

ما يباح من الكذب:

[٢٠٤٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٤٧٨)

[٢٠٤١] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٧٢) (٥٧٥٩) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٧٥٨)

[٢٠٤٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٣٠٣)

[٢٠٤٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠٩٤) وصحيح مسلم- المكتر – (٦٨٠٣)

[٢٠٤٤] – صحيح ابن حبان – (١ / ٥٠٩) (٢٧٤) صحيح

[٢٠٤٥] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٨٠٥)

[٢٠٤٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٢٢٠)

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِى حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ اللاَّتِى بَايَعْنَ النَّبِىَّ -ﷺ- أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يَقُولُ « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِى خَيْرًا ». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِى شَىْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلاَّ فِى ثَلاَثٍ الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.". متفق عليه[٢٠٤٧].

وعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي أَسْمَاءُ ابْنَةُ يَزِيدَ الْأَشْعَرِيَّةُ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى بَنِي آدَمَ إِلَّا مَنْ كَذَبَ لِامْرَأَتِهِ،أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ يُصْلِحَ بَيْنَهُمَا،وَرَجُلٌ كَذَبَ فِي حَرْبٍ "[٢٠٤٨]

قَالَ الطحاوي: فَتَأَمَّلْنَا هَذِهِ الْآثَارَ،فَوَجَدْنَا فِيهَا قَوْلَ مَنْ رَوَيْتُ عَنْهُ مِمَّا أُضِيفَ فِيهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلْكَذِبِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺفَوَجَدْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة: ١١٩] وَوَجَدْنَاهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } [الحج: ٣٠] فَكَانَ فِيمَا تَلَوْنَا أَمْرُهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ،وَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺوَمَنْ تَقَدَّمَهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ،وَلَمْ يُخَصِّصْ ذَلِكَ بِحَالٍ دُونَ حَالٍ،وَلَا وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ بَلْ عَمَّ بِهِ الْأَحْوَالَ كُلَّهَا وَالْأَوْقَاتِ كُلَّهَا،وَكَذَلِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ اجْتِنَابِهِ فِيهَا هُوَ كَذَلِكَ أَيْضًا عَلَى الْأَوْقَاتِ كُلِّهَا،وَعَلَى الْأَحْوَالِ كُلِّهَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺأَبْعَدُ النَّاسِ مِنْ خِلَافِ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ،ثُمَّ نَظَرْنَا هَلْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي هَذِهِ الْمَعَانِي سِوَى مَا قَدْ رَوَيْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ،فَعَنْ أُمِّ كُلْثُومٍ ابْنَةِ عُقْبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ،فَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ يَنْمِي خَيْرًا "

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أُمَّهُ أُمَّ كُلْثُومٍ ابْنَةَ عُقْبَةَ وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ اللَّاتِي بَايَعْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺأَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يَنْمِي خَيْرًا،أَوْ يَقُولُ خَيْرًا لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ " وَكَانَ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ نَفْيُ رَسُولِ اللهِ ﷺالْكَذِبَ عَمَّنْ يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ،فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا،وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ الَّذِي بِمَعَارِيضِ الْكَلَامِ مِمَّا لَيْسَ قَائِلُهُ كَاذِبًا،وعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،أَنَّ أُمَّ كُلْثُومٍ ابْنَةَ عُقْبَةَ أَخْبَرَتْهُ،أَنَّهَا،سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ،فَيَقُولُ خَيْرًا أَوْ يَنْمِي خَيْرًا "،وَلَمْ يُرَخِّصْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ: إِنَّهُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: فِي الْحَرْبِ،وَإِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ،وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ

[٢٠٤٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٩٩) وصحيح ابن حبان – (١٣ / ٤٠) (٥٧٣٣) وصحيح البخارى- المكتر – (٢٦٩٢)

[٢٠٤٨] – شرح مشكل الآثار – (٧ / ٣٥٧) (٢٩١٥) حسن

زَوْجَهَا"

فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ :إِنَّ الَّذِي فِيهِ حِكَايَةٌ عَنْ بَعْضِ رُوَاتِهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ رَخَّصَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: لَا بَأْسَ بِالْكَذِبِ فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺرَخَّصَ فِي ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ،وَكَانَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْكَذِبِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَا عَدَّهُ قَائِلُ ذَلِكَ مِنْ رُوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ كَذِبًا لَيْسَ كَذِبًا فِي الْحَقِيقَةِ،وَإِنَّمَا هُوَ لِظَنِّهِ ذَلِكَ.وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ وَقَفْنَا بِهِ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي ذَلِكَ يُوَافِقُ ذَلِكَ الْبَابَ،فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ يُبَاحُ التَّعْرِيضُ فِي مِثْلِ هَذَا حَتَّى يَكُونَ الْمُخَاطَبُ يَقَعُ فِي قَلْبِهِ خِلَافُ حَقِيقَةِ كَلَامِ مَنْ يُخَاطِبُهُ ؟ فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا بَأْسَ بِهِ.قَالَ: وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ صَاحِبِهِ لَمَّا قَالَ لَهُ { لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ } [الكهف: ٧٣] لَيْسَ لِأَنَّهُ نَسِيَ،وَلَكِنَّهُ عَلَى مَعَارِيضِ الْكَلَامِ،وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا قَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺمِنْ قَوْلِهِ: الْحَرْبُ خُدْعَةٌ،وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْحَرْبِ عَقَلْنَا بِهِ أَنَّ الْمُرَخَّصَ فِيهِ فِي الْحَرْبِ فِي الْآثَارِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي هَذَا الْبَابِ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ لَا مَا سِوَاهُ،وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي الْحَرْبِ كَانَ الَّذِي يُصْلِحُ بِهِ الرَّجُلُ بَيْنَ النَّاسِ،وَالَّذِي يُصْلِحُ بِهِ قَلْبَ زَوْجَتِهِ،وَالَّذِي تُصْلِحُ بِهِ الزَّوْجَةُ قَلْبَ زَوْجِهَا هُوَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا لَا الْكَذِبَ،وَقَدْ حُقِّقَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ،وَلَمْ يُرَخِّصْ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّهُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ،أَيْ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِنَّهُ كَذِبٌ،وَلَيْسَ بِكَذِبٍ،وَهَذِهِ الْمَعَانِي هِيَ الْأَوْلَى بِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْمِلُوا أُمُورَ رَسُولِ اللهِ ﷺعَلَيْهَا،وَفِيمَا رَوَيْنَا مِنْ أَحَادِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ هَذِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺلَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يَمْشِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ،فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُهُ،وَفِي ذَلِكَ نَفْيُ رَسُولُ اللهِ ﷺعَمَّنْ كَانَتْ تِلْكَ حَالُهُ الْكَذِبَ،وَإِذَا انْتَفَى عَنْهُ بِذَلِكَ الْكَذِبُ انْتَفَى عَمَّنْ كَانَ مِنْهُ الْكَذِبُ أَيْضًا،وَثَبَتَ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِي ذَلِكَ هُوَ الْمَعَارِيضَ لَا مَا سِوَاهَا ."

اجتناب الفحش واللعن:

١قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (١١) سورة الحجرات

إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع،ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس. وهي من كرامة المجموع. ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس،لأن الجماعة كلها وحدة،كرامتها واحدة.

والقرآن في هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا». وينهاهم أن يسخر قوم

بقوم،أي رجال برجال،فلعلهم خير منهم عند اللّه،أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن في ميزان اللّه.

وفي التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التي يراها الرجال في أنفسهم ويراها النساء في أنفسهن ليست هي القيم الحقيقية،التي يوزن بها الناس. فهناك قيم أخرى،قد تكون خافية عليهم،يعلمها اللّه،ويزن بها العباد.وقد يسخر الرجل الغني من الرجل الفقير. والرجل القوي من الرجل الضعيف،والرجل السوي من الرجل المؤوف. وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخام. وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم. وذو العصبية من اليتيم ...

وقد تسخر الجميلة من القبيحة،والشابة من العجوز،والمعتدلة من المشوهة،والغنية من الفقيرة .. ولكن هذه وأمثالها من قيم الأرض ليست هي المقياس،فميزان اللّه يرفع ويخفض بغير هذه الموازين! ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الإيحاء،بل يستجيش عاطفة الأخوة الإيمانية،ويذكر الذين آمنوا بأنهم نفس واحدة من يلمزها فقد لمزها:«وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» .. واللمز:العيب. ولكن للفظة جرسا وظلا فكأنما هي وخزة حسية لا عيبة معنوية! ومن السخرية واللمز التنابز بالألقاب التي يكرهها أصحابها،ويحسون فيها سخرية وعيبا. ومن حق المؤمن على المؤمن ألا يناديه بلقب يكرهه ويزري به - ومن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا. وقد غير رسول اللّه - ﷺ- أسماء وألقابا كانت في الجاهلية لأصحابها،أحس فيها بحسه المرهف،وقلبه الكريم،بما يزري بأصحابها،أو يصفهم بوصف ذميم. والآية بعد الإيحاء بالقيم الحقيقة في ميزان اللّه،وبعد استجاشة شعور الأخوة،بل شعور الاندماج في نفس واحدة،تستثير معنى الإيمان،وتحذر المؤمنين من فقدان هذا الوصف الكريم،والفسوق عنه والانحراف بالسخرية واللمز والتنابز:«بِئْسَ الِاسْمُ:الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ». فهو شيء يشبه الارتداد عن الإيمان! وتهدد باعتبار هذا ظلما،والظلم أحد التعبيرات عن الشرك:«وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» .. وبذلك تضع قواعد الأدب النفسي لذلك المجتمع الفاضل الكريم.[٢٠٤٩]

وقال الله تعالى: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (١٩) سورة لقمان

وَامشِ مُقْتَصِداً فِي مَشْيِكَ،عَدْلاً وَسَطاً بَيْنَ البَطِيءِ المُتَثَبِّطِ،والسَّرِيعِ المُفْرِطِ،وَلا تُبَالِغْ فِي الكَلاَمِ،وَلا تَرْفَعَ صَوْتَكَ فِيمَا لا فَائِدَةَ مِنْهُ،وَحِينَما لاَ تَكُونَ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلى رَفْعِ الصَّوتِ،فَذَلِكَ يَكُونُ أَوْقَرَ لِلمُتَكَلِّمِ،وأَبْسَطَ لِنَفْسِ السَّامِعِ.ثُمَّ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ مُنَفِّراً إِيَّاهُ مِنْ رَفْعِ صَوْتِهِ حِينَما لاَ يَكُونُ هُنَاكَ حَاجَةً لِذلِكَ:إِنَّ الحِمَارَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ عِندَ النَّهِيقِ،ولكِنَّ الصَّوْتَ الذِي يَصْدُرُ عَنْهُ قَبِيحٌ مُنْكَرٌ،فَلاَ يَلِيقُ

[٢٠٤٩] - فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٤٤)

بالإنسَانِ العَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَ فِعْلَ الحِمَارِ .[٢٠٥٠]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهما – قَالَ لَمْ يَكُنِ النَّبِىُّ – ﷺ– فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا »[٢٠٥١]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ،قَالَ:كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ،قَالَ:وَرُبَّمَا بَاتَتْ عِنْدَهُ،قَالَ:فَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ خَادِمًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ،فَقَالَ:اللَّهُمَّ الْعَنْهُ،فَقَالَتْ:لاَ تَلْعَنْهُ،فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّ اللَّعَّانَيْنَ لاَ يَكُونُونَ شُهَدَاءَ،وَلاَ شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[٢٠٥٢]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ،قَالَ:كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ،يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ،فَتَبِيتُ عِنْدَ نِسَائِهِ،وَيَسْأَلُهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:فَقَامَ لَيْلَةً فَدَعَا خَادِمَهُ،فَأَبْطَأَتْ عَلَيْهِ فَلَعَنَهَا فَقَالَتْ:لاَ تَلْعَنْ فَإِنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ حَدَّثَنِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:إِنَّ اللَّعَّانِينَ لاَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ،وَلاَ شُفَعَاءَ. "[٢٠٥٣]

قلة الكلام وعدم الخوض في الباطل:

قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (٦٨) سورة الأنعام

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَجْلِسُونَ إِلى النَّبِيِّ ﷺيُحِبُّونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ،فَإِذَا سَمِعُوا اسْتَهْزَؤُوا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فَجَعَلَ النَّبِيُّ إِذَا اسْتَهْزَؤُوا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِمْ فَحَذِرُوا،وَقَالُوا لاَ تَسْتَهْزِئُوا فَيَقُومُ.وَالْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الآيَةِ الرَّسُولُ ﷺوَالْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ الذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ الْمُنْزَلَةِ،مِنَ الكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ،وَأَهْلَ الأَهْوَاءِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ،وَأَنْ لاَ يَجْلِسَ مَعَهُمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ آخَرَ غَيْرَ حَدِيثِ الكُفْرِ وَالاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللهِ أَوْ تَأْوِيلِهَا بِالبَاطِلِ مِنْ جَانِبِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ،وَإِذَا أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ،أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ،هَذَا النَّهْيَ،وَقَعَدْتَ مَعَهُمْ،وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الحَالِ،ثُمَّ ذَكَرْتَ فَقُمْ عَنْهُمْ،وَلاَ تَقْعُدْ مَعَ هؤُلاَءِ الظَّالِمِينَ لأَنْفُسِهِمْ بِالتَّكْذِيبِ بِآيَاتِ اللهِ،وَالاسْتِهْزَاءِ بِهَا .[٢٠٥٤]

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ –ﷺ– « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ،وَوَأْدَ الْبَنَاتِ،وَمَنَعَ وَهَاتِ،وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ،وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ».متفق عليه[٢٠٥٥].

[٢٠٥٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٣٦٩)

[٢٠٥١] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٥٥٩)

[٢٠٥٢] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٥٦)(٥٧٤٦) وصحيح مسلم– المكتر – (٦٧٧٧) مختصراً

[٢٠٥٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٨٩٣)(٢٧٥٢٩) ٢٨٠٧٩– صحيح

[٢٠٥٤] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٨٥٨)

[٢٠٥٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٤٠٨) وصحيح مسلم– المكتر – (٤٥٨٠)

الصمت وعدم الكلام إلا بخير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ. ». متفق عليه [٢٠٥٦]

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ،وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصمُتْ "[٢٠٥٧]

عدم مقاطعة الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺفِى مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺيُحَدِّثُ،فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ سَمِعَ مَا قَالَ،فَكَرِهَ مَا قَالَ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ لَمْ يَسْمَعْ،حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ.قَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ.قَالَ فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ.قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ.. أخرجه البخاري[٢٠٥٨].

عدم إطالة الحديث:

عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها أَنَّ النَّبِىَّ – ﷺ- كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ ..[٢٠٥٩]

وعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ،فَأَبْلَغْ وَأَوْجَزْ،فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ،لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ،فَلَوْ كُنْتَ نَفَّسْتَ،فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ،وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ،فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ،فَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا ". أخرجه مسلم[٢٠٦٠]

عدم الإكثار من الأسئلة:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (١٠١) سورة المائدة

يُؤَدِّبُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ،وَيَنْهَاهُمْ عَنْ أَنْ يَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لاَ فَائِدَةَ لَهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهَا،وَعَنِ

[٢٠٥٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٠١٨) وصحيح مسلم- المكتر – (١٨٢) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٢٧٣)(٥١٦)

[٢٠٥٧] – صحيح مسلم- المكتر – (٨٥)

[٢٠٥٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٩)

[٢٠٥٩] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٥٦٧)

[٢٠٦٠] – صحيح مسلم- المكتر – (٢٠٤٦)

التَّنْقيبِ عَنْ خَفَايَاهَا،لأَنَّها إنْ ظَهَرَتْ لَهُمْ تِلْكَ الأشْيَاءُ رُبَّمَا سَاءَتْهُمْ،وَشَقَّ عَلَيْهِمْ سَمَاعُهَا .وَيَقُولُ تَعَالَى:إذَا سَأَلْتُمْ عَنْ هَذِهِ الأشْيَاءِ التِي نُهِيتُمْ عَنِ السُّؤَالِ عَنْهَا،حِينَ يَنْزِلُ القُرآنُ فِي شَأنِهَا أوْ حُكْمِهَا،أوْ لأجْلِ فَهْمِ مَا نَزَلَ إلَيكُمْ،فَإنَّ اللهَ يُبْدِيهِ لَكُمْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ .وَقِيلَ إنَّ المَقْصُودَ بِقَولِهِ تَعَالَى:{ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ } هُوَ لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ تَسْتَأنِفُونَ السُّؤَالَ عَنْهَا،فَلَعَلَّهُ يَنْزِلُ بِسَبَبِ سُؤَالِكُمْ تَشْدِيدٌ أَوْ تَضْيِيقٌ .[٢٠٦١]

وعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ سُئِلَ النَّبِىُّ - ﷺ- عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا،فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ،ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ « سَلُونِى عَمَّا شِئْتُمْ ».قَالَ رَجُلٌ مَنْ أَبِى قَالَ « أَبُوكَ حُذَافَةُ ».فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ مَنْ أَبِى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ « أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ ».فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِى وَجْهِهِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .[٢٠٦٢]

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ،وَوَأْدَ الْبَنَاتِ،وَمَنَعَ وَهَاتِ،وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ،وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ».متفق عليه[٢٠٦٣]

الجهر عند وعظ الناس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِىُّ - ﷺ- فِى سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا،فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاَةُ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ،فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا،فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ « وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ».مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا .[٢٠٦٤]

وعَنْ جَابِرٍ،قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ،وَعَلاَ صَوْتُهُ،وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ،حَتَّى كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ،يَقُولُ:صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ،وَيَقُولُ:بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ:أَمَّا بَعْدُ،فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ،وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ،وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا،وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ،ثُمَّ يَقُولُ:أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ،مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ،وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيْعَةً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ." أخرجه مسلم[٢٠٦٥].

تكرار الكلام ليُفهم عنه:

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ،وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ

[٢٠٦١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٧١)

[٢٠٦٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٩٢)

[٢٠٦٣] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٤٠٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٥٨٠)

[٢٠٦٤] -صحيح البخارى- المكتر - (٦٠) -أرهق : أخر

[٢٠٦٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٢٠٤٢) وصحيح ابن حبان - (١ / ١٨٦)(١٠)

فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا .. أخرجه البخاري[٢٠٦٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ:إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ،أَعَادَهَا ثَلاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ[٢٠٦٧]

وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ:كَانَ ابُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ وَيَقُولُ:اسْمَعِي يَارَبَّةَ الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَارَبَّةَ الْحُجْرَةِ.وعَائِشَةُ تُصَلِّي.فَلَمَّا قَضَتْ صَلاتَهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ:الا تسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ انِفًا ؟

إِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺيُحَدِّثُ حَدِيثًا،لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لاحْصَاهُ.[٢٠٦٨]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ».ثَلاَثًا.قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.قَالَ « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ».وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ « أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ».قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ.متفق عليه[٢٠٦٩].

مخاطبة الناس بالكلام اللين الحسن:

قال الله تعالى: {وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} (٥٣) سورة الإسراء

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ بِأَنْ يَنْصَحَ المُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَقُولُوا فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ،وَمُحَاوَرَتِهِم الكَلاَمِيَّةِ،العِبَارَاتِ الأَحْسَنِ،وَالكَلِمَاتِ الأَطْيَبِ،فَإِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ،وَأَوْقَعَ بَيْنَهُمُ الشَّرَّ وَالمُخَاصَمَةَ،وَالعَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ،فَهُوَ عَدُّو لِذُرِّيَّةِ آدَمَ،ظَاهِرُ العَدَاوَةِ سَافِرُهَا .[٢٠٧٠]

وقال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ} (٨٣) سورة البقرة

يُذَكِّرُ اللهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَوَامِرِهِ إِلَيهِمْ،وَبِالمِيثَاقِ الذِي أَخَذَهُ عَلَيهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى وَغَيرِهِ مِنْ أَنْبِيَائِهِمْ أَلاَّ يَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ وَحْدَهُ،لا شَرِيكَ لَهُ،وَأَلاَّ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً،وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الوَالِدَينِ،وَأَنْ يُحسِنُوا إِلَى ذَوِي قُربَاهُمْ،وَإِلَى اليَتَامَى الذِين مَاتَ آبَاؤُهُمْ،وإِلى المَسَاكِينِ الذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعِيَالِهِمْ،وَأَنْ يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ النَّاسِ وَمُعَاشَرَتَهُمْ،وَأَنْ يَقُولُوا لَهُمْ كَلِمَاتٍ طَيِّبَاتٍ (

[٢٠٦٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٩٥)

[٢٠٦٧] - المستدرك للحاكم (٧٧١٦) صحيح

[٢٠٦٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٧٧٠١)

[٢٠٦٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٦٥٤) وصحيح مسلم- المكتر -(٢٦٩)

[٢٠٧٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٠٨٣)

وَيدخُلُ فِي ذلِكَ الأَمرُ بِالمَعْروفِ والنَّهيُ عَنْ المُنْكَرِ) وَأَنْ يُقيموا الصَّلاَةَ،وَأَنْ يُؤَدُّوا الزَّكَاةَ.وَلكِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَوَلَّوْا عَنْ ذلِكَ،وَأَعْرَضُوا عَنْهُ عَنْ عَمْدٍ،بَعْدَ العِلْمِ بِهِ،وَلَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ بِأَمْرِ اللهِ إِلاَّ قَلِيلُونَ،أَقَامُوا الشَّرِيعَةَ عَلَى وَجْهِهَا الصَّحِيحِ فِي زَمَنِ مُوسَى وَبَعْدَهُ،وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ حِينَمَا أَدْرَكُوهُ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَّمٍ وَثَعْلَبَةَ بْنِ سعيدٍ .[٢٠٧١]

وقال الله تعالى: { اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)} [طه:٤٢ - ٤٦]

اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ هَارُونَ مُؤَيَّدَيْنِ بِمُعْجِزَاتِي،وَحُجَجِي،وَبَرَاهِينِي الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكُمَا،إِلَى فِرْعَوْنَ،وَلاَ تَفْتُرا عَنْ ذِكْرِي عِنْدَ لِقَائِكُمَا إِيَّاهُ،لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْناً لَكُمَا،وَقُوَّةً وَسُلْطَاناً كَاسِراً لَهُ،وَلاَ تَتَهَاوَنَا فِي دَعْوَتِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَا أَرْسَلْتُكُمَا بِهِ إِلَيْهِ .اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَإِنَّهُ عَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ،وَتَمَرَّدَ وَتَجَبَّرَ عَلَى اللهِ وَعَصَاهُ .وَادْعُوَاهُ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَحُسْنَى إِلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ،وَتَرْكِ العُتُوِّ،وَالتَّجَبُّرِ وَالاسْتِعْلاَءِ عَلَى خَلْقِ اللهِ،لَعَلَّ الكَلاَمَ الرَّقِيقَ اللَّيِّنَ يُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِ فَيَرْجِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الضَّلاَلِ،وَيَتَذَكَّرُ آيَاتِ اللهِ وَيَخْشَى لِقَاءَهُ وَعَذَابَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ،فَيَرْتَدِعَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الغَيِّ وَالضَّلاَلِ .فَقَالَ هَارُونَ وَمُوسَى،عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ:يَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَبْطِشَ بِنَا فِرْعَوْنُ إِنْ نَحْنُ دَعَوْنَاهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ،وَالكَفِّ عَنِ العُتُوِّ وَالطُّغْيَانِ،وَنَخْشَى أَنْ يُعَجِّلَ لَنَا بِالعُقُوبَةِ،أَوْ أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَيْنَا.قَالَ اللهُ تَعَالَى:لاَ تَخَافَا فَإِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ كَلاَمَكُمَا وَكَلاَمَهُ،وَأَرَى مَكَانَكُمَا وَمَكَانَهُ،وَلاَ يَخْفَى عَلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيءٌ،وَاعْلَمَا أَنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِي،فَلاَ يَتَكَلَّمُ،وَلاَ يَتَنَفَّسُ،وَلاَ يَبْطِشُ إِلاَّ بِإِذْنِي،وَأَنْتُمَا فِي حِفْظِي وَرِعَايَتِي .[٢٠٧٢]

اذهب أنت وأخوك مزودين بآياتي وقد شهد منها آية العصا وآية اليد - ولا تنيا في ذكري فهو عدتكما وسلاحكما وسندكما الذي تأويان منه إلى ركن شديد .. اذهبا إلى فرعون. وقد حفظتك من شره من قبل.وأنت طفل وقد قذفت في التابوت،فقذف التابوت في اليم،فألقاه اليم بالساحل،فلم تضرك هذه الخشونة،ولم تؤذك هذه المخاوف. فالآن أنت معد مهيأ،ومعك أخوك. فلا عليك وقد نجوت مما هو أشد،في ظروف أسوأ وأعنف.اذهبا إلى فرعون فقد طغى وتجبر وعتا «فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً» فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.اذهبا إليه غير يائسين من هدايته،راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة،ولا يثبت عليها في وجه الجحود

[٢٠٧١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٠)

[٢٠٧٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٣٩١)

والإنكار.وإن اللّه ليعلم ما يكون من فرعون. ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه. واللّه يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم. وهو عالم بأنه سيكون. فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء.وإلى هنا كان الخطاب لموسى – عليه السلام – وكان المشهد هو مشهد المناجاة في الفلاة. وهنا يطوي السياق المسافات والأبعاد والأزمان،فإذا هارون مع موسى. وإذا هما معا يكشفان لربهما عن خوفهما من مواجهة فرعون،ومن التسرع في أذاه،ومن طغيانه إذا دعواه :«قالا:رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى.قالَ:لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى.فَأْتِياهُ فَقُولا:إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ. قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ. وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى.إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنا أَنَّ الْعَذابَ عَلى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى».وهارون لم يكن مع موسى قطعا في موقف المناجاة الطويل – الذي تفضل المنعم فيه على عبده،فأطال له فيه النجاء،وبسط له في القول،وأوسع له في السؤال والجواب – فردهما معا بقولهما:«إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى » لم يكن في موقف المناجاة. إنما هو السياق القرآني يطوي الزمان والمكان،ويترك فجوات بين مشاهد القصص،تعلم من السياق ليصل مباشرة إلى المواقف الحية الموحية ذات الأثر في سير القصص وفي وجدان الناس.ولقد اجتمع موسى وهارون عليهما السلام إذن بعد انصراف موسى من موقف المناجاة بجانب الطور.وأوحى اللّه إلى هارون بمشاركة أخيه في دعوة فرعون ثم هاهما ذان يتوجهان إلى ربهما بمخاوفهما:«قالا:رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى » ..والفرط هو التسرع بالأذى للوهلة الأولى،والطغيان أشمل من التسرع وأشمل من الأذى. وفرعون الجبار يومئذ لا يتحرج من أحدهما أو كليهما. هنا يجيئهما الرد الحاسم الذي لا خوف بعده،ولا خشية معه:«قالَ:لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى » ..إنني معكما .. إنه القوي الجبار الكبير المتعال. إنه اللّه القاهر فوق عباده. إنه موجد الأكوان والحيوات والأفراد والأشياء بقولة:كن. ولا زيادة .. إنه معهما .. وكان هذا الإجمال يكفي. ولكنه يزيدهما طمأنينة،ولمسا بالحس للمعونة:«أَسْمَعُ وَأَرى ..» فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى؟ واللّه معهما يسمع ويرى؟[٢٠٧٣]

[٢٠٧٣] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٤ / ٢٣٣٦)

-٤٨ - آداب الدعاء

فضل الدعاء:

قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٨٦) سورة البقرة

وإذا سألك -أيها النبي- عبادي عني فقل لهم: إني قريب منهم،أُجيب دعوة الداعي إذا دعاني،فليطيعوني فيما أمرتهم به ونهيتهم عنه،وليؤمنوا بي،لعلهم يهتدون إلى مصالح دينهم ودنياهم. وفي هذه الآية إخبار منه سبحانه عن قربه من عباده،القرب اللائق بجلاله.[٢٠٧٤]

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ " ثُمَّ قَرَأَ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٦٠) سورة غافر[٢٠٧٥].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ ».[٢٠٧٦]

الإكثار من الأعمال الصالحة:

قال الله تعالى :{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)} [الأنبياء:٨٣ - ٩٠]

يذْكُرُ اللهُ تَعالى مَا أَصابَ عَبْدَهُ أَيُّوبَ عَلَيْه السلامُ،مِنَ البَلاءِ في مَالِه وولَدِه وجَسَدِه،ولبِثَ فِي ذلكَ البلاءِ مُدَّةً طَويلةً فَنادَى رَبَّه:يَا رَبِّ لَقَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ فَارْحَمْنِي،وأفضْ عَليَّ مِنْ جُودِكَ وَرَحْمَتِكَ مَا يُسْعِفُنِي،ويَدْفَعُ الضُّرُّ عَنِّي،وأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .وإِنَّ إِسْمَاعيلَ وإدريسَ وذا الكفْلِ،كلُّهُم مِنَ

[٢٠٧٤] - التفسير الميسر - (١ / ٢٠٠)

[٢٠٧٥] - شعب الإيمان - (٢ / ٣٦٢)(١٠٧٠) وصحيح ابن حبان - (٣ / ١٧٢)(٨٩٠) صحيح

[٢٠٧٦] - سنن الترمذى- المكتر - (٣٦٩٨) حسن

الرُّسُل الكِرَام،الذين صَبَروا على ما ابْتَلاهُمْ بِهِ اللهُ،وأَخْبتُوا لِرَبِّهم،فَنَالُوا رِضَاهُ .يَذْكُرُ اللهُ تَعالى قِصَّةَ يونُسَ عليه السلامُ (وهوَ ذو النُّونِ أيْ صاحبُ الحُوت)،وكانَ اللهُ قَدْ بَعَثَهُ نَبياً إلى أَهْل نينَوَى فَدَعَاهُمْ إلى عِبَادةِ اللهِ وَحدَهُ فَأَبَوْا،وَتَمَادَوْا في كُفْرِهم،فَخَرَجَ يُونُسُ مِنْ بَيْنِهم مُغَاضِباً لَهُمْ،وأَنْذَرَهُمْ بأنَّ العَذَابَ وَاقِعٌ بِهِمْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّام،فَلما تَحَقَّقُوا مِنْ ذَلِكَ،وَعلمُوا أنَّ النبيَّ لا يَكْذِبُ،خَرَجُوا مِنَ البلدِ بأطْفَالِهم وأنْعامِهم ومَوَاشِيهم،ثُمَّ تَضَرَّعُوا إلى اللهِ تَعَالى،وَجأَرُوا إليه بالدُّعَاءِ،فَرَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ العَذابَ،وصَرَفَهُ عَنْهُم،كَمَا جَاءَ في آيةٍ أُخْرى .أمَّا يونسُ فإنَّه تَرَكَ قَوْمَه مُغَاضِباً لَهُم،وذَهَبَ فَرَكِبَ في سَفِينَةٍ فَاضْطَرَبَتْ وَخافَ مَنْ فِيها مِنْ غَرَقِها،فاقْتَرعُوا على رَجُل يُلقُونهُ مِنْ بينهم في الماءِ يَتَخفَّفُونَ منهُ،فوقَعَت القُرْعَةُ على يُونُسَ،فَأَبَوْا أنْ يُلْقُوهُ،ثُمَّ أعادُوا القُرْعَةَ فَوَقَعَتْ علَيْه،فَأَبَوْا،ثمَّ أعَادُوا للمرةِ الثّالثةِ فَوَقَعَتْ عليه،فَتَجَرَّدَ يُونُسُ مِنْ ثِيَابِه،وأَلْقَى بِنَفْسِه في المَاء،فالْتَقَمَهُ الحُوتُ،ولذَلِكَ سُمِّيَ بصَاحِبِ الحُوتِ (ذُو النُّونِ) .وكانَ يُونسُ يَظُنُّ أنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّقَ عليْه في بَطْنِ الحُوت،(أو أنهُ تَعالى لنْ يَقْدِرَ عليه أَنْ يَكُونَ فِي بَطْنِ الحُوتِ) فَكَانَ في بَطْنِ الحوتِ في ظُلْمَة،وفي أعْمَاقِ البَحْرِ في ظُلمَةٍ،وفي ظَلامِ الليلِ في ظُلْمَةٍ،ولذلك قَالَ تَعالى:{ فنادى فِي الظلمات } ودَعاَ رَبَّهُ قائلاً:لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَك إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ.يُخْبِرُ اللهُ تعالى عَنْ زَكَرِيَّا عَليه السَّلامُ حينما تَقَدَّمَتْ به السِّنُ،وطَلبَ مِنَ اللهِ أَنْ يَهَبَهُ وَلَداً يَرِثُ النُبُوَّةَ من بَعْدِه،فَنَادَى رَبَّه نِدَاءً خَفِيّاً عَنْ قَوْمِه،وقَالَ:رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً بلا وَلَدٍ،وَلاَ وَارِثٍ،يَقُومُ بَعْدِي في النَّاسِ،وأَنْتَ يَا رَبِّ خَيْرُ مَنْ وَرِثَ العِبَادَ (وفي هذا الدُّعَاءِ إشَارَةٌ إلى قِيَامِ السَّاعةِ،وهَلاَكِ البشَرِ جَمِيعاً،وَبَقَاءِ اللهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ .[٢٠٧٧]

فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له على الكبر ابنه يحيى،وجعلنا زوجته صالحة في أخلاقها وصالحة للحمل والولادة بعد أن كانت عاقرًا،إنهم كانوا يبادرون إلى كل خير،ويدعوننا راغبين فيما عندنا،خائفين من عقوبتنا،وكانوا لنا خاضعين متواضعين.[٢٠٧٨]

إن هذه أمتكم. أمة الأنبياء. أمة واحدة. تدين بعقيدة واحدة. وتنهج نهجا واحدا. هو الاتجاه إلى اللّه دون سواه.أمة واحدة في الأرض،ورب واحد في السماء. لا إله غيره ولا معبود إلا إياه.أمة واحدة وفق سنة واحدة،تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء.[٢٠٧٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ يَقُولُ:مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا،فَقَدْ آذَانِي،وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ،وَمَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،فَإِذَا

[٢٠٧٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٤٨٤)

[٢٠٧٨] – التفسير الميسر – (٦ / ٦)

[٢٠٧٩] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٤ / ٢٣٩٥)

أَحْبَبْتُهُ،كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ،وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا،وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا فَإِنْ سَأَلَنِي عَبْدِي،أَعْطَيْتُهُ،وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي،أَعَذْتُهُ،وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ،يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ. أخرجه البخاري[٢٠٨٠].

التوسل بالأعمال الصالحة عند الدعاء:

قال الله تعالى: {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} (٥٣) سورة آل عمران

وَتَضَرَّعَ الحَوَارِيُّونَ إلى رَبِّهِمْ قَائِلِينَ:رَبَّنا آمَنَّا بِكَ وَبِنَبِيِّكَ،وَبِمَا أَنْزَلْتَ عَلَيهِ،وَاتَّبَعْنا رَسُولَكَ وَصَدَّقْنَاهُ،وَامْتَثَلْنَا لِمَا أَتَى بِهِ،فَاكْتُبْنَا وَاجْعَلْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ لِرَسُولِكَ بِالتَّبلِيغِ،وَعَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالكُفْرِ وَالعِنَادِ وَالجُحُودِ .[٢٠٨١]

وقال الله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ} (١٩٣) سورة آل عمران

بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللهَ حَقَّ المَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالفِكْرِ،عَبَّرُوا عَنْ وُصُولِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ،وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعاً،فَقَالُوا:رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا دَاعِياً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِيمَانِ بِكَ (وَهُوَ الرَّسُولُ)،وَيَقُولُ:آمِنُوا بِرَبِّكُمْ،فآمَنَّا مُسْتَجِيبِينَ لَهُ،رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا،وَتَجاوَزْ عَنْ سَيِئَاتِنَا،فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ،وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارَ الصَّالِحِينَ وَأَلْحِقْنَا بِهِمْ .[٢٠٨٢]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ،فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ،فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ،فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ،فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا،لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ،فَقَالَ أَحَدُهُمْ:اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ،وَامْرَأَتِي،وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ،فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ،حَلَبْتُ،فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ،فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ،وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ،فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ،فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا،فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ،فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ،فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا،وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا،وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ،فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ،فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً،نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ،فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً،فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ،وَقَالَ الْآخَرُ:اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا

[٢٠٨٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٥٠٢) وصحيح ابن حبان – (٢ / ٥٩) (٣٤٧)

[٢٠٨١] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٤٧)

[٢٠٨٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٨٦)

كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ،وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا،فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ،فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ،فَجِئْتُهَا بِهَا،فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا،قَالَتْ:يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ،وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ،فَقُمْتُ عَنْهَا،فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً،فَفَرَجَ لَهُمْ،وَقَالَ الْآخَرُ:اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ،فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ:أَعْطِنِي حَقِّي،فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ،فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا،فَجَاءَنِي فَقَالَ:اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي،قُلْتُ:اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا،فَخُذْهَا فَقَالَ:اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ:إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ،خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا،فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ،فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ،فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ،فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ "[٢٠٨٣]

التوسل بالنبي ﷺ بعد موته :

فِي الدُّعَاءُ لِلطَّبَرَانِيِّ (٩٧١) حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ عِيسَى الْمُقْرِئُ الْمِصْرِيُّ،ثنا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ،ثنا ابْنُ وَهْبٍ،عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَكِّيِّ،عَنْ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ،عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ،عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ،عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ،عَنْ عَمِّهِ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَاجَتِهِ وَكَانَ عُثْمَانُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ،فَلَقِيَ ابْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ،فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ:ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ،ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ،فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَقُلِ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا نَبِيِّ الرَّحْمَةِ:يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي،وَتُذْكُرُ حَاجَتَكَ " حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ،فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ،ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَهُ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ فَقَالَ:حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ وَقَضَاهَا لَهُ،وَقَالَ لَهُ:مَا فَهِمْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَ السَّاعَةُ،وَقَالَ لَهُ:مَا كَانَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَسَلْ،ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ عُثْمَانَ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَقَالَ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ إِلَيَّ فِي حَاجَتِي وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتُهُ فِي،فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ:مَا كَلَّمْتُهُ فِيكَ،وَلَكِنِّي شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- أَتَاهُ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ- :" أَوَتَصْبِرُ ؟ " فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ:" ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ،ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ،ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ " قَالَ ابْنُ حُنَيْفٍ:وَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ" .

[٢٠٨٣] - صَحِيحُ مُسْلِمٍ >> كِتَابُ الرِّقَاقِ (٧١٢٥)

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: خَالَفَ شُعْبَةُ رَوْحَ بْنَ الْقَاسِمِ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا إِدْرِيسُ بْنُ جَعْفَرٍ الْعَطَّارُ،ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ بْنِ فَارِسٍ،ثنا شُعْبَةُ،عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ،عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ،عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- بِمَعْنَاهُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْبَرَاءِ،قَالَ:سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ،يَقُولُ:رَوَى شُعْبَةُ،عَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ،فَذَكَرَ حَدِيثَ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ،قَالَ عَلِيٌّ:وَرَوَاهُ رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ،عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ،عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ،قَالَ عَلِيٌّ:وَمَا أَرَى رَوْحَ بْنَ الْقَاسِمِ إِلَّا قَدْ حَفِظَهُ قَالَ الطَّبَرَانِيُّ:وَرَوَاهُ عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى عُثْمَانَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ،ثنا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ،ثنا عَوْنُ بْنُ عُمَارَةَ،عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ،عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ،عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرَ مِثْلَ حَدِيثِ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ،عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ الطَّبَرَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:وَهِمَ عَوْنٌ فِي الْحَدِيثِ وَهْمًا فَاحِشًا " .

قلتُ:وقد تكلَّم ابنُ عدي على شبيب بن سعيد فقال:" ولشبيب بن سعيد نسخة الزهري عنده عن يونس عن الزهري،وهي أحاديث مستقيمة وحدث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير .ولعل شبيبا لما قدم مصر فى تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه فغلط ووهم،وأرجو أن لا يتعمد الكذب،وإذا حدَّث عنه ابنه أحمد فكأنه شبيب آخر ـــ يعني يجوِّدُ ".[٢٠٨٤]

قلتُ:وجميعُ أئمة الجرح والتعديل على توثيقه،فلا يقبلُ قول ابن عدي فيه،لأنه محجوجٌ بمن سبقه،و لم يعز لأحد من أئمة الجرح والتعديل تضعيفَه،فيردُّ قولُه،هذا على فرض تفرد ابن وهب بالرواية عنه. وإلا فقد روى هذه الزيادة عنه ابنه أحمد فتسقط الشبهة من أساسها،ففي دلائل النبوة للبيهقي برقم (٢٤١٧) قال بعد رواية الحديث المذكور:وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبٍ،عَنْ سَعِيدٍ،عَنْ أَبِيهِ أَيْضًا بِطُولِهِ.أَخْبَرَنَا أَبُوعَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَاذَانَ،أَنْبَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ دُرُسْتَوَيْهِ،حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ،حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ،فَذَكَرَهُ بِطُولِهِ.وَهَذِهِ زِيَادَةٌ أَلْحَقْتُهَا بِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ،وَرَوَاهُ أَيْضًا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ،عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ،عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ،عَنْ عَمِّهِ وهو عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ "

[٢٠٨٤] - - الكامل لابن عدي - ج٤ / ص ٣١)

وكذلك لها شاهد كما بين الطبراني أيضاً .ورجاله جميعا ثقات،وليس فيهم مدلس،وسمعوا من بعضهم كما ترى،فالحديث صحيحٌ،وهو نصٌّ في محلِّ النزاع،حيث فهم الراوي من الحديث العموم،وليس خاصًّا بحياة النبي – ﷺ– الدنيوية فقط،كما زعم المانعون.

التضرع والانكسار بين يدي الله:

قال الله تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [الأعراف:٥٥ – ٥٧]

يُرْشِدُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ إلى دُعَائِه بِتَضَرُّعٍ وَبِصُورَةٍ خَفِيَّةٍ.(أَيْ بِخُشُوع وَصِحَّة يَقِينٍ بِوَحْدَانِيَّة اللهِ وَبُرُبُوبِيَّتِه) لاَ جَهَاراً وَلاَ مُرَاءَاةً،فَاللهُ لاَ يُحِبُّ أَنْ يَتَجَاوَزُوا فِي الدُّعَاءِ حُدُودَ مَا أُمِرُوا بِه (كَالْمُبَالَغَة فِي رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الدُّعَاءِ،أَوْ طَلَبِ العَوْنِ مِنَ اللهِ عَلَى ارْتِكَابِ المَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ،أَوْ التَّوجُّه بِالدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ اللهِ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ...).يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ عَنِ الإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أَصْلَحَهَا اللهُ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ وَالنِّظَامِ،وَبِمَا هَدَى النَّاسَ إِلَيهِ مِنْ حُسْنِ اسْتِغْلاَلِهَا،وَالانْتِفَاعِ بِخَيْرَاتِهَا،وَبِمَا سَخَّرَهُ لَهُمْ مِنْهَا .

وَيَشْمَلُ الإِفْسَادُ كُلَّ مَا أَفْسَدَ العُقُولَ وَالعَقَائِدَ،وَالآدَابَ الشَّخْصِيَّةَ وَالمَعَايِشَ وَالمَرَافِقَ مِنْ زِرَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ وَصِنَاعَةٍ.. ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِدُعَائِه خَوْفاً مِمَّا عِنْدَهُ مِنْ شَدِيدِ العِقَابِ،وَطَمَعاً بِمَا عِنْدَهُ مِنْ جَزِيلِ الثَّوابِ،فَرَحْمَةُ اللهِ مُرْصَدَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ الذِي يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَهُ وَيَنْتَهُونَ عَمَّا نَهَى عَنْهُ[٢٠٨٥] .

وقال الله تعالى: { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤)} [الأنبياء:٨٣ – ٨٤]

واذكر – أيها الرسول – عبدنا أيوب،إذ ابتليناه بضر وسقم عظيم في جسده،وفقد أهله وماله وولده،فصبر واحتسب،ونادى ربه عز وجل أني قد أصابني الضر،وأنت أرحم الراحمين،فاكشفه عني.فاستجبنا له دعاءه،ورفعنا عنه البلاء،ورددنا عليه ما فقده من أهل وولد ومال مضاعفًا،فَعَلْنا به ذلك رحمة منَّا،وليكون قدوة لكل صابر على البلاء،راجٍ رحمة ربه،عابد له.[٢٠٨٦]

وقال الله تعالى:{ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ

[٢٠٨٥] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٠١٠)

[٢٠٨٦] – التفسير الميسر – (٥ / ٤٩٩)

(٨٨)} [الأنبياء:٨٧،٨٨]

واذكر قصة صاحب الحوت،وهو يونس بن مَتَّى عليه السلام،أرسله الله إلى قومه فدعاهم فلم يؤمنوا،فتوعَّدهم بالعذاب فلم ينيبوا،ولم يصبر عليهم كما أمره الله،وخرج من بينهم غاضبًا عليهم،ضائقًا صدره بعصيانهم،وظن أن الله لن يضيِّق عليه ويؤاخذه بهذه المخالفة،فابتلاه الله بشدة الضيق والحبس،والتقمه الحوت في البحر،فنادى ربه في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت تائبًا معترفًا بظلمه؛ لتركه الصبر على قومه،قائلا: لا إله إلا أنت سبحانك،إني كنت من الظالمين.فاستجبنا له دعاءه،وخلَّصناه من غَم هذه الشدة،وكذلك ننجي المصدِّقين العاملين بشرعنا.[٢٠٨٧]

وقال الله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) } [الأنعام:٤٠ - ٤٤]

قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلاَءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ:أَخْبِرُونِي إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ مِنَ اللهِ،كَالذِي نَزَلَ بِمَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ الذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ،أَوْ جَاءَتْكُمُ السَّاعَةُ بِأَهْوَالِهَا وَخِزْيِها وَنَكَالِها،وَبُعِثْتُمْ لِمَوْقِفِ الحِسَابِ،مَنْ تَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ،فِي هَذِهِ الأَحْوَالِ،لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ البَلاَءِ؟ وَهَلْ تَفْزَعُونَ إِلَى الآلِهَةِ التِي تَزْعُمُونَ شِرْكَتَهَا مَعَ اللهِ لِكَشْفِ البَلاءِ النَّازِلِ بِكُمْ،هذا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أُلُوهِيَّةَ هَؤُلاَءِ الشُّرَكَاءِ؟

إِنَّكُمْ أَيُّهَا المُشْرِكُونَ لاَ تَدْعُونَ فِي سَاعَةِ الهَوْلِ وَالشِّدَّةِ صَنَماً وَلا وَثَناً،وَإِنَّمَا تَدْعُونَ اللهَ وَحْدَهُ،لِعِلْمِكُمْ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى كَشْفِ مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنْ بَلاَءٍ وَعَذَابٍ،وَتَنْسَوْنَ غَيْرَهُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالأَنْدَادِ.وَإِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْشِفَ مَا بِكُمْ مِنْ ضُرٍ وَبَلاَءٍ كَشَفَهُ عَنْكُمْ.يَقُولُ تَعَالَى:إِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى الأُمَمِ السَّالِفَةِ رُسُلاً يَدْعُونَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،فَكَذَّبُوا الرُّسُلَ،وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ،فَابْتَلاَهُمُ اللهُ بِالفَقْرِ،وَالضِّيقِ،فِي العَيْشِ (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبَأْسَاءِ)،وَسَلَّطَ عَلَيْهِمِ الأَمْرَاضَ وَالأَسْقَامَ وَالآلاَمَ (وَالضَّرَّاءِ)،لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللهِ،وَيَخْشَعُونَ إِلَيْهِ،وَيَدْعُونَهُ لِيَكْشِفَ عَنْهُمْ مَا نَزَلَ بِهِمْ،فَقَدْ أَوْدَعَ اللهُ تَعَالَى فِي فِطْرَةِ البَشَرِ أَنْ يَضْرَعُوا إِلَى اللهِ وَحْدَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ .فَهَلاَّ،إِذِ ابْتَلاَهُمُ اللهُ بِذَلِكَ البَلاءِ،تَضَرَّعُوا إِلَيْهِ وَتَوَسَّلُوا،حِينَ جَاءَتْهُم مُقَدِّمَاتُ العَذَابِ،لِيَكْشِفَهُ عَنْهُمْ،وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ قَسَتْ فَلَمْ

[٢٠٨٧] - التفسير الميسر - (٦ / ٣)

تَرِقَّ وَلَمْ تَخْشَعْ،وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي وَالمُعَانَدَةِ،وَحَسَّنَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَثْبُتُوا عَلَى مَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ.فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَمَّا أَنْذَرَهُمْ بِهِ رُسُلُهُمْ،وَتَرَكُوا الاهْتِدَاءَ بِهِ،وَتَنَاسُوْهُ وَجَعَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،اسْتَدْرَجَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِأَنْ فَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ،وَأَعْطَاهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُحِبُّونَ وَيَخْتَارُونَ،وَزَادَهُمْ سِعَةً فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ،فَلَمْ تُرَبِّهِم النِّعْمَةُ،وَلا شَكَرُوا اللهَ عَلَى نِعَمِهِ وَآلائِهِ،بَلْ دَفَعَتْهُمْ تِلْكَ النِّعْمَةُ إِلى البَطَرِ وَالأَشَرِ،فَفَرِحُوا بِذَلِكَ وَسُرُّوا،إِذْ ظَنُّوا أَنَّ الذي أُوتُوا إِنَّمَا هُوَ بِاسْتِحْقَاقِهِمْ،وَحِينَئِذٍ أَخَذَهُمُ اللهُ بِالعَذَابِ بَغْتَةً،وَعَلَى حِينِ غِرَّةٍ مِنْهُمْ،فَإِذَا هُمْ يَائِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ .[٢٠٨٨]

حضور القلب عند الدعاء:

قال الله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) } [الأنفال:٢ - ٤]

إنما المؤمنون بالله حقًا هم الذين إذا ذُكِر الله فزعت قلوبهم،وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا مع إيمانهم،لتدبرهم لمعانيه وعلى الله تعالى يتوكلون،فلا يرجون غيره،ولا يرهبون سواه.الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها،ومما رزقناهم من الأموال ينفقون فيما أمرناهم به.هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون حقًا ظاهرًا وباطنًا بما أنزل الله عليهم،لهم منازل عالية عند الله،وعفو عن ذنوبهم،ورزق كريم،وهو الجنة.[٢٠٨٩]

وقال الله تعالى:{ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) } [المؤمنون:٦٠ - ٦١]

وَهُمْ يَنْهَضُونَ بِالتَّكَالِيفِ والوَاجِبَاتِ المَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ،وَيُؤَدُّونَ الطَّاعَاتِ والنَّوَافِلَ،وَيَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُقَصِّرُونَ فِي جَانِبِ اللهِ تَعَالَى وَيَسْتَقِلُّونَ كُلَّ طَاعَةٍ إِلى جَانِبِ آلاءِ اللهِ وَنِعَمِهِ،وَيَخَافُونَ أَنْ لاَ تُقْبَلَ طَاعَاتُهُم لِخَوْفِهِمْ مِنَ أَنْ يَكُونُوا قَصَّرُوا فِي شُرُوطِ أَدَائِها،لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُم رَاجِعُونَ إِلَى رَبِهِّم،وَسَيُحَاسِبُهُمْ وَسَيُحَاسِبُ جَمِيعَ الخَلْقِ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ .وَهَؤُلاءِ الذينَ جَمَعُوا هَذِهِ المَحَاسِنَ،يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ أَشَدَّ الرَّغْبَةِ،فَيُبَادِرُونَهَا لِئلاَّ تَفُوتَهم إِذَا هُمْ مَاتُوا،وَيَتَعَجَّلُونَ فِي الدَّنْيَا وُجُوهَ الخَيْرَاتِ العَاجِلَةِ التي وُعِدُوا بِهَا عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،وَهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الطَّاعَاتِ،وَهُمْ لأَجْلِهَا

[٢٠٨٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٨٣٠)

[٢٠٨٩] - التفسير الميسر - (٣ / ١٧٠)

سَابِقُونَ النَّاسَ إِلى الثَّوَابِ[٢٠٩٠]

قوة اليقين والعزم في الدعاء:

قال الله تعالى حكاية عن قوم هود: { إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) }[هود:٥٤ - ٥٦]

وَقَالُوا لَهُ:مَا نَظُنُّ إِلاَّ أَنَّ بَعْضَ آلِهَتِنَا أَصَابَكَ بِمَسٍّ مِنْ جُنُونٍ وَخَبَالٍ فِي عَقْلِكَ (اعْتَرَاكَ)،بِسَبَبِ نَهْيِكَ إِيَّانَا عَنْ عِبَادَتِهَا،وَطَعْنِكَ فِيهَا،فَصِرْتَ تَهْذِي بِهَذَا الكَلاَمِ.فَرَدَّ عَلَيْهِمْ هُودٌ قَائِلاً:اشْهَدُوا أَنْتُمْ،وَإِنِّي أُشْهِدُ اللهَ رَبِّي عَلَى مَا أَقُولُ،بِأَنِّي بَرِيءٌ مِنْ جَمِيعِ الأَصْنَامِ وَالأَنْدَادِ الذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ.فَاجْتَمِعُوا أَنْتُم وَآلِهَتِكُمْ عَلَى الكَيْدِ لِي،وَلاَ تَتَوَانَوْا فِي ذَلِكَ،وَلاَ تُقَصِّرُوا فِيهِ لَحْظَةً،فَهُوَ لاَ يُهِمُّنِي،وَلاَ يَضُرُّنِي فِي شَيءٍ.إِنِّي وَكَّلْتُ أُمُورِي إِلى اللهِ،وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمُ الحَقُّ،خَلَقَ المَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا،وَجَعَلَهَا تَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ،وَهُوَ الحَاكِمُ العَادِلُ الذِي لاَ يَجُوزُ فِي حُكْمِهِ.وَأَفْعَالُهُ تَعَالى،تَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ وَالعَدْلِ فِي مُلْكِهِ .أَمَّا الأَصْنَامُ وَالأَوْثَانُ فَهِيَ حِجَارَةٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً .[٢٠٩١]

وقال الله تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) }[يونس:٧١ - ٧٣]

يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺعَمَّا يُلاَقِيهِ مِنْ إِيذَاءِ قَوْمِهِ،وَتَكْذِيبِهِمْ بِمَا يَقُصُّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ.وَيَبْدَأُ تَعَالَى بِقِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَيَقُولُ تَعَالَى:أَخْبِرْ يَا مُحَمَّدُ كُفَّارَ مَكَّةَ الذِينَ يُكَذِّبُونَكَ خَبَرَ نُوحٍ مَعْ قَوْمِهِ الذِينَ كَذَّبُوهُ،كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللهُ،وَدَمَّرَهُمْ بِالغَرَقِ أَجْمَعِينَ،وَلْيَحْذَرْ هَؤُلاَءِ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنَ البَلاَءِ وَالهَلاَكِ وَالدَّمَارِ مَا أَصَابَ أُوْلَئِكَ .لَقَدْ قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ:يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ ثَقُلَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَكُمْ (كَبُرَ)،وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكُمْ تَذْكِيرِي إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللهِ،وَحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ،فَإِنِّي قَدْ وَكَّلْتُ أَمْرِي إِلَى اللهِ الذِي أَرْسَلَنِي،وَاعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ،وَإِنِّي لاَ أُبَالِي بِكُمْ،وَلاَ أَكُفُّ عَنْكُمْ،سَوَاءَ عَظُمَ

[٢٠٩٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٦١٣)

[٢٠٩١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٥٢٨)

عَلَيْكُمْ مَقَامِي أَوْ لاَ،فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ،مِنَ الأَصْنَامِ الذِينَ تَدْعُونَهُمْ،وَلاَ تَتْرُكُوا أَمْرَكُمْ مُلْتَبِساً عَلَيْكُمْ (غَمَّةً)،بَلْ كُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْهُ،لِكَيْلا تَتَحَوَّلُوا عَنْهُ،وَافْصِلُوا أَمْرَكُمْ مَعِيَ،فَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحِقُّونَ فَاقْضُوا إِلَيَّ،وَافْعَلُوا مَا تَسْتَطِيعُونَ،وَلاَ تُؤَخِرُونِي سَاعَةً وَاحِدَةً (وَلاَ تُنْظِرُونَ).فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ تَذْكِيرِي،وَأَدْبَرْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ (تَوَلَّيْتُمْ)،فَلاَ يَضُرُّنِي ذَلِكَ لأَنِّي لَمْ أَطْلُبْ مِنْكُمْ أَجْراً عَلَى نُصْحِي لَكُمْ،وَإِنَّمَا أَطْلُبُ الأَجْرَ مِنَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ الذِي أَمَرَنِي بِأَن أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ،المُؤْمِنِينَ العَابِدِينَ القَائِمِينَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ.فَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى تَكْذِيبِهِ،بَعْدَ أَنْ قَامَتْ عَلَيهِمُ الحُجَّةُ،نَجَّى اللهُ نُوحاً وَالمُؤْمِنِينَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ،وَجَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ يَرِثُونَ الأَرْضَ،وَيَتَوَارَثُونَ الإِيمَانَ بِاللهِ،وَأَغْرَقَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَآيَاتِهِ،وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ،فَانْظُرْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ هَؤُلاَءِ الذِينَ جَاءَهُمُ النَّذِيرُ مِنْ رَبِّهِمْ،فَاستَخَفُّوا بِهِ .[٢٠٩٢]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ،وَلاَ يَقُلِ:اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي،فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ.[٢٠٩٣]

استقبال القبلة عند الدعاء:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رضى الله عنه – قَالَ اسْتَقْبَلَ النَّبِىُّ – ﷺ– الْكَعْبَةَ فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ،عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ،وَأَبِى جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ.فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى،قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ،وَكَانَ يَوْمًا حَارًّا " متفق عليه[٢٠٩٤]

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،قَالَ:لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً،فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺالْقِبْلَةَ،ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ،فَجَعَلَ يَهْتِفُ رَبَّهُ:اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ،مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ،فَمَا زَالَ يَهْتِفُ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلاَ مَاذَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ،حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ،ﷺ،فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ،فَأَخَذَ رِدَاءَهُ،وَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ،ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ،فَقَالَ:يَا نَبِيَّ اللهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ،فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ،فَاسْتَجَابَ لَكُمْ،أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ،مُرْدِفِينَ} [الأنفال]،فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ.

قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ:بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،يَوْمَئِذٍ يَشُدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ

[٢٠٩٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٤٣٦)

[٢٠٩٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٤ / ٢٥٦) (١١٩٨٠) ١٢٠٠٣– وصحيح مسلم– المكتر – (٦٩٨٧)

[٢٠٩٤] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٩٦٠) وصحيح مسلم– المكتر – (٤٧٥٣)

الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ،إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ،فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ فَوْقَهُ،يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ،إِذْ نَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ خَرَّ،مُسْتَلْقِيًا،فَنَظَرَ إِلَيْهِ،فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ سَوْطٍ،فَاخْضَرَّ ذَاكَ أَجْمَعُ،فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ،فَحَدَّثَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ،فَقَالَ ﷺ: صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ،وَأَسَرُوا سَبْعِينَ...". أخرجه مسلم[٢٠٩٥].

جواز الدعاء لغير القبلة:

عَنْ أَنَسٍ – رضى الله عنه – قَالَ بَيْنَا النَّبِىُّ – ﷺ- يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا.فَتَغَيَّمَتِ السَّمَاءُ وَمُطِرْنَا،حَتَّى مَا كَادَ الرَّجُلُ يَصِلُ إِلَى مَنْزِلِهِ،فَلَمْ تَزَلْ تُمْطَرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ،فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا،فَقَدْ غَرِقْنَا.فَقَالَ « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا ».فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ،وَلاَ يُمْطِرُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ .[٢٠٩٦].

رفع اليدين عند الدعاء:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ،قَالَ:حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺيَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ،يَوْمَ الْجُمُعَةِ،قَامَ أَعْرَابِيٌّ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،هَلَكَ الْمَالُ،وَجَاعَ الْعِيَالُ،فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَسْقِيَنَا،قَالَ:فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدَيْهِ،وَمَا فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ،قَالَ:فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ،ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ،حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ،قَالَ:فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ،وَفِي الْغَدِ،وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ،وَالَّذِي يَلِيهِ،إِلَى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى،فَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ،أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ،وَغَرِقَ الْمَالُ،فَادْعُ اللَّهَ لَنَا،فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدَيْهِ،وَقَالَ:اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا،قَالَ:فَمَا جَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ،إِلاَّ تَفَرَّجَتْ،حَتَّى صَارَتِ الْمَدِينَةُ فِي مِثْلِ الْجَوْبَةِ،حَتَّى سَالَ الْوَادِي – وَادِي قَنَاةَ – شَهْرًا،قَالَ:فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ. متفق عليه[٢٠٩٧].

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا.[٢٠٩٨]

إخفاء الدعاء:

[٢٠٩٥] – صحيح ابن حبان – (١١ / ١١٤) (٤٧٩٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٤٦٨٧)

[٢٠٩٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٦٣٤٢)

[٢٠٩٧] – صحيح البخارى- المكتر –(٩٣٣) وصحيح مسلم- المكتر – (٢١١٦)

الجوبة : الحفرة المستديرة الواسعة –الجود : المطر الشديد –القزعة : قطعة سحاب

[٢٠٩٨] – صحيح ابن حبان – (٣ / ١٥٩) (٨٧٦) صحيح

قال الله تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٥٥) سورة الأعراف

الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة،ودعاء العبادة،فأمر بدعائه { تَضَرُّعًا } أي: إلحاحا في المسألة،ودُءُوبا في العبادة،{ وَخُفْيَةً } أي: لا جهرا وعلانية،يخاف منه الرياء،بل خفية وإخلاصا للّه تعالى.{ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور،ومن الاعتداء كون العبد يسأل اللّه مسائل لا تصلح له،أو يتنطع في السؤال،أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء،فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.[٢٠٩٩]

وقال الله تعالى: { كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣)} [مريم:١ - ٣]

هذَا ذِكْرُ رَحْمَةِ اللهِ لِعَبْدِهِ زَكَرِيَّا نَقُصُّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ.(وَزَكَرِيَّا نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ) .حِينَ دَعَا رَبَّهُ خفْيَةً عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ (لأَنَّ الدُّعَاءَ الخَفِيَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ لِدَلاَلَتِهِ عَلَى الإِخْلاَصِ،وَالْبُعْد عَنِ الرِّيَاءِ) .[٢١٠٠]

تكرار الدعاء والإلحاح فيه:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:حدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ،قَالَ:لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺالْقِبْلَةَ،ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ:اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ ائْتِنِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ إِنَّك إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ فَلا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ أَبَدًا،فَمَا زَالَ يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ وَيَدْعُو حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} (٩) سورة الأنفال.[٢١٠١]

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَى الْمُشْرِكِينَ،وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا،قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺالْقِبْلَةَ،ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ أَبَدًا،فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ،فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ،ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ،فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ إِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ

[٢٠٩٩] - تفسير السعدي - (١ / ٢٩١)

[٢١٠٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٢٢٥٢)

[٢١٠١] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٠ / ٣٥٠)(٣٠١٩٩) صحيح

مُرْدِفِينَ}[سورة الأنفال آية ٩]،فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلائِكَةِ.[٢١٠٢]

وعَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ،يَقُولُ:دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَأَنَّ رَجَاءَهُ الْمِنْبَرُ،وَرَسُولُ اللهِ ﷺيَخْطُبُ،فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،هَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ،فَادْعُ اللَّهَ لِيُغِيثُنَا،فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدَهُ،يَقُولُ:اللَّهُمَّ اسْقِنَا،اللَّهُمَّ اسْقِنَا،قَالَ أَنَسٌ:وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً وَلاَ قَزَعَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ،فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ تُرْسٍ،فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ،فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا. ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَابِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ،وَرَسُولُ اللهِ ﷺيَخْطُبُ،فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا ثُمَّ،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ،فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَكُفَّهَا عَنَّا،فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَدَيْهِ،يَقُولُ:اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا،اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ،قَالَ:فَأَقْلَعَتْ وَخَرَجَ ﷺيَمْشِي فِي الشَّمْسِ،فَسَأَلْتُ أَنَسًا أَهُوَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ ؟ قَالَ:لاَ أَدْرِي. متفق عليه[٢١٠٣].

تقديم الحمد والثناء على الله،والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء:

قال الله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) { [الفاتحة:٢ - ٧]

(الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ) الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال،وبنعمه الظاهرة والباطنة،الدينية والدنيوية،وفي ضمنه أَمْرٌ لعباده أن يحمدوه،فهو المستحق له وحده،وهو سبحانه المنشئ للخلق،القائم بأمورهم،المربي لجميع خلقه بنعمه،ولأوليائه بالإيمان والعمل الصالح.(الرَّحْمَنِ) الذي وسعت رحمته جميع الخلق،(الرَّحِيمِ)،بالمؤمنين،وهما اسمان من أسماء الله تعالى.وهو سبحانه وحده مالك يوم القيامة،وهو يوم الجزاء على الأعمال. وفي قراءة المسلم لهذه الآية في كل ركعة من صلواته تذكير له باليوم الآخر،وحثٌّ له على الاستعداد بالعمل الصالح،والكف عن المعاصي والسيئات.إنا نخصك وحدك بالعبادة،ونستعين بك وحدك في جميع أمورنا،فالأمر كله بيدك،لا يملك منه أحد مثقال ذرة. وفي هذه الآية دليل على أن العبد لا يجوز له أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والطواف إلا لله وحده،وفيها شفاء القلوب من داء التعلق بغير الله،ومن أمراض الرياء والعجب،والكبرياء.دُلَّنا،وأرشدنا،ووفقنا إلى الطريق المستقيم،وثبتنا عليه حتى نلقاك،وهو الإسلام،الذي هو الطريق الواضح الموصل إلى رضوان الله وإلى جنته،الذي دلّ عليه خاتم رسله

[٢١٠٢] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٦٨٧) ومسند أبي عوانة (٥٣٦١)

[٢١٠٣] - صحيح البخارى- المكتر -(١٠١٣) وصحيح مسلم- المكتر -(٢١١٥) وصحيح ابن حبان - (٣ / ٢٧٢)(٩٩٢)

وأنبيائه محمد ﷺ،فلا سبيل إلى سعادة العبد إلا بالاستقامة عليه.طريق الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين،فهم أهل الهداية والاستقامة،ولا تجعلنا ممن سلك طريق المغضوب عليهم،الذين عرفوا الحق و لم يعملوا به،وهم اليهود،ومن كان على شاكلتهم،والضالين،وهم الذين لم يهتدوا،فضلوا الطريق،وهم النصارى،ومن اتبع سنتهم. وفي هذا الدعاء شفاء لقلب المسلم من مرض الجحود والجهل والضلال،ودلالة على أن أعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام،فمن كان أعرف للحق وأتبع له،كان أولى بالصراط المستقيم،ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺهم أولى الناس بذلك بعد الأنبياء عليهم السلام،فدلت الآية على فضلهم،وعظيم مترلتهم،رضي الله عنهم[٢١٠٤]

وعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ،أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺرَأَى رَجُلا يُصَلِّي لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ وَلَمْ يُمَجِّدْهُ،وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺوَانْصَرَفَ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَجِلَ هَذَا،فَدَعَاهُ،وَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ:إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ،فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ،وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ،ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ"[٢١٠٥]

الدعاء بما يناسب الحال مما ورد في القرآن والسنة:

قال الله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} (٨) سورة آل عمران

يا ربنا لا تَصْرِف قلوبنا عن الإيمان بك بعد أن مننت علينا بالهداية لدينك،وامنحنا من فضلك رحمة واسعة،إنك أنت الوهاب: كثير الفضل والعطاء،تعطي مَن تشاء بغير حساب.[٢١٠٦]

وقال الله تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (١٩٤) سورة آل عمران

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لِسَانِ رُسُلِكَ،وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ الخَلْقِ،إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيْعَادَ الذِي أَخْبَرَ عَنْهُ رُسُلُكَ الكِرَامُ،وَهُوَ قِيَامُ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْكَ،وَإِنَّكَ تَجْزِي العَامِلِينَ الصَّالِحِينَ بِالخَيْرِ وَالحُسْنَى،وَتَجْزِي الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .[٢١٠٧]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ- فِى الصَّلاَةِ قُلْنَا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ،السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ.فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ- « لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ.فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ،وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ،وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ،السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِى السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،أَشْهَدُ أَنْ لاَ

[٢١٠٤] – التفسير الميسر – (١ / ٨)

[٢١٠٥] – صحيح ابن خزيمة(١ / ٤١٧) صحيح

[٢١٠٦] – التفسير الميسر – (١ / ٣٠٧)

[٢١٠٧] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤٨٧)

إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو »[٢١٠٨].

الدعاء بجوامع الكلم،ومنه:

قال الله تعالى: {وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢٠١) سورة البقرة

وقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} (٧٤) سورة الفرقان

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي،قَالَ:قُلِ:اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ،فَاغْفِرْ لِي،مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ،وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.[٢١٠٩]

اجتناب ما يمنع استجابة الدعاء،ومنه:

١- الاعتداء في الدعاء:

قال الله تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٥٥) سورة الأعراف

٢- أكل ولبس الحرام:

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ،لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ،بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،فَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة: ١٧٢] " ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ،أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،يَا رَبُّ،يَا رَبُّ،وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ،وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ،وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ،فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ " أخرجه مسلم [٢١١٠]

٣- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم أو تعجل الإجابة:

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ،أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ،مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ،قِيلَ:يَا رَسُولَ اللهِ،كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ ؟ قَالَ:يَقُولُ:قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي،فَيَنْحَسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ،فَيَتْرُكُ الدُّعَاءَ."[٢١١١].

[٢١٠٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٨٣٥)

[٢١٠٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٨٣٤) وصحيح ابن حبان - (٥ / ٣١٤)(١٩٧٦)

[٢١١٠] - صحيح مسلم- المكتر -(٢٣٩٣) وشعب الإيمان - (٧ / ٤٩١)(٥٣٥٣)

[٢١١١] - صحيح مسلم- المكتر - (٧١١٢) وصحيح ابن حبان - (٣ / ١٦٣)(٨٨١) - يستحسر : ينقطع عن الدعاء

الدعاء والذكر في جميع الأوقات والأحوال:

قال الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٨٦) سورة البقرة

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:كَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. أخرجه مسلم[٢١١٢]

تأمين الحضور عند الجهر بالدعاء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:(إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا،فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلاَئِكَةِ،غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.)".قَالَ ابْنُ شِهَابٍ:وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ:آمِينَ..متفق عليه[٢١١٣].

[٢١١٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٨٥٢)

[٢١١٣] – صحيح البخارى- المكتر – (٧٨٠) وصحيح مسلم- المكتر –(٩٤٢)

-٤٩ - آداب الشورى

فضل الشورى:

قال الله تعالى: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٢) سورة المائدة

إنها تبعة القيادة والقوامة والشهادة على الناس .. التبعة التي لا بد أن ينسى فيها المؤمنون ما يقع على أشخاصهم من الأذى ليقدموا للناس نموذجا من السلوك الذي يحققه الإسلام،ومن التسامي الذي يصنعه الإسلام. وبهذا يؤدون للإسلام شهادة طيبة تجذب الناس إليه وتحببهم فيه.

وهو تكليف ضخم ولكنه - في صورته هذه - لا يعنت النفس البشرية،ولا يحملها فوق طاقتها. فهو يعترف لها بأن من حقها أن تغضب،ومن حقها أن تكره. ولكن ليس من حقها أن تعتدي في فورة الغضب ودفعة الشنآن .. ثم يجعل تعاون الأمة المؤمنة في البر والتقوى لا في الإثم والعدوان ويخوفها عقاب اللّه،ويأمرها بتقواه،لتستعين بهذه المشاعر على الكبت والضبط،وعلى التسامي والتسامح،تقوى للّه،وطلبا لرضاه.

ولقد استطاعت التربية الإسلامية،بالمنهج الرباني،أن تروض نفوس العرب على الانقياد لهذه المشاعر القوية،والاعتياد لهذا السلوك الكريم .. وكانت أبعد ما تكون عن هذا المستوي وعن هذا الاتجاه .. كان المنهج العربي المسلوك والمبدأ العربي المشهور:«انصر أخاك ظالما أو مظلوما» .. كانت حمية الجاهلية،ونعرة العصبية. كان التعاون على الإثم والعدوان أقرب وأرجح من التعاون على البر والتقوى وكان الحلف على النصرة،في الباطل قبل الحق. وندر أن قام في الجاهلية حلف للحق. وذلك طبيعي في بيئة لا ترتبط باللّه ولا تستمد تقاليدها ولا أخلاقها من منهج اللّه وميزان اللّه .. يمثل ذلك كله ذلك المبدأ الجاهلي المشهور:

«انصر أخاك ظالما أو مظلوما» .. وهو المبدأ الذي يعبر عنه الشاعر الجاهلي في صورة أخرى،وهو يقول:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت،وإن ترشد غزية أرشد!

ثم جاء الإسلام .. جاء المنهج الرباني للتربية .. جاء ليقول للذين آمنوا:

« وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا. وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى،وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ،إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ» ..

جاء ليربط القلوب باللّه وليربط موازين القيم والأخلاق بميزان اللّه. جاء ليخرج العرب – ويخرج البشرية كلها – من حمية الجاهلية،ونعرة العصبية،وضغط المشاعر والانفعالات الشخصية والعائلية والعشائرية في مجال التعامل مع الأصدقاء والأعداء ..

وولد «الإنسان» من جديد في الجزيرة العربية .. ولد الإنسان الذي يتخلق بأخلاق اللّه .. وكان هذا هو المولد الجديد للعرب كما كان هو المولد الجديد للإنسان في سائر الأرض .. ولم يكن قبل الإسلام في الجزيرة إلا الجاهلية المتعصبة العمياء:«انصر أخاك ظالما أو مظلوما». كذلك لم يكن في الأرض كلها إلا هذه الجاهلية المتعصبة العمياء!

والمسافة الشاسعة بين درك الجاهلية،وأفق الإسلام هي المسافة بين قول الجاهلية المأثور:«انصر أخاك ظالما أو مظلوما». وقول اللّه العظيم:«وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا. وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى،وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ».وشتان شتان![٢١١٤]

وعَنْ أَبِي مُوسَى،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقال: الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا،وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ.. متفق عليه[٢١١٥].

وقال تعالى:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (٣٨) سورة الشورى

وَهَؤُلاَءِ الْمُؤْمِنُونَ،الذِينَ أَعَدَّ لَهُم اللهُ تَعَالَى الثَّوَابَ والجَنَّةَ فِي الآيَاتِ السَّابِقَاتِ،هُمُ الذِينَ أَجَابُوا رَبَّهُم الكَرِيمَ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيهِ مِنَ الإِيْمَانِ بِهِ،وَتوْحِيدِهِ وَإِطَاعَةِ أَوَامِرِهِ،وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ،وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ،وَأَدّوهَا حَقَّ أَدَائِهَا فِي أَوْقَاتِهَا،وَأَتَمُّوهَا بِرُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا،وَلاَ يُبْرِمُونَ أَمْراً حَتَّى يَتَشَاوَرُوا فِيهِ،وَيُدْلِي كُلٌّ بِرأْيِهِ لِيَتَبَيَّنَ لَهُمْ الهُدَى والصَّوَابُ فِيهِ.وَلِتَتَبَيَّنَ جَمِيعُ جَوانِبِ المَوْضُوعِ،فَلاَ يَنْتَكِسُ أَمْرُ المُسْلِمِينَ بِاسْتِبْدَادِ فَرْدٍ أَوْ جَمَاعَةٍ فِي الرَّأْيِ.وَيُنْفِقُونَ مِمَّا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ فِي سَبِيلِ الخَيْرِ والبِرِّ،فِيمَا فِيهِ نَفْعُ الجَمَاعَةِ .[٢١١٦]

وهنا في هذه الآيات يصور خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتميزها. ومع أن هذه الآيات مكية،نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة،فإننا نجد فيها أن من صفة هذه الجماعة المسلمة:«وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ» ..مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاما سياسيا للدولة،فهو طابع أساسي للجماعة كلها،يقوم عليه أمرها كجماعة،ثم يتسرب

[٢١١٤] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٢ / ٨٣٩)

[٢١١٥] – صحيح البخارى- المكتر – (٤٨١) وصحيح مسلم- المكتر –(٦٧٥٠)

[٢١١٦] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٤١٨٩)

من الجماعة إلى الدولة،بوصفها إفرازا طبيعيا للجماعة.[٢١١٧]

وقال ابن كثير:{ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } أي: لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه،ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها،كما قال تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران: ١٥٩] ولهذا كان عليه [الصلاة] السلام،يشاورهم في الحروب ونحوها،ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] الوفاة حين طعن،جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر،وهم: عثمان،وعلي،وطلحة،والزبير،وسعد،وعبد الرحمن بن عوف،رضي الله عنهم أجمعين،فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم،رضي الله عنهم"[٢١١٨]

وقال القرطبي:" مدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك. وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب ؛ وذلك في الآراء كثير. و لم يكن يشاورهم في الأحكام ؛ لأنها مترلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام. فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة. وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة ؛ فإن النبي ﷺ لم ينص عليها حتى كان فيها بين أبي بكر والأنصار ما سبق بيانه. وقال عمر رضي الله عنه:نرضى لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا وتشاوروا في أهل الردة فاستقر رأي أبي بكر على القتال. وتشاوروا في الجد وميراثه،وفي حد الخمر وعدده. وتشاوروا بعد رسول الله ﷺفي الحروب ؛ حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد عليه مسلما في المغازي،فقال له الهرمزان:مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناح فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس وإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس وإن شدخ الرأس ذهب الرجلان والجناحان. والرأس كسرى والجناح الواحد قيصر والآخر فارس ؛ ؛ فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى... وذكر الحديث. وقال بعض العقلاء:ما أخطأت قط ! إذا حزبني أمر شاورت قومي ففعلت الذي يرون ؛ فإن أصبت فيهم المصيبون،وإن أخطأت فهم المخطئون. "[٢١١٩]

وجوب الشورى :

قال تعالى:{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}

[٢١١٧] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٥ / ٣١٦٠)

[٢١١٨] – تفسير ابن كثير – دار طيبة – (٧ / ٢١١)

[٢١١٩] – تفسير القرطبي ـــ موافق للمطبوع – (١٦ / ٣٧)

لَقَدْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ المَلاَمَةَ وَالتَّعْنِيفَ،بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ،إِذْ تَخَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتِدَادِ الحَرْبِ،وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالحَرْبِ قَائِمَةٌ،وَمَعَ ذَلِكَ لِنْتَ لَهُمْ،وَعَامَلْتَهُمْ بِالحُسْنَى،لِرَحْمَةٍ أَوْدَعَهَا اللهُ فِي قَلْبِكَ،وَخَصَّكَ بِهَا.وَقَدْ مَدَحَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺبِحُسْنِ الخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ العَزِيزِ.ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ خَشِناً جَافِياً فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ،وَلَنَفَرُوا مِنْكَ،وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ،وَلَكِنَّ اللهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ،وَأَلاَنَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأَلُّفاً لِقُلُوبِهِمْ.ثُمَّ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺبِأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ،وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُم اللهَ،وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الأَمْرِ تَطِيباً لِقُلُوبِهِمْ،وَشَحْذاً لِهِمَمِهِمْ .

ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ.فَإِذا شَاوَرْتَهُمْ فِي الأَمْرِ،وَعَزَمْتَ عَلَى إِنْفَاذِهِ،فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فِيهِ،لأَنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ،وَيَثِقُ بِنَصْرِهِ .[٢١٢٠]

قال ابن عطية:والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ؛ من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله:{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨]. قال أعرابي:ما غبنت قط حتى يغبن قومي ؛ قيل:وكيف ذلك ؟ قال لا أفعل شيئا حتى أشاورهم. وقال ابن خويز منداد:واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون،وفيما أشكل عليهم من أمور الدين،ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب،ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح،ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها. وكان يقال:ما ندم من استشار. وكان يقال:من أعجب برأيه ضل.[٢١٢١]

وبهذا النص الجازم:«وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» .. يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم - حتى ومحمد رسول اللّه - ﷺ- هو الذي يتولاه. وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ أساسي،لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه .. أما شكل الشورى،والوسيلة التي تتحقق بها،فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها. وكل شكل وكل وسيلة،تتم بها حقيقة الشورى - لا مظهرها - فهي من الإسلام. لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة! فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصف المسلم! اختلفت الآراء. فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها،حتى إذا هاجمهم العدو قاتلوه على أفواه الأزقة. وتحمست مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين.وكان من جراء هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف. إذ عاد عبد اللّه بن أبي بن سلول بثلث الجيش،والعدو على

[٢١٢٠] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢)

[٢١٢١] - تفسير القرطبي ــ موافق للمطبوع - (٤ / ٢٤٩)

الأبواب – وهو حدث ضخم وخلل مخيف – كذلك بدا أن الخطة التي نفذت لم تكن – في ظاهرها – أسلم الخطط من الناحية العسكرية. إذ أنها كانت مخالفة «للسوابق» في الدفاع عن المدينة – كما قال عبد اللّه ابن أبي – وقد اتبع المسلمون عكسها في غزوة الأحزاب التالية،فبقوا فعلا في المدينة،وأقاموا الخندق،و لم يخرجوا للقاء العدو. منتفعين بالدرس الذي تلقوه في أحد! و لم يكن رسول اللّه – ﷺ– يجهل النتائج الخطيرة التي تنتظر الصف المسلم من جراء الخروج.فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة،التي رآها،والتي يعرف مدى صدقها. وقد تأولها قتيلا من أهل بيته،وقتلى من صحابته،وتأول المدينة درعا حصينة .. وكان من حقه أن يلغي ما استقر عليه الأمر نتيجة للشورى .. ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الآلام والخسائر والتضحيات. لأن إقرار المبدأ،وتعليم الجماعة،وتربية الأمة،أكبر من الخسائر الوقتية.ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة. أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة! ولكن الإسلام كان ينشئ أمة،ويربيها،ويعدها لقيادة البشرية. وكان اللّه يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة،أن تربى بالشورى وأن تدرب على حمل التبعة،وأن تخطئ – مهما يكن الخطأ جسيما وذا نتائج مريرة – لتعرف كيف تصحح خطأها،وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها. فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ ..والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة المدركة المقدرة للتبعة. واختصار الأخطاء والعثرات والخسائر في حياة الأمة ليس فيها شيء من الكسب لها،إذا كانت نتيجته أن تظل هذه الأمة قاصرة كالطفل تحت الوصاية. إنها في هذه الحالة تتقي خسائر مادية وتحقق مكاسب مادية. ولكنها تخسر نفسها،وتخسر وجودها،وتخسر تربيتها،وتخسر تدريبها على الحياة الواقعية. كالطفل الذي يمنع من مزاولة المشي – مثلا – لتوفير العثرات والخبطات،أو توفير الحذاء! كان الإسلام ينشئ أمة ويربيها،ويعدها للقيادة الراشدة. فلم يكن بد أن يحقق لهذه الأمة رشدها،ويرفع عنها الوصاية في حركات حياتها العملية الواقعية،كي تدرب عليها في حياة الرسول – ﷺ– وبإشرافه. ولو كان وجود القيادة الراشدة يمنع الشورى،ويمنع تدريب الأمة عليها تدريبا عمليا واقعيا في أخطر الشؤون – كمعركة أحد التي قد تقرر مصير الأمة المسلمة نهائيا،وهي أمة ناشئة تحيط بها العداوات والأخطار من كل جانب – ويحل للقيادة أن تستقل بالأمر وله كل هذه الخطورة – لو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشؤون،لكان وجود محمد – ﷺ– ومعه الوحي من اللّه سبحانه وتعالى – كافيا لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى! – وبخاصة على ضوء النتائج المريرة التي صاحبتها في ضلل الملابسات الخطيرة لنشأة الأمة المسلمية. ولكن وجود محمد

رسول اللّه – ﷺ– ومعه الوحي الإلهي ووقوع تلك الأحداث،ووجود تلك الملابسات، لم يلغ هذا الحق. لأن اللّه – سبحانه – يعلم أن لا بد من مزاولته في أخطر الشؤون،ومهما تكن النتائج،ومهما تكن الخسائر،ومهما يكن انقسام الصف،ومهما تكن التضحيات المريرة،ومهما تكن الأخطار المحيطة ..لأن هذه كلها جزئيات لا تقوم أمام إنشاء الأمة الراشدة،المدربة بالفعل على الحياة المدركة لتبعات الرأي والعمل،الواعية لنتائج الرأي والعمل .. ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي،في هذا الوقت بالذات:«فَاعْفُ عَنْهُمْ،وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ،وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» ..ليقرر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أيا كانت الأخطار التي تقع في أثناء التطبيق وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة،كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة،ولو كان هو انقسام الصف،كما وقع في «أحد» والعدو على الأبواب .. لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ. ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق! على أن الصورة الحقيقية للنظام الإسلامي لا تكمل حتى نمضي مع بقية الآية فنرى أن الشورى لا تنتهي أبدا إلى الأرجحة والتعويق،ولا تغني كذلك عن التوكل على اللّه في نهاية المطاف:«فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» ..إن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي،واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة،فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد،انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ .. التنفيذ في عزم وحسم،وفي توكل على اللّه،يصل الأمر بقدر اللّه،ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء.وكما ألقى النبي – ﷺ– درسه النبوي الرباني،وهو يعلم الأمة الشورى،ويعلمها إبداء،الرأي،واحتمال تبعته بتنفيذه،في أخطر الشؤون وأكبرها .. كذلك ألقى عليها درسه الثاني في المضاء بعد الشورى،وفي التوكل على اللّه،وإسلام النفس لقدره – على علم بمجراه واتجاهه – فأمضى الأمر في الخروج،ودخل بيته فلبس درعه ولأمته – وهو يعلم إلى أين هو ماض،وما الذي ينتظره وينتظر الصحابة معه من آلام وتضحيات .. وحتى حين أتيحت فرصة أخرى بتردد المتحمسين،وخوفهم من أن يكونوا استكرهوه – ﷺ– على ما لا يريد،وتركهم الأمر له ليخرج أو يبقى .. حتى حين أتيحت هذه الفرصة لم ينتهزها ليرجع. لأنه أراد أن يعلمهم الدرس كله. درس الشورى. ثم العزم والمضي. مع التوكل على اللّه والاستسلام لقدره. وأن يعلمهم أن للشورى وقتها،ولا مجال بعدها للتردد والتأرجح ومعاودة تقليب الرأي من جديد.فهذا مآلة الشلل والسلبية والتأرجح الذي لا ينتهي .. إنما هو رأي وشورى. وعزم ومضاء. وتوكل على اللّه،يحبه اللّه:

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» ..والخلة التي يحبها اللّه ويحب أهلها هي الخلة التي ينبغي أن يحرص عليها المؤمنون. بل هي التي تميز المؤمنين ..والتوكل على اللّه،ورد الأمر إليه في النهاية،هو خط التوازن

الأخير في التصور الإسلامي وفي الحياة الإسلامية.وهو التعامل مع الحقيقة الكبيرة:حقيقة أن مرد الأمر كله للّه،وأن اللّه فعال لما يريد ..لقد كان هذا درسا من دروس «أحد» الكبار. هو رصيد الأمة المسلمة في أجيالها كلها،وليس رصيد جيل بعينه في زمن من الأزمان ..[٢١٢٢]

وقال أستاذنا الزحيلي:" اختلف الفقهاء في حكم الشورى: هل هي ملزمة للحاكم،أو اختيارية،وهل نتيجتها ملزمة أو اختيارية أيضاً؟.

قال جماعة: إن الشورى فيما لم يتزل فيه وحي في مكايد الحروب وعند لقاء العدو اختيارية،تطييباً للنفوس ورفعاً للأقدار،وتألفاً على الدين؛ لقوله تعالى: {فإذا عزمت فتوكل على الله } [آل عمران:٣/١٥٩] والعزم من الحاكم قد يكون على رأيه أو رأي المستشارين،ولأن أبا بكر حينما استشار الناس بمحاربة المرتدين، لم ير غالبية المسلمين ومنهم عمر قتالهم،وأخذ أبو بكر برأيه الذي لم يفرق بين الصلاة والزكاة قائلاً: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربتهم عليه.

وقال آخرون: إن الحاكم ملزم برأي أغلبية المستشارين من أهل الحل والعقد عملاً بالأوامر القرآنية،ويصبح الأمر عديم الأثر إذا لم يلزم الحاكم بنتيجتها. وقد عمل بها الرسول ﷺوصحابته الراشدون من بعده [٢١٢٣] .

ورأيي هو القول بوجوب الشورى على كل حاكم وضرورتها له وإلزامه بنتيجتها كما قرر المفسرون[٢١٢٤]،لتسير الأمور على وفق الحكمة والمصلحة،ومنعاً من الاستبداد بالرأي؛ لأن حكم الإسلام يقوم على أصل الشورى،وبه تميز،وعلى نهجه سار السلف الصالح،وذلك ما لم يستطع الحاكم إقناع أهل الشورى بأفضلية رأيه،كما فعل أبو بكر الذي ما فتئ يوضح رأيه للمسلمين في شأن حرب المرتدين وجمع القرآن،حتى شرح الله صدورهم له،كما قال عمر رضي الله عنه. وكما فعل أيضاً بإقناع مخالفيه في قسمة سواد العراق،حتى شرح صدورهم لرأيه ووافقوه على فعله،فكان الرأي مجمعاً عليه،كما ذكر أبو يوسف في كتاب الخراج وغيره من الفقهاء.أما رسول الله ﷺفهو بحق لم يكن بحاجة للشورى لاعتماده على الوحي،ومع ذكل فإنه كان يشاور أصحابه تطييباً لقلوبهم وتعليماً لمن بعده[٢١٢٥]

[٢١٢٢] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (١ / ٥٠١)

[٢١٢٣] – راجع تفسير الطبري: ٧/٣٤٣-٣٤٦، والقرطبي: ٤/٢٤٩-٢٥٣، وابن كثير: ١/٤٢٠، ٤/١١٨ عند تفسير آية {وشاورهم في الأمر} آل عمران: ١٥٩، تفسير الزمخشري: ١/٣٥٧ وما بعدها، تفسير الألوسي: ٤/١٠٦ وما بعدها، ٢٥/٤٦، الجصاص، المرجع السابق، البيضاوي: ١/٥٠، ٤/١٤٥، ط التجارية.

[٢١٢٤] – راجع تفسير الطبري: ٧/٣٤٥، ط دار المعارف.

[٢١٢٥] – راجع الآراء الأربعة في تحديد المقصود من أمر النبي بالمشاورة في الأحكام السلطانية للماوردي:ص٤١.

قال الحسن رضي الله عنه: علم الله أنه ما به إليهم حاجة،ولكنه أراد أن يستن به من بعده. وهذا هو معنى قوله تعالى {فإذا عزمت فتوكل على الله } [آل عمران:٣/١٥٩] أي فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى،فتوكل على الله في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح،فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله،لا أنت ولا من تشاور،والله هو الذي يرشدك للأفضل بالوحي،روى البيهقي عن ابن عباس قال: «أما إن الله ورسوله لغنيان عنها،ولكن جعلها الله تعالى رحمة لأمتي،فمن استشار منهم لم يعدم رشداً،ومن تركها لم يعدم غياً» قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام،من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب،هذا ما لا خلاف فيه،وقد مدح الله المؤمنين بقوله: {وأمرهم شورى بينهم} [الشورى:٤٢/٣٨]. وقال ابن أبي خُوَيزمَنْداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون،وما أشكل عليهم من أمور الدين،ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب،ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح،ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها [٢١٢٦] .

ويلاحظ الفرق بين مجالس الشورى في الشريعة ومجالس الشورى في النظم الوضعية القانونية،فإن مجلس الشورى في الإسلام ليس بمشرِّع،وإنما هو مجرد كاشف وباحث عن حكم الله تعالى،لذا يستوي فيه القلة والكثرة الغالبة. أما مجلس الشورى في الأنظمة الوضعية فهو مشرع،فيلزم الحاكم برأي الأكثرية.[٢١٢٧]

وفي الموسوعة الفقهية:" لِلْعُلَمَاءِ فِي حُكْمِ الشُّورَى - مِنْ حَيْثُ هِيَ - رَأْيَانِ:
الأَْوَّل:الْوُجُوبُ:وَيُنْسَبُ هَذَا الْقَوْل لِلنَّوَوِيِّ،وَابْنِ عَطِيَّةَ،وَابْنِ خُوَيْزِ مَنْدَادٍ،وَالرَّازِيِّ .
وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَْمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (سورة آل عمران / ١٥٩) وَظَاهِرُ الأَْمْرِ فِي قَوْله تَعَالَى:{ وَشَاوِرْهُمْ } يَقْتَضِي الْوُجُوبَ.وَالأَْمْرُ لِلنَّبِيِّ ﷺبِالْمُشَاوَرَةِ،أَمْرٌ لأُِمَّتِهِ لِتَقْتَدِيَ بِهِ وَلاَ تَرَاهَا مَنْقَصَةً،كَمَا مَدَحَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَوْلِهِ:{ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (سورة الشورى / ٣٨) .
قَال ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادٍ:وَاجِبٌ عَلَى الْوُلاَةِ مُشَاوَرَةُ الْعُلَمَاءِ فِيمَا لاَ يَعْلَمُونَ،وَمَا أَشْكَل عَلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ،وَوُجُوهِ الْجَيْشِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَرْبِ،وَوُجُوهِ النَّاسِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَصَالِحِ،وَوُجُوهِ الْكُتَّابِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُمَّال،فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَصَالِحِ الْبِلاَدِ وَعِمَارَتِهَا .قَال ابْنُ عَطِيَّةَ:" وَالشُّورَى مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ،وَعَزَائِمِ الأَْحْكَامِ،وَمَنْ لاَ يَسْتَشِيرُ أَهْل الْعِلْمِ وَالدِّينِ فَعَزْلُهُ وَاجِبٌ وَهَذَا مِمَّا لاَ اخْتِلاَفَ

[٢١٢٦] - راجع تفسير القرطبي: ٤/٢٤٩ وما بعدها.
[٢١٢٧] - الفقه الإسلامي وأدلته - (٨ / ٣٢٤)

فيه[٢١٢٨] " .

وَلاَ يَصِحُّ اعْتِبَارُ الأَمْرِ بِالشُّورَى لِمُجَرَّدِ تَطْيِيبِ نُفُوسِ الصَّحَابَةِ،وَلِرَفْعِ أَقْدَارِهِمْ ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ أَنَّ مَشُورَتَهُمْ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ وَغَيْرُ مَعْمُولٍ عَلَيْهَا مَعَ اسْتِفْرَاغِهِمْ لِلْجَهْدِ فِي اسْتِنْبَاطِ مَا شُورُوا فِيهِ،لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ تَطْيِيبٌ لِنُفُوسِهِمْ وَلاَ رَفْعٌ لأَقْدَارِهِمْ،بَل فِيهِ إِيحَاشُهُمْ وَإِعْلاَمُهُمْ بِعَدَمِ قَبُولِ مَشُورَتِهِمْ[٢١٢٩] .

الثَّانِي:النَّدْبُ.وَيُنْسَبُ هَذَا الْقَوْل لِقَتَادَةَ،وَابْنِ إِسْحَاقَ،وَالشَّافِعِيِّ،وَالرَّبِيعِ .وَاسْتَدَلُّوا بِأَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أُمِرَ النَّبِيُّ ﷺأَنْ يُشَاوِرَ أَصْحَابَهُ فِي مَكَائِدِ الْحُرُوبِ،وَعِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ،هُوَ تَطْيِيبٌ لِنُفُوسِهِمْ،وَرَفْعٌ لأَقْدَارِهِمْ،وَتَأَلُّفُهُمْ عَلَى دِينِهِمْ - وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ أَغْنَاهُ عَنْ رَأْيِهِمْ بِوَحْيِهِ .وَلَقَدْ كَانَتْ سَادَاتُ الْعَرَبِ إِذَا لَمْ يُشَاوَرُوا فِي الأَمْرِ شَقَّ عَلَيْهِمْ،فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺأَنْ يُشَاوِرَهُمْ لِيَعْرِفُوا إِكْرَامَهُ لَهُمْ فَتَذْهَبَ أَضْغَانُهُمْ.فَالأَمْرُ فِي الآيَةِ مَحْمُولٌ عَلَى النَّدْبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ[٢١٣٠] ،وَلَوْ أَجْبَرَهَا الأَبُ عَلَى النِّكَاحِ جَازَ.لَكِنَّ الأَوْلَى أَنْ يَسْتَأْمِرَهَا،وَيَسْتَشِيرَهَا تَطْيِيبًا لِنَفْسِهَا ؛ فَكَذَا هَاهُنَا[٢١٣١] .

قلت:القول بوجوب الشورى هو الصواب الذي لا يجوز العدول عنه،وإلا كانت لعباً لا قيمة لها.

مقصد الشورى:

قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٧١) سورة التوبة

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ أُخُوَّةٌ،وَمَوَدَّةٌ،وَتَعَاوُنٌ،وَتَرَاحُمٌ،وَيَتَّصِفُونَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي يَأْمُرُهُمْ بِهَا دِينُهُمْ:فَيَتَنَاصَرُونَ وَيَتَعَاضَدُونَ وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَ،وَيَأْمُرُونَ بِهِ،وَيَنْتَهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ،وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤَدُّونَهَا حَقَّ أَدَائِهَا،وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَى مُسْتَحِقِّيهَا،وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَ،وَيَتْرُكُونَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ.وَالْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الْكَرِيمَةِ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَاللهُ عَزِيزُ الْجَانِبِ،يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ،وَهُوَ حَكِيمٌ فِي قِسْمَتِهِ الصِّفَاتِ بَيْنَ خَلْقِهِ،فَجَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ

[٢١٢٨] - تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٩، أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٤٨، تفسير الفخر الرازي ٩ / ٦٧، مواهب الجليل ٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦، بدائع السلك في طبائع الملك ١ / ٢٩٥ .

[٢١٢٩] - أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٤٩ .

[٢١٣٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٦٩٤٦)

[٢١٣١] - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٦ / ٢٧٩) وتفسير الفخر الرازي ٩ / ٦٧، وتفسير القرطبي ٤ / ٢٥٠، وأحكام القرآن للجصاص ٢ / ٤٨ .

يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ،وَالْمُنَافِقِينَ يَخْتَصُّونَ بِالصِّفَاتِ الذَمِيمَةِ الْمُنْكَرَةِ .[٢١٣٢]

إذا كان المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض. إذا كانوا جبلة واحدة وطبيعة واحدة .. فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. إن المنافقين والمنافقات مع وحدة طبيعتهم لا يبلغون أن يكونوا أولياء بعضهم لبعض. فالولاية تحتاج إلى شجاعة وإلى نجدة وإلى تعاون وإلى تكاليف. وطبيعة النفاق تأبى هذا كله ولو كان بين المنافقين أنفسهم. إن المنافقين أفراد ضعاف مهازيل،وليسوا جماعة متماسكة قوية متضامنة،على ما يبدو بينهم من تشابه في الطبيعة والخلق والسلوك. والتعبير القرآني الدقيق لا يغفل هذا المعنى في وصف هؤلاء وهؤلاء ..

«الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» ..

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» ..

إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة. طبيعة الوحدة وطبيعة التكافل،وطبيعة التضامن،ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر.

« يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» .. وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون. ومن هنا تقف الأمة المؤمنة صفا واحدا. لا تدخل بينها عوامل الفرقة. وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمة ولا بد عنصر غريب عن طبيعتها،وعن عقيدتها،هو الذي يدخل بالفرقة. ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها. السمة التي يقررها العليم الخبير! «بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ» .. يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وإعلاء كلمة اللّه،وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض.

«وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ» ..الصلة التي تربطهم باللّه.

«وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ» ..الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة،وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن.

«وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» ..فلا يكون لهم هوى غير أمر اللّه وأمر رسوله،ولا يكون لهم دستور إلا شريعة اللّه ورسوله. ولا يكون لهم منهج إلا دين اللّه ورسوله،ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى اللّه ورسوله .. وبذلك يوحدون نهجهم ويوحدون هدفهم ويوحدون طريقتهم،فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم.«أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» ..والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها،إنما تكون في هذه الأرض أولا ورحمة اللّه تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن

[٢١٣٢] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٣٠٧)

المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح. رحمة اللّه في اطمئنان القلب،وفي الاتصال باللّه،وفي الرعاية والحماية من الفتن والأحداث.

ورحمة اللّه في صلاح الجماعة وتعاونها وتضامنها واطمئنان كل فرد للحياة واطمئنانه لرضاء اللّه.

إن هذه الصفات الأربع في المؤمنين:الأمر بالمعروف،والنهي عن المنكر،وإقامة الصلاة،وإيتاء الزكاة،لتقابل من صفات المنافقين:الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ونسيان اللّه وقبض الأيدي .. وإن رحمة اللّه للمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار .. وإن تلك الصفات لهي التي وعد اللّه المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية:«إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ..

قادر على إعزاز الفئة المؤمنة ليكون بعضها أولياء بعض في النهوض بهذه التكاليف،حكيم في تقدير النصر والعزة لها،لتصلح في الأرض،وتحرس كلمة اللّه بين العباد.

وإذا كان عذاب جهنم ينتظر المنافقين والكافرين،وكانت لعنته لهم بالمرصاد،وكان نسيانه لهم يدمغهم بالضئالة والحرمان. فإن نعيم الجنة ينتظر المؤمنين:«جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ» ..للإقامة المطمئنة. ولهم فوقها ما هو أكبر وأعظم:«وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» ..وإن الجنة بكل ما فيها من نعيم لتتضاءل وتتوارى في هالات ذلك الرضوان الكريم.«وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» ..

إن لحظة اتصال باللّه. لحظة شهود لجلاله. لحظة انطلاق من حبسة هذه الأمشاج،ومن ثقلة هذه الأرض وهمومها القريبة. لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري شعاعة من ذلك النور الذي لا تدركه الأبصار.

لحظة إشراق تنير فيها حنايا الروح بقبس من روح اللّه .. إن لحظة واحدة من هذه اللحظات التي تتفق للندرة القليلة من البشر في ومضة صفاء،ليتضاءل إلى جوارها كل متاع،وكل رجاء .. فكيف برضوان من اللّه يغمر هذه الأرواح،وتستشعره بدون انقطاع؟ «ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»[٢١٣٣]

وقال الله تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (٨٣) سورة النساء

يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَى عَلى مَنْ يُبَادِرُ إلى الأُمُورِ قَبْلَ أنْ يَتَحَقَقُ مِنْهَا،فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا،وَيَنْشُرُهَا،وَقَدْ لاَ

[٢١٣٣] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٣ / ١٦٧٥)

يَكُونُ لَهَا أَسَاسٌ مِنَ الصِّحَّةِ،وَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُحْدِثَ البَلْبَلَةَ فِي الجَمَاعَةِ،وَقَدْ تَكُونُ صَحِيْحَةٌ وَلَكِنْ يَكُونُ فِي إِفْشَائِهَا وَالإِعْلاَنِ عَنْهَا مَضَرَّةٌ بِالأُمَّةِ،يُفِيدُ مِنْهَا أَعْدَاؤُها .

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى:لَوْ أَنَّ هَؤُلاءِ رَدُّوا مَا سَمِعُوا إِلى الرَّسُولِ،وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،الذِينَ يَسْتَطِيعُونَ تَقْدِيرَ الأُمُورِ،وَمَعْرِفَةَ مَا يَجُوزُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ،وَمَا لاَ يَجُوزُ،لَقَدَّرُوهُ،وَلَرأوا إِنْ كَانَ يَحْسُنُ نَشْرُهُ وَإِذَاعَتُهُ أَوْ لا .وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ وَرَحْمَتِه بِكُمْ - إِذْ هَدَاكُمْ إِلى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً،وَرَدَّ الأُمُورَ العَامَّةَ إِلى الرَّسُولِ،وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ - لاَتَّبَعْتُمْ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ،كَمَا اتَّبَعَتْها تِلْكَ الطَّائِفَةُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ،التِي تَقُولُ لِلرَّسُولِ:طَاعَةٌ! ثُمَّ تُبَيِّتُ فِعْلَ غَيْرِ مَا قَالَتْ،وَالتِي تُذْيعُ أَمْرَ الأَمْنِ وَالخَوْفِ،وَتُفْسِدُ سِيَاسَةَ الأُمَّةِ،وَلأَخَذْتُمْ بِآرَاءِ الْمُنَافِقِينَ،فِيمَا تَأْتُونَ،وَفِيمَا تَذَرُونَ،وَلَمَا اهْتَدى إِلى الصَّوَابِ مِنْكُمْ إِلاَّ قَلِيلُونَ [٢١٣٤].

وقال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} (١٣) سورة الشورى

شَرَعَ اللهُ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا شَرَعَ لِنُوحٍ،وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَرْبَابِ الشَّرَائِعِ وَأُوْلِي العَزْمِ مِنَ الرُسُلِ،وَأَمْرَهُمْ أَمْراً مُؤَكَّداً مِمَّا هُوَ أَصْلُ الإِيْمَانِ،وَأَصْلُ الشَّرَائِعِ،مِمَّا لاَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلاَفِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ:كَالإِيْمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَالإِيْمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ،وَالإِيْمَانِ بِالمَلاَئِكَةِ وَالكُتُبِ والرُّسُلِ.وَقَدْ أَوْصَاهُمْ تَعَالَى جَمِيعاً بِإِقَامَةِ دِينِ التَّوْحِيدِ والتَّمَسُّكِ بِهِ،وَبِحِفْظِهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ زَيغٌ أَوِ اضْطِرَابٌ،وَبِأَلاَّ يَتَفَرَّقُوا فِي أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَمَبَادِئِهَا .

أَمَّا فِي التَّفَاصِيلِ فَقَدْ جَاءَ كُلُّ مُرْسَلٍ بِمَا يُنَاسِبُ قَوْمَهُ وَزَمَانَهُ (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً.وَقَدْ شَقَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ،وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ،وَمَا أَلْفَوْا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ،وَاللهُ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُقَرِّبُهُمْ إِلَيهِ،وَيُوَفِّقُهُمْ لِلعَمَلِ بِطَاعَتِهِ،وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ[٢١٣٥]

لقد جاء في مطلع السورة:«كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» .. فكانت هذه إشارة إجمالية إلى وحدة المصدر،ووحدة المنهج،ووحدة الاتجاه. فالآن يفصل هذه الإشارة ويقرر أن ما شرعه اللّه للمسلمين هو - في عمومه - ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى. وهو أن يقيموا دين اللّه الواحد،ولا يتفرقوا فيه. ويرتب عليها نتائجها من وجوب الثبات على المنهج الإلهي القديم،دون التفات إلى أهواء المختلفين. ومن هيمنة هذا الدين الواضح المستقيم،ودحض حجة الذين

[٢١٣٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٧٦)

[٢١٣٥] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٦٤)

يحاجون في اللّه،وإنذارهم بالغضب والعذاب الشديد.

ويبدو من التماسك والتناسق في هذه الفقرة كالذي بدا في سابقتها بشكل ملحوظ:«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً،وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ،وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى:أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» ..

وبذلك يقرر الحقيقة التي فصلناها في مطلع السورة. حقيقة الأصل الواحد،والنشأة الضاربة في أصول الزمان. ويضيف إليها لمحة لطيفة الوقع في حس المؤمن. وهو ينظر إلى سلفه في الطريق الممتدة من بعيد. فإذا هم على التتابع هؤلاء الكرام .. نوح. إبراهيم. موسى. عيسى،محمد - صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين - ويستشعر أنه امتداد لهؤلاء الكرام وأنه على دربهم يسير. إنه سيستروح السير في الطريق،مهما يجد فيه من شوك ونصب،وحرمان من أعراض كثيرة. وهو برفقة هذا الموكب الكريم على اللّه. الكريم على الكون كله منذ فجر التاريخ.

ثم إنه السّلام العميق بين المؤمنين بدين اللّه الواحد،السائرين على شرعه الثابت وانتفاء الخلاف والشقاق والشعور بالقربى الوثيقة،التي تدعو إلى التعاون والتفاهم،ووصل الحاضر بالماضي،والماضي بالحاضر،والسير جملة في الطريق. وإذا كان الذي شرعه اللّه من الدين للمسلمين المؤمنين بمحمد هو ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى.

ففيم يتقاتل أتباع موسى وأتباع عيسى؟ وفيم يتقاتل أصحاب المذاهب المختلفة من أتباع عيسى وفيم يتقاتل أتباع موسى وعيسى مع أتباع محمد؟ وفيم يتقاتل من يزعمون أنهم على ملة إبراهيم من المشركين مع المسلمين؟

و لم لا يتضام الجميع ليقفوا تحت الراية الواحدة التي يحملها رسولهم الأخير؟ والوصية الواحدة الصادرة للجميع :« أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»؟ فيقيموا الدين،ويقوموا بتكاليفه،ولا ينحرفوا عنه ولا يلتووا به ويقفوا تحت رايته صفا،وهي راية واحدة،رفعها على التوالي نوح وإبراهيم وموسى وعيسى - صلوات اللّه عليهم - حتى انتهت إلى محمد - ﷺ- في العهد الأخير.

ولكن المشركين في أم القرى ومن حولها - وهم يزعمون أنهم على ملة إبراهيم - كانوا يقفون من الدعوة القديمة الجديدة موقفا آخر :

«كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» ..

كبر عليهم أن يتنزل الوحي على محمد من بينهم وكانوا يريدون أن يتنزل «عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» أي صاحب سلطان من كبرائهم. و لم تكن صفات محمد الذاتية وهو بإقرارهم الصادق

الأمين،ولا كان نسبه وهو من أوسط بيت في قريش. ما كان هذا كله يعدل في نظرهم أن يكون سيد قبيلة ذا سلطان! وكبر عليهم أن ينتهي سلطانهم الديني بانتهاء عهد الوثنية والأصنام والأساطير التي يقوم عليها هذا السلطان وتعتمد عليها مصالحهم الاقتصادية والشخصية. فتشبثوا بالشرك وكبر عليهم التوحيد الخالص الواضح الذي دعاهم إليه الرسول الكريم.

وكبر عليهم أن يقال:إن آباءهم الذين ماتوا على الشرك ماتوا على ضلالة وعلى جاهلية فتشبثوا بالحماقة،وأخذتهم العزة بالإثم،واختاروا أن يلقوا بأنفسهم إلى الجحيم،على أن يوصم آباؤهم بأنهم ماتوا ضالين.والقرآن يعقب على موقفهم هذا بأن اللّه هو الذي يصطفي ويختار من يشاء وأنه كذلك يهدي إليه من يرغب في كنفه،ويتوب إلى ظله من الشاردين :«اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» ..وقد اجتبى محمدا - ﷺ- للرسالة. وهو يفتح الطريق لمن ينيب إليه ويثوب.

ثم يعود إلى موقف أتباع الرسل،الذين جاءوا قومهم بدين واحد،فتفرق أتباعهم شيعا وأحزابا:« وَما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ - بَغْياً بَيْنَهُمْ - وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ،وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» ..

فهم لم يتفرقوا عن جهل و لم يتفرقوا لأنهم لا يعرفون الأصل الواحد الذي يربطهم،ويربط رسلهم ومعتقداتهم. إنما تفرقوا بعد ما جاءهم العلم. تفرقوا بغيا بينهم وحسدا وظلما للحقيقة ولأنفسهم سواء. تفرقوا تحت تأثير الأهواء الجائرة،والشهوات الباغية. تفرقوا غير مستندين إلى سبب من العقيدة الصحيحة والمنهج القويم. ولو أخلصوا لعقيدتهم،واتبعوا منهجهم ما تفرقوا.

ولقد كانوا يستحقون أن يأخذهم اللّه أخذا عاجلا،جزاء بغيهم وظلمهم في هذا التفرق والتفريق. ولكن كلمة سبقت من اللّه لحكمة أرادها،بإمهالهم إلى أجل مسمى «وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» .. فحق الحق وبطل الباطل وانتهى الأمر في هذه الحياة الدنيا. ولكنهم مؤجلون إلى يوم الوقت المعلوم.

فأما الأجيال التي ورثت الكتاب من بعد أولئك الذين تفرقوا وفرقوا من أتباع كل نبي،فقد تلقوا عقيدتهم وكتابهم بغير يقين جازم إذ كانت الخلافات السابقة مثارا لعدم الجزم بشي ء،وللشك والغموض والحيرة بين شتى المذاهب والاختلافات :«وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» ..

وما هكذا تكون العقيدة. فالعقيدة هي الصخرة الصلبة التي يقف عليها المؤمن،فتميد الأرض من حوله وهو ثابت راسخ القدمين فوق الصخرة الصلبة التي لا تميد. والعقيدة هي النجم الهادي الثابت على الأفق يتجه إليه المؤمن وسط الأنواء والزوابع،فلا يضل ولا يحيد. فأما حين تصبح العقيدة ذاتها موضع

شك ومثار ريبة،فلا ثبات لشيء ولا لأمر في نفس صاحبها،ولا قرار له على وجهة،ولا اطمئنان إلى طريق.

ولقد جاءت العقيدة ليعرف أصحابها طريقهم ووجهتهم إلى اللّه ويقودوا من وراءهم من البشر في غير ما تلجلج ولا تردد ولا ضلال. فإذا هم استرابوا وشكوا فهم غير صالحين لقيادة أحد،وهم أنفسهم حائرون.وكذلك كان حال أتباع الرسل يوم جاء هذا الدين الجديد.[٢١٣٦]

التأدب في الشورى بآداب المجلس،ومنها:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١١) سورة المجادلة

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا،يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة،وإذا طلب منكم- أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا،يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم،ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان،والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها،وهو مجازيكم عليها.وفي الآية تنويه بمكانة العلماء وفضلهم،ورفع درجاتهم.[٢١٣٧]

وقال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات

اختيار الكفء للفصل في الأمور:

قال الله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (٩) سورة الزمر

هَلْ يَسْتَوِي حَالُ هَذَا الْمُشْرِكِ الذي يَكْفُرُ بنعَمِ اللهِ،وَيُشْرِكُ بِهِ الأَصْنَامَ وَالأَنْدَادَ،وَلاَ يَذْكُرُ اللهَ إِلاَّ عِنْدَ الشَّدَّةِ والبَلاَءِ،مَعَ حَالِ مَنْ هُوَ مُؤْمِنٌ قَائِمٌ بِأَدَاءِ الطَّاعَاتِ،وَدَائِبٌ عَلَى العِبَادَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ حِينَمَا يَكُونُ النَّاسُ نِياماً،لاَ يَرْجُو مِنْ أَدَائِهَا غَيْرَ رِضْوَانِ اللهِ وَثَوَابِهِ وَرَحْمَتِهِ،إِنَّهُمَا بِلاَ شَكٍّ لاَ يَسْتَوِيَانِ .ثُمَّ

[٢١٣٦] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٥ / ٣١٤٧)

[٢١٣٧] – التفسير الميسر – (١٠ / ٦٤)

أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى عَدَمَ التَّسَاوِي بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْمُطِيعِ والكَافِرِ الجَاحِدِ،فَقَالَ لرَسُولِهِ الكَرِيمِ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤَلاَءِ:هَلْ يَسْتَوِي الذينَ يَعْلَمُونَ مَا لَهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ مِنْ ثَوَابٍ،وَمَا لَهُمْ فِي مَعْصِيَتِهِ مِنْ عِقَابٍ،وَالذينَ لاَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنَّمَا يَعْتَبِرُ بِحُجَجِ اللهِ،وَيَتَّعِظُ بِهَا،وَيَتَدَبَّرُهَا أَهَلُ العُقُولِ والأَفْهَامِ،لاَ أَهْلَ الجَهْلِ والغَفْلَةِ .[٢١٣٨]

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ،فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ،فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً،فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا،وَلاَ يُؤَمَّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ وَلاَ يُجْلَسَ عَلَى تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ. أخرجه مسلم[٢١٣٩].

أهل الشورى:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

وقال الله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (٢٦) سورة القصص

وقال تعالى:{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (٥٥) سورة يوسف

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} (٥٩) سورة النساء

فِي هَذِهِ الآيَةِ يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِطَاعَتِهِ تَعَالَى،وَبِالعَمَلِ بِكِتَابِهِ،وَبِإِطَاعَةِ رَسُولِهِ،لأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ،وَيُبَلِّغُ عَنِ اللهِ شَرْعَ وَأَوَامِرَهُ،كَمَا يَأْمُرُ اللهُ بِإِطَاعَةِ أُوْلِي الأَمْرِ،مِنْ حُكَّامٍ وَأُمَرَاءٍ وَرُؤَسَاءِ جُنْدٍ،مِمَّنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ فِي الحَاجَاتِ،وَالمَصَالِحِ العَامَّةِ،فَهَؤُلاءِ إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجَبَ أَنْ يُطَاعُوا فِيهِ،بِشَرْطِ أَنْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ،وَأَنْ لاَ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللهِ،وَلاَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ التِي عُرِفَتْ بِالتَّوَاتُرِ،وَأَنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ فِي بَحْثِهِمْ فِي الأَمْرِ،وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ غَيْرَ مُكْرَهِينَ عَلَيهِ بِقُوَّةِ أَحَدٍ أَوْ نُفُوذِهِ .وَكُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ فَمِنَ الوَاجِبِ رَدُّهُ إِلى كِتَابِ اللهِ،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ،وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ،وَيَحْتَكِمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ،فَلَيْسَ مُؤْمِناً بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ .وَمَنْ يَحْتَكِم إِلى شَرْعِ اللهِ،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ،فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَآلاً (تَأْوِيلاً)،لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ إِلاَّ مَا فِيهِ

[٢١٣٨] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٩٤٦)

[٢١٣٩] – صحيح مسلم– المكتز – (١٥٦٤) وصحيح ابن حبان – (٥ / ٥٠١) (٢١٢٧)

السلم : الإسلام –التكرمة : الفراش والبساط الخاص بصاحب المترل

مَصْلَحَتُهُمْ وَمَنْفَعَتُهُمْ،وَالاحْتِكَامِ إلى الشَّرْعِ يَمْنَعُ الاخْتِلافَ الْمُؤَدِّي إلَى التَّنَازُعِ وَالضَّلالِ .[٢١٤٠]

إن للعقل البشري وزنه وقيمته بوصفه أداة من أدوات المعرفة والهداية في الإنسان .. هذا حق .. ولكن هذا العقل البشري هو عقل الأفراد والجماعات في بيئة من البيئات،متأثرا بشتى المؤثرات .. ليس هناك ما يسمى «العقل البشري» كمدلول مطلق! إنما هناك عقلي وعقلك،وعقل فلان وعلان،وعقول هذه المجموعة من البشر،في مكان ما وفي زمان ما .. وهذه كلها واقعة تحت مؤثرات شتى تميل بها من هنا،وتميل بها من هناك ..ولا بد من ميزان ثابت،ترجع إليه هذه العقول الكثيرة فتعرف عنده مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوراتها. ومدى الشطط والغلو،أو التقصير والقصور في هذه الأحكام والتصورات. وقيمة العقل البشري هنا هو أنه الأداة المهيأة للإنسان،ليعرف بها وزن أحكامه في هذا الميزان .. الميزان الثابت،الذي لا يميل مع الهوى،ولا يتأثر بشتى المؤثرات ..

ولا عبرة بما يضعه البشر أنفسهم من موازين .. فقد يكون الخلل في هذه الموازين ذاتها. فتختل جميع القيم .. ما لم يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت القويم.واللّه يضع هذا الميزان للبشر،للأمانة والعدل،ولسائر القيم،وسائر الأحكام،وسائر أوجه النشاط،في كل حقل من حقول الحياة:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ،وَأُولِي الْأَمْرِ .. مِنْكُمْ .. فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ،فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ. إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..

وفي هذا النص القصير يبين اللّه – سبحانه – شرط الإيمان وحد الإسلام. في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة وقاعدة الحكم،ومصدر السلطان .. وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من اللّه وحده والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصا،من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام .. ليكون هنالك الميزان الثابت،الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام! إن «الحاكمية» للّه وحده في حياة البشر – ما جل منها وما دق،وما كبر منها وما صغر – واللّه قد سن شريعة أودعها قرآنه. وأرسل بها رسولا يبينها للناس. ولا ينطق عن الهوى. فسنته – ﷺ– من ثم شريعة من شريعة اللّه.

واللّه واجب الطاعة. ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة. فشريعته واجبة التنفيذ. وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا اللّه – ابتداء – وأن يطيعوا الرسول – بما له من هذه الصفة. صفة الرسالة من اللّه – فطاعته إذن من طاعة اللّه،الذي أرسله بهذه الشريعة،وبيانها للناس في سنته .. وسنته وقضاؤه – على هذا – جزء من الشريعة واجب النفاذ .. والإيمان يتعلق – وجودا وعدما – بهذه الطاعة وهذا التنفيذ – بنص القرآن:«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ..

[٢١٤٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥٥٢)

فأما أولو الأمر فالنص يعين من هم.«وَأُولِي الْأَمْرِ .. مِنْكُمْ ..» أي من المؤمنين .. الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام المبين في الآية .. من طاعة اللّه وطاعة الرسول وإفراد اللّه – سبحانه – بالحاكمية وحق التشريع للناس ابتداء والتلقي منه وحده – فيما نص عليه – والرجوع إليه أيضا فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء،مما لم يرد فيه نص لتطبيق المبادئ العامة في النصوص عليه.

والنص يجعل طاعة اللّه أصلا وطاعة رسوله أصلا كذلك – بما أنه مرسل منه – ويجعل طاعة أولي الأمر ..منكم .. تبعا لطاعة اللّه وطاعة رسوله. فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم،كما كررها عند ذكر الرسول – ﷺ– ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة اللّه وطاعة رسوله – بعد أن قرر أنهم «منكم» بقيد الإيمان وشرطه ..

وطاعة أولي الأمر .. منكم .. بعد هذه التقريرات كلها،في حدود المعروف المشروع من اللّه،والذي لم يرد نص بحرمته ولا يكون من المحرم عند ما يرد إلى مبادئ شريعته،عند الاختلاف فيه .. والسنة تقرر حدود هذه الطاعة،على وجه الجزم واليقين:في الصحيحين من حديث الأعمش:«إنما الطاعة في المعروف».وفيهما من حديث يحيى القطان:«السمع والطاعة على المرء المسلم. فيما أحب أو كره. ما لم يؤمر بمعصية.فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

وأخرج مسلم من حديث أم الحصين:«ولو استعمل عليكم عبد. يقودكم بكتاب اللّه. اسمعوا له وأطيعوا» ..

بهذا يجعل الإسلام كل فرد أمينا على شريعة اللّه وسنة رسوله. أمينا على إيمانه هو ودينه. أمينا على نفسه وعقله.

أمينا على مصيره في الدنيا والآخرة .. ولا يجعله بهيمة في القطيع تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع! فالمنهج واضح،وحدود الطاعة واضحة. والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد،ولا تتفرق،ولا يتوه فيها الفرد بين الظنون! ذلك فيما ورد فيه نص صريح. فأما الذي لم يرد فيه نص. وأما الذي يعرض من المشكلات والأقضية،على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات – ولا يكون فيه نص قاطع،أو لا يكون فيه نص على الإطلاق .. مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام – فإنه لم يترك كذلك تيها. ولم يترك بلا ميزان.

ولم يترك بلا منهج للتشريع فيه والتفريع .. ووضع هذا النص القصير،منهج الاجتهاد كله،وحدده بحدوده وأقام «الأصل» الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضا.«فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ..ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنا. فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو،فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج اللّه وشريعته .. وهذه ليست عائمة،ولا فوضى،ولا

هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول. وهناك – في هذا الدين – مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح،تغطي كل جوانب الحياة الأساسية،وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين .«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ..تلك الطاعة للّه والطاعة للرسول،ولأولي الأمر المؤمنين القائمين على شريعة اللّه وسنة الرسول .. ورد ما يتنازع فيه إلى اللّه والرسول .. هذه وتلك شرط الإيمان باللّه واليوم الآخر. كما أنها مقتضى الإيمان باللّه واليوم الآخر ..فلا يوجد الإيمان ابتداء وهذا الشرط مفقود .. ولا يوجد الإيمان،ثم يتخلف عنه أثره الأكيد.وبعد أن يضع النص المسألة في هذا الوضع الشرطي،يقدمها مرة أخرى في صورة «العظة» والترغيب والتحبيب على نحو ما صنع في الأمر بالأمانة والعدل ثم التحبيب فيها والترغيب:«ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..ذلك خير لكم وأحسن مآلا. خير في الدنيا وخير في الآخرة. وأحسن مآلا في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة كذلك .. فليست المسألة أن اتباع هذا المنهج يؤدي إلى رضاء اللّه وثواب الآخرة – وهو أمر هائل،عظيم – ولكنه كذلك يحقق خير الدنيا وحسن مآل الفرد والجماعة في هذه الحياة القريبة. إن هذا المنهج معناه:أن يستمتع «الإنسان» بمزايا منهج يضعه له اللّه .. اللّه الصانع الحكيم العليم البصير الخبير .. منهج بريء من جهل الإنسان،وهوى الإنسان،وضعف الإنسان. وشهوة الإنسان .. منهج لا محاباة فيه لفرد،ولا لطبقة،ولا لشعب،ولا لجنس،ولا لجيل من البشر على جيل .. لأن اللّه رب الجميع،ولا تخالجه – سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – شهوة المحاباة لفرد،أو طبقة،أو شعب،أو جنس،أو جيل. ومنهج من مزاياه،أن صانعه هو صانع هذا الإنسان .. الذي يعلم حقيقة فطرته،والحاجات الحقيقية لهذه الفطرة،كما يعلم منحنيات نفسه ودروبها ووسائل خطابها وإصلاحها،فلا يخبط – سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – في تيه التجارب بحثا عن منهج يوافق. ولا يكلف البشر ثمن هذه التجارب القاسية،حين يخبطون هم في التيه بلا دليل! وحسبهم أن يجربوا في ميدان الإبداع المادي ما يشاءون. فهو مجال فسيح جد فسيح للعقل البشري. وحسبهم كذلك أن يحاول هذا العقل تطبيق ذلك المنهج ويدرك مواضع القياس والاجتهاد فيما تتنازع فيه العقول.ومنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الكون،الذي يعيش فيه الإنسان. فهو يضمن للإنسان منهجا تتلاءم قواعده مع نواميس الكون فلا يروح يعارك هذه النواميس. بل يروح يتعرف إليها،ويصادقها،وينتفع بها .. والمنهج يهديه في هذا كله ويحميه.ومنهج من مزاياه أنه – في الوقت الذي يهدي فيه الإنسان ويحميه – يكرمه ويحترمه ويجعل لعقله مكانا للعمل في المنهج .. مكان الاجتهاد في فهم النصوص الواردة. ثم الاجتهاد في رد مالم يرد فيه نص إلى النصوص أو إلى المبادئ العامة للدين .. ذلك إلى المجال الأصيل،الذي يحكمه العقل البشري،ويعلن فيه سيادته

الكاملة:ميدان البحث العلمي في الكون والإبداع المادي فيه ..«ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» .. وصدق اللّه العظيم.[٢١٤١]

وعَنْ أَنَسٍ ؛أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺشَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ،فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ،فَأَعْرَضَ عَنْهُ،ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ،فَأَعْرَضَ عَنْهُ،فَقَالَتِ الأَنْصَارُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِيَّانَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا،وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ فَعَلْنَا،فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ اللهِ،فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺأَصْحَابَهُ،فَانْطَلَقَ حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا،وَجَاءَتْ رَوَايَا قُرَيْشٍ،وَفِيهِمْ غُلاَمٌ لِبَنِي الْحَجَّاجِ أَسْوَدُ،فَأَخَذَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ،فَقَالَ:أَمَّا أَبُو سُفْيَانَ فَلَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ،وَلَكِنْ هَذِهِ قُرَيْشٌ،وَأَبُو جَهْلٍ،وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ،قَدْ جَاءَتْ،فَيَضْرِبُونَهُ،فَإِذَا ضَرَبُوهُ قَالَ:نَعَمْ،هَذَا أَبُو سُفْيَانَ،فَإِذَا تَرَكُوهُ،فَسَأَلُوهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ،فَقَالَ:مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ مِنْ عِلْمٍ،وَلَكِنْ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ جَاءَتْ،وَرَسُولُ اللهِ ﷺيُصَلِّي،فَانْصَرَفَ،فَقَالَ:إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ،وَتَدَعُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِيَدِهِ فَوَضَعَهَا،فَقَالَ:هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا،وَهَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا،إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى،فَالْتَقُوْا،فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ،عَزَّ وَجَلَّ،فَوَاللهِ مَا أَمَاطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ عَنْ مَوْضِعِ كَفِّي النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ،وَقَدْ جَيَّفُوا،فَقَالَ:يَا أَبَا جَهْلٍ،يَا عُتْبَةُ،يَا شَيْبَةُ،يَا أُمَيَّةُ،هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا،فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:يَا رَسُولَ اللهِ،تَدْعُوهُمْ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ،وَقَدْ جَيَّفُوا ؟ فَقَالَ:مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ،غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ جَوَابًا،فَأَمَرَ بِهِمْ فَجُرُّوا بِأَرْجُلِهِمْ،فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ. أخرجه مسلم[٢١٤٢]

أخذ الرأي من العالم والكبير ثم من على يمينه:

عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِى حَثْمَةَ،أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رِجَالٌ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ مِنْ جَهْدٍ أَصَابَهُمْ،فَأُتِىَ مُحَيِّصَةُ فَأُخْبِرَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ قَدْ قُتِلَ،وَطُرِحَ فِى فَقِيرٍ،أَوْ عَيْنٍ،فَأَتَى يَهُودَ. وَقَالَ:أَنْتُمْ وَاللهِ قَتَلْتُمُوهُ،قَالُوا:وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ،فَأَقْبَلَ،حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ،فَذَكَرَ لَهُمْ،ثُمَّ أَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ حُوَيِّصَةُ،وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ،وَعَبْدُ الرَّحْمَانِ بن سهل،فَذَهَبَ مُحَيِّصَةُ لِيَتَكَلَّمَ،وَهُوَ الَّذى كَانَ بِخَيْبَرَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ،ﷺ، كَبِّرْ كَبِّرْ،يُرِيدُ السِّنَّ،فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ،ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ،ﷺ: إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ،وَإِمَّا أَنْ يُؤْذَنُوا بِحَرْبٍ،فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ،ﷺ، فِى ذَلِكَ،فَكَتَبُوا إِنَّا وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلِحُوَيِّصَةَ وَمُحَيِّصَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَانِ:أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ

[٢١٤١] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٢ / ٦٩٠)

[٢١٤٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٤٧٢١)

صَاحِبِكُمْ ؟ وَقَالُوا:لاَ. قَالَ:فَتَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ،قَالُوا:لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ،فَوَدَاهُ رَسُولُ اللهِ،ﷺ، مِنْ عِنْدِهِ،فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بِمِئَةِ نَاقَةٍ،حَتَّى أُدْخِلَتْ عَلَيْهِمُ الدَّارَ. قَالَ سَهْلٌ:لَقَدْ رَكَضَتْنِي مِنْهَا نَاقَةٌ حَمْرَاءُ. متفق عليه[٢١٤٣]

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ- يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَطُهُورِهِ وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ "[٢١٤٤]

وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ أَنَّ أَخَاهُ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ،وَكَانَ كَعْبٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: فَخَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ فَقِهْنَا وَصَلَّيْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَيِّدُنَا وَكَبِيرُنَا،فَلَمَّا وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا هَؤُلَاءِ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا وَاللهِ مَا أَدْرِي أَتُوَافِقُونِي عَلَيْهِ أَمْ لَا،فَقُلْنَا مَا هُوَ ؟ قَالَ: تُصَلُّونَ إِلَى الْكَعْبَةِ قَالَ: قُلْنَا: مَا أَمَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺنُصَلِّي إِلَّا إِلَى الشَّامِ،وَمَا نُرِيدُ أَنْ نُخَالِفَهُ،قَالَ: إِنِّي لِمُصَلٍّ إِلَيْهَا،قَالَ: قُلْنَا: لَا تَفْعَلْ،قَالَ: فَكُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ نُصَلِّي إِلَى الشَّامِ وَيُصَلِّي إِلَى الْكَعْبَةِ،حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ وَقَدْ عِبْنَا عَلَيْهِ مَا صَنَعَ وَأَبَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَيْهِ،قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَالَ: يَا أَخِي أَنْطَلِقُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺحَتَّى أَسْأَلَهُ عَمَّا صَنَعْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَإِنِّي وَاللهِ لَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَيْءٌ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ خِلَافِكُمْ إِيَّايَ فِيهِ،فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺوَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ لَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ،فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺفَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُونَهُ ؟ قَالَ: قُلْنَا: لَا،قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفُونَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؟ قَالَ: قُلْنَا نَعَمْ،وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ،كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدَمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا،قَالَ: فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللهِ ﷺمَعَهُ جَالِسٌ،فَسَلَّمْنَا ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺلِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ " قَالَ: نَعَمْ هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ،قَالَ: فَوَاللهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: " الشَّاعِرُ ؟ " يُرِيدُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَقَالَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي قَدْ خَرَجْتُ فِي سَفَرِي هَذَا وَقَدْ هَدَانِي اللهُ تَعَالَى إِلَى الْإِسْلَامِ فَرَأَيْتُ أَلَّا أَضَعَ هَذِهِ الْبَنِيَّةَ بِظَهْرٍ فَصَلَّيْتُ إِلَيْهَا،وَقَدْ خَالَفَنِي أَصْحَابِي فِي ذَلِكَ حَتَّى وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ،فَمَاذَا تَرَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ ﷺ: " قَدْ كُنْتَ عَلَى قِبْلَةٍ لَوْ صَبَرْتَ عَلَيْهَا " قَالَ: فَرَجَعَ الْبَرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى قِبْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺفَصَلَّى مَعَنَا إِلَى الشَّامِ وَأَهْلُهُ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ حَتَّى مَاتَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا قَالُوهُ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُمْ.ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى

[٢١٤٣] - صحيح البخارى- المكتر -(٧١٩٢) وصحيح مسلم- المكتر -(٤٤٤١)

[٢١٤٤] - صحيح البخارى- المكتر - (١٦٨) -الترجل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه

الْحَجِّ وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺالْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ،فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتْ لَيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺالْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَمَعَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا،وَكُلُّنَا يَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَرَنَا فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا: يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِنَا رَسُولَ اللهِ ﷺالْعَقَبَةَ،قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا مِنْ رِجَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺمُسْتَخْفِينَ تَسَلُّلَ الْقَطَا إِذِ اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمُ امْرَأَتَانِ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى بَنِي عَامِرِ بْنِ النَّجَّارِ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنُ نَابِي إِحْدَى بَنِي سَلَمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺحَتَّى جَاءَنَا لَيْلَتَئِذٍ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ فَيُوثِقُ لَهُ،فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ قَالَ: وَكَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجَ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺمِنَّا حَيْثُ عَلِمْتُمْ،وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى رَأْيِنَا وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ مِنْ بَلَدِهِ،قَالَ: قُلْنَا: مَا قُلْتَ،فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺفَدَعَى إِلَى اللهِ تَعَالَى وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ،ثُمَّ قَالَ ﷺ: " أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ " قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا يَا رَسُولَ اللهِ فَبَايِعْنَا،فَنَحْنُ وَاللهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ،فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ حِبَالًا،وَإِنَّا قَاطِعُوهَا،فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدَعَنَا ؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺوَقَالَ: " بَلِ الدَّمُ بِالدَّمِ وَالْهَدْمُ بِالْهَدْمِ،أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي،دَمِي مَعَ دِمَائِكُمْ،وَهَدْمِي مَعَ هَدْمِكُمْ،أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ،وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ " وَقَدْ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: " أَخْرِجُوا إِلَيَّ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ " فَأَخْرَجُوا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا تِسْعَةً مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ "[٢١٤٥]

إعطاء الرأي إذا طُلب منه:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى،يَعْنِي فِي يَوْمِ بَدْرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ،مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ،هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ،أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ،فَعَسَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْدِيَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ.قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ "،قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللهِ،وَلَكِنْ أَرَى أَنْ

[٢١٤٥] – أخبار مكة للفاكهي – (٤ / ٢٣٤) (٢٥٤٢) صحيح

تُمَكِّنَّا مِنْهُمْ فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ،وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ،وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ،نَسِيبٍ لِعُمَرَ،فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ،فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ،وَصَنَادِيدُهَا،وَقَادَتُهَا.فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ،فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺوَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَانِ يَبْكِيَانِ،قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ،فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاءِ،لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ "،شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ،تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا،وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ،وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } [الأنفال: ٦٨].فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ " .. أخرجه مسلم[٢١٤٦]

إعطاء الرأي السديد:

قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) } [الأحزاب:٧٠ - ٧١]

يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلاَ تَعْصُوهُ،وَقُولُوا فِي الْمُؤْمنينَ قَوْلاً حَقّاً لاَ بَاطِلَ فيه،وَلا جَوْرَ عَنِ الصَوَابِ .وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ وَيَتَّقِه،وَيَقُلِ القَوْلَ الْمُنْصِفَ السَّديدَ،فَإِنَّ اللهَ تَعَالى يُوفِّقُهُ إِلى صَالِحِ الأَعْمَالِ،وَيُسَدِّدُ خُطَاهُ فِي مَسيرَتِه،وَيَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ.وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَيَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِه،وَيَنْتَهِ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ،فَقَدْ ظَفِرَ بِالْمَثُوبَةِ والكَرَامَةِ يومَ الحِسَابِ { فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }[٢١٤٧] .

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ،إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ،إِنَّمَا الدِّينُ النَّصِيحَةُ "،فَقِيلَ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: " لِلَّهِ،وَلِكِتَابِهِ،وَلِرَسُولِهِ،وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ". أخرجه مسلم[٢١٤٨] .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،أَنّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: كُلُّكُمْ رَاعٍ،وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ،وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ،وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ،وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ،وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ،وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ،وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ،وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ،وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ"

وعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ،أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ،عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضِهِ،فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ:

[٢١٤٦] - شرح مشكل الآثار - (٨ / ٣٥٩)(٣٣٠٩) وصحيح مسلم- المكتر - (٤٦٨٧)

[٢١٤٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٤٨٤)

[٢١٤٨] - شعب الإيمان - (٧ / ٢٠٦) (٤٨٨٤) وصحيح مسلم- المكتر - (٢٠٥) واللفظ للبيهقي

إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ لَوْلا أَنِّي فِي الْمَوْتِ لَمْ أُحَدِّثْكَ بِهِ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ،وَلا يَنْصَحُ لَهُمْ،إِلا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ .

وعَنِ الْحَسَنِ،قَالَ: أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ،إِذْ جَاءَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ،فَقَالَ مَعْقِلٌ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً،فَلَمْ يُحِطْ مِنْ وَرَائِهَا بِالنَّصِيحَةِ،أَوْ مَاتَ وَهُوَ لَهَا غَاشٌّ،أَدْخَلَهُ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ،قَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: أَلا كُنْتَ حَدَّثْتَنَا هَذَا الْحَدِيثَ قَبْلَ الْيَوْمِ،قَالَ: إِنِّي كُنْتُ فِي سُلْطَانٍ سِوَى سُلْطَانِكَ"[٢١٤٩]

قال الْأَوْزَاعِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو: " بَعَثَ إِلَيَّ الْمَنْصُورُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا بِالسَّاحِلِ،فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيَّ وَأَجْلَسَنِي " ثُمَّ قَالَ: مَا الَّذِي بَطَّأَ بِكَ عَنَّا يَا أَوْزَاعِيُّ ؟ قُلْتُ: " وَمَا الَّذِي تُرِيدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ " قَالَ: أُرِيدُ الْأَخْذَ عَنْكَ والاقْتِبَاسَ مِنْكَ،قَالَ: " فَانْظُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا تَجْهَلَ شَيْئًا مِمَّا أَقُولُ لَكَ " قَالَ: وَكَيْفَ أَجْهَلُهُ وَأَنَا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ وَأَقْدَمْتُكَ لَهُ ؟ قُلْتُ: " أَنْ تَسْمَعَهُ وَلَا تَعْمَلَ بِهِ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَرِهَ الْحَقَّ فَقَدْ كَرِهَ اللهَ،إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ " قَالَ: فَصَاحَ ابْنُ الرَّبِيعِ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى السَّيْفِ،فَانْتَهَرَهُ الْمَنْصُورُ،وَقَالَ: هَذَا مَجْلِسُ مَثُوبَةٍ لَا مَجْلِسُ عُقُوبَةٍ،فَطَابَتْ نَفْسِي وَانْبَسَطْتُ فِي الْكَلَامِ،فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ،عَنْ عَطِيَّةَ،عَنْ بِشْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَيُّمَا عَبْدٍ أَتَاهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللهِ فِي دِينِهِ فَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ سِيقَتْ إِلَيْهِ،فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا،وَيَزْدَادَ عَلَيْهِ سُخْطًا "

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ،عَنْ عَطِيَّةَ،عَنْ بِشْرٍ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَيُّمَا وَالٍ بَاتَ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الَّذِي لَيَّنَ قُلُوبَ أَمَّتِكُمْ لَكُمْ حِينَ وَلَّوْكُمْ لِقَرَابَتِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَدْ كَانَ بِهِمْ رَءُوفًا رَحِيمًا مُوَاسِيًا لَهُمْ بِنَفْسِهِ وَذَاتِ يَدِهِ،وَعِنْدَ النَّاسِ لَحَقِيقٌ أَنْ يَقُومَ لَهُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ،وَأَنْ يَكُونَ بِالْقِسْطِ لَهُ فِيهِمْ قَائِمًا،وَلِعَوْرَاتِهِمْ سَاتِرًا،لَمْ يُغْلَقْ عَلَيْهِ دُونَهُمُ الْأَبْوَابُ،وَلَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ دُونَهُمُ الْحُجَّابُ،يَبْتَهِجُ بِالنِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ،وَيَبْتَئِسُ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ سُوءٍ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،قَدْ كُنْتَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ خَاصَّةِ نَفْسِكَ عَنْ عَامَّةِ النَّاسِ الَّذِينَ أَصْبَحْتَ تَمْلِكُهُمْ،أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ،مُسْلِمِهِمْ وَكَافِرِهِمْ،وَكُلٌّ لَهُ عَلَيْكَ نَصِيبٌ مِنَ الْعَدْلِ،فَكَيْفَ بِكَ إِذَا اتَّبَعَكَ مِنْهُمْ فِئَامٌ وَرَاءَ فِئَامٍ،لَيْسَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو شَكْوَى،أَوْ بَلِيَّةً أَدْخَلَتْهَا عَلَيْهِ،أَوْ ظُلَامَةً سُقْتَهَا إِلَيْهِ "

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ،عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ،قَالَ: " كَانَتْ بَيْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺجَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ

[٢١٤٩] – مسند أبي عوانة (٥٦٦٤-٥٦٦٧) صحيح

يَسْتَاكُ بِهَا،وَيُرَوِّعُ بِهَا الْمُنَافِقِينَ،فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ،مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ الَّتِي كَسَرْتَ بِهَا قُرُونَ أُمَّتِكَ،وَمَلَأْتَ بِهَا قُلُوبَهُمْ رُعْبًا ؟ " " فَكَيْفَ بِمَنْ شَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ،وَسَفَكَ دِمَاءَهُمْ،وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ،وَأَجْلَاهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ،وَغَيَّبَهُمُ الْخَوْفُ مِنْهُ ؟ "

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ،عَنْ زِيَادِ بْنِ حَارِثَةَ،عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ،" أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺدَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ فِي خَدْشَةٍ خَدَشَهَا أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ،فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا،فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ" فَقَالَ: " اقْتَصَّ مِنِّي " فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: قَدْ أَحْلَلْتُكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا وَلَوْ أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِي،فَدَعَا اللهُ لَهُ بِخَيْرٍ " " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَوِّضْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ،وَخُذْ لَهَا الْأَمَانَ مِنْ رَبِّكَ،وَارْغَبْ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ الَّتِي "

يَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا " " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الْمُلْكَ لَوْ بَقِيَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ،وَكَذَلِكَ لَا يَبْقَى لَكَ كَمَا لَا يَبْقَى لِغَيْرِكَ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ: { مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا } [الكهف: ٤٩] قَالَ: الصَّغِيرَةُ التَّبَسُّمُ،وَالْكَبِيرَةُ الضَّحِكُ،فَكَيْفَ مَا عَمِلَتْهُ الْأَيْدِي وَأَحْصَتْهُ الْأَلْسُنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ "

بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: " لَوْ مَاتَتْ سَخْلَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ ضَيْعَةً لَخِفْتُ أَنْ أُسْأَلَ عَنْهَا " " فَكَيْفَ بِمَنْ حُرِمَ عَدْلَكَ وَهُوَ عَلَى بِسَاطِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ تَدْرِي مَا جَاءَ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ جَدِّكَ: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى } " قَالَ: " يَا دَاوُدُ،إِذَا قَعَدَ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ فَكَانَ لَكَ فِي أَحَدِهِمَا هَوًى فَلَا تَتَمَنَّيَنَّ فِي نَفْسِكَ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ لَهُ فَيُفْلِحَ عَلَى صَاحِبِهِ فَأَمْحُوكَ عَنْ نُبُوَّتِي ثُمَّ لَا تَكُونَ خَلِيفَتِي وَلَا كَرَامَةَ،يَا دَاوُدُ إِنَّمَا جَعَلْتُ رُسُلِي إِلَى عِبَادِي رُعَاةً تَرْعَى الْإِبِلَ لِعِلْمِهِمْ بِالرِّعَايَةِ وَرِفْقِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ،لِيَجْبُرُوا الْكَسْرَةَ،وَيَدُلُّوا الْهَزِيلَ عَلَى الْكَلَأِ وَالْمَاءِ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ قَدْ بُلِيتَ بِأَمْرٍ لَوْ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ لَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ،يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ "

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ،عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الصَّدَقَةِ فَرَآهُ بَعْدَ أَيَّامٍ مُقِيمًا،فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى عَمَلِكَ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لَكَ مِثْلَ أَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ: لَا،قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " مَا مِنْ وَالٍ يَلِي شَيْئًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ مَغْلُولَةٌ إِلَى عُنُقِهِ،فَيُوقَفُ عَلَى جِسْرٍ مِنَ النَّارِ،يَنْتَفِضُ ذَلِكَ الْجِسْرُ انْتِفَاضَةً تُزِيلُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَنْ مَوْضِعِهِ ثُمَّ يُعَادُ فَيُحَاسَبُ فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَجَّاهُ إِحْسَانُهُ،وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا انْحَرَفَ بِهِ ذَلِكَ الْجِسْرُ فَهَوَى بِهِ فِي

النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا " قَالَ لَهُ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي ذَرٍّ،وَسَلْمَانَ،فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا عُمَرُ فَسَأَلَهُمَا فَقَالَا: نَعَمْ سَمِعْنَاهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ عُمَرُ: وَاعُمَرَاهُ مَنْ يَتَوَلَّاهَا بِمَا فِيهَا ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: " مَنْ أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَهُ وَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالْأَرْضِ " قَالَ: فَأَخَذَ الْمَنْدِيلَ فَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ بَكَى وَانْتَحَبَ حَتَّى أَبْكَانِي ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،قَدْ سَأَلَ جَدُّكَ الْعَبَّاسُ رَسُولَ اللهِ ﷺإِمَارَةً عَلَى مَكَّةَ أَوِ الطَّائِفِ أَوِ الْيَمَنِ،فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: " يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ،نَفْسٌ تُنْجِيهَا خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا " نَصِيحَةً مِنْهُ لِعَمِّهِ وَشَفَقَةً مِنْهُ عَلَيْهِ،وَإِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا،إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء: ٢١٤] فَقَالَ: " يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ،وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ النَّبِيِّ،وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ،إِنِّي لَسْتُ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا،لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ " وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: " لَا يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْلِ،أَرِبُ الْعُقْدَةِ،لَا يُطَّلَعُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ،وَلَا يُحْنَقُ عَلَى جَرَاءَةٍ،وَلَا يَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ "

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " السُّلْطَانُ أَرْبَعَةٌ: فَأَمِيرٌ قَوِيٌّ طَلَّقَ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ فَذَلِكَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ،يَدُ اللهِ بَاسِطَةٌ عَلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ،وَأَمِيرٌ طَلَّقَ نَفْسَهُ وَأَرْتَعَ عُمَّالُهُ لِضَعْفِهِ،فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ،إِلَّا أَنْ يَتْرُكَهُمْ،وَأَمِيرٌ طَلَّقَ عُمَّالَهُ وَأَرْتَعَ نَفْسَهُ،فَذَلِكَ الْحُطَمَةُ " الَّذِي قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ فَهُوَ الْهَالِكُ وَحْدَهُ،وَأَمِيرٌ أَرْتَعَ نَفْسَهُ وَعُمَّالُهُ فَهَلَكُوا جَمِيعًا " بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ " أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ: أَتَيْتُكَ بِخَبَرٍ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِمَفَاتِيحِ النَّارِ،فَوُضِعَتْ عَلَى النَّارِ تُسَعَّرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صِفْ لِيَ النَّارَ،فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَمَرَ بِهَا فَأَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ،ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اصْفَرَّتْ،ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ عَامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ،فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ،لَا يُطْفَأُ لَهَبُهَا وَلَا جَمْرُهَا،وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ ثِيَابِ أَهْلِ النَّارِ ظَهَرَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ لَمَاتُوا جَمِيعًا،وَلَوْ أَنَّ ذَنُوبًا مِنْ شَرَابِهَا صُبَّ فِي مِيَاهِ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعًا لَقُتِلَ مَنْ ذَاقَهُ،وَلَوْ أَنَّ ذِرَاعًا مِنَ السِّلْسِلَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وُضِعَ عَلَى جِبَالِ الْأَرْضِ لَذَابَتْ وَمَا اسْتَعَلَتْ،وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أُدْخِلَ النَّارَ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا لَمَاتَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ نَتَنِ رِيحِهِ وَتَشْوِيهِ خَلْقِهِ وَعِظَمِهِ،فَبَكَى النَّبِيُّ ﷺ،وَبَكَى جِبْرِيلُ لِبُكَائِهِ فَقَالَ: بَلَى يَا مُحَمَّدُ،وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ وَلِمَ بَكَيْتَ يَا جِبْرِيلُ وَأَنْتَ الرُّوحُ الْأَمِينُ،أَمِينُ اللهِ عَلَى وَحْيِهِ ؟ " فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُبْتَلَى بِمِثْلِ مَا ابْتُلِيَ بِهِ هَارُوتُ،وَمَارُوتُ،فَهُوَ الَّذِي مَنَعَنِي مِنَ اتِّكَالِي عَلَى مَنْزِلَتِي عِنْدَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ،فَأَكُونُ قَدْ أَمِنْتُ مَكْرَهُ،فَلَمْ يَزَالَا يَبْكِيَانِ حَتَّى نُودِيَ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ يَا جِبْرِيلُ وَيَا مُحَمَّدُ،إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَمَّنَكُمَا أَنْ تَعْصِيَاهُ فَيُعَذِّبَكُمَا "

وَقَدْ بَلَغَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: " اللهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أُبَالِي إِذَا قَعَدَ

الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيَّ عَلَى مَنْ حَالَ الْحَقُّ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ فَلَا تُمْهِلْنِي طَرْفَةَ عَيْنٍ " يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،إِنَّ أَشَدَّ الشِّدَّةِ الْقِيَامُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَإِنَّ أَكْرَمَ الْكَرَمِ عِنْدَ اللهِ التَّقْوَى،وَإِنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّ بِطَاعَةِ اللهِ رَفَعَهُ وَأَعَزَّهُ،وَمَنْ طَلَبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ أَذَلَّهُ اللهُ وَوَضَعَهُ،فَهَذِهِ نَصِيحَتِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ،ثُمَّ نَهَضْتُ،فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ: إِلَى الْبَلَدِ وَالْوَطَنِ بِإِذْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ،قَالَ: " قَدْ أَذِنْتُ لَكَ،وَشَكَرْتُ لَكَ نَصِيحَتَكَ وَقَبِلْتُهَا بِقَوْلِهَا،وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ،وَبِهِ أَسْتَعِينُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ،وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ،فَلَا تُخْلِنِي مِنْ مُطَالَعَتِكَ إِيَّايَ بِمِثْلِهَا،فَإِنَّكَ الْمَقْبُولُ الْقَوْلِ غَيْرُ الْمُتَّهَمِ فِي نَصِيحَتِهِ،قُلْتُ: أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ،قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ: فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى خُرُوجِهِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ،وَقَالَ: أَنَا فِي غِنًى عَنْهُ،وَمَا كُنْتُ أَبِيعُ نَصِيحَتِي بِعَرَضٍ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا كُلِّهَا،وَعَرَفَ الْمَنْصُورُ مَذْهَبَهُ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ فِي رَدِّهِ "[٢١٥٠]

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ ؛ قَالَ:دَخَلَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمَدِينَةَ،فَأَقَامَ بِهَا ثَلاثًا،فَقَالَ:مَا هَا هُنَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَدْرَكَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺيُحَدِّثُنَا ؟ فَقِيلَ لَهُ:بَلَى،هَا هُنَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ:أَبُو حَازِمٍ.فَبَعَثَ إِلَيْهِ،فَجَاءَهُ،فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! مَا هَذَا الْجَفَاءُ ؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ:وَأَيَّ جَفَاءٍ رَأَيْتَ مِنِّي ؟ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ:أَتَانِي وُجُوهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلُّهُمْ وَلَمْ تَأْتِنِي.فَقَالَ لَهُ:أُعِيذُكَ بِاللهِ أَنْ تَقُولَ مَا لَمْ يَكُنْ،مَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَعْرِفَةٌ آتِيكَ عَلَيْهَا.فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ:صَدَقَ الشَّيْخُ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:لأَنَّكُمْ أَخْرَبْتُمُ آخِرَتَكُمْ،وَعَمَّرْتُمْ دُنْيَاكُمْ ؛ فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ الْعُمْرَانِ إِلَى الْخَرَابِ.قَالَ:صَدَقْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ،فَكَيْفَ الْقُدُومُ ؟ قَالَ:أَمَّا الْمُحْسِنُ ؛ فَكَالْغَائِبِ يُقْدِمُ عَلَى أهله،وما الْمُسِيءُ ؛ فَكَالآبِقِ يُقْدِمُ عَلَى مَوْلاهُ.قَالَ:فَبَكَى سُلَيْمَانُ،وَقَالَ:لَيْتَ شِعْرِي ! مَا لَنَا عِنْدَ اللهِ يَا أَبَا حَازِمٍ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:اعْرِضْ نَفْسَكَ عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعْلَمْ مَا لَكَ عِنْدَ اللهِ.فَقَالَ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! أَيْنَ نُصِيبُ تِلْكَ مِنْ الْمَعْرِفَةِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:عِنْدَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)) [الانفطار:١٣ - ١٤].فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللهِ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ:{ قَرِيبٌ من المحسنين } [الأعراف:٥٦].قَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! مَنْ أَعْقَلُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:مَنْ تَعَلَّمَ الْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهَا النَّاسَ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:فَمَنْ أَحْمَقُ النَّاسِ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ:مَنْ حَطَّ فِي هَوَى رَجُلٍ وَهُوَ ظَالِمٌ فَبَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! مَا أَسْمَعُ الدُّعَاءَ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ:دُعَاءُ الْمُخْبِتِينَ [إِلَيْهِ].قَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! فَمَا أَزْكَى الصَّدَقَةُ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:جُهْدُ الْمُقِلِّ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:اعْفِنَا مِنْ هَذَا.قَالَ سُلَيْمَانُ:نَصِيحَةٌ بَلَّغْتَهَا.فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:إِنَّ

[٢١٥٠] - شعب الإيمان - (٩ / ٥٠٥) (٧٠٢٤) فيه لين

نَاسًا أَخَذُوا هَذَا الأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ،فَسَفَكُوا فِيهَا الدِّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا،ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا،فَلَيْتَ شِعْرِي مَا قَالُوا وَمَا قِيلَ لَهُمْ ؟ ! فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ:بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا شَيْخُ:فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:كَذَبْتَ ! إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا يَكْتُمُونَهُ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! كَيْفَ لَنَا أَنْ نَصْلُحَ ؟ فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:تَدَعُوا التَّكَلُّفَ،وَتَتَمَسَّكُوا بِالْمُرُوءَةِ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! كَيْفَ الْمَأْخَذُ لِذَلِكَ ؟ قَالَ أَبُو حَازِمٍ:تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ.فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ:اصْحَبْنَا يَا أَبَا حَازِمٍ وَتُصِيبُ مِنَّا وَنُصِيبُ مِنْكَ.فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذلك.فقال سُلَيْمَانُ:وَلِمَ ؟ قَالَ:أَخَافُ أَنْ أَرْكَنَ إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلا فَيُذِيقَنِي ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:فَأَشِرْ عَلَيَّ يَا أَبَا حَازِمٍ.فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:اتَّقِ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ،وَأَنْ يَفْقِدَكَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكَ.قَالَ سُلَيْمَانُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! ادْعُ لنا بخير.فقال أَبُو حَازِمٍ:اللهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيَّكَ ؛ فَيَسِّرْهُ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،وَإِنْ كَانَ عَدُوَّكَ ؛ فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ.قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ:عِظْ.قَالَ:قَدْ أَوْجَزْتَ،إِنْ كُنْتَ وَلِيَّهُ،وَإِنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ ؛ فَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ أَرْمِيَ عَنْ قَوْسٍ بِغَيْرِ وَتَرٍ.فَقَالَ سُلَيْمَانُ:يَا غُلامُ ! إِيتْ بمئة دِينَارٍ.ثُمَّ قَالَ:خُذْهَا يَا أَبَا حَازِمٍ.فَقَالَ أَبُو حَازِمٍ:لا حَاجَةَ لِي بِهَا،إِنِّي أَخَافُ أن يكون لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلامِي،إِنَّ مُوسَى [ﷺ] لَمَّا هَرَبَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ،وَجَدَ عَلَيْهَا الْجَارِيَتَيْنِ تَذُودَانِ،فَقَالَ:مَا لَكُمَا عَوْنٌ ؟ قَالَتَا:لا.فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ،فَقَالَ:{ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خير فقير } [القصص:٢٤],وَلَمْ يَسَلِ اللهَ أَجْرًا عَلَى دِينِهِ،فَلَمَّا أَعْجَلَ بِالْجَارِيَتَيْنِ الانْصِرَافُ ؛ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُوهُمَا،وَقَالَ:مَا أَعْجَلَكُمَا الْيَوْمَ ؟ ! قَالَتَا:وَجَدْنَا رَجُلا صَالِحًا فَسَقَى لَنَا.فَقَالَ:فَمَا سَمِعْتُمَاهُ يَقُولُ ؟ قَالَ:قَالَتَا:سَمِعْنَاهُ يَقُولُ:{ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ من خير فقير } [القصص:٢٤].قَالَ:يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذَا جَائِعًا،تَنْطَلِقُ إِلَيْهِ إِحْدَاكُمَا فَتَقُولُ لَهُ:إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا.فَأَتَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ - قَالَ:عَلَى إِجْلالٍ - ؛ قَالَتْ:إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا.قَالَ:فَجَزِعَ مِنْ ذَلِكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ،وَكَانَ طَرِيدًا فِي فَيَافِي الصَّحْرَاءِ،فَأَقْبَلَ وَالْجَارِيَةُ أَمَامَهُ،فَهَبَّتِ الرِّيحُ،فوصفتها له،وكانت ذا خُلُقٍ،[فَقَالَ لَهَا:كُونِي خَلْفِي],وَأَرِينِي السَّمْتَ.فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ دَخَلَ،إِذَا طَعَامٌ مَوْضُوعٌ،فَقَالَ لَهُ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلامُ:أَصِبْ يَا فَتَى مِنْ هَذَا الطَّعَامِ.قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ:أَعُوذُ بِاللهِ.قَالَ شُعَيْبٌ:وَلِمَ ؟ قَالَ مُوسَى:لأَنَّا فِي [أَهْلِ] بَيْتٍ لا نَبِيعُ دِينَنَا بِمِلْءِ الأَرْضِ ذَهَبًا.قَالَ شُعَيْبٌ:لا وَاللهِ ! وَلَكِنَّهَا عَادَتِي وَعَادَةُ آبَائِي،نُطْعِمُ الطَّعَامَ وَنُقْرِي الضَّيْفَ.فَجَلَسَ مُوسَى،فَأَكَلَ،فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّنَانِيرُ عِوَضًا لِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلامِي،فَلأَنْ أَرَى أَكْلَ الْمَيْتَةِ وَالدَّمَ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آخُذَهَا.فَكَأَنَّ سُلَيْمَانَ أُعْجِبَ بِأَبِي حَازِمٍ.فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَيَسُرُّكَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ ؟ قَالَ الزُّهْرِيُّ:إِنَّهُ لَجَارِي مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً،مَا

كَلَّمْتُهُ بِكَلِمَةٍ قَطُّ.فَقَالَ لَهُ أَبُو حَازِمٍ:صَدَقْتَ،إِنَّكَ نَسِيتَ اللهَ فَنَسِيتَنِي،وَلَوْ أَحْبَبْتَ اللهَ ؛ لأَحْبَبْتَنِي.قَالَ الزُّهْرِيُّ:أَتَشْتِمُنِي ؟ فَقَالَ سُلَيْمَانُ:بَلْ أَنْتَ شَتَمْتَ نَفْسَكَ،أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِلْجَارِ على جاره حَقًّا ؟ فَقَالَ أَبُوُ حَازِمٍ:إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا كَانُوا عَلَى الصَّوَابِ،وَكَانَتِ الأُمَرَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْعُلَمَاءِ ؛ فَكَانَتِ الْعُلَمَاءُ تَفِرُّ بِدِينِهَا مِنَ الأُمَرَاءِ،فَاسْتَغْنَتِ الأُمَرَاءُ عَنِ الْعُلَمَاءِ،وَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ؛ فَشُغِلُوا وَانْتَكَسُوا،وَلَوْ كَانَ عُلَمَاؤُنَا هَؤُلاءِ يَصُونُونَ عِلْمَهُمْ لَمْ تَزَلِ الأُمَرَاءُ تَهَابُهُمْ.قَالَ الزُّهْرِيُّ:كَأَنَّكَ إِيَّايَ تُرِيدُ وَبِي تُعَرِّضُ ؟ ! قَالَ:هُوَ مَا تَسْمَعُ.قَالَ:وَقَدِمَ هِشَامٌ المدينة مرة أخرة،فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي حَازِمٍ،فَقَالَ لَهُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! عِظْنِي وَأَوْجِزْ.قَالَ أَبُو حَازِمٍ:اتَّقِ اللهَ ! وَازْهَدْ فِي الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ حَلالَهَا حِسَابٌ،وَحَرَامَهَا عَذَابٌ.قَالَ:لَقَدْ أَوْجَزْتَ يَا أَبَا حَازِمٍ.فَقَالَ لَهُ:يَا أَبَا حَازِمٍ ! ارْفَعْ حَوَائِجَكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ.قَالَ أَبُو حَازِمٍ:هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ! قَدْ رَفَعْتُ حَوَائِجِي إِلَى مَنْ لا تُخْتَزَلُ الْحَوَائِجُ دُونَهُ ؛ فَمَا أَعْطَانِي مِنْهَا قَنِعْتُ بِهِ،وَمَا مَنَعَنِي مِنْهَا رَضِيتُ،وَقَدْ نَظَرْتُ فِي هَذَا الأَمْرِ ؛ فَإِذَا هُوَ نِصْفَانِ:أَحَدُهُمَا لِي،وَالآخَرُ لِغَيْرِي ؛ فَأَمَّا مَا كَانَ لِي ؛ فَلَوِ احْتَلْتُ فِيهِ بِكُلِّ حِيلَةٍ مَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ الَّذِي قُدِّرَ لِي فِيهِ،وَأَمَّا الَّذِي لِغَيْرِي ؛ فَذَلِكَ الَّذِي لا أُطْمِعُ نَفْسِي فِيمَا مَضَى،وَلَمْ أطعمها فِيمَا بقي،وَكَمَا مُنِعَ غَيْرِي رِزْقِي كَذَلِكَ مُنِعْتُ رِزْقَ غَيْرِي ؛ فَعَلَى مَا أَقْتُلُ نَفْسِي ؟ ![2151]

عدم التعصب للرأي:

قال الله تعالى: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (٢٦) سورة ص

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ:إِنَّهُ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ،نَافِذَ الكَلِمَةِ والحُكْمِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ،فَعَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ،وَأَنْ لاَ يَتَّبِعَ الهَوَى لأَنَّ اتِّبَاعَ الهَوَى يَكُونُ سَبَباً لِلضَّلاَلَةِ وَالجَوْرِ عَنِ الطَّرِيقِ القَوِيمِ الذِي شَرَعَهُ اللهُ تَعَالَى .ثَمَّ يَقُولُ تَعَالَى:إِنَّ الذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَهُدَاهُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ (يَوْمَ الحِسَابِ) عَذَابٌ شَدِيدٌ لِنِسْيَانِهِمْ ذَلِكَ اليَومَ،وَإِنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُ العِبَادَ فِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً،صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا .[2152]

وقال الله تعالى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) } [المائدة:٤٩،٥٠]

[2151] – المجالسة وجواهر العلم – (٨ / ١٥١)(٣٤٥٦) وسُنَنُ الدَّارِمِيِّ (٦٨٥) وحلية الأولياء (٤٠١٠) من طرق صحيح لغيره

[2152] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٣٨٧٥)

قَالَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ اليَهُودِ لِبَعْضٍ:اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ لَعَلَّنَا نَفْتِنُهُ عَنْ دِينِهِ.فَأَتَوْهُ فَقَالُوا:يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبَارُ يَهُودَ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَتُهُمْ،وَإِنَّا إِنِ اتَّبَعَنَا يَهُودُ وَلَمْ يَخَالِفُونَا،وَإِنَّ بَيْنَنا وَبَيْنَ قَوْمِنَا خُصُومَةً،فَنُخَاصِمُهُمْ إِلَيكَ فَتَقْضِي لَنَا عَلَيْهِمْ،وَنُؤْمِنُ لَكَ وَنُصَدِّقُكَ.فَأَبَى الرَّسُولُ ﷺذَلِكَ وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ فِيهِمْ .

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يُؤَكِّدُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولَهُ مِنَ الحُكْمِ بَيْنَ أَهْلِ الكِتَابِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْهِ فِي القُرْآنِ،وَيُحَذِّرُهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ اليَهُودُ،وَيَصْرِفُوهُ عَنِ الحَقِّ،وَيَأْمُرُهُ بِألاَّ يَغْتَرَّ بِهِمْ،فَهُمْ كَذَبَةٌ كَفَرَةٌ.ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ:فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ حُكْمِكَ بَعْدَ تَحَاكُمِهِمْ إِلَيْكَ،فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عَنْ إِرَادَةِ اللهِ،وَمَشِيئَتِهِ،وَحِكْمَتِهِ فِيهِمْ،أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الهُدَى لِيُعَذِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ،وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ خَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ،مُخَالِفُونَ لِلْحَقِّ.أَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ حُكْمِكَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ؟ فَهَلْ يُرِيدُونَ حُكْماً كَحُكْمِ الجَاهِلِيَّةِ المَبْنِي عَلَى التَحَيُّزِ وَالهَوى،وَتَرْجِيحِ جَانِبِ القَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً،وَمَنْ أَعْدَلُ مِنْهُ فَصْلاً؟ لِمَنْ عَقَلَ شَرْعَ اللهِ وَآمَنَ بِهِ؟[٢١٥٣]

فالتحذير هنا أشد وأدق وهو تصوير للأمر على حقيقته .. فهي فتنة يجب أن تحذر .. والأمر في هذا المجال لا يعدو أن يكون حكما بما أنزل اللّه كاملا أو أن يكون اتباعا للهوى وفتنة يحذر اللّه منها.

ثم يستمر السياق في تتبع الهواجس والخواطر فيهون على رسول اللّه - ﷺ- أمرهم إذا لم يعجبهم هذا الاستمساك الكامل بالصغيرة قبل الكبيرة في هذه الشريعة،وإذا هم تولوا فلم يختاروا الإسلام دينا أو تولوا عن الاحتكام إلى شريعة اللّه (في ذلك الأوان حيث كان هناك تخيير قبل أن يصبح هذا حتما في دار الإسلام):«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ. وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ».

فإن تولوا فلا عليك منهم ولا يفتنك هذا عن الاستمساك الكامل بحكم اللّه وشريعته. ولا تجعل إعراضهم يفت في عضدك أو يحولك عن موقفك .. فإنهم إنما يتولون ويعرضون لأن اللّه يريد أن يجزيهم على بعض ذنوبهم. فهم الذين سيصيبهم السوء بهذا الإعراض:لا أنت ولا شريعة اللّه ودينه ولا الصف المسلم المستمسك بدينه .. ثم إنها طبيعة البشر:«وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ» فهم يخرجون وينحرفون. لأنهم هكذا ولا حيلة لك في هذا الأمر،ولا ذنب للشريعة! ولا سبيل لاستقامتهم على الطريق! وبذلك يغلق كل منافذ الشيطان ومداخله إلى النفس المؤمنة ويأخذ الطريق على كل حجة وكل ذريعة لترك شيء من أحكام هذه الشريعة لغرض من الأغراض في ظرف من الظروف ..

[٢١٥٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧١٩)

ثم يقفهم على مفرق الطريق .. فإنه إما حكم اللّه،وإما حكم الجاهلية. ولا وسط بين الطرفين ولا بديل ..

حكم اللّه يقوم في الأرض،وشريعة اللّه تنفذ في حياة الناس،ومنهج اللّه يقود حياة البشر .. أو أنه حكم الجاهلية،وشريعة الهوى،ومنهج العبودية .. فأيهما يريدون؟

« أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟» ..

إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص. فالجاهلية – كما يصفها اللّه ويحددها قرآنه – هي حكم البشر للبشر،لأنها هي عبودية البشر للبشر،والخروج من عبودية اللّه،ورفض ألوهية اللّه،والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون اللّه ..

إن الجاهلية – في ضوء هذا النص – ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع يوجد بالأمس،ويوجد اليوم،ويوجد غدا،فيأخذ صفة الجاهلية،المقابلة للإسلام،والمناقضة للإسلام.

والناس – في أي زمان وفي أي مكان – إما أنهم يحكمون بشريعة اللّه – دون فتنة عن بعض منها – ويقبلونها ويسلمون بها تسليما،فهم إذن في دين اللّه. وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر – في أي صورة من الصور – ويقبلونها فهم إذن في جاهلية وهم في دين من يحكمون بشريعته،وليسوا بحال في دين اللّه.

والذي لا يبتغي حكم اللّه يبتغي حكم الجاهلية والذي يرفض شريعة اللّه يقبل شريعة الجاهلية،ويعيش في الجاهلية.

وهذا مفرق الطريق،يقف اللّه الناس عليه. وهم بعد ذلك بالخيار! ثم يسألهم سؤال استنكار لابتغائهم حكم الجاهلية وسؤال تقرير لأفضلية حكم اللّه.

«وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ؟» ..وأجل! فمن أحسن من اللّه حكما؟

ومن ذا الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس،ويحكم فيهم،خيرا مما يشرع اللّه لهم ويحكم فيهم؟

وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض؟

أيستطيع أن يقول:إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول:إنه أرحم بالناس من رب الناس؟ أيستطيع أن يقول:إنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس؟ أيستطيع أن يقول:إن اللّه – سبحانه – وهو يشرع شريعته الأخيرة،ويرسل رسوله الأخير ويجعل رسوله خاتم النبيين،ويجعل رسالته خاتمة الرسالات،ويجعل شريعته شريعة الأبد .. كان – سبحانه – يجهل أن أحوالا ستطرا،وأن حاجات ستستجد،وأن ملابسات ستقع فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه،حتى انكشفت

للناس في آخر الزمان؟! ما الذي يستطيع أن يقوله من ينحي شريعة اللّه عن حكم الحياة،ويستبدل بها شريعة الجاهلية،وحكم الجاهلية ويجعل هواه هو أو هوى شعب من الشعوب،أو هوى جيل من أجيال البشر،فوق حكم اللّه،وفوق شريعة اللّه؟

ما الذي يستطيع أن يقوله .. وبخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين؟! الظروف؟ الملابسات؟ عدم رغبة الناس؟ الخوف من الأعداء؟ .. ألم يكن هذا كله في علم اللّه وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته،وأن يسيروا على منهجه،وألا يفتنوا عن بعض ما أنزله؟

قصور شريعة اللّه عن استيعاب الحاجات الطارئة،والأوضاع المتجددة،والأحوال المتغلبة؟ ألم يكن ذلك في علم اللّه وهو يشدد هذا التشديد،ويحذر هذا التحذير؟

يستطيع غير المسلم أن يقول ما يشاء .. ولكن المسلم .. أو من يدعون الإسلام .. ما الذي يقولونه من هذا كله،ثم يبقون على شيء من الإسلام؟ أو يبقى لهم شيء من الإسلام؟

إنه مفرق الطريق،الذي لا معدى عنده من الاختيار ولا فائدة في المماحكة عنده ولا الجدال ..

إما إسلام وإما جاهلية. إما إيمان وإما كفر. إما حكم اللّه وإما حكم الجاهلية ..والذين لا يحكمون بما أنزل اللّه هم الكافرون الظالمون الفاسقون. والذين لا يقبلون حكم اللّه من المحكومين ما هم بمؤمنين ..

إن هذه القضية يجب أن تكون واضحة وحاسمة في ضمير المسلم وألا يتردد في تطبيقها على واقع الناس في زمانه والتسليم بمقتضى هذه الحقيقة ونتيجة هذا التطبيق على الأعداء والأصدقاء! وما لم يحسم ضمير المسلم في هذه القضية،فلن يستقيم له ميزان ولن يتضح له منهج،ولن يفرق في ضميره بين الحق والباطل ولن يخطو خطوة واحدة في الطريق الصحيح .. وإذا جاز أن تبقى هذه القضية غامضة أو مائعة في نفوس الجماهير من الناس فما يجوز أن تبقى غامضة ولا مائعة في نفوس من يريدون أن يكونوا «المسلمين» وأن يحققوا لأنفسهم هذا الوصف العظيم ..[٢١٥٤]

مشاورة العلماء والكبار في كل شيء:

عَنْ أَنَسٍ ؛أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺشَاوَرَ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ،فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ،فَأَعْرَضَ عَنْهُ،ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ،فَأَعْرَضَ عَنْهُ،فَقَالَتِ الأَنْصَارُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِيَّانَا تُرِيدُ ؟ فَقَالَ الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ:يَا رَسُولَ اللهِ،وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا،وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ

[٢١٥٤] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٢ / ٩٠٤)

فَعَلْنَا،فَشَأْنَكَ يَا رَسُولَ اللهِ " أخرجه مسلم[٢١٥٥]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ،يَوْمَ سَارَ إِلَى بَدْرٍ،فَجَعَلَ يَسْتَشِيرُ النَّاسَ،فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ،ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ،فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ،فَجَعَلَ يَسْتَشِيرُ ﷺ،فَقَالَت الأَنْصَارُ:وَاللَّهِ مَا يُرِيدُ غَيْرَنَا،فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ:أَرَاكَ تَسْتَشِيرُ،فَيُشِيرُونَ عَلَيْكَ،وَلاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ:{اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ}،وَلَكِنْ،وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ،لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا،حَتَّى تَبْلُغَ بَرْكَ الْغِمَادِ كُنَّا مَعَكَ.[٢١٥٦]

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو اللَّيْثِيِّ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِلَى بَدْرٍ،حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ خَطَبَ النَّاسَ،فَقَالَ:كَيْفَ تَرَوْنَ ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ:يَا رَسُولَ اللهِ،بَلَغَنَا أَنَّهُمْ بِكَذَا وَكَذَا،قَالَ:ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ،فَقَالَ:كَيْفَ تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ مِثْلَ قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ،ثُمَّ خَطَبَ،فَقَالَ:مَا تَرَوْنَ ؟ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ:إِيَّانَا تُرِيدُ،فَوَالَّذِي أَكْرَمَكَ وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مَا سَلَكْتُهَا قَطُّ،وَلاَ لِي بِهَا عِلْمٌ،وَلَئِنْ سِرْتَ حَتَّى تَأْتِيَ بَرْكَ الْغِمَادِ مِنْ ذِي يَمَنٍ لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ،وَلاَ نَكُونُ كَالَّذِينَ قَالُوا لِمُوسَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ:اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ،إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ،وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُتَّبِعُونَ،وَلَعَلَّكَ أَنْ تَكُونَ خَرَجْتَ لأَمْرٍ،وَأَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ غَيْرَهُ،فَانْظُرَ الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَامْضِ لَهُ،فَصِلْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ،وَاقْطَعْ حِبَالَ مَنْ شِئْتَ،وَسَالِمْ مَنْ شِئْتَ،وَعَادِ مَنْ شِئْتَ،وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ،فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى قَوْلِ سَعْدٍ:{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ،وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} إِلَى قَوْلِهِ:{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} وَإِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺيُرِيدُ غَنِيمَةَ مَا مَعَ أَبِي سُفْيَانَ،فَأَحْدَثَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ الْقِتَالَ.[٢١٥٧]

وعن أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ قَالَتْ: أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ قَالَ « مَنْ تَرَوْنَ نَكْسُوهَا هَذِهِ الْخَمِيصَةَ ».فَأُسْكِتَ الْقَوْمُ.قَالَ « ائْتُونِى بِأُمِّ خَالِدٍ ».فَأُتِىَ بِى النَّبِىُّ - ﷺ- فَأَلْبَسَهَا بِيَدِهِ وَقَالَ « أَبْلِى وَأَخْلِقِى ».مَرَّتَيْنِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَلَمِ الْخَمِيصَةِ،وَيُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَىَّ وَيَقُولُ « يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَا ».وَالسَّنَا بِلِسَانِ الْحَبَشِيَّةِ الْحَسَنُ.. أخرجه البخاري[٢١٥٨].

المشاورة في الأمور الكبار والصغار:

عَنِ الزُّهْرِىِّ.قَالَ:أَخْبَرَنِى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنِ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ

[٢١٥٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٤٧٢١)

[٢١٥٦] - صحيح ابن حبان - (١١ / ٢٣)(٤٧٢١) صحيح

[٢١٥٧] - مصنف ابن أبي شيبة - (١٤ / ٣٥٥)(٣٧٨١٥) حسن

[٢١٥٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٨٤٥)

اللَّه بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ،زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ،حِينَ قَالَ لَهَا اهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّاهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِى طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا.وَبَعْضُهُمْ كَانَ اوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ،وَاثْبَتَ اقْتِصَاصًا،وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِى حَدَّثَنِى،وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا،ذَكَرُوا ؛ أَنَّ عَائِشَةَ،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺقَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺإِذَا ارَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا،اقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ،فَايَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا،خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّه ﷺمَعَهُ.قَالَتْ عَائِشَةُ:فَاقْرَعَ بَيْنَنَا فِى غَزْوَةٍ غَزَاهَا،فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِى،فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ،وَذَالِكَ بَعْدَ مَا اُنْزِلَ الْحِجَابُ،فَانَا اُحْمَلُ فِى هَوْدَجِى،وَاُنْزَلُ فِيهِ،مَسِيرَنَا،حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّه ﷺمِنْ غَزْوِهِ،وَقَفَلَ،وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ،اذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ،فَقُمْتُ حِينَ اذَنُوا بِالرَّحِيلِ،فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ،فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَانِى اقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ،فَلَمَسْتُ صَدْرِى فَإِذَا عِقْدِى مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ،فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِى فَحَبَسَنِى ابْتِغَاؤُهُ،وَاقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِى،فَحَمَلُوا هَوْدَجِى،فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِىَ الَّذِى كُنْتُ ارْكَبُ،وَهُمْ يَحْسَبُونَ انِّى فِيهِ،قَالَتْ:وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا،لَمْ يُهَبَّلْنَ،وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَاْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ،فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ،فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا،وَوَجَدْتُ عِقْدِى بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ،فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلا مُجِيبٌ،فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِى الَّذِى كُنْتُ فِيهِ،وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِى فَيَرْجِعُونَ إِلَىَّ،فَبَيْنَا انَا جَالِسَةٌ فِى مَنْزِلِى غَلَبَتْنِى عَيْنِى فَنِمْتُ،وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِىُّ،ثُمَّ الذَّكْوَانِىُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ فَاصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِى،فَرَاى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ،فَاتَانِى فَعَرَفَنِى حِينَ رَانِى وَقَدْ كَانَ يَرَانِى قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَىَّ،فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِى فَخَمَّرْتُ وَجْهِى بِجِلْبَابِى،وَوَاللَّه مَا يُكَلِّمُنِى كَلِمَةً وَلا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ،حَتَّى انَاخَ رَاحِلَتَهُ،فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا،فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِى الرَّاحِلَةَ،حَتَّى اتَيْنَا الْجَيْشَ،بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِى نَحْرِ الظَّهِيرَةِ،فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِى شَانِى،وَكَانَ الَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّه،بْنُ اُبَىٍّ،بْنُ سَلُولَ،فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ،فَاشْتَكَيْتُ،حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا،وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِى قَوْلِ اهْلِ الإِفْكِ،وَلا اشْعُرُ بِشَىْءٍ مِنْ ذَالِكَ،وَهُوَ يَرِيبُنِى فِى وَجَعِى انِّى لا اعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺاللُّطْفَ الَّذِى كُنْتُ ارَى مِنْهُ حِينَ اشْتَكِى،إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّه ﷺفَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ:كَيْفَ تِيكُمْ ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِى،وَلا اشْعُرُ بِالشَّرِّ،حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقِهْتُ،وَخَرَجَتْ مَعِى أم مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ،وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا،وَلا نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ،وَذَالِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا،وَامْرُنَا امْرُ الْعَرَبِ الاُوَلِ فِى التَّنَزُّهِ،وَكُنَّا نَتَاذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا،فَانْطَلَقْتُ انَا وَاُمُّ مِسْطَحٍ،وَهِىَ بِنْتُ ابِى رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ،وَاُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ،خَالَةُ ابِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ،وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ اُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ،فَاقْبَلْتُ انَا وَبِنْتُ ابِى رُهْمٍ

قِبَلَ بَيْتِى،حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَانِنَا،فَعَثَرَتْ أم مِسْطَحٍ فِى مِرْطِهَا.فَقَالَتْ:تَعِسَ مِسْطَحٌ.فَقُلْتُ لَهَا:بِئْسَ مَا قُلْتِ،اتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا.قَالَتْ:اىْ هَنْتَاهُ،اوَ لَمْ تَسْمَعِى مَا قَالَ ؟ قُلْتُ:وَمَاذَا قَالَ ؟ قَالَتْ:فَاخْبَرَتْنِى بِقَوْلِ اهْلِ الإِفْكِ،فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِى،فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِى،فَدَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ،فَسَلَّمَ.ثُمَّ قَالَ:كَيْفَ تِيكُمْ ؟ قُلْتُ:اتَاْذَنُ لِى أَنْ اتِىَ ابَوَىَّ ؟ قَالَتْ:وَانَا حِينَئِذٍ اُرِيدُ أَنْ اتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا،فَاذِنَ لِى رَسُولُ اللَّه ﷺ،فَجِئْتُ ابَوَىَّ فَقُلْتُ لاُمِّى:يَا اُمَّتَاهْ،مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ فَقَالَتْ:يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِى عَلَيْكِ،فَوَاللَّه لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَاَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ،عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا،وَلَهَا ضَرَائِرُ،إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا.قَالَتْ:قُلْتُ:سُبْحَانَ اللَّه،وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟ قَالَتْ:فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى اصْبَحْتُ لا يَرْقَاُ لِى دَمْعٌ وَلا اكْتَحِلُ بِنَوْمٍ،ثُمَّ اصْبَحْتُ ابْكِى،وَدَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺعَلِىَّ بْنَ ابِى طَالِبٍ وَأُسامة بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْىُ،يَسْتَشِيرُهُمَا فِى فِرَاقِ اهْلِهِ،قَالَتْ :فَامَّا أُسامة بْنُ زَيْدٍ فَاشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّه ﷺبِالَّذِى يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ اهْلِهِ،وَبِالَّذِى يَعْلَمُ فِى نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّه،هُمْ اهْلُكَ وَلا نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْرًا،وَامَّا عَلِىُّ بْنُ ابِى طَالِبٍ فَقَالَ:لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ.وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ،وَإِنْ تَسْاَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ.قَالَتْ:فَدَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺبَرِيرَةَ.فَقَالَ:اىْ بَرِيرَةُ،هَلْ رَايْتِ مِنْ شَىْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ:وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَايْتُ عَلَيْهَا امْرًا قَطُّ اغْمِصُهُ عَلَيْهَا اكْثَرَ مِنْ انَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ،تَنَامُ عَنْ عَجِينِ اهْلِهَا،فَتَاْتِى الدَّاجِنُ فَتَاْكُلُهُ.قَالَتْ:فَقَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺعَلَى الْمِنْبَرِ،فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ اُبَىٍّ،ابْنِ سَلُولَ.قَالَتْ:فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺوَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ:يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ،مَنْ يَعْذِرُنِى مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ اذَاهُ فِى اهْلِ بَيْتِى،فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ عَلَى اهْلِى إِلاَّ خَيْرًا،وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا،وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى اهْلِى إِلاَّ مَعِى.فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الانْصَارِىُّ فَقَالَ:انَا اعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّه،إِنْ كَانَ مِنَ الاوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ،وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ امَرْتَنَا فَفَعَلْنَا امْرَكَ.قَالَتْ:فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ،وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ،وَكَانَ رَجُلاً صَالِحًا،وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ،فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ:كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّه،لا تَقْتُلُهُ وَلا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ،فَقَامَ اُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ،وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ،فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ:كَذَبْتَ،لَعَمْرُ اللَّه لَنَقْتُلَنَّهُ،فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ،فَثَارَ الْحَيَّانِ الاوْسُ وَالْخَزْرَجُ،حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا،وَرَسُولُ اللَّه ﷺقَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ،فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّه ﷺيُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.قَالَتْ:وَبَكَيْتُ يَوْمِى ذَالِكَ،لا يَرْقَاُ لِى دَمْعٌ وَلا اكْتَحِلُ بِنَوْمٍ،ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِى الْمُقْبِلَةَ،لا يَرْقَاُ لِى دَمْعٌ وَلا اكْتَحِلُ بِنَوْمٍ،وَابَوَاىَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِى،فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِى،وَانَا ابْكِى،اسْتَاْذَنَتْ عَلَىَّ امْرَاَةٌ مِنَ الانْصَارِ فَاذِنْتُ لَهَا،فَجَلَسَتْ تَبْكِى،قَالَتْ:فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَالِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ،فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ.قَالَتْ:وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِى مُنْذُ قِيلَ لِى مَا قِيلَ،وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِى شَانِى بِشَىْءٍ.قَالَتْ:فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّه ﷺحِينَ

جَلَسَ ثُمَّ قَالَ:امَّا بَعْدُ،يَا عَائشَةُ،فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنى عَنْكِ كَذَا وَكَذَا،فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ،وَإِنْ كُنْتِ الْمَمْتِ بِذَنْبٍ،فَاسْتَغْفِرِى اللَّهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ،فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ،تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.قَالَتْ:فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺمَقَالَتَهُ،قَلَصَ دَمْعِى،حَتَّى مَا اُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً.فَقُلْتُ لابِى:اجِبْ عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺفِيمَا قَالَ.فَقَالَ:وَاللَّهِ مَا ادْرِى مَا اقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لاُمِّى:اجِيبِى عَنِّى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ:وَاللَّهِ مَا ادْرِى مَا اقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ،وَانَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ،لا اقْرَاُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْانِ:إِنِّى،وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ انَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِى نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ،فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّى بَرِيئَةٌ،وَاللَّهُ يَعْلَمُ انِّى بَرِيئَةٌ،لا تُصَدِّقُونِى بِذَالِكَ،وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِامْرٍ،وَاللَّهُ يَعْلَمُ انِّى بَرِيئَةٌ،لَتُصَدِّقُونَنِى،وَإِنِّى،وَاللَّهِ،مَا اجِدُ لِى وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ كَمَا قَالَ ابُو يُوسُفَ:(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).قَالَتْ:ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِى.قَالَتْ:وَانَا وَاللَّهِ،حِينَئِذٍ اعْلَمُ انِّى بَرِيئَةٌ،وَانَّ اللَّهَ مُبَرِّئِى بِبَرَاءَتِى،وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ اظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِى شَانِى وَحْىٌ يُتْلَى،وَلَشَانِى كَانَ احْقَرَ فِى نَفْسِى مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِىَّ بِامْرٍ يُتْلَى،وَلَكِنِّى كُنْتُ ارْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺفِى النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِى اللَّهُ بِهَا.قَالَتْ:فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺمَجْلِسَهُ،وَلا خَرَجَ مِنْ اهْلِ الْبَيْتِ احَدٌ،حَتَّى انْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ،فَاخَذَهُ مَا كَانَ يَاْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْىِ،حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ،فِى الْيَوْمِ الشَّاتِ،مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِى اُنْزِلَ عَلَيْهِ.قَالَتْ:فَلَمَّا سُرِّىَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،وَهُوَ يَضْحَكُ،فَكَانَ اوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ:ابْشِرِى يَا عَائشَةُ،امَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّاكِ.فَقَالَتْ لِى اُمِّى:قُومِى إِلَيْهِ.فَقُلْتُ:وَاللَّهِ لا اقُومُ إِلَيْهِ،وَلا أحمد إِلاَّ اللَّهَ،هُوَ الَّذِى انْزَلَ بَرَاءَتِى.قَالَتْ:فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) [النور:١١-٢٠])،فَانْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ

الايَاتِ بَرَاءَتِى ...". متفق عليه[٢١٥٩].

مشاورة الرجال والنساء:

قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٧١) سورة التوبة

والمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض،يأمرون الناس بالإيمان والعمل الصالح،وينهونهم عن الكفر والمعاصي،ويؤدون الصلاة،ويعطون الزكاة،ويطيعون الله ورسوله،وينتهون عما نُهوا عنه،أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته. إن الله عزيز في ملكه،حكيم في تشريعاته وأحكامه.[٢١٦٠]

وعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّـهِ -ﷺ- زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ ..،فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ:قُومُوا فَانْحَرُوا،ثُمَّ احْلِقُوا،قَالَ:فَوَاللهِ،مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ،حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ،فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ،دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ،فَذَكَرَ لَهَا مَالَقِيَ مِنَ النَّاسِ،فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ:يَا نَبِيَّ اللهِ،أَتُحِبُّ ذَلِكَ،اخْرُجْ،ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً،حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ،وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ،فَخَرَجَ،فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ،حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ،نَحَرَ بُدْنَهُ،وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ،فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا،وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا،حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا.". أخرجه البخاري[٢١٦١]

اللين وسماحة الخلق:

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّـهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (١٥٩) سورة آل عمران

فبرحمة من الله لك ولأصحابك -أيها النبي- منَّ الله عليك فكنت رفيقًا بهم،ولو كنت سيِّئ الخُلق قاسي القلب،لانْصَرَفَ أصحابك من حولك،فلا تؤاخذهم بما كان منهم في غزوة "أُحد"،واسأل الله -أيها النبي- أن يغفر لهم،وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة،فإذا عزمت على أمر من الأمور

[٢١٥٩] - المسند الجامع - (٢٠ / ٥٩٣)(١٧٢٥٦) وصحيح البخارى- المكتر - (٢٦٣٧) وصحيح مسلم- المكتر - (٧١٩٦)

[٢١٦٠] - التفسير الميسر - (٣ / ٣١٣)

[٢١٦١] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٧٣١ و٢٧٣٢)

-بعد الاستشارة- فأَمْضِه معتمدًا على الله وحده،إن الله يحب المتوكلين عليه.[٢١٦٢]

وقال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (١٩٩) سورة الأعراف

أَعْرِضْ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَنِ الجَاهِلِينَ،وَسِرْ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ،وَخُذِ النَّاسَ بِمَا يَسْهُلُ عَلَيْهِمْ،وَأْمُرْهُمْ بِكُلِّ أَمْرٍ مُسْتَحْسَنٍ تَعْرِفُهُ العُقُولُ،وَتُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ .وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺلا يُخَيَّرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا .وَقِيلَ إِنَّ حُسْنَ الْمُعَامَلَةِ يَكُفُّ العَاصِي عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ .[٢١٦٣]

خذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس في المعاشرة والصحبة،ولا تطلب إليهم الكمال،ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق. واعف عن أخطائهم وضعفهم ونقصهم .. كل أولئك في المعاملات الشخصية لا في العقيدة الدينية ولا في الواجبات الشرعية. فليس في عقيدة الإسلام ولا شريعة اللّه يكون التغاضي والتسامح.

ولكن في الأخذ والعطاء والصحبة والجوار. وبذلك تمضي الحياة سهلة لينة. فالإغضاء عن الضعف البشري،والعطف عليه،والسماحة معه،واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء. ورسول اللّه -ﷺ- راع وهاد ومعلم ومرب. فهو أولى الناس بالسماحة واليسر والإغضاء .. وكذلك كان ﷺ.. لم يغضب لنفسه قط. فإذا كان في دين اللّه لم يقم لغضبه شي ء! .. وكل أصحاب الدعوة مأمورون بما أمر به رسول اللّه ﷺ. فالتعامل مع النفوس البشرية لهدايتها يقتضي سعة صدر،وسماحة طبع،ويسرا وتيسيرا في غير تهاون ولا تفريط في دين اللّه ..

«وأمر بالعرف» .. وهو الخير المعروف الواضح الذي لا يحتاج إلى مناقشة وجدال والذي تلتقي عليه الفطر السليمة والنفوس المستقيمة .. والنفس حين تعتاد هذا المعروف يسلس قيادها بعد ذلك،وتتطوع لألوان من الخير دون تكليف وما يصد النفس عن الخير شيء مثلما يصدها التعقيد والمشقة والشد في أول معرفتها بالتكاليف! ورياضة النفوس تقتضي أخذها في أول الطريق بالميسور المعروف من هذه التكاليف حتى يسلس قيادها وتعتاد هي بذاتها النهوض بما فوق ذلك في يسر وطواعية ولين

«وأعرض عن الجاهلين» .. من الجهالة ضد الرشد،والجهالة ضد العلم .. وهما قريب من قريب ..

والإعراض يكون بالترك والإهمال والتهوين من شأن ما يجهلون به من التصرفات والأقوال والمرور بها مر الكرام وعدم الدخول معهم في جدال لا ينتهي إلى شيء إلا الشد والجذب،وإضاعة الوقت والجهد ..

[٢١٦٢] - التفسير الميسر - (١ / ٤٥٨)

[٢١٦٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١١٥٤)

وقد ينتهي السكوت عنهم،والإعراض عن جهالتهم إلى تذليل نفوسهم وترويضها،بدلا من الفحش في الرد واللجاج في العناد. فإن لم يؤد إلى هذه النتيجة فيهم،فإنه يعزلهم عن الآخرين الذين في قلوبهم خير. إذ يرون صاحب الدعوة محتملا معرضا عن اللغو،ويرون هؤلاء الجاهلين يحمقون ويجهلون فيسقطون من عيونهم ويعزلون! وما أجدر صاحب الدعوة أن يتبع هذا التوجيه الرباني العليم بدخائل النفوس! ولكن رسول اللّه – ﷺ– بشر. وقد يثور غضبه على جهالة الجهال وسفاهة السفهاء وحمق الحمقى .. وإذا قدر عليها رسول اللّه – ﷺ– فقد يعجز عنها من وراءه من أصحاب الدعوة ..

وعند الغضب يترغ الشيطان في النفس،وهي ثائرة هائجة مفقودة الزمام! .. لذا يأمره ربه أن يستعيذ باللّه لينفثئ غضبه،ويأخذ على الشيطان طريقه:«وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ..

وهذا التعقيب:«إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» .. يقرر أن اللّه سبحانه سميع لجهل الجاهلين وسفاهتهم عليم بما تحمله نفسك من أذاهم .. وفي هذا ترضية وتسرية للنفس .. فحسبها أن الجليل العظيم يسمع ويعلم! وماذا تبتغي نفس بعد ما يسمع اللّه ويعلم ما تلقى من السفاهة والجهل وهي تدعو إليه الجاهلين؟! ثم يتخذ السياق القرآني طريقا آخر للإيحاء إلى نفس صاحب الدعوة بالرضى والقبول،وذكر اللّه عند الغضب لأخذ الطريق على الشيطان ونزغه اللئيم:«إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» ..وتكشف هذه الآية القصيرة عن إيحاءات عجيبة،وحقائق عميقة،يتضمنها التعبير القرآني المعجز الجميل ..

إن اختتام الآية بقوله:«فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» ليضيف معاني كثيرة إلى صدر الآية. ليس لها ألفاظ تقابلها هناك ..إنه يفيد أن مس الشيطان يعمي ويطمس ويغلق البصيرة. ولكن تقوى اللّه ومراقبته وخشية غضبه وعقابه ..تلك الوشيجة التي تصل القلوب باللّه وتوقظها من الغفلة عن هداه .. تذكر المتقين. فإذا تذكروا تفتحت بصائرهم وتكشفت الغشاوة عن عيونهم:«فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ» .. إن مس الشيطان عمى،وإن تذكر اللّه إبصار .. إن مس الشيطان ظلمة،وإن الاتجاه إلى اللّه نور .. إن مس الشيطان تجلوه التقوى،فما للشيطان على المتقين من سلطان ..[٢١٦٤]

وعَنْ مَسْرُوق،قَالَ:قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا،وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَكَانَ يَقُولُ:خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا.[٢١٦٥]

التثبت والتماس العذر وبيان الحق:

[٢١٦٤] – فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع – (٣ / ١٤١٩)

[٢١٦٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٣٥٥٩) وصحيح ابن حبان – (١٤ / ٣٥٤) (٦٤٤٢)

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (٦) سورة الحجرات

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،إن جاءكم فاسق بخبر فتثبَّتوا من خبره قبل تصديقه ونقله حتى تعرفوا صحته؛ خشية أن تصيبوا قومًا برآء بجناية منكم،فتندموا على ذلك.[٢١٦٦]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- بِالصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.فَقَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- « مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،وَأَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا،قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ،وَأَمَّا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَهْىَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا » .. متفق عليه[٢١٦٧].

من فوائد (الشورى)

(١) الشّورى من مبادإ الإسلام السّمحة في نظام الحكم.

(٢) النّبيّ ﷺشاور المؤمنين ليطيّب بذلك قلوبهم وليشجّعهم على المضيّ في نشر الدّين والدّعوة إلى اللّه- عزّ وجلّ-.

(٣) لقد مدح اللّه المؤمنين بانتها جهم مبدأ الشّورى بينهم.

(٤) الشّورى: تبعث في النّاس حبّ التّعاون مع المسئولين وتشجّعهم على تحمّل مسئوليّاتهم أمام مجتمعهم.

(٥) شورى- ما يدعونه- الدّيمقراطيّة تعتمد رأي الأكثريّة مهما كان شأنها،وشورى الإسلام تعتمد رأي العلماء الأتقياء المخلصين من رجال الأمّة.

(٦) الشّورى والتّشاور كما تكون في الأمور العامّة بين الحاكم والمحكومين تكون أيضا في الأمور الخاصّة بين أفراد الأسرة في المجتمع.

(٧) إذا وردت النّصوص الواضحة في المسألة فلا مشورة بعدها.

(٨) لا يستشار إلّا من عرف بالأمانة والإخلاص والعلم.

(٩) من استشاره أخوه المسلم،فعليه أن ينصحه فيما يعلم.[٢١٦٨]

[٢١٦٦] - التفسير الميسر - (٩ / ٢٢٧)

[٢١٦٧] - صحيح البخارى- المكتر - (١٤٦٨) وصحيح مسلم- المكتر -(٢٣٢٤)

[٢١٦٨] - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - (٦ / ٢٤٤٠)

-٥٠- آداب النصيحة

النصيحة دعامة من دعامات الإسلام. قال تعالى: { وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) } سورة العصر

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:أَلاَ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ،أَلاَ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ،أَلاَ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ،قَالُوا:لِمَنْ يَا رَسُولَ ؟ قَالَ:لِلَّه،وَلِكِتَابِه،وَلِرَسُولِه،وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ،وَعَامَّتِهِمْ. "[٢١٦٩]

وعَنْ جَرِيرٍ،قَالَ:بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَلَى السَّمْعِ،وَالطَّاعَةِ،وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ،فَكَانَ إِذَا اشْتَرَى شَيْئًا أَوْ بَاعَهُ يَقُولُ لِصَاحِبِه:اعْلَمْ أَنَّ مَا أَخَذْنَا مِنْكَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا أَعْطَيْنَاكَهُ فَاخْتَرْ. [٢١٧٠]

وعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلاَقَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّه،يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ،قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،وَقَالَ:عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَالوَقَارِ،وَالسَّكِينَةِ،حَتَّى يَأْتِيَكُمْ أَمِيرٌ،فَإِنَّمَا يَأْتِيكُمُ الآنَ.ثُمَّ قَالَ:اسْتَعْفُوا لأَمِيرِكُمْ،فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ العَفْوَ،ثُمَّ قَالَ:أَمَّا بَعْدُ،فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺقُلْتُ:أُبَايِعُكَ عَلَى الإِسْلاَمِ فَشَرَطَ عَلَيَّ:" وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا،وَرَبِّ هَذَا المَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ،ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ "[٢١٧١]

قال الطحاوي بعد ذكر الأحاديث:" فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذَا وَتُصَحِّحُونَهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺوَفِيهِ الدِّينُ النَّصِيحَةُ،وَكَيْفَ يَكُونُ الدِّينُ النَّصِيحَةَ،وَقَدْ وَجَدْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فِي كِتَابِه { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران: ١٩] فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِه أَنَّ الَّذِي رَوَيْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺغَيْرُ مُخَالِفٍ لِمَا تَلَاهُ عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ كَانَتِ النَّصِيحَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ،وَقَدْ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺعَلَيْهَا مَنْ بَايَعَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ،فَعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ،قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ،يَقُولُ " بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ " قَالَ جَرِيرٌ: وَإِنِّي لَكُمْ لَنَاصِحٌ.

فَكَانَ فِيمَا ذَكَرْنَا مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ النَّصِيحَةَ مِنَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ هَذَا الْقَائِلُ: أَفَهِيَ كُلُّ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الدِّينُ عَلَى مَا فِي هَذِه الْآثَارِ الَّتِي رَوَيْتُمُوهَا فِي هَذَا الْبَابِ ؟

فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِه أَنَّهَا لَيْسَتْ كُلَّ الدِّينِ وَلَكِنَّهَا بِمَكَانٍ مِنَ الدِّينِ جَلِيلٍ،وَكُلُّ مَا جَلَّ مِنْ جِنْسٍ مِنَ الْأَجْنَاسِ جَازَ أَنْ يُطْلَقَ لَهُ الاسْمُ الَّذِي يُسَمَّى بِه ذَلِكَ الْجِنْسُ فَيُذْكَرُ بِه كَمَا يُذْكَرُ بِه ذَلِكَ الْجِنْسُ،مِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ: النَّاسُ الْعَرَبُ وَفِيهِمْ غَيْرُ الْعَرَبِ لِجَلَالَةِ الْعَرَبِ فِي النَّاسِ ؛ وَلِأَنَّهُمْ يَبِينُونَ بِالْخَاصِّيَّةِ الَّتِي فِيهِمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ فَجَازَ بِذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: هُمُ النَّاسُ،وَمِنْ ذَلِكَ

[٢١٦٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٢٠٥) وصحيح ابن حبان – (١٠ / ٤٣٦) (٤٥٧٥)

[٢١٧٠] – صحيح البخارى- المكتر –(٥٧) وصحيح مسلم-المكتر – ٢٠٨) وصحيح ابن حبان – (١٠ / ٤١٢) (٤٥٤٦)

[٢١٧١] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٨)

قَوْلُهُمْ: الْمَالُ النَّخْلُ لِجَلَالَةِ النَّخْلِ فِي الْأَمْوَالِ،وَإِنْ كَانَ فِي الْأَمْوَالِ سِوَى النَّخْلِ فَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ" الدِّينُ النَّصِيحَةُ " هُوَ لِجَلَالَةِ مَوْضِعِ النَّصِيحَةِ مِنَ الدِّينِ،وَإِنْ كَانَ فِي الدِّينِ سِوَاهَا فَقَالَ هَذَا الْقَائِلُ فَمَا مَعْنَى مَا فِي تِلْكَ الْآثَارِ مِنْ قَوْلِهِ وَلِكِتَابِهِ ؟ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَنَا عَلَى تَعْلِيمِ كِتَابِهِ وَعَلَى النُّصْحِ لِمَنْ يُعَلِّمُونَهُ إِيَّاهُ فِي تَعْلِيمِهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ مُحْكَمِهِ وَمِنْ مُتَشَابِهِهِ وَمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْهُ وَمَا يَقِفُونَ عِنْدَهُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا كَذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ،فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ: " كُنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺعَشْرَ آيَاتٍ فَمَا نَعْلَمُ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهُنَّ حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا أُنْزِلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ مِنَ الْعَمَلِ "

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ،قَالَ: أَخْبَرَنَا أَصْحَابُنَا الَّذِينَ،كَانُوا يُعَلِّمُونَا،قَالُوا: " كُنَّا نَعْلَمُ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا نَتَجَاوَزُهُنَّ حَتَّى نَعْلَمَ مَا فِيهِنَّ مِنْ عَمَلٍ "

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ،قَالَ: كَانَ أَصْحَابُنَا يُقْرِئُونَا وَيُعَلِّمُونَا وَيُخْبِرُونَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ" كَانَ يُقْرِئُ أَحَدَهُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا يَجُوزُهَا حَتَّى يَتَعَلَّمَ الْعَمَلَ فِيهَا " قَالَ: وَقَالُوا: عَلِمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا"

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ،قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ،يَقُولُ: " لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرٍ وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺفَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ،وَلَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ،وَلَا زَاجِرُهُ،وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ وَيَنْتَثِرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ " فَكَانَ فِيمَا رَوَيْنَا كَيْفِيَّةُ تَعْلِيمِ النَّاسِ كَانَ الْقُرْآنَ وَكَيْفِيَّةُ أَخْذِهِمْ كَانَ إِيَّاهُ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْمَشَقَّةِ عَلَى مَنْ كَانَ يُعَلِّمُهُ وَعَلَى مَنْ كَانَ يَتَعَلَّمُهُ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ عَلَى سَامِعِي هَذِهِ الْآثَارِ فَأَعْلَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺمَنْ سَأَلَهُ عَنِ النَّصِيحَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي هَذِهِ الْآثَارِ لِمَنْ هِيَ وَفِي ذَلِكَ النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ وَالنَّصِيحَةُ لَهُ هِيَ النَّصِيحَةُ لِمَنْ يَأْخُذُهُ تَعْلِيمًا مِمَّنْ يَأْخُذُهُ مِنْهُ،وَفِيمَا ذَكَرْنَا بَيَانُ وَجْهِ هَذَا الْمَعْنَى وَاللهَ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ "[٢١٧٢]

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: " فَانْصَحْ لِلسُّلْطَانِ وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ بِالصَّلَاحِ وَالرَّشَادِ بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْحُكْمِ،فَإِنَّهُمْ إِذَا صَلُحُوا صَلُحَ الْعِبَادُ بِصَلَاحِهِمْ،وَإِيَّاكَ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِمْ بِاللَّعْنَةِ فَيَزْدَادُوا شَرًّا وَيَزْدَادَ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ،وَلَكِنِ ادْعُ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ فَيَتْرُكُوا الشَّرَّ فَيَرْتَفِعَ الْبَلَاءُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ،وَإِيَّاكَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ أَوْ تَتَصَنَّعَ لِإِتْيَانِهِمْ أَوْ تُحِبَّ أَنْ يَأْتُوكَ،وَاهْرَبْ مِنْهُمْ مَا اسْتَطَعْتَ،مَا دَامُوا مُقِيمِينَ عَلَى الشَّرِّ،فَإِنْ تَابُوا وَتَرَكُوا الشَّرَّ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَالْحُكْمِ وَأَخَذُوا الدُّنْيَا مِنْ وَجْهِهَا فَهُنَاكَ فَاحْذَرِ الْعِزَّ بِهِمْ،لِتَكُونَ بَعِيدًا مِنْهُمْ قَرِيبًا بِالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ،وَأَمَّا نَصِيحَةُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ نَصِيحَتَهُمْ

[٢١٧٢] – شرح مشكل الآثار – (٤ / ٧٣) (١٤٣٩ -١٤٥٣)

عَلَى أَخْلَاقِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ مَعْصِيَةٌ،وَانْظُرْ إِلَى تَدْبِيرِ اللهِ فِيهِمْ بِقَلِيلٍ،فَإِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ أَخْلَاقَهُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَهُمْ أَرْزَاقَهُمْ،وَلَوْ شَاءَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ،فَلَا يُغْفَلْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى تَدْبِيرِ اللهِ فِيهِمْ،فَإِذَا رَأَيْتَ مَعْصِيَةَ اللهِ احْمَدِ اللهَ إِذْ صَرَفَهَا عَنْكَ فِي وَقْتِكَ،وَتَلَطَّفْ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي رِفْقٍ وَصَبْرٍ وَسَكِينَةٍ،فَإِنْ قُبِلَ مِنْكَ فَاحْمَدِ اللهَ،وَإِنْ رُدَّ عَلَيْكَ فَاسْتَغْفِرِ اللهَ لِتَقْصِيرٍ مِنْكَ كَانَ فِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ،وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ،إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ "[٢١٧٣]

وقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ:النُّصْحُ فِي الْجُمْلَةِ عِنْدِي هُوَ:فِعْلُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ الصَّلَاحُ وَالْمُلَاءَمَةُ،مَأْخُوذٌ مِنَ النَّصَاحَةِ،وَهِيَ السُّلُوكُ الَّتِي يُخَاطُ بِهَا،وَتَصْغِيرُهَا نُصَيْحَةٌ،يَقُولُ الْعَرَبُ:هَذَا قَمِيصٌ مَنْصُوحٌ أَيْ:مَخِيطٌ،وَنَصَحْتُهُ أَنْصَحُهُ نُصْحًا إِذَا خِطْتُهُ،وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتِ النُّصْحُ فِي الْأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْأَشْيَاءِ:فَالنُّصْحُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ:وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ،وَتَنْزِيهُهُ عَمَّا هُوَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ عَقْدًا وَقَوْلًا،وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ،وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ،وَالْبُعْدُ مِنْ مَسَاخِطِهِ،وَمُوَالَاةُ مَنْ أَطَاعَهُ،وَمُعَادَاةُ مَنْ عَصَاهُ،وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَاصِينَ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا.وَإِرَادَةُ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِهِ:إِقَامَتُهُ فِي التِّلَاوَةِ،وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ،وَتَفَهُّمُ مَا فِيهِ وَاسْتِعْمَالُهُ،وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ،وَطَعْنِ الطَّاعِنِينَ.وَالنَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ: مُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ،وَالْحِمَايَةُ مِنْ ذَوِيهِ حَيًّا وَمَيِّتًا،وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ،وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فِي بَثِّ الدَّعْوَةِ،وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ،وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ الظَّاهِرَةِ.وَالنَّصِيحَةُ لِلْأَئِمَّةِ:مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ،وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ " عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ " فِي تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْغَفْلَةِ،وَتَقْوِيمِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ،وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ،وَنُصْرَتِهِمْ فِي جَمِيعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ،وَرَدِّ الْقُلُوبِ النَّاضِرَةِ إِلَيْهِمْ.وَالنَّصِيحَةُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ:الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ،وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ،وَرَحْمَةُ صَغِيرِهِمْ،وَتَفْرِيجُ كُرَبِهِمْ،وَالسَّعْيُ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآجِلِ،وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ،وَتَوَقِّي مَا يَشْغَلُ خَوَاطِرَهُمْ،وَفَتَحَ بَابَ الْوَسْوَاسِ عَلَيْهِمِ،وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَقًّا وَحَسَنًا،وَمِنَ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْنَةِ بَدَنِهِ وَنَفْسِهِ وَحَوَائِجِهِ عَنْهُمْ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ"[٢١٧٤]

وللنصيحة جملة من الآداب،منها ما يتعلق بالناصح،ومنها ما يتعلق بالمنصوح.

آداب الناصح:

الإخلاص: فلا ينبغي الناصح من نصحه إظهار رجاحة عقله،أو فضح المنصوح والتشهير به،وإنما يكون غرضه من النصح الإصلاح،وابتغاء مرضاة الله.

الحكمة والموعظة الحسنة واللين: فالكلمة الطيبة مفتاح القلوب،قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١٢٥) سورة النحل.

[٢١٧٣] - شعب الإيمان - (٩ / ٤٩٨)

[٢١٧٤] - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلَابَاذِيِّ (٦٧)

عدم كتمان النصيحة: المسلم يعلم أن النصيحة هي أحد الحقوق التي يجب أن يؤديها لإخوانه المسلمين،فالمؤمن مرآة أخيه،يقدم له النصيحة،ويخبره بعيوبه،ولا يكتم عنه ذلك. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ،قَالُوا:مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:إِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ،وَإِذَا دَعَاهُ أَجَابَهُ،وَإِذَا اسْتَنْصَحَ نَصَحَهُ،وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ يُشَمِّتُهُ،وَإِذَا مَرِضَ عَادَهُ،وَإِذَا مَاتَ صَحِبَهُ."[٢١٧٥]

أن تكون النصيحة في السِّر: المسلم لا يفضح المنصوح ولا يجرح مشاعره،وقد قيل: النصيحة في الملأ (العلن) فضيحة.

وما أجمل قول الإمام الشافعي[٢١٧٦]:

تَعَمَّدني بِنُصْحِكَ في انْفِرَادِي وجنِّبني النصيحةَ في الجماعهْ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ من التوبيخِ لا أرضى استماعه
وَإِنْ خَالَفْتني وَعَصَيْتَ قَوْلِي فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَه

وكان ﷺإذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا،ما بال أحدكم يفعل كذا. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺسَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺعَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ أَتَزَوَّجُ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ آكُلُ اللَّحْمَ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ:لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا،لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ،وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ،وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي."[٢١٧٧]

وعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ،فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ:لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ،أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ.[٢١٧٨]

وقيل: النصح ثقيل فلا تجعلوه جبلا،ولا ترسلوه جدلا،والحقائق مرة فاستعينوا عليها بخفة البيان.

الأمانة في النصح: فلا يخدع المنصوح ولا يستهين بأمره،بل يبذل الجهد،ويعمل الفكر،قبل أن ينصح،وعليه بيان ما يراه من المفاسد إن وجد في ستر وأمانة.

آداب المنصوح:

أن يتقبل النصيحة بصدر رحب: وذلك دون ضجر أو ضيق أو تكبر،وقد قيل: تقبل النصيحة بأي وجه،وأدِّها على أحسن وجه.

[٢١٧٥] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٧٧٨) وصحيح ابن حبان – (١ / ٤٧٧) (٢٤٢)

[٢١٧٦] – تراجم شعراء موقع أدب – (١٠ / ٣٢٢)

[٢١٧٧] – صحيح ابن حبان – (١ / ١٩١) (١٤) صحيح

[٢١٧٨] – صحيح ابن حبان – (٦ / ٦١) (٢٢٨٤) صحيح

عدم الإصرار على الباطل: فالرجوع إلى الحق فضيلة والتمسك بالباطل رذيلة،والمسلم يحذر أن يكون ممن قال الله -تعالى- فيهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} (٢٠٦) سورة البقرة

أخذ النصح من المسلم العاقل: لأنه يفيده بعقله وحكمته،كما أن المسلم يتجنب نصح الجاهل أو الفاسق؛ لأنه يضره من حيث لا يحتسب. فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ-:" مَنْ أَرَادَ أَمْرًا فَشَاوَرَ فِيهِ امْرَأً مُسْلِمًا،وَفَّقَهُ اللَّهُ لِأَرْشَدِ أُمُورِهِ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ [٢١٧٩].

شكر الناصح: يجب على المنصوح أن يقدم الشكر لمن نصحه،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللَّهَ ».[٢١٨٠]

[٢١٧٩] - المعجم الأوسط للطبراني - (٨٥٦٨) فيه ضعف

[٢١٨٠] - سنن الترمذى- المكتر - (٢٠٨١) قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

-٥١- آداب الدعوة

عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ غُلاَمًا مِنَ الْيَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ،فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺيَعُودُهُ وَهُوَ بِالْمَوْتِ،فَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ،فَنَظَرَ الْغُلاَمُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَ رَأْسِهِ،فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ:أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ،فَأَسْلَمَ،ثُمَّ مَاتَ،فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ يَقُولُ:الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ."[٢١٨١]

أمر الله -عز وجل- المسلمين بالدعوة إلى الإيمان به وعبادته،فقال سبحانه: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١٠٤) سورة آل عمران.

لِتَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَاعَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ مُتَمَيِّزَةٌ تَعْرِفُ أَسْرَارَ الأَحْكَامِ،وَحِكْمَةَ التَّشْرِيعِ وَفِقْهَهُ،تَتَولَّى القِيَامَ بِالدَّعْوَةِ إِلى الدِّين،وَتَأمُرُ بِالمَعْروف،وَتُحَارِبُ المُنْكَرَ،وَتَنْهَى عَنْهُ،وَمِنْ وَاجِبِ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُحَارِبَ الْمُنْكَرَ مَا اسْتَطَاعَ إِلى ذَلِكَ،وَهَؤُلاءِ هُمُ الفَائِزُونَ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ .[٢١٨٢]

وقال الله تعالى مبينًا فضل الدعوة إليه: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) } [فصلت:٣٣ - ٣٦]

لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه. وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه،وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة،وَفْق ما جاء عن رسول الله محمد ﷺ.

ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله،واستقاموا على شرعه،وأحسنوا إلى خلقه،وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره،وأساؤوا إلى خلقه. ادفع بعفوك وحلمك وإحسانك مَن أساء إليك،وقابل إساءته لك بالإحسان إليه،فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شفيق عليك. وما يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا أنفسهم على ما تكره،وأجبروها على ما يحبه الله،وما يُوفَّق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.وإما يلقينَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة،فاستجر بالله واعتصم به،إن الله هو السميع لاستعاذتك به،العليم بأمور خلقه جميعها.[٢١٨٣]

[٢١٨١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥٨٤)(١٣٣٧٥) ١٣٤٠٨- صحيح

[٢١٨٢] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٩٧)

[٢١٨٣] - التفسير الميسر - (٨ / ٤٠٢)

إن النهوض بواجب الدعوة إلى اللّه،في مواجهة التواءات النفس البشرية،وجهلها،واعتزازها بما ألفت،واستكبارها أن يقال:إنها كانت على ضلالة،وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها،وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد،كل البشر أمامه سواء.

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة هذه الظروف أمر شاق. ولكنه شأن عظيم:«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ،وَعَمِلَ صالِحاً،وَقالَ:إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض،وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء. ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ومع الاستسلام للّه الذي تتوارى معه الذات. فتصبح الدعوة خالصة للّه ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ.

ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض،أو بسوء الأدب،أو بالتبجح في الإنكار. فهو إنما يتقدم بالحسنة. فهو في المقام الرفيع،وغيره يتقدم بالسيئة. فهو في المكان الدون:«وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ».

وليس له أن يرد بالسيئة،فإن الحسنة لا يستوي أثرها - كما لا تستوي قيمتها - مع السيئة والصبر والتسامح،والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر،يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة،فتنقلب من الخصومة إلى الولاء،ومن الجماح إلى اللين:« ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ».

وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات. وينقلب الهياج إلى وداعة. والغضب إلى سكينة. والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة،ونبرة هادئة،وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام!

ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجا وغضبا وتبجحا ومرودا. وخلع حياءه نهائيا،وأفلت زمامه،وأخذته العزة بالإثم.

غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد. وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها. حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفا. ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه،و لم يكن للحسنة أثرها إطلاقا.

وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية. لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها.

فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها. أو الصبر حتى يقضي اللّه أمرا كان مفعولا.

وهذه الدرجة،درجة دفع السيئة بالحسنة،والسماحة التي تستعلي على دفعات الغيظ والغضب،والتوازن الذي يعرف متى تكون السماحة ومتى يكون الدفع بالحسنى .. درجة عظيمة لا يلقاها كل إنسان.

فهي في حاجة إلى الصبر. وهي كذلك حظ موهوب يتفضل به اللّه على عباده الذين يحاولون فيستحقون:«وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا،وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» ..

إنها درجة عالية إلى حد أن رسول اللّه - ﷺ- وهو الذي لم يغضب لنفسه قط وإذا غضب للّه لم يقم لغضبه أحد. قيل له - وقيل لكل داعية في شخصه -:«وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ..

فالغضب قد يترغ. وقد يلقي في الروع قلة الصبر على الإساءة. أو ضيق الصدر عن السماحة. فالاستعاذة باللّه من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية،تدفع محاولاته،لاستغلال الغضب،والنفاذ من ثغرته.

إن خالق هذا القلب البشري،الذي يعرف مداخله ومساربه،ويعرف طاقته واستعداده،ويعرف من أين يدخل الشيطان إليه،يحوط قلب الداعية إلى اللّه من نزغات الغضب. أو نزغات الشيطان. مما يلقاه في طريقه مما يثير غضب الحليم.

إنه طريق شاق. طريق السير في مسارب النفس ودروبها وأشواكها وشعابها،حتى يبلغ الداعية منها موضع التوجيه ونقطة القياد!!![٢١٨٤]

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ،قَالَ:أَتَى النَّبِيَّ ﷺرَجُلٌ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنِّي أُبْدِعَ بِي،فَاحْمِلْنِي،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ عِنْدِي فَقَالَ رَجُلٌ:أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ. [٢١٨٥].

وللدعوة إلى الله آداب يتحلى بها المسلم،منها:

إخلاص النية: الإخلاص هو السرُّ في نجاح الداعي إلى الله،فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ،عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِي أَنَّهُ،سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ،وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا،أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "[٢١٨٦]

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: المسلم -في دعوته غيره- يستخدم الكلمة الطيبة،ويبتعد عن الفحش والتفحش،قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١٢٥) سورة النحل

على هذه الأسس يرسي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها،ويعين وسائلها وطرائقها،ويرسم المنهج للرسول الكريم،وللدعاة من بعده بدينه القويم فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه اللّه في هذا القرآن.

[٢١٨٤] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٣١٢١)

[٢١٨٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٥٠٠٧) وصحيح ابن حبان - (٤ / ٥٥٤) (١٦٦٨) -أبدع : كل وتعب

[٢١٨٦] - صحيح البخارى- المكتر - (١) وشرح معاني الآثار - (٣ / ٩٦) (٤٦٥٠)

إن الدعوة دعوة إلى سبيل اللّه. لا لشخص الداعي ولا لقومه. فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه للّه،لا فضل له يتحدث به،لا على الدعوة ولا على من يهتدون به،وأجره بعد ذلك على اللّه.

والدعوة بالحكمة،والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم،والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها. والطريقة التي يخاطبهم بها،والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها. فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق،وتتعمق المشاعر بلطف،لا بالزجر والتأنيب في غير موجب.

ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية. فإن الرفق في الموعظة كثيرا ما يهدي القلوب الشاردة،ويؤلف القلوب النافرة،ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل،ولكن الإقناع والوصول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها،وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق،حتى لا تشعر بالهزيمة. وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس،فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة. ويشعر المجادل أن ذاته مصونة،وقيمته كريمة،وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها،والاهتداء إليها. في سبيل اللّه،لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر! ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن اللّه هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين. فلا ضرورة للجاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك للّه.

هذا هو منهج الدعوة ودستورها ما دام الأمر في دائرة الدعوة باللسان والجدل بالحجة. فأما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير،فالاعتداء عمل مادي يدفع بمثله إعزازا لكرامة الحق،ودفعا لغلبة الباطل،على ألا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتفظيع،فالإسلام دين العدل والاعتدال،ودين السلم والمسالمة،إنما يدفع عن نفسه وأهله البغي ولا يبغي «وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ». وليس ذلك بعيدا عن دستور الدعوة فهو جزء منه. فالدفع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزتها،فلا تهون في نفوس الناس. والدعوة المهينة لا يعتنقها أحد،ولا يثق أنها دعوة اللّه. فاللّه لا يترك دعوته مهينة لا تدفع عن نفسها،والمؤمنون باللّه لا يقبلون الضيم وهم دعاة للّه والعزة للّه جميعا. ثم إنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس،وقيادة البشرية إلى الطريق القويم،فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقبون فلا يعاقبون،ويعتدى عليهم فلا يردون؟!.

ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل،فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر،حين يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان،في الحالات التي قد يكون العفو فيها والصبر أعمق أثرا. وأكثر فائدة للدعوة.

فأشخاصهم لا وزن لها إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو والصبر. فأما إذا كان العفو والصبر يهينان دعوة اللّه ويرخصانها،فالقاعدة الأولى هي الأولى.

ولأن الصبر يحتاج إلى مقاومة للانفعال،وضبط للعواطف،وكبت للفطرة،فإن القرآن يصله باللّه ويزين عقباه:«وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ» .. فهو الذي يعين على الصبر وضبط النفس،والاتجاه إليه هو الذي يطامن من الرغبة الفطرية في رد الاعتداء بمثله والقصاص له بقدره.

ويوصي القرآن الرسول - ﷺ- وهي وصية لكل داعية من بعده،ألا يأخذه الحزن إذا رأى الناس لا يهتدون،فإنما عليه واجبه يؤديه،والهدى والضلال بيد اللّه،وفق سنته في فطرة النفوس واستعداداتها واتجاهاتها ومجاهدتها للهدى أو للضلال. وألا يضيق صدره بمكرهم فإنما هو داعية للّه،فاللّه حافظه من المكر والكيد،لا يدعه للماكرين الكائدين وهو مخلص في دعوته لا يبتغي من ورائها شيئا لنفسه ..

ولقد يقع به الأذى لامتحان صبره،ويبطئ عليه النصر لابتلاء ثقته بربه،ولكن العاقبة مظنونة ومعروفة «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» ومن كان اللّه معه فلا عليه ممن يكيدون وممن يمكرون.هذا هو دستور الدعوة إلى اللّه كما رسمه اللّه. والنصر مرهون باتباعه كما وعد اللّه. ومن أصدق من اللّه؟.[٢١٨٧]

الفهم الجيد للدين: لا بد أن يكون الداعي إلى الله على علم بأحكام الدَّين،ولكي يتحقق له ذلك فيستحب له حفظ القرآن الكريم،ومن أحاديث النبي ﷺقدر ما يستطيع حتى يستدلَّ بها في دعوته فعلى الأقل يحفظ أحاديث رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله،يقول تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّه عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّه وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (١٠٨) سورة يوسف

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺبِأَنْ يُخْبِرَ النَّاسَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ هِيَ سَبِيلُهُ وَمَسْلَكُهُ وَسُنَّتُهُ،وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنَ اللهِ وَيَقِينٍ،هُوَ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ،مِنْ حَقِيقَةِ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ،وَمَا يَقُولُونَ بِهِ،وَأَنَّهُ يُنَزِّهُ اسْمَ اللهِ،وَيُقَدِّسُهُ عَنِ الشِّرْكِ وَالوَلَدِ وَالصَّحَابَةِ،تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً[٢١٨٨]

[٢١٨٧] - فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٢٠١)

[٢١٨٨] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧٠٥)

فنحن على هدى من اللّه ونور. نعرف طريقنا جيدا،ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة،لا نخبط ولا نتحسس،ولا نحدس. فهو اليقين البصير المستنير. نتره اللّه - سبحانه - عما لا يليق بألوهيته،وننفصل وننعزل ونتميز عن الذين يشركون به:

«وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» ..لا ظاهر الشرك ولا خافيه.هذه طريقي فمن شاء فليتابع،ومن لم يشأ فأنا سائر في طريقي المستقيم.

وأصحاب الدعوة إلى اللّه لا بد لهم من هذا التميز،لا بد لهم أن يعلنوا أنهم أمة وحدهم،يفترقون عمن لا يعتقد عقيدتهم،ولا يسلك مسلكهم،ولا يدين لقيادتهم،ويتميزون ولا يختلطون! ولا يكفي أن يدعوا أصحاب هذا الدين إلى دينهم،وهم متميعون في المجتمع الجاهلي. فهذه الدعوة لا تؤدي شيئا ذا قيمة! إنه لا بد لهم منذ اليوم الأول أن يعلنوا أنهم شيء آخر غير الجاهلية وأن يتميزوا بتجمع خاص آصرته العقيدة المتميزة،وعنوانه القيادة الإسلامية .. لا بد أن يميزوا أنفسهم من المجتمع الجاهلي وأن يميزوا قيادتهم من قيادة المجتمع الجاهلي أيضا! إن اندغامهم وتميعهم في المجتمع الجاهلي،وبقاءهم في ظل القيادة الجاهلية،يذهب بكل السلطان الذي تحمله عقيدتهم،وبكل الأثر الذي يمكن أن تنشئه دعوتهم،وبكل الجاذبية التي يمكن أن تكون للدعوة الجديدة.

وهذه الحقيقة لم يكن مجالها فقط هو الدعوة النبوية في أوساط المشركين .. إن مجالها هو مجال هذه الدعوة كلما عادت الجاهلية فغلبت على حياة الناس .. وجاهلية القرن العشرين لا تختلف في مقوماتها الأصيلة،وفي ملامحها المميزة عن كل جاهلية أخرى واجهتها الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ! والذين يظنون أنهم يصلون إلى شيء عن طريق التميع في المجتمع الجاهلي والأوضاع الجاهلية،والتدسس الناعم من خلال تلك المجتمعات ومن خلال هذه الأوضاع بالدعوة إلى الإسلام .. هؤلاء لا يدركون طبيعة هذه العقيدة ولا كيف ينبغي أن تطرق القلوب! .. إن أصحاب المذاهب الإلحادية أنفسهم يكشفون عن عنوانهم وواجهتهم ووجهتهم! أفلا يعلن أصحاب الدعوة إلى الإسلام عن عنوانهم الخاص؟ وطريقهم الخاص؟ وسبيلهم التي تفترق تماما عن سبيل الجاهلية؟[٢١٨٩]

القدوة الحسنة: الداعي قدوة لغيره،ولذلك عليه أن يحرص على العمل بما يعلم،وأن يتخلق بما يدعو إليه وإلا كان ممن قال الله فيهم: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} (٤٤) سورة البقرة

يَنْعِى اللهُ تَعَالَى عَلَى اليَهُودِ - وَهُمْ أَهْلُ الكِتَابِ - أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالخَيْرِ وَالبِرِّ وَطَاعَةِ اللهِ،فِي حَالِ أَنَّهُمْ يَنْسَوْنَ وَعْظَ أَنْفُسِهِمْ،وَحَمْلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللهِ،فَلاَ يَأْتَمِرُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ،مَعَ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ المُنْزَلَ إِلَيْهِمْ،وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنْ عَقَابِ يَحِلُّ بِمَنْ يُقَصِّرُ فِي القِيَامِ بِمَا أَمَرَ

[٢١٨٩] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٠٣٤)

اللهُ.وَلكِنَّ الأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مِنْهُمْ لاَ يَذْكُرُونَ مِنَ الحَقِّ إِلاَّ مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ،وَلا يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الأَحْكَامِ إِذَا عَارَضَ شَهَوَاتِهِمْ[٢١٩٠]

فعَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ قَالَ:حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ مُحْرِزٍ،سَمِعَ جُنْدُبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ يَقُولُ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ:" إِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَعِظُ النَّاسَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَالْمِصْبَاحِ يَحْرِقُ نَفْسَهُ وَيُضِيءُ لِغَيْرِهِ "

قَالَ أَبُو عُمَرَ:" أَخَذَهُ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ :

وَبَّخْتَ غَيْرَكَ بِالْعَمَى فَأَفَدْتَهُ بَصَرًا وَأَنْتَ مُحْسِنٌ لِعَمَاكَا
كَفَتِيلَةِ الْمِصْبَاحِ تَحْرِقُ نَفْسَهَا وَتُنِيرُ مَوْقِدَهَا وَأَنْتَ كَذَاكَا

وَلَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ فِي قَوْلِهِ،وَتُرْوَى لِلْعَرْزَمِيِّ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
وَنَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا صِفَةً وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ
فَهُنَاكَ تُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ[٢١٩١]

فلابد أن يكون الداعي طيب الأخلاق،حسن السيرة. وعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ،قَالَ:أَتَيْتُ عَائِشَةَ،فَقُلْتُ:يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ،أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَتْ:كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ،أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ،قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}،قُلْتُ:فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ،قَالَتْ:لاَ تَفْعَلْ،أَمَا تَقْرَأُ:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ} حَسَنَةٌ ؟ فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،وَقَدْ وُلِدَ لَهُ. "[٢١٩٢].

أي أنه ﷺكان يتصف بكل صفات الخير التي يدعو الناس للتمسك بها من خلال آيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

وليحذر الداعي من الانسياق في المعاصي مع الناس،ويبتعد عن مواضع التهم والشبهات،فعَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: شَهِدْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ عَلَى مِنْبَرِنَا هَذَا يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: " إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَإِنَّ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُشْتَبِهَاتٍ فَمَنْ تَرَكَهَا اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ رَتَعَ فِيهَا يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَمَنْ رَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ،أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ الْحَرَامَ حِمَى اللهِ الَّذِي حَرَّمَ عَلَى عِبَادِهِ "[٢١٩٣].

[٢١٩٠] – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٥١)

[٢١٩١] – جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٧٨٣)

[٢١٩٢] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ١٤٤)(٢٤٦٠١) ٢٥١٠٨– صحيح

[٢١٩٣] – صحيح مسلم– المكتر – (٤١٧٨) وشرح مشكل الآثار – (٢ / ٢٢٠) (٧٥١)

البعد عن مواضع الخلافات: الداعي يبتعد عن مواضع الخلاف ما وسعه ذلك،فيتحدث إلى النـــاس في الأمور المتفق عليها،حتى لا يتعرض للدخول في جدال لا طائل تحته،أو لرياء يُذهب ثواب عمله.

ذلك لأن الله تعالى شاء هذا الاختلاف في فهم النصوص الشرعية،فليست قطعية الدلالة على المعـــنى المراد إلا القليل منها،وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في فهمها فما أنكر عليهم رســـول الله ﷺ ذلك،فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ النَّبِىُّ - ﷺ- لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ « لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلاَّ فِـــى بَنِى قُرَيْظَةَ ».فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِى الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لاَ نُصَلِّى حَتَّى نَأْتِيَهَا،وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَـــلْ نُصَلِّى لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ.فَذُكِرَ لِلنَّبِىِّ - ﷺ- فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ .[٢١٩٤]

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ،قَالَ:" كَانَ اخْتِلَافُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺمِمَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهِ،فَمَا عَمِلْتَ مِنْـــهُ مِنْ عَمَلٍ لَمْ يَدْخُلْ نَفْسَكَ مِنْهُ شَيْءٌ " [٢١٩٥]

وعَنْ قَتَادَةَ،أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ،كَانَ يَقُولُ:" مَا سَرَّنِي لَوْ أَنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺلَمْ يَخْتَلِفُوا،لِأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَخْتَلِفُوا لَمْ تَكُنْ رُخْصَةٌ " [٢١٩٦]

البدء بالأهم: الداعي إلى الله يتدرج في دعوة الناس،فيدعوهم إلى الفرائض قبل الســـنن،ويدعوهم إلى الأمور الواجبة قبل الأمور المستحبة.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا عَلَى الْيَمَنِ قَالَ :« إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْـــلِ كِتَـــابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَـــرَضَ عَلَـــيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِى يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ،فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَـــاةً تُؤْخَـــذُ مِـــنْ أَمْوَالِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ،فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ،وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ »[٢١٩٧]

الرفق واللين: المسلم يدعو غيره بالرفق واللين،قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنـــتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَـــإِذَا عَزَمْـــتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (١٥٩) سورة آل عمران

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَ « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ».[٢١٩٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ،وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِـــي عَلَـــى الْعُنْفِ.[٢١٩٩]

[٢١٩٤] - صحيح البخارى- المكتر - (٩٤٦)

[٢١٩٥] - الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٧٣٦) صحيح

[٢١٩٦] - الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ (٧٣٨) صحيح

وانظر للتوسع في هذا الموضوع كتابي ((الخلاصة في أسباب اختلاف الفقهاء))

[٢١٩٧] - صحيح البخارى- المكتر - (١٤٥٨) وصحيح مسلم- المكتر - (١٣٢)

[٢١٩٨] - صحيح مسلم- المكتر - (٦٧٦٧)

الذكاء والفطنة: المسلم ذكي وفطن،يعرف كيف يدعو الناس إلى الله،وكيف يتحدث إليهم ويقنعهم،وهو دائمًا يختار الوقت المناسب لدعوته. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ قَالَ عِكْرِمَةُ:أُرَاهُ فِي دَمٍ،فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- شَيْئًا،ثُمَّ قَالَ:" أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ ".قَالَ الْأَعْرَابِيُّ:لَا،وَلَا أَجْمَلْتَ.فَغَضِبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ،وَهَمُّوا أَنْ يَقُومُوا إِلَيْهِ.فَأَشَارَ النَّبِيُّ - ﷺ- إِلَيْهِمْ:أَنْ كُفُّوا.فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ - ﷺ- وَبَلَغَ إِلَى مَنْزِلِهِ دَعَا الْأَعْرَابِيَّ إِلَى الْبَيْتِ،فَقَالَ لَهُ:الجزء التاسع < ١٦ > " إِنَّكَ جِئْتَنَا،فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ،فَقُلْتَ مَا قُلْتَ ".فَزَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- شَيْئًا،فَقَالَ:" أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ ".فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرٍ خَيْرًا.فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - ﷺ-:" إِنَّكَ كُنْتَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا فَأَعْطَيْنَاكَ،فَقُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي نَفْسِ أَصْحَابِي عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ،فَإِذَا جِئْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْ صُدُورِهِمْ ".قَالَ:نَعَمْ.قَالَ:فَلَمَّا جَاءَ الْأَعْرَابِيُّ قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ-:" إِنَّ صَاحِبَكُمْ كَانَ جَاءَنَا،فَسَأَلَنَا فَأَعْطَيْنَاهُ،فَقَالَ مَا قَالَ،وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُ فَأَعْطَيْنَاهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَكَذَاكَ ؟ ".قَالَ الْأَعْرَابِيُّ:نَعَمْ،فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلٍ وَعَشِيرٍ خَيْرًا.قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ-:" إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ،فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا،فَقَالَ صَاحِبُ النَّاقَةِ:خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي فَأَنَا أَرْفَقُ بِهَا وَأَعْلَمُ بِهَا،فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قُشَامِ الْأَرْضِ،وَدَعَاهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَجَابَتْ،وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا،وَلَوْ أَنِّي أَطَعْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ مَا قَالَ دَخَلَ النَّارَ ".رَوَاهُ الْبَزَّارُ[٢٢٠٠]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ:إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺفَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا،فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا:مَهْ.مَهْ.فَقَالَ:ادْنُهْ،فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا.قَالَ:فَجَلَسَ قَالَ:أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ:لاَ،وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ:وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ.قَالَ:أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ ؟ قَالَ:لاَ،وَاللَّه يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ:وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ.قَالَ:أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ:لاَ،وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ:وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ.قَالَ:أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ:لاَ،وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ:وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ.قَالَ:أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ:لاَ،وَاللَّه جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.قَالَ:وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ.قَالَ:فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ:اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ،وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ."[٢٢٠١]

فهم شخصية المدعوّ: الداعي إلى الله لابد أن يكون بصيرًا عارفًا بمن يدعوه فيتفهم شخصيته،ويحسن الطريقة التي يدعوه بها،وما يناسب شخصًا قد لا يناسب شخصًا آخر. ومن الأفضل للداعي أن

[٢١٩٩] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٠٩) (٥٤٩) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٧٦٦) عن عائشة نحوه

[٢٢٠٠] - مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار - (١٥ / ٢٩٤)(٨٧٩٩) فيه ضعف

[٢٢٠١] - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٠٧)(٢٢٢١١) ٢٢٥٦٤- صحيح

يعرف شيئًا عن ظروف المدعو الاجتماعية. فعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ،قَالَ:رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺمَرَّ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَأَنَا فِي بِيَاعَةٍ لِي،فَمَرَّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ،فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ،قُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا،وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبَهُ،وَهُوَ يَقُولُ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ،لاَ تُطِيعُوا هَذَا فَإِنَّهُ كَذَّابٌ،فَقُلْتُ:مَنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ:غُلاَمٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،فَلَمَّا أَظْهَرَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ خَرَجْنَا مِنَ الرَّبَذَةِ وَمَعَنَا ظَعِينَةٌ لَنَا حَتَّى نَزَلْنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ،فَبَيْنَا نَحْنُ قُعُودًا إِذْ أَتَانَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا،فَقَالَ:مِنْ أَيْنَ الْقَوْمُ ؟ فَقُلْنَا:مِنَ الرَّبَذَةِ،وَمَعَنَا جَمَلٌ أَحْمَرُ،فَقَالَ:تَبِيعُونِي هَذَا الْجَمَلَ ؟ فَقُلْنَا:نَعَمْ،فَقَالَ:بِكَمْ ؟ فَقُلْنَا:بِكَذَا وَكَذَا صَاعًا مِنْ تَمْرٍ،قَالَ:أَخَذْتُهُ،وَمَا اسْتَقْصَى،فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْجَمَلِ فَذَهَبَ بِهِ حَتَّى تَوَارَى فِي حِيطَانِ الْمَدِينَةِ،فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ:تَعْرِفُونَ الرَّجُلَ ؟ فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَحَدٍ يَعْرِفُهُ،فَلاَمَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،فَقَالُوا:تُعْطُونَ جَمَلَكُمْ مَنْ لاَ تَعْرِفُونَ ؟ فَقَالَتِ الظَّعِينَةُ:فَلاَ تَلاوَمُوا،فَلَقَدْ رَأَيْنَا رَجُلا لاَ يَغْدِرُ بِكُمْ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ وَجْهِهِ،فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ أَتَانَا رَجُلٌ،فَقَالَ:السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،أَأَنْتُمُ الَّذِينَ جِئْتُمْ مِنَ الرَّبَذَةِ ؟ قُلْنَا:نَعَمْ،قَالَ:أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺإِلَيْكُمْ وَهُوَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ هَذَا التَّمْرِ حَتَّى تَشْبَعُوا وَتَكْتَالُوا حَتَّى تَسْتَوْفُوا،فَأَكَلْنَا مِنَ التَّمْرِ حَتَّى شَبِعْنَا،وَاكْتَلْنَا حَتَّى اسْتَوْفَيْنَا،ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ مِنَ الْغَدِ،فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَائِمٌ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ،فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ:أُمَّكَ،وَأَبَاكَ،وَأُخْتَكَ،وَأَخَاكَ،وَأَدْنَاكَ،أَدْنَاكَ،وَثَمَّ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَؤُلاءِ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ الَّذِينَ قَتَلُوا فُلاَنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ،فَخُذْ لَنَا بِثَأْرِنَا،فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺيَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ،فَقَالَ:لاَ تَجْنِي أُمٌّ عَلَى وَلَدٍ،لاَ تَجْنِي أُمٌّ عَلَى وَلَدٍ"[٢٢٠٢]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفِي تِلْكَ السِّنِينَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ،وَيُكَلِّمُ كُلَّ شَرِيفِ قَوْمٍ لَا يَسْأَلُهُمْ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَرْوُهُ وَيَمْنَعُوهُ وَيَقُولُ:" لَا أُكْرِهُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ،مَنْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِالَّذِي أَدْعُوهُ إِلَيْهِ فَذَلِكَ،وَمَنْ كَرِهَ لَمْ أُكْرِهْهُ،إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تُحْرِزُونِي مِمَّا يُرَادُ بِي مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَحَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِي وَلِمَنْ صَحِبَنِي بِمَا شَاءَ اللَّهُ " فَلَمْ يَقْبَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ،وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ إِلَّا قَالَ:قَوْمُ الرَّجُلِ أَعْلَمُ بِهِ،أَتَرَوْنَ أَنَّ رَجُلًا يُصْلِحُنَا وَقَدْ أَفْسَدَ قَوْمَهُ وَلَفَظُوهُ ؟ فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا ذَخَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأَنْصَارِ وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ.فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ ارْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَشَدُّ مَا كَانَ،فَعَمَدَ لِثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ رَجَاءَ أَنْ يَأْوُوَهُ،فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ سَادَةُ ثَقِيفٍ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ أُخْوَةٌ:عَبْدُ يَالِيلَ بْنُ عَمْرٍو،وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرٍو،وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو،فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ،وَشَكَا إِلَيْهِمُ الْبَلَاءَ وَمَا انْتَهَكَ مِنْهُ قَوْمُهُ.فَقَالَ أَحَدُهُمْ:أَنَا أَمْرُقُ أَسْتَارَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ بَعَثَكَ بِشَيْءٍ قَطُّ.وَقَالَ الْآخَرُ:أَعَجَزَ اللَّهُ أَنْ يُرْسِلَ غَيْرَكَ.وَقَالَ الْآخَرُ:وَاللَّهِ لَا أُكَلِّمُكَ بَعْدَ

[٢٢٠٢] – المستدرك للحاكم (٤٢١٩) صحيح

مَجْلِسكَ هَذَا أَبَدًا،وَاللَّه لَئِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّه لَأَنْتَ أَعْظَمُ شَرَفًا وَحَقًّا مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ،وَلَئِنْ كُنْتَ تَكْذِبُ عَلَى اللَّه لَأَنْتَ أَشَرُّ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ.وَتَهَزَّءُوا بِه وَأَفْشَوْا فِي قَوْمِهِمُ الَّذِي رَاجَعُوهُ بِه،وَقَعَدُوا لَهُ صَفَّيْنِ عَلَى طَرِيقِه،فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّه ﷺبَيْنَ صَفَّيْهِمْ جَعَلُوا لَا يَرْفَعُ رِجْلَيْه وَلَا يَضَعُهُمَا إِلَّا رَضَخُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ،وَكَانُوا أَعَدُّوهَا حَتَّى أَدْمَوْا رِجْلَيْه.فَخَلَصَ مِنْهُمْ وَهُمَا يَسِيلَانِ الدِّمَاءَ،فَعَمَدَ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِهِمْ،وَاسْتَظَلَّ فِي ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْهُ،وَهُوَ مَكْرُوبٌ مُوجَعٌ،تَسِيلُ رِجْلَاهُ دَمًا،فَإِذَا فِي الْحَائِطِ عُقْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ،وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ،فَلَمَّا رَآهُمَا كَرِهَ مَكَانَهُمَا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَدَاوَتِهِمَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ،فَلَمَّا رَأَيَاهُ أَرْسَلَا إِلَيْه غُلَامًا لَهُمَا يُدْعَى عَدَّاسًا وَهُوَ نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى مَعَهُ عِنَبٌ،فَلَمَّا جَاءَهُ عَدَّاسٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " مِنْ أَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ ؟ " قَالَ لَهُ عَدَّاسٌ:أَنَا مِنْ أَهْلِ نِينَوَى،فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مِنْ مَدِينَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَى،فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ:وَمَا يُدْرِيكَ مَنْ يُونُسُ بْنُ مَتَّى قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّه ﷺوَكَانَ لَا يَحْقِرُ أَحَدًا أَنْ يُبَلِّغَهُ رِسَالَةَ رَبِّه:" أَنَا رَسُولُ اللَّه،وَاللَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَنِي خَبَرَ يُونُسَ بْنِ مَتَى ".فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِمَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَأْنِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى،خَرَّ عَدَّاسٌ سَاجِدًا لِرَسُولِ اللَّه ﷺوَجَعَلَ يُقَبِّلُ قَدَمَيْه وَهُمَا يَسِيلَانِ الدِّمَاءَ.فَلَمَّا أَبْصَرَ عُقْبَةُ وَشَيْبَةُ مَا يَصْنَعُ غُلَامُهُمَا سَكَنَا،فَلَمَّا أَتَاهُمَا،قَالَا:مَا شَأْنُكَ سَجَدْتَ لِمُحَمَّدٍ،وَقَبَّلْتَ قَدَمَيْه،وَلَمْ نَرَكَ فَعَلْتَهُ بِأَحَدٍ مِنَّا ؟ قَالَ:هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ،أَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ عَرَفْتُهُ مِنْ شَأْنِ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا يُدْعَى يُونُسَ بْنَ مَتَى،فَضَحِكَا بِه،وَقَالَا:لَا يَفْتِنُكَ عَنْ نَصْرَانِيَّتِكَ،فَإِنَّهُ رَجُلٌ خَدَّاعٌ،فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّه ﷺإِلَى مَكَّةَ "[٢٢٠٣]

مخاطبة الناس على قدر عقولهم: المسلم إذا دعا غيره كان عليه أن يراعي حاله ومستواه،فمن الناس من يناسبه الكلام الفصيح،ومنهم من يناسبه الكلام البسيط المفهوم،وَقَالَ عَلِيٌّ:حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ،أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ "[٢٢٠٤]

وعَنْ عُبَيْد اللَّه بْنِ عَبْد اللَّه بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً.[٢٢٠٥]

البدء بدعوة الأهل والأقارب: المسلم يبدأ بدعوة أهله وأقاربه،قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم. ويقول تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (٢١٤) سورة الشعراء.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ - ﷺ- عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِى « يَا بَنِى فِهْرٍ،يَا بَنِى عَدِىٍّ ».لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا،فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا

[٢٢٠٣] - دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٦٩٠) صحيح مرسل

[٢٢٠٤] - صحيح البخارى- المكتر - (١٢٧)

[٢٢٠٥] - صحيح مسلم- المكتر - (٤) وقيل لم يسمع من عم أبيه

لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ،فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ « أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِى تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ،أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِىَّ ».قَالُوا نَعَمْ،مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا.قَالَ « فَإِنِّى نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ».فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ،أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ (تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [٢٢٠٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء:] جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺقُرَيْشًا،فقَالَ:يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ،أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ،فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَلِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ مِثْلَ ذَلِكَ،وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِثْلَ ذَلِكَ،ثُمَّ،قَالَ:يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ،أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ،فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا،إِلاَّ أَنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا."[٢٢٠٧]

عدم اليأس: الداعي إلى الله لا ييأس إذا صادف رفضًا ممن يدعوه،فعليه أن يدعو ويترك أمر الهداية إلى الله،قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٥٦) سورة القصص

إنك -أيها الرسول- لا تهدي هداية توفيق مَن أحببت هدايته،ولكن ذلك بيد الله يهدي مَن يشاء أن يهديه للإيمان،ويوفقه إليه،وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه.[٢٢٠٨]

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:لَمَّا حَضَرَ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺفَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا عَمِّ،قُلْ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَشْهَدْ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ،قَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ:يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ قَالَ:فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺيَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبَى أَنْ يَقُولَ:لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [التوبة:]،وَأُنْزِلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ:{إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ،وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}."[٢٢٠٩]

وإن الإنسان ليقف أمام هذا الخبر مأخوذا بصرامة هذا الدين واستقامته. فهذا عم رسول اللّه - ﷺ- وكافله وحاميه والذائد عنه،لا يكتب اللّه له الإيمان،على شدة حبه لرسول اللّه - ﷺ- وشدة حب رسول اللّه له أن يؤمن. ذلك أنه إنما قصد إلى عصبية القرابة وحب الأبوة،و لم يقصد إلى العقيدة. وقد علم اللّه هذا منه،فلم يقدر له ما كان يحبه له رسول اللّه - ﷺ- ويرجوه.

[٢٢٠٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٧٠) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٢٩)

[٢٢٠٧] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤١٢)(٦٤٦) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٢٢)

[٢٢٠٨] - التفسير الميسر - (٧ / ٩٠)

[٢٢٠٩] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٧٧٢) وصحيح مسلم- المكتر - (١٤١) وصحيح ابن حبان - (٣ / ٢٦٣) (٩٨٢)

فأخرج هذا الأمر – أمر الهداية – من حصة رسول اللّه – ﷺ– وجعله خاصا بإرادته سبحانه وتقديره. وما على الرسول إلا البلاغ. وما على الداعين بعده إلا النصيحة. والقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن،والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد واستعدادهم للهدى أو للضلال.[٢٢١٠]

[٢٢١٠] – فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع – (٥ / ٢٧٠٣)

-٥٢- آداب العمل

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِىَّ -ﷺ- يَسْأَلُهُ فَقَالَ « أَمَا فِى بَيْتِكَ شَىْءٌ ». قَالَ بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قَالَ « ائْتِنِى بِهِمَا ».فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- بِيَدِهِ وَقَالَ « مَنْ يَشْتَرِى هَذَيْنِ ». قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ. قَالَ « مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِىَّ وَقَالَ « اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِى بِهِ ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ « اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِىءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِى وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِعٍ ».[٢٢١١]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،رَجُلٌ لَهُ حَشَمٌ خَلْقًا،فَقَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ،فَقَالُوا: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ فَقَالَ: " لَعَلَّهُ يَكُدُّ عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ،فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،لَعَلَّهُ يَكُدُّ عَلَى صِبْيَةٍ صِغَارٍ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ،لَعَلَّهُ يَكُدُّ عَلَى نَفْسِهِ لِيُغْنِيَهَا عَنِ النَّاسِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ "[٢٢١٢]

وعَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ،قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺرَجُلٌ،فَرَأَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺمِنْ جلْدِهِ وَنَشَاطِهِ،فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ".[٢٢١٣]

فالإسلامُ دين العمل،وهو عمل للدنيا،وعمل للآخرة. قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (٧٧) سورة القصص.

[٢٢١١] – سنن أبي داود – المكتر – (١٦٤٣) وقال الشيخ الألباني: صحيح لشواهده، انظر صحيح الترغيب والترهيب ١/٣٥٠ .
المدقع : الشديد الملصق لصاحبه بالأرض –القعب : القدح –النكتة : الأثر القليل كالنقطة

[٢٢١٢] – شعب الإيمان – (١٠ / ٢٦٤) (٧٤٦٩) صحيح لغيره

[٢٢١٣] – المعجم الكبير للطبراني – (١٣ / ٤٩١) (١٥٦١٩) صحيح لغيره

واسْتَعْمِلْ مَا وَهَبكَ اللهُ مِنَ المَالِ الجَزيلِ،والنِّعمَةِ الطَّائِلَةِ،في طَاعَةِ رَبِّكَ،والتَّقَرُّبِ إليه،ولا تَنْسَ حَظَّكَ (نَصِيبَكَ) مِنَ الدُّنيا،ممَّا أَبَاحَهُ اللهُ فيها لِعباده،مِنَ المَآكِلِ والمَشَارِبِ والمَلاَبسِ وغَيرها.. فإنَّ لِرَبِّكَ عَلَيكَ حَقّاً،وَلِنَفسكَ عَليكَ حَقّاً،..فَآتِ كُلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ.وأحْسِنْ إلى خَلْقِ اللهِ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ولا يَكنْ هَمُّكَ الإفسَادَ في الأَرضِ،والإِساءَةَ إلى خَلْقِ اللهِ،إنّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ .[٢٢١٤]

وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم. المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة. ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا،كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.

لقد خلق اللّه طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها،فتنمو الحياة وتتجدد،وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة،فلا ينحرفون عن طريقها،ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم،وتقبل لعطاياه،وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها اللّه بالحسنى.

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان،ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة،التي لا حرمان فيها،ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

«وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» .. فهذا المال هبة من اللّه وإحسان. فليقابل بالإحسان فيه. إحسان التقبل وإحسان التصرف،والإحسان به إلى الخلق،وإحسان الشعور بالنعمة،وإحسان الشكران.

«وَلا تَبْغِ الْفَسادَ فِي الْأَرْضِ» .. الفساد بالبغي والظلم. والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة اللّه ومراعاة الآخرة.

والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء. والفساد بإنفاق المال في غير وجهه أو إمساكه عن وجهه على كل حال.

«إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» .. كما أنه لا يحب الفرحين.[٢٢١٥]

وقد أمر الله -سبحانه- بالعمل والسعي في الأرض والأكل من رزق الله،فقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (١٥) سورة الملك

وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الذي سَخَّرَ الأَرْضَ لِلْعِبَادِ،وَجَعَلَهَا مُذَلَّلَةً سَاكِنَةً،وَأَرْسَاهَا بِالجِبَالِ لِكَيْلاَ تَضْطَرِبَ وَتَميدَ بِمَنْ عَلَيهَا مِنَ الخَلاَئِقِ،وَأَخْرَجَ مِنْهَا المِيَاهَ،وَسَلَكَهَا فِي الأَرْضِ جَدَاوِلَ وَأَنْهَاراً،لِيَنْتَفِعَ بِهَا الخَلْقُ فِي الشُّرْبِ،وَفِي رَيِّ زُرُوعِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ،وَجَعَلَ فِي الأَرْضِ سُبُلاً،فَسَافِرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي أَرْجَائِهَا حَيْثُ شِئْتُمْ،وَتَرَدَّدُوا فِي أَرْجَائِهَا وَأَقَالِيمِهَا طَلَباً لِلرِّزْقِ وَالتِّجَارَةِ،وَكُلُوا مِمَّا أَخْرَجَهُ لَكُمْ مِنْهَا مِنَ الرِّزْقِ،وَإِلَى اللهِ مَرْجِعُ الأَمْرِ،وَإِليهِ يَصِيرُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ جَمِيعاً

[٢٢١٤] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٢١١)

[٢٢١٥] - فى ظلال القرآن ــ موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧١١)

والمَخْلُوقَاتُ تَسْعَى فِي الرِّزْقِ وَفْقَ الأَسْبَابِ اللاَزِمَةِ لَهُ وَلَكِنَّ سَعْيَهَا وَحْدَهُ لاَ يَكْفِي،وَلاَ يُجْدِي عَلَيْهَا نفعاً إِلاَّ أَنْ يُيَسِّرَهُ اللهُ لَهَا،فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لاَ يُنَافِي التَّوَكُلَ [٢٢١٦].

وحث الله تعالى على العمل بقوله: {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (١٠٥) سورة التوبة

هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِمَنْ خَالَفُوا أَوَامِرَهُ،وَتَحْذِيرٌ لَهُمْ بِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ سَتُعْرَضُ عَلَيهِ،وَعَلَى رَسُولِه،وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ،يَوْمَ القِيَامَةِ،وَأَنَّهُمْ سَيُرَدُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى اللهِ،الذي يَعْلَمُ الغَيْبَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،وَهُوَ الشَاهِدُ عَلَى خَلْقِه جَمِيعاً،فَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ عَمَلٍ عَمِلُوهُ . [٢٢١٧]

وحثَّ الرسول ﷺعلى العمل،فعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا،فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِه فِي الأَرْضِ،فقَالَ:مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ،فقَال رَجُلٌ:أَلاَ نَتَّكِلُ ؟ فقَالَ:اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ:{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى،وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى،فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:][٢٢١٨].

وعَنْ جَابِرٍ،أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ،قَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا عَنْ أَمْرِنَا كَأَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْه،أَبِمَا جَرَتْ بِه الأَقْلاَمُ وَثَبَتَتْ بِه الْمَقَادِيرُ،أَوْ بِمَا يُسْتَأْنَفُ ؟ قَالَ:لاَ،بَلْ بِمَا جَرَتْ بِه الأَقْلاَمُ وَثَبَتَتْ بِه الْمَقَادِيرُ،قَالَ:فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا ؟ قَالَ:اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ.قَالَ سُرَاقَةُ:فَلاَ أَكُونُ أَبَدًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ مِنِّي الآنَ."[٢٢١٩]

. وكان الأنبياء جميعًا -عليهم الصلاة والسلام- خير قدوة لنا في العمل والسعي،فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - ﷺ- قَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ ».فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ » [٢٢٢٠].

وكان لكل نبي حرفة وعمل يقوم به،وقد شارك النبي ﷺأصحابه في الأعمال المختلفة،ولم يتميز عليهم كما حدث في بناء المسجد أو حفر الخندق،فكان يحمل التراب والأحجار.

وعَنْ عَبَايَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ،عَنْ أَبِيه،قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ ؟ قَالَ: " كَسْبُ الرَّجُلِ بِيَدِه،وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ "[٢٢٢١]

وعَنِ الْمِقْدَامِ - رضى الله عنه - عَنْ رَسُولِ اللَّه - ﷺ- قَالَ « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ،وَإِنَّ نَبِىَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » [٢٢٢٢]

[٢٢١٦] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١٣٤)

[٢٢١٧] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٤١)

[٢٢١٨] - صحيح البخارى- المكتر - (٤٩٤٥) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٩٠٣) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٤٥) (٣٣٤٩

[٢٢١٩] - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤٩)(٣٣٧) صحيح

[٢٢٢٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٢٦٢) -القراريط : جمع قيراط وهو من أجزاء الدينار

[٢٢٢١] - شعب الإيمان - (٢ / ٤٣٦) (١١٧٤) صحيح

وَعَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ:" مَنْ أَمْسَى كَالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[٢٢٢٣].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ -ﷺ- فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِى النَّبِىَّ -ﷺ- وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ ».[٢٢٢٤]

وللعمل والسعي على الرزق آداب يجب على كل مسلم أن يتحلى بها،منها:

استحضار النية: المسلم يبتغي من عمله إشباع البدن من الحلال وكفه عن الحرام،والتقوِّي على العبادة،وعمارة الأرض. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ- قَالَ:" طَلَبُ الْحَلَالِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ".رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[٢٢٢٥]

عدم تأخير العمل عن وقته: المسلم يقوم بأعماله في أوقاتها دون تأخير،فمن جد وجد،ومن سار على الدرب وصل،وإياك والتسويف،واحذر ليت ولعل وسوف ولو أني...،ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد،وما بلغ من بلغ إلا بالجد والعمل،لا بالتسويف والكسل..

التبكير: فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا."[٢٢٢٦]

وعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا،قَالَ:وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً،أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ،وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا،وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَأَصَابَ مَالاً."[٢٢٢٧]

وعَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ:فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ،إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً بَعَثَ بِهَا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ،وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا،فَكَانَ يَبْعَثُ غِلْمَانَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ،فَكَثُرَ مَالُهُ،وَأَثْرَى.[٢٢٢٨]

الجد في العمل: المسلم يذهب إلى عمله بجد ونشاط،دون تباطؤ أو كسل،فمن جَدَّ وجد،ومن زرع حصد. قال الشافعي رحمه الله [٢٢٢٩]:

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

[٢٢٢٢] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٠٧٢)

[٢٢٢٣] – المعجم الأوسط للطبراني – (٧٧٣٣) والإتحاف ٩/٦ حسن لغيره

فيه سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس روى عنه جماعة وقال الذهبي في الكاشف (٢١٣٩) وثق

[٢٢٢٤] – سنن الترمذى- المكتر – (٢٥١٦) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. – يحترف : يتخذ صنعة يكتسب منها

[٢٢٢٥] – المعجم الأوسط للطبراني – (٨٨٤٨) حسن

[٢٢٢٦] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٤٢٤)(١٣٢٠) من طرق كثيرة عنه وعن غيره وهو حديث متواتر

[٢٢٢٧] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٦٢) (٤٧٥٤) صحيح

[٢٢٢٨] – صحيح ابن حبان – (١١ / ٦٣) (٤٧٥٥) صحيح

[٢٢٢٩] – تراجم شعراء موقع أدب – (١٠ / ٣٤٨)

ومن رام العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال

تروم العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

ونسب لعلى رضي الله عنه[٢٢٣٠] :

لنقلُ الصخر من قلل الجبال أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجَالِ

يَقُولُ النَّاسُ لي في الكسْبِ عارٌ فقلت العار في ذل السؤال

بَلَوْتُ النَّاسَ قرنا بَعْدَ قَرْنٍ و لم أر مثل محتالٍ بمالِ

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأشياءِ طُرّا فَمَا طعْمٌ أَمَرُّ مِنَ السؤالِ

وَلَمْ أرَ في الخُطُوْبِ أشدَّ هولاً وأصعب من مقالات الرجالِ

إتقان العمل: المسلم يتقن عمله ويحسنه قدر المستطاع. فعَنْ عَائِشَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: " إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ "[٢٢٣١] .

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ،وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ.[٢٢٣٢] في العمل:فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ،فَإِنَّ خَيْرَ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ،وَإِنْ قَلَّ."[٢٢٣٣]

التواضع: الكبر في الأمور كلها مذموم،فعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ،وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ..[٢٢٣٤]

فلْيتواضع كل رئيس لمرءوسيه،ولْيتعاون كل مرءوس مع رئيسه،ولنا في رسول الله ﷺالقدوة الحسنة؛ فقد كان يعاون أصحابه فيما يقومون به من عمل،ويساعد أهله في تواضع عظيم.

[٢٢٣٠] – تراجم شعراء موقع أدب – (١٣ / ١٠٢)

[٢٢٣١] – شعب الإيمان – (٧ / ٢٣٤) (٤٩٣١) صحيح لغيره

[٢٢٣٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٥١٦٧) وصحيح ابن حبان – (١٣ / ١٩٩) (٥٨٨٣)

[٢٢٣٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٣٢١)(٨٦٠٠) ٨٥٨٤- صحيح لغيره

[٢٢٣٤] – صحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٩٣) (٥٦٨٠) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : فِي هَذَا الْخَبَرِ مَعْنَيَانِ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا وَهُوَ الَّذِي نَوَّعْنَا لَهُ النَّوْعَ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ أَرَادَ بِهِ جَنَّةً عَالِيَةً يَدْخُلُهَا غَيْرُ الْمُتَكَبِّرِينَ ، وَقَوْلُهُ : وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ أَرَادَ بِهِ نَارًا سَافِلَةً يَدْخُلُهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي : لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَصْلاً مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ ، أَرَادَ بِالْكِبْرِ الشِّرْكَ ، إِذِ الْمُشْرِكُ لاَ يَدْخُلُ جَنَّةً مِنَ الْجِنَّانِ أَصْلاً ، وَقَوْلُهُ : لاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ أَرَادَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْخُلُودِ ، حَتَّى يَصِحَّ الْمَعْنَيَانِ مَعًا.

عدم الانشغال بعمل الدنيا عن العبادة والطاعة: المسلم يعمل لكي يحصل على الكسب الطيب له ولأسرته،وهو عندما يعمل يكون واثقًا من تحقيق أمر الله؛ إذ يقول: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (١٥) سورة الملك].

فالله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها،فامشوا في نواحيها وجوانبها،وكلوا من رزق الله الذي يخرجه لكم منها،وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء. وفي الآية إيماء إلى طلب الرزق والمكاسب،وفيها دلالة على أن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له،وعلى قدرته،والتذكير بنعمه،والتحذير من الركون إلى الدنيا.[٢٢٣٥]

وإذا كان العمل لاكتساب الرزق وإعفاف النفس عن المسألة عبادة في

حد ذاته،فإن ذلك لا يشغلنا عن طاعة الله فيما أمرنا به من سائر العبادات.

البعد عن العمل الحرام: المسلم يختار عملا لا يتعارض مع أصل شرعي،فلا يعمل في بيع الخمور أو فيما شابه ذلك. فعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: " يَا كَعْبُ كَيْفَ بِكَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَا أَنَا مِنْهُ،وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ حَوْضِي،يَا كَعْبُ،إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ،وَلَا دَمٌ نَبَتَا مِنْ سُحْتٍ كُلُّ لَحْمٍ وَدَمٍ نَبَتَا مِنْ سُحْتٍ،فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ،يَا كَعْبُ،النَّاسُ رَجُلَانِ غَادِيَانِ،وَرَائِحَانِ غَادٍ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِهِ فَمُعْتِقُهَا،وَغَادٍ فَمُوبِقُهَا،يَا كَعْبُ،الصَّلَاةُ بُرْهَانٌ،وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ،وَالصَّدَقَةُ تُذْهِبُ الْخَطِيئَةَ،كَمَا تَذْهَبُ الْجَامِدَةُ عَلَى الصَّفَا " [٢٢٣٦]

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ: " كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ " [٢٢٣٧]

الأمانة: المسلم أمين في عمله؛ لا يغش ولا يخون،ولا يتقاضى رشوة من عمله وهو حافظ لأسرار العمل،ويؤديه على أكمل وجه،وكذلك صاحب العمل عليه أن يحفظ للعاملين حقوقهم؛ فيدفع لهم الأجر المناسب دون ظلم،ولا يكلفهم ما لا يطيقون من العمل،كما أنه يوفر لهم ما يحتاجون إليه من رعاية صحية واجتماعية. فعن الْمَعْرُورَ بْنِ سُوَيْدٍ،قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ،فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَشَكَانِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ " ؟ ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ،جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ،وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ،وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ،فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ "[٢٢٣٨]

[٢٢٣٥] – التفسير الميسر – (١٠ / ٢٠٥)

[٢٢٣٦] – شعب الإيمان – (٧ / ٥٠٧)(٥٣٧٨) حسن

[٢٢٣٧] – شعب الإيمان – (٧ / ٥٠٥) (٥٣٧٥) صحيح لغيره

[٢٢٣٨] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٠) وشعب الإيمان –(١١ / ٧٢)(٨١٩٨)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ،قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ.[٢٢٣٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ:رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ،وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ،وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ.[٢٢٤٠]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[٢٢٣٩] – سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة – (٣ / ٥١٠)(٢٤٤٣) حسن

[٢٢٤٠] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٢٢٧) ومسند أحمد (عالم الكتب) – (٣ / ٣٤١)(٨٦٩٢) ٨٦٧٧-

-٥٣- آداب الحزن في الإسلام

الأمة العظيمة تكون قوية في أفراحها قوية في أحزانها،لا تضعفها المصائب ولا تزعزعها النوائب كالجبال الراسيات لا تنال منها الأحداث إلا بمثل ما تنال من الجبال الرياح الشديدة.

لهذا كله رسم لنا الإسلام منهجاً في النوازل ينبغي أن نتبع خطاه ولا نبتعد عنه قيد شعرة إذا كنا من ذوي الإيمان الصحيح والعزيمة القوية الجديرة بالحياة.

بل وبين لنا أن الابتلاء لا بد منه،فقال تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) } [آل عمران:١٨٥،١٨٦]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ سَتَذُوقُ طَعْمَ المَوْتِ،وَتُحِسُّ بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ.وَاسْتَدَّلَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى أَنَّ الأَرْوَاحَ لاَ تَمُوتُ بِمَوتِ البَدَنِ،لأَنَّ الذَّوْقَ شُعُورٌ لاَ يُحِسُّ بِهِ إلاَّ الحَيُّ،وَهُوَ تَعَالَى وُحْدَهُ الحَيُّ الذي لاَ يَمُوتُ.وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُحْشَرُ النَّاسُ إلى اللهِ،وَتُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ أجُورَهَا عَمَّا اكْتَسَبَتْهُ مِنْ أَعْمَالٍ،فَمِنْ جُنِّبَ النَّارَ،وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ،فَقَدْ فَازَ كُلَّ الفَوْزِ .وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ إلاَّ مَتَاعاً تَافِهاً زَائِلاً،صَاحِبُهُ مَغْرُورٌ مَخْدُوعٌ،وَهُوَ مَتَاعٌ مَتْرُوكٌ يُوشِكُ أنْ يَضْمَحِلَّ عَنْ أهْلِهِ.يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ،وَيَقُولُ لَهُ:إنَّهُ وَأصْحَابَهُ سَيَلْقَوْنَ مِنَ الكُفَّارِ أَذًى كَثِيراً فِي النَّفْسِ وَالمَالِ،كَمَا لَقُوهُ مِنْهُمْ مِنْ أَذًى يَوْمَ أحُدٍ،وَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ يُوَطِّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِ،إذْ لاَ بُدَّ مِنْ أنْ يَبْتَلِيَ اللهُ المُؤْمِنَ فِي شَيءٍ مِنْ مَالِهِ،أوْ نَفْسِهِ أو وَلَدِهِ أوْ أَهْلِهِ...وَابْتِلاءُ المُؤْمِنِ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ،فَإنْ كَانَ فِيهِ صَلاَبَةٌ فِي دِينِهِ زِيدَ فِي بَلاَئِهِ.وَنَبَّهَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الكَرِيمُ وَالمُؤْمِنِينَ عِنْدَ مَقْدَمِهِمْ إلَى المَدِينَةِ (وَقَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ) إلَى أَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ مِنَ اليَهُودِ وَمِنَ المُشْرِكِينَ أَذًى كَثِيراً:مِنَ التَّقَوُّلِ وَالإرْجَافِ،وَنَقْضِ العُهُودِ وَبَثِّ الشَّائِعَاتِ،وَمُحَاوَلَةِ الإيذَاءِ...وَيَأمر اللهُ نَبِيَّهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِالصَّفْحِ وَالصَّبْرِ وَالعَفْوِ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ،وَلا يَصْبِرُ عَلَى احْتِمَالِ ذَلِكَ إلاَّ أولُو العَزْمِ الأَقْوِيَاءُ .[٢٢٤١]

إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس:حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة،محدودة بأجل ثم تأتي نهايتها حتما .. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم،ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن .. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية،ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.الكل يموت .. «كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ» .. كل نفس تذوق

[٢٢٤١] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٧٨)

هذه الجرعة،وتفارق هذه الحياة .. لا فارق بين نفس ونفس في تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع. إنما الفارق في شيء آخر.

الفارق في قيمة أخرى. الفارق في المصير الأخير:«وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ. فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» ..هذه هي القيمة التي يكون فيها الافتراق. وهذا هو المصير الذي يفترق فيه فلان عن فلان. القيمة الباقية التي تستحق السعي والكد. والمصير المخوف الذي يستحق أن يحسب له ألف حساب:«فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ» ..ولفظ «زُحْزِحَ» بذاته يصور معناه بجرسه،ويرسم هيئته،ويلقي ظله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها،ويدخل في مجالها! فهو في حاجة إلى من يزحزحه قليلا قليلا ليخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها،ويستنقذ من جاذبيتها،ويدخل الجنة .. فقد فاز ..صورة قوية. بل مشهد حي. فيه حركة وشد وجذب! وهو كذلك في حقيقته وفي طبيعته. فللنار جاذبية! أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس في حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هي زحزحتها عن النار! أليس الإنسان – حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة – يظل أبدا مقصرا في العمل .. إلا أن يدركه فضل اللّه؟ بلى! وهذه هي الزحزحة عن النار حين يدرك الإنسان فضل اللّه،فيزحزحه عن النار! «وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلَّا مَتاعُ الْغُرُورِ» ..

إنها متاع. ولكنه ليس متاع الحقيقة،ولا متاع الصحو واليقظة .. إنها متاع الغرور. المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعا. أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع! فأما المتاع الحق. المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله .. فهو ذاك .. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار.

وعند ما تكون هذه الحقيقة قد استقرت في النفس. عند ما تكون النفس قد أخرجت من حسابها حكاية الحرص على الحياة – إذ كل نفس ذائقة الموت على كل حال – وأخرجت من حسابها حكاية متاع الغرور الزائل ..

عندئذ يحدث اللّه المؤمنين عما ينتظرهم من بلاء في الأموال والأنفس. وقد استعدت نفوسهم للبلاء:«لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ،وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً. وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» ..

إنها سنة العقائد والدعوات. لا بد من بلاء،ولا بد من أذى في الأموال والأنفس،ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام.

إنه الطريق إلى الجنة. وقد حفت الجنة بالمكاره. بينما حفت النار بالشهوات.

ثم إنه هو الطريق الذي لا طريق غيره،لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة،وتنهض بتكاليفها. طريق التربية لهذه الجماعة وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال. وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة.

ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عودا. فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها إذن والصبر عليها ..فهم عليها مؤتمنون.

وذلك لكي تعز هذه الدعوة عليهم وتغلو،بقدر ما يصيبهم في سبيلها من عنت وبلاء،وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغال. فلا يفرطوا فيها بعد ذلك،مهما تكن الأحوال.

وذلك لكي يصلب عود الدعوة والدعاة. فالمقاومة هي التي تستثير القوى الكامنة،وتنميها وتجمعها وتوجهها.

والدعوة الجديدة في حاجة إلى استثارة هذه القوى،لتتأصل جذورها وتتعمق وتتصل بالتربة الخصبة الغنية في أعماق الفطرة ..وذلك لكي يعرف أصحاب الدعوة حقيقتهم هم أنفسهم وهم يزاولون الحياة والجهاد مزاولة عملية واقعية. ويعرفوا حقيقة النفس البشرية وخباياها. وحقيقة الجماعات والمجتمعات. وهم يرون كيف تصطرع مبادئ دعوتهم،مع الشهوات في أنفسهم وفي أنفس الناس. ويعرفون مداخل الشيطان إلى هذه النفوس،ومزالق الطريق،ومسارب الضلال! ثم .. لكي يشعر المعارضون لها في النهاية أنه لا بد فيها من خير،ولا بد فيها من سر،يجعل أصحابها يلاقون في سبيلها ما يلاقون وهم صامدون .. فعندئذ قد ينقلب المعارضون لها إليها .. أفواجا .. في نهاية المطاف! إنها سنة الدعوات. وما يصبر على ما فيها من مشقة ويحافظ في ثنايا الصراع المرير على تقوى اللّه،فلا يشط فيعتدي وهو يرد الاعتداء ولا ييأس من رحمة اللّه ويقطع أمله في نصره وهو يعاني الشدائد .. ما يصبر على ذلك كله إلا أولو العزم الأقوياء :« وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» ..

وهكذا علمت الجماعة المسلمة في المدينة ما ينتظرها من تضحيات وآلام. وما ينتظرها من أذى وبلاء في الأنفس والأموال. من أهل الكتاب من حولها. ومن المشركين أعدائها .. ولكنها سارت في الطريق. لم تتخاذل،ولم تتراجع،ولم تنكص على أعقابها .. لقد كانت تستيقن أن كل نفس ذائقة الموت. وأن توفية الأجور يوم القيامة. وأنه من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز. وأن الحياة الدنيا ما هي إلا متاع الغرور .. على هذه الأرض الصلبة المكشوفة كانت تقف وفي هذا الطريق القاصد الواصل كانت تخطو .. والأرض الصلبة المكشوفة باقية لأصحاب هذه الدعوة في كل زمان. والطريق القاصد الواصل مفتوح يراه كل إنسان. وأعداء هذه الدعوة هم أعداؤها،تتوالى القرون والأجيال وهم ماضون في الكيد لها من وراء القرون والأجيال ..والقرآن هو القرآن ..

وتختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان وتختلف وسائل الدعاية ضد الجماعة المسلمة،ووسائل إيذائها في سمعتها وفي مقوّماتها وفي أعراضها وفي أهدافها وأغراضها .. ولكن القاعدة واحدة:«لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً»! ولقد حفلت السورة بصور من مكايد أهل الكتاب والمشركين وصور من دعايتهم للبلبلة والتشكيك.

أحيانا في أصول الدعوة وحقيقتها،وأحيانا في أصحابها وقيادتها. وهذه الصور تتجدد مع الزمان. وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة،وتوجه كلها إلى الإسلام في أصوله الاعتقادية،وإلى الجماعة المسلمة والقيادة الإسلامية. فلا تخرج على هذه القاعدة التي كشف اللّه عنها للجماعة المسلمة الأولى،وهو يكشف لها عن طبيعة الطريق،وطبيعة الأعداء الراصدين لها في الطريق ..

ويبقى هذا التوجيه القرآني رصيدا للجماعة المسلمة كلما همت أن تتحرك بهذه العقيدة،وأن تحاول تحقيق منهج اللّه في الأرض فتجمعت عليها وسائل الكيد والفتنة،ووسائل الدعاية الحديثة،لتشويه أهدافها،وتمزيق أوصالها .. يبقى هذا التوجيه القرآني حاضرا يجلو لأبصارها طبيعة هذه الدعوة،وطبيعة طريقها. وطبيعة أعدائها الراصدين لها في الطريق. ويبث في قلبها الطمأنينة لكل ما تلقاه من وعد اللّه ذاك فتعرف حين تتناوشها الذئاب بالأذى،وحين تعوي حولها بالدعاية،وحين يصيبها الابتلاء والفتنة .. أنها سائرة في الطريق،وأنها ترى معالم الطريق! ومن ثم تستبشر بالابتلاء والأذى والفتنة والادعاء الباطل عليها وإسماعها ما يكره وما يؤذي .. تستبشر بهذا كله،لأنها تستيقن منه أنها ماضية في الطريق التي وصفها اللّه لها من قبل. وتستيقن أن الصبر والتقوى هما زاد الطريق. ويبطل عندها الكيد والبلبلة ويصغر عندها الابتلاء والأذى وتمضي في طريقها الموعود،إلى الأمل المنشود .. في صبر وفي تقوى .. وفي عزم أكيد ..[٢٢٤٢]

ولما كانت الغالبية من الناس تنسى عند المصائب وتخرج عن طورها في النائبات حتى تقع في شر عملها وتضاعف من مصيبتها وتظهر بمظهر القلق المضطرب وتخسر كثيراً من أموالها،لهذا كله اذكّر هذه الأسر بممارسة الإسلام حين يتزل بهم ما لا بد منه من النكبات والمصائب.

١- الترجيع عند المصيبة،قال تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]

وعن أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -ﷺ- قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقُولُ:" مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَتْ: ثُمَّ عَزَمَ اللهُ لِي فَقُلْتُهَا: اللهُمَّ أْجُرْنِي عَنْ مُصِيبَتِي وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.[٢٢٤٣]

[٢٢٤٢] - فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع - (١ / ٥٣٨)

[٢٢٤٣] - صحيح مسلم- المكتز - (٢١٦٦)

٢- الصبر،فعَنْ أَنَسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،مَرَّ بِامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ تَبْكِي،فَقَالَ:يَا هَذِه،اصْبِرِي،فَقَالَتْ:إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا مُصَابِي فَقِيلَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ:هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَأَتَتْهُ،فَقَالَتْ:لَمْ أَعْرِفْكَ.[٢٢٤٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - قَالَ مَرَّ النَّبِىُّ - ﷺ- بِامْرَأَةٍ تَبْكِى عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ « اتَّقِى اللَّهَ وَاصْبِرِى ».قَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّى،فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِى،وَلَمْ تَعْرِفْهُ.فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ النَّبِىُّ - ﷺ-.فَأَتَتْ بَابَ النَّبِىِّ - ﷺ- فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ لَمْ أَعْرِفْكَ.فَقَالَ « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ».[٢٢٤٥]

٣- ترك النوح والدعوة بدعوة الجاهلية،وشوق الجبيب،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ وَضَرَبَ الْخُدُودَ وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ».[٢٢٤٦]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺلَعَنَ النَّائِحَةَ وَالْمُسْتَمِعَةَ،وَقَالَ:لَيْسَ لِلنِّسَاءِ فِي الْجَنَازَةِ نَصِيبٌ."[٢٢٤٧]

وعَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ قَالَتْ كَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فِى الْمَعْرُوفِ الَّذِى أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ لاَ نَعْصِيَهُ فِيهِ أَنْ لاَ نَخْمِشَ وَجْهًا وَلاَ نَدْعُوَ وَيْلاً وَلاَ نَشُقَّ جَيْبًا وَأَنْ لاَ نَنْشُرَ شَعْرًا.[٢٢٤٨]

وعن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ:مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ،وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ."[٢٢٤٩]

٤- النهي عن الحداد فوق ثلاث إلا على زوج،هذا وقد جرت عادة بعض النساء أن تحزن على أبيها وأخيها سنين طويلة فنهى الإسلام عن ذلك،فعَنْ حُمَيْدِ بْنِ نَافِعٍ،عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ،أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ بِهَذِهِ الأَحَادِيثِ الثَّلاَثِ،قَالَتْ زَيْنَبُ:دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ،فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ خَلُوقٌ،أَوْ غَيْرُهُ،فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً،ثُمَّ مَسَّتْ بِهِ بَطْنَهَا،ثُمَّ قَالَتْ:وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تَحُدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.[٢٢٥٠]

وقد تفنن البسطاء في وضع القيود للمرأة في عدتها،وكل ذلك لا أصل له في الدين إلا أن تترك الزينة فقط خلال هذه المدة،ولا تخرج من بيتها إلا لضرورة،ولا تخطب ولا تتزوج أثناء العدة

كما جرت العادة أيضاً في أكثر البيوتات إقامة الولائم على روح الميت في يوم خميسه ويومه الثالث ويوم الأربعين وبعد انقضاء سنة على وفاته،وكل ذلك لا أصل له في الدِّين،بل هو من البدع التي

[٢٢٤٤] - صحيح ابن حبان - (٧ / ١٥٤) (٢٨٩٥) وصحيح البخارى- المكتر - (١٢٥٢)

[٢٢٤٥] - صحيح البخارى- المكتر - (١٢٨٣)

[٢٢٤٦] - سنن الترمذى- المكتر - (١٠١٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[٢٢٤٧] - كشف الأستار - (١ / ٣٧٦) (٧٩٣) فيه ضعف

[٢٢٤٨] - سنن أبي داود - المكتر - (٣١٣٣) صحيح

[٢٢٤٩] - كشف الأستار - (١ / ٣٧٧)(٧٩٥) حسن

[٢٢٥٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٥٣٣٤) وصحيح ابن حبان - (١٠ / ١٤٠) (٤٣٠٤)

تسبب تبذير أموال الأيتام والأرامل. بل السنَّة في ذلك أن يقدِّم الأصحاب لأهل الميت الطعـــام،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ،قَالَ:لَمَّا جَاءَ نَعْيُ جَعْفَرٍ حِينَ قُتِلَ،قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَـــرٍ طَعَامًا،فَقَـــدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ،أَوْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ."[٢٢٥١]

[٢٢٥١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (١ / ٥٤٦)(١٧٥١) صحيح

وانظر تفاصيل هذا الموضوع في كتابي ((الاستعداد للموت)) ط٢

-٥٤- آداب معاملة الحيوان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ،اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ،فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا،فَشَرِبَ،ثُمَّ خَرَجَ،فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ،يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ،فَقَالَ الرَّجُلُ:لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي،فَنَزَلَ الْبِئْرَ،فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً،ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ،فَسَقَى الْكَلْبَ،فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ،فَغَفَرَ لَهُ فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا ؟ فَقَالَ ﷺ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ. [٢٢٥٢]

خلق الله الإنسان وكرمه،وسخر له الحيوانات لتخدمه في قضاء حوائجه؛ فيستفيد من لحومها وألبانها،ويرتدي الملابس من صوفها وجلودها،ويتخذ من بعضها زينة وطيبًا. قال تعالى: { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) } [النحل:٥ - ٨]

يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَهُ لَهُمْ مِنَ الأَنْعَامِ (وَهِيَ الإِبْلُ وَالبَقَرُ وَالغَنَمُ وَالمَاعِزُ) وَبِمَا جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ المَنَافِعِ،مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا يَلْبَسُونَ وَيَفْتَرِشُونَ (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)،وَمِنْ لُحُومِهَا وَأَلْبَانِهَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ .وَلَهُمْ فِيهَا زِينَةٌ وَبَهْجَةٌ لِلنَّفْسِ،حِينَ تَرْجِعُ مِنَ المَرْعَى عَشِيَّةً شَبْعَى رَيَّا (حِينَ تُرِيحُونَ)،وَحِينَ تَغْدُو إِلَى مَرَاعِيهَا صَبَاحاً (حِينَ تَسْرَحُونَ).وَهِيَ تَحْمِلُ أَيْضاً مَتَاعَكُمْ وَأَحْمَالَكُمُ الثَّقِيلَةَ (أَثْقَالَكُمْ) التِي تَعْجَزُونَ عَنْ حَمْلِها وَنَقْلِهَا فِي أَسْفَارِكُمْ إِلَى بَلادٍ بَعِيدَةٍ،لَمْ تَكُونُوا لِتَبْلُغُوهَا بِأَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِمَشَقَّةٍ زَائِدَةٍ،وَلَكِنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا،وَلِتَحْمِلُوا عَلَيْهَا أَثْقَالَكُمْ،لأَنَّهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِعِبَادِهِ رَحِيمٌ .وَخَلَقَ اللهُ الخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِلرُّكُوبِ وَالزِّينَةِ،وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَخْلُوقَاتٍ وَوَسَائِلَ أُخْرَى لاَ يَعْلَمُهَا النَّاسُ،تُفِيدُ فِي الزِّينَةِ والرُّكُوبِ (كَالقُطُرِ وَالسُّفُنِ وَالطَّائِرَاتِ...) .[٢٢٥٣]

ومن الآداب التي يلتزم بها المسلم عند تعامله مع الحيوان:

شكر الله على هذه النعمة: وذلك بحسن استخدامها والاستفادة منها،وأداء حق الله فيها من الزكاة والصدقات،إذا كانت مما تزكّى .

[٢٢٥٢] - صحيح البخارى- المكتر - (٢٣٦٣) وصحيح مسلم- المكتر - (٥٩٩٦) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٣٠٢)(٥٤٤)

[٢٢٥٣] - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٠٧)

الرحمة بالحيوانات: المسلم يوفر للحيوانات الطعام والشراب والمكان المناسب،وقد كانت العرب تهتم بالخيول،وتحرص على تربيتها،وانتقاء سلالاتها الجيدة،عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- رُئِيَ وَهُوَ يَمْسَحُ وَجْهَ فَرَسِهِ بِرِدَائِهِ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ « إِنِّى عُوتِبْتُ اللَّيْلَةَ فِى الْخَيْلِ ».[٢٢٥٤].

وعَنْ كَبْشَةَ بِنْتِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ،وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ أَبِي قَتَادَةَ،أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ دَخَلَ عَلَيْهَا،فَسَكَبَتْ لَهُ وَضُوءَهُ،فَجَاءَتْ هِرَّةٌ تَشْرَبُ مِنْهُ،فَأَصْغَى لَهَا الإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ.قَالَتْ كَبْشَةُ:فَرَآنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ،فَقَالَ أَتَعْجَبِينَ يَا بِنْتَ أَخِي ؟ فَقَالَتْ:نَعَمْ.فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ."[٢٢٥٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ:دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا،فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا،وَلاَ هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ.[٢٢٥٦]

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا،أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا،فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ،أَوْ إِنْسَانٌ،أَوْ بَهِيمَةٌ إِلا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ[٢٢٥٧].

عدم تحميلها ما لا تُطيق: المسلم لا يشق على الحيوان بتحميله ما لا يطيق،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ،قَالَ:أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺخَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ،فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا النَّاسِ،وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺلِحَاجَتِهِ هَدَفًا،أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ،قَالَ:فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ،فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺحَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ،فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺفَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ،فَقَالَ:" مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ،لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ "،فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ:لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ.فَقَالَ:" أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟،فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ "[٢٢٥٨]

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ »[٢٢٥٩].

وعَنْ خَالِدِ بن مَعْدَانَ،عَنْ أَبِيهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ،وَيَرْضَاهُ،وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ،فَإِذَا رَكِبْتُمْ هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ،فَأَنْزِلُوهَا مَنَازِلَهَا،فَإِنْ أَجْدَبَتِ

[٢٢٥٤] – موطأ مالك- المكتر – (١٠٠٧) صحيح مرسل

[٢٢٥٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٧ / ٥١٤)(٢٢٥٨٠) ٢٢٩٥٠- صحيح

[٢٢٥٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٣٣١٨)وصحيح مسلم- المكتر – (٧١٥٧و٧١٥٨) وصحيح ابن حبان – (١٢ / ٤٣٨) (٥٦٢١)

الخشاش : هوام الأرض وحشراتها واحده خَشَاشَة

[٢٢٥٧] – صحيح البخارى- المكتر – (٢٣٢٠) وصحيح مسلم- المكتر – (٤٠٥٠-٤٠٥٦) من طرق كثيرة ،شعب الإيمان – (٥ / ١٤٩) (٣٢٢٢)

[٢٢٥٨] – سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ(٢٢٢٩) صحيح –تدئبه :تتعبه وترهقه

[٢٢٥٩] – صحيح مسلم- المكتر – (٦٧٦٦)

الأَرْضُ،فَانْجُوا عَلَيْهَا،فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ مَا لا تُطْوَى بِالنَّهَارِ،وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ بِالطَّرِيقِ،فَإِنَّهُ طَرِيقُ الدَّوَابِّ وَمَأْوَى الْحَيَّاتِ.[٢٢٦٠]

عدم تعذيب الحيوانات أو إيذائها: حث الإسلام على الرحمة والشفقة،لذلك فإن المسلم لا يعذب حيوانًا أو طائرًا،خاصة إذا كان هذا التعذيب بالنار،أي عدم تعذيبها بأي نوع من العذاب سواء كان بتجويعها،أو ضربها،أو تحميلها ما لا تطيق،أوبالمثلة بها،أو حرقها بالنار.

فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِى سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ فَجَاءَ النَّبِىُّ -ﷺ- فَقَالَ « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ». قُلْنَا نَحْنُ. قَالَ « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ »[٢٢٦١].

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِى وَجْهِهِ فَقَالَ « لَعَنَ اللَّهُ الَّذِى وَسَمَهُ »[٢٢٦٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا،أَنَّهُ سَمِعَهَا تَقُولُ:كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ،فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ،فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ،فَإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ،وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ."[٢٢٦٣]

ويجواز وسم النِّعم في آذانها للمصلحة،فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺبِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ لِيُحَنِّكَهُ،فَوَافَيْتُهُ بِيَدِهِ الْمِيسَمُ يَسِمُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ[٢٢٦٤].

عدم اتخاذها غرضًا للرمي: المسلم لا يجعل من الطيور أو الحيوانات هدفًا للرمي فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ مِنْ مَنْزِلِهِ،فَمَرَرْنَا بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَصَبُوا طَيْرًا يَرْمُونَهُ،وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ.قَالَ:فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا،فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا.[٢٢٦٥].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَنَسٍ عَلَى الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ،فَرَأَى غِلْمَانًا - أَوْ فِتْيَانًا - نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَهَا.فَقَالَ أَنَسٌ نَهَى النَّبِىُّ - ﷺ- أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ.[٢٢٦٦]

عدم التفريق بين الطيور الصغيرة وأمهاتها: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِى سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ

[٢٢٦٠] – المعجم الكبير للطبراني – (١٥ / ٢٩٧)(١٧٢٤١) صحيح لغيره

[٢٢٦١] – سنن أبي داود – المكتر – (٢٦٧٧) صحيح – حمرة : طائر صغير كالعصفور

[٢٢٦٢] – صحيح مسلم- المكتر – (٥٦٧٤) –وسم : عُلم بالكى

[٢٢٦٣] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٨ / ٢٢٠)(٢٤٩٣٨) ٢٥٤٥١- صحيح

[٢٢٦٤] – صحيح البخارى- المكتر – (١٥٠٢) وصحيح مسلم- المكتر – (٥٦٨٠) وصحيح ابن حبان – (١٠ / ٣٩٥)(٤٥٣٣) الميسم : المكواة التى تُعَلَّم بها الدواب- يسم : يُعَلِّم بالكى

[٢٢٦٥] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٤٢٣)(٥٥٨٧) وصحيح مسلم- المكتر – (٥١٧٤)

[٢٢٦٦] – صحيح البخارى- المكتر – (٥٥١٣) –تصبر : تحبس وترمى حتى تموت

فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ « مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا ». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ « مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ ». قُلْنَا نَحْنُ. قَالَ « إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ ».[٢٢٦٧]

الرفق بالحيوان عند ذبحه: المسلم لا يذبح الحيوانات ولا يصطادها إلا بسبب شرعي؛ وعليه حينئذ أن يلتزم تجاه هذه الحيوانات الرفق والإحسان. فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ،قَالَ:ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ،وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ،وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ.[٢٢٦٨]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[٢٢٦٩]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ،قَالَ:سَمِعْتُ الشَّرِيدَ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ:يَا رَبِّ،إِنَّ فُلاَنًا قَتَلَنِي عَبَثًا،وَلَمْ يَقْتُلْنِي مَنْفَعَةً."[٢٢٧٠]

عدم التمثيل بالحيوان: المسلم لا يؤذى الحيوان بقطع آذانه أو عضو من أعضائه وهو حي،فعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺأُرَاهُ ابْنَ عُمَرَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ:مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ،ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مَثَّلَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[٢٢٧١].

عدم قتلها إلا لضرورة: قد يؤدي سوء تعامل الإنسان مع بعض الأنواع من الحيوانات إلى الإخلال بالتوازن البيئي،فمثلا: في بعض المناطق لجأ الإنسان إلى قتل القطط،فازداد عدد الفئران،وأصبحت تمثل خطرًا على المحاصيل،مما كلف الإنسان أموالا طائلة،لصنع سموم ومبيدات للتخلص من الفئران.

ويجوز قتل المؤذي منها كالكلب العقور والذئب والحية والعقرب،والفار وما إلى ذلك،فعَنْ سَالِمٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَتْ حَفْصَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- « خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لاَ حَرَجَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُنَّ الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ » .[٢٢٧٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلا كَلْبَ مَاشِيَةٍ،أَوْ صَيْدٍ،أَوْ زَرْعٍ،انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ "[٢٢٧٣]

[٢٢٦٧] – سنن أبي داود – المكتر – (٢٦٧٧) صحيح –حمرة : طائر صغير كالعصفور

[٢٢٦٨] – صحيح مسلم– المكتر – (٥١٦٧) وصحيح ابن حبان – (١٣ / ٢٠٠)(٥٨٨٤)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَرَادَ بِقَوْلِهِ : أَحْسَنُوا الْقِتْلَةَ فِي الْقِصَاصِ.

[٢٢٦٩] – شعب الإيمان – (١٣ / ٤١٥) (١٠٥٥٩) حسن

[٢٢٧٠] – صحيح ابن حبان – (١٣ / ٢١٤)(٥٨٩٤) صحيح

[٢٢٧١] – مسند أحمد (عالم الكتب) – (٢ / ٤٣٧)(٥٦٦١) حسن

[٢٢٧٢] – صحيح البخارى– المكتر – (١٨٢٨)

[٢٢٧٣] – مصنف عبد الرزاق (١٩٦١٣) صحيح

علاج الحيوان إذا مرض: المسلم يحرص على مداواة الحيوان الذي يملكه،ويتعامل معه برفق.

عدم التشاغل بها عن طاعة الله تعالى أو اللهو بها عن ذكره،ككثير من المسابقات التي تجري اليوم بين الحيوانات بلا مبرر،وتصرف عليها الأموال الطائلة وتهدر الأوقات وتضيع الواجبات الشرعية،فال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (٩) سورة المنافقون

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه،لا تَشْغَلْكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته،ومن تشغَله أمواله وأولاده عن ذلك،فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته[٢٢٧٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ: " الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ،وَلِرَجُلٍ سَتْرٌ،وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ،فَأَمَّا الَّذِي أُجِرَ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ،فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ،أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ،وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا ذَلِكَ،فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا،أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ،وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ،فَشَرِبَتْ مِنْهُ،وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ،كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ،فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ.وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا،وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا،فَهِيَ لِذَلِكَ سَتْرٌ وَجَلَّ.وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً،وَنَوْأً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ،فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ " "[٢٢٧٥]

[٢٢٧٤] – التفسير الميسر – (١٠ / ١٤٥)

[٢٢٧٥] – صحيح البخارى– المكتر – (٢٨٦٠)

استنت : جرت وعدت –الطيل : حبل يشد به قائمة الدابة –المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير تخلى فيه الدواب تسرح مختلطة كيف شاءت –النواء : العداوة

-٥٥- أدب الحوار

أهمية الحوار :

تبرز أهمية الحوار من جانبين:

.الجانب الأول: دعوة الناس إلى الإسلام والسنة:

فتعقد لذلك محاورات مع غير المسلمين؛ لإقناعهم بأن دين الله تعالى حق لا شك فيه،أو مع مبتدعين منحرفين عن السنة؛ لدعوتهم إلى السنة،وأمرهم بالتزامها.

والقرآن الكريم حافل بنماذج من مثل هذه الحوارات التي جرت بين أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم،حتى إن قوم نوح قالوا له: (يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [هود:٣٢]،فأكثر جدالهم حتى تبرَّموا من كثرة جداله لهم،والجدال نوع من الحوار.

إننا بحاجة إلى أن نحاور أصحاب المذاهب والنظريات والأديان الأخرى؛ بهدف دعوتهم إلى الله تعالى،فالحوار وسيلة من وسائل الدعوة.

ولا يجوز أبدًا أن نعتقد -كما يعتقد الكثيرون- أن العالم اليوم يعيش حالة إفلاس من النظريات والعقائد والمبادئ والمثل،فهذا غير صحيح؛ بل العالم اليوم يعيش حالة تخمة من كثرة النظريات والمبادئ والعقائد والمثل والفلسفات وغيرها،صحيح أنها باطلة،ولكن هذا الركام الهائل من الباطل مدجج بأقوى أسلحة الدعوة والدعاية،والدعاة الذين تدرَّبوا وتعلَّموا كيف يدافعون عن الباطل حتى يصبح في نظر الناس حقًّا.

أما أهل الحق فكثير منهم لا يحسن الطريقة المثلى للحوار؛ لإقناع الخصم بما لديه من الحق والسنة.

وقد لا يحسن هؤلاء أن يناقش بعضهم بعضًا،إلا من خلال فوهات المدافع والبنادق،فإن لم يملكوها،فمن خلال الأفواه التي تطلق من الكلمات الحارة الجارحة،ما هو أشد فتكًا من الرصاص والقذائف.

إذن،فإن الهدف الأول من الحوار هو دعوة الكفار إلى الإسلام،أو دعوة الضالين من المبتدعة إلى السنة.

الجانب الثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية:

فالحوار يُعد وسيلة للوصول إلى اليقين والحق في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين،فيتكلم اثنان في محاورة أو مناظرة للوصول إلى الحق في مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح،أو إجماع لا يجوز تعديه.

وليس من الضروري -أيها القارئ الكريم- أن تعتقد أن نتيجة الحوار لابد أن تكون إقناعك الطرف الآخر بأن ما عندك حق،وما عنده باطل،فليس هذا بلازم،فقد تقنع إنسانًا بذلك،فإن لم تتمكن،فأقل

شيء تكسبه من الحوار – إذا التزمتَ بالشروط الموضوعية له – أن يعلم خصمك أن لديك حجة قوية،وأنك محاور جيد،وأن يأخذ انطباعًا بأنك موضوعي متعقل،بعيد عن التشنج والهيجان والانفعال.

فكثير من الناس يظنون أن الآخرين لا يملكون الحق،وليس عندهم شيء،وأنهم مجرد مقلِّدين،فإذا حاوروهم وناظروهم علموا أن لديهم حججًا قوية،فأقل ما تكسبه أن تجعل أمام مناظرك علامة استفهام.

فقد تلتقي بنصراني داعية إلى النصرانية،فتناقشه،فمن المحتمل أن يسلم،وهذا خير كثير،وهو أرقى وأعلى ما تتمناه،لكن قد لا يسلم،فهل تعتبر أنك قد خسرت المناظرة؟ لا؛ لأنه وإن لم يسلم،فربما صار عنده تفكير في الإسلام يدعوه إلى أن يبحث،ثم قد يسلم ولو بعد حين،وإذا لم يفكر في ذلك،فعلى الأقل صار عنده شكوك في دينه،وإذا لم يحصل هذا،فعلى أقل تقدير فتر شيء من الحماس الذي كان يحمله لدينه،وصار عنده تردد في مذهبه الباطل.

ونحن نجد أن المسلمين الذين يكثرون الاحتكاك بأهل الكتاب أو بالمنحرفين عن الإسلام ويسمعون منهم الكثير؛ نجد أن هؤلاء المسلمين وإن لم يتركوا دينهم إلا أن حماسهم يقل ويفتر لدينهم حتى وهم على الحق؛ وذلك من كثرة ما سمعوا من أعدائه،فما بالك بأهل الباطل إذا سمعوا نقد باطلهم؟ لابد أن يفتر حماسهم له،أو يشكّوا فيه،أو يتراجعوا عنه.

قواعد الحوار وأصوله:

إن من الضروري أن يتلقَّى المسلم –وخاصة الداعية إلى الله– أسس الحوار وأصوله،في عالم يموج اليوم بالنظريات الكافرة والاتجاهات المنحرفة،فقد أصبح الحوار فنًّا يدرس –أحيانًا– باسم: فن الجدل،وأحيانًا يسمونه: فن المناظرة.

إضافة إلى فن آخر له علاقة كبيرة بالموضوع،وهو ما يسمى بفن العلاقات العامة،الذي تقام فيه دورات لكثير من الموظفين،والمتخصِّصين في العلاقات العامة،والدعاة،وغيرهم.

والعلاقات العامة تعني: حسن الاتصال بالآخرين؛ لإقناعهم برأي،أو لترويج سلعة من السلع،أو تصحيح فكرة،أو التمهيد لقضية من القضايا من خلال الاتصال بالناس،فهو فن لابد للداعية أن يتعلمه نظريًّا وعمليًّا.

وللحوار قواعد كثيرة،نعرض بعضها فيما يلي:

القاعدة الأولى: تحديد موضوع الحوار:

ينبغي أن يدور الحوار حول مسألة محددة،فإن كثيرًا من الحوارات تكون جدلاً عقيمًا،ليس له نقطة محددة ينتهي إليها،فينبغي أن يكون الحوار أو الجدل (بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل:١٢٥] حول نقطة معينة،بحيث يتم التركيز عليها،ولا يتعداها الحوار حتى يُنْتَهى منها.

القاعدة الثانية: مناقشة الأصل قبل الفرع:

ينبغي ألا يتم التناقش في الفرع قبل الاتفاق على الأصل؛ إذ إن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه،تعتبر نوعًا من الجدل العقيم إلا في حالات معينة.

وأضرب أمثلة لحالات يمكن فيها مناقشة الفرع،أو مناقشة الأصل:

فلو جاءك كافر لا يؤمن بيوم الحساب،وأخذ يناقشك في قضية حجاب المرأة المسلمة -مثلاً-،أو في قضية تعدد الزوجات،أو في مسألة الجهاد؛ حيث إن هذه القضايا بالذات هي أكثر القضايا التي يثير حولها الغربيون شبهاتهم؛ لإثارة الفتنة بين المسلمين.

المهم هو كيف تحاور هذا الكافر الذي لا يؤمن بالإسلام؟ هل تناقشه في هذه المسائل إذا حاورك بشأنها؟

بإمكانك هنا أن تحاوره بإحدى طريقتين:

- الأولى: أن تحيل إلى الأصل،فتقول له: إن الجهاد وتعدد الزوجات والحجاب وما على شاكلة هذه القضايا؛ جزء من دين الإسلام،وبدلاً من أن نناقش هذه النقاط ينبغي أن نرجع للأصل،وهو الإسلام،فنتجادل فيه،فإذا اقتنعت بالإسلام،فحينئذ -من باب أولى- أن تقتنع بهذه الأمور،ولا حاجة أن نتجادل فيها،وإذا لم تقتنع بالإسلام،فنقاشي معك في هذه الجزئية يعتبر نوعًا من العبث الذي لا طائل تحته.

- الثانية: يمكنك أن تناقشه بالحجج المنطقية،في نفس الجزئيات التي يجادل حولها.

فمثلاً: إذا تكلم عن تعدد الزوجات،فيمكن أن تجادله في هذا الموضوع بأن تخبره أنه من الثابت علميًّا أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال،وفي (أمريكا) نفسها تصل -أحيانًا- نسبة النساء إلى الرجال مائة وتسعة عشر إلى مائة،وأحيانًا مائة وستين إلى مائة؛ فستون امرأة زيادة على المائة،لمن تكون؟!

فإذا لم نأذن للرجال بتعدد الزوجات،فذلك يعني أن هؤلاء النساء بقين ضائعات بلا أزواج،أو اضطررن إلى ممارسة البغاء والرذيلة،فتعدد الزوجات ضرورة لابد منها؛ لأن نسبة الإناث في أكثر المجتمعات أكثر من نسبة الرجال.

وهكذا،عندما تثبت لهذا الكافر حالات وأوضاعًا يكون تعدد الزوجات فيها أمرًا سائغًا؛ فربما آمن بالإسلام من خلال اقتناعه بهذه الحجج.

وقد بسط القول في الرد على هذه الشبهات الأستاذ محمد قطب في كتابه "شبهات حول الإسلام" بما لا يدع حاجة إلى أن نطيل فيه الآن.

القاعدة الثالثة: الاتفاق على أصل يُرجع إليه:

يجب الاتفاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وُجد الخلاف،واحتدم النقاش،وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم،وإلى صحيح السنة،وإلى القواعد الثابتة المستقرة،أو إلى ما كان عليه السلف الصالح -رضي الله عنهم-،المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعًا عند الخلاف.

صفات المحاور :

.أولاً: جودة الإلقاء،وحسن العرض،وسلاسة العبارة:

وقد كان ذلك من صفات الرسول ﷺ،فعَنِ ابْنِ شِهَاب،أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ حَدَّثَهُ،أَنَّ عَائِشَةَ،قَالَتْ:أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو هُرَيْرَةَ جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺيُسْمِعُنِي ذَلِكَ،وَكُنْتُ أُسَبِّحُ،فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي،وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ.[٢٢٧٦].

فعلى المحاور أن يكون هادئًا سلسًا،جيد الإلقاء.

.ثانيًا: حسن التصور:

والمقصود من حسن التصور،ألاَّ تكون الأفكار عند المتحدث مشوشة أو متداخلة أو متضاربة،فبعض الناس -لضعف تصوره- ربما يطرح فكرة أثناء النقاش،وبعدما ينتصف في شرحها يتبيَّن له أنها غير صالحة،ولا تخدم الغرض،فينتبه في منتصف الطريق بعدما يكون قد تورَّط في ذلك.

.ثالثًا: ترتيب الأفكار:

فالقدرة على ترتيب الأفكار،وتسلسلها،وارتباط بعضها ببعض وعدم تداخلها،أو اضطرابها،مما يثبت حجة المحاور ويقويها.

.رابعًا: العلم:

ينبغي أن يكون المحاور ذا علم وقوة وقدرة،فإن بعض المحاورين قد يخذل الحق بضعف علمه،فرغم أن الحق معه،إلا أنه لم يدعمه بالعلم القوي،فيضع نفسه في غير موضعه.

لذلك فليس كل إنسان مهيأ للحوار،حتى وإن كان صاحب حق،فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته،وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه،وربما احتج بحجج باطلة،مثلما يحدث في بعض المناظرات والمحاورات التي تعقد،فلا يقتنع الناس بالحق الذي يحمله.

.خامسًا: الفهم مع العلم:

لابد من الفهم وقوة العقل؛ ليدرك المتحدث حجج الخصم،ويتمكن من فهمها،ويعرف نقاط الضعف والقوة فيها،فيقبل ما فيها من حق،ويرد ما فيها من باطل.

.سادسًا: الإخلاص:

[٢٢٧٦] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٥٦٨) وصحيح مسلم- المكتر - (٦٥٥٤) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٠٢) (١٠٠) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُ عَائِشَةَ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ، أَرَادَتْ بِهِ سَرْدَ الْحَدِيثِ لاَ الْحَدِيثَ نَفْسَهُ

فينبغي التجرد في طلب الحق وتوصيله إلى الآخرين،بحيث لا يكون همُّ المرء الانتصار لرأيه،وإنما همه طلب الحق وإيصاله للآخرين.

.سابعًا: التواضع:

فالتواضع أثناء المناقشة،أو بعد الانتصار على الخصم،من أهم ما ينبغي أن يتحلى به المحاور.

آفات في الحوار :

أما الحوار القائم بين كثير من المسلمين بعضهم مع بعض،ففيه عيوب وأخطاء نذكر منها:

.أولاً: رفع الصوت:

فكأن الإنسان في غابة تتهارش فيها السباع،ومن لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب،فيرى أن انتصاره في الحوار لن يكون إلا عن طريق مبالغته في رفع الصوت على خصمه،والله تعالى يقول: (إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [لقمان:١٩].

.ثانيًا: أخذ زمام الحديث بالقوة:

وذلك لئلا تدع للخصم فرصة يتحدث فيها،فيهدم بناءك الهش،أو يحطِّم حججك الزجاجية،أو يثير البلبلة في نفوس الناس.

وكأننا في ذلك قد أخذنا بمبدأ الكلمة التي قالها (دايل كارنيجي) في كتابه: "كيف تؤثر في الناس وتكسب الأصدقاء"؛ إذ قال: إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك،ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك وتتركهم،فإليك الوصفة: لا تعط أحدًا فرصة للحديث،تكلم بدون انقطاع،وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث،فلا تنتظر حتى يتم حديثه،فهو ليس ذكيًّا مثلك! فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟ اقتحم عليه الحديث،واعترض في منتصف كلامه،واطرح ما لديك.

.ثالثًا: تهويل مقالة الطرف الآخر:

إن البعض يهوِّلون أقوال الآخرين،ويحمِّلون كلامهم من الضخامة ما لا يخطر إلا في نفوس مرضى القلوب،لماذا؟ لئلا يتجرأ أحد على القول بمثل ما قالوا،أو نصرة ما ذهبوا إليه.

فيحاول المحاور -أحيانًا- أن يحيط القول المردود بهالة رهيبة فيقول: هذا القول كفر،وهذا فسق،وهذا بدعة،وهذا خرق للإجماع،وهذا مصادمة للنصوص الشرعية،وهذا اتهام للعلماء،وهذا قول حادث باطل لم يسبق إليه...،ويظل يهوِّل ويطول ويضخم العبارات،بحيث يشعر السامع أنه قول خطير،يجب البعد عنه،وعدم التورط في قبوله،أو الاقتناع بحجة من تكلم به.

وقد لا يكون القول كذلك.

نحن لا ننكر أن من الأقوال ما يكون كفرًا أو فسقًا أو بدعة،ومنها ما يكون مصادمة للنص،أو قولاً حادثًا لم يسبق إليه صاحبه،لكن هذه الأشياء كلها لابد حين يقولها الإنسان أن يثبتها بالدليل الواضح،أما مجرد إطلاق دعاوى فارغة في الهواء،فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع.

.رابعًا: الاعتداء في وصف الطرف الآخر:

فتصفه بما لا يليق من الأوصاف؛ تأديبًا له وردعًا لأمثاله،فتقول: هذا جاهل سخيف حقير متسرع،وأضعف الإيمان أن تصفه بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر.

ولا يكفي هذا فحسب؛ بل لابد من كشف نية هذا الإنسان،فتتهمه بفساد نيته،وسوء طويته،وخبث مقصده؛ بل قد تتهمه بأنه عدو مغرض للإسلام،أو محارب للسنة وأهلها،له أهداف بعيدة من وراء مقالته تلك،أو بأنه عميل للشرق أو الغرب،أو لقوى خارجية أو داخلية...

ونحن لا ننكر -أيضًا- أن من الناس من هو سيء النية والطويَّة خبيث المقصد،ومنهم من هو عدو للإسلام أو السنة؛ بل ومنهم من هو عميل للشرق أو الغرب،أو لقوى بعيدة أو قريبة،لكن حين تُطلق هذه الأشياء،فلابد من الدليل الواضح عليها،ولا يجوز أن نصادر عقولنا،ويُطلب منا أن نقتنع بشيء لم يُسَق عليه أي دليل.

فليس مقصود الحوار تناول شخص بعينه،اللهم إلا إن كان موضوع الحوار أو نقطة الحوار -أصلاً- هي الكلام عن هذا الشخص،فهذا باب آخر.

آداب الحوار :

الحوار جائز في الإسلام متى كانت المصلحة المتوقعة منه أعظم من المفسدة المترتبة عليه،ومتى ثبت أن نفعه أكثر من ضرره،وقد عني القرآن الكريم عناية بالغة بالحوار،وذلك أمر لا غرابة فيه أبدًا،فالحوار هو الطريق الأمثل للاقتناع الذي ينبع من أعماق صاحبه،والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يُفرض فرضًا،وإنما ينبع من داخل الإنسان.[٢٢٧٧]

١- إحسان الظن بالآخرين:

ومن المبادئ الأخلاقية المهمة في التعامل بين الإسلاميين مع بعضهم البعض: إحسان الظن بالآخرين،وخلع المنظار الأسود،عند النظر إلى أعمالهم ومواقفهم فلا ينبغي أن يكون سلوك المؤمن واتجاهه قائما على تزكية نفسه،واتهام غيره..

والله تعالى ينهانا أن نزكي أنفسنا،فيقول: { هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} (٣٢) سورة النجم.

ويذم اليهود الذين زكوا أنفسهم وقالوا: إنهم أبناء الله وأحباؤه،فقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (٤٩) سورة النساء.

والمؤمن ـــ كما قال بعض السلف ـــ أشد حسابا لنفسه من سلطان غاشم،ومن شريك شحيح!

[٢٢٧٧] - مجلة مجمع الفقه الإسلامي - (ج ٢ / ص ٢١٨٨٦)

فهو أبدا متهم لنفسه لا يتسامح معها،ولا يسوغ لها خطأها،يغلب عليه شعور التفريط في جنب الله،والتقصير في حقوق عباد الله.

وهو يعمل الخير،ويجتهد في الطاعة،ويقول: أخشى أن لا يقبل مني. فإنما يتقبل الله من المتقين،وما يدريني أني منهم؟!

وهو في الجانب المقابل يلتمس المعاذير لخلق الله،وخصوصا لإخوانه والعاملين معه لنصرة دين الله،فهو يقول ما قال بعض السلف الصالح: ألتمس لأخي من عذر إلى سبعين،ثم أقول: لعل له عذرا آخر لا أعرفه!

وإن من أعظم شعب الإيمان حسن الظن بالله،وحسن الظن بالناس،وفي مقابلهما: سوء الظن بالله،وسوء الظن بعباد الله.

إن سوء الظن من خصال الشر التي حذر منها القرآن والسُّنَّة،فالأصل حمل المسلم على الصلاح،وأن لا تظن به إلا خيرا،وأن تحمل ما يصدر منه على أحسن الوجوه،وإن بدا ضعفها،تغليبا لجانب الخير على جانب الشر.

والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٢) سورة الحجرات،والمراد به: ظن السوء الذي لم يقم عليه دليل حاسم.

وعَنِ الأَعْرَجِ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَأْثُرُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ،فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ،وَلاَ تَجَسَّسُوا،وَلاَ تَحَسَّسُوا،وَلاَ تَبَاغَضُوا،وَكُونُوا إِخْوَانًا » [٢٢٧٨].

والمفروض في المسلم إذا سمع شرا عن أخيه أن يطرد عن نفسه تصور أي سوء عنه،وأن لا يظن به إلا خيرا،كما قال تعالى في سياق حديث الإفك: { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} (١٢) سورة النور.

وما أصدق ما قاله الشاعر هنا:

تأن ولا تعجل بلومك صاحبا لعل له عذرا وأنت تلوم!

ومن أجل هذا يعجب المرء غاية العجب،ويتألم كل الألم،إذا وجد بعض العاملين للإسلام يتهم بعضهم بالعمالة أو الخيانة،جريا وراء العلمانيين وأعداء الإسلام فيقول أحدهم عن الآخر: هذا عميل للغرب أو للشرق أو للنظام الفلاني،لمجرد أنه خالفه في رأي أو في موقف،أو في اتخاذ وسيلة للعمل مخالفة له،ومثل هذا لا يجوز بحال لمن فقه عن الله ورسوله.

٢-ترك الطعن والتجريح للمخالفين:

[٢٢٧٨] - صحيح البخارى(٥١٤٣)

ومن أسباب التواصل والتقارب: ترك الطعن والتجريح للمخالف،والتماس العذر له،وإن كان مخطئا في ظنك.

وذلك لأنه قد يكون مصيبا وأنت المخطئ،إذ لا يقين في الاجتهادات بصواب أحد القولين،كل ما تملك في هذا المجال هو الترجيح،والترجيح لا يعني القطع واليقين.

كما أن المخطئ في هذه القضايا لا يجوز الطعن عليه بحال،لأنه معذور في خطئه،بل مأجور عليه بنص الحديث النبوي الشريف.

فكيف يجرح أن يطعن عليه في أمر هو مأجور عليه من الله تعالى،وإن كان أجرا واحدا غير مضاعف،ولكن يكفي أنه مثاب ومأجور غير مأزور؟

وهذا هو نهج السلف في اختلافهم في الاجتهاد،فلم يجرح بعضهم بعضا،بل أثنى بعضهم على بعض برغم ما اختلفوا فيه.

نموذج من أدب كبار العلماء مع مخالفيهم:

بسم الله الرحمن الرحيم وهذه رسالة مالك بن أنس إلى الليث بن سعد.

قال يحيى: حدثنا عبد الله بن صالح: من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية وعافانا وإياك من كل مكروه.

كتبت إليك وأنا ومن قبلي من الولدان والأهل على ما تحب والله محمود. أتانا كتابك تذكر من حالك ونعمة الله عليك الذي أنا به مسرور أسأل الله أن يتم علي وعليك صالح ما أنعم علينا وعليك وأن يجعلنا له شاكرين وفهمت ما ذكرت في كتب بعثت بها لأعرضها لك وأبعث بها إليك وقد فعلت ذلك وغيرت منها ما غيرت حتى صح أمرها على ما يجب وختمت على كل قنداق أو قال يحيى: غنداق منها بخاتمي ونقشه حسبي الله ونعم الوكيل.

وكان حبيباً إلي حفظك وقضاء حاجتك وأنت لذلك أهل وصبرت لك نفسي في ساعة لم أكن أعرض فيها لأن أنجح ذلك فتأتيك مع الذي جاءني بها حتى دفعتها إليه وبلغت من ذلك الذي رأيت أنه يلزمني لك في حقك وحرمتك وقد نشطني ما استطلعت مما قبلي من ذلك في ابتدائك بالنصيحة لك ورجوت أن يكون لها عندك موضع و لم يكن منعني من ذلك قبل اليوم إلا أن يكون رأيي لم يزل فيك جميلاً إلا أنك لم تذاكرني شيئاً من هذا الأمر ولا تكتب فيه إلي.

واعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن به وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك إليك واعتمادهم على ما جاء منك حقيق بأن تخاف على نفسك وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه فإن الله عز وجل يقول في كتابه "

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم " .

قال تعالى: " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ".فإنما الناس تبع لأهل المدينة إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن وأحل الحلال وحرم الحرام إذ رسول الله ﷺبين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ويأمرهم فيتبعونه ويسن لهم فيتبعونه حتى توفاه الله واختار له ما عنده ﷺثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده فما نزل بهم مما علموا أنفذوه وما لم يكن عندهم علم فيه سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحداثة عهدهم فإن خالفهم مخالف أو قال: امرؤ غيره أقوى منه وأولى ترك قوله وعمل بغيره ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا ادعاؤها ولو ذهب أهل الأمصار يقولون هذا العمل ببلدنا وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا من ذلك على ثقة. و لم يجز لهم من ذلك مثل الذي جاز لهم فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك فيه لنفسك واعلم أني لأرجو ألا يكون دعائي إلى ما كتبت إليك إلا النصيحة لله والنظر إليك والضن بك فأنزل كتابي منك منزله فإنك إن تفعل تعلم أني لم آلك نصحاً.

وفقنا الله وإياك بطاعته وطاعة رسول الله ﷺفي كل أمر وعلى كل حال والسلام عليكم ورحمة الله. "[٢٢٧٩]

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ الْفَسَوِيُّ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ وَالْمَعْرِفَةِ لَهُ،وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ غَزِيرُ الْعِلْمِ جَمُّ الْفَوَائِدِ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ:هَذِهِ رِسَالَةُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ .

[رِسَالَةُ مِنْ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ]:سَلَامٌ عَلَيْك،فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْك اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،أَمَّا بَعْدُ – عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ،وَأَحْسَنَ لَنَا الْعَاقِبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ – قَدْ بَلَغَنِي كِتَابُك تَذْكُرُ فِيهِ مِنْ صَلَاحِ حَالِكُمْ الَّذِي يَسُرُّنِي،فَأَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَتَمَّهُ بِالْعَوْنِ عَلَى شُكْرِهِ وَالزِّيَادَةِ مِنْ إحْسَانِهِ،وَذَكَرْت نَظَرَك فِي الْكُتُبِ الَّتِي بَعَثْت بِهَا إلَيْك وَإِقَامَتَك إيَّاهَا وَخَتْمَك عَلَيْهَا بِخَاتَمِك،وَقَدْ أَتَتْنَا فَجَزَاك اللَّهُ عَمَّا قَدَّمْت مِنْهَا خَيْرًا،فَإِنَّهَا كُتُبٌ انْتَهَتْ إلَيْنَا عَنْك فَأَحْبَبْت أَنْ أَبْلُغَ حَقِيقَتَهَا بِنَظَرِك فِيهَا،وَذَكَرْت أَنَّهُ قَدْ أَنْشَطَك مَا كَتَبْت إلَيْك فِيهِ مِنْ تَقْوِيمِ مَا أَتَانِي عَنْك إلَى ابْتِدَائِي بِالنَّصِيحَةِ،وَرَجَوْت أَنْ يَكُونَ لَهَا عِنْدِي مَوْضِعٌ،وَأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْك مِنْ ذَلِكَ فِيمَا خَلَا إلَّا أَنْ يَكُونَ رَأْيُك فِينَا جَمِيلًا إلَّا لِأَنِّي لَمْ أُذَاكِرْك مِثْلَ هَذَا،وَأَنَّهُ بَلَغَك أَنِّي أُفْتِي بِأَشْيَاءَ مُخَالِفَةٍ لِمَا عَلَيْهِ جَمَاعَةُ النَّاسِ

[٢٢٧٩] – تاريخ يحيى بن معين – (١ / ١٥٣)

عِنْدَكُمْ،وَأَنِّي يَحِقُّ عَلَيَّ الْخَوْفُ عَلَى نَفْسِي لِاعْتِمَادِ مَنْ قَبْلِي عَلَى مَا أَفْتَيْتهمْ بِهِ،وَأَنَّ النَّاسَ تَبَعٌ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَيْهَا كَانَتْ الْهِجْرَةُ وَبِهَا نَزَلَ الْقُرْآنُ،وَقَدْ أَصَبْت بِالَّذِي كُتِبَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى،وَوَقَعَ مِنِّي بِالْمَوْقِعِ الَّذِي تُحِبُّ،وَمَا أَجِدُ أَحَدًا يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْعِلْمُ أَكْرَهَ لِشَوَاذِّ الْفُتْيَا وَلَا أَشَدَّ تَفْضِيلًا لِعُلَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَا آخُذُ لِفُتْيَاهُمْ فِيمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنِّي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ،وَأَمَّا مَا ذَكَرْت مِنْ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِالْمَدِينَةِ وَنُزُولِ الْقُرْآنِ بِهَا عَلَيْهِ بَيْنَ ظَهْرَيْ أَصْحَابِهِ وَمَا عَلَّمَهُمْ اللَّهُ مِنْهُ وَأَنَّ النَّاسَ صَارُوا بِهِ تَبَعًا لَهُمْ فِيهِ فَكَمَا ذَكَرْت،وَأَمَّا مَا ذَكَرْت مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أُولَئِكَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ خَرَجُوا إلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَجَنَّدُوا الْأَجْنَادَ وَاجْتَمَعَ إلَيْهِمْ النَّاسُ فَأَظْهَرُوا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ وَلَمْ يَكْتُمُوهُمْ شَيْئًا عَلِمُوهُ .

وَكَانَ فِي كُلِّ جُنْدٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ يُعَلِّمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ وَيَجْتَهِدُونَ بِرَأْيِهِمْ فِيمَا لَمْ يُفَسِّرْهُ لَهُمْ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ،وَتَقَدَّمَهُمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ الْمُسْلِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ،وَلَمْ يَكُنْ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ مُضَيِّعِينَ لِأَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا غَافِلِينَ عَنْهُمْ،بَلْ كَانُوا يَكْتُبُونَ فِي الْأَمْرِ الْيَسِيرِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ وَالْحَذَرِ مِنْ الِاخْتِلَافِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ،فَلَمْ يَتْرُكُوا أَمْرًا فَسَّرَهُ الْقُرْآنُ أَوْ عَمِلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺأَوْ ائْتَمَرُوا فِيهِ بَعْدَهُ إلَّا عَلَّمُوهُمُوهُ،فَإِذَا جَاءَ أَمْرٌ عَمِلَ فِيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَلَمْ يَزَالُوا عَلَيْهِ حَتَّى قُبِضُوا لَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِغَيْرِهِ،فَلَا نَرَاهُ يَجُوزُ لِأَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحْدِثُوا الْيَوْمَ أَمْرًا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ سَلَفُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَالتَّابِعِينَ لَهُمْ،مَعَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَدْ اخْتَلَفُوا بَعْدُ فِي الْفُتْيَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ،وَلَوْلَا أَنِّي قَدْ عَرَفْت أَنْ قَدْ عَلِمْتهَا كَتَبْت بِهَا إلَيْك،ثُمَّ اخْتَلَفَ التَّابِعُونَ فِي أَشْيَاءَ بَعْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَنُظَرَاؤُهُ أَشَدَّ الِاخْتِلَافِ،ثُمَّ اخْتَلَفَ الَّذِينَ كَانُوا بَعْدَهُمْ فَحَضَرْتهمْ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا وَرَأْسُهُمْ يَوْمَئِذٍ ابْنُ شِهَابٍ وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ مِنْ خِلَافِ رَبِيعَةَ لِبَعْضِ مَا قَدْ مَضَى مَا قَدْ عَرَفْت وَحَضَرْت،وَسَمِعْت قَوْلَك فِيهِ وَقَوْلَ ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَكَثِيرِ بْنِ فَرْقَدٍ وَغَيْرِ كَثِيرٍ مِمَّنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ حَتَّى اضْطَرَّك مَا كَرِهْت مِنْ ذَلِكَ إلَى فِرَاقِ مَجْلِسِهِ .

وَذَاكَرْتُك أَنْتَ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بَعْضَ مَا نَعِيبُ عَلَى رَبِيعَةَ مِنْ ذَلِكَ،فَكُنْتُمَا مِنْ الْمُوَافِقِينَ فِيمَا أَنْكَرْت،تَكْرَهَانِ مِنْهُ مَا أَكْرَهُهُ،وَمَعَ ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ عِنْدَ رَبِيعَةَ خَيْرٌ كَثِيرٌ،وَعَقْلٌ أَصِيلٌ وَلِسَانٌ بَلِيغٌ،وَفَضْلٌ مُسْتَبِينٌ،وَطَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ فِي الْإِسْلَامِ،وَمَوَدَّةٌ لِإِخْوَانِهِ عَامَّةً وَلَنَا خَاصَّةً رَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ وَجَزَاهُ بِأَحْسَنَ مِنْ عَمَلِهِ .

وَكَانَ يَكُونُ مِنْ ابْنِ شِهَابٍ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ إِذَا لَقِينَاهُ،وَإِذَا كَاتَبَهُ بَعْضُنَا فَرُبَّمَا كَتَبَ إِلَيْهِ فِي الشَّيْءِ الْوَاحِدِ عَلَى فَضْلِ رَأْيِهِ وَعِلْمِهِ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ يَنْقُضُ بَعْضُهَا بَعْضًا،وَلَا يَشْعُرُ بِالَّذِي مَضَى مِنْ رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ،فَهَذَا الَّذِي يَدْعُونِي إِلَى تَرْكِ مَا أَنْكَرْت تَرْكِي إِيَّاهُ .

وَقَدْ عَرَفْت أَيْضًا عَيْبَ إِنْكَارِي إِيَّاهُ أَنْ يَجْمَعَ أَحَدٌ مِنْ أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ لَيْلَةَ الْمَطَرِ،وَمَطَرُ الشَّامِ أَكْثَرُ مِنْ مَطَرِ الْمَدِينَةِ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَجْمَعْ مِنْهُمْ إِمَامٌ قَطُّ فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ،وَفِيهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:{ أَعْلَمُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ } وَقَالَ:{ يَأْتِي مُعَاذٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ } وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ،وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ بِمِصْرَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ،وَبِحِمْصَ سَبْعُونَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ،وَبِأَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ كُلِّهَا وَبِالْعِرَاقِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ،وَنَزَلَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْجَنَّةِ سِنِينَ،وَكَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[كَثِيرٌ] فَلَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ قَطُّ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْقَضَاءُ بِشَهَادَةِ شَاهِدٍ وَيَمِينِ صَاحِبِ الْحَقِّ،وَقَدْ عَرَفْت أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَقْضِي بِالْمَدِينَةِ بِهِ،وَلَمْ يَقْضِ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِالشَّامِ وَبِحِمْصَ وَلَا بِمِصْرَ وَلَا بِالْعِرَاقِ،وَلَمْ يَكْتُبْ بِهِ إِلَيْهِمْ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ،ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَكَانَ كَمَا قَدْ عَلِمْت فِي إِحْيَاءِ السُّنَنِ وَالْجِدِّ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَالْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ بِمَا مَضَى مِنْ أَمْرِ النَّاسِ،فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُزَيْقُ بْنُ الْحَكَمِ:إِنَّك كُنْت تَقْضِي بِالْمَدِينَةِ بِشَهَادَةِ الشَّاهِدِ الْوَاحِدِ وَيَمِينِ صَاحِبِ الْحَقِّ،فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ:إِنَّا كُنَّا نَقْضِي بِذَلِكَ بِالْمَدِينَةِ،فَوَجَدْنَا أَهْلَ الشَّامِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ؛ فَلَا نَقْضِي إِلَّا بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ عَدْلَيْنِ أَوْ رَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ ؛ وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْمَغْرِبِ قَطُّ لَيْلَةَ الْمَطَرِ،وَالْمَطَرُ يَسْكُبُ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِخناصرة سَاكِنًا .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقْضُونَ فِي صَدَقَاتِ النِّسَاءِ أَنَّهَا مَتَى شَاءَتْ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مُؤَخَّرِ صَدَاقِهَا تَكَلَّمَتْ فَدَفَعَ إِلَيْهَا،وَقَدْ وَافَقَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى ذَلِكَ وَأَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ مِصْرَ،وَلَمْ يَقْضِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺوَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ لِامْرَأَةٍ بِصَدَاقِهَا الْمُؤَخَّرِ إِلَّا أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا مَوْتٌ أَوْ طَلَاقٌ فَتَقُومُ عَلَى حَقِّهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الْإِيلَاءِ إِنَّهُ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ طَلَاقٌ حَتَّى يُوقَفَ وَإِنْ مَرَّتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ،وَقَدْ حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ – وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُرْوَى عَنْهُ ذَلِكَ التَّوْقِيفُ بَعْدَ الْأَشْهُرِ – أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الْإِيلَاءِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ:لَا يَحِلُّ لِلْمُولِي إِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ إِلَّا أَنْ يَفِيءَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَوْ يَعْزِمَ الطَّلَاقَ،وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ:إِنْ لَبِثَ بَعْدَ الْأَشْهُرِ الَّتِي سَمَّى اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَلَمْ يُوقَفْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ طَلَاقٌ،وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَقَبِيصَةَ بْنَ ذُؤَيْبٍ وَأَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

عَوْف قَالُوا فِي الْإِيلَاء:إِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ فَهِيَ تَطْلِيقَةٌ بَائِنَةٌ،وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّب وَأَبُو بَكْر بْنُ عَبْد الرَّحْمَن بْنِ الْحَارِث بْنِ هِشَامٍ وَابْنُ شِهَابٍ:إِذَا مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ فَهِيَ تَطْلِيقَةٌ،وَلَهُ الرَّجْعَةُ فِي الْعِدَّة .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِت كَانَ يَقُولُ:إِذَا مَلَكَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا فَهِيَ تَطْلِيقَةٌ،وَإِنْ طَلَّقَتْ نَفْسَهَا ثَلَاثًا فَهِيَ تَطْلِيقَةٌ،وَقَضَى بِذَلِكَ عَبْدُ الْمَلِك بْنُ مَرْوَانَ،وَكَانَ رَبِيعَةُ بْنُ عَبْد الرَّحْمَن يَقُولُهُ،وَقَدْ كَادَ النَّاسُ يَجْتَمِعُونَ عَلَى أَنَّهَا إِنْ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ طَلَاقٌ،وَإِنْ اخْتَارَتْ نَفْسَهَا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ عَلَيْهَا الرَّجْعَةُ،وَإِنْ طَلَّقَتْ نَفْسَهَا ثَلَاثًا بَانَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَيَدْخُلُ بِهَا ثُمَّ يَمُوتُ أَوْ يُطَلِّقُهَا،إِلَّا أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا فِي مَجْلِسِهِ فَيَقُولُ:إِنَّمَا مَلَكْتُك وَاحِدَةً،فَيَسْتَحْلِفُ وَيُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَته .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ مَسْعُود كَانَ يَقُولُ:أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ أَمَةً ثُمَّ اشْتَرَاهَا زَوْجُهَا فَاشْتِرَاؤُهُ إِيَّاهَا ثَلَاثُ تَطْلِيقَات،وَكَانَ رَبِيعَةُ يَقُولُ ذَلِكَ،وَإِنْ تَزَوَّجَتْ الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ عَبْدًا فَاشْتَرَتْهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ .

وَقَدْ بُلِّغْنَا عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ الْفُتْيَا مُسْتَكْرَهًا،وَقَدْ كُنْت كَتَبْت إِلَيْك فِي بَعْضِهَا فَلَمْ تُجِبْنِي فِي كِتَابِي،فَتَخَوَّفْت أَنْ تَكُونَ اسْتَثْقَلْت ذَلِكَ،فَتَرَكْت الْكِتَابَ إِلَيْك فِي شَيْءٍ مِمَّا أُنْكِرُهُ وَفِيمَا أَوْرَدْت فِيهِ عَلَى رَأْيِك،وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّك أَمَرْت زُفَرَ بْنَ عَاصِمٍ الْهِلَالِيَّ - حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَسْقِيَ - أَنْ يُقَدِّمَ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْخُطْبَة،فَأَعْظَمْت ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْخُطْبَةَ وَالِاسْتِسْقَاءَ كَهَيْئَةِ يَوْمِ الْجُمُعَة إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ إِذَا دَنَا مِنْ فَرَاغِهِ مِنْ الْخُطْبَة فَدَعَا حَوَّلَ رِدَاءَهُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى،وَقَدْ اسْتَسْقَى عُمَرُ بْنُ عَبْد الْعَزِيز وَأَبُو بَكْر بْنُ مُحَمَّد بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ وَغَيْرُهُمَا،فَكُلُّهُمْ يُقَدِّمُ الْخُطْبَةَ وَالدُّعَاءَ قَبْلَ الصَّلَاة،فَاسْتَهْتَرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِعْلَ زُفَرَ بْنِ عَاصِمٍ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَنْكَرُوهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّك تَقُولُ فِي الْخَلِيطَيْنِ فِي الْمَالِ:إِنَّهُ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمَا الصَّدَقَةُ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا مَا تَجِبُ فِيهِ الصَّدَقَةُ،وَفِي كِتَاب عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا الصَّدَقَةُ وَيَتَرَادَّانِ بِالسَّوِيَّةِ،وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ يُعْمَلُ بِهِ فِي وِلَايَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْد الْعَزِيزِ قَبْلَكُمْ وَغَيْرِهِ،وَالَّذِي حَدَّثَنَا بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيد وَلَمْ يَكُنْ بِدُونِ أَفَاضِلِ الْعُلَمَاءِ فِي زَمَانِهِ فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَهُ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَصِيرَهُ ابْنُ سَعِيد

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّك تَقُولُ:إِذَا أَفْلَسَ الرَّجُلُ وَقَدْ بَاعَهُ رَجُلٌ سِلْعَةً فَتَقَاضَى طَائِفَةً مِنْ ثَمَنِهَا أَوْ أَنْفَقَ الْمُشْتَرِي طَائِفَةً مِنْهَا أَنَّهُ يَأْخُذُ مَا وَجَدَ مِنْ مَتَاعِهِ،وَكَانَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ الْبَائِعَ إِذَا تَقَاضَى مِنْ ثَمَنِهَا شَيْئًا أَوْ أَنْفَقَ الْمُشْتَرِي مِنْهَا شَيْئًا فَلَيْسَتْ بِعَيْنِهَا .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّك تَذْكُرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُعْطِ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّام إِلَّا لِفَرَسٍ وَاحِد،وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ أَسْهُمٍ لِفَرَسَيْنِ وَمَنَعَهُ الْفَرَسَ الثَّالِثَ،وَالْأُمَّةُ كُلُّهُمْ عَلَى هَذَا الْحَدِيث أَهْلُ الشَّامِ وَأَهْلُ مِصْرَ وَأَهْلُ الْعِرَاق وَأَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ،لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَك - وَإِنْ كُنْت سَمِعْته مِنْ رَجُلٍ مَرْضِيٍّ - أَنْ تُخَالِفَ الْأُمَّةَ أَجْمَعِينَ .

وَقَدْ تَرَكْت أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا،وَأَنَا أُحِبُّ تَوْفِيقَ اللَّهِ إيَّاكَ وَطُولَ بَقَائِك ؛ لِمَا أَرْجُو لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ مِنْ الْمَنْفَعَةِ،وَمَا أَخَافُ مِنْ الضَّيْعَةِ إذَا ذَهَبَ مِثْلُك مَعَ اسْتِئْنَاسِي بِمَكَانِك،وَإِنْ نَأَتْ الدَّارُ ؛ فَهَذِهِ مَنْزِلَتُك عِنْدِي وَرَأْيِي فِيك فَاسْتَيْقِنْهُ،وَلَا تَتْرُكْ الْكِتَابَ إلَيَّ بِخَبَرِك وَحَالِك وَحَالِ وَلَدِك وَأَهْلِك وَحَاجَةٍ إنْ كَانَتْ لَك أَوْ لِأَحَدٍ يُوصَلُ بِك،فَإِنِّي أُسَرُّ بِذَلِكَ،كَتَبْت إلَيْك وَنَحْنُ صَالِحُونَ مُعَافُونَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ،نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ شُكْرَ مَا أَوْلَانَا وَتَمَامَ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا،وَالسَّلَامُ عَلَيْك وَرَحْمَةُ اللَّهِ [٢٢٨٠].

وإن من المؤسف اليوم أن نجد من بين المشتغلين بالدعوة إلى الإسلام من يشهر سيف الذم والتجريح لكل من يخالفه،متهما إياه بقلة الدين،أو باتباع الهوى أو بالابتداع والانحراف،أو بالنفاق،وربما بالكفر!

وكثير من هؤلاء لا يقتصرون في الحكم على الظواهر،بل يتهمون النيات والسرائر،التي لا يعلم حقيقة ما فيها إلا الله سبحانه،كأنما شقوا عن قلوب العباد واطلعوا على دخائلها!

ولم يكد يسلم من ألسنة هؤلاء أحد من القدامى،أو المحدثين،أو المعاصرين ممن لا يقول بقولهم في قضايا معينة،حتى وجدنا من يسب بعض الأئمة الأربعة في الفقه،ومن يسب بعض أئمة السلوك والزهد.

وهذه من المزالق التي يتورط فيها كثير من المنتسبين إلى التيار الديني: الطعن والتجريح،فيمن يخالف وجهتهم،أو مذهبهم في الاعتقاد أو الفقه أو السلوك.

فتجد بعض المنتمين إلى مذهب يطعنون في المذهب الآخر وإمامه.

ومن ينتمون إلى الحديث أو السلف يطعنون في الفقهاء كالأئمة الأربعة وكبار أتباعهم ممن لا يشك أحد في علمهم واجتهادهم ودينهم وورعهم.

أو يطعنون في كبار الصوفية الذين أثنى عليهم الربانيون والعلماء المحققون من خيار الأمة،وربما طعنوا في الصوفية جميعا.

وكذلك قد يطعنون في كبار علماء الأشاعرة ويجرحونهم تجريحا منكرا،وهم من لهم منزلة وفضلا في الذب عن هذا الدين،وعن الكتاب والسُّنَّة.

وانظر إلى موقف الإمام ابن القيم من شيخ الإسلام الهروي الأنصاري صاحب كتاب (منازل السائرين إلى مقامات "إياك نعبد وإياك نستعين") الذي شرحه ابن القيم بكتابه (مدارج السالكين) فكثيرا ما خالف الشارح (صاحب المدارج) المؤلف (صاحب المنازل) وبين خطأه فيما ذهب

[٢٢٨٠] – إعلام الموقعين عن رب العالمين – (ج ٣ / ص ٢٦٢) وتاريخ ابن معين – الدوري – (٢ / ٣٧٣) والمعرفة والتاريخ – (١ / ١٦٧)

إليه،وذلك حين لا يجد أي مجال لتأويل كلامه وحمله على أحسن الوجوه الممكنة،ومع ذلك يلتمس له العذر بعد العذر،ويثني عليه وعلى علمه وفضله ومنزلته.

خذ مثلا لذلك ما قاله الهروي في حقائق التوبة،حيث جعل منها (طلب أعذار الخليقة) على نحو ما يقوله كثير من الصوفية أن من نظر إلى الخلق بعين الحقيقة عذرهم،على حين أن من نظر إليهم بعين الشريعة لامهم.

قال ابن القيم رحمه الله:" " ولا ريب أن صاحب المنازل إنما أراد أن يعذرهم بالقدر ويقيم عليهم حكم الأمر فينظر بعين القدر ويعذرهم بها وينظر بعين الأمر ويحملهم عليها بموجبها فلا يحجبه مطالعة الأمر عن القدر ولا ملاحظة القدر عن الأمر.

فهذا وإن كان حقا لا بد منه فلا وجه لعذرهم وليس عذرهم من التوبة في شيء ألبتة ولو كان صحيحا فضلا عن كونه باطلا فلا هم معذورون ولا طلب عذرهم من حقائق التوبة بل التحقيق: أن الغيرة لله والغضب له من حقائق التوبة فتعطيل عذر الخليقة في مخالفة الأمر والنهي وشدة الغضب: هو من علامات تعظيم الحرمة وذلك بأن يكون من حقائق التوبة أولى من عذر مخالفة الأمر والنهي.

ولاسيما أنه يدخل في هذا: عذر عباد الأصنام والأوثان وقتلة الأنبياء وفرعون وهامان ونمروذ بن كنعان وأبو جهل وأصحابه وإبليس وجنوده وكل كافر وظالم ومتعد حدود الله ومنتهك محارم الله فإنهم كلهم تحت القدر وهم من الخليقة أفيكون عذر هؤلاء من حقيقة التوبة؟.

فهذا مما أوجبه السير في طريق الفناء في توحيد الربوبية وجعله الغاية التي يشمر إليها السالكون.

ثم أي موافقة للمحبوب في عذر من لا يعذره هو؟ بل قد اشتد غضبه عليه وأبعده عن قربه وطرده عن بابه ومقته أشد المقت؟ فإذا عذرته فهل يكون عذره إلا تعرضا لسخط المحبوب وسقوطا من عينه؟.

ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه وإساءة الظن به فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه والكامل من عد خطؤه ولا سيما في مثل هذا المجال الضنك والمعترك الصعب الذي زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام وافترقت بالسالكين فيه الطرقات وأشرفوا إلا أقلهم على أودية الهلكات.

وكيف لا؟ وهو البحر الذي تجري سفينة راكبه في موج كالجبال والمعترك الذي تضاءلت لشهوده شجاعة الأبطال وتحيرت فيه عقول ألباء الرجال ووصلت الخليقة إلى ساحله يبغون ركوبه." [٢٢٨١]

[٢٢٨١] – مدارج السالكين – (١ / ١٩٧) والصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم – (١ / ١٣٣)

ومن الخطأ الذي يقع فيه بعض المتدينين: أنهم لا يسمحون للشخص الذي يثقون بمنزلته في العلم أو في الدين،بأي زلة تزلها قدمه في الفكر أو في السلوك،وتراهم بمنزلة واحدة يهدمون جهاد إنسان وجهوده طوال عمره،ويهيلون التراب على تاريخه كله.

٣-البعد عن المراء واللدد في الخصومة :

وعامل آخر يقرب بين أصحاب الرأي المختلف،وهو: البعد عن المراء المذموم واللدد في الخصومة.

فالإسلام ـــ وإن أمر بالجدال بالتي هي أحسن ـــ ذم المراء،الذي يراد منه الغلبة على الخصم بأي طريق،دون التزام بمنطق ولا خضوع لميزان بين الطرفين.

وهذا ما ذم الله به الممارين من أهل الشرك والكفر،بمثل قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) [الحج/٨-٩]).

ومن هنا جاء في الحديث ذم المراء،والترغيب في البعد عنه.فعَن أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَن تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَن حَسَّنَ خُلُقَهُ »[٢٢٨٢].

وعَن أَبِى أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ ». ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- هَذِهِ الآيَةَ {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَل هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} (٥٨) سورة الزخرف[٢٢٨٣].

وهذا أمر ملاحظ: أن القوم إذا حرموا التوفيق،تركوا العمل،وغرقوا في الجدل،وبخاصة أن هذا موافق لطبيعة الإنسان التي لم يهذبها الإيمان {ووَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} (٥٤) سورة الكهف.

ونحن نشاهد على الساحة الإسلامية أناسا لا هم لهم إلا الجدل في كل شيء وليس لديهم أدنى استعداد لأن يعدلوا عن أي رأي من آرائهم،وإنما يريدون للآخرين أن يتبعوهم فيما يقولون. فهم على حق دائما،وغيرهم على باطل أبدا. منهم من يجادل في كلمات أعطاها اصطلاحا خاصا،خالفه فيه غيره،ويريد أن يلزم الآخرين برأيه،مع أن علماءنا قالوا: لا مشاحة في الاصطلاح.

ومنهم من يذم التعصب للمذاهب،وهو يقيم مذهبا جديدا،يقاتل الآخرين عليه!

ومن يحرم التقليد ويطلب من الناس أن يقلدوه! أو يمنع تقليد القدامى وهو يقلد بعض المعاصرين!

٤- الحوار بالتي هي أحسن :

ومن الدعائم الأساسية في أدب الاختلاف: الحوار بالحسنى،وإذا استخدمنا التعبير القرآني قلنا: الجدال بالتي هي أحسن،وهو ما أمر الله تعالى به في كتابه حين قال: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ

[٢٢٨٢] - سنن أبي داود(٤٨٠٢) صحيح لغيره -الربض : حوالى الجنة وأطرافها

[٢٢٨٣] - سنن الترمذى(٣٥٦٢) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (١٢٥) سورة النحل.

وهنا نجد تفرقة في التعبير بين المطلوب في الموعظة والمطلوب في الجدال. ففي الموعظة اكتفى بأن تكون حسنة،أما في الجدال فلم يرض إلا أن يكون بالتي هي أحسن،بمعنى أنه إذا كان هناك أسلوبان،أو طريقتان إحداهما حسنة،والأخرى أحسن منها وأفضل،فالمأمور به أن نتبع التي هي أحسن.

وسر ذلك: أن الموعظة ترجع ــ عادة ــ إلى الموافقين الملتزمين بالمبدأ والفكرة،فهم لا يحتاجون إلا إلى موعظة تذكرهم،وترقق قلوبهم وتجلو صدأهم،وتقوي عزائمهم،على حين يوجه الجدال ــ عادة ــ إلى المخالفين،الذين قد يدفع الخلاف معهم إلى شيء من القسوة في التعبير،أو الخشونة في التعامل،أو العنف في الجدل،فكان من الحكمة أن يطلب القرآن اتخاذ أحسن الطرائق وأمثلها للجدال أو الحوار،حتى يؤتي أكله.

ومن هذه الطرائق أو الأساليب أن يختار المجادل أرق التعبيرات وألطفها في مخاطبة الطرف الآخر.

إن بعض المتحاورين في مسائل العلم والدين،يخيل إليك أنهم يتقاتلون لا أنهم يتجادلون،وإن الذي في إيمانهم ليس قلما يقطر مدادا أسود بل سيفا يقطر دما أحمر.

وكان الأولى أن يغلب الجو العلمي بهدوئه ورزانته على الجو الانفعالي بشدته وسخونته،وأن تهب الكلمات من الجانبين نسائم تنعش،لا أعاصير تدمر.

إن الكلمة العنيفة لا لزوم لها،ولا ثمرة تجتني من ورائها،إلا أنها تجرح المشاعر،وتغير مودة القلوب،وإن قال شوقي: اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية.

ولكن هذا إنما يكون في الاختلاف الملتزم بآداب الحوار وموضوعيته،والبعد عن الإثارة والتهييج،أما الحوار الذي يصحبه العنف والاتهام والتجريح فالأغلب أنه يفسد الود،ويعكر صفاء الأنفس بل قد يخشى إذا ذهب الود أن لا يعود مرة أخرى،على نحو ما قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر!

إن حسن اختيار بعض الجمل أو العبارات المناسبة في بعض الأحيان يحل مشكلات،ويفض اشتباكات.

وعَن أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ :« يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا،وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا »[٢٢٨٤] .

٥- حسن المقصد:

فليس المقصود من الحوار العلو في الأرض،ولا الفساد،ولا الانتصار للنفس،ولكن المقصود الوصول إلى الحق.

[٢٢٨٤] - صحيح البخاري(٦٩)

والله تعالى يعلم من قلب المحاور ما إن كان يهدف إلى ذلك أم يهـــدف إلى الانتصـــار،والتحدث في المجالس أنه أفحم خصمه بالحجة.

ضع في اعتبارك أنه يحتمل أن يكون الخطأ عندك والصواب عند غيرك،فالله تعالى لم يحابك،ويختصـــك دون بقية خلقه بالعلم والفهم والإدراك والعقل،فإذا كان عندك حق،فعند غيرك حق،وقد يكون عندك حق كثير،وعنده حق قليل،وقد يكون العكس.

فعلى المسلم أن يطلب الحق بحسن نية،وألا يكون هدفه وهو يسمع كلام خصمه أن يرد عليـــه مـــتى سكت؛ بل هدفه الوصول إلى الحقيقة،ولهذا كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "ما ناظرت أحـــدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويُسدَّد ويعان،ويكون عليه رعاية من الله وحفظ،وما ناظرت أحـــدًا إلا و لم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه".[٢٢٨٥]

وهذه –والله– أخلاق أتباع الأنبياء؛ لأنه يبتغي إحقاق الحق لا إسقاط الخصم .

٦– التواضع بالقول والفعل:

من آداب الحوار: التواضع،وتجنُّب ما يدل على العجب والغرور والكبرياء.

فبعض الناس إذا حاور شخصًا أو حادثه أعرض ونأى بجانبه،وازورَّ لا يلتفت إلى خصمه،إشارة إلى السخرية وعدم الاكتراث به،وربما ظهر على قسمات وجهه أو حركات حاجبيه أو عينيه أو شفتيه ما يـــدل علـــى السخرية والاستكبار،وربما يزم شفتيه،أو يلوي وجهه،أو يلوي عنقه،أو يشير بطرف عينيه إشارات تعبر عن السخرية والازدراء،فهذا كله من الكبر. عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ مَسْعُود عَنِ النَّبِيِّ –ﷺ– قَالَ « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْر ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ ».[٢٢٨٦]

فمن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى أعدائك،وتعدّ ذلك ضـــالتك المنشـــودة،فأنت باحث عن الحقيقة أنىَّ وجدتها فأنت أحق بها.

ومن التواضع –أيضًا– ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبرياء،وازدراء ما عنـــد الآخرين،كـــأن يقول: نرى كذا،وعندي،وأنا،وقلت،ونحو هذه الألفاظ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره من أهل العلم أن إبليس هو الذي قال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِـــنْ نَارٍ) [الأعراف:١٢]،فـــ(أنا) هذه المتعاظمة الرادة للحق هي من إبليس،وقارون هو الذي قال: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) [القصص:٧٨]،فالذي يقول: عندي،وهو ليس أهلاً لذلك شبيه بقارون،وسائر المستكبرين تعاظموا في نفوسهم فردُّوا الحق.

٧– الإصغاء وحسن الاستماع:

[٢٢٨٥] – صفة الصفوة – (١ / ٢٣٤) وحلية الأولياء – (٤ / ١٠٠)

[٢٢٨٦] – صحيح مسلم– المكتز – (٢٧٥)

البطر : التكبر على الحق فلا يقبله –الغمط : الاحتقار والاستهانة

الإصغاء إلى الآخرين فن قَلَّ من يجيده،فأكثرنا يجيد الحديث أكثر من الاستماع،والله سبحانه وتعالى جعل لك لسانًا واحدًا،وجعل لك أذنين حتى تسمع أكثر مما تتكلم،فلابد أن تستمع جيدًا،وأن تستوعب جيدًا ما يقوله الآخرون.

ووضع أذنك للمحدِّث،وحملقة عينيك بوجهه،وتأملك لما قال،يمكن أن يكون دليلاً على قوتك،وقدرتك على الحوار،وإذا وجدت ملاحظات،فيمكن أن تسجلها في ورقة لتتحدث فيها بعدما ينتهي من حديثه.

وهكذا كان الرسول ﷺ،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ يَوْمًا،فَقَالُوا:اُنْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ وَالشِّعْرِ،فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا،وَشَتَّتْ أَمْرَنَا،وَعَابَ دِينَنَا،فَلْيُكَلِّمْهُ،وَلْيَنْظُرْ مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ،فَقَالُوا:مَا نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ،فَقَالُوا:أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيد.

فَأَتَاهُ عُتْبَةُ،فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،أَنْتَ خَيْرٌ،أَمْ عَبْدُ اللهِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،ثُمَّ قَالَ:أَنْتَ خَيْرٌ،أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنْك،فَقَدْ عَبَدُوا الآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ،وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّك خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَك،إِنَّا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْك،فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا،وَشَتَّتَ أَمْرَنَا،وَعِبْتَ دِينَنَا،وَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ،حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا،وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا،وَاللهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلاَّ مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى،أَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى. أَيُّهَا الرَّجُلُ،إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ،فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ فَلْنُزَوِّجْك عَشْرًا،وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ،جَمَعْنَا لَك حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلاً وَاحِدًا،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَفَرَغْتَ ؟ قَالَ:نَعَمْ،فَقَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بسم الله الرَّحْمَنِ الرحيم{حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} حَتَّى بَلَغَ:{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}،فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ:حَسْبُك حَسْبُك،مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ:لاَ،فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ،فَقَالُوا:مَا وَرَاءَك ؟ قَالَ:مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلاَّ وَقَدْ كَلَّمْتُهُ بِهِ،فَقَالُوا:فَهَلْ أَجَابَك ؟ قَالَ:نَعَمْ ؛ قَالَ:لاَ،وَالَّذِي نَصَبَهَا بَيِّنَةً مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَا قَالَ،غَيْرَ أَنَّهُ أَنْذَرَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ،قَالُوا:وَيْلَك،يُكَلِّمُك رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لاَ تَدْرِي مَا قَالَ،قَالَ:لاَ وَاللهِ،مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ."[٢٢٨٧]

٨- الإنصاف:

وهو أن تكون الحقيقة ضالتك المنشودة،تبحث عنها في كل مكان،وفي كل عقل.

جرِّد نفسك،ولا تبالِ بالناس رضوا أم سخطوا،وكن باحثًا عن الحقيقة،وليعلم ربك من قلبك أنه ليس في قلبك إلا محبة الله تعالى،ومحبة رسوله ﷺ،وحب الحق الذي يحبه الله ورسوله.

فلتستخلص الحق من خصمك،ولو من بين ركام الباطل الكثير الذي ربما جاء به.

وربما أجرى الله تعالى كلمة الحق على لسان الفاسق،أو حتى على لسان الكافر -أحيانًا-،فيمكن أن تستفيد من المحاور ولو كان فاسقًا أو كافرًا،فقد تستفيد منه عيبًا موجودًا عندك أو عند المسلمين،أو تستفيد منه مصلحة دنيوية للمسلمين،أو أسلوبًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى،ربما فطن له هو،وغفلت أنت عنه.

[٢٢٨٧] - مصنف ابن أبي شيبة - (٢٠ / ٢٣٦) (٣٧٧١٥) حسن

وللشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله كلمة حكيمة جميلة،يقول فيها معبـــرًا عن رد الحق عند الكثيرين: "إن الذين لديهم ذكاء حاد لا يقبلون الصواب غالبًا إلا إذا كان من عند أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى أعطـــاهم قدرات وطاقات عالية،وُفِّقوا بسببها إلى كثير من الحق الذي أخطأ فيه الناس؛ ولذلك فلديهم مـــن الثقـــة بآرائهم وعدم الثقة بآراء الآخرين،ما يصعب معه على الناس إقناعهم بغير الآراء التي يرون هم".

إن الاعتراف بالحق وإعلانه -أيضًا- لا ينقص من قيمة الإنسان،فكونك تقول في منـــاظرة أو محـــاورة أو محاضرة: أنا أخطأت في كذا،هذا لا يعيبك؛ بل هذا يرفع منـــزلتك عند الناس،ويـــدل علـــى شـــجاعتك وقوتك،وثقتك بنفسك.

٩- البدء بمواضع الاتفاق والإجماع والمسلَّمات والبدهيات:

فمن المصلحة ألا تبدأ الحوار بقضية مختلف فيها؛ بل ابدأ بموضوع متفق عليه،أو بقاعدة كلية مســـلَّمة أو بدهية،وتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها،ثم إلى مواضع الخلاف.

فممَّا يذكر عن سقراط -وهو أحد حكماء اليونان-،أنه كان يبدأ مـــع خصـــمه بنقـــاط الاتفـــاق بينهما،ويسأله أسئلة لا يملك الخصم أن يجيبه عليها إلا بنعم،ويظل ينقله إلى الجواب تلو الآخـــر،حتى يرى المناظر أنه أصبح يُقر بفكرة كان يرفضها من قبل.

وأضرب مثالاً على قضية الانتقال من الكليات إلى الجزئيات،أو من المسلَّمات إلى غير المسلمات:

قد يخاصمك إنسان في قضية أساليب الدعوة إلى الله تعالى،هل هي توقيفية،أي لابد أن يكون فيه نص على أسلوب الدعوة؟ أم أنها أساليب اجتهادية متجددة،يمكن أن آخذ بـــأي أســـلوب،ولو لم يكـــن منصوصًا عليه،إذا لم يكن هذا الأســـلوب حرامًا؟

مثال: النشيد،قد يقول قائل: إن النشيد أسلوب من أساليب الدعوة،ويقول آخر: لا. أساليب الدعوة توقيفية،والنشيد ما ورد في الكتاب ولا في السنة،فلا يجوز استخدام النشيد كأسلوب مـــن أســـاليب الدعوة،وهذا يختلف فيه بعض العلماء والدعاة في هذا العصر،ويتحاورون فيه.

والنقاش حول مشروعية النشيد كأسلوب للدعوة،قد يكون موضوعًا جزئيًّا شكليًّا،ولكن لا مانع من ذكره للإيضاح فقط،فأرى أن تبدأ النقاش بهذا السؤال: لو أن إنسانًا أنشد نشيدًا ليس فيه معصية ولا كلام باطل محرم،وغير مصحوب بدف ولا مزمار ولا غيره،وهذا الكلام أنشده على سبيل التـــرويح عن النفس،أو المؤانسة،أو قطع عناء الطريق في سفر؛ هل هذا يحرم أم لا؟

سيقول لك الطرف الآخر: لا يحرم؛ بل هو طيب،ثم تنتقل وتسأله سؤالاً آخر: هل يوجد شـــيء في الشريعة يكون مباحًا غير حرام بشرط عدم إصلاح النية فيه،فإذا صلحت النية كان هذا الشيء حرامًا ؟ سيقول لك: لا.

إذًا: فمن أين لك أن قراءة بعض الأناشيد بنية صالحة؛ بهدف إشغال الناس -مثلاً- عن الغناء المحرم،أو رفع معنوياتهم،أو تلقينهم الحكم،والمعاني الرفيعة؛ أن هذا العمل يكون حرامًا؟!

قد يقول البعض: إن هذا عبادة والعبادة توقيفية،فيقال: من أين لك أن هذا داخل في باب العبادة التي هي القربى؟

إن العبادة أنواع: فقد تطلق العبادة على العبادات التوقيفية،التي هي القرب كالصلاة -مثلاً- والحج،فإحداث صفة جديدة للصلاة أو الحج لا يجوز؛ بل هو بدعة؛ لأن الصلاة توقيفية،وهي قُربة محضة إلى الله تعالى.

وهناك أعمال أخرى يمكن أن يكون الإنسان مأجورًا عليها،ولا يُطلق عليها أنها قربة محضة إلى الله تعالى فعَنْ أَبِي ذَرٍّ؛أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ،ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ،يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ،وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ،قَالَ:أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ،إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً،وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ،وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ،وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ،وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ،وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ،وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ،أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ."[٢٢٨٨]

فليس معنى ذلك أن جماع الإنسان لزوجته يكون عبادة بذاته،وليس قربة محضة إلى الله عز وجل،لكن يؤجر عليه الإنسان ما دام في الحلال،وقد أصلح صاحبه فيه النية.

كذلك القول في الأناشيد،مع التنبيه أنه لابد من ضوابط بطبيعة الحال،مثل: عدم الإكثار منها،وخلوها من المعاني السيئة،وألا تكون مصحوبة بآلات محرمة،إلى غير ذلك.

١٠- ترك التعصب لغير الحق:

فلو حاورت إنسانًا،فتناول معهدًا تعمل فيه،أو مقالة كتبتها،أو كتابًا ألَّفته،أو محاضرة ألقيتها،أو تناول جهة -تُحسب أنت عليها- بالانتقاص والسب وتتبع الأخطاء،فإياك أن تتعصب لهذا الشيء الذي تنتمي وتنتسب إليه،ثم تبادر بالرد،وتقوم بتقديم كشف بالإيجابيات والحسنات في مقابل الكشف الذي قدمه هو بالأخطاء،والسلبيات..،لا؛ بل عليك بالأمور التالية:

- أولاً: دع زمام الحديث بيده حتى ينتهي -كما اتفقنا قبل قليل-.
- ثانيًا: اعترف بصوابه فيما أصاب فيه،والحق ضالة المؤمن -كما سبق-.
- ثالثًا: إذا انتهى فانقد الخطأ بطريقة علمية،بعيدة عن العواطف.

وما أعز وأصعب وأندر أن يتخلص الإنسان من التعصب -أي لون من ألوان التعصب-؛ فإن الحزبيات قد أثَّرت في المسلمين تأثيرًا كبيرًا جدًّا.

[٢٢٨٨] - صحيح مسلم- المكثر - (٢٣٧٦) -الدثور : جمع دثر وهو المال العظيم

فمثلاً: يتعصب الإنسان -أحيانًا- لمذهب أو لوطن،أو قبيلة،أو لدعوة،أو لجماعة،فهذا ما يُسمى بالحزبية،بحيث يحيط هذا الشيء بعقله،فلا يملك عقلاً متحررًا من القيود والأوهام؛ بل تجده يدور في فلك معين،ولا يستطيع أن يتقبل الحق إلا في إطار محدود.

١١- احترام الطرف الآخر:

فنحن مأمورون أن نُنزل الناس منازلهم،وألا نبخس الناس أشياءهم.

فيا أخي المسلم الداعية،ليس النجاح في الحوار والمناظرة مرهونًا بإسقاطك لشخصية الطرف الآخر الذي تناظره،ولا إسقاطك لشخصيته يعني أنك نجحت في المناظرة؛ بل ربما يرتد الأمر عليك،ويكون هذا دليلاً على إفلاسك وعجزك،وأنك لا تملك الحجة؛ فاشتغلت بالمتكلِّم عن الكلام.

والناس اليوم تعي وتعقل،ولو أنك سندت قولاً من الأقوال الباطلة الزائفة حينًا من الزمن بالتهويش،واللجاج،فإن هذا القول الذي لا يسنده الحق سرعان ما ينهار ويتهاوى بمجرد غفلة السَّاعين به،أو انشغالهم عنه بغيره،فيموت وينساه الناس.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ،وَلاَ اللِّعَانِ،وَلاَ الْبَذِيءِ،وَلاَ الْفَاحِشِ.[٢٢٨٩]

فالمؤمن ليس باللعان،ولا بالطعان في الناس وأعراضهم،ونياتهم ومقاصدهم وأحوالهم،ولا بالفاحش،ولا بالبذيء.

وعَنْ مَسْرُوق،قَالَ:قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو:إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺلَمْ يَكُنْ فَاحِشًا،وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَكَانَ يَقُولُ:خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا.[٢٢٩٠]

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْجَدَلِيِّ،قَالَ:قُلْتُ لِعَائِشَةَ:كَيْفَ كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺفِي أَهْلِهِ ؟ قَالَتْ:كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا،لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا،وَلاَ مُتَفَحِّشًا،وَلاَ سَخَّابًا فِي الأَسْوَاقِ،وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ،وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ.[٢٢٩١]

فهذا حال النبي ﷺوصفته،وهذا كلامه في وصف المؤمن،أنه لا يحب الفحش ولا التفحش.

ومن بديع احترام رأي الآخرين،ما ينقل عن الإمام مالك: أنه لمَّا ألَّف الموطأ،ومكث أربعين سنة يؤلفه،وقرئ عليه آلاف المرات،وعرضه على سبعين من العلماء فأقروه عليه،وتعب فيه أيما تعب،ومع ذلك لمَّا بلغ الخليفة المنصور كتاب مالك وأعجبه،قال ابن سعد :" أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ،قَالَ:سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ،يَقُولُ:لَمَّا حَجَّ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ دَعَانِي فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَحَادَثْتُهُ،وَسَأَلَنِي فَأَجَبْتُهُ،فَقَالَ:إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ أَنْ آمُرَ بِكُتُبِكَ هَذِهِ الَّتِي وَضَعْتَهَا يَعْنِي الْمُوَطَّأَ فَتُنْسَخُ نُسَخًا،ثُمَّ أَبْعَثُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِنُسْخَةٍ،وَآمُرُهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا بِمَا فِيهَا لَا يَتَعَدَّوْهُ

[٢٢٨٩] - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٢١)(١٩٢) صحيح

[٢٢٩٠] - صحيح البخارى- المكتر - (٣٥٥٩) وصحيح مسلم- المكتر - (٦١٧٧) وصحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٥٤)(٦٤٤٢)

[٢٢٩١] - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٥٥) (٦٤٤٣) صحيح

إِلَى غَيْرِهِ،وَيَدَعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الْمُحْدَث فَإِنِّي رَأَيْتُ أَصْلَ الْعِلْمِ رِوَايَةَ الْمَدِينَةِ وَعِلْمِهِمْ،قَالَ:فَقُلْتُ:يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ هَذَا،فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ أَقَاوِيلُ،وَسَمِعُوا أَحَادِيثَ وَرَوَوْا رِوَايَاتٍ،وَأَخَذَ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِمْ وَعَلِمُوا بِهِ،وَدَانُوا بِهِ مِنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ،وَإِنَّ رَدَّهُمْ عَمَّا قَدِ اعْتَقَدُوهُ شَدِيدٌ،فَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ،وَمَا اخْتَارَ كُلُّ أَهْلِ بَلَدٍ مِنْهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ،فَقَالَ:لَعَمْرِي لَوْ طَاوَعْتَنِي عَلَى ذَلِكَ لَأَمَرْتُ بِهِ"[٢٢٩٢]

فلا حاجة إلى اللجوء إلى تبكيت الشخص الذي تخاصمه وإحراجه والسخرية منه .

١٢- الموضوعية:

الموضوعية تعني: رعاية الموضوع،وعدم الخروج عنه.

- فمن الموضوعية: عدم الهروب من الموضوع الأساسي إلى غيره. إن بعض الناس إذا أحرجته في موضوع هرب منه إلى موضوع آخر،فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع،وكلما أُحرج في نقطة انسحب منها إلى غيرها،ونقل الحديث نقلة بعيدة أو قريبة.

ولعل هذا أعظم أدواء المناظرة،التي تجعل الإنسان يخرج منها -ربما بعد ساعات- دون طائل،والموضوع يقتضي ألا تخرج من نقطة إلا إذا انتهيت منها،ثم تنتقل إلى غيرها.

-كذلك من الموضوعية: عدم إدخال موضوع في آخر،فقد تتكلم مع إنسان في قضية حجاب المرأة المسلمة،وضرورة التزامها بالستر،وبُعدها عن السفور،وعن الاختلاط بالرجال الأجانب،أو الذهاب إلى أماكن اللهو والفساد وغير ذلك،فتجد أنه بدلاً من أن يناقشك في هذا الموضوع يقول: يا أخي،الناس قد وصلوا إلى القمر،وأنت لازلت تجادل في هذا الموضوع!

فما علاقة وصول الناس إلى القمر أو عدم وصولهم بقضية مطالبتنا بحجاب المرأة المسلمة؟! أليس هذا إدخالاً لموضوع في قضية أخرى لا يتعلق بها؟

وقد تُكلِّم إنسانًا -مثلاً- في قضية الغناء الفاحش البذيء،الذي أصبح يصك الأسماع،ويهيِّج الغرائز،ويدعو إلى الرذيلة،فيقول لك: يا أخي،المسلمون يُقتلون في مشارق البلاد ومغاربها،وتسفك دماؤهم،وتنتهك أعراضهم،وأنت لازلت تتكلم في هذه الجزئيات؟!

فما دمنا قد اتفقنا أن موضوع الغناء هو مادة الحوار الذي سيناقَش،فما دخل قضية قتل المسلمين بذلك؟ وهل إذا تركنا الحديث عن الغناء أو الحديث عن حجاب المرأة المسلمة،ستُحل مشاكل المسلمين،ويُرفع الظلم عن المظلومين؟!

-كذلك من الموضوعية: عدم النيل من المتحدث باهتمامه في نيته أو الكلام على شخصه،فبعض الناس يقول: من هذا الإنسان؟ ما هدفه؟ ما تاريخه؟ من وراءه؟ ما درجته من العلم؟ ما قدره؟

[٢٢٩٢] - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٦٦٠٦)

فيا أخي،ما علاقتك بهذا الشخص المتكلِّم؟ المهم أن أمامك دعوى وكلامًا ومطلوب منك مناقشته بالحجة والبرهان،فدع المتكلم جانبًا،وانظر في الكلام الذي قيل،وما قدره من الخطأ أو من الصواب؟

اعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْت فِي عَمَلِي يَنْفَعْك قَوْلِي وَلَا يَضُرُّك تَقْصِيرِي[٢٢٩٣]

-كذلك ليس من الموضوعية: الاشتغال بالأيمان المغلظة،والله سبحانه وتعالى ذمَّ الذين يكثرون من اليمين: قال تعالى: (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ.هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ.مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ.عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) [القلم:١٠-١٣]،فهذا دعيٌّ ملصق في أهل العلم وليس منهم،وملصق في قومه وليس منهم،ومع ذلك يكثر من الأيمان الكاذبة،أو قد لا تكون كاذبة لكن اليمين ليس حجة،فكونك تحلف بالله العظيم الذي لا إله إلا هو أن هذا هو الحق،فهذا لا يقدِّم ولا يؤخِّر.

قد تكون مقتنعًا فعلاً أنه هو الحق،لكن قناعتك هذه ليست نابعة من دراستك،أو معرفتك بالحجج والأدلة؛ ولكنها نابعة عما تلقيته عن شيخ تعظمه فوقر في قلبك،أو درسته منذ صغرك فاستقر في قراره في نفسك،وليس لأن لديك دليلاً قويًّا على أنه هو الحق.

وفرق بين أن تكون مقتنعًا قناعة مطلقة بأنه هو الحق،فتحلف على ذلك،فإذا حلفتَ أنت عرفتُ أنك تعتقد أنه هو الحق،ولكن لا يلزم أن يكون هو الحق،فقد تراه حقًّا وتحلف عليه،والواقع أن الحق بخلافه.

-كذلك من الموضوعية: تجنب الكذب في الحديث،فإن المناظر قد يكذب أحيانًا،فقد سمعت مرة مناظرة بين اثنين في قضية أحدهما شيعي،فقام الشيعي وقال: روى الإمام أحمد في مسنده،وذكر حديثًا موضوعًا مختلقًا،وهذا الحديث إذا رجعت للجزء والصفحة من المسند،لا تجده،لكنه يعرف أن الخصم ليس عنده وقت حتى يرجع للمسند،ويتأكد من صحة الحديث،ومن البعيد جدًّا أن يكون قد أحاط بمسند الإمام أحمد حتى يعرف ما فيه،مما ليس فيه،فيستغل حديثًا مختلقًا ليضر به الخصم،وينسبه إلى كتاب من هذه الكتب،وربما ينطلي عليه.

فهذا ليس من الموضوعية في شيء،وإذا لم يكتشفه الخصم حال المناقشة فسيكتشفه فيما بعد،ويبين أنك كنت كاذبًا فيما ادعيت.

ومثل الكذب وأخوه بتر النصوص،وهو أن تنقل نصًّا طويلاً،فتجتزئ الكلام الذي يصلح لك،ويدل على ما تريد،وتترك الباقي،فهذا ليس من الأمانة؛ بل عليك أن تنقل الكلام كاملاً حتى يشاركك الناس فيما استنتجته،فإما أن يقرُّوك،وإما أن يخالفوك في الفهم.

ثم إن هذا الكلام أيضًا قد يقوله الإنسان ولا يُدرى كل ما وراءه،فالكلام يُفهم من حال المتكلم،ومن سياقه،ومن نصوصه الأخرى،ومن سيرة قائله،كما ذكر الإمام ابن القيم في مواضع من كتبه: أن كلام

[٢٢٩٣] - أدب الدنيا والدين - (١ / ٨٩)

الناس -يعني كلام البشر- يفهم على ضوء الشخص المتكلم،وظروفه،وما يُعلم عن المتكلم وأحواله،فإذا صدر كلام من شخص يحتمل أكثر من معنى عرفنا أن الذي يليق بفلان من المعاني هو كيت،وكيت،وإن كان الكلام يحتمل غيره؛ لأن كلام الناس يحتمل وجوهًا.

-كما أن من الموضوعية: إذا لم تعرف مسألة ما أن تقول: لا أدري،وإذا ترك العالم لا أدري،أصيبت مقاتله،كما كان السلف يقولون: ويجب على العالم أن يعلم تلاميذه وطلابه قول: "لا أدري"؛ حتى يلجؤوا إليها فيما لا يعلمون.

- ومن الموضوعية: التوثيق العلمي،يعني إذا استدللت فلا تستدل بشائعات أو ظنون أو أوهام استقرت في عقلك أو في عقل من أمامك من الناس؛ بل استدل بالنصوص،والأدلة الواضحة؛ والبراهين الثابتة،والإحصاءات الدقيقة،قال رسوله ﷺ،وبراهين العلماء،تستدل بحقائق علمية،وتوثِّق ما تقول،أما مجرد الظنون والأوهام والشائعات،فإنها لا تصلح أدلة.

١٣- عدم الإلزام بما لا يلزم أو المؤاخذة باللازم:

فإذا خالف إنسان أحد العلماء في قول،تأتي فتقول له: يا أخي،أنت خالفت فلانًا العالم،وهذا يلزم منه أنك ترى نفسك أعلم منه.

وهذا غير صحيح،فلا يلزم من قوله وخلافه للعالم الفلاني ذلك،فقد يخالفه في هذه المسألة باجتهاده،وهو يعرف أن هذا العالم أعلم منه في كل المسائل،لكن هذه المسألة لا يسعه أن يقلده فيها،كما لا يلزم من مخالفته له أن أن يخطِّئه أو يضلِّله.

كذلك يأتي إنسان فيقول: فلان قال قولاً ما سُبق إليه،وهذا يلزم منه أنه يحكم بأن الحق قد غاب عن الأمة كلها طيلة القرون الماضية.. والصحيح أنه لا يلزم ذلك.

وقد يكون هذا القول قد سُبق إليه،وقال به غيره من قبل،وعلى فرض أنه ما قال به أحد قبله،فقد يحدث أنه لم ينقل مع كونه قد قيل من قبل.

وحتى لو فُرض أنه لم يُسبق إليه،فهو لا يرى أن هذا من الحق الذي يجب أن تعلمه الأمة في كل زمان ومكان؛ بل يرى أن هذا من الأشياء الاجتهادية التي قد يقول بها إنسان،وربما تحتاجها الأمة أو لا تحتاجها،فليس فرضًا أن تعلمه الأمة في كل حين وكل زمن وكل مكان،أو أن يقول به من قال به،وقد يرى أن المسألة ما نقل فيها قول -أصلاً-.

والإلزام -بأن تلزم إنسانًا بمقتضى كلامه- من المشكلات؛ لأن اللازم يصلح في كلام الله تعالى،فتقول: الآية يلزم منها كذا،واللازم يعتبر دليلاً من أنواع الدلالات،وكما يقول علماء الأصول: الدلالات ثلاث: دلالة المطابقة،ودلالة التضمن،ودلالة الإلزام،يعني: يلزم من هذا النص كذا وكذا.

فهذا يصح في كلام الله وكلام رسوله ﷺ،أما كلام الناس فلا إلزام فيه بشيء ما،تقول: يلزم من كلامه كذا وكذا،رغم أنه ما خطر في باله هذا اللازم،ولا فكَّر فيه يومًا من الأيام،وقد لا يوافقك على أنه لازم،ولو وافقك على أنه لازم قد لا يُقر به،فلماذا تلزم الناس بشيء لم يلتزموا به؟

ولذلك من باطل اللوازم أن الشاعر ابن الرومي حاول أن يستخدم هذا الإلزام بطريقة ماجنة،فكان أهل العراق الأحناف يقولون بجواز النبيذ،وأهل الحجاز يقولون بتحريمه مثل الخمر،فيقولون النبيذ والخمر سواء،فكان هذا الشاعر الماجن الخبيث يقول[٢٢٩٤]:

أحل العراقيُّ النبيذَ وشربهُ وقال الحرامان المدامةُ والسُّكرُ

وقال الحجازيُّ الشرابان واحد فحلّتْ لنا بين اختلافهما الخمرُ

سآخذ من قوليهما طرفيهما وأشربها لافارقَ الوازر الوزر

ولا شك أن من قال بحل الخمر فهو كافر؛ لأن تحريمها ثابت بنص القرآن الكريم،قال تعالى: (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) [المائدة:٩٠]،لكني أردت أن أبيِّن فساد الالتزامات والإلزامات التي يختلقها البعض ويحاول أن يحاصر بها الآخرين.

١٤- اعتدال الصوت:

لا تبالغ في رفع الصوت أثناء الحوار،فليس من قوة الحجة المبالغة في رفع الصوت في النقاش والحوار؛ بل كلَّما كان الإنسان أهدأ كان أعمق؛ ولهذا تجد ضجيج البحر وصخبه على الشاطئ،حيث الصخور والمياه الضحلة،وحيث لا جواهر ولا درر،فإذا مشيت إلى عمق البحر ولجته وجدت الهدوء،حيث الماء العميق ونفائس البحر وكنوزه؛ لذلك يقول المثل الغربي: "الماء العميق أهدأ".

حوار بين إسحق والشافعي:

هذا حوار جرى بين إسحاق بن راهويه رحمه الله -إمام من أئمة أهل الحديث- وبين الشافعي.

يقول إسحاق: إن الإمام أحمد لمَّا كان في مكة،قال: لماذا لا تذهب للشافعي وتستفيد منه؟ قلت له: كيف أترك ابن عيينة والمشايخ وأذهب إلى الإمام الشافعي؟ قال له: يفوت وهم لا يفوتون.

قال: فذهبنا إليه فتناظرنا في كراء[٢٢٩٥] بيوت مكة،هل تكرى،أو لا تكرى؟ قال: فتكلمت مع الشافعي وتحمست؛ ولكن الشافعي كان متساهلاً،فتكلَّمت بالفارسية مع رجل جانبي،وذكر كلمة بالفارسية معناها: هذا ليس عنده كمال -يعني الشافعي-،قال: فعلم الشافعي أني أسبه،وإن كان لا يجيد اللغة،فقال: هل تريد أن تناظرني؟ قلت: من أجل المناظرة جئت!

قال: أرأيت قول الله تعالى: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ) [الحشر:٨]،أليس الله نسب الديار إلى أربابها،أو إلى غير أربابها؟ قال: قلت: بل إلى أربابها،قال: عمر لما اشترى دار السجن

[٢٢٩٤] - محاضرات الأدباء - (١ / ٣٠٤) و تراجم شعراء موقع أدب - (٧١ / ١٠٩)

[٢٢٩٥] - الكِراء: أجر المستأجَر. المعجم الوسيط (٨١٧/٢).

بمكة[٢٢٩٦]،اشتراها من إنسان يملكها،أو لا يملكها؟ قلت: ممن يملكها،قال: قول النبي ﷺ: "وهل تـــرك لنا عقيل من رباع أو دور"[٢٢٩٧]

الدور لهم،أو ليست لهم؟ قلت: لهم.

قال إسحاق: فقلت: الدليل على صحة قولي أنه قال به من التابعين فلان وفلان وفلان،قال: فالتفـــت الشافعي إلى رجل بجنبه وقال: من هذا؟ قال له: هذا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي،قال: أنـــت الـــذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟!،قلت: هكذا يزعمون! قال: ما أحوجني أن يكون غيرك في مكانك فآمر بعرك أذنه،-هذا أدب يؤدب به الطالب الصغير-،قال: أقول لك: قـــال الله،قـــال رســـول الله ﷺوأنت تقول: قال: عطاء وطاوس والحسن وإبراهيم؟! وهل لأحد مع رسول الله ﷺحجة؟[٢٢٩٨]

ومثلها قصة أخرى طريفة جرت بحضرة الإمام أحمد،وذلك أن الشافعي وإسحاق تناظرا -أيضًـــا- في جلود الميتة إذا دُبغت هل تطهر،أو لا تطهر؟ فقال الشافعي: دباغ جلود الميتة طهورها،فإذا دُبغ جلد الميتة طهر،قال إسحاق: ما الدليل؟ قال: الدليل أن رسول الله ﷺوجد شاة ميتة،أُعطيَتها مولاة لميمونة من الصدقة،فقال رسول الله ﷺ: "هلا انتفعتم بجلدها؟"،قالوا: إنها ميتة،فقال: "إنما حَرُم أكلها"[٢٢٩٩]

قال إسحاق: دليلي على أن جلود الميتة لا تطهر: حديث عبد الله بن عكيم أن النبي ﷺبعث إلـــيهم قبل أن يموت بشهر: "لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب"[٢٣٠٠]،يعني لا بجلد،ولا بعظم،وهذا يمكن أن يكون ناسخًا؛ لأنه قبل موت النبي ﷺبشهر،قال الشافعي: هذا كتاب الرســـول عليـــه الصـــلاة والسلام،وذاك سماع،والسماع مقدَّم،فقال له إسحاق: إن النبي ﷺكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم،وكان ذلك حجة عليهم عند الله تعالى،فسكت الشافعي.

والغريب في الأمر أن أحمد بن حنبل ذهب بعد تلك المناظرة إلى حديث عبد الله بن عكيم وقال به،ثم رجع عنه فيما بعد،وكذلك رجع إسحاق إلى حديث الشافعي وقال به[٢٣٠١]، وهـــذا دليـــل علـــى تجردهم،وسعيهم للوصول إلى الحق.[٢٣٠٢]

[٢٢٩٦] - قصة شـــــراء عمر لدار السجن أخرجها عبد الرزاق في المصنف (٩٢١٣)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٠٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠٩٦٢).عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ فَرُّوخَ، قَالَ: " إِنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ اشْتَرَى لِعُمَرَ مِنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ دَارَ السِّجْنِ بِأَرْبَعَـــةِ آلَافٍ فَإِنْ رَضِيَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَالْبَيْعُ جَائِزٌ وَإِلَّا فَلِصَفْوَانَ أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ "أخبار مكة

[٢٢٩٧] - صحيح مسلم- المكتر - (٣٣٦٠)

[٢٢٩٨] - انظر القصة بتمامها: في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٨٩،٩٠).

[٢٢٩٩] - صحيح البخارى- المكتر - (١٤٩٢)

[٢٣٠٠] - صحيح ابن حبان - (٤ / ٩٣) (١٢٧٧) وفيه اختلاف في صحته وصححه جمع

[٢٣٠١] - انظر القصة بتمامها: في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٩١،٩٢)

[٢٣٠٢] - انظر : http://www.saaid.net/mktarat/m/١٤.htm.

أهم المصادر

١. أيسر التفاسير لأسعد حومد
٢. التفسير الميسر
٣. الدر المنثور للسيوطي -موافق للمطبوع
٤. تفسير ابن أبي حاتم
٥. تفسير ابن كثير - دار طيبة
٦. تفسير السعدي
٧. تفسير الشعراوي
٨. تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة
٩. تفسير القرطبي ـــ موافق للمطبوع
١٠. فى ظلال القرآن ـــ موافقا للمطبوع
١١. أخبار مكة للفاكهي
١٢. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة
١٣. الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم
١٤. الأدب المفرد للبخاري
١٥. الترغيب والترهيب للمنري
١٦. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان
١٧. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة
١٨. السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد
١٩. السنن الكبرى للبيهقي- المكتر
٢٠. الشمائل المحمدية للترمذي
٢١. الفوائد لتمام ٤١٤
٢٢. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
٢٣. المدخل إلى السنن الكبرى
٢٤. المستدرك للحاكم مشكلا
٢٥. المسند الجامع
٢٦. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٨٥٢)
٢٧. المعجم الأوسط للطبراني
٢٨. المعجم الصغير للطبراني
٢٩. المعجم الكبير للطبراني
٣٠. المنتقى من السنن المسندة لابن الجارود
٣١. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث
٣٢. بلوغ المرام من أدلة الأحكام

٣٣. تهذيب الآثار للطبري
٣٤. جامع الأحاديث
٣٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول
٣٦. دلائل النبوة للبيهقي
٣٧. سنن أبي داود - المكتر
٣٨. سنن ابن ماجة- طبع مؤسسة الرسالة
٣٩. سنن الترمذى- المكتر
٤٠. سنن الدارقطنى- المكتر
٤١. سنن الدارمى- المكتر
٤٢. سنن النسائي- المكتر
٤٣. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٤٤. شرح معاني الآثار (٣٢١)
٤٥. شعب الإيمان (٤٥٨)
٤٦. صحيح ابن حبان
٤٧. صحيح ابن خزيمة مشكل
٤٨. صحيح البخارى- المكتر
٤٩. صحيح مسلم- المكتر
٥٠. عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة
٥١. غاية المقصد فى زوائد المسند ١
٥٢. غاية المقصد فى زوائد المسند ٢
٥٣. كشف الأستار
٥٤. مجمع الزوائد
٥٥. مسند أبي عوانة مشكلا
٥٦. مسند أبي يعلى الموصلي مشكل
٥٧. مسند أحمد (عالم الكتب)
٥٨. مسند احمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرنؤوط)
٥٩. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار
٦٠. مسند الحميدي - المكتر
٦١. مسند الشاشي ٣٣٥
٦٢. مسند الشاميين ٣٦٠
٦٣. مسند الطيالسي
٦٤. مسند عبد بن حميد
٦٥. مصنف ابن أبي شيبة

٦٦. مصنف عبد الرزاق مشكل
٦٧. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)
٦٨. موسوعة السنة النبوية
٦٩. موطأ مالك- المكتر
٧٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
٧١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم
٧٢. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي
٧٣. تحفة الأحوذي
٧٤. تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام
٧٥. جامع العلوم والحكم محقق
٧٦. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين
٧٧. شرح ابن بطال
٧٨. شرح النووي على مسلم
٧٩. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين
٨٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري
٨١. عون المعبود
٨٢. فتح الباري لابن حجر
٨٣. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين
٨٤. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري
٨٥. فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢
٨٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح
٨٧. معالم السنن للخطابي
٨٨. الفتاوى الكبري لابن تيمية
٨٩. الفقه الإسلامي وأدلته
٩٠. الفقه على المذاهب الأربعة
٩١. الموسوعة الفقهية الكويتية
٩٢. فتاوى الأزهر
٩٣. فتاوى الإسلام سؤال وجواب
٩٤. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة
٩٥. فتاوى واستشارات الإسلام اليوم
٩٦. فتاوى يسألونك لعفانة١-١٢
٩٧. مجلة مجمع الفقه الإسلامي
٩٨. مجموع الفتاوى لابن تيمية

٩٩.أدب الدنيا والدين
١٠٠. إحياء علوم الدين
١٠١. الآداب الشرعية
١٠٢. الأذكار للنووي
١٠٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر
١٠٤. القرآن منهاج حياة
١٠٥. الكبائر
١٠٦. المدخل لابن الحاج
١٠٧. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية
١٠٨. بشارة المحبوب بتكفير الذنوب
١٠٩. تربية الأولاد في الإسلام النابلسي
١١٠. تربية الأولاد في الإسلام لعلوان
١١١. تربية الطفل في الإسلام
١١٢. تهذيب الأخلاق
١١٣. حلية الأولياء
١١٤. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء
١١٥. رياض الصالحين
١١٦. صفة الصفوة
١١٧. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب
١١٨. قوت القلوب
١١٩. كتاب تسلية أهل المصائب
١٢٠. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية
١٢١. مدارج السالكين
١٢٢. موسوعة خطب المنبر – الإصدار الثاني
١٢٣. موسوعة فقه القلوب
١٢٤. ميزان العمل
١٢٥. :http://saaid.net/book/open.php?cat=٨٢&book=٤٩٤٣
١٢٦. تاج العروس
١٢٧. لسان العرب
١٢٨. سير أعلام النبلاء
١٢٩. حلية طالب العلم
١٣٠. لباب الآداب لأسامة بن منقذ
١٣١. ترتيب المدارك للقاضي عياض رحمه الله

١٣٢. الصحيحة للألباني

١٣٣. صحيح الجامع الصغير للألباني

١٣٤. http://www.d-alsonah.com/vb/showthread.php?t=١٧٠٤

١٣٥. منهاج المسلم للجزائري

١٣٦. http://www.odabasham.net/show.php?sid=١٥٠٠٦

١٣٧. الخلاصة في حقوق النبي صلى الله عليه وسلم للمؤلف

١٣٨. التبصرة ـــ لابن الجوزى

١٣٩. الزهد والرقائق لابن المبارك

١٤٠. حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ

١٤١. الزُهْدُ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ

١٤٢. عَمَلُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِابْنِ السُّنِّيِّ

١٤٣. http://www.kettaneh.net/islam/islam/adaab٣.htm.

١٤٤. http://alboraq.info/archive/index.php/t-٤٢٧٦٨.html.

١٤٥. http://www.asdaff.com/t٢١٨١٦.html.

١٤٦. المغني لابن قدامة

١٤٧. المجموع للنووي

١٤٨. فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ

١٤٩. الدُّعَاءُ لِلطَّبَرَانِيِّ

١٥٠. أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني

١٥١. الْجَامِعُ لأَخْلَاقِ الرَّاوِي وَآدَابِ السَّامِعِ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ

١٥٢. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث

١٥٣. حياة الصحابة للكاندهلوى

١٥٤. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني

١٥٥. آفات على الطريق كامل

١٥٦. الْجَامِعُ فِي الْحَدِيثِ لِابْنِ وَهْبٍ

١٥٧. أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ

١٥٨. الوجيز في حقوق الأولاد للمؤلف

١٥٩. الْفَقِيهُ وَالْمُتَفَقِّهُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ

١٦٠. الأربعون للفسوي

١٦١. السنة لابن أبي عاصم

١٦٢. عمل اليوم والليلة لابن السني

١٦٣. الزهد لوكيع

١٦٤. العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني

١٦٥. الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين
١٦٦. معجم ابن الأعرابي
١٦٧. سيرة ابن هشام
١٦٨. الزُّهْدُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ
١٦٩. جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ
١٧٠. اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي
١٧١. الأمثال في الحديث
١٧٢. القول المسدد في عن مسند أحمد
١٧٣. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي
١٧٤. الْمَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ
١٧٥. الْأَرْبَعُونَ حَدِيثًا لِلْآجُرِّيِّ
١٧٦. الْمُحَدِّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوِي وَالْوَاعِي لِلرَّامَهُرْمُزِيِّ
١٧٧. الْعُزْلَةُ لِلْخَطَّابِيِّ
١٧٨. الْإِخْوَانُ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا
١٧٩. بداية الهداية
١٨٠. فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ
١٨١. نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ـــ للترمذى
١٨٢. الزهد أبي داود
١٨٣. فَضَائِلُ الْقُرْآنِ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ
١٨٤. التفسير من سنن سعيد بن منصور
١٨٥. أخلاق حملة القرآن للآجري
١٨٦. الزُّهْدُ وَالرَّقَائِقُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ
١٨٧. الدعاء للطبراني
١٨٨. سلاح المؤمن في الدعاء والذكر
١٨٩. فُنُونُ الْعَجَائِبِ لِأَبِي سَعِيدٍ النَّقَّاشِ
١٩٠. تاريخ دمشق ابن عساكر
١٩١. مسند المقلين من الأمراء والسلاطين
١٩٢. الْكُنَى وَالْأَسْمَاءُ لِلدُّولَابِيِّ
١٩٣. الفتوحات الربانية لابن علان
١٩٤. نيل الأوطار للشوكاني
١٩٥. الْأَوْسَطُ لِابْنِ الْمُنْذِرِ
١٩٦. فَضَائِلُ الْأَوْقَاتِ لِلْبَيْهَقِيِّ
١٩٧. فقه الزكاة للقرضاوي

١٩٨. فتح القدير للكمال بن الهمام شرح الهداية مطبعة مصطفى محمد

١٩٩. رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين محمد أمين طبع إستانبول دار الطباعة العامرة

٢٠٠. الشفا نسخة شرحه للقاري طبع إستانبول سنة ١٣١٦

٢٠١. تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ

٢٠٢. قِيَامُ اللَّيْلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ

٢٠٣. الاختيار لتعليل المختار لعبد الله بن محمود الموصلي ، طبع مصطفى البابي الحلبي

٢٠٤. لباب المناسك للسندي وشرحه لعلي القاري طبع المطبعة الأميرية

٢٠٥. الخلاصة في أحكام الحج والعمرة للمؤلف

٢٠٦. مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ

٢٠٧. تلبيس إبليس لابن الجوزي

٢٠٨. مَسَاوِئُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ

٢٠٩. الكامل لابن عدي

٢١٠. تراجم شعراء موقع أدب

٢١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين

٢١٢. تاريخ ابن معين – الدوري –

٢١٣. المعرفة والتاريخ للفسوي

٢١٤. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم

٢١٥. محاضرات الأدباء

٢١٦. طبقات الشافعية الكبرى

٢١٧. http://www.saaid.net/mktarat/m/١٤.htm

٢١٨. المكتبة الشاملة ٣

٢١٩. برنامج قالون

الفهرس العام

مقدمة عن الأدب وأهميته في الإسلام ٥
١- تعريف الأدب : ٥
٢- منزلة الأدب وفضله : ٦
٣- حاجتنا إلى الأدب: ٦
٤- مراتب الأدب : ٧
×أ) الأدب مع الله عز وجل : ٧
×ب) الأدب مع رسول الله ﷺ: ٧
×ج) الأدب مع الخلق : ٨
×د) الأدب مع النفس : ٨
٥- طريق اكتساب الأدب : ٩
٦- الكتب والمصنفات في الأدب الشرعي : ١٠
-١- آداب النية ١٢
-٢- الأدب مع الله سبحانه وتعالى ١٦
-٣- الأدب مع رسول الله -ﷺ- ٢١
-٤- الأدب مع النفس ٢٧
-٥-آدابُ الاستيقاظ ٤٤
-٦-آدابُ قضاء الحاجة ٤٨
-٧-آداب الوضوء ٥٢
-٨-آداب الصلاة ٥٦
-٩-آداب الطعام ٦٤
-٩-آداب الطعام ٦٤
-١٠-آداب الشرب ٧٣
-١١-آداب اللباس ٧٩
-١٢-آداب الكلام ٨٨
-١٣-آداب بيتية ١٠٣
-١٤- آداب الابن مع الوالدين ١٠٨
-١٥- آداب الأخ مع إخوته ١١٤
-١٦- الأدب مع الأولاد ١١٩
الحقُّ الأول -اختيار الزوجة الصالحة ١١٩
الحقُّ الثاني -إتباع السنَّة في المعاشرة الزوجية وطلب الولد الصالح ١١٩
الحق الثالث -إتباعُ السنَّة في استقبال المولود ١١٩
الحقُّ الرابع -الرضا بقسمة الله من الذكور والإناث وعدم تسخط البنات ١٢٠
الحقُّ الخامس -أن يختار له مرضعة صالحة إنْ فقد أمه ١٢٠
الحقُّ السادس -أن تحضن الأم ابنها ١٢١

الحقُّ السابع –أن يعلِّمه والداه كتاب الله و ما يلزم من العلوم الضرورية ١٢١
الحقُّ الثامن –ألا يرزقه إلا طيباً من الكسب الحلال ١٢١
الحقُّ التاسع –أن يعلِّمه الصلاة ويعوِّده عليها ١٢١
الحقُّ العاشر – أن يدربه على الصوم ١٢٢
الحقُّ الحادي عشر –تربية البنات على الحجاب ١٢٢
الحقُّ الثاني عشر – أن يعلَّم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول ١٢٢
الحقُّ الثالث عشر –أن يعدل الوالدان بين أولادهم ١٢٣
الحقُّ الرابع عشر – تخيِّرُ الصحبة الصالحة لهم ١٢٣
الحقُّ الخامس عشر –توفير أسباب اللهو واللعب المفيد ١٢٣
الحق السادس عشر –أن يعوله حتى سن الرشد ١٢٤
الحقُّ السابع عشر – الرحمة وما يتفرع عنها من حب وحنان وعطف ١٢٤
الحقُّ الثامن عشر –من حق الأولاد التأديب ١٢٥
الحقُّ التاسع عشر – تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ ١٢٥
الحقُّ العشرون – أن يبحث الوالدان لولدهما عن الزوجة الصالحة ١٢٦
-١٧ -آداب الطريق ١٢٨
-١٨-آداب الدراسة والمدرسة ١٣٣
-١٩-آداب شخصية ١٣٦
-٢٠-آداب النوم ١٤١
-٢١-آداب الغسل ودخول الحمام ١٤٦
-٢٢-آداب المسجد ١٥٢
-٢٣-آداب صلاة الجماعة ١٦٤
-٢٤-آداب العالِم ١٧٨
-٢٥-آداب المتعلم ١٩٦
-٢٦-آداب تلاوة القرآن الكريم ٢١٥
فضائل بعض سور القرآن الكريم ٢٥٢
-٢٧-آداب ذكر الله تعالى ٢٥٨
بعض الأذكار المسنونة ٢٨٠
-٢٨-آداب الدعاء ٢٨٥
-٢٩-آداب الجمعة ٣١٤
-٣٠-آداب العيدين ٣٢٥
آداب عيد الفطر: ٣٢٧
آداب عيد الأضحى: ٣٣١
-٣١-آداب الصيام ٣٣٤
-٣٢-آداب الزكاة والصدقات ٣٤٦
-٣٣-آداب الحج والزيارة ٣٦٢
-٣٤-آداب العمل والمعاش والبيع والشعار ٣٨٤
-٣٥-آداب الصلة ٤٠٠

ا–آداب صلة الرحم: ٤٠٠
ب –آداب الجار: ٤٠٨
جـ –آداب عيادة المريض: ٤١٠
د–آداب الصلة بالميت "التعزية": ٤١٢
هـ– الأدب مع الكافر : ٤١٨
-٣٦-آداب الصحبة ٤٢٥
-٣٧-آداب السلام ٤٣٨
-٣٨-آداب الاستئذان ٤٥٦
-٣٩-آداب المجلس ٤٦٣
-٤٠-آداب النزهات ٤٦٨
-٤١ - آداب اللقاء ٤٧١
-٤٢- آداب الزيارة ٤٧٦
-٤٣ - آداب الضيافة ٤٨٢
-٤٤ - آداب المعاشرات ٤٩٠
-٤٥ - آداب الرؤيا ٥٠٩
-٤٦ - آداب عشرة النساء ٥١٧
-٤٧ - آداب الكلام ٥٢٧
-٤٨ - آداب الدعاء ٥٤٢
-٤٩ - آداب الشورى ٥٥٨
-٥٠- آداب النصيحة ٥٩٨
-٥١- آداب الدعوة ٦٠٣
-٥٢- آداب العمل ٦١٦
-٥٣- آداب الحزن في الإسلام ٦٢٣
-٥٤- آداب معاملة الحيوان ٦٢٩
-٥٥- أدب الحوار ٦٣٤
قواعد الحوار وأصوله: ٦٣٥
القاعدة الأولى: تحديد موضوع الحوار: ٦٣٥
القاعدة الثانية: مناقشة الأصل قبل الفرع: ٦٣٦
القاعدة الثالثة: الاتفاق على أصل يُرجع إليه: ٦٣٦
صفات المحاور : ٦٣٧
آفات في الحوار : ٦٣٨
آداب الحوار : ٦٣٩
١– إحسان الظن بالآخرين: ٦٣٩
٢–ترك الطعن والتجريح للمخالفين: ٦٤٠
٣–البعد عن المراء واللدد في الخصومة : ٦٤٨
٤– الحوار بالتي هي أحسن : ٦٤٨
٥– حسن المقصد: ٦٤٩

٦- التواضع بالقول والفعل: ٦٥٠
٧- الإصغاء وحسن الاستماع: ٦٥٠
٨- الإنصاف: ٦٥١
٩- البدء بمواضع الاتفاق والإجماع والمسلَّمات والبدهيات: ٦٥٢
١٠- ترك التعصب لغير الحق: ٦٥٣
١١- احترام الطرف الآخر: ٦٥٤
١٢- الموضوعية: ٦٥٥
١٣- عدم الإلزام بما لا يلزم أو المؤاخذة باللازم: ٦٥٧
١٤- اعتدال الصوت: ٦٥٨